

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية

مجلة علمية محكمة تصدر عن
مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات في مملكة البحرين

CJSP
ISSN-2536-0027

العدد ١٦
كانون الاول ٢٠٢٢

مجلة كامبريدج

مجلة علمية محكمة

تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات

ISSN-2536-0027

www.camb-magazine.com

رئيس مجلس الإدارة والمشرف العام

الدكتورة حفصة مُحَمَّد الغريب

اللجنة العليا

أ.د. مُحَمَّد أبو زياد الأمير

أ.د. دينا المولى

أ.د. عبد الملك الدناني

أ.د. حسن فضاله موسى التميمي

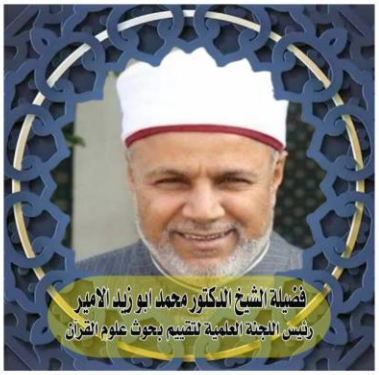
نائب رئيس التحرير

أ.م.د عباس يوسف جابر

سكرتير التحرير

د.صباح جمعة الباوي


د. حفصة محمد الغريب
رئيسة مركز كامبريدج للبحوث
والمؤتمرات في مملكة البحرين


فضيلة الشيخ الدكتور محمد ابو زيد الامير
رئيس اللجنة العلمية لتقييم بحوث علوم القران


أ.د.دينا المولى
رئيسة الجامعة الاسلامية في لبنان
رئيسة اللجنة العلمية لتقييم البحوث القانونية


د. عبد الملك الدناني
رئيس اللجنة العلمية لتقييم بحوث الاعلام والاتصال

اللجان العلمية

شروط النشر في المجلة:

ت	الاسم	مكان العمل	البلد
.1	أ.د ألفت إبراهم جاد الرب	جامعة الأزهر الشريف	مصر
.2	أ.د جهان عيسى أبو راشد العمران	جامعة البحرين	البحرين
.3	أ.د رقية أحمد العاني	الجامعة العراقية	العراق
.4	أ.د هلا العريس	الجامعة اللبنانية	لبنان
.5	أ.د. رشيد حميد زغير	جامعة البلدة	الجزائر
.6	أ.د. هاشمية حميد جعفر	جامعة الكوفة	العراق
.7	أ.د سهيلة طه مُحَمَّد البياتي	جامعة تكريت	العراق
.8	أ.د فائزة عباس حميدي	أستاذة علم الدلالة في الجامعة المستنصرية	العراق
.9	أ.د رائف غنيمات	الكلية الجامعية العربية للتكنولوجيا	الأردن
.10	د عايد الظفيري	المعهد الأسترالي العربي للشؤون الاستراتيجية	أستراليا
.11	أ.د وفاء عمر السبيعي	جامعة الملك فيصل	السعودية
.12	د. هدى دياب أحمد الصالح	جامعة أم درمان الإسلامية	السودان
.13	د. فواز موفق ذنون	جامعة الموصل	العراق
.14	أ.دسلمى عبد الرزاق عبد لايذ الشبلاوي	جامعة كربلاء	العراق
.15	د. ترتيل تركي الدرويش	جامعة بيروت العربية	لبنان
.16	أ.د حازم جري الشمري	وزارة التعليم العالي والبحث العلمي	العراق
.17	أ.د عامر فياض	وزارة التعليم العالي والبحث العلمي	العراق
.18	أ.م.د مُحَمَّد هاني فرحات	الجامعة الاسلامية – بيروت	لبنان
.19	د. أحمد دلول	مركز ابن العربي للبحوث	فلسطين
.20	أ.م.د مسار عربي جاسم	جامعة القادسية	العراق
.21	م.د.حوراء عبد صبر	جامعة الامام جعفر الصادق	العراق
.22	د.هديل عبد الجواد حسن	وزارة التعليم العالي والبحث العلمي	العراق
.23	أ.د.صادق جعفر عبد الحسين	كلية الاداب – جامعة ذي قار	العراق
.24	ا.م .د محمود كاظم الغزي	ذي قار	العراق
.25	د. نوفل رحمن الجبوري	القادسية	العراق
.26	أ. م د رحمن حسين حسين	ميسان	العراق
.27	د. سندس كريم البيضاوي	بغداد	العراق
.28	م.د.هدى صيهود العمري	دائرة التعليم الديني والدراسات الاسلامية	العراق

1. أن يكون البحث أكاديمياً، وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث الأكاديمية.
2. أن يكون مطبوعاً على الحاسوب بنظام (office Word) على قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد، وتزود هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية.
3. أن لا تزيد صفحات البحث عن 25 صفحة، مطبوعة بحجم الخط 14، ونوع الخط Simplified Arabic للغة العربية وخط Times News Roman للانكليزية.
4. يكتب الاسم ومكان العمل باللغتين العربية والانكليزية.
5. يكتب ملخص للبحث باللغتين العربية والانكليزية، وتدرج الكلمات المفتاحية بعد كل ملخص.
6. يدخل البحث نظام كشف الاستدلال الإلكتروني على وفق برنامج (Turnitin).
7. يُفضل أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة، وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية الضرورية، ويُراعى ألا تتجاوز أبعاد الأشكال والجداول حجم الصفحة (11) سم.
8. أن يكون البحث ملتزماً بدقة التوثيق، وحسن استعمال المصادر والمراجع، وتثبيت هوامش البحث ومراجعه في نهاية البحث .
9. ألّا يكون البحث قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي جهة أخرى.
10. تحتفظ المجلة بحقها في إخراج البحث وإبراز عناوينه بما يتناسب وأسلوبها في النشر.
11. ترسل البحوث على الايميل: KKrz55@yahoo.com.
12. يلتزم الباحث بدفع أجور النشر المحددة .
13. يدفع الباحث دولاراً واحداً عن كل صفحة إضافية تزيد عن 25 صفحة.
14. لا يجوز الاعتراض على التقويم، ولا يجوز المطالبة بكشف اسم المقوم.
15. لا تلتزم المجلة بنشر البحوث التي تخل بشرط من هذه الشروط.

في هذا العدد

كلمة العدد	بقلم رئيس التحرير	8
المسائل المحتملة عند ابن رشد الحفيد في كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد في بابي الطهارة والصلاة- دراسة فقهية مقارنة	أ .م .د أيمن فوزي رحيم الكبيسي /دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية - ديوان الوقف السني	37-10
رسائل عمر بن عبد العزيز الديوانية (دراسة تحليلية موضوعية)	م.م. تحسين عيسى علي السلطان ماجستير لغة عربية ثانوية عبدالرحمن بن عوف الإسلامية	48-38
قواعد التفسير الموضوعي (دراسة تحليلية)	أ.م.د إقبال وافي نجم الطالب: مصطفى عازي عباس	64-49
نسق التداخل النصي في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري (ت538هـ)	م.م خالد رحيم بايش/أ.د صادق عبد الحسين جعفر/كلية الآداب، جامعة ذي قار	80-65
الشخصيات القصصية في كتاب عقلاء المجانين للنيسابوري	د. منتدى مانع دايخ المديرية العامة لتربية محافظة القادسية- وزارة التربية	86 -81
التداخل الأدبي في كتاب الفصوص لصاعد البغدادي (ت 417هـ)	الطالبة منال معن حوذان/ المشرف أ.د. صادق جعفر عبد الحسين/ جامعة ذي قار/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية	93- 87
أحسنُ طرق التفسير في منظور الدكتور صلاح الخالدي من خلال كتابه تعريف الدارسين - دراسة وصفية نقدية -	م.م. عبدالله يوسف نافع/ أ.د طه إبراهيم شبيب جامعة الأنبار- كلية التربية للعلوم للإنسانية	103 -94
السيناريو والمونتاج الشعري في شعر رعد عبد القادر	أ.د. حيدر برزان سكران/ الباحثة غفران نعيم مغتاض/ جامعة ذي قار ـ كلية الآداب / قسم للغة العربية	117 -104
الطبيعة القانونية لعلاقة الموظف العام بالدولة - دراسة مقارنة-	الباحث شيروان احمد طاهر حويز	130 -118
مكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية في التشريعات الوطنية والدولية - دراسة تحليلية في ضوء القانون العراقي-	خولة اركان/مدرس مساعد/ دلال صادق احمد / مدرس/ الجامعة التقنية الشمالية/المعهد التقني كركوك	148- 131
النقيض الأجتماعي والطبقي في النص المسرحي العربي المعاصر	رؤى فوزي مردان/ أ.م.د. حسن عبود النخيل جامعة البصرة ــ كلية الفنون الجميلة	159-149
المرجع البيئي للامألوف الشكلي في الخزف العراقي المعاصر	التدريسي :أ.م. عادل صبري نصار التميمي جامعة الكوفة / كلية التربية -قسم التربية الفنية	180-160
العنف العاطفي والنفسي في الشعر العباسي	د عبد الحسين عبد الرضا أعوج/ إكرام علي فليفل/ جامعة ذي قار / كلية الآداب / قسم اللغة العربية	193 -181

اتجاهات مديري المدارس الحكومية نحو محتوى ما تنشره شبكات التواصل الاجتماعي والتأثيرات المترتبة عليها/ دراسة حالة على محافظة بابل	قاسم حسين حمزه غريري باحث لدرجة الدكتوراه في معهد الصحافة وعلوم الاخبار/ جامعة منوبة / تونس	209 -194
أثر العلاقات الإقليمية على نظام الحكم في دولـــــة أفغانستان	الباحث: حمود لفلوف عبد/ أ.د. ظاهر عبد الزهرة الربيعي/ جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الانسانية - قسم الجغرافية	219 -210
أثر خصائص سكان العراق في قوة الدولة	أ. د. ظلال جواد كاظم/ الباحثة :مها كاظم محمد/جامعة الكوفة / ماجستير جغرافيا/ كلية التربية للبنات	240 -220
الآثار البيئية للإرهاب في العراق وأبعاده الجيوبوليتيكة	ا.م.د. زيد علي حسين/ د. ابتهال عبد علي فرحان كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل	253 -241
الانفتاح السياسي 1981 وأثره على الحزب الشيوعي التونسي	أ.د. فاطمة فالح جاسم الخفاجي/ الباحثة : نور موسى عبد عوده/ جامعة ذي قار/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	266 -254
موقف عبدالكريم الإرْيانيّ وسياستهُ تجاه المشكلات الحدودية البرية والبحرية 1991 – 1998م	الأستاذ الدكتور عماد جاسم حسن الموسوي الباحث مؤيد خليوي سعود البدري كلية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة ذي قار	283 -267
الموقف السوري من الاحتلال الامريكي للعراق	م. م. حسن مخور باني/المديرية العامة لتربية ذي قار/ قسم الاعداد والتدريب/ شعبة البحوث والدراسات التربوية	295 -284
الموقف العراقي من الثورة الاسلامية في إيران عام 1979م	م.م ساره حسين شريف/ مديرية تربية ذي قار	307 -296
الوزارة ونيابتها في العصر العباسي الاخير (575-656هـ/1179-1258م)	الاستاذ الدكتور سلام علي مزعل الجابري/الباحث : محمد عبد الغني مهاوش الوائلي/ جامعة ذي قار / كلية الآداب	336-308
دراسة لتراكيز الايونات الموجبة والسالبة وبعض العناصر النزرة لمياه نهر الغراف لموسم 2020 وأثرها على الاستخدامات المختلفة (المنزلي والزراعي والصناعي)	د.م عبدالحسن عبد النبي هاشم/وزارة التربية/ مديرية تربية البصرة	355 -337
محاكم حقوق الإنسان الدولية المحكمتين الافريقية والعربية لحقوق الأنسان (إنموذجا)	م.م خلدون عطية مزهر/تدريسي في جامعة الامام جعفر الصادق، فرع ذي قار	371 -356
موقف الرأي العام الأمريكي من قضية الانضمام إلى عصبة الأمم (1919 -1923)	أ . د . محمود شاكر حميد/ الباحث : عبد الرحمن جبار شرهان/ جامعة ذي قار / كلية الآداب	388-372

كلـــمة العـــدد

يسعدنا ان نضع بين ايديكم هذا العدد الجديد من مجلتكم التي اخترتم لها ان تكون واحتكم الخصبة في نشر بحوثكم ورفد المكتبة العربية بما جادت وتجود به علميتكم الرصينة نحو تعليم جامعي متطور ودراسات سديدة تجعل الباحثين متحفزين دائما نحو بلوغ الهدف المنشود....تحية لكم وانتم تستمرون بهذا الالق العلمي مع مجلة كامبريدج التي تصدر منكم واليكم ..تحية للجان العلمية كافة وهي تبذل قصارى جهدها من اجل تقويم هذا الانجاز وفق طموح وشروط البحث العلمي الرصين مستمدين العزم من ادارة حكيمة تقف في طليعتها توجيهات الدكتورة حفصه مُحَمَّد الغريب رئيسة مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات من خلال متابعتها لعمل كادر هذه المجلة الذي دأب ان تكون واجهة حقيقية لنشر كل ماهو جديد ونافع لعلماء الامة وطلبة الدراسات العليا في كل الجامعات العربية والدولية والله الموفق.

هيئة التحرير



معتمدة في الترقيات العلمية حسب كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير الرقم ب ت ٤/ ١١١٧٦ في ٢٧/ ١١/ ٢٠١٩

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

المسائل المحتملة عند ابن رشد الحفيد في كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد في بابي الطهارة والصلاة دراسة فقهية مقارنة

أ .م .د أيمن فوزي رحيم الكبيسي
دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية - ديوان الوقف السني
ayman420422@gmail.com

المستخلص:
تناولت في هذا البحث المسائل المحتملة التي ذكرها القاضي ابن رشد الحفيد (رحمه الله) في كتابه (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) في بابي الطهارة والصلاة, والتي لم يقطع فيها برأي معين؛ وذلك لتكافؤ الأدلة فيها, وقد ذكرت مذاهب الفقهاء (رحمهم الله) فيها وبيّنت أدلتهم والراجح من أقولهم, وهي خمسة مسائل: ثلاثة منها في باب الطهارة, واثنتان منها في باب الصلاة.

Abstract:
tanawalat fi hadha albahth almasayil almuhtamalat alati dhakaraha alqadi aibn rushd alhafid (rahimah allahu) fi kitabih (bidayat almujtahid wanihayat almuqtasidi) fi babi altaharat walsalaati, walati lam yaqtae fiha biray mueinin; wadhalik litakafu al'adilat fiha, waqad dhakarat madhahib alfuqaha' (rahamahum allahu) fiha wbynnt 'adlatuhum walraajih min 'aqulihim, wahi khamsat masayila: thalathat minha fi bab altaharati, waithnatan minha fi bab alsalaati.

المقدمة
الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين, أما بعد:
فمما لا شك فيه أن علم الفقه من أجل العلوم الشرعية التي حضّ عليها ديننا الحنيف بآيات قرآنية وأحاديث نبوية, منها قوله تعالى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ),[1] ومنها قول النبي ρ: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين).[2] ومن أهم كتب هذا العلم الكتب التي تعنى بمقارنة أقوال الفقهاء في المسألة الواحدة وبيان وجهة نظر كل فقيه منهم فيما ذهب إليه؛ لأنها تجمع لطالب العلم ما تشتت من تلك الأقوال في مكان واحد وتبيّن له الراجح من المرجوع ومنهج كل فقيه فيما يذهب إليه وتنمي فيه ملكة الاجتهاد والنقد البناء, ومن أبرز هذه الكتب كتاب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) للقاضي أبي الوليد بن رشد الحفيد (رحمه الله) الذي تميز بأسلوب فريد جمع فيه مؤلفه بين دقة المعلومة ورصانة التعبير وتنمية الملكة الفقهية لطالب العلم, وقد انكب طلبة العلم على هذا الكتاب ينهلون من معارفه ويبحثون مسائله, ومن المسائل التي ذكرها ابن رشد (رحمه الله) فيه مسائل لم يقطع فيها برأيه؛ نظراً لتكافؤ الأدلة فيها, وهذه المسائل ليست بالكثيرة فيه, بل هي متناثرة على بعض أبوابه, وقد اخترت بعضاً منها لتكون محلاً لبحثي هذا, وهذه المسائل في كتابي الطهارة والصلاة.
وقد جعلت بحثي هذا في مقدمة ومبحثين وخاتمة , أما المقدمة فهي التي بين أيدينا, وأما المبحث الأول فقد تناولت فيه سيرة ابن رشد (رحمه الله) وكتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد, فكان في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ونشأته العلمية والعملية, والمطلب الثاني: ثناء العلماء عليه , والمطلب الثالث: منزلة كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد , وتناولت في المبحث الثاني: المسائل المحتملة التي ذكرها ابن رشد في كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد في بابي الطهارة والصلاة, فكان في خمسة مطالب: المطلب الأول: إدخال المرافق في غسل الأيدي في الوضوء, والمطلب الثاني: حكم وطء الحائض في طهرها قبل الاغتسال, والمطلب الثالث: نجاسة بول ورجيع الحيوانات المأكولة وغير المأكولة, والمطلب الرابع: قراءة البسملة في الصلاة, والمطلب الخامس: القراءة الواجبة في الصلاة, وتناولت في الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليه في هذا البحث.

وفي الختام أقول: هذا جهدي, فإن وفقت فيه للصواب فهو محض فضل الله عليّ, وإن لم أوفق فيه فحسبي أني كنت حريصاً على بلوغه واستغفر الله من التقصير, والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث

المبحث الأول

ابن رشد الحفيد وكتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد

وفيه مطالب

المطلب الأول

اسمه ونسبه ونشأته العلمية والعملية

هو الإمام الأوحد الفقيه القاضي الطبيب الفيلسوف ابن رشد الحفيد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد القرطبي الأندلسي, ولد سنة (520هـ).[3]

نشأ ابن رشد (رحمه الله) في أحضان أسرة عريقة ذات شهرة ووجاهة تمتع أفرادها بقدر عظيم من الفقه والقضاء جيلاً بعد جيل, فترعرع هذا الإمام في حب العلم وأهله فدرس اللغة والأدب حتى صار ذا حظ وافر فيهما وكان يحفظ ديواني ابي تمام والمتنبي ويتمثل بشعرهما في مجالسه, كما تلقى الفقه من علماء عصره من فقهاء المالكية وحفظ الموطأ على والده, وظل يدرس الفقه حتى برع فيه وصار عالماً بالخلاف وأسبابه. كما كانت له اليد الطولى في علم الأصول والجدل ويظهر ذلك جلياً في كتبه, ولم يكتف ابن رشد (رحمه الله) بالعلوم الشرعية, بل تجاوز ذلك إلى علوم الطب والفلسفة وألف فيها كتباً أصبحت فيما بعد مرجعاً مهماً من مراجع المعرفة, وطمحت نفسه في الجمع بين العلوم النقلية والعلوم العقلية فنال ما أراد فألف في ذلك كتاباً سماه: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال. وقد شغل ابن رشد (رحمه الله) منصب القضاء في أشبيلة وقرطبة ورغم مشاغله في هذه الفترة ألف معظم كتبه.[4]

المطلب الثاني

ثناء العلماء عليه

نقلت كتب السير والتراجم كثيراً من الصفات والأخلاق الحميدة لابن رشد (رحمه الله), فقد كان من أشد الناس تواضعاً رغم ما كان يتمتع به من المكانة الرفيعة والوجاهة العريضة عند الدولة فلم يدفعه ذلك إلى الترفع عن الناس والأنفة من مخالطتهم كما يفعله بعض علماء السلاطين وحواشيهم, فقد كان (رحمه الله) محطّ الثناء والمدح من قبل الناس.[5] وأذكر فيما يلي نبذاً من عبارات العلماء في مدحه والثناء عليه:

قال ابن فرحون (رحمه الله): " لم ينشأ بالأندلس مثله كمالاً وعلماً وفضلاً وكان على شرفه أشد الناس تواضعاً وأخفضهم جناحاً وعني بالعلم من صغره إلى كبره حتى حكي أنه لم يدع النظر ولا القراءة مذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله وأنه سود - فيما صنف وقيد وألف وهذب واختصر - نحواً من عشرة آلاف ورقة ومال إلى علوم الأوائل وكانت له فيها الإمامة دون أهل عصره. وكان يفزع إلى فتياه في الطب كما يفزع إلى فتياه في الفقه مع الحظ الوافر من الإعراب والآداب والحكمة".[6]

وقال موفق الدين بن أبي أصيبعة (رحمه الله): كان القاضي أبو الوليد حسن الرأي ذكياً رثّ البزة مشهور بالفضل معتن بتحصيل العلوم, أوحد في علم الفقه والخلاف رأس في علم الطب.[7]

وقال الإمام الذهبي (رحمه الله): ابن رشد الحفيد العلامة فيلسوف الوقت برع في الفقه والطب, ثم أقبل على علوم الأوائل حتى صار يضرب به المثل في ذلك.[8]

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

المطلب الثالث

منزلة كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد

لا شك أن كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد للقاضي أبي الوليد بن رشد الحفيد (رحمه الله) من الكتب الفقهية البارزة في المكتبة الإسلامية, وقد أخذ هذا الكتاب يكتسي أهمية بالغة لاعتبارات مختلفة منها: أسلوبه المتميز, وطريقة تعامله مع الدليل, وحسن ربطه بمناطه, وقد استطاع مؤلفه (رحمه الله) من اختصار الألفاظ والاحاطة بالمعاني وابراز ذلك بفكره الحر الذي لم يتعصب به لمذهب دون آخر.

وقد اعتنى الباحثون بهذا الكتاب فتتبعوا ما ذكره مؤلفه فيه من الإجماعات الفقهية والأسباب التي أدت إلى حدوث الاختلاف بين الفقهاء في المسألة ودور ذلك في تنمية ملكة الاجتهاد. ومن المسائل التي ذكرها ابن رشد (رحمه الله) في هذا الكتاب مسائل لم يقطع فيها برأيه نظراً لتكافؤ الأدلة فيها فرمز لها بالاحتمال, وهذه المسائل موزعة في أبواب مختلفة منه اخترت منها خمسة مسائل لتكون محلاً لبحثي هذا.

المبحث الثاني

المسائل المحتملة عند ابن رشد في كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد

في بابي الطهارة والصلاة

وفيه مطالب

المطلب الأول

إدخال المرافق في غسل الأيدي في الوضوء

سبب الاحتمال الوارد في هذه المسألة:

قال ابن رشد (رحمه الله): السبب في هذا الاحتمال هو الاشتراك الوارد في كلمة (أيديكم) وحرف (إلى) الواردين في الآية الكريمة التي شرعت أحكام الوضوء, وهي قوله تعالى: [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ].[9]

فإن اليد في كلام العرب تطلق على ثلاثة معانٍ: على الكف فقط, وعلى الكف والذراع, وعلى الكف والذراع والعضد. وكذلك حرف (إلى) فإنه يدل مرة على انتهاء الغاية, ومنه قوله تعالى: (ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ], [10] ومرة يكون بمعنى (مع) ومنه قوله تعالى: [فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ][11] أي: مع الله, ومنه أيضاً: [وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ] [12] أي: مع أموالكم.[13]

مذاهب الفقهاء في هذه المسالة:

اختلف الفقهاء (رحمهم الله) في هذه المسألة على مذهبين:

المذهب الأول: يجب غسل المرفقين مع الذراعين في الوضوء. وبه قال عطاء وإسحاق بن راهويه, وهو مذهب الشافعية والحنفية ما عدا زفر والمالكية في المشهور عندهم والحنابلة في رواية.[14] واستدلوا على ذلك بما يأتي:

أولاً: قوله تعالى: [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ].

وجه الدلالة:

دلت هذه الآية الكريمة على وجوب غسل المرفقين مع اليدين؛ لأن (إلى) في هذا الموضع بمعنى (مع) وليست غاية للمحدود فتصير حداً, وتقدير الآية: وأيديكم مع المرفقين, ونظير هذا آيات كريمات من القرآن الكريم, منها قوله تعالى: [وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ] [15] أي: مع شياطينهم, ومنها قوله:[فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ] [16] أي: مع الله. [17]

ثانياً: روى مسلم في صحيحه عن نعيم بن عبد الله المجمر قال: [رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَتَوَضَّأُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ يَدَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ρ يَتَوَضَّأُ].[18]

وجه الدلالة:

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

دل هذا الحديث على وجوب غسل المرفقين مع اليدين في الوضوء, وفعل النبي ρ بيان للمجمل فيفيد الوجوب.[19]

ورد:

بأن (إلى) وإن كانت حداً وغاية إلا أن ما بعد الغاية إذا كان مجانساً لما قبليها اقتضى التجانس التداخل وكان ما بعد (إلى) داخلاً فيما قبلها, كقولك: بعتك هذا الثوب من الطرف إلى الطرف فيدخل الطرفان في البيع, وأما إذا ما بعد الغاية مخالفاً لما قبلها لم يدخل فيما قبله, كقولك: بعتك هذه الأرض إلى الشجرة, فإن الشجرة لا تدخل في البيع؛ لأن الشجرة ليست جزءاً مشابهاً لأجزاء الأرض.[20]

ثالثاً: روى البزار في مسنده عن وائل بن حجر τ من حديث طويل في صفة وضوء النبي ρ جاء فيه: [ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْمَاءِ فَغَسَلَ بِهَا ذِرَاعَهُ الْيُمْنَى حَتَّى جَاوَزَ الْمِرْفَقَ ثَلاثًا، ثُمَّ غَسَلَ يَسَارَهُ بِيَمِينِهِ حَتَّى جَاوَزَ الْمِرْفَقَ ثَلاثًا].[21]

رابعاً: روى الدار قطني في سننه عن حمران مولى عثمان بن عفان أنه سمع عثمان τ يقول: (هَلُمُّوا أَتَوَضَّأُ لَكُمْ وُضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ ρ, وَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ حَتَّى مَسَّ أَطْرَافَ الْعَضُدَيْنِ , ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ , ثُمَّ أَمَرَّ يَدَيْهِ عَلَى أُذُنَيْهِ وَلِحْيَتِهِ , ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ].[22]

خامساً: روى عبد الرزاق في مصنفه عن ثعلبة بن عبّاد عن أبيه قال: مَا أَدْرِي كَمْ حَدَّثَنِي هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ρ [مَا مِنْ عَبْدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ حَتَّى يَسِيلَ الْمَاءُ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ يَغْسِلُ ذِرَاعَيْهِ حَتَّى يَسِيلَ الْمَاءُ عَلَى مِرْفَقَيْهِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ حَتَّى يَسِيلَ الْمَاءُ مِنْ قِبَلِ عَقِبَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي فَيُحْسِنُ صَلَاتَهُ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا سَلَفَ].[23]

وجه الدلالة من هذه الأحاديث:

دلت هذا الأحاديث على وجوب غسل المرفقين مع اليدين في الوضوء, قال إسحاق بن راهويه (رحمه الله): (إلى) في الآية تحتمل أن تكون بمعنى الغاية, وتحتمل أن تكون بمعنى (مع) فبيّنت السنة أنها بمعنى (مع).[24]

وردّ:

بأن حديث وائل بن حجر τ الذي رواه البزار ضعيف؛ لأن فيه محمد بن حجر وسعيد بن عبد الجبار, قال البخاري: محمد فيه نظر, وقال النسائي: سعيد ليس بالقوي.[25]

وأجيب:

بأنه إذا كان حديث وائل بن حجر τ ضعيف, فإن حديث حمران الذي رواه الدر قطني وحديث ثعلبة الذي رواه عبد الرزاق صحيحين, فهذه الأحاديث يشدّ بعضها بعضاً وتصلح للاحتجاج بها.[26]

سادساً: أن المرفق حدّ الساقط لا حدّ المفروض, بمعنى: أن قوله تعالى: [وَأَيْدِيَكُمْ].يقتضي بمطلقه غسل اليد من الظفر إلى المنكب, فلما قال: [إِلَى الْمَرَافِقِ] أسقط ما بين المنكب إلى المرفق, وبقيت المرافق مغسولة إلى الظفر, وهذا المعنى صحيح يجري على وفق الأصول لغة ومعنى.[27]

المذهب الثاني: لا يجب غسل المرفقين مع اليدين في الوضوء. وبه قال داود الظاهري والطبري وزفر من الحنفية وبعض المالكية والحنابلة في رواية.[28] واستدلوا على ذلك بما يأتي:

أولاً: قوله تعالى: [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ].[29]

وجه الدلالة:

إن الله تعالى جعل المرافق حداً والحدّ لا يدخل في المحدود, وهذا هو الراجح في معنى (إلى) كما ذكره أئمة اللغة كالمبرد والزجاج.[30] وكما أن الليل لا يجوز صيامه لقوله تعالى: [ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ],[31] فكذلك لا يجب غسل المرفقين مع غسل اليدين.[32]

وردّ:

بأنه لا ينكر أن الأصل المجمع عليه عند اللغويين أن (إلى) تفيد الغاية فيكون ما بعدها غير داخل فيما قبلها, ولكن ليس هذا على اطلاقه؛ لأن حدّ الشيء قد يكون منفصلاً عن المحدود بمقطع محسوس, وفي هذه الحالة يكون الحدّ خارجاً عن المحدود, وذلك كقوله تعالى: [ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ] فإن النهار منفصلاً

عن الليل انفصالاً محسوساً, فالنهار ضوء والليل ظلمة وبينهما فرق لا يخفى, وقد لا يكون الحدّ منفصلاً عن المحدود بمقطع محسوس كقولهم: بعتك الأشجار من هذه الشجرة إلى هذه الشجرة, فإن الشجرتين داخلتين في البيع بلا شك؛ لشمول اللفظ, ويكون المراد بالتحديد في مثل هذا إخراج ما وراء الحدّ مع بقاء الحدّ داخلاً, فكذا اسم اليد شامل من اطراف الأصابع إلى المنكب, ففائدة التحديد إخراج ما فوق المرافق مع بقاء المرافق.[33] وقد قال الشافعي (رحمه الله):" لا أعلم مخالفاً في أن المرافق مما يغسل" .[34] فعلى هذا يكون زفر ومن قال بقوله من أصحاب المذهب الثاني محجوجون بالإجماع قبلهم.

الترجيح:

وبعد بيان مذاهب الفقهاء (رحمهم الله) في هذه المسألة المحتملة التي ذكرها ابن رشد (رحمه الله) وبيان أدلتهم وما دار حولها من مناقشات تبيّن لي أن الراجح هو المذهب الأول القائل بوجوب غسل المرفقين مع اليدين في الوضوء, وذلك لأن أصحاب المذهب الثاني ليس لهم دليل إلا من جانب اللغة وهو معنى (إلى) وأنها حدّ للغاية إذ هو أصلها, وقد رأينا أنها تستعمل بمعنى (مع) كما في بعض الآيات القرآنية التي احتج بها أصحاب المذهب الأول, وقد جاءت الأحاديث النبوية تبيّن ما أجمل في آية الوضوء وأن المرافق تغسل مع الأيدي في الوضوء. والله أعلم.

المطلب الثاني

حكم وطء الحائض في طهرها قبل الاغتسال

سبب الاحتمال الوارد في هذه المسألة:

قال ابن رشد (رحمه الله): السبب في هذا الاحتمال هو قوله تعالى: [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ].[35] هل يراد به الطهر الذي هو انقطاع دم الحيض أم الطهر بالماء؟ ثم إن كان المراد به الطهر بالماء فهل يراد به طهر جميع الجسد أم طهر الفرج فقط؟ فإن الطهر في اللغة والشرع اسم مشترك يقع على هذه الأشياء.[36]

مذاهب الفقهاء (رحمهم الله) في هذه المسألة:

بناء على ما تقدم اختلف الفقهاء (رحمهم الله) في حكم وطء الحائض بعد طهرها وقبل اغتسالها بالماء على ثلاثة مذاهب, وهي كالآتي:

المذهب الأول: لا يجوز وطء الحائض بعد انقطاع دمها إلا بعد غسل جميع بدنها. وبه قال سالم بن عبد الله وسليمان بن يسار والزهري وربيعة الرأي والثوري والليث بن سعد واسحاق بن راهويه وأبو ثور, وهو مذهب المالكية والشافعية والحنابلة.[37] واستدلوا على ذلك بما يأتي:

أولاً: قوله تعالى: [وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ].[38]

وجه الدلالة:

في قوله تعالى: [حَتَّى يَطْهُرْنَ] قراءتان متواترتان, إحداهما: بتخفيف الطاء وضم الهاء ومعناها انقطاع الدم, والثانية: بتشديد الطاء وفتح الهاء ومعناها الغسل, واختلاف القراءتين كالآيتين فيستعملان معاً, ويكون تقدير ذلك: فلا تقربوهن حتى يطهرن وينقطع دمهن ويغتسلن.[39]

ثانياً: إن الله تعالى في قوله: [حَتَّى يَطْهُرْنَ] جعل ما بعد الغاية شرطاً وهو الغسل؛ لأنه أضاف الفعل إليهن, وليس انقطاع الدم من فعلهن, وإنما يفعلن الغسل. قال ابن رشد (رحمه الله): " إن صيغة التفعل تنطلق على ما يكون من فعل المكلفين لا على ما يكون من فعل غيرهم, فيكون قوله تعالى: [فإذا تطهرن] أظهر في معنى الغسل بالماء منه في الطهر الذي هو انقطاع الدم, والأظهر يجب المصير إليه حتى يدل الدليل على خلافه".[40] وأيضاً: فإنه أثنى عليهم بعد ذلك بقوله: [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ]والثناء إنما يستحق بالفعل الصادر من جهة من توجه الثناء إليه, فإذا فعل غيره فلا يستحق عليه مدحاً ولا ذماً, وإذا كان الأمر كذلك فكل حكم تعلق بغاية وشرط لم يجز أن يستباح بوجود الغاية مع عدم الشرط.[41] وهذا مثل قوله تعالى: [وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ],[42] فقد اشترط لدفع المال لهم بلوغهم النكاح والرشد, فلم يجز دفع المال إليهم إلا بهما فكذا ها هنا.[43]

ثالثاً: أن كل ممنوعة من الصلاة بحدث الحيض فوطؤها حرام قياساً على زمان الحيض, ولأن كل ما حرم الوطء وغيره لم يحل الوطء مع بقاء شيء حرمه معه كالحج.[44]

رابعاً: قال إمام الحرمين (رحمه الله): " أولى متمسك من طريق المعنى اعتبار صورة الاتفاق, فنقول: اتفقنا على التحريم إذا طهرت لدون العشرة, فاستمرار التحريم بعد انقطاع الدم إن علل بوجوب غسل الحيض لزم التحريم إذا طهرت لأكثر الحيض, وإن علل بإمكان عود الدم فهو منتقض بما إذا اغتسلت أو تيممت أو خرج وقت الصلاة".[45]

المذهب الثاني: يجوز وطء الحائض بعد انقطاع دمها قبل الغسل إن انقطع لأكثر مدة الحيض وهو عشرة أيام. وبه قال الحنفية,[46] واستدلوا على ذلك بما يأتي:

أولاً: قوله تعالى: [وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ].

وجه الدلالة:

في قوله تعالى: [حتى يطهرن] قراءتان بالتخفيف والتثقيل, فأما قراءة التخفيف فإنها تدل على انقطاع الدم والخروج من الحيض ولا تحتمل معنى آخر؛ لأن الاغتسال لا يطهرها مع بقاء الحيض. وأما قراءة التثقيل فتحتمل الخروج من الحيض؛ لأنه من الجائز أن يقال طهرت المرأة وتطهرت إذا انقطع عنها حيضها, وإن كان خروجها منه بسبب ليس من جهتها كما يقال تقطّع الحبل وتكسّر الحجر. ويحتمل الاغتسال أيضاً, فإذا كان ذلك كذلك وكان قوله تعالى: [حتى يطهرن] غاية يقتضي أن يكون نهاية لما دخلت عليه وأن ما عداها بخلافها كقوله تعالى: [فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ],[47] فوجب بظاهر ذلك اباحة وطئها بانقطاع الدم وخروجها من الحيض اغتسلت أو لم تغتسل إذا كان أيام حيضها عشراً, وكذلك يقتضي ظاهر اللفظ إذا كانت أيامها دون العشر, إلا أنه لما كانت قراءة التثقيل تحتمل الاغتسال استعملنا اللفظين جميعاً على فائدتهما فقلنا: إذا كانت أيامها عشراً جاز وطؤها قبل الغسل وإذا كانت دون العشر لم يطأها حتى تغتسل ما دامت في وقت الصلاة, لأنا متى أمكنا استعمال اللفظين على فائدتين لم يسقط حكم أحدهما بالأخرى.[48]

وردّ هذا الاستدلال من وجوه عديدة منها:

ا- إن القول بأن قراءة التخفيف لا تحتمل إلا معنى انقطاع الدم مردود؛ بل تحتمل استعمال الماء, وقد جاء بعده ما يدل على المراد به وهو قوله: [فإذا تطهرن] أي: بالماء, والظاهر أن ما بعد الغاية في الشرط هو المذكور في الغاية قبلها, فيكون قوله تعالى: [حتى يطهرن] مخففاً هو معنى قوله:[يطهرن] مشدداً بعينه,[49] ولكنه جمع بين اللغتين في الآية كما قال تعالى: [فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ].[50]

ب- لو سُلم أن قوله تعالى: [حتى يطهرن] معناه حتى ينقطع دمهن, فإنه لما قال بعد ذلك: (فإذا تطهرن] ومعناه: فإذا اغتسلن بالماء تعلق الحكم بشرطين أحدهما: انقطاع الدم, والثاني: الاغتسال بالماء, وما علق بشرطين لا يجوز بأحدهما, كما قال تعالى: [وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ], فعلق الحكم وهو جواز دفع المال إليهم على شرطين هما: بلوغ النكاح, وإيناس الرشد.[51]

ج- إن صيغة (تَفَعَل) لا تستعمل إلا فيما يكتسبه الإنسان وهو هنا الاغتسال بالماء؛ لأن انقطاع الدم ليس بمكتسب للمرأة, واستعمال هذه الصيغة في غير هذا الاكتساب نادر فلا يقاس عليه حكم, ولو سُلم أنه غير نادر ففي هذه المسألة لا يستعمل, فلا يقال: تطهرت المرأة بمعنى انقطع دمها, وإذا لم يجز استعماله في هذه المسألة لم يجز استعماله في غيرها, وهذه نكتة بديعة من المجاز, وذلك أنه إنما يُحمل اللفظ على الشيء إذا كان مستعملاً على سبيل المجاز, وأما مجاز استعمل في موضع آخر فلا يجوز أن يجعل طريقاً إلى تأويل اللفظ فيما لم يستعمل فيه.[52]

د- إن ما ذكروه من الجمع بين قراءة التخفيف وقراءة التشديد يقتضي اباحة الوطء عند انقطاع الدم لأكثره وهو عشرة أيام عندهم , وما قاله الجمهور يقتضي الحظر, وإذا تعارض الحظر والإباحة غلب جانب الحظر؛ لأنه الأحوط.[53]

المذهب الثالث: إذا غسلت فرجها بالماء بعد انقطاع حيضها في أي وقت جاز وطؤها. وبه قال الأوزاعي والظاهرية,[54] واستدلوا على ذلك بما يأتي:

أولاً: قوله تعالى: [وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ].

وجه الدلالة:

إن الله تعالى نهى عن وطء الحائض حتى تطهر, فقال: [حتى يطهرن] ومعناه: حتى يحصل لها الطهر الذي هو عدم الحيض, وقوله بعد ذلك: [فإذا تطهرن] هو صفة فعلهن, وغسل الفرج يسمى تطهيراً في الشرع واللغة, قال تعالى: [فيه رجال يحبون أن يتطهروا], والمراد به غسل الفرج والدبر بالماء, وقال النبي ρ: [لا تقبل صلاة بغير طهور] [55] يعني بغير وضوء.[56]

وردّ:

بأن هذا الاستدلال بعيد؛ لأن الله تعالى أباح وطئها إذا طهرت فال: [وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ] ثم بيّن الوطء الذي أباحه بقوله: [فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ], أي: على الوجه الذي أذن لكم فيه, فلو كان الطهر الأول من الدم والطهر الثاني بالماء لجاز بالأول ما لم يجز بالثاني؛ لأنه أطلق الأول بقوله: [وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ] وقيد الثاني بقوله: [فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ] , وهذا لا يصح.[57] ولا يستقيم أن يقال: لا تعط زيداً درهماً حتى يدخل الدار, فإذا دخل المسجد فأعطه درهماً, بل يقال: فإذا دخل الدار فأعطه درهماً؛ لأن الجملة الثانية مؤكدة لمفهوم الجملة الأولى.[58]

الترجيح:

وبعد بيان مذاهب الفقهاء (رحمهم الله) في هذه المسألة المحتملة وبيان أدلتهم وما دار حولها من مناقشات تبين لي أن الراجح هو المذهب الأول وهو مذهب الجمهور القائلين بعدم جواز وطء الحائض بعد انقطاع دمها إلا بعد غسل جميع بدنها ؛ وذلك لقوة أدلتهم وسلامتها من المعارض الحقيقي. والله أعلم.

المطلب الثالث

نجاسة بول ورجيع الحيوانات المأكولة وغير المأكولة

سبب الاحتمال الوارد في هذه المسألة:

قال ابن رشد (رحمه الله): وسبب الاحتمال في هذه المسألة يرجع إلى أمرين: **الأول:** اختلاف الفقهاء (رحمهم الله) في مفهوم الاباحة الوارد في إذنه ρ في الصلاة في مرابض الغنم, وفي أمره للعرنيين بشرب أبوال الإبل وألبانها, وفي نهيه عن الصلاة في أعطان الإبل.

والثاني: اختلافهم في قياس سائر الحيوانات على الإنسان, فمن قاسها عليه ورأى أنه من باب قياس الأولى لم يفهم من اباحة الصلاة في مرابض الغنم طهارة أرواثها وأبوالها وجعل المعنى في ذلك غير معقول, ومن فهم من النهي عن الصلاة في أعطان الإبل النجاسة وجعل اباحة شرب أبوالها لضرورة التداوي قال: كل رجيع وبول نجس, ومن فهم من حديث الصلاة في مرابض الغنم طهارة أرواثها وأبوالها وكذلك من حديث العرنيين, وجعل النهي عن الصلاة في أعطان الإبل غير معقول المعنى أو أن فيه معنى غير معنى النجاسة, وكان الفرق عنده بين الإنسان وبهيمة الأنعام أن فضلتي الإنسان مستقذرة بالطبع وفضلتي بهيمة الأنعام ليست كذلك, جعل الفضلات كلها تابعة للحوم.[59]

مذاهب الفقهاء (رحمهم الله) في هذه المسألة:

بناء على ما تقدم اختلف الفقهاء (رحمهم الله) في هذه المسألة على ثلاثة مذاهب, وهي على النحو الآتي:

المذهب الأول: بول ما يؤكل لحمه وروثه طاهر, وبول ما لا يؤكل لحمه وروثه نجس. وبه قال عطاء والزهري وسفيان الثوري, وهو مذهب المالكية والحنابلة ومحمد وزفر من الحنفية.[60] واستدلوا على ذلك بما يأتي:

أولاً: روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك τ قال: [قَدِمَ أُنَاسٌ مِنْ عُكْلٍ أَوْ عُرَيْنَةَ، فَاجْتَوَوْا المَدِينَةَ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ρ، بِلِقَاحٍ، وَأَنْ يَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا فَانْطَلَقُوا، فَلَمَّا صَحُّوا، قَتَلُوا رَاعِيَ النَّبِيِّ ρ، وَاسْتَاقُوا النَّعَمَ، فَجَاءَ الخَبَرُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ جِيءَ بِهِمْ، فَأَمَرَ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسُمِرَتْ أَعْيُنُهُمْ، وَأُلْقُوا فِي الحَرَّةِ، يَسْتَسْقُونَ فَلاَ يُسْقَوْنَ].[61]

وجه الدلالة:

أن النبي ρ أمر العرنيين أن يشربوا من أبوال الإبل, فلو كانت أبوالها نجسة لما أمرهم بذلك؛ لأن النجس لا يباح شربه.[62]

وردّ هذا الاستدلال من وجهين:

الوجه الأول: إن هذا كان لضرورة التداوي كما يدل عليه لفظ الحديث عند أحمد : (أَنَّ نَفَرًا مِنْ عُكْلٍ وَعُرَيْنَةَ تَكَلَّمُوا بِالْإِسْلَامِ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ρ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ أَهْلُ ضَرْعٍ، وَلَمْ يَكُونُوا أَهْلَ رِيفٍ، وَشَكَوْا حُمَّى الْمَدِينَةِ، فَأَمَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ρ بِذَوْدٍ، وَأَمَرَ لَهُمْ بِرَاعٍ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا، وَأَبْوَالِهَا ...]. [63]

وأجيب:

بأن شربهم لها لو كان من باب الضرورة لأمرهم بغسل أفواههم وأيديهم إذا أرادوا الصلاة وغسل الأوعية التي شربوا فيها الأبوال وهم كانوا حديثي عهد بالإسلام, فلو كان بول هذه الأنعام كبول الإنسان لكان بيان ذلك واجباً ولم يجز تأخيره عن وقت الحاجة لا سيما وأن النبي ρ قد قرن الأبوال بالألبان التي هي حلال طاهر بالاتفاق.[64]

الوجه الثاني: إن هذا الحديث منسوخ لا يصح الاحتجاج به؛ لأنه روي أنه مثّل بهم, وقد نسخت المثلة, حتى نهى النبي ρ عن المثلة حتى بالكلب العقور.[65] قال ابن سيرين (رحمه الله): كان شأن العرنيين قبل أن تنزل الحدود التي أنزل عز وجل في المائدة من شأن المحاربين أن يقتّلوا أو يصلّبوا, فكان شأن العرنيين منسوخاً بالآية التي يصف فيها إقامة حدودهم.[66]

وأجيب:

بأن ادعاء النسخ يحتاج إلى تأريخ، وقد قال بعض العلماء: إنما سمّل أعينهم لأنهم سمّلوا عين الراعي فاقتص منهم بمثل ما فعلوا والحكم بالمثل ثابت.[67]

وردّ:

قال ابن دقيق العيد (رحمه الله): هذا تقصير؛ لأن الحديث ورد فيه المثلة من جهات عديدة وبأشياء كثيرة, فهب أنه ثبت القصاص في سمل الأعين فماذا يصنع بباقي ما جرى بالمثلة؟ فلا بد فيه من جواب عن هذا, وقد ذكر الزهري (رحمه الله) في قصتهم: أنهم قتلوا يسار مولى رسول الله ρ ثم مثلوا به. فلو ذكروا هذا لكان أقرب إلى مقصودهم مما ذكروه من تسميل الأعين فقط.[68]

ثانياً: روى أبو داود في سننه عن البراء بن عازب τ قال: [سُئِلَ النبي ρ عنِ الصَّلَاةِ فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، فَقَالَ: صَلُّوا فِيهَا فَإِنَّهَا بَرَكَةٌ].[69]

وجه الدلالة:

دلّ هذا الحديث عن الصلاة في مرابض الغنم , ولم يكن للنبي ρ وأصحابه (رضي الله عنهم) ما يصلون عليه من الأوطئة والمصليات, وإنما كانوا يصلون على الأرض, ومرابض الغنم لا تخلوا من أبوالها وأبعارها, فدلّ على أن هذه الفضلات طاهرة وإلا لما جازت الصلات فيها.[70] قال محمد بن الحسن (رحمه الله) في كتابه موطأ مالك بروايته بعد أن ذكر هذا الحديث: "وبهذا نأخذ، لا بأس بالصلاة في مراح الغنم، وإن كان فيه أبوالها وبعرها ما أكلت لحمها فلا بأس ببولها".[71]

ورد هذا الاستدلال من جوه:

الوجه الأول: أن القول بأن مرابضها لا تخلو من أبعارها وأبوالها ليس دليلاً على طهارتها؛ لأن الراعي قد يبول بينها, فهل يدل هذا على أن بول الراعي طاهر أيضاً.[72]

الوجه الثاني: ورد الأمر عن النبي ρ بكنس وتنظيف ما يصلى عليه في أحاديث كثيرة, فقد أخرج ابن حبان في صحيحه عن عائشة τ قالت: [أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ρ بِبِنَاءِ المساجد في الدور وأن تطيب وتنظف].[73] وفي صحيح مسلم عن أنس τ قال: [كَانَ رَسُولُ اللهِ ρ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، فَرُبَّمَا تَحْضُرُ الصَّلَاةُ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ، ثُمَّ يُنْضَحُ، ثُمَّ يَؤُمُّ رَسُولُ اللهِ ρ، وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا، وَكَانَ

بِسَاطُهُمْ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ].[74] فهذه الأحاديث توجب الكنس لما يصلى عليه وهي عامة في كل مكان, فتدخل مرابض الغنم فيها.[75]

الوجه الثالث: إن الصلاة في مرابض الغنم كان في أول الهجرة قبل ورود الأخبار باجتناب كل الأبوال والأنجاس, ويؤيد هذا حديث أنس τ عند البخاري قال: [كَانَ النَّبِيُّ ρ يُصَلِّي، قَبْلَ أَنْ يُبْنَى المَسْجِدُ، فِي مَرَابِضِ الغَنَمِ].[76]

الوجه الرابع: روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة τ : [أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ρ قَالَ: أُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: أُصَلِّي فِي مَبَارِكِ الْإِبِلِ؟ قَالَ: لَا].[77] فلو كان الأذن بالصلاة في مرابض الغنم يقتضي طهارة أبوالها لاقتضى النهي عن الصلاة في مبارك الإبل التنجيس, ولم يقل به أحد, فكان الإذن بالصلاة في مرابض الغم راجع لمعنى غير معنى الطهارة والنجاسة,[78] وهو أن الغنم دواب مبروكة وأنها من دواب الجنة كما في حديث أبي هريرة τ عند البيهقي وغيره قال: قال رسول الله ρ: [امْسَحُوا رُعَامَ الْغَنَمِ، وَطَيِّبُوا مُرَاحَهَا، وَصَلُّوا فِي جَانِبِ مُرَاحِهَا، فَإِنَّهَا مِنْ دَوَابِّ الْجَنَّةِ],[79] وأن الإبل فيها نفار لا يأمن المصلي منها وأنها خلقت وفيها طبع شيطاني مثل الجن كما ورد في حديث عبد الله بن المغفل τ عند أبي داود الطيالسي قال: [أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ρ أَنْ نُصَلِّيَ فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ وَلَا نُصَلِّيَ فِي أَعْطَانِ الْإِبِلِ فَإِنَّهَا خُلِقَتْ مِنَ الشَّيَاطِينِ].[80]

ثالثاً: أن الأصل في الأعيان الطهارة فلا يجوز التنجيس إلا بدليل, ولا دليل على النجاسة؛ إذ ليس في ذلك نص ولا اجماع ولا قياس صحيح.[81]

وردّ:

بأن الأصل في الأعيان الطهارة صحيح إذا لم يوجد نص يحرم جميع الأبوال والأنجاء, ولكن عند تتبع الأدلة في هذه المسالة نجد أن هناك نصوصاً كثيرة تحرم كل ذلك وتوجب اجتنابه, ومنها حديث ابن عباس τ في البخاري وغيره قال: [مَرَّ النَّبِيُّ ρ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ],[82] والبول مفرد محلى بالألف واللام فيفيد العموم.[83]

رابعاً: لو كان بول مأكول اللحم نجساً لتنجست الحبوب التي تدوسها البقر, فإنها لا تسلم من أبوالها فيتنجس بعضها ويختلط النجس بالطاهر, فيصير حكم الجميع حكم النجس.[84]

المذهب الثاني: بول ما يؤكل لحمه وروثه نجس. وبه قال ابن عمرτ والحسن البصري وأبو ثور, وهو مذهب الحنفية والشافعية,[85] واستدلوا على ذلك بما يأتي:

أولاً: قوله تعالى: [وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ].[86]

وجه الدلالة:

امتن الله تعالى علينا بإخراج اللبن من بين فرث ودم, وفائدة الامتنان إخراج طاهر من بين نجسين.[87]

ثانياً: روى الدار قطني في سننه عن ابن عباس τ قال: قال رسول الله ρ: [عَامَّةُ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْبَوْلِ فَتَنَزَّهُوا مِنَ الْبَوْلِ].[88]

وجه الدلالة:

إن النبي ρ أمر بالاستنزاه من البول من غير فصل, والأمر للوجوب, ولأن البول مفرد محلى بالألف واللام فيعم جميع الأبوال.[89]

وردّ:

بأن الألف واللام في لفظة (البول) الواردة في الأحاديث المتقدمة ليست للعموم وإنما هي لبيان العهد, والبول المعهود هو بول الآدمي؛ لأن عامة عذاب القبر إنما هو من بول الآدمي نفسه الذي يصيبه كثيراً لا من بول البهائم الذي لا يصيبه إلا نادراً.[90]

وأجيب:

بأن الألف واللام في الأحاديث المتقدمة يراد بها العموم لا العهد, ويؤيد هذا ما رواه البزار في مسنده من حديث نافع عن ابن عمر τ قال: قال رسول الله ρ عند دفن سعد بن معاذ τ: [لَقَدْ هَبَطَ يَوْمَ مَاتَ سَعْد بْنُ مُعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِلَى الأَرْضِ، لَمْ يَهْبَطُوا قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَقَدْ ضَمَّه القبرُ ضَمَّةً].[91] وذكر البيهقي في سبب ضمة القبر لسعد τ حديث أمية بن عبد الله أنه سأل بعض آل سعد: مَا بَلَغَكُمْ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ρ فِي هَذَا؟ فَقَالُوا: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ρ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: [كَانَ يُقَصِّرُ فِي بَعْضِ الطُّهُورِ مِنَ الْبَوْلِ].[92] قال السرخسي (رحمه الله): "ولم يرد بول نفسه, فإن من لا يستنزه منه لا تجوز صلاته, وإنما أراد أبوال الإبل عند معالجتها".[93] وهذه الأحاديث وإن كانت مراسيل إلا أنها تصلح بمجموعها لبيان سبب ضغطة سعد τ في قبره.[94]

ثالثاً: إن البول نجس من الآدمي بالاتفاق فكان نجساً من البهائم, ولأن أصله دم, والدم من الحيوان نجس, فوجب أن يكون بوله نجساً.[95]

المذهب الثالث: بول ورجيع كل الحيوانات المأكولة وغير المأكولة طاهر. وبه قال النخعي وداود الظاهري,[96] واستدلوا على ذلك بما يأتي:

أولاً: إن الأصل في الأعيان الطهارة حتى يرد الدليل بتحريمها, ويشهد لهذا الأصل آيات كثيرة, منها قوله تعالى: [هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا],[97] واللام للاختصاص بما فيه منفعة, وقوله تعالى: [قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً],[98] فقد جعل الأصل الإباحة والتحريم مستثنى, وغيرها من الأدلة التي تعضد هذا الأصل والمسألة مبسوطة في كتب الأصول.[99] فلا يجوز أن تحرم أبوال وأرواث جميع الحيوانات المأكولة وغير المأكولة حتى يأتي نص أو اجماع يحرمها ولا يوجد ذلك, بل على العكس توجد نصوص تقضي بطهارتها منها حديث العرنيين وحديث الصلاة في مرابض الغنم ونحوها مما استدل به أصحاب المذهب الأول.

وردّ:

بأن الأصل في الأعيان الطهارة الذي هو عمدة أدلتهم صحيح, ولكن عند عدم وجود نص يخصصه, وقد تقدم معنا أدلة المذهب الثاني القائلين بنجاسة أبوال الحيوانات المأكولة وغير المأكولة والتي تقضي بنجاسة مثل هذه الأبوال, فهي مخصصات لهذا العموم.

الترجيح:

وبعد بيان مذاهب الفقهاء (رحمهم الله) في هذه المسألة وبيان أدلتهم وما دار حولها من المناقشات والردود تبيّن لي أن لكل مذهب من الأدلة ما يقنع به غيره من حيث صحة الاحتجاج بالدليل وقوته, إضافة إلى العمومات التي توجد لكل واحد منهم والتي تمثل قاعدة كلية يندرج تحتها الحكم الذي يرجحه صاحب كل مذهب في المسألة محل البحث, وفي الحقيقة تعتبر هذه المسألة بحق مسألة محتملة كما قال ابن رشد (رحمه الله).

ومن الممكن إن نوجد رأياً نجمع فيه الأدلة في هذه المسألة ويكون له شواهد شرعية, وهذا الرأي هو: أن ما يستقذر من هذه الأبوال والأرواث يكون حكمه مغايراً لحكم ما لا يستقذر منها, فعلى سبيل المثال: المسك الذي هو رمز الروائح الطيبة أصله دم متجمد من حيوان يعرف بغزال المسك, وكذلك العنبر والزباد الذي هو لبن سنور بحري أو عرق سنور بري على الخلاف الموجود فيه بين الفقهاء,[100] وهذا الرأي داخل في عموم قوله تعالى: [وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ],[101] والذي يعرف الطيبات من الخبائث هم أهل الفطر السليمة الذي اعتدلت طباعهم. والله أعلم.

المطلب الرابع

قراءة البسملة في الصلاة

سبب الاحتمال في هذه المسألة:

قال ابن رشد (رحمه الله): وسبب الاحتمال في هذه المسألة يرجع إلى أمرين: **الأول:** اختلاف الآثار الواردة في هذه المسألة, فبعضها يقضي بقراءة البسملة في الصلاة, وبعضها يقضي بإخفائها كما سيتضح ذلك لنا في ثنايا البحث إن شاء الله.

والثاني: هل البسملة آية من فاتحة الكتاب أم لا, فمن رأى أنها آية من الفاتحة أوجب قراءتها بوجوب قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة, ومن رأى أنها ليست بآية من فاتحة الكتاب لم يوجب قراءتها فيها. [102]

مذاهب الفقهاء (رحمهم الله) في هذه المسألة:

وقد اختلف الفقهاء (رحمهم الله) في هذه المسألة على ثلاثة مذاهب, وهي على النحو الآتي:

المذهب الأول: يجب على الإمام والمأموم والمنفرد قراءة البسملة في كل ركعة من ركعات الصلاة, سواء كانت الصلاة فرضاً أو نفلاً , سرية أو جهرية. وبه قال ابن عمر τ والزهري وطاووس ومجاهد وسعيد بن جبير, وهو مذهب الشافعية.[103] واستدلوا على ذلك بما يأتي:

أولاً: روى الشافعي في مسنده والدار قطني في سننه والحاكم في مستدركه عن أنس بن مالك τ قال: [صَلَّى مُعَاوِيَةُ بِالْمَدِينَةِ صَلَاةً فَجَهَرَ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ فَلَمْ يَقْرَأْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِأُمِّ الْقُرْآنِ وَلَمْ يَقْرَأْهَا لِلسُّورَةِ الَّتِي بَعْدَهَا وَلَمْ يُكَبِّرْ حِينَ يَهْوِي حَتَّى قَضَى تِلْكَ الصَّلَاةَ فَلَمَّا سَلَّمَ نَادَاهُ مَنْ سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ: يَا مُعَاوِيَةُ أَسَرَقْتَ الصَّلَاةَ أَمْ نَسِيتَ قَالَ: فَلَمْ يُصَلِّ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا قَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِأُمِّ الْقُرْآنِ وَلِلسُّورَةِ الَّتِي بَعْدَهَا وَكَبَّرَ حِينَ يَهْوِي سَاجِدًا].[104]

وجه الدلالة:

دلّ هذا الحديث على وجوب قراءة البسملة مع الفاتحة في الصلاة؛ لأن من كان خلف معاوية τ في هذه الصلاة هم المهاجرون والأنصار وقد انكروا عليه ترك قراءة البسملة في صلاته, ومعاوية τ يومئذ صاحب الأمر وذو الحكم فلم ير من كان خلفه بدأ من الإنكار عليه بقولهم: أسرقت الصلاة أم نسيت. فلو لم يكن الجهر بالبسملة راسخاً في نفوسهم متيقناً لديهم مألوفاً عندهم مستمراً في صلاتهم لما بادروا إلى الإنكار عليه, ولو لم يكن معاوية τ قد ترجح في نظره صدقهم وثبت عنده صحة إنكارهم لما رجع إلى ما قالوه ولا وافقهم على ما عابوه عليه.[105]

وردّ الاستدلال بهذا الحديث من وجوه:

الوجه الأول: إن مدار هذا الحديث على عبد الله بن عثمان بن خيثم وهو وإن كان من رجال مسلم إلا أنه متكلم فيه, قال ابن معين: أحاديثه غير قوية, وقال النسائي: لين الحديث ليس بالقوي, وقال الدار قطني: لينوه, وقال ابن المديني: منكر الحديث, وبالجملة فهو مختلف فيه فلا يقبل ما تفرد به.[106] والحديث مع ذلك اضطرب في سنده ومتنه, أما سنده: فإن ابن خيثم تارة يرويه عن أبي بكر بن حفص عن أنس τ, وتارة يرويه عن اسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه, وأما الاضطراب في متنه: فإنه تارة يقول: صلى فبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم حين افتتح القرآن قرأ بأم الكتاب كما هو عند الدار قطني في رواية ابن عياش,[107] وتارة يقول: فلم يقرأ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ لأم القرآن ولا السورة التي بعدها كما هو عند الدار قطني أيضاً من رواية ابن جريج,[108] ولا شك أن مثل هذا الاضطراب في السند والمتن مما يوجب ضعف الحديث؛ لأنه مشعر بعدم ضبطه.[109]

وأجيب:

بأن عبد الله بن عثمان وثقه أحمد والحاكم وابن حبان وغير واحد, ويكفي فيه أنه من رجال مسلم.[110]

الوجه الثاني: إن من شرط الحديث الثابت أن لا يكون شاذاً ولا معلاً, وهذا الحديث شاذ معلل؛ فإنه مخالف لما رواه الثقات الأثبات عن انس τ, وكيف يروي أنس τ مثل هذا الحديث وهو مخالف لما رواه هو عن النبي ρ وخلفائه الراشدين (رضي الله عنهم), ولم يعرف أحد من أصحاب أنس τ المعروفين بصحبته أنه نقل عنه مثل ذلك, وأيضاً: فإن انساً τ كان مقيماً بالبصرة ومعاوية τ لما قدم المدينة لم يذكر أحد أن أنساً τ كان معه, بل الظاهر أنه لم يكن معه.[111]

الوجه الثالث: إن مذهب أهل المدينة ترك الجهر بها في صلاتهم ومنهم من لا يرى قراءتها أصلاً, فكيف ينكرون على معاوية τ ما هو سنتهم.[112]

الوجه الرابع: إن معاوية τ لو كان رجع إلى الجهر بها لكان هذا معروفاً عند أهل الشام الذين صحبوه, بل الشاميون كلهم خلفاؤهم وعلماؤهم كان مذهبهم ترك الجهر بها, فهذا الأوزاعي عالم الشام بلا منازع مذهبه فيها مذهب مالك لا يقرؤها سراً ولا جهراً.[113]

فهذه الوجوه وأمثالها لو تدبرها العالم قطع بأن هذا الحديث إما باطل لا حقيقة له وإما مغيّر عن وجهه.[114]

ثانياً: روى البزار في مسنده عن نعيم المجمر عن أبي هريرة τ (أنه صلى وراءه فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، ثُمَّ قرأ أم القرآن حتى بلغ غير المغضوب عليهم ولاَ الضالين قال: آمين، وَقال الناس: آمين ويقول كلما سجد الله أكبر ويقول: والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله ρ] .[115]

وجه الدلالة:

دلّ هذا الحديث على أن أبا هريرة τ كان لا يترك التسمية في قراءته, والظاهر أنه كان يجهر بها فحينئذ يظهر اطلاع المأمومين على الحال.[116]

وردّ:

بأن لفظ الحديث ليس صريحاً في الجهر بها, وبيان ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أنه قرأ البسملة ثم قرأ أم القرآن, ولفظ القراءة محتمل أن يكون قرأها سراً ويكون راوي الحديث نعيم علم ذلك بقربه منه, فإن قراءة السر إذا قويت يسمعها من يلي القارىء, وقد سمع الصحابة (رضي الله عنهم) النبي ρ يقرأ في الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة, وفي الأخريين بفاتحة الكتاب فقط وهي قراءة سر بلا شك.[117]

الوجه الثاني: أن أبا هريرة τ لم يخبر في هذا الحديث أن النبي ρ كان يقرأ البسملة قبل الفاتحة, وإنما قال في آخر صلاته: إني لأشبهكم صلاة برسول الله ρ, وفي هذا الحديث أنه أمن وكبّر عند الرفع والخفض وهذا ونحوه مما يتركه الأئمة, فيكون هو أشبههم بصلاة رسول الله ρ من هذه الوجوه.[118]

ثالثا: أجمع الصحابة (رضي الله عنهم) على أن البسملة آية من كل سورة, فقد روي عن ابن عباس τ قال: أن من ترك التسمية فقد ترك مائة وثلاثة عشر آية. وروى البخاري عن زيد بن ثابت τ قال: [بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ لِمَقْتَلِ أَهْلِ اليَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ فِي المَوَاطِنِ كُلِّهَا، فَيَذْهَبَ قُرْآنٌ كَثِيرٌ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ ، قُلْتُ: كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ρ؟، فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِي ذَلِكَ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ عُمَرَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَإِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ، لاَ نَتَّهِمُكَ قَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ρ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ، فَاجْمَعْهُ].[119] فجمع زيد τ القرآن بمحضر من الصحابة (رضي الله عنهم) في مصحف واحد, فكان عند أبي بكر τ مدة حياته, ثم عند عمر τ بعده, فلما مات عمر τ دفعه إلى ابنته حفصة (رضي الله عنها), حتى قدم حذيفة بن اليمان τ من العراق على عثمان بن عفان τ وذكر اختلاف الناس في القرآن فأخذ عثمان τ المصحف من حفصة وكتب منه ست نسخ وأنفذ كل مصحف إلى بلد وأمر الناس بالرجوع إليه, فأجمعوا على أن ما بين الدفتين قرآن وكانت البسملة مكتوبة في أول كل سورة بخط المصحف, فدل إجماعهم على أنها من كل سورة.[120]

وردّ:

بأن التسمية كتبت في المصحف للفصل بين السور, يؤيده قول ابن عباس لعثمان (رضي الله عنهما) لم لم تكتب التسمية بين التوبة والأنفال؟ قال: لأن التوبة من آخر ما نزل, ورسول الله ρ توفي ولم يبيّن لنا شأنها, فرأيت أولها يشبه أواخر الأنفال فلحقتها بها. فهذا بيان منهما على أنها كتبت للفصل بين السور وليست هي آية من القرآن الكريم في غير آية سورة النمل. ولأن السلف متفقون على أن سورة الكوثر ثلاث آيات من دون التسمية.[121]

المذهب الثاني: يكره الجهر بها في الفريضة للإمام والمأموم, وبه قال مالك والأوزاعي,[122] واستدلوا على ذلك بما يأتي:

أولاً: روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك τ قال: [صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ρ وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، فَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ بِالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا يَذْكُرُونَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِي أَوَّلِ قِرَاءَةٍ وَلَا فِي آخِرِهَا].[123]

وجه الدلالة:

دلّ هذا الحديث على أن النبي ρ وأبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) كانوا لا يسمعون من خلفهم لفظ البسملة عند قراءتهم للفاتحة,[124] وقد قال الأسود (رحمه الله): صليت خلف عمر سبعين صلاة فلم يجهر فيها بِبِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ.[125]

ثانياً: اجماع أهل المدينة على ترك قراءتها في الصلاة, فإن الصلاة تقام من عهده ρ إلى زمن مالك مع الجمع العظيم الذي يستحيل تواطؤهم على الكذب, فنقلهم لذلك بالفعل كنقلهم له بالقول فيحصل العلم الذي لا يعارضه شيء من أخبار الآحاد.[126]

المذهب الثالث: تسن قراءتها سراً ولا يسن الجهر بها, وبه قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن الزبير(رضي الله عنهم), والحكم وحماد وابن المبارك والثوري, وهو مذهب الحنفية والحنابلة.[127] واستدلوا على ذلك بما يأتي:

أولاً: روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك τ قال: [صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ρ وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، فَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ بِالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا يَذْكُرُونَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِي أَوَّلِ قِرَاءَةٍ وَلَا فِي آخِرِهَا].[128]

وجه الدلالة:

هذا الحديث صريح في نفي الجهر بالبسملة وهو لا يحتمل تأويله بعدم سماع أنس τ للجهر بها, ففي مسلم أيضاً قال أنس τ:[صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ρ وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، فَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا مِنْهُمْ يَقْرَأُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ],[129] فهنا نفى أنس τ السماع ولو لم يرو إلا هذا اللفظ لم يجز تأويله بأن النبي ρ كان يقرأ جهراً ولا يسمع أنس τ لوجوه منها:

الوجه الأول: إن أنساً τ روى هذا الحديث ليبين لهم ما كان النبي ρ يفعله من عدم الجهر بها إذ لا غرض للناس في معرفة كون أنس τ سمع أو لم يسمع إلا ليستدلوا بعدم سماعه على عدم المسموع, فلو لم يكن ما ذكره دليلاً على نفي ذلك لم يكن أنس τ ليروي شيئاً لا فائدة لهم فيه ولا كانوا يروون مثل هذا الذي لا يفيدهم.[130]

الوجه الثاني: إن أنساً τ كان يخدم النبي ρ منذ مقدمه المدينة إلى أن توفي, وهي مدة عشر سنوات وكان يدخل على نسائه قبل فرض الحجاب, أفيعقل مع طول هذه الصحبة ونوعها أن يقال: أن أنساً τ لم يكن يسمع النبي ρ يجهر بالبسملة في صلاته التي تتكرر في اليوم والليلة, وأيضاً: فقد لازم أنس أبا بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) خمساً وعشرين سنة وتولى لهم ولايات وقال عنهم: أنهم كانوا لا يجهرون بالبسملة, فهل يجوز أن يقال: أن كلامه فيهم محمول على نفي السماع منهم, لا يجوز هذا لو لم يرو إلا هذا اللفظ, فكيف وقد ورد اللفظ الآخر صريحاً في نفي الجهر بها.[131]

ثانياً: روى مسلم وغيره عن أبي هريرة τ قال: [سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ρ يَقُولُ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ].[132]

وجه الدلالة:

في هذا الحديث أبتدأ الله تعالى القسمة بينه وبين عبده بالحمد لله رب العالمين, فلو كانت البسملة منها لابتدأ بها. وايضاً: فقد جعل النصف (إياك نعبد وإياك نستعين) فيكون ثلاث آيات لله تعالى في الثناء عليه

وثلاث آيات للعبد وآية بينهما, وفي جعل التسمية آية منها إبطال لهذه القسمة.[133] والمراد بالصلاة في هذا الحديث القراءة؛ لوقوعها فيها وكونها جزءاً من اجزائها,[134] قال ابن عبد البر (رحمه الله):" هذا الحديث أبين ما يروى عن النبي ρ في سقوط بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ من آي فاتحة الكتاب وهو قاطع لموضع الخلاف".[135]

ثالثاً: إن الجهر بالبسملة مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله, فلو كان النبي ρ يجهر بها كالجهر بسائر الفاتحة لم يكن في العادة ولا في الشرع ترك نقل ذلك، بل لو انفرد بنقل ذلك الواحد والاثنان لقطع بكذبهما؛ إذ التواطؤ فيما تمنع العادة والشرع كتمانه كالتواطؤ على الكذب فيه.[136]

وردّ:

بأن هذا معارض بترك الجهر بها فإنه مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله ثم هو مع ذلك ليس منقولاً بالتواتر، بل قد تنازع فيه العلماء, كما أن ترك الجهر بتقدير ثبوته كان يداوم عليه ثم لم ينقل نقلاً قاطعاً, بل وقع فيه النزاع.[137]

وأجيب:

بأن الذي تتوافر الهمم والدواعي على نقله في العادة والشرع هو الأمور الوجودية لا العدمية؛ لأنها لا خبر لها فلا ينقل منها إلا ما ظن وجوده أو احتيج إلى معرفته فينقل للحاجة. وأيضاً: فإن نفي الجهر قد نقل نقلاً صحيحاً صريحاً في حديث أبي هريرة وأنس (رضي الله عنهما) والجهر بها لم ينقل نقلاً صريحاً مع أن العادة والشرع يقضيان أن الأمور الوجودية احق بالنقل الصحيح والصريح من الأمور العدمية.[138]

الترجيح:

وبعد بيان مذاهب الفقهاء (رحمهم الله) في هذه المسألة وبيان أدلتهم وما دار حولها من مناقشات وردود تبيّن لي أن الراجح هو المذهب الثالث القائل بسنية ترك الجهر بالبسملة في قراءة الفاتحة والسورة التي بعدها في الصلاة؛ وذلك لقوة أدلته وصراحتها وسلامتها من المعارض.

ويمكن أن يقال: أن النبي ρ كان يجهر بها أحياناً للتعليم, أو أنه كان يجهر بها قديماً ثم ترك الجهر بها حتى مات, فقد روى الطبراني في الكبير عن سعيد بن جبير (رحمه الله) عن ابن عباس τ قال: [كَانَ رَسُولُ اللهِ ρ إِذَا قَرَأَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَزِئَ مِنْهُ الْمُشْرِكُونَ وَقَالُوا: مُحَمَّدٌ يَذْكُرُ إِلَهَ الْيَمَامَةِ، وَكَانَ مُسَيْلِمَةُ يَتَسَمَّى الرَّحْمَنَ فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أُمِرَ رَسُولُ اللهِ ρ أَنْ لَا يَجْهَرَ بِهَا).[139] والله أعلم.

المطلب الخامس

القراءة الواجبة في الصلاة

سبب الاحتمال في هذه المسألة:

قال ابن رشد (رحمه الله): وسبب الاحتمال في هذه المسألة يرجع إلى أمرين: **الأول:** تعارض الآثار الواردة في هذه المسألة, فقد وردت فيها ثلاثة أحاديث: حديث أبي هريرة τ : (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ρ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ρ، فَرَدَّ رَسُولُ اللهِ ρ السَّلَامَ قَالَ: ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ. فَرَجَعَ الرَّجُلُ فَصَلَّى كَمَا كَانَ صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ρ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ثُمَّ قَالَ: ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ. حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَقَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَ هَذَا عَلِّمْنِي، قَالَ: إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا).[140]

والمعارض لهذا الحديث حديثان ثابتان, أحدهما: حديث عبادة بن الصامت τ قال: قال رسول الله ρ: (لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ),[141] والثاني: حديث أبي هريرة τ قال : قال رسول الله ρ: (مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْكِتَابِ، فَهِيَ خِدَاجٌ، هِيَ خِدَاجٌ، هِيَ خِدَاجٌ ، غَيْرُ تَمَامٍ).[142]

فالحديث الأول يدل بظاهره أن الصلاة تصح بما تيسر من القرآن, والحديثان الآخران يدلان أن الصلاة لا تصح بدون الفاتحة.

والثاني: تعارض ظاهر القرآن وهو قوله تعالى: (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ)[143] مع حديث عبادة بن الصامت والحديث الثاني لأبي هريرة (رضي الله عنهما).

مذاهب الفقهاء (رحمهم الله) في هذه المسألة:

اختلف الفقهاء (رحمهم الله) في هذه المسألة على مذهبين, وهما على النحو الآتي:

المذهب الأول: تجب قراءة الفاتحة في كل صلاة فرضاً كانت أو نفلاً, سرية كانت أو جهرية. وبه قال عمر بن الخطاب وعثمان بن العاص وابن عباس وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري (رضي الله عنهم), وهو قول سعيد بن جبير والزهري والأوزاعي وابن المبارك والثوري وداود الظاهري, وهو مذهب المالكية والشافعية والحنابلة في المشهور عندهم.[144] واستدلوا بما يأتي:

أولاً: روى البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت τ قال: (لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ).[145]

وجه الدلالة:

دلّ الحديث على وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة؛ لأنه نفى اعتبار الصلاة التي لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب, والصلاة مركبة من الأقوال والأفعال, والمركب ينتفي بانتفاء جميع اجزائه وبانتفاء بعضها, ولا حاجة إلى تقدير نفي الكمال؛ لأن التقدير إنما يكون عند تعذر صدق نفي الذات, وقد ورد هذا الحديث عند ابن حبان بلفظ: (لَا تجزىء صَلَاةٌ لَا يُقْرَأُ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ), [146] وفيه دلالة على أن النفي متوجه إلى الإجزاء وهو كالنفي للذات في المآل؛ لأن ما لا يجزىء فليس بصلاة شرعية.[147]

ثانياً: روى أحمد في مسنده عن أبي هريرة τ قال : قال رسول الله ρ: (مَنْ صَلَّى صَلاَةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْكِتَابِ، فَهِيَ خِدَاجٌ، هِيَ خِدَاجٌ، هِيَ خِدَاجٌ ، غَيْرُ تَمَامٍ).[148]

وجه الدلالة:

دلّ الحديث على أن الصلاة التي لا يقرأ فيها الفاتحة لا تجزىء؛ لأن الخداج معناه النقص والفساد, قال الأخفش (رحمه الله): خَدجت الناقة إذا ألقت ولدها لغير تمام, وأخدجت إذا قذفت به قبل الولادة وإن كان تام الخلق, والنظر يوجب في النقصان ألا تجوز معه الصلاة؛ لأنها صلاة لم تتم, ومن خرج من صلاته وهي غير تامة فعليه إعادتها كما أمر على حسب حكمها, ومن ادعى أنها تجوز مع إقراره بنقصها فعليه الدليل, ولا سبيل إليه من وجه يلزم.[149]

ثالثاً: إن النبي ρ واظب على قراءة الفاتحة في الصلاة طوال عمره فوجب قراءتها علينا عملاً بقوله تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ),[150]وكذلك واظب عليها الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم)[151] كما ورد في مسلم من حديث أنس بن مالك τ قال: (صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ρ وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، فَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ بِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ...),[152] وقد ورد الأمر بوجوب متابعة سنة النبي ρ وسنة الخلفاء من بعده في الحديث الصحيح الذي رواه الدارمي في سننه من حديث العرباض بن سارية τ قال: قال رسول الله ρ: (فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ).[153]

رابعاً: أن الأمة وإن اختلفت في أنه هل تجب قراءة الفاتحة في الصلاة أو لا, لكنها اتفقت عليه في العمل, فأنك لا ترى أحداً من المسلمين في المشرق ولا في المغرب إلا ويقرأ الفاتحة في الصلاة, وعليه: أن من صلى ولم يقرأ الفاتحة كان تاركاً سبيل المؤمنين, وقد ورد النهي عن اتباع غير سبيلهم بقوله تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا).[154]

وردّ:

بأن الذي يعتقد أنه لا يجب قراءتها يقرؤها لا على سبيل الوجوب بل على اعتقاد الندب, فلم يحصل الاجماع على وجوب قراءتها.[155]

وأجيب:

بأن أعمال الجوارح غير أعمال القلوب وقد أطبق الجميع على قراءتها, فمن لم يأت بالقرآن كان تاركاً سبيل المؤمنين في هذا العمل فيدخل تحت الوعيد, وهذا القدر كاف في الدليل.[156]

المذهب الثاني: لا تجب قراءة الفاتحة في الصلاة, بل الواجب قراءة ما تيسر من القرآن ثلاثة آيات قصار أو آية طويلة. وبه قال الأسود وابراهيم النخعي والثوري, وهو مذهب الحنفية ورواية عن أحمد.[157] واستدلوا بما يأتي:

أولاً: قوله تعالى: (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ).[158]

وجه الدلالة:

أن الله تعالى أمرنا بالقراءة بما تيسر من القرآن, وذلك في الصلاة بالإجماع, والأمر يدل على الوجوب.[159]

وردّ:

بأن المراد من هذه الآية إما الفاتحة أو غير الفاتحة أو التخيير بين الفاتحة وبين غيرها,

والأول يقتضي أن تكون الفاتحة واجبة بعينها وهو المطلوب, والثاني يقتضي أن تكون قراءة غير الفاتحة واجبة علينا وهو باطل بالإجماع, والثالث يقتضي أن يكون المكلف مخيراً بين قراءة الفاتحة وبين قراءة غيرها وهو أيضاً باطل بالإجماع؛ لأن الأمة مجمعة على أن قراءة الفاتحة أولى من قراءة غيرها, وكل الفقهاء يسلّمون بأن الصلاة بدون الفاتحة خداج ناقصة كما ورد في حديث أبي هريرة τ المتقدم, والتخيير بين الناقص والكامل لا يجوز. ولا شك أن قراءة الفاتحة متيسرة لجميع المسلمين لكونهم يحفظونها, وأما سائر السور فقد تكون محفوظة وقد لا تكون وحينئذٍ لا تكون متيسرة.[160]

ثانياً: روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة τ : (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ρ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ρ، فَرَدَّ رَسُولُ اللهِ ρ السَّلَامَ قَالَ: ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ. فَرَجَعَ الرَّجُلُ فَصَلَّى كَمَا كَانَ صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ρ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ثُمَّ قَالَ: ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ. حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَقَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَ هَذَا عَلِّمْنِي، قَالَ: إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا).[161]

وجه الدلالة:

دلّ الحديث على أن الواجب في الصلاة قراءة ما هو متيسر من القرآن؛ إذ لو كانت الفاتحة ركناً لا تجوز الصلاة إلا به لعلّمه النبي ρ لهذا الرجل؛ لأنه كان في معرض بيان ما هو, فدل على أن الركن مطلق القراءة.[162]

وردّ هذا الاستدلال من وجوه:

الوجه الأول: أن قوله ρ: (اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ) مجمل وتفسيره في قوله ρ في حديث آخر: (لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ).[163]

وأجيب:

بأنه إن أريد بالمجمل ما يريده الأصوليون وهو المبهم[164] فليس كذلك؛ لأن المجمل ما لا يتضح المراد منه بنفس صيغته وهذا متضح, فقوله ρ: (اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ) يقع امتثاله بفعل كل ما تيسر, حتى لو لم يرد قوله ρ: (لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ) لاكتفينا في الامتثال بكل متيسر. وإن أريد بكونه مجملاً أنه لا يتعين فرد من الأفراد فهذا لا يمنع من
الاكتفاء بكل فرد ينطلق عليه ذلك الاسم كما في سائر المُطْلَقات.[165]

الوجه الثاني: أن قوله ρ: (اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ) مطلق مقيد أو عام مخصص[166] بقوله ρ: (لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ).

وأجيب:

بأنه لا يسلم انه مقيد من كل وجه, بل هو مقيد بقيد التيسير في قراءة كل ما يصدق عليه قرآناً وهذا القيد المخصوص يقابل التعيين, " وإنما نظير المطلق الذي لا ينافي التعيين أن يقول: أقرأ قرآناً ثم يقول: أقرأ فاتحة الكتاب, فانه يحمل المطلق على المقيد حينئذٍ .... وأما دعوى التخصيص فأبعد؛ لأن سياق الكلام

يقتضي تيسير الأمر عليه, وإنما يقرب هذا إذا جعلت (ما) بمعنى (الذي) وأريد بها شيء معين وهو الفاتحة لكثرة حفظ المسلمين لها فهي المتيسرة ".[167]

الوجه الثالث: أن قوله ρ: (اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ) محمول على ما زاد على الفاتحة ويؤيد هذا أمران:

أ- الجمع بين هذا الحديث والأحاديث التي توجب قراءة الفاتحة في الصلاة.

ب- من القواعد المقررة عند المحدثين: أنه يأخذ بالزائد إذا جمعت طرق الحديث, وقد صح عند أبي داود قول أبي سعيد الخدري τ: (أُمِرْنَا أَنْ نَقْرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَمَا تَيَسَّرَ).[168]

الترجيح :

وبعد بيان مذاهب الفقهاء (رحمهم الله) في هذه المسألة وما حام حولها من مناقشات واعتراضات تبيّن لي أن الراجح هو المذهب الأول وهو مذهب الجمهور القائلين بوجوب قراءة الفاتحة في كل صلاة فرضاً كانت أو نفلاً, سرية كانت أو جهرية؛ وذلك لصراحة أدلتهم وقوتها, وأما أدلة المذهب الثاني القائلين بعدم وجوب قراءتها في الصلاة وأن الواجب هو ما تيسر من القرآن فهي عمومات, وقد رأينا أنها مصروفة عن ظاهرها. والله أعلم.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات, والصلاة والسلام على نبينا المبعوث بالحق لمحي الجهالات, وعلى آله وصحبه أولي الفضل والدرجات الرفيعات, وبعد: فقد آن لي بعد الفراغ من هذا البحث أن أدون هنا أهم النتائج التي توصلت إليها, وذلك على النحو الآتي:

- الراجح من مذاهب الفقهاء في مسألة دخول المرفقين مع اليدين في الوضوء هو المذهب القائل بوجوب غسلها مع اليدين؛ لأن أدلتهم لها أصل في اللغة وتؤيدها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.
- لا يجوز وطء الحائض بعد انقطاع دمها إلا بعد غسل جميع بدنها وهو مذهب الجمهور, وذلك لصراحة أدلتهم وقوتها.
- أن ما يستقذر من أبوال وأرواث الحيوانات يكون حكمه مغايراً لحكم ما لا يستقذر منها, وهذا يدخل في عموم قوله تعالى: (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ).[169]
- في مسألة الجهر بالبسملة في قراءة الفاتحة والسورة التي بعدها في الصلاة الراجح هو المذهب القائل بسنية ترك الجهر بها فيهما؛ وذلك لقوة الأدلة التي استدلوا بها.
- تجب قراءة الفاتحة في كل ركعة من ركعات الصلاة فرضاً كانت أو نفلاً ولا يجزىء فيها غيرها من القرآن الكريم.

فهرست المصادر

1. اثبات عذاب القبر: للبيهقي, أبي بكر أحمد بن الحسين الشافعي, المتوفى سنة (458 ه), تحقيق: شرف محمود القضاة, دار الفرقان- الأردن, الطبعة الثانية سنة 1405.
2. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: لابن دقيق العيد، محمد بن علي المصري الشافعي, المتوفى سنة (702ه), مكتبة السنة المحمدية.
3. أحكام القرآن: لابن العربي ، أبي بكر محمد بن عبد الله المعافيري الأشبيلي المالكي المتوفى سنة (543ه) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الثالثة سنة 2003م .
4. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: للشوكاني. محمد بن علي, المتوفى سنة (1250هـ), تحقيق: احمد عزو عناية, دار الفكر العربي, الطبعة الأولى سنة 1999م.
5. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والاثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار : لابن عبد البر, يوسف بن عبد الله النمري

الأندلسي المالكي، المتوفى سنة (463هـ)، علق عليه ووضع حواشيه سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة الثانية، سنة (2002م)

6. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال: مغلطاي, علاء الدين بن قليج الحنفي, المتوفى سنة (763هـ), تحقيق: عادل محمد وآخرون, دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر, الطبعة الأولى سنة 2001م.
7. الأم : للشافعي، أبي عبد الله محمد بن إدريس المتوفى سنة (204ه)، دار المعرفة - بيروت ، سنة 1990م .
8. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: للمرداوي ، أبي الحسن علي بن سليمان الحنبلي المتوفى سنة (885ه)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية .
9. البحر الزخار : للبزار : أبي بكر أحمد بن عمرو العتكي المتوفى سنة (292ه) ، تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله – وعادل سعد – وصبري عبد الخالق الشافعي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى سنة 2009م .
10. البحر المحيط في أصول الفقه: للزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الشافعي، دار الكتبي، الطبعة الأولى سنة (1994م).
11. بحر المذهب في فروع مذهب الإمام الشافعي: للروياني, أبي المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الشافعي, المتوفى سنة (502هـ), تحقيق: طارق فتحي السيد, دار الكتب العلمية- بيروت, الطبعة الأولى سنة 2009م.
12. بداية المجتهد ونهاية المقتصد: لابن رشد الحفيد، أبي الوليد محمد بن أحمد المالكي المتوفى سنة (595ه) ، دار الحديث - القاهرة ، سنة 2004م .
13. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع : للكاساني ، أبي بكر بن مسعود الحنفي المتوفى سنة (587ه) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى سنة 1987م .
14. البرهان في أصول الفقه: للجويني, أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الشافعي, المتوفى سنة (478هـ), تحقيق: صلاح محمد عويضة, دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة الأولى سنة 1997م.
15. البناية شرح الهداية : للعيني، أبي محمد محمود بن أحمد الحنفي المتوفى سنة (855ه) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى سنة 2000م .
16. البيان في مذهب الإمام الشافعي: للعمراني ، أبي الحسن يحيى بن أبي الخير الشافعي المتوفى سنة (558ه)، تحقيق: قاسم محمد النوري، دار المنهاج- جدة ، الطبعة الأولى سنة 2000م .
17. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة: لابن رشد الجد، أبي الوليد محمد بن أحمد المالكي المتوفى سنة (520ه)، تحقيق: الدكتور محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي - بيروت .
18. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق: للزيلعي ، عثمان بن علي الحنفي المتوفى سنة (743ه)، المطبعة الكبرى الأميرية – بولاق ، الطبعة الأولى سنة 1313ه .
19. جامع البيان في تأويل آي القرآن : للطبري، أبي جعفر محمد بن جرير ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الأولى سنة 2000م .
20. الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد المتوفى سنة (671ه) ، تحقيق : أحمد البردوني – وإبراهيم إطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية سنة 1964م .
21. الجوهرة النيرة: للعبادي، أبي بكر بن علي الحدادي الحنفي المتوفى سنة (800ه) ، المطبعة الخيرية، الطبعة الأولى سنة 1322ه .

22. الحاوي الكبير في مذهب الإمام الشافعي: للماوردي، أبي الحسن علي بن محمد الشافعي المتوفى سنة (450ه) ، تحقيق : علي محمد معوض – وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى سنة 1999م
23. الذخيرة : للقرافي، أبي العباس أحمد بن إدريس المالكي المتوفى سنة (684ه) ، تحقيق : محمد حجي , ومحمد بو خبزة ، دار الغرب الإسلامي - بيروت ، الطبعة الأولى سنة 1994م .
24. ذخيرة العقبى في شرح المجتبى: محمد علي آدم الأثيوبي, دار المعراج للنشر والتوزيع, الطبعة الأولى سنة 1999م- 2002م.
25. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : للآلوسي ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني المتوفى سنة (1270ه) ، تحقيق : عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى سنة 1415ه .
26. سبل السلام: للصنعاني, محمد بن إسماعيل, المتوفى سنة (1182ه), دار الحديث – مصر.
27. السنن : لأبي داود السجستاني ، سليمان بن الأشعث المتوفى سنة (275ه) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة 1400ه .
28. سنن الدار قطني: للدار قطني, علي بن عمر بن أحمد البغدادي, المتوفى سنة (385ه), تحقيق: شعيب الأرنؤوط, مؤسسة الرسالة- بيروت, الطبعة الأولى سنة 2004م.
29. سنن الدارمي: للدارمي, عبد الله بن عبد الرحمن التميمي, المتوفى سنة (255ه), تحقيق: حسين سليم أسد, دار المغني- السعودية, الطبعة الأولى, سنة 2000م.
30. الشافي في شرح مسند الشافعي: لابن الأثير, أبي السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الشافعي, المتوفى سنة (606هـ), تحقيق: أحمد سليمان وآخرون, مكتبة الرشد – الرياض, الطبعة الأولى سنة 2005م.
31. شرح الزرقاني على الموطأ: للزرقاني, محمد بن عبد الباقي, المتوفى سنة (1122ه),تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد, مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة, الطبعة الأولى, سنة 2003م.
32. شرح سنن أبي داود: للعيني, بدر الدين محمود بن أحمد الحنفي, المتوفى سنة (855هـ), تحقيق: خالد ابراهيم المصري, مكتبة الرشد – الرياض, الطبعة الأولى سنة 1999م.
33. شرح صحيح البخاري: لابن بطال, علي بن خلف المالكي, المتوفى سنة (449ه), تحقيق: ياسر ابراهيم, مكتبة الرشد- الرياض, الطبعة الثانية, سنة 2003م.
34. شرح مختصر الطحاوي: للجصاص, أبي بكر أحمد بن علي الحنفي, المتوفى سنة (370هـ), تحقيق: عصمت الله عنايت الله وآخرون, دار البشائر الإسلامية –الرياض, الطبعة الأولى سنة 2001م.
35. شرح مختصر خليل: للخرشي، أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحنبلي المتوفى سنة (1101ه)، دار الفكر - بيروت .
36. شرح مسند الشافعي: للرافعي, عبد الكريم بن محمد الشافعي, المتوفى سنة (633هـ), تحقيق: وائل محمد, وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر.
37. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : لابن حبان ، أبي حاتم محمد بن حبان التميمي الدارمي البستي المتوفى سنة (354ه) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية سنة 1993م .
38. صحيح البخاري : للإمام محمد بن اسماعيل البخاري، المتوفى سنة (256هـ), دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثالثة، سنة 2005م .
39. صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى سنة (261هـ)،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي – بيروت.
40. العدة في أصول الفقه: للفراء، أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف المتوفى سنة (458هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد على المباركي، الطبعة الثانية، سنة (1990م).

41. الغرة المنيفة في تحقيق بعض مسائل الإمام أبي حنيفة: للغزنوي, سراج الدين عمر بن اسحاق الحنفي, المتوفى سنة (773هـ), مؤسسة الكتب الثقافية, الطبعة الأولى سنة 1986م.
42. فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر, أحمد بن علي الشافعي, المتوفى سنة (853هـ), رقم كتبه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي, دار المعرفة – بيروت, سنة الطبع 1389هـ.
43. فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار: للصنعاني, الحسن بن أحمد بن يوسف, المتوفى سنة (1276هـ), دار عالم الفوائد, الطبعة الأولى, سنة 1427ه.
44. الكافي في فقه أهل المدينة: لابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد الله المالكي المتوفى سنة (463ه)، تحقيق: محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض ، الطبعة الثانية سنة 1980م .
45. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري ، أبي القاسم جار الله محمود بن عمرو المتوفى سنة (538ه) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة سنة 1407ه .
46. كشف المشكل من حديث الصحيحين: لأبن الجوزي, أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الحنبلي, المتوفى سنة (597ه), تحقيق: علي حسين البواب, دار الوطن- الرياض.
47. المبسوط: للسرخسي ، محمد بن أحمد الحنفي المتوفى سنة (483ه) ، دار المعرفة - بيروت ، سنة 1993م .
48. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للهيثمي ، أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر المتوفى سنة (807ه) ، تحقيق : حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، سنة 1994م
49. مجموع الفتاوى: لابن تيمية، أبي العباس أحمد بن عبد الحليم الحنبلي المتوفى سنة (728ه) ، تحقيق : عبد الرحمن محمد قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة المنورة ، سنة 1995م .
50. المجموع شرح المهذب : للنووي ، أبي زكريا يحيى بن شرف الشافعي المتوفى سنة (676ه) ، دار الفكر - بيروت ، سنة 1998م .
51. المحصول: للرازي, فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الشافعي, المتوفى سنة (606هـ), تحقيق: طه جابر العلواني, مؤسسة الرسالة – بيروت, الطبعة الثانية سنة 1997م.
52. المحلى بالآثار: لابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد الظاهري المتوفى سنة (456ه) ، دار الفكر - بيروت .
53. المسند : لأحمد بن حنبل ، أبي عبد الله الشيباني المتوفى سنة (241ه)، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة 2001م .
54. المسند : للطيالسي ، أبي داود سليمان بن داود البصري المتوفى سنة (204ه) ، تحقيق : محمد عبد المحسن التركي ، دار هجر ، مصر ، الطبعة الأولى سنة 1999م .
55. المصنف: لعبد الرزاق بن همام الحميري الصنعاني المتوفى سنة (211ه)، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية سنة 1403ه .
56. معالم السنن: للخطابي, أبي سليمان حمد بن محمد البستي الشافعي, المتوفى سنة (388هـ), المطبعة العلمية –حلب, سنة 1932م .
57. المعجم الكبير : للطبراني ، أبي القاسم سليمان بن أحمد المتوفى سنة (360ه) ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، اشترك بطبعه مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، ودار الصميعي ، الرياض ، الطبعة الأولى سنة 1994م .
58. معرفة السنن والآثار: للبيهقي, أبي بكر أحمد بن الحسن الشافعي, المتوفى سنة (458هـ), تحقيق: عبد المعطي أمين قلعه جي, دار قتيبة – بيروت, الطبعة الأولى سنة 1991م.
59. المغني : لابن قدامة ، أبي محمد عبد الله بن أحمد المقدسي الحنبلي المتوفى سنة (620ه) ، مكتبة القاهرة ، سنة 1968م .

60. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: لابن هشام, جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد, المتوفى سنة (761هـ), تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي, دار الفكر – بيروت, الطبعة السادسة سنة 1985م.
61. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): للرازي ، أبي عبد الله فخر الدين خطيب الري محمد بن عمر المتوفى سنة (606ه) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الثالثة سنة 1420ه .
62. المقدمات الممهدات: لأبن رشد الجد، أبي الوليد محمد بن أحمد المالكي المتوفى سنة (520ه) ، دار الغرب الإسلامي - بيروت ، الطبعة الأولى سنة 1988م .
63. مواهب الجليل شرح مختصر خليل: للحطاب، أبي عبد الله محمد بن محمد المالكي المتوفى سنة (954ه) ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة سنة 1992م .
64. الموسوعة الفقهية الكويتية: صادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، وتقع في (45) مجلداً بدء بطباعتها من سنة 1404ه إلى سنة 1427ه
65. نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار: للعيني, بدر الدين محمود بن أحمد الحنفي, المتوفى سنة (855هـ), تحقيق: ياسر ابراهيم, وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر, الطبعة الأولى سنة 2008م.
66. نصب الراية لأحاديث الهداية: للزيلعي, جمال الدين عبد الله بن يوسف, المتوفى سنة (763ه), تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة الريان- بيروت, الطبعة الأولى, سنة 1997م.
67. نيل الأوطار: للشوكاني، محمد بن علي, المتوفى سنة (1250ه)، تحقيق: عصام الدين السبابطي, دار الحديث- مصر. الطبعة الأولى, سنة 1993م.

---

[1] – سورة التوبة, الآية : 122.

[2] – صحيح البخاري, كتاب العلم, باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين رقم (71): 25/1.

[3] – ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 308/21.

[4] – ينظر: الديباج المذهب لابن فرحون: 257/2 وما بعدها.

[5] – ينظر: إجماعات ابن رشد الحفيد دراسة وتحقيق (قسم العبادات): ص 53.

[6] – الديباج المذهب لابن فرحون: 258/2.

[7] – ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة: ص 530.

[8] – ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 308/21.

[9] – سورة المائدة, جزء من الآية: 6.

[10] – سورة البقرة, جزء من الآية 187.

[11] – سورة آل عمران, جزء من الآية 52.

[12] – سورة النساء, جزء من الآية 2.

[13] – ينظر: بداية المجتهد لابن رشد: 18/1, الكشاف للزمخشري: 466/1.

[14] – ينظر: الأم للشافعي: 40/1, المبسوط للسرخسي: 53/13, المغني لابن قدامة: 90/1, مواهب الجليل للحطاب: 191/1, شرح مختصر خليل للحرشي: 133/1.

[15] – سورة البقرة, جزء من الآية: 14.

[16] – سورة آل عمران, جزء من الآية 52.

[17] – ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري: 199/1.

[18] – صحيح مسلم: كتاب الطهارة, باب استحباب اطالة الغرة والتحجيل في الوضوء, رقم (246): 216/1.

[19] – ينظر: نيل الأوطار للشوكاني: 181/1.

[20] – ينظر: المصدر نفسه: 181/1.

[21] – البحر الزخار للبزار: رقم (4488): 355/10. والحديث ضعيف, ينظر: نصب الراية للزيلعي: 13/1.

[22] – سنن الدار قطني: كتاب الطهارة, باب وضوء رسول الله ρ , رقم (274): 143/1. والحديث حسن, ينظر: فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار للصنعاني: 93/1.

[23] – مصنف عبد الرزاق: رقم (156): 54/1. والحديث صحيح, ينظر: فتح الباري لابن حجر: 292/1.

[24] – ينظر: فتح الباري لابن حجر: 292/1.

[25] – ينظر: نصب الراية للزيلعي: 13/1.

[26] – ينظر: فتح الباري لابن حجر: 292/1.

[27] – ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: 58/1, الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 86/6.

[28] – ينظر: الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي: 157/1, بداية المجتهد: 18/1, فتح الباري لابن حجر: 292/1, مفاتيح الغيب للرازي: 303/11, تبيين الحقائق للزيلعي: 3/1, مواهب الجليل للحطاب: 191/1.

[29] – سورة المائدة, جزء من الآية: 6.

[30] – ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام: ص 105, البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي: 230/3.

[31] – سورة البقرة, جزء من الآية 187.

[32] – ينظر: المجموع للنووي: 386/1, المغني لابن قدامة: 90/1, مفاتيح الغيب للرازي: 303/11, المبسوط للسرخسي: 53/13.

[33] – ينظر: مفاتيح الغيب للرازي: 3030/11, المجموع للنووي: 386/1.

[34] – الأم للشافعي: 40/1.

[35] – سورة البقرة, الآية 222.

[36] – ينظر: بداية المجتهد: 64/1.

[37] – ينظر: البيان والتحصيل لابن رشد: 122/1, الذخيرة للقرافي: 377/1, الحاوي الكبير للماوردي: 3386/1, المجموع للنووي: 370/2, المغني لابن قدامة : 245/1.

[38] – سورة البقرة, جزء من الآية 222.

[39] – ينظر: الحاوي الكبير للماوردي: 386/1.

[40] – بداية المجتهد: 64/1.

[41] – ينظر: الحاوي الكبير للماوردي: 387/1.

[42] – سورة النساء, جزء من الآية 6 .

[43] – ينظر: المغني لابن قدامة: 246/1.

[44] – ينظر: الحاوي الكبير للماوردي: 387/1.

[45] – المجموع للنووي: 371/2.

[46] – ينظر: شرح مختصر الطحاوي للجصاص: 467/1, الجوهرة النيرة على مختصر القدوري للحدادي: 30/1, روح المعاني للآلوسي:515/1.

[47] – سورة الحجرات, جزء من الآية 9 .

[48] – ينظر: شرح مختصر الطحاوي للجصاص: 467/1.

[49] – ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: 228/1.

[50] – سورة التوبة, جزء من الآية 108 .

[51] – ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: 230/1, المجموع للنووي: 371/2.

[52] – ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: 231/1.

[53] – ينظر: المصدر السابق نفسه: 333/1.

[54] – ينظر: المحلى لابن حزم: 391/1, بداية المجتهد لابن رشد: 64/1, البيان للعمراني: 343/1.

[55] – صحيح مسلم, كتاب الطهارة, باب وجوب الطهارة للصلاة, رقم (224): 204/1.

[56] – ينظر: المحلى لابن حزم: 392/1.

[57] – ينظر: البيان والتحصيل لابن رشد: 122/1.

[58] – ينظر: بداية المجتهد لابن رشد: 64/1.

[59] – ينظر: المصدر السابق نفسه: 87/1.

[60] – ينظر: بدائع الصنائع للكاساني: 62/1, المجموع للنووي: 549/2, مجموع الفتاوي لابن تيمية: 613/21, المغني لابن قدامة: 66/2, الموسوعة الكويتية: 92/40.

[61] – صحيح البخاري: كتاب الوضوء, باب أبوال الإبل والدواب ومرابضها, رقم الحديث (233): 56/1.

[62] – ينظر: المغني لابن قدامة: 66/2.

[63] – مسند أحمد رقم (12668): 103/20. والحديث في البخاري كما تقدم.

[64] – ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: 614/21.

[65] – ينظر: بحر المذهب للروياني: 191/2.

[66] – ينظر: إحكام الأحكام لابن دقيق العيد: 236/2.

[67] – ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي: 230/3.

[68] – ينظر: إحكام الأحكام لابن دقيق العيد: 236/2.

[69] – سنن أبي داود: كتاب الطهارة, باب الوضوء من لحوم الإبل, رقم (184): 47/1. والحديث صحيح, ينظر: البدر المنير لابن الملقن: 407/2.

[70] – ينظر: المغني لابن قدامة: 66/2.

[71] – موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني: ص 77.

[72] – ينظر: المحلى لابن حزم: 172/1.

[73] – صحيح ابن حبان رقم (1634). والحديث صحيح, ينظر: بيان الوهم والإيهام في أحاديث الأحكام لابن القطان: 138/5.

[74] – صحيح مسلم : كتاب الصلاة, باب جواز الجماعة في النافلة، والصلاة على حصير وخمرة وثوب، وغيرها من الطاهرات رقم (659): 457/1.

[75] – ينظر: المحلى لابن حزم: 173/1.

[76] – صحيح البخاري : كتاب الوضوء, باب أبوال الإبل، والدواب، والغنم ومرابضها , رقم (234):56/1.

[77] – صحيح مسلم: كتاب الحيض, باب الوضوء من لحوم الإبل, رقم (360): 275/1.

[78] – ينظر: الأم للشافعي: 113/1.

[79] – معرفة السنن والآثار للبيهقي: كتاب الصلاة, باب الصلاة في أعطان الإبل ومراح الغنم, رقم (5130):409/3. والحديث صحيح, ينظر: البدر المنير لابن الملقن: 117/4.

[80] – مسند أبي داود الطيالسي: رقم (955): 230/2. والحديث صحيح, ينظر: تنقيح التحقيق للذهبي: 123/1.

[81] – ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: 615/2.

[82] – صحيح البخاري: كتاب الوضوء, باب ما جاء في غسل البول, رقم(218): 53/1.

[83] – ينظر: المحلى لابن حزم: 178/1.

[84] – ينظر: المغني لابن قدامة : 66/2.

[85] – ينظر: الحاوي الكبير للماوردي: 249/2, المجموع للنووي: 549/2, البناية شرح الهداية للعيني: 442/1.

[86] – سورة النحل, الآية 66.

[87] – ينظر: الحاوي الكبير للماوردي: 250/2.

[88] – سنن الدار قطني: كتاب الطهارة, باب نجاسة البول والأمر بالتنزه منه والحكم في بول ما يؤكل لحمه (466): 233/1. والحديث صحيح, ينظر: البدر المنير لابن الملقن: 324/2.

[89] – ينظر: البناية شرح الهداية للعيني: 443/1.

[90] – ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: 614/21.

[91] – مسند البزار: رقم (5746): 153/12. والحديث صحيح لغيره, ينظر: المطالب العالية لابن حجر: 355/5.

[92] – اثبات عذاب القبر للبيهقي: رقم (114) : ص 85.

[93] – المبسوط للسرخسي: 54/1.

[94] – ينظر: ذخيرة العقبى في شرح المجتبى للأثيوبي: 98/20.

[95] – ينظر: الحاوي الكبير للماوردي: 251/2.

[96] ينظر: المحلى لابن حزم: 170/1, الحاوي الكبير للماوردي: 250/2.

[97] – سورة البقرة, جزء من الآية 29.

[98] – سورة الأنعام, جزء من الآية 145.

[99] – ينظر: المحصول للرازي: 175/5, العدة في أصول الفقه لأبي يعلى الفراء: 1254/4, إرشاد الفحول للشوكاني: 284/2.

[100] – ينظر: الموسوعة الكويتية: 91/40.

[101] – سورة الأعراف, جزء من الآية 157.

[102] – ينظر: بداية المجتهد: 133/1.

[103] – ينظر: الأم للشافعي: 129/1, الحاوي الكبير للماوردي: 105/2, المغني لابن قدامة: 345/1, الكافي في فقه أهل المدينة لابن عبد البر:201/1.

[104] – مسند الشافعي: ص 37, سنن الدار قطني: كتاب الصلاة, باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة, رقم (1187): 83/2, المستدرك على الصحيحين للحاكم: كتاب الصلاة, رقم (851): 357/1. والحديث صحيح, ينظر: خلاصة الأحكام للنووي: 372/1.

[105] – ينظر: الشافي في شرح مسند الشافعي لابن الأثير: 553/1.

[106] – ينظر: نصب الراية للزيلعي: 353/1.

[107] – سنن الدار قطني: 82/2, رقم الحديث (1188).

[108] – المصدر نفسه : 82/2, رقم الحديث (1187).

[109] – ينظر: نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار للعيني: 564/3.

[110] – ينظر: إكمال تهذيب الكمال للعلامة علاء الدين مغلطاي: 59/8.

[111] – ينظر: شرح سنن أبي داود للعيني: 434/3.

[112] – ينظر: المصدر السابق نفسه: 434/3.

[113] – ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: 431/22.

[114] – ينظر: المصدر نفسه: 432/22..

[115] – مسند البزار: رقم (8156): 403/4 . والحديث صحيح, ينظر: خلاصة الأحكام للنووي: 370/1.

[116] – ينظر: شرح مسند الشافعي للرافعي: 227/1.

[117] – ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: 434/22.

[118] – ينظر: المصدر نفسه: 426/22.

[119119] – صحيح البخاري : كتاب الأحكام, باب يستحب للكاتب أن يكون أميناً عاقلاً, رقم (7191): 74/9.

[120] – ينظر: الحاوي للماوردي: 106/2.

[121] – ينظر: الذخيرة للقرافي: 179/2, الموسوعة الفقهية الكويتية: 84/8.

[122] – ينظر: بداية المجتهد لابن رشد: 133/1, البيان والتحصيل لابن رشد: 365/1, الكافي في فقه أهل المدينة لابن عبد البر: 201/1.

[123] – صحيح مسلم: كتاب الصلاة, باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة, رقم (399): 299/1.

[124] – ينظر: سبل السلام للصنعاني: 256/1.

[125] – نيل الأوطار للشوكاني: 232/2.

[126] – ينظر: الذخيرة للقرافي: 179/2.

[127] – ينظر: بدائع الصنائع للكاساني: 203/1, تبيين الحقائق للزيلعي: 113/1, المغني لابن قدامة: 345/1, إحكام الأحكام لابن دقيق العيد: 270/1, بداية المجتهد لابن رشد: 133/1.

[128] – تقدم تخريجه في ص : 22.

[129] – صحيح مسلم : كتاب الصلاة, باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة, رقم (399): 299/1.

[130] – ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: 410/22.

[131] – ينظر: شرح الزرقاني على الموطأ: 312/1.

[132] – صحيح مسلم : كتاب الصلاة, باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها , رقم (395): 296/1.

[133] – ينظر: البناية شرح الهداية للعيني: 192/2.

[134]– ينظر: معالم السنن للخطابي: 303/1.

[135] – الاستذكار لابن عبد البر : 453/1.

[136] – ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: 415/22.

[137] – ينظر: المصدر السابق نفسه : 415/22.

[138] – ينظر: المصدر نفسه : 415/22.

[139] – المعجم الكبير للطبراني: رقم (12245): 439/11. والحديث صحيح, ينظر: مجمع الزوائد للهيثمي: 108/2.

[140] – صحيح مسلم: كتاب الصلاة, باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها , رقم (397): 297/1.

[141] – صحيح البخاري: كتاب الأذان, باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، في الحضر والسفر، وما يجهر فيها وما يخافت, رقم (756): 151/1.

[142] – مسند أحمد : رقم (7406): 369/12. والحديث صحيح, ينظر: فتح الغفار للصنعاني: 331/1.

[143] – سورة المزمل, جزء من الآية (30).

[144] – ينظر: المجموع للنووي: 327/3, المقدمات الممهدات لابن رشد: 180/1, المغني لابن قدامة: 343/1, الموسوعة الفقهية الكويتية: 64/27.

[145] – تقدم تخريجه في ص: 26

[146] – صحيح ابن حبان: كتاب صفة الصلاة, باب ذِكْرُ إِيقَاعِ النَّقْصِ عَلَى الصَّلَاةِ إِذَا لَمْ يُقْرَأْ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ, رقم (1789): 91/5.

[147] – ينظر: شرح ابن بطال: 370/2, سبل السلام للصنعاني: 253/1 .

[148] – تقدم تخريجه في ص : 26.

[149] – ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 123/1.

[150] – سورة النور, جزء من الآية (63).

[151] – ينظر: تفسير الرازي: 169/1.

[152] – تقدم تخريجه في ص : 22.

[153] – سنن الدارمي: باب اتباع السنة, رقم (96): 228/1. والحديث صحيح, ينظر: البدر المنير لابن الملقن: 582/9.

[154] – سورة النساء, الآية (115).

[155] – ينظر: تفسير الرازي : 169/1.

[156] – ينظر: المصدر نفسه: 169/1.

[157] – ينظر: البناية شرح الهداية للعيني: 523/2, بداية المجتهد لابن رشد: 134/1, المغني لابن قدامة: 343/1.

[158]– سورة المزمل, جزء من الآية (30).

[159] – ينظر: البناية شرح الهداية للعيني: 525/2.

[160] – ينظر: تفسير الرازي: 170/1 .

[161] – تقدم تخريجه في ص : 26.

[162] – ينظر: تبيين الحقائق للزيلعي: 105/1, الغرة المنيفة للغزنزي: ص 38.

[163] – تقدم تخريجه في ص : 26.

[164] – ينظر: البرهان في أصول الفقه للجويني: 153/1.

[165] – ينظر: إحكام الأحكام لابن دقيق العيد: 261/1.

[166] – ينظر: نيل الأوطار للشوكاني: 245/2.

[167] – إحكام الأحكام لابن دقيق العيد: 261/1.

[168] – سنن أبي داود : كتاب الصلاة, باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب ,رقم (818): 316/1. والحديث صحيح, ينظر: التلخيص الحبير لابن حجر: 567/1.

[169] – سورة الأعراف, جزء من الآية : 157.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

رسائل عمر بن عبد العزيز الديوانية
(دراسة تحليلية موضوعية)

م.م. تحسين عيسى علي السلطان
ماجستير لغة عربية
ثانوية عبدالرحمن بن عوف الإسلامية
tr3qjb9x1@gmail.com

الملخص
من المعلوم أن الرسائل هي لون من ألوان النثر الفني في الأدب العربي, يعبر الكاتب من خلالها بما يجيش في صدره, وما يعتمل في وجدانه عن واقعه الذي يعيش فيه, وهي أيضاً كونها لون أدبي, تعكس الواقع المعاش في أي عصر من العصور بصورة صادقة معبرة عن مجمل الأحداث, وفي موضوعنا عن الرسائل التي كان يكتبها الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى من يهمه الأمر, بغية تحقيق ما يريد, فقد جاءت تلك الرسائل ومن خلال تعاملي معها, لتكشف أدق ملامح الواقع في عصره, وسبر أغواره, وما دعاه بقوة إلى أن تكتب لأهل عصره, ومن هنا كانت تلك الرسائل وثائق تاريخية وسياسية مهمة جسدت واقع ذلك العصر, وبالرغم من أهمية الرسائل بصورة عامة وما تمثله من أهمية تاريخية وأدبية جليلة, إلا أن تلك الرسائل لم تستأثر باهتمام نقاد ودارسي الأدب ولم تحظ بالعناية كما حظيت فنون الأدب الأخرى كالشعر مثلاً, وهذا ما كان باعثاً قوياً لي على البحث في هذا الموضوع وحسب امكانياتي الادبية وجعلت الخليفة عمر بن عبد العزيز نموذجاً لمنشئي تلك الرسائل, حيث نقلت نماذج من رسائله التي كان يكتبها إلى الولاة, كونه مسؤولاً عن إدارة الدولة, ويهتم بشؤون افرادها, ثم ذكرت خصائص رسائله الفنية والاسلوبية, وصيغ الرسائل التي كانت متبعة في عصره وما سبقه, وكان اعتمادي فيما نقلت المصادر التاريخية التي احتوت على كثير من تلك الرسائل.

Summary
The letters are a type of artistic prose in Arabic literature. In the letters, the writer expresses what is in his chest, and what arises in his conscience about the reality in which he lives. The messages reflect the lived reality in any era in an honest manner expressing the totality of events. And in our topic about the letters that Caliph Omar bin Abdul-Aziz was writing to those who are interested in order to achieve what he wants, these letters came to reveal the most accurate features of the reality of his time, and to explore its depths, and what strongly called him to write to the people of his time. Hence, those letters were important historical and political documents that embodied the reality of that era. Despite the importance of the letters in general and the great historical and literary significance they represent, these letters did not capture the attention of literary critics and scholars, and they did not receive the same care as other arts of literature,

such as poetry, for example. This was a strong motivator for me to research this subject according to my literary capabilities. And she made the Caliph Omar bin Abdul Aziz a model for the writer of letters, so I transmitted samples of his letters that he used to write to the governors, as he is responsible for managing the state, and takes care of the affairs of its members. Then I mentioned the characteristics of his artistic and stylistic messages, and the formulas of messages that were followed in his era and those that preceded it. It relied on what was quoted on the historical sources that contained many of those letters.

تمهيد

مفهوم الرسالة ومرادفاتها

الرسالة لفظة عربية لها استخدامات كثير ومدلولات ومرادفات:

1- **الرسالة**: مادة هذا اللفظ الفعل الثلاثي: رسل, يقال: أرسلت فلاناً في رسالة, فهو مرسل ورسول[1], وهذا الاستعمال اللغوي مأخوذ من الأصل الحسي في قولهم: ارسلوا إبلهم إلى الماء إرسالاً, أي: قطعاً[2], ثم تطور هذا الاستعمال اللغوي في الارسال إلى التوجيه, والاسم: الرسالة[3], وفي العصر الراشدي تطور مفهوم الرسالة حتى أصبح يعرف بالرسالة الشفوية وهي الأمر الذي يحمله الرسول إلى المرسل إليه بصيغة شفوية, وذكرت المصادر من ذلك رسالة عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب يبلغه فيها بفتح مصر (... فقال له معاوية ألا تكتب معي كتاباً, فقال عمرو: وما تصنع بالكتاب؟ ألست رجلاً عربياً تبلغ الرسالة؟ وما رأيت وما حضرت...)[4], فهذا يدل على الرسالة الشفوية, ثم تطور مدلول الرسالة ولم يقتصر على التبليغ الشفهي, وذلك في بداية العصر الأموي, فأتخذ هذا المصطلح للدلالة على النص المدون الذي بعثه المُرسل إلى المرسَل إليه[5], وهذا ما استقر عليه الحال في الدولة الأموية وما بعدها.

2- **الكتاب**: ومن مرادفات الرسالة: الكتاب, ويراد به النص المدون المجموع بعضه إلى بعض, ومنه قيل: كتبت الكتاب, لأنه يجمع حرفاً إلى حرف[6], وقد ورد هذا المصطلح كثيراً في القرآن الكريم[7], وفي العصر الإسلامي أصبح هذا المصطلح مرادفاً للرسالة, ويراد به كل ما يبعثه المُرسل إلى المرسَل إليه سواء أكان ذلك مدوناً أو شفوياً, ثم أصبح أكثر دلالة على المكاتبات, وما يبلغه المُرسل إلى المرسَل إليه, وقد بدت ملامح ذلك واضحة في العصور المتأخرة.

3- **الصحيفة:** وهذا مرادف آخر للرسالة, **الصحيفة**: الكتاب, وهي التي يكتب بها وجمعها صحف وصحائف, **والمصحف**: هو الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين[8], يتضح أن لفظ الصحيفة يدل على الخبر المكتوب الذي يحمل إلى المرسل إليه, ومنه قوله تعالى رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً [9], فقد قرن الله تعالى لفظة صحف بالفعل يتلو التي تدل على قراءة النص المكتوب وهو كتاب الله.

مما تقدم يدل لفظ الرسالة ومرادفاتها على النص المكتوب المنقول بواسطة المرسل إلى المرسل إليه.

المبحث الأول

الرسائل الديوانية في العصر الأموي

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

أطلق لفظ الديوان في الخلافة الراشدة على السجل الذي يثبت فيه اسماء الجنود المقاتلة حسب قبائهم ومقدار اعطياتهم وما يثبت فيه من أموال الفيء غيره[10], ثم تطور هذا الديوان وتوسعت أعماله حتى صار يطلق على المكان الذي يجلس فيه الكتبة لتحرير الرسائل للخليفة في مخاطبة الولاة وغيرهم, ثم استمر مدلول الديوان بالتطور حتى العصور المتأخرة[11].

وفي العصر الذي نؤرخ له وهو العصر الأموي فقد كثرت المكاتبات الرسمية الصادرة عن الديوان نظراً لحاجة الدولة الإسلامية, وما تقتضيه شؤون إدارتها المختلفة, فكان ذلك باعثاً مهماً لتشعب موضوعاتها وتلون اغراضها, ولعل أبرز الموضوعات التي طرقتها المكاتبات الرسمية الصادرة عن هذا الديوان ويمكن تصنيفها إلى:

1- رسائل ديوانية سياسية.
2- رسائل ديوانية حربية.
3- رسائل ديوانية ادارية.
4- رسائل ديوانية دينية.

بالرغم من أن عمر بن عبد العزيز لم تدم مدة خلافته إلا سنتان وخمسة أشهر[12], إلا أن أيامه لم تكن هادئة, بل شهد صراعاً سياسياً, شأنه شأن العصر الأموي برمته, فكانت لعمر رسائل مختلفة في مدة خلافته:

1- الرسائل الديوانية السياسية:

كانت الرسائل هذه الوسيلة الاعلامية المهمة في فصل الصراعات السياسية, فمن ذلك ما كتبه عمر عندما خرج شوذب اليشكري واسمه بسطام, فكتب إلى والي العراق عبد الحميد بن عبد الرحمن: **(لا تُحرِكَهم إلا أن يَسفكوا دماً, أو يُفسدوا في الأرضِ, فإن فَعلوا َحُل بينَهُمْ وبينَ ذلكَ, وأنظر رجلاً صليباً حازماً فوجهُه إليهِم, ووجِهْ معَه جنداً وأوصِهِ بما أمرتُكَ بهِ)**[13].

وكتب أيضاً إلى شوذب **(إنَهُ بَلَغني إنَكَ خَرجتَ غضباً للهِ ولنبيهِ, ولَستَ بأولى بذلك مِني, فهلّمَ أناظِرُكَ, فإن كان الحقُ بأيدينا دَخلتَ فيما دخَل فيه الناسُ, وإن كان في يدكَ نَظرنا في أمرِنا)**[14], ويلخص عمر سياسته العامة نحو المجتمع في كتابه إلى أهل الموسم:

(أما بَعدُ: فإني أشهدُ اللهَ وأبرأ إليه في الشَهرِ الحرامِ والبلدِ الحرامِ, ويومَ الحج الاكبر إني بريءُ من ظلمِ مَن ظلمكُم, وعدوان من اعتدى عَليكم, أن أكونَ أمرتُ بذلكَ, أو رضيتَهُ, أو تَعمدتُهُ, إلا أن يكونَ وَهماً مني, أمراً خفيَ عليَّ لم أتعهدُهُ, وارجوا أن يكنَ ذلك موضوعاً عني مغفوراً لي, ألا وإنَه لا إنَ على مظلومٍ دوني وأنا مُعولُ كل مظلومٍ, ألا وأي عاملُ من عمالي, رَغبَ عن الحقِ ولم يَعمل بالكتابِ والسُنةِ فلا طاعة له عليكم, وقد صيّرت أمرُه اليكم حتى يُراجعَ الحقْ وهو ذميمْ, ألا وإنه لا دولةَ بين اغنيائِكم, ولا إثرةَ على فُقرائِكم في شيءٍ من قَيئكم,... والسلام)[15].

ومن كتب عمر السياسية ما كتبه إلى يزيد بن المهلب يأخذ له البيعة **(أما بعد: فانَ سليمانَ كان عبداً من عبادِ الله, أنعَمَ اللهُ عليهِ, ثم قَبَضهُ واستخلَفني ويَزيد بن عبد الملك بَعْدي إن كان قَد بايع من قِبلنا فَبايعْ من قبلك)**[16].

2- الرسائل الديوانية الحربية:

ومن الموضوعات المهمة التي عالجتها الرسائل الصادرة عن الديوان هي الرسائل الخاصة بشؤون الحرب, وكان عمر منذ ان ولي الخلافة عمد إلى إيقاف التوسع في المناطق النائية خوفاً على الجند, ومما

كتبه في ذلك كتابه إلى عبد الرحمن بن نعيم يأمره بالاقفال من وراء النهر, فأبوا وقالوا: لا يسعنا مرو, فكتب عمر **(اللهمَ إني قد قَضيتُ الذي عليَّ فلا تَغْزُ بالمسلمينَ, فحسبُهُم الذي قَد فُتح الله علَيهم)**[17].

ومن كتبه في المجال الحربي ايضاً ما كتبه إلى عبد الرحمن بن نعيم **(لا تَهدِموا كنيسةً ولا بيعةً بيتَ نارٍ صُولحتُم عليه, ولا تَحدثَن كنيسةً ولا بنتَ نارٍ...)**[18].

3- الرسائل الديوانية الإدارية:

وهذه الامور كانت من مهمات الخلفاء في معالجتها وايجاد الحلول اللازمة لها, وكان عمر من بين الخلفاء الذين أولوا هذه المهمة رعاية خاصة فوردت عنه كثير من الرسائل في هذا الشأن, ولعل أهم الاغراض التي تناولتها الرسائل الديوانية ما كان يبعثه الخليفة إلى عماله في الولايات من عزل وتوليه وأوامر أخرى, فمن رسائل العزل التي كتبها عمر إلى الجراح بن عبد الله عامله على خراسان **(انه بلغني إنَكَ قد استعملت عبد الله بن الاهتم, وإن الله عز وجل لم يُبارك لعبد اللهِ ولا لأهلِ بيتهِ, في العمل, فإذا أتاك كتابي هذا فأعزِلُه... وبلغَني أنكَ استعملت عمارةَ الطويل, ولا حاجة لي بعمارةَ, ولا بضرب عمارةَ, ولا برجل غَمسَ يَدهُ في دِماء المسلمينْ, فإذا أتاكَ كتابي هذا فأعزِلْهُ)**[19].

وفي إدارة أموال الخراج كتب عمر إلى عقبة بن زرعة الطائي **(إن للسلطانِ أركاناً لا يَثبتُ إلا بها, فالوالي ركنُ, والقاضي ركنُ, وصاحبُ بيتِ المالِ ركنُ, والركنُ الرابع أنا, وليسَ من ثغور المسلمين ثغرُ أهمُ إليَّ ولا أعظمُ عندي من ثَغرْ خراسان, فاستوَعبْ الخراجَ واحرِزهُ في غير ظُلم, فإن يَكُ كفافاً لاعطياتِهم فسبيلُ ذلك, وإلا فاكتب إليَّ حتى أحملُ إليكَ الاموالَ فتوفر لَهم إعطياتِهِمْ...)**[20].

ومن رسائله التي يحث فيها عماله على العدل بين الرعية قوله إلى عماله **(أما بعد: فإن الناسَ قد أصابَهُمْ بلاءُ وشدةُ جورٍ في أحكام اللهِ, وسُنَن سيئةٍ سَنها علَيهم عُمال السوءْ, وان قوامَ الدينِ العدلُ والاحسانُ, فمن أرادَ الحجَ فعجلوا عليه عَطاءُهُ, حتى يتجهز فيهِ, ولا تُحدثوا حَدثاً في قطعٍ وصلبٍ حتى تؤامِروني)**[21].

ومن رسائله في الاصلاح الاجتماعي ما كتبه إلى عدي بن أرطاة عامله على البصرة ينهاه الاقتداء بسيرة الحجاج: **(بلغني أنك تَسْتَنُ بسننِ الحجاجْ, فلا تَسْتَنْ بسننه, فإنه كان يُصلي الصلاةَ لغير وقتها, ويأخذ الزكاةَ بغير حَقِها, وكان لما سِوى ذلك أضيعْ)**[22], وكتب إلى عبد الرحمن بن نعيم **(أما بعدُ: فكن عبدً ناصحاً للهِ في عبادهِ, ولا يأخذُكَ في الله لَومةَ لائمِ, فان الله أولى بكِ من الناس وحَقُهُ علَيكَ أعظمْ, فلا تُولين شيئاً من أمر المسلمينَ إلا المعروف بالنَصيحةِ لهُم والتوفير علَيهم, واداء الأمانَة فيما استرعى, وإياكَ وان يكون مَيلُكَ ميلاً إلى غيرِ الحقِ, فان اللهَ لا يَخفى عليه خافيةُ, ولا تَذهبَّن عن الله مذهباً, فإنه لا ملجأ من اللهِ إلا إليهِ...)**[23].

وكتب إلى عامله باليمن **(أما بعد: فدع ما أنكرتَ من الباطلِ, وخذ ما عَرفتَ من الحقِ بالغاً بك ما بلغ...)**[24].

4- الرسائل الديوانية الدينية:

اتسمت الرسائل التي كانت يخاطب بها عمر الولاة وغيرهم بطابع الوعظ وغلبة الروح الدينية والمعاني الزهدية, ولعل هذه المعاني العميقة من الملامح الجديدة التي طرأت على المكاتبات الرسمية في عصره, ومن ذلك ما كتبه إلى الجراح بن عبد الله الحكمي قوله **(يا ابن أمُ الجَراح, أنتَ أحرصُ على الفتنة مِنهم, لا تَضربّن مؤمناً ولا معاهداً سوطاً إلا في حقٍ, وإحذر القَصاصَ, فإنك صائرُ إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور- سورة غافر: الآية 19- تقرأ كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - سورة الكهف: الآية 49)** [25].

وكتب إلى عبد الرحمن بن نعيم **(إن العملَ والعلمَ قريبانِ, فكُن عالماً بالله عاملاً لَهُ, فإن أقواماً عَمِلوا ولم يَعْملوا, فكان عِلمُهُم عَلَيهم وبالاً)** [26], وكان عمر مع عدله وورعه وزهده عالماً عارفاً بالحجاج والجدل الديني مع المخالفين في العقيدة, ولعل أقوى رسالة تحلى بها روح الحوار الديني ما كتبه عمر إلى جماعة من القدرية, كذبوا بأقدار الله في سابق علمه, وسميت هذه الرسالة بالدامغة لما فيها من قوة الحجة والرد على الخصوم وإبطال مزاعمهم يقول **(أما بعد: فأنَكُم كتَبتُم إليَّ بما كُنتم تَستُرون من قبلِ اليومَ في رد علم الله والخروج منه إلى ما كان رسول الله ﷺ يَتخَوفُ على امته من التَكذيب بالقَدَر, إنكم ذَكركُمْ أنه بَلَغكُم أني أقولُ أن الله قد عَلم ما العبادِ فاعلونْ, وإلى ما هم صائِرونْ, فأنكَرتُم ذلك عليّ وقلتم إنه ليس يكون ذلك من الله حتى يكون ذلك من الخلق عملاً, فكيفَ ذلك كما قُلتم؟ والله تعالى يقول** (إنّا كاشِفُوا العَذابِ قَليلاً إنَّكُمْ عائِدُون) **يعني عائدين في الكفر, وقال تعالى** (وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لما نُهُوا عَنْهُ وَإنَّهُمْ لَكاذِبُون) **فَزعَمتم بجهلِكم في قولَ الله تعالى** (فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُر) **إن المشيئة في أي ذلك أحببتُم فعلتم من ضلاله أو هدى والله تعالى يقول** (وَما تَشاءُونَ إلاّأَنْ يَشاء اللهُ ربُّ العالمينَ) **فمشيئة الله لهم شاءوا ولم يشأ لم ينالوا بمشيئتهم من طاعته شيئاً قولاً ولا عملا, لأن الله تعالى لم يملك العبادَ ما بيدِهِ, ولم يُفوض إليهم ما يمنعُهُ من رُسلِهِ...)**[27].

المبحث الثاني

الخصائص الفنية لرسائل عمر بن عبد العزيز

لا شك أن أدب الرسائل في العصر الاموي قد تميز بكثير من الخصائص الفنية عما كان عليه في العصر الراشدي, حيث بدأت بوادر التطور والنضج الفني تطرأ على كثير من المكاتبات في هذا العصر, وهذا يمكن تعليله باختلاف اسلوب المنشئين وتفاوت طباعهم وتباين امزجتهم والظروف التي كتبوا فيها, وقد حكم هذا التطور عوامل عدة:

منها: تشعب مواضيع الرسائل وتنوع اغراضها, وهذا ما جعل الرسائل تتسم بملامح فنية كان لها الأثر في ذلك التطور.

ومنها: ظهور طبقة الكتاب الذين تولوا مهمة الكتابة للخلفاء, وهؤلاء عرفوا بالفصاحة والتمكن من ناحية البيان, وكان لهذا صداه الواسع في تطور فن الكتابة والترسل في هذا العصر[28].

ومنها ما له الأثر الواضح في ذلك التطور وهو تأثير اسلوب القرآن الكريم في طرائق الكتابة, وبدا ذلك واضحاً في رسائل الوعاظ والمتدينين والدعاة إلى العمل للآخرة ومنهم عمر بن عبد العزيز, فكان القرآن الكريم المعين الذي ينهل منه كتاب الرسائل, ويستمدون من اسلوبه ابتكار الصور في التشبيه والاستعارة وصور البيان الاخرى فضلاً عن التجسيم والتشخيص والتسلسل في عرض المقدمات واستخلاص النتائج[29], وهذا ما نلمسه في الرسائل التي وصلتنا عن هذا العصر, وعندما نأتي إلى رسائل عمر بن عبد العزيز نجده أحد الكتاب البارعين الذين تأثروا بالبيئة الادبية في عصره, ومن قراءة تلك الرسائل يتضح لنا ما يلي:

1- سهولة الألفاظ ودلالتها على المعنى:

فقد تميزت جميع رسائل عمر بسهولة ألفاظها, ووضوح معانيها, والقصد إلى الغرض دون اسهاب أو تعقيد أو استعمال اللفظ الغريب, ولعل مرد ذلك عائد إلى صفاء قريحته وفصاحتها, مع الذوق السليم, الذي يقع على الجمال وقوعاً طبيعياً بعيداً عن التكلف او التنميق, ومتميزاً بفخامة اللفظ وجزالته, ومثال ذلك ما كتبه إلى أهل الموسم **(لولا أن أشغِلَكُم عن مناسككم لرسَمتُ لكم أموراً من الحقِ أحياها الله لكم, وأموراً من الباطل أماتَها الله عنكم, وكان الله هو المُتوحد بذلك فلا تَحمدوا غَيرهُ, فإنه لو وكلني إلى نفسي كنت**

كغيري والسلام عليكم)[30], فهذه الرسالة واسلوبها جاء مراعاة لظروف انشائها, ومناسبة المقام في الايجاز لعمل أهل الموسم وهو أداء مناسك الحج, وفيها جاء الاقتضاب مع التركيز على فحوى الرسالة دون مقدمات.

ومثله في بساطة الاسلوب ودقة المعنى ما كتبه إلى بعض أمراء الاجناد **(أُوصيكَ بتقَوى الله والتمسكْ بأمرِه, والمعاهدةَ على ما حَمَلك الله من دينِه, واستَحفظْكَ من كتابِه, فإن بتقوى الله نجا أولياؤُهُ من سَخطِهِ وبها تحققَ لَهم ولايَتُهُ, وبها وافقوا الانبياء... والسلام)**[31].

2- استعمال السجع:

ولعل من ملامح الفن في عصر عمر بن عبد العزيز شيوع السجع, وتعمد استعماله أحياناً في المخاطبات, وأرى أن استعمال السجع في رسائل عمر هو كحلية لما يحققه من تنغيم وايقاع فيما يدعو إليه, فمما ورد في هذا الفن رسالته إلى بعض مدن الشام بقوله: **(في كلِ يومٍ تُشيعونَ غادياً إلى الله ورائحاً قد قضى نَحبَهُ, وانقضى أجلُهُ, ثم يغيبّونه في صدعٍ من الأرض غير مُوسدٍ ولا ممهدٍ, قد فارق الاحبابَ وخلعَ الاسبابَ, وواجه الحسابَ, وسكن الترابَ, مرتهناً بعملِهِ, غنياً عما تركَ فقيراً إلى ما قَدّمَ)**[32].

فواضح في هذا الكتاب أن عمر اعتمد على السجع اعتماداً ظاهراً, واتكأ عليه تحقيقاً لتلك النبرات الموسيقية الجميلة, والانغام العذبة في مقام الموعظة والعبرة.

3- استعمال التحميد في الرسائل:

وهذا من الملامح الفنية التي شاعت في رسائل هذا العصر, ويراد بها إظهار الحمد والثناء على الله تعالى, ويعد هذا امتداد لما كانت عليه الرسائل في العصر الراشدي, ومن صور التحميدات ما كتبه عمر إلى عدي بن أرطاة **(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ... من عبد اللهِ عُمر أميرُ المؤمنينَ إلى عدي بن أرطاة ومن قبله من المسلمين والمؤمنينَ, سلامُ عليكم, فإني أحمدُ اللهَ الذي لا إله إلا هو, أما بعد: فانظر أهل الذِمَة فأرفقْ بِهِم, وإذا كبرَ الرجلُ منهم وليس له مال فأنفق عليه, فإن كان له حميم فمر حَميمهُ ينفقَ عليه والسلام)**[33].

4- تسلسل الأفكار ودقتها:

حيث يعمد الكاتب إلى الدقة في تنظيم الأفكار, وتقسيم الموضوع إلى أفكار مترابطة يكمل بعضها بعضاً, ومثال ذلك رسالة عمر إلى أحد ولاته **(... وإن قوامَ الدين العدلُ والإحسانُ, فلا تكونَنَ في شيءٍ أهم إليك من نفسِك, فإنه لا قليلَ من الاثمِ, ولا تحمل خراباً على عامرٍ, ولا عامرُ على خرابْ, انظر الخرابَ فخذ منهُ ما أطاقْ واصلحه حتى يَعمرْ, ولا يُؤخذ من العامرِ إلا وظيفَه الخراجْ في رفقٍ وتسكيْن لأهل الأرض, ولا تأخذنّ في الخراج إلا وزن سبعة ليس لها أهلْ, ... فاتبعْ أمريَ فإني وليتَك من ذلك ما ولاني اللهُ, ولا تعْجل دوني بقطعٍ ولا صلبٍ حتى تُراجعني فيه,...)**[34], وهكذا تبدأ الفكرة في هذه الرسالة ثم تتبعها الامور الخاصة بها حتى تترابط بين اجزائها, لأن الأصل في العمل العدل والإحسان وكل ما بعده في الرسالة يعتمد فكرة العدل فيما أمره.

5- صدق العاطفة ومسؤولية الراعي:

وغالب ما ورد من رسائل عمر نجد هذا الاتجاه يكاد يكون ديدنه, كيف لا وهو الخليفة الزاهد الورع الذي تحمل مسؤولية الأمة ورعايتها ومسؤول يوم العرض على الله, فكأنه يذكرهم بذلك اليوم ويدعوهم للتهيؤ له: يقول في رسالة له إلى بعض الاجناد **(أما بعد: أُوصيكُم بتقوى الله ولزومِ طاعتِهِ... فمن كان راغباً في الجنةِ أو هارباً من النار, فالآن في هذه الأيام الخالية, والتوبةُ مقبولةُ, والذَنبُ مغفورُ قبل الأجلْ وانقضاءِ المُدة وفراغ الله للثقلين ليدينهم بأعمالهم في موطن لا تُقبل فيه فدية, ولا تنفعُ فيه الحيلة, تبرز فيه**

الخفياتْ, وتبطل فيه الشفاعاتْ, يرده الناس جميعاً بأعمالِهم, ويتفرقون منه أشتاتاً إلى منازلِهِمْ, فطوبى يومئذٍ لمن أطاعَ اللهَ, وويلٌ يومئذٍ لمن عَصى الله تعالى)[35], ففي هذه الرسالة نبرة العاطفة الصادقة فيها جلية, والخوف من الآخرة بيّن, وذلك لما يحسه منشيء هذه الرسالة من صدق الاحساس في التعبير ما سيكون بين يدي الله تعالى, ومثله ما كتبه إلى بعض اخوانه **(يا أخي إنك قَطَعت عظيمَ السفرِ وبقي أقلُّهُ, فاذكر يا أخي المصادرَ والموارِدْ, فقد أوحي إلى نبيكَ ﷺ أنك من أهلِ الورود, ولم يُخبر أنك من أهل الصدورْ والخروجْ, وإياكَ أن تَغُرَّكَ الدُنيا فإن الدنيا دار من لا دارَ له, ومالٌ من لا مالَ له...)**[36].

6- الاقتباس من القرآن الكريم:

وهذا من الخصائص الاسلوبية التي امتازت بها رسائل عمر, حيث كان يوشح رسائله بتلك الحلل النفيسة, والجواهر البديعة, للدلالة على الفكرة التي يسوقها, فمن ذلك ما كتبه إلى عبد الرحمن بن نعيم **(أما بعد: فكَنْ عبداً ناصحاً للهِ في عبادِهِ, ولا يأخُذك في اللهِ لومة لائمْ, فإن اللهَ أولى بك من الناسِ وحَقُّهُ علَيك أعظمْ, فلا توليّن شيئاً من أمرِ المُسلمينَ إلا المعروفِ بالنصيحة لَهم والتوفير علَيهم, واداءِ الأمانةَ فيما استرعى, وإياك أن يكون مَيلُكَ ميلاً إلى غير الحق, فإن الله لا يخفى عليه خافيةٌ, ولا تذهبَ عن الله مذهباً, فإنهُ لا ملجأ من اللهِ إلا إليه)**[37], فقد ختم رسالة أخرى هذه الآية (118 من سورة التوبة), وقال في رسالة أخرى **(أما بعد: فاعمل عَمل رجلٍ يعلمُ ﴿** فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين **﴾ - سورة يونس الآية 81)** فهذه النصوص تدل على تبلور جمال الصياغة القرآنية وروعة اعجازه, وفي بعض الرسائل يعمد عمر ادراج بعض الآيات القرآنية في سياق الرسالة وموضوعها وصهرها في ثنايا الكتابة دون النص عليها أو ذكرها كاملة, بحيث تبدو وكأنها متماسكة لا يعرفها إلا الحاذق في هذا الفن, ومن مثال ذلك قوله **(... إنكُمْ لم تُخلقوا عبثاً ولن تُتركوا سُدى, وان لكم معاداً ينزل الله فيه للحكمِ فيكم والفَصْلُ بينكُمْ, وقد خابَ وخَسِرَ من خَرجَ من رحمة الله التي وسَعَتْ كل شيءٍ, وحرم الجنة التي عَرضُها السموات والأرض,...)**[38], ومثلها أيضاً ما كتبه إلى بعض عماله **(أما بعد: فكأن العبادَ قد عادوا إلى الله فيُنبئُهم بما عَملوا ليجزيَ الذينَ أساءوا بما عَملوا ويجزيَ الذين أحسنوا بالحُسنى...)**[39], فهذا الاسلوب الذي اتبعه عمر ما يعزز رأيه, ويدلل على حجته, وينبه الغافلين عن أحكام الدين.

7- استعمال المحسنات البديعية:

عند قراءة رسائل عمر بن عبد العزيز نجد عدد غير قابل من رسائله زاخرة بضروب عديدة من المحسنات البديعية, ومما لا شك فيه أن أغلب ما ورد فيها من صور البديع, لم يكن مقصوداً لذاته, ولم يتكلف استعماله وإنما هو جاء من وحي الفطرة والذوق السليم, ومن ذلك قوله في أحد رسائله **(إن ما هاجَني على كِتابي هذا أمرُ ذُكر لي عن رجالٍ من أهل البادية, ورجالِ أمروّا حديثاً, ظاهرُ جفاؤهُم, قليل عِلمُهُم بأمرِ الله اغترّوا فيه بالله غرةً عظيمةً, ونسوا فيه بلاءه نسياناً عظيماً, وغيروا فيه نِعمةَ الله تغييراً لم يكُنْ يُصلح لهم أن يبلغوه...)**[40], يتضح في هذا النص المذكور في الرسالة, تجانس بعض ألفاظها كما في (أمروا- بأمر) (اغتروا- غرة) (نسوا- نسياناً) (غيروا- تغييراً) وفي هذا كما لا يخفى قدر وافر من الجمال وروعة الاداء.

ومن الصور الأخرى في رسائله المطابقة وهو الجمع بين المعنى وضده كما في احدى رسائله **(إن قَدَرَت أن تكونَ في العدلِ والإحسانِ والاصلاحِ تقدرَ من مكان قبلُكُم في الجَورِ والعُدوانِ والظُلم, فافعل ولا حَوله ولا قوة إلا بالله)**[41], فالمطابقة البديعة بين العدل والجور, والاحسان والعدوان والاصلاح والظلم, وكذلك

في قوله **(إلا واعلموا إنما الامانُ غداً لمن حذَرَ الله وخافَهُ, وباعَ نافذاً بباقٍ, وقليلاً بكثيرٍ, وخوفاً بأمانٍ...)**[42].

8- شيوح الألفاظ الدينية والشرعية في الرسائل:

لقد تميزت أغلب رسائل عمر بن عبد العزيز بإيراد الألفاظ الدينية والشرعية التي تدل على تأثره باسلوب القرآن الكريم والسنة وتأثره في التعبير بتلك الألفاظ, واكساءها بثوب الجلال بما اضفاه عليها من تلك المعاني الشرعية.

من ذلك قوله **(إنَّ الله فَرضَ فرائِضَ وسَنَ سُنناً من أخذ بها لحَقَ ومن تركها مُحق)**[43].

وقال في أحد خطبه **(أما بعدُ: أيها الناس فلا يطَولّنَ عليكم الأَمدْ, ولا يُبعدنَ عليكُم يومَ القيامةِ, فإن من وافته منيَتهُ فقد قامت قيامَتهُ, ولا يُستعتبُ من شيء ولا يزيدُ في حسنْ, ألا لا سَلامةَ لأمرئٍ خِلافَ السُنة, ولا طاعة لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقْ, ألا وإنكُم تَعدونَ الهاربُ من ظُلمِ إمامِهِ عاصياً, إلا وان أولاهُما بالمعصيةِ الامامُ الظالمْ...)**[44].

فهذه الرسائل أمثالها كان عمر بن عبد العزيز يتوخى من خلالها التأثير على نفوس من يكتب لهم, وهي صادرة عن عواطف دينية صادقة, كما أنها تطفح بنبرة الورع والحزن والزهد, فبلغت تلك الرسائل ما كان يرمي إليه من التأثير في نفس المرسل إليه.

الخاتمة

اتضح لي من خلال هذا البحث ما يلي:

1- ان الرسائل كانت طيلة العصر الإسلامي تصور الاحداث التي مرت في تاريخه, من الناحية السياسية والاجتماعية والفكرية, كما ان تلك الأحداث كانت عاملاً مهماً في بعث الرسائل وشيوعها وتطورها.
2- أن الرسائل في العصر الأموي أصبحت أداة مهمة للتعبير عن أحوال ذلك العصر, وان تلك الاضطرابات الخطيرة كانت مادة خصبة الهمت الكتاب كثيراً من المعاني العميقة والأفكار الدقيقة والتراكيب المتينة المحكمة.
3- أن رسائل عمر بن عبد العزيز كانت مظهراً مهماً من مظاهر الحياة الدينية والعقلية المتطورة, وعكست كثيراً من العقائد والآراء الدينية, وما كان عليه المجتمع من تصرف وسلوك.
4- انصبت غالب رسائل عمر على وجوب العمل للآخرة والتمسك بالمثل العليا السامية, والتذكير بزوال الدنيا ونعيمها والاعتبار بمن مضى.
5- جاءت رسائله من الناحية الفنية والاسلوبية, متسمة بسهولة الألفاظ ووضوح المعاني والقصد إلى الغرض دون اسهاب أو تعقيد, كل ذلك مستوحى من الفطرة والذوق السليم.
6- ومما ظهر جلياً في رسائله: الاقتباس من القرآن الكريم, وذلك حتى تزيد الفكرة تأكيداً وتقريراً.
7- كما ان معظم رسائله اتسمت بطابع الالتزام الديني, وشاع فيها رهافة الحس, وصدق اللهجة وحرارة العاطفة.

8- وأخيراً فإن تلك الرسائل مع الاهداف التي أنشأت من أجلها فقد أبانت عن الطبيعة الصافية والذوق السليم, مع ما امتازت به من جمال نسجها وحلاوة وقعها, وهذا كله جاء دون قصد أو انفعال, بل هي السليقة العربية التي امتلكت ناحية البلاغة والبيان.

والخلاصة أن تلك الرسائل هي وليدة الحاجة, ونبت البيئة وواقعها المعاش.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.
1- الأحكام السلطانية والولايات الدينية: على بن محمد بن حبيب الماوردي (ت 450ه), دار الكتب العلمية, بيروت, ط3, 2006م.
2- أساليب الكتابة في العصر الراشدي: عبد العال الشرقاوي, دار الأدب, القاهرة, 1974م.
3- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي (ت 1205ه), دار الهداية, بيروت, 2010م.
4- تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري (ت 310ه), تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم. دار احياء التراث العربي, بيروت, 2008م.
5- تاريخ اليعقوبي: أحمد بن إسحاق اليعقوبي (ت 292ه), دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1999.
6- جمهرة خطب العرب: أحمد زكي صفوت, المكتبة العلمية, بيروت, 1972م.
7- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911ه), مطبعة عيسى الحلبي, مصر, 1967م.
8- حلية الأولياء: أحمد بن عبد الله الاصفهاني (ت 430ه), دار الكتب العلمية, بيروت, 1992م.
9- سيرة عمر بن عبد العزيز: عبد الله بن عبد الحكم (ت 214ه), دار العلم للملايين, بيروت, 1967م.
10-سيرة عمر بن عبد العزيز: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت 597ه), دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1984م.
11-صبح الأعشى في صناعة الأنشا: أحمد بن علي القلقشندي (ت 821ه), المؤسسة المصرية للتأليف, مصر, 1963م.
12-الطبقات الكبرى: محمد بن سعد (230ه), دار صادر, بيروت, 1968م.
13-القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817ه), الهيئة العامة المصرية للكتاب, القاهرة, 1980م
14-الكتابة الفنية في العصر الأموي: عبد المقصود أحمد الشرقاوي, دار المعارف, مصر, 1961م.
15-لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الافريقي (ت 711ه), دار الكتب العلمية, بيروت, 2005م.
16-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد سعيد اللحام, دار المعرفة, بيروت, 2012م.

([1]) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الافريقي (ت 711ه), دار الكتب العلمية, بيروت, 2005م: 376/6, تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي (ت 1205ه), دار الهداية, بيروت, 2010م: 237/21.

([2]) لسان العرب: 377/6.

([3]) القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817هـ), الهيئة العامة المصرية للكتاب, القاهرة, 1980م: 517/2, تاج العروس: 238/21.

([4]) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ), مطبعة عيسى الحلبي, مصر, 1967م: 121/1.

([5]) أساليب الكتابة في العصر الراشدي: عبد العال الشرقاوي, دار الأدب, القاهرة, 1974م: 103.

([6]) لسان العرب: 223/1.

([7]) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد سعيد اللحام, دار المعرفة, بيروت, 2012م: 793– 797.

([8]) لسان العرب: 590/5, تاج العروس: 5/24.

([9]) سورة البينة: الآية 2.

([10]) الأحكام السلطانية والولايات الدينية: علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت 450هـ), دار الكتب العلمية, بيروت, ط3, 2006م: 254– 255.

([11]) صبح الأعشى في صناعة الأنشا: أحمد بن علي القلقشندي (ت 821هـ), المؤسسة المصرية للتأليف, مصر, 1963م: 89/1– 90.

([12]) تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري (ت 310م), تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم, دار احياء التراث العربي, بيروت, 2008م: 420/6.

([13]) تاريخ الأمم والملوك: 413/6.

([14]) المصر نفسه: 413/6.

([15]) حلية الأولياء: أحمد بن عبد الله الاصفهاني (ت 430هـ), دار الكتب العلمية, بيروت, 1992م: 292/5.

([16]) تاريخ الأمم والملوك: 421/6.

([17]) المصدر نفسه: 422/6.

([18]) المصدر نفسه: 424/6.

([19]) تاريخ الأمم والملوك: 422/6.

([20]) المصدر نفسه: 422/6.

([21]) تاريخ اليعقوبي: أحمد بن إسحاق اليعقوبي (ت 292هـ), دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1999م: 213/2.

([22]) جمهرة خطب العرب: أحمد زكي صفوت, المكتبة العلمية, بيروت, 1972م: 315/2.

([23]) تاريخ الأمم والملوك: 417/6.

([24]) تاريخ اليعقوبي: 214/2.

([25]) تاريخ الامم والملوك: 416/6.

([26]) المصدر نفسه: 421/6.

([27]) حلية الأولياء: 346/5.

([28]) الكتابة الفنية في العصر الأموي: عبد المقصود أحمد الشرقاوي, دار المعارف, مصر, 1961م: 93.

([29]) المصدر نفسه: 117– 118.

([30]) حلية الاولياء: 293/5.

([31]) سيرة عمر بن عبد العزيز: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت 597هـ), دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1984م: 124- 125.

([32]) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي: 259.

([33]) الطبقات الكبرى: محمد بن سعد (230هـ), دار صادر, بيروت, 1968م: 380/5.

([34]) تاريخ الأمم والملوك: 422/6.

([35]) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي: 116.

([36]) المصدر نفسه: 257.

([37]) تاريخ الأمم والملوك: 417/6.

([38]) تاريخ الأمم والملوك: 423/6.

([39]) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي: 255.

([40]) المصدر نفسه: 104.

([41]) الطبقات الكبرى: 285/5.

([42]) تاريخ الأمم والملوك: 423/6.

([43]) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي: 112.

([44]) سيرة عمر بن عبد العزيز: عبد الله بن عبد الحكم (ت 214هـ), دار العلم للملايين, بيروت, 1967م: 43.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

قواعد التفسير الموضوعي (دراسة تحليلية)

أ.م.د إقبال وافي نجم
الطالب: مصطفى عازي عباس
mustfaaldame@gmail.com

الملخص
التفسير الموضوعي نوع جيد من التفسير ظهر بالكيفية التي هو عليها الأن في القرن الماضي وهو بقسمه المشهور والمعروف والمعنى المتبادر لهذا المصطلح يبحث عن الرؤية القرآنية حول موضوع ما بجمع آيات الموضوع ودراستها والخروج بنتائج تُظهر موقف القرآن من الموضوع المدروس كما أن من الباحثين من جعل من أقسامه (الكشفي) الذي يسعى للكشف عن بناء السورة وترابط أجزائها وأنها تدور حول محور جامع لمقاطع تلك السورة، وكل ذلك لا يمكن أن يتوصل له المفسر ويخلص منه إلى نتائج سليمة واقعية، مالم يضبط حركته وبحثه بقواعد تمهد له الرسو على شاطئ الهداية بأمان، وقد عمد البحث من خلال الدراسة والتحليل لكل من النظرية والتطبيق ضمن هذا النوع من التفسير للكشف عن أهم القواعد الخاصة التي اعتمدها المفسرون.

Abstract
Objective interpretation is a new type of interpretation that appeared in the way it is now in the last century, and it is with its famous and well-known oath and the emerging meaning of this term looking for the Qur'anic vision on a topic by collecting and studying the verses of the subject and coming up with results that show the position of the Qur'an on the subject being studied, and there are researchers who made of its sections (Al-Kashfi) who seeks to reveal the structure of the surah and the interconnectedness of its parts and that it revolves around an axis that collects the passages of that surah, and all of this cannot be reached by the interpreter and concludes with sound and realistic results, unless he controls his movement and research with rules that pave the way for him to anchor on the shore of guidance safely. Research through study and analysis of both theory and application within this type of interpretation to reveal the most important special rules adopted by the commentators.

المقدمة:
تمثل قواعد التفسير ركائز مهمة تضبط حركة المفسر وتدفع بنتاجه التفسيري نحو الصواب، والقواعد أحكام كلية ينبغي على المفسر أن يلتزمها في ما يسعى له من كشف وبما أن التفسير الموضوعي هو أحد أنواع التفسير وأقسامه لذا نجد معظم القواعد العامة للتفسير توظف فيه وتخدم غايته وما يقصده غير أن بعض القواعد ذات أثر أكبر من غيرها في هذا النوع من التفسير وهنالك من القواعد ما انماز بها عن غيره وهذا ما تناوله البحث في مطالبه الخمسة التي تلت التمهيد، وقد اشتمل البحث على قواعد أساسية يظهر للبحاث أنها عماد التفسير الموضوعي بقسميه الباحث عن الموضوع القرآني وكذلك الباحث عن وحدة السورة القرآنية لمن عده من التفسير الموضوعي.
وقد تناول التمهيد بيان لمعنى قواعد التفسير وكذلك لمفهوم التفسير الموضوعي في حين تناولت المطالب الخمسة القواعد الأساسية التي يظهر للباحث أنها ذات أثر كبير يلقي بظلاله على نتائج هذا النواع من التفسير، وتلك القواعد تشمل مراحل دراسة الموضوع جميعًا من مرحلة اختيار الموضوع إلى الجمع وما

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

يلزم فيه وكذلك سبل الحفاظ على قرآنية الموضوع وكيفية كشف الهدايات، كذلك تناول القسم الآخر من التفسير الموضوعي والقاعدة الأساسية التي يعتمدها في دراسة السورة القرآنية بعدها وحدة واحدة، وقد عَزز البحث كل ذلك بشواهد وأمثلة توضح أثر تلك القاعدة أو تزيد بوضوح ما يخلص له البحث من نتائج.

التمهيد: معنى قواعد التفسير وماهية التفسير الموضوعي:

يتضمن التمهيد بيان معنى القاعدة بشكلها العام وكذلك قواعد التفسير ويوضح معنى التفسير البنائي ليمثل بوابة ندخل منها لدراسة قواعد التفسير البنائي

أولًا: القاعدة في اللغة، والاصطلاح:

1- **القاعدة T21**لغة: هي مشتقة من (قَعَدَ)، والقواعد أساس الشيء أو ما ارتكز عليهP37T(1255F)TP37، (القاعِدَةِ: أَصلُ الأُسِّ، و القَواعِدُ: الإساسُ، و قواعِد البيت إساسُه. و في التنزيل: ﴿ وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْماعِيلُ..﴾P37T(2256F)TP37.

2- **القاعدة في الاصطلاح:** وللقاعدة في الاصطلاح تعاريف عدة فقد عرفها الجرجاني بأنها (قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها)P37T(3257F)TP37، كما عُرفت بأنها (حكم كلي ينطبق على قضايا مختلفة موضوعها واحد)P37T(4258F)TP37 أو هي (حكم كلي يتعرف به على أحكام جزئية، وقد يقال : هي حكم كلي مستنبط من مجموع الأحكام الجزئية التي ينطبق عليها)P37T(5259F)TP37، أو أنها (الأمر الكليّ المنطبق على جزئيّاته)P37T(6260F)TP37.

إن التعريفات المذكورة اتفقت جميعًا على وصف القاعدة بالكلي، وهذا الكلي ينتظم داخل سوره مجموعة من الجزئيات اتحدت بانطباق الكلي عليها، لكن الواقع يقول أن هنالك ما يخرج عن القاعدة، وهنا يطرح سؤال مفاده كيف يمكن أن تكون كلية بعد هذا الخروج؟.

وقد أجيب عن ذلك بأن بعض ما يتصور خروجه ليس من القاعدة أصلًا كما يقول الشاطبي: (قَدْ يَكُونُ تَخَلُّفُهَا لِحِكَمٍ خَارِجَةٍ عَنْ مُقْتَضَى الكلي، فلا يكون دَاخِلَةً تَحْتَهُ أَصْلًا)P37T(7261F)TP37، فضلًا عن ذلك يشير الشاطبي إلى أن خروج البعض في الكليات الاستقرائية لا يخرج القاعدة عن كليتها فيقول (الْأَمْرَ الْكُلِّيَّ إِذَا ثَبَتَ كُلِّيًّا، فَتَخَلُّفُ بَعْضِ الْجُزْئِيَّاتِ عَنْ مُقْتَضَى الْكُلِّيِّ لَا يخرجه عن كونه كليا، وأيضًا فَإِنَّ الْغَالِبَ الْأَكْثَرِيَّ مُعْتَبَرٌ فِي الشَّرِيعَةِ اعْتِبَارَ الْعَامِّ الْقَطْعِيِّ؛ لِأَنَّ الْمُتَخَلِّفَاتِ الْجُزْئِيَّةَ لَا يَنْتَظِمُ مِنْهَا كُلِّيٌّ يُعَارِضُ هَذَا الْكُلِّيَّ الثَّابِتَ)P37T(8262F)TP37 ويبدو أن الميبدي جرى على ذلك فيما خلص له من أن شرط عدم تخلف أي فرد خاص بالقواعد العقلية ممكن مع غيرها فيقول: (أنّ الكليّة غير المستثناة إنّما هي في القواعد العقليّة، و أمّا القواعد التفسيريّة والفقهيّة والأصوليّة، فلا تكون كذلك، بل هي ممزوجة بالاعتباريّات. نعم، لابدّ من دليل قطعيّ لخروج فرع أو فروع منها)P37T(9263F)TP37.

إننا نجد أن هنالك من أراد الخروج من هذا الإشكال فعرف القاعدة بالأغلبي بدل الكلي تماشيًا مع الواقع فقيل في القاعدة بأنها (حكم أغلبي ينطبق على معظم جزئياته)P37T(10264F)TP37 وقريب من ذلك (حكم ينطبق على معظم جزئياته)P37T(11265F)TP37، والتعريفان السابقان وما شابههما يبدو أنهما جاءا تلافيًا للإشكال الذي قد يقع بخروج بعض أفراد القواعد وعدم انطباق حكمها عليه.

ثانيًا: القاعدة التفسيرية:

نبين مصطلح قواعد التفسير المنطبق على مجموعة من الكليات، الممهدة في الكشف عن مراد الله في كتابه، فالقاعدة التفسيرية في الاصطلاح :(هي قاعدة ممهّدة لتحصيل الحجّة على استكشاف مراد الله تعالى من الآيات القرآنية. و إن شئت فقل: هي قاعدة ممهّدة للاحتجاج بها على تفسير القرآن) P(12F266)P.

كما عرفت بأنها: (الأحكام الكلية التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم ومعرفة كيفية الاستفادة منها)P37T(13267F)TP37.

وخلص رضائي إلى أن قواعد التفسير (القوانين الكُلِّية التي تقع واسطة في الاستنباط ولا تختص بآية أو سورة خاصة)P37T(14268F)TP37.

ولم تخرج تلك التعريفات عن التعريف الاصطلاحي لعموم القاعدة غير أن التعريف الأول عرف القاعدة القادة التفسيرية بالقاعدة وهو غير مناسب في التعريف فلا ينبغي تعريف الشيء بنفسه.

وقد أجمعت التعريفات على أن القاعدة كلية ممهدة يتوصل بها إلى معاني الآيات، وكشف المراد، وليست هي المراد بل هي طريق يساعد في الوصول إليه، وأضاف رضائي لتعريفه قيد عدم اختصاصها بآية أو سورة خاصة ليميزها عن الضابطة التي تختلف عن القاعدة من كون الأخيرة (تجمع فروعاً في أبواب شتى، بينما الضابطة تجمع فروعاً في باب واحد، وإنّ مجال تطبيق القواعد أوسع من مجال تطبيق الضوابط، لذا فهي أعمّ)P37T[15]269F)TP37، ويظهر أن تعريف رضائي اشتمل على ما في التعريفين السابقين له وزاد عليها بما اضافه من قيد احترازي ليزيد به وضوح المراد من القاعدة.

ثالثًا: التفسير الموضوعي: عرف بأنه (علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر)P37T[16]36F)TP37. وهذا التعريف هو الراجح عند الدكتور مصطفى مسلم لخلوه من التكرار واشارته إلى نوعي التفسير الموضوعي التجميعي والكشفي – أي التجميعي الذي يبحث عن الموضوع والكشفي الباحث عن وحدة السورة القرآنية- ، ولكن وصفه بالعلم يوهم بأنه قسيم لعلم التفسير والحقيقة أنه جزء منه وكان الأولى وصفه بأنه نوع من التفسير.

المطلب الأول: الجمع الناقص لا يفضي إلى نتائج سليمة

الخطوة الأولى في ميدان التفسير الموضوعي هي اختيار الموضوع بعدها تبدأ مرحلة جمع الآيات المتعلقة بالموضوع المدروس وهنا تبرز أهمية هذه القاعدة.

أولًا: معنى القاعدة: هذه القاعدة تعني ضرورة استقصاء جميع الآيات المتصلة بالموضوع وجمعها وعدم التخلي عن أي منها فبها تكتمل الصورة الكاملة للموضوع وتعد هذه المرحلة مهمة وخطيرة جدًا وتحتاج إلى معرفة عالية وقوة ملاحظة وتفتيش وتمحيص حتى تتمكن من جمع كل ما له صلة بالموضوع المدروس؛ لأن اغفال بعض ما له علاقة بالموضع يؤثر على النتائج المستخلصة في المراحل التي تتبع عملية الجمع أي في مرحلة التحليل والتقعيد واستخراج رؤية اسلامية محورها القرآن عن الموضوع المختار، فبعض الآيات تمثل شروط الموضوع والأخرى أسبابه وبعضها مقدماته وهكذا، وهي كحلقات سلسلة متماسكة ففقدان بعضها يؤدي بالظرورة إلى انفكاك انتظام تلك السلسلة وتفكك أجزائها وبالتالي الخلوص إلى نتائج غير واقعية يشوبها النقص.

ثانيًا: تحديات يواجهها المفسر في مرحلة الجمع:

1- **تتبع الآيات المتعلقة بالموضوع في كل القرآن الكريم:** إن القرآن الكريم بترتيبه ونظمه المعجز وما فيه من اسرار بيانية وبلاغية عظيمة وما يفضي له من هداية وفق هذا الترتيب التوقيفي المعجز جعل الأمة تروي ضمأها منه لقرون، غير أن هذا الأمر لا يمنع من أن يقصد القرآن الكريم ويبحث فيه عن موضوع معين لمعرفة الموقف تجاه ذلك الموضوع باستقصاء آياته وجمعها من كل القرآن الكريم بل أنه لا تنقضي عجائبه ولا ينفد عطائه ومن صور هذا العطاء ما تجود به آيات الموضوع مجتمعة في بناء موضوعي جديد، لكن الصعوبة تكمن في أن على المفسر (أن يلم بكل الآيات الباحثة عن الموضوع الذي نبحث عنه في جميع السور، لأن القرآن الكريم قلما يستوعب الموضوع في بحثه في موضع واحد...، فمن أراد الاستضاءة بهذا القبس الإلهي عليه أن يطلع على مجموع ما نزل من الوحي في موضوع من موضوعاته الحية)P37T[17]271F)TP37، وإن هذا الجمع لا يتأتى لأي أحد بل هو أمر شاق يحتاج إلى معرفة عالية بكتاب الله العزيز وثقافة واسعة تعطي المفسر القدرة على اكتشاف تلك الآيات الملتحمة في سياقاتها وجمعها.

2- وجود مصطلحات جديدة ومسميات حديثة تحتاج إلى دقة في اكتشاف ما يدل عليها من الآيات، فإن التفسير الموضوعي يحاول تقديم اجابات عن مختلف الموضوعات فهو يطرح (موضوعًا من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية و يتجه إلى درسه و تقييمه من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده)P37T[18]272F)TP37، فنحن نعلم أن الكثير من المصطلحات في تلك الجوانب لا نجدها بلفظها في القرآن الكريم من قبيل الديمقراطية أو الرأس مالية وغيرها لذلك يظهر تحدي أمام المفسر في تتبع وجمع الآيات التي تتناول تلك الموضوعات.

ثالثًا: آليات تساعد على الجمع الكامل : ذكر الباحثون آليات عدة يمكن تطبيقها في مرحلة الجمع من شأنها أن تساعد في التغلب على تحديات هذه المرحلة منها تحديد الجذر الثلاثي للموضوع المدروس والبحث عن معانيه في أمهات كتب اللغة، ثم متابعة ورود ذلك الجذر واشتقاقاته وتصريفاته في القرآن الكريم والاستفادة من المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم من قبيل (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي)، بالإضافة إلى أن لرصد أضداد العنوان أو المصطلح أثر مهم فهو يكشف عن مفهوم النص لأن المفهوم يوافق المفردة الضد في منطوقهاP37T273F)TP37[19])، كذلك مرحلة التحليل وكشف المعاني الجزئية بالعودة للتفاسير خصوصًا التي تستعمل منهج تفسير القرآن بالقرآن قد يكشف عن آيات أخرى لها علاقة بالموضوع غابت في عملية الجمع الأول فتُلحق بمجموع آيات الموضوع المدروس.

رابعًا: مثال تطبيقي: إذا أخذنا موضوع التوبة مثالًا وأردنا تفسيره تفسيرًا موضوعيًا فإن دراسته في سورة واحدة - ولتكن سورة التوبة مثلًا- لا يفضي للإلمام بجميع جوانب الموضوع من قبيل شروطه، ولوازمه، ولمن تكون التوبة، ومن لا تقبل منه، وإنما نصل لكل ذلك بضم ما يشير لمعنى التوبة ويدل عليها من قبيل العودة والاستغفار، وكذلك جمع ما يدل على ضدها نحو الإصرار، من سائر القرآن الكريم حينها يكتمل صرح الموضوع فمثلًا نجد أن سورة التوبة بينت أن الله يقبل توبة عباده ﴿أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَ يَأْخُذُ الصَّدَقاتِ وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾P37T274F)TP37[20].

أما سورة النساء فتبين أن للتوبة شروط وأن هنالك من لا تقبل توبته بل هم مستثنون من قبولها فيقول الحق تعالى ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً *وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَ لاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولئِكَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً﴾P37T275F)TP37[21] وعلى هذا النهج مع بقية الموضوع الذي نجده توزع وتكرر في أكثر من (14) سورة قرآنية فلا يمكن أن نصل إلى نتائج سليمة بدون استقصاء آيات الموضوع مجتمعة والتأمل في سياقاتها وجمعها وتحليلها وتركيبها والخروج منها برؤية واضحة شاملة للموضوع المدروس، بل قد نقع في خطأ القراءة الناقصة التي تولد انحرافات عقائدية وفكرية وآثار مدمرة بدون الجمع الكامل لمتعلقات الموضوع.

المطلب الثاني: الجمع أولى بين الآراء التفسيرية:

تأسيسًا على ما تقدم في الفصل السابق إلى أن من مرتكزات التفسير الموضوعي وأصوله المهمة هو العودة والارتكاز على التفسير الموضعي التحليلي للآيات الخاصة بالموضوع المدروس وأن المفسر الموضوعي عند بحثه عن الفهم التفصيلي سيجد نفسه أمام الكثير من الأقوال التفسيرية وحتى يتمكن من الاستفادة وتوظيف تلك الأقوال لأبد من القيام بأحد أمرين إما الجمع أو الترجيح بين أقوال المفسرين.

أولًا: معنى القاعدة : هنا يتناول البحث قاعدة مهمة هي أن الجمع أولى بين الآراء التفسيرية مالم يقطع بوصولها إلى مرحلة التضاد؛ كون التفسير الموضوعي يبحث عن توسعة دلالة الآيات لتعالج مختلف القضايا المعاصرة التي هي في ازدياد مضطرد وهذا ما توفره سعة الاطلاع على التراث التفسيري الموجود بين أيدينا والنظر فيه نظرة الفاحص الدقيق ليتمكن المفسر الموضوعي بعد ذلك من صياغة معنى شامل يستطيع أن يجمع تحته القدر الممكن من الأقوال التفسيرية دون تكلف أو اطناب يخل بالهدف الأساسي للتفسير الموضوعي وهو تقديم رؤية إسلامية محورها القرآن حول الموضوع المدروس يسهل فهمها كمقدمة لتطبيقها في جوانب الحياة المختلفة.

ومما يعزز ما يذهب له البحث أن من الباحثين المختصين من ذهب إلى أن إحدى السمات المميزة للتفسير الموضوعي أنه يشكل معرفة تراكمية جاءت نتيجة حركة علمية امتدت لقرون وأن هذه السمة تمكنه من الجمع بين مناهج تفسيرية عدة وتعطيه الحرية في امكانية الجمع بين النقل والعقل وايجاد صورة تكاملية قائمة على تراث تفسيري ضخمP37T276F)TP37[22]، وقطعًا العودة للتراث التفسيري ومن مناهج عدة سيوفر كمية كبيرة من الأقوال التفسيرية لذا إن الجمع بين الأقوال التفسيرية وإيجاد حصيلة معرفية تستخلص ذلك كله وتصبه في قالب لفظي جديد يأخذ مكانه في بناء الموضوع المدروس ويسهم في صيرورة الهيئة النهائية له، لذلك يعد الجمع ذا أثر مهم بالنسبة للتفسير الموضوعي.

ثانيًا: شروط التوفيق بين الأقوال التفسيرية: إن التوفيق بين الأقوال التفسيرية ليس بالأمر السهل كما قد يتصور؛ خصوصًا إذا ما أراد المفسر الخروج بنتيجة تسهم في معالجة قضايا معاصرة وتقديم رؤية إسلامية قرآنية لها، منطلقًا من التراث التفسيري الممتد لقرون، مراعيًا الإيجاز وعدم الاكتفاء بالجمع كيفما اتفق، لذلك نجد أن للجمع بين الأقوال التفسيرية شروط عدة ذكرها الحربي وهي :

1- أن يكون القائلون بهذه الأقوال من المفسرين المعتبرين عند أهل العلم.
2- ثبوت الأقوال المراد الجمع بينها عن قائليها بوجه صحيح معتبر.
3- أن يكون القائم بالجمع بين الأقوال أهلًا لذلك.
4- أن يكون الوجه الذي جمع به بين الأقوال مأخوذًا من دلالة ألفاظ الآية، وسياقها.
5- أن يكون الوجه الذي جُمع به الأقوال التفسيرية مستوعبًا لها.
6- أن لا تكون المسالك التي جُمع بها بين الأقوال متمحلة، أو بعيدة عن دلالات النص القرآني(P37T[23]277F)TP37.

ويظهر أن الشروط الثلاثة الأولى هي أمور بديهية مفروغ منها ويجب توفرها بكل نتاج يحمل صفة العلمية ويراد له أن يكون رصينًا فما بالك والأمر متعلق بالتفسير، أما الشروط الثلاثة الأخيرة فهي مهمة جدًا ويلزمها عناية خاصة ولها الأثر العملي على صورة ذلك التوفيق وما ينتج عنه، فقد يقع بعض من يحاول ايجاد التوفيق بين الأقوال التفسيرية بتحميل الآيات القرآنية فوق ما تحتمل أو أن دلالة الآية لا تتسع لكل تلك الأقوال، بل قد يكون التفسير الموضوعي أكثر عرضة لخطر تحميل الآية ما لا تحتمل كونه يبحث عن جوانب الحياة المختلفة وإيجاد الآيات التي تعالجها؛ لذلك يلزم من رام ايجاد الشواهد القرآنية المتضمنة لها أن يتحلى بدقة عالية، وأن لا يحمل الآية وسياقها ما لا تحتمل، وأن لا يجمع بين ما يستحيل جمعه.

كما أن نتائج التفسير الموضوعي حتى تعالج مشكلات العصر تحتم على المفسر أن يصوغ تفسيره بلغة يفهمها أبناء هذا الزمان سهلة مستساغة؛ كي يفهموها فهمًا صحيحًا لتنقلهم لمرحلة التطبيق في حياتهم وهي الغاية والمقصد، لذلك نعتقد أهمية شرط أن يكون الجمع مستوعبًا للأقوال التفسيرية، وأن يصب بقوالب لفظية مناسبة تضمن فهما لمتلقي هذا الزمان.

ثالثًا: طرق التوفيق بين الأقوال التفسيرية: بعد معرفة شروط التوفيق بين الأقوال التفسيرية نأتي على ذكر بعض الطرق التي اعتمدها المفسرون في التوفيق بين الأقوال التفسيرية بعض الباحثين(P37T[24]278F)TP37 ثمانية مسالك استقصاها يمكن عدها طرقًا للتوفيق، ويظهر للبحث أن أعظمها أثرًا بالنسبة للتفسير الموضوعي هو أن تجمع تلك الأقوال في وصف أو معنى كلي يحمل خلاصتها، وكذلك يشير إلى إمكانية الجمع إذا كان ذلك الكشف والبيان بالمثال، أو بذكر صفة من صفات ذلك المسمى فلا ضير بالجمع حينها، كما أن الجمع ممكن بحمل اللفظ على كافة دلالاته مطابقةً وتضمنًا والتزامًا، أو بتخريجها على اختلاف موضوع الوقف، أو أن تكون الأقوال متقاربة وحينها سيكون التوفيق أيسر.

فإن تعذر كل ذلك فحينها يصار للترجيح والأخذ بالأقوى الراجح وهو ما تم بيانه في الفصل السابق.

رابعًا: مثال تطبيقي: إن الشواهد على الجمع بين الأقوال التفسيرية كثيرة جدًا لذا سنكتفي بمثال نوضح من خلاله ما ذكر أعلاه من مسالك وطرق للتوفيق ما دامت تلك الأقوال لم تصل إلى حد التعارض أو التضاد ففي معنى المغضوب عليهم والضالين من قوله تعالى ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾(P37T[25]279F)TP37 أقوال تفسيرية أشار صاحب الأمثل وقال أنها ثلاثة نوجزها بأن (الأول: الضّالين هم التائهون العاديّون، و المغضوب عليهم هم المنحرفون المعاندون، أو المنافقون، و لذلك استحقوا لعن الله و غضبه...، والثاني: وذهب جمع من المفسرين إلى أن المقصود من الضَّالِّينَ المنحرفون من النصارى، و الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ المنحرفون من اليهود...، الثالث: من المحتمل أن الضَّالِّينَ إشارة إلى التائهين الذين لا يصرّون على تضليل الآخرين، بينما الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ هم الضالّون و المضلّون الذين يسعون إلى جرّ الآخرين نحو هاوية الانحراف)(P37T[26]280F)TP37.

هذه هي الأقوال الثلاثة التي عرضها وبين أن من الروايات ما توافق الرأي الثاني ليختم بيانه بأن (التّفسير الأول أجمع من التّفسيرين التاليين، بل إن التّفسيرين التاليين يتحركان على مستوى التطبيق للتفسير الأول. و لا دليل لتحديد نطاق المفهوم الواسع للآية)P37T(27)281F/TP37.

وبتأمل الخلاصة نلحظ أن للفظي كل من المغضوب عليهم والضالين، لهما من السعة ما تمكنهما من جمع الأقوال الثلاثة وأن انطباق الآية على مصداق معين في القول الثاني لا يحصرها في ذلك المصداق وفق ما علمنا من الجري والتطبيق بل يجري مجرى المثال في بيان بعض الآيات، والقول الثالث قريب من المعنى الأول وعليه يمكن للمفسر الموضوعي أن يصوغ تلك الأقوال في قول جامع ومعنى كلي بما يخدم الموضوع الذي يدرسه فتتحق له سعة أكبر مما لو توقف عند النقل مثلًا واكتفى به.

المطلب الثالث: جريان الآية وانطباقها على مصاديق عدة:

لما كان الإسلام هو الدين الخاتم والقرآن هو معجزة هذا الدين ودستوره الباقي إلى قيام الساعة فإن لازم ذلك أن يكون القرآن كتابًا حيًا خالدًا لا تنفد عجائبه وقد ناقش البحث هذه الحقيقة بتفصيل في الفصل السابق وقدم لها حججها وأدلتها.

أولًا: معنى القاعدة: هذه القاعدة تنبثق عن أصل معرفي مهم وهو شمولية القرآن الكريم وصلاحيته لكل زمان ومكان، وهي مهمة جدًا للتفسير الموضوعي؛ لأنه يسعى لبحث موضوعات الحياة المتكثرة وتقديم اجابات قرآنية لها، فتشكل تلك الموضوعات بالنسبة لآياتها مصاديق تنطبق عليها أحكام القرآن الكريم وسننه وتعاليمه لكنها لا تقف عندها بل تتعادها مع الزمن لمصاديق أخرى يكتشفها العالم المخلص صاحب الذهنية الوقادة والكاشف الماهر فتلك العالمية للقرآن الكريم ميزته بخصائص إنماز بها عن الكتب السماوية الأخرى في أنه يتعدى حدود المعرفة البشرية وكذلك يتعدى حدود المكان والزمان وللوقوف على معنى القاعدة نقف عند مفهوم جزأيها أي الجري والتطبيق ونبينها بحسب الآتي:

1- الجري: عرفه ميبدي بأنه : (انطباق ألفاظ القرآن وآياته على غير ما نزل فيه)P37T(28)282F/TP37،وعرفه المازندراني بتفصيل بأنه: (جريان كبريات الآيات القرآنية و سريان المفاهيم الكلية المستفادة منها في جميع مصاديقها العرضية المتحقّقة في زمان الوحي والطولية الحادثة في عمود الزمان، وشمول إطلاقاتها وعموماتها لتمام الأفراد المستحدثة في خلال القرون وطيّ الأعصار إلى يوم القيامة، وعدم اختصاص مداليلها الكلية بموارد و أسباب نزولها و لا بزمان نزول الوحي وعصر النبيّ صلّى الله عليه و آله و الصحابي)P37T(29)283F/TP37.

ويشير التعريفان إلى اتساع مفهوم الآية لتشمل مصاديق جديدة غير ما أعتبر مصداقًا أكبر أو سببًا لنزولها وبهذا فإن الآية تجري على أعيان جديدة التقت مع ما نزلت فيه الآية ودخلت ضمن معناها ومفهومها الكلي.

2- التطبيق: له في الاصطلاح أكثر من تعريف لكن ما نعنيه في هذه القاعدة هو: (انطباق الآية على فرد خاصّ)P37T(30)284F/TP37، أي أن لهذه الآية سبب نزول أو مصداق أتم أعلى انطبقت عليه لكن مفهومها لا يمنع من إرادة غير ذلك المصداق وجريانها إليه.

أن مقضى كون الرسالة المحمدية هي الخاتمة وكون القرآن خالدًا يلزم ذلك أن تجري آياته وتستوعب معانيه العامة الكلية الأزمان المختلفة كما أن من الروايات الشريفة ما يمكن عدها حجر الأساس لهذه القاعدة فقد حملت في طياتها معناها العام منها ما روي عن الإمام الباقر عليه السّلام: (وَ لَوْ أَنَّ آيَةً نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ ثُمَّ مَاتُوا أُولَئِكَ مَاتَتِ الْآيَةُ إِذَا مَا بَقِيَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ إِنَّ الْقُرْآنَ يَجْرِي مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَ آخِرِهِ إِلَى أَوَّلِهِ مَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ)P(31)F285.

وعلى مستوى التطبيق العملي ما جاء في سؤال ((عُمَرَ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع- ﴿ الَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ قَالَ نَزَلَتْ فِي رَحِمِ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَ آلِهِ السَّلَامُ وَ قَدْ تَكُونُ فِي قَرَابَتِكَ ثُمَّ قَالَ فَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ إِنَّهُ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ))P37T(32)286F/TP37.

فإن الرواية الشريفة وإن ذكرت المصداق الأكمل لوجوب الصلة إلا أنها بينت جريانها في أقارب السائل وهي جارية في زماننا إلى يوم القيامة.

ثانيًا: مثال تطبيقي: من الأمثلة البينة على جريان الآيات وانطباقها قوله تعالى:﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمينَ﴾P37T(33)287F)TP37 ، فقد جاء في سبب نزول الآية أنها (نزلت في الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط، بعثه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و سلم إلى بني المُصْطَلِق مصدِّقاً، و كان بينه و بينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع القوم ﴿به﴾ تلقوه تعظيماً للَّه تعالى و لرسوله، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله، فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و سلم و قال: إن بني المُصْطَلِق قد منعوا صدقاتهم و أرادوا قتلي. فغضب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و سلم و همَّ أن يغزوهم، فبلغ القومَ رجوعه، فأتوا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و سلم و قالوا: سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه و نكرمه و نؤدي إليه ما قِبَلَنا مِنْ حقِّ اللَّه تعالى، فبدا له في الرجوع، فخشينا أن يكون إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك بغضب غضبته علينا، و إنا نعوذ باللَّه من غضبه و غضب رسوله فأنزل اللَّه تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ يعني الوليد بن عقبة)P37T(34)288F)TP37.

فالآية المباركة وإن كانت نزلت في شخص محدد تنطبق عليه لكنها جارية في أمثاله ممن حمل صفة الفسق إلى يوم القيامة، وأن مضامينها وهداياتها خالدة خلود القرآن الكريم ومن هدي الآية نعلم أنه (لكي نحصن المجتمع الاسلامي من التهافت و التآكل لا بد أن ننمي فيه احترام القيادة الشرعية، و نحصنه من إشاعات الفاسقين الذين دأبهم تخريب العلاقات)P37T(35)289F)TP37، ويمكن تطبيقها على مختلف الأنباء التي تنقل من غير أهل الصلاح والتي نحتاج إلى التحقق منها والتفتيش دقيقًا في مضامينها وما سيتركه السير بهدي هذه الآية فحسب من آثار عظيمة على أبناء المجتمع المسلم فكيف إذا أجرى آيات القرآن الكريم وجعل منها النور الذي يسلكه وهذه إحدى غايات التفسير عمومًا والتفسير الموضوعي على وجه الخصوص.

المطلب الرابع: نتاج تفسير القرآن بالقرآن مقدم على غيره

إن من المصادر الأساسية التي يقوم عليها التفسير الموضوعي هو القرآن الكريم بل هو عماد الموضوع وقوامه، وإذا كان كذلك لزم تقديم نتائج المنهج القرآني على غيره.

أولًا: معنى القاعدة: ويُقصد بالقاعدة أن يكون القرآن الكريم هو المحور الأساس وأن بقية المصادر تكون هي السائد للموضوع فالمنهج القرآني الذي يعني (مقابلة الآية بالآية والنص بالنص بهدف الوصول إلى المراد من معاني القرآن)P37T(36)290F)TP37 مقدم على غيره فما تقدمه الآيات من هدايات ونتائج وما تفرزه من معطيات هو الذي يمثل المحور الذي تدور حوله بقية المناهج مساهمة في زيادة البيان والتفصيل أو التأييد بالنسبة للتفسير الموضوعي وإن عارضته فيقدم تفسير القرآن بالقرآن عليها جميعًا فـ(لا ريب أن تفسير القرآن بالقرآن هو لب التفسير الموضوعي وأعلى ثمراته)P37T(37)291F)TP37.

إن الحديث في أدلة صحة هذا المنهج والتي هي ضرورة لهذه القاعدة أحلناها للفصل اللاحق عند الحديث عن القرآن بعده مصدرًا من مصادر التفسير فالفصل أُفرد للبحث المفصل في مصادر التفسير الموضوعي والبنائي وأدلتها وكيفية الإفادة منها لكل من نوعي التفسير مدار البحث، لكن ما يلزم التأكيد عليه لتمام هذه القاعدة أن التفسير الموضوعي قائم في ذاته ووجوده على القرآن الكريم فهو هيكل الموضوع وأساسه المتين ولولا هذا الأمر لخرج الموضوع المدروس عن قرآنيته ، وهذا ما أشار له الدكتور عبد الستار فتح الله فبعد أن يقرر أن التفسير الموضوعي هو تفسير القرآن بالقرآن يشترط أن تكون جميع عناصر الموضوع قرآنية مستوحاة من آيات الموضوع المدروس ومنقادة لها، وينبه على أن دور السنة النبوية وكذلك المأثور من أقوال الصحابة والتابعين أو العلماء هو دور الشارح والمبين لتلك الآيات وليس دور المنشأ لعنصر من عناصر الموضوع ويعلل ذلك بالحفاظ على قرآنية الموضوع المدروسP37T(38)292F)TP37، والبحث يتفق مع أن تكون الأولوية في تلك المناهج للمنهج القرآني مع عدم إغفال ما لبقية من دور كبير في الكشف عن الموضوع.

إن مقتضى هذه القاعدة نابع من أصل تفسيري مهم وهو شمول القرآن الكريم وخلوده ولزوم أن تكون زمام الإنسان منقادة له فيفلح المفسر الذي ((أَمْكَنَ الْكِتابَ مِنْ زِمامِهِ، فَهُوَ قائِدُهُ وَإِمامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ، وَيَنْزِلُ حَيْثُ كانَ مَنْزِلُهُ))P37T(39)293F)TP37، فعلى المفسر أن يتبنى بثقة عالية ما ينتجه التفسير

الموضوعي من حقائق قرآنية فهو الصدق والحق، وينطلق لتقويم الواقع وفقها وليس العكس بأن يحكم القرآن الكريم بنظريات الفكر البشري التي أثبتت فشلها وتبدلها بين الحين والآخر، فوفق هذا الإيمان يكون المفسر قادرًا على الدفاع عن هذه المعطيات القرآنية ودفع ما يقع في طريقها من شبهات فلا يمكن اخضاع القرآن الكريم للتجربة البشرية(P37T(40)294F)TP37، بل إن التفسير الموضوعي يهدف إلى استخراج رؤية القرآن الكريم تجاه تلك التجربة فيكون هو الحاكم عليها والمُقَدَم وليس العكس.

ثانيًا: مثال تطبيقي: إن عرض مثال تطبيقي يكون بمثابة الشاهد في هذا الموضوع لا يسعه المقام لذا نحيل إلى موضوع (الاجتماع) الذي تناولته موسوعة التفسير الموضوعي(P37T(41)295F)TP37، مع الوقوف على تحليل موجز يتوافق مع ما عرضناه في هذه القاعدة فنجد أن تقسيمات الموضوع جاءت تبعًا لما شمله الموضوع من آيات فلم نرَ قسمًا لا رئيسًا ولا فرعيًا قد خلا من شاهد قرآني بل كان الشاهد هو المحور الذي دارت عليه كل أقسام الموضوع من أسباب الاجتماع، وأنواعه، ومعوقات المحمود منه، وصولًا إلى الاجتماع يوم القيامة، كلها كانت منساقة لما تجود به الآيات المتعلقة بالموضوع من أفكار حول أبعاد هذا الموضوع قرآنيًا، وإلا لو أريد عرضه ودراسته وفق نظريات علم الاجتماع مثلًا للزم أن يتسع الموضوع أضعافًا كثيرة، أو لأغفلنا البحث عن (اجتماع الآخرة) مثلًا باعتباره خارج عن دائرة البحث عند علماء الاجتماع، ولكن بما أن البحث تفسير موضوعي لزم استقصاء جميع جوانب الموضوع وصوره ومنها ما عرضه القرآن الكريم من اجتماع يوم القيامة.

المطلب الخامس: السورة القرآنية وحدة واحدة مترابطة الموضوعات والأجزاء:

ذكرنا في التمهيد أن من الباحثين من جعل البحث في بناء السورة وموضوعها وترابط أجزاءها جزء من التفسير الموضوعي سماه التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، وهو قائم في أساسه على هذه

أولًا: معنى القاعدة: تتضمن هذه القاعدة في تطبيقها خطوات ثلاث متتابعة وهي: المقدمة أو ما اصطلحوا عليه (بين يدي السورة، والتفسير الإجمالي للمقاطع، والهدايات المستنبطة من المقطع)(P37T(42)296F)TP37، وسنتناولها بالتفصيل، ونأخذ من سورة الكهف المباركة مثالًا تطبيقيًا نحلله لندرك الآثار المترتبة عن تلك الخطوات وما العلاقة بينها وبين معرفة بناء السورة وترابط أجزاءها وما يمكن أن تفضي له تلك الخطوات من نتائج وهي:

1- المقدمة أو ما اصطلحوا عليه (بين يدي السورة): وتتضمن عدد من المعطيات تسهم مجتمعة - كما يرى من وضعوا الأساس النظري وأردفوه بالنتاج التطبيقي لهذا القسم من التفسير الموضوعي- بالكشف عن المحور الجامع لأجزاء السورة بغض النظر عن مسماه وما اصطلحوا عليه فمنهم من يسميه محور السورة العام أو هدفها أو موضوعها وغيرها من المسميات وهذه المقدمة تشمل في العادة أمور عدة منها:

أ- اسم السورة أو أسمائها إن كان لها أكثر من اسم يعد من القرائن الدالة على محور السورة والخيط الناظم لأجزائها أو الهدف العام لها، ولا يقصد باسمها ما ذكر في المصحف كعنوان فقط وإنما ما ثبت توقيفًا من أسمائها، غير أن هذا الموضوع فيه خلاف وغير متفق على أن اسم السورة بالضرورة يدل على محورها(P37T(43)297F)TP37، لكنه يبقى من الدلائل على ذلك.

ب- معرفة بيئة السورة: أي هل أن السورة مكية أم مدنية، وهل هي من أول ما نزل من القرآن الكريم أم من الأواخر، وغير ذلك من ظروف النزول وبيئته لأن هنالك موضوعات عالجتها السور المكية من قبيل تثبيت أصول العقيدة والدعوة للتوحيد وبيان البراهين الدالة على صدق الرسالة وهنالك موضوعات عالجتها السور المدنية كالعلاقة مع غير المسلمين، أو فضح المنافقين، أو بيان تفاصيل الشريعة وأحكامها والسعي لبناء المجتمع المسلم الذي اتسع وكبر بعد الهجرة إلى المدينة، وتبقى هذه الموضوعات سمات غالبة على تلك السور، لكن معرفة مرحلة نزول هذه السورة يسلط أضواءً قد يهتدي بها المفسر إلى موضوع أو موضوعات مقاطع السورة والجامع بينها(P37T(44)298F)TP37.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

ت- خصائص السورة وفضائلها: فقد تكون خصائص بعض السور وفضائلها الواردة في السنة الشريفة سببًا في الكشف عن محور السورة والاهتداء لمحورها الأساسP37T[45]299F)TP37T.

ث- معرفة سبب النزول: إن معرفة سبب النزول سواء نزول السورة أو مجموعة من الآيات يسهم في مزيد كشف عن محور السورة وما عالجته من موضوعات حول قضايا واكبت زمن النزول وما قد ينتج عن ذلك من هدايات ينكشف من خلاله السور الجامع لأجزاء السورة الواحدةP37T[46]300F)TP37T.

ج- تحديد محور السورة والكشف عن مناسباتها: إن ما سبق من معطيات كلها تفضي للكشف عن محور السورة ولعل من أهم الكواشف هو دراسة أجزاء السورة أي: دراسة العلاقة بين الآية ومثيلاتها وكذلك الآيات داخل المقطع الواحد ومجموعة المقاطع المكونة لبناء السورة وعدها من أهم الكواشف؛ لأنها نتائج نبعت من داخل النص القرآني وليس من خارجه، ثم نسعى للكشف عن المناسبات داخل السورة ومنها المناسبة بين بداية ونهاية السورة وبين مقاطعها وبين تلك المقاطع والمحور الذي تدور حوله وكيف تعانقت حتى صارت بناءً متماسكًاP37T[47]301F)TP37T.

1- **التفسير الإجمالي للمقاطع:** يعد تقسيم السورة على مقاطع أمرًا ضروريًا ومهمًا لأنه يسهم في فهم أعمق لتلك المقاطع ومن ثم إيجاد الصلة والعلاقة بينها وبين محور السورة، والمعيار الذي ينبغي أن يتبع هو المعيار الموضوعي أي أن تلك الآيات تدور في فلك فكرة واحدة لا على أساس عدد الآيات أو الصفحات فقد تطول أو تقصر تبعًا للمعنى الجامع لها، ومن الأمور التي تساعد في ذلك هو العودة للجهود التفسيرية السابقة التي ذكرت المناسبات بين آيات السور ومقاطع السورة الواحدة، كما يلتزم في التفسير الإجمالي بالأخذ من المصادر التفسيرية المعتبرة في الكشف والربط بين أجزاء تلك المقاطع وابراز ما تجود به من هداياتP37T[48]302F)TP37T، وهذه مرحلة مهمة غير أن الإستغراق فيها يجعلها تنتمي للتفسير التجزيئي المفصل للآيات ويخرجها عن التفسير الموضوعي الذي يفترض أنه يختلف عن ذلك النوع من التفسير.

2- **الهدايات المستنبطة:** ونلحظ من خلال المراقبة للتجربة العملية أن المفسر يخلص لاستخراج جملة من الهدايات التي جادت بها آيات ومقاطع السورة ليختم بها رحلته مع السورة نحو ما تضمنه كتاب التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم مثال الهدايات في سورة الفاتحة، أو ببيان الهدايات بعد كل مقطع من مقاطع السورة كما في السور الطوالP37T[49]303F)TP37T.

ثانيًا: مثال تطبيقي: بيَّنا في مستهل هذه القاعدة أننا سنتابع انطباق خطواتها وجريانها من خلال تتبع سورة الكهف المباركة في الدراسات التطبيقية لهذا النوع من التفسير الموضوعي، كونها سورة طويلة نسبيًا، وأن الناظر لها لا يدرك بسهولة العلاقة بين مقاطع السورة فما الرابط بين أصحاب الكهف وذي القرنين أو الجامع بين قصة النبي موسى والعالم (عليهما السلام) من جهة وقصة صاحب الجنتين، وما العلاقة بين هذا كله وبين الافتتاحية أو مقدمة السورة التي تتحدث عن القرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وآله وعن من ادعى أن لله الولد وزينة الحياة الدنيا، كما أن هنالك سببًا منهجيًا وهو أن هذه السورة وجدتها في أكثر من دراسة تطبيقية وبالتالي يمكنني المقارنة بينها وبين الدراسات الأخرى وأيهم كان الأقرب لتحقيق هدف التفسير الموضوعي أو انطبقت عليه القاعدة، لعل هذه أهم الأسباب التي تقف خلف اختيار هذه السورة.

1- المرحلة الأولى: بين يدي السورة

وإذا نظرنا للمقدمة في دراسة السورة أو ما يسمى بين يدي السورة فإنها استغرق عند الدكتور مصطفى مسلم أكثر من 20 صفحة تحدث فيها عن ما تشتمل عليه المقدمة فذكر اسم السورة وهي الكهف الذي عصم الفتية كما ذكر مجموعة من الروايات التي تتحدث عن عصمة من قرأ هذه السورة أو بعض آياتها من فتنة المسيح الدجال ثم تحدث عن بيئة النزول وانها مكية لتكون معالم الموضوعات المكية حاضرة في المحور وتشكل الهدف الأساس للسورة، وذكر أسباب النزول ومنها أن قريش أرسلت إلى المدينة حيث اليهود والنصارى تستعلم منهم صدق النبي صلى الله عليه وآله وأعطوهم أسئلة ومنها عن ذي القرنين وأصحاب السبت واستدل من اسباب النزول على اختلال القيم المعرفية لدى المشركين ومن ثم من جميع

تلك المعطيات وبالتأكيد معها التأمل في مقاطع السورة استطاع أن يحدد محورها والذي أسماه (القيم في ضوء سورة الكهف) وبعد تحديد المحور أوجد المناسبات بين اسم السورة ومحورها وأجزائها، وكل ذلك قبل أن يشرع ببيان تلك المقاطع أو تفصيلها إجمالًا والذي يأتي في مرحلة لاحقة كما بينا في الخطوات أعلاه.

ويلاحظ أنه أطال كثيرًا في تلك المقدمة وأن محوره كان مشتقًا من اسم السورة ورواية العصمة من الضلال مع سبب النزول وأنه أوجد عنوانًا جديدًا فهم من محتوى السورة ولعله جعله جامعًا لأهدافها المشتملة على الدعوة للتوحيد ونبذ الشرك والإيمان باليوم الآخر وتصديق برسالة النبي صلى الله عليه وآله وهي مختصر ما يراه الدكتور مصطفى مسلم من أهداف للسورةP37T(50)304F)TP37.

ومع الانتقال إلى تحليل السورة في كتاب التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم فإن البحث يرصد في التمهيد اختصارًا أكبر من سابقه فرغم اشتمال التمهيد على كل ما ذكر مصطفى مسلم من مقدمات وتضمنه لكل ما خلص له من نتائج إلا أنها لم تتعدى سبع صفحات سجلت فيها كل ما أدرج في التمهيد، أما محور السورة فهو (العصمة من الفتن والنجاة من شرورها) وهو أيضًا نتاج للممهدات التي تدرس بين يدي السورة والتي من خلالها خلص مصطفى مسلم لمحوره ولكن يظهر أن هذا المحور أقرب من سابقة لاتفاقه مع ما ذكرت السورة من ألوان الفتن والإختباراتP37T(51)305F)TP37، وأن مواقف أبطال القصص تمثل نماذج عملية تمكن المقتدي بالصالحين منهم والمبتعد عن درب الطالحين من الخلاص وعدم السقوط في فتن عظيمة ذكرتها السورة وحذرت منها كعدم الإيمان أو الغرور المفضي للكفر وغيرها من المحطات المهمة.

2- المرحلة الثانية التفسير الاجمالي للمقاطع

فنجد كتاب التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم قسم السورة القرآنية إلى تسع مقاطع توزعت عليه آيات السورة غير أن التفسير لم يكن اجماليًا بل كان عامًا وأطال أحيانًا وذكر ما لا علاقة له بالكشف كأبيات شعرية زاد بعضها على العشرة وهي ليست على سبيل الشاهد وإنما لأنها حملت أفكارًا التقت مع ما استنتجه من آية ماP37T(52)306F)TP37ولا ضرورة لها في البحث عن ترابط السورة وتماسك اجزائها سوى أنها تكشف عن لون أدبي لدى المفسر، بل نجده في تفصيل بعض الآيات قريبًا جدًا من أي تفسير تجزيئي تفصيلي فلم يرتكز على هدفه الأساس وهو ايجاد الترابط في بناء السورة والوشائج بين موضوعاتها مع استخراج الهدايات والالتزام بقرآنية الموضوع وعدم الخروج للمناهج الأخرى إلا بشكل الساند والمعزز، فرغم ما أوجده من هدايات لكنها موجودة في ثنايا التفسير التجزيئي بصورة مماثلة ويفترض أن هذا النوع هو من الموضوعي الذي له ما يميزه حتى يكون قسيمًا لهP37T(53)307F)TP37، ويرى البحث أن المفسر يحسب له ما كان يثبته تحت عنوان المناسبة في كل مقطع فهو في صميم هذه الدراسة والتركيز عليه والاكتفاء بالتفسير الإجمالي للآيات كان أولى وأجلى لتحقيق الهدف من هذا النوع من التفسير الموضوعي لمن عده منه.

أما مصطفى مسلم فليس ببعيد في تحليله لسورة الكهف عن سابقه وقد قسم السورة إلى ست أجزاء افتتاحية وخاتمة وخمسة مقاطع: دار الأول منها عن قصة الفتية، والثاني عن صاحب الجنة وعنونه بعنوان مفارقات ومواقف بواعث العزة، وكيفية إنكار صاحب الجنتين للبعث بسبب الغرور بزينة الدنيا وكيف أهلكها الله بلحظة واحدة وأن الباقيات هي الصالحات دون غيرها ليأتي المقطع الثالث والذي عنون بوقفة تأمل في المآل والمصير متمم وملتحم مع هذا المقطع وهو يعرض جملة من صور القيامة والحساب ويأتي المقطع الرابع حاملًا قيمة مهمة وهي قيمة العلم وتعلمه وما ينبغي على المتعلم تحمله في هذا الطريق وأن فوق كل ذي علم عليم وكل تلك القيم تحتشد في قصة موسى والعالم ورحلتهما، ثم يأتي المقطع الأخير والذي تضمن قصة ذي القرنين والأسباب التي هيئها الله له بهدف رعاية مصالح العباد وبذلك التقت مع القصة السابقة التي حوت جملة من الأحداث التي تناولت رعاية مصالح الباد من خلال علم أفاضه الله على عبد من عباده كما التقت مع قصة الفتية بعلاقة التضاد من حيث أنها مثلت قيمة الحاكم العادل قبال الحاكم الظالم المنحرف في قصة الفتية، كذلك موقف ذي القرنين وما فعله تجاه نعم الله ومقابلتها بالشكر بخلاف صاحب الجنتين الذي قابل نعم الله بالكفر، ومن ثم عرض خاتمة السورة وربطها بأجزاء السورة ليتم بذلك

اتحاد المقاطع ونجد التفسير الإجمالي عند مصطفى مسلم يدور حول استخراج قيم من تلك المواقف والأحداث والمقاطع تتسق مع العنوان الذي اختاره وهو القيم في سورة الكهف والذي عده محورًا رابطًا لأحداث السورة ولم يخلوا التفسير الإجمالي من اطالة في بعض المقاطع وكان يمكن اختصارها ومن أمثال ذلك الاستطراد بثلاث صفحات للحديث عن قصة يوسف عقب الحديث عن قصة الفتية بهدف بيان العبرة من الإرجاء والتأخير الذي يحدث في تحقيق بعض ما يطلبه الأنبياء ومنها التأخير في إعلام الله للنبي صلى الله عليه وآله عن سؤال قريش له حول اصحاب الكهفP37T(54308F)TP37، وكذلك عقب قصة ذي القرنين بالبحث في تفاصيل لم يذكرها القرآن الكريم منها الحديث عن اسمه ومكان السد ويأجوج ومأجوج وهي أشياء خارجة عن أصل بحثه وهو القيم في سورة الكهف وقد أفرد لها (12) صفحة ولم أجد فيها إضافة حقيقة لما بحثه وبينه التفسير الإجمالي في هذا المقطعP37T(55309F)TP37، ويبقى أن ما قدمته كلا الدراستين في المرحلة الثانية وهي التفسير الإجمالي جهد كبير قد فتش في التراث التفسيري والروائي وحاول أن يكشف عن مراد الله في هذه السورة، وأن يبين مقاطعها وكذلك ربط تلك المقاطع مع بعض وقدم هدايات كثيرة مستوحاة من المقاطع وذات أثر كبير لمن أراد أن يستنير بضيائها، ولعل المطالع يدرك عند متابعة التفسير الإجمالي حضورًا كبيرًا للروايات وإن لم تحضر فنجد ظلالها واضحة في الغالب ويمكن أن يعزو البحث ذلك لأن قوام المقاطع كان قائمًا على أربع قصص نجهل معرفتها وأسلم طريق لذلك هو الأثر الذي نقطع بصدورها عن المعصوم.

3- المرحلة الثالثة: استخراج الهدايات

فهي في الدراستين كانت تعقب كل مقطع باستخراج بعض هدايته وما يمكن أن يستنتج منه كدروس وعبر وتندرج بنقاط قبيل البدء بالمقطع الثانيP37T(56)310F)TP37، وكان بالإمكان الإشارة إليها في ثنايا البيان مراعاة للإيجاز وعدم التكرار وترك القارئ يصوغ تلك الهدايات التي بينها المفسر ويكون ذا دور إيجابي تفاعلي مع النص التفسيري الذي ولابد وأن يترك أثر في نفس المطالع له.

الخاتمة

1- يعد النص القرآني هو المرتكز الأساس والقاعدة التي يقوم عليها كل من التفسير الموضوعي بشقيه وأن المفسر ملزم في كليهما أن يبقى مرتبطًا بالنص ولا يخرج عنه إلا بحدود ما يعزز به معطيات النص القرآني.

2- إن القاعدة الأساس في التفسير الموضوعي (الكشفي) قائمة على أن السورة القرآنية وحدة واحدة لها شخصيتها ومحورها الخاص، وأن هنالك تناسب وتجانس بين موضوعاتها وأجزائها، فكل مقطع داخل السورة متصل بما قبله وما بعده من خلال عمود السورة أو محورها الجامع لها.

3- إن دراسة السورة ذات الموضوعات المتعددة يستلزم تقسيمها إلى مقاطع ويجب أن يتبع الأساس الموضوعي ووحدة الفكرة في هذا التقسيم وليس على حساب عدد الآيات أو غيرها فقد يطول المقطع ويقصر وفق ما يمليه الموضوع.

4- توظيف النتاج التفسيري التجزيئي والإستفادة منه في تحصيل المعاني الجزئية والتي تمثل مرحلة مهمة تسهم في ابراز معالم الموضوع وكشف عناصره كما أنها تسهم في تجلية المعنى الكلي أو المحور العام للسورة القرآنية، وهو يعد من لبنات بناء المعنى الإجمالي بالنسبة للتفسير الموضوعي.

5- التفسير الموضوعي يغاير التفسير التجزيئي بالغاية والهدف والشكل كون الموضوعي يسعى للكشف عن مراد الله حول موضوع ما، أو مراده عز وجل من كل سورة في كتابه، وهو بذلك يقدمان معطىً جديدًا يضاف لما قدمه التفسير التجزيئي.

6- يختلف التفسير الموضوعي بنوعه الباحث عن الموضوع مع القسم الكشفي بأن مساحة بحثه الأول تتعدى حدود السورة الواحدة بل أنه يبحث عن الموضوع في كل القرآن الكريم.

7- إن التمهيد في التفسير الموضوعي (الكشفي) يتضمن مطالب عدة من قبيل فضل السورة واسباب نزولها وأسمائها وإن كانت مكية أو مدنية ومحورها والمناسبة بين أجزائها كل ذلك في التمهيد الأمر الذي يجعله يطول جدًا بالنحو الذي بيناه سابقًا الأمر الذي قد يضيع على المطالع تتبع الخيط الناظم

لأجزاء السورة الواحدة وكذلك الأمر في البيان الإجمالي للمقاطع نجد الموضوعي الكشفي ومن خلال النماذج المدروسة يفصل كثيرًا للحد الذي يجعل المطالع للموضوع لا يميز بينه وبين التفسير التجزيئي المطول، الأمر الذي يدخل القارئ بتفاصيل تجعل وضوح الترابط يغيب عن ذهنه.

الهوامش

(1) ظ: العين: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت 175 ه)، دار الهجرة ، قم – ايران، الطبعة الثانية، 1409 ه،143/1. معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، أحمد بن فارس (ت: 395 ه)، مكتب الاعلام الاسلامي، قم- ايران، 1404ه: 109/5.

(2) لسان العرب : بن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت 711 ه)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة،1414 ه، 361/3.

(3) التعريفات: الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (ت: 816ه) تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر : دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1403ه 171.

(4) معجم ألفاظ الفقه الجعفري :د. فتح الله ، أحمد، مطابع المدوخل، الدمام – السعودية، الطبعة الاولى، ١٤١٥ ه: 327.

(5) مفاتيح التفسير: الخطيب، أ.د. أحمد سعد، دار التدمرية، الرياض- السعودية، الطبعة الأولى، 1431ه: 655.

(6) قواعد التفسير لدى الشيعة و السنة: فاكر ميبدي، محمد، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونية الثقافية، مركز التحقيقات و الدراسات العلمية، طهران إيران، الطبعة الأولى ١٣٨٥ش،35.

(7) الموافقات: الشاطبي اللخمي الغرناطي، إبراهيم بن موسى بن محمد (ت: 790ه) تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، 1417ه: 84/1.

(8) المصدر نفسه: 83/1.

(9) قواعد التفسير لدى الشيعة و السنة: فاكر ميبدي: 34.

(10) المدخل الفقهي العام: الزرقا، مصطفى أحمد، دار القلم، دمشق – سوريا، الطبعة الثانية، 1425ه: 2/ 965.

(11) أصول التفسير (دراسة في المبادئ العامة والضوابط والقواعد): الفتلاوي، أ.م.د. محمد كاظم حسين ، دار حدود للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، مطبعة دار الرافد للطباعة بغداد، الطبعة الأولى، 1441ه،170.

(12) دروس في القواعد التفسيرية: المازندراني، علي أكبر، ، الجزء: ١، الصفحة: ١٦٤، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم. مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، 1428 الهجري

(13) قواعد التفسير : السبت، خالد ابن عبد الرحمن، دار ابن عفان للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، (د.ت)، 30/1.

(14) منطق تفسير القرآن (اصول وقواعد التفسير): رضائي، محمد علي، تعريب: أحمد الأزرقي وهاشم أبو خمسين، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، قم – إيران، الطبعة الثانية: 1436ه: 212.

(15) أصول التفسير (دراسة في المبادئ العامة والضوابط والقواعد): الفتلاوي، أ.م.د. محمد كاظم حسين ، دار حدود للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، مطبعة دار الرافد للطباعة بغداد، الطبعة الأولى، 1441ه،261.

(16) مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق- سوريا، 1426ه،16.

(17) المدخل إلى تفسير الموضوعي للقرآن الكريم: الأبطحي: محمد باقر الموحد، دار الآداب في النجف الأشرف، الطبعة الأولى، 1389ه، 1/ 8-9

(18) المدرسة القرآنية: الصدر، محمد باقر، 17.

(19) ظ: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح ، 72-76. ظ: الأصول المنهجية للتفسير الموضوعي في القرآن الكريم: د مرتضى جمال الدين، 205.

[20] سورة التوبة: الآية 104.

[21] سورة النساء: الآيتان 17-18.

[22] ظ: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وموضوعاته: أ.د. حكمت عبيد الخفاجي، 122-124.

[23] أقوال المفسرين توجيهها ومسالك التوفيق بينها: الحربي: 15-16.

[24] ظ: المصدر نفسه: 17-41.

[25] سورة الفاتحة: الآية 7.

[26] الأمثل : الشيرازي، ناصر مكارم، 1/60-61.

[27] الأمثل : الشيرازي، ناصر مكارم: 61.

[28] قواعد التفسير لدى الشيعة و السنة: فاكر ميبدي: 292.

[29] دروس في القواعد التفسيرية: المازندراني، 1/209.

[30] المصدر نفسه: 1/294.

[31] تفسير فرات الكوفي: الكوفي، فرات بن ابراهيم ، 38-39.

[32] الكافي: الكليني، 2/156.

[33] سورة الحجرات: الآية 6.

[34] أسباب نزول القرآن: الواحدي النيشابوري، علي بن أحمد، تحقيق: كمال البسيوني الزغلول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ، 1411 هـ، 407.

[35] من هدى القرآن: المدرسي، محمد تقي، دار محبي الحسين، طهران– إيران، الطبعة الأولى، 1419هـ، 13/374.

[36] أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره : محمد مصطفوي، 76.

[37] مناهج المفسرين دراسة في النظرية والتطبيق: الفتلاوي، أ.م. د. محمد كاظم حسين، دار حدود، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية، 2020م، 178.

[38] ظ: المدخل إلى التفسير الموضوعي : د. عبد الستار فتح الله سعيد، 67-70.

[39] نهج البلاغة الخطبة 86.

[40] ظ: المدرسة القرآنية: الصدر، محمد باقر،28. ظ: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح ، 91.

[41] موسوعة التفسير الموضوعي: مجموعة من الباحثين، 1/324-370.

[42] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: ،1/ المقدمة.

[43] ظ: مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم، 41-42.

[44] ظ: الموسوعة القرآنية خصائص السور: شرف الدين، جعفر، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت – لبنان ١٤٢٠هـ، 3/ 5-6. ظ: المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير و مصادره، الحسن، أ.د. محمد علي، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ١٤٢١هـ، 96-99.

[45] ظ: التفسير الموضوعي المفهوم والمنهج: مركز المعارف للمناهج والمتون العلمية، دار المعارف الاسلامية الثقافية، الطبعة الأولى، 1441هـ،81.

[46] ظ: التدبر الموضوعي في القرآن الكريم : آل موسى، علي، 443-445.

[47] ظ: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: 1/ المقدمة.

(48) المصدر نفسه: 1/ج. ظ: المصدر السابق: 470.

(49) ظ: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: مجموعة من الباحثين: 1/ 17-18 و397-402.

(50) ظ: مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم،169-191.

(51) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: 283-290.

(52) ظ: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: 325 -326 و 348- 349 و362-363.

(53) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: 283-402.

(54) ظ: مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم،213-216.

(55) ظ: المصدر نفسه: 309-321.

(56) ظ: المصدر نفسه 249-253. ظ: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: 297و 332.

المصادر:

1. أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره : مصطفوي، محمد، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، 2009م.
2. أسباب نزول القرآن: الواحدي النيشابوري، علي بن أحمد، تحقيق: كمال البسيوني الزغلول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ، 1411 هـ.
3. أصول التفسير (دراسة في المبادئ العامة والضوابط والقواعد): الفتلاوي، أ.م.د. محمد كاظم حسين ، دار حدود للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، مطبعة دار الرافد للطباعة بغداد، الطبعة الأولى، 1441هـ.
4. أصول التفسير (دراسة في المبادئ العامة والضوابط والقواعد): الفتلاوي، أ.م.د. محمد كاظم حسين ، دار حدود للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، مطبعة دار الرافد للطباعة بغداد، الطبعة الأولى، 1441هـ.
5. الأصول المنهجية للتفسير الموضوعي في القرآن الكريم: د مرتضى جمال الدين، 205.
6. أقوال المفسرين توجيهها ومسالك التوفيق بينها: الحربي، حسين بن علي، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض: السعودية، الطبعة الأولى، 1433هـ.
7. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: مكارم شيرازي، ناصر، منشورات مدرسة الإمام علي بن أبي طالب(ع)، الطبعة الأولى، 1421 هـ.
8. التدبر الموضوعي في القرآن الكريم (قراءة في المنهجين التجميعي، والكشفي) : آل موسى علي، دار كميل للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، 1430هـ.
9. التعريفات: الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (ت: 816هـ) تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر : دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ.
10. التفسير الموضوعي المفهوم والمنهج: مركز المعارف للمناهج والمتون العلمية، دار المعارف الاسلامية الثقافية، الطبعة الأولى، 1441هـ.
11. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح ، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الثانية، 1428هـ.
12. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح ، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الثانية، 1428هـ.

13. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: بإشراف أ.د مصطفى مسلم، الشارقة– الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 1431هـ.
14. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وموضوعاته : الخفاجي، أ. د. حكمت عبيد،، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان– الأردن الطبعة الأولى 1434هـ – 2013م.
15. تفسير فرات الكوفي: كوفي فرات بن ابراهيم، مؤسسة الطبع و النشر في وزارة الإرشاد الإسلامي – طهران– إيران، الطبعة الأولى 1410 هـ.
16. دروس في القواعد التفسيرية: المازندراني، علي أكبر، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم. مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، 1428 الهجري
17. العين: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت 175 هـ)، دار الهجرة ، قم – ايران، الطبعة الثانية، 1409 هـ.
18. قواعد التفسير : السبت، خالد ابن عبد الرحمن، دار ابن عفان للطباعة والنشر، القاهرة– مصر، (د.ت).
19. قواعد التفسير لدى الشيعة و السنة: فاكر ميبدي، محمد، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونية الثقافية، مركز التحقيقات و الدراسات العلمية، طهران إيران، الطبعة الأولى ١٣٨٥ش،.
20. الكافي : الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق ت(329 هـ)، 25/2، دار الحديث، قم –إيران، 1429 هـ.
21. لسان العرب : بن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت 711 هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، الطبعة الثالثة،1414 هـ.
22. مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق– سوريا، 1426هـ.
23. المدخل الفقهي العام: الزرقا، مصطفى أحمد، دار القلم، دمشق – سوريا، الطبعة الثانية، 1425هـ.
24. المدخل إلى التفسير الموضوعي : د. عبد الستار فتح الله سعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامي بورسعيد– مصر، الطبعة الثانية، 1411هـ.
25. المدخل إلى تفسير الموضوعي للقرآن الكريم: الأبطحي: محمد باقر الموحد، دار الآداب في النجف الأشرف، الطبعة الأولى، 1389هـ.
26. المدرسة القرآنية: الصدر، محمد باقر، دار الصدر (مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر)، قم – ايران، الطبعة الخامسة، 1441هـ.
27. معجم ألفاظ الفقه الجعفري :د. فتح الله ، أحمد، مطابع المدوخل، الدمام – السعودية، الطبعة الاولى، ١٤١٥ هـ.
28. معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، أحمد بن فارس (ت: 395 هـ)، مكتب الاعلام الاسلامي، قم– ايران، 1404هـ.
29. مفاتيح التفسير: الخطيب، أ.د. أحمد سعد، دار التدمرية، الرياض– السعودية، الطبعة الأولى، 1431هـ.
30. من هدى القرآن: المدرسي، محمد تقي، دار محبي الحسين، طهران– إيران، الطبعة الأولى، 1419هـ، 374/13.
31. المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير و مصادره، الحسن، أ.د. محمد علي، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ١٤٢١هـ.
32. مناهج المفسرين دراسة في النظرية والتطبيق: الفتلاوي، أ.م. د. محمد كاظم حسين، دار حدود، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية، 2020م، 178.
33. منطق تفسير القرآن (اصول وقواعد التفسير): رضائي، محمد علي، تعريب: أحمد الأزرقي وهاشم أبو خمسين، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، قم – إيران، الطبعة الثانية: 1436هـ: 212.

34. الموافقات: الشاطبي اللخمي الغرناطي، إبراهيم بن موسى بن محمد (ت: 790هـ) تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، 1417هـ.
35. موسوعة التفسير الموضوعي: مجموعة من الباحثين، 1/324-370.
36. الموسوعة القرآنية خصائص السور: شرف الدين، جعفر، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت – لبنان ١٤٢٠هـ.
37. نهج البلاغة: الشريف الرضى، محمد بن حسين، شرح صبحي الصالح، هجرت – قم –إيران، الطبعة الأولى، 1414 هـ.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

نسق التداخل النصي في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري (ت538هـ)

م.م خالد رحيم بايش
أ.د صادق عبد الحسين جعفر
كلية الآداب، جامعة ذي قار

الخلاصة :
تبين من خلال تداخل النصي في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار لزمخشَري من حيث بنية الخبر , أن الزمخشَري لون كتابه بألوان شتى عبر توظيفه للنصوص الشعرية في بنية أخباره , ولم يأتِ أمراً اعتباطياً , إنما حرص على إعطاء النص الشعري وظائف سردية داخل النص , فضلاً عن تناوب الأدوار المتبعة بين النص النثري والشعري .
وأن المتلقيَّ يجد ضالته ومبتغاه بين تلك الألوان ؛ لأن طاقة الشعر في أخبار الزمخشَري تُسهم في توضيح الامتداد السرديَّ لأخباره , فإن طريقة الزمخشَري ليس مجرد ترصيع النثر بالشعر بل أراد إزالة الحدود الفاصلة بين النصوص الأدبية والدينية فمرة يكون الشعر له الدور الأساس في النص الخبري ومرة أخرى يأتي في المرتبة الثانية بعد النثر كما في الأبيات التي دل فيها الاستشهاد على صحة الأخبار , ومنهجية الزمخشَري في تحريك سرده المتنوع باتجاه الغايات والمقاصد التي يريدها , وتوظيف التقنيات اللازمة لذلك , تدل على قدرة فائقة تبرز واضحة في الأثر الذي تحدثه في المتلقي حين توصله غلى ما يريد أن يوصله اليه .

Abstract
Through the overlapping of the text in the book of Rabi` al-Abrar and the texts of the news by Zamakhshari in terms of the structure of the news, it became clear that Zamakhshari colored his book in various colors through his use of poetic texts in the structure of his news, and he did not come as an arbitrary matter, but rather was keen to give the poetic text narrative functions within the text, as well as alternating The roles followed between the prose and poetic text.
And that the recipient finds what he wants and wants among those colors; Because the power of poetry in al-Zamakhshari's news contributes to clarifying the narrative extension of his news, for al-Zamakhshari's method is not merely inlaying prose with poetry, but rather wanted to remove the boundaries separating between literary and religious texts. In which the citation indicated the authenticity of the news, and Al-Zamakhshari's methodology in moving his diverse narrative towards the goals and purposes he wanted, and the use of the necessary techniques for that, indicate a superior ability that emerges clearly in the impact it has on the recipient when it reaches what he wants to deliver to him.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

المدخل :

تُعد ظاهرة التداخل النصي ظاهرة أدبية قديمة على المستويين الإبداعي والنقدي , فالقصة الشعرية تملك حضورا في التراث الشعري العربي , والمقامات والسير الشعبية وقصة الف ليلة وليلة وغيرها , لذلك فإن أغلب الكتب السردية الجامعة بنيت على المزاوجة بين الشعر والنثر , وهي تمثل تلوينا للمكتوب وأبعادا لدفع الملل عن القارئ .

يُعدّ الشعر من أكثر الفنون تأثيراً في نشأة الأخبار, إذ تربط الشعر بالخبر علاقة وثيقة تجسدت من خلال امتزاج الشعر بالخبر في الكثير من مؤلفات الأخبار العربية , والمزاوجة بين الشعر والخبر يمكن أن تُعدَّ تلويناً للمكتوب وتنسيقاً له وإبعاداً ودفعاً للملل عن المتلقيَّ , فلقد حافظ الشعر على مكانته في نفس الأنسان العربي , يصوغ تجاربه , ويعبرَّ به عن مشاعره وأفكاره ولذلك لابد من أن يلقي ظله على النثر أيضاً [1] .

إذ تجمع بين تقنية السرد والشعر , ولا تقتصر إشكالية التداخل على حشد أجناس أدبية في فضاء أدبي مركب , ولكن تمتد إلى تشظي الجنس الأدبي الواحد إلى أجناس متجانسة في جيناتها في المؤلف الواحد , وهذا ما يجعل من إشكالية التداخل في مسارين مسار خارجي يشمل تداخل أجناس أدبية مختلفة , ومسار داخلي يتمثل في تداخل أجناس أدبية متداخلة , فبعض الأجناس تتقارب بكثرة بسبب اشتراكهما في سمات أسلوبية معينة [2] .

وبهذا يكون التداخل النصي الأدبي والذي يقصد به تواجد نصوص أدبية شعرا كانت أم نثرا في نص أدبي آخر بشرط أنً تكون منسجمة معه , وتعمل على توظيف فكرة يريد أنً يطرحها الأديب فهو يزيد النص عمقا وتأثيرا , من غير أنً تكون عبئا ولكن يكون جزءا من نسيجة وبنيته [3] .

ولكن يرى جيرار جينيت أنَّ التداخل النصي يعني : ((التواجد اللغوي سواء أكان كاملا أو ناقصا , لنص في نص آخر)) [4] . ومنهم من يرى بأنه صدور الأجناس الأدبية على اختلاف أنماطها وأشكالها عن أصل واحد أو سلالة واحدة , عندما نستدل في النوع الأدبي الواحد على مظاهر دالة على النوع الآخر أو دالة على العرق الأجناسي الذي ينتظم حملة الأجناس برمتها[5]. وكذلك يرى عبد الله الغذامي بأن التداخل النصي يُعد سمة بارزة في الثقافة العربية , من خلال تشكل العوالم الثقافية في ذاكرة الأنسان العربي منسجمة ومتداخلة في تشابك عجيب ومذهل ولقد سُمي ذلك بالإستطراد , وهذا ما تُوصف به مؤلفات الجاحظ ولكن الحق هو إنَّ ذلك تداخل نصوصي له ما يبرره ويستدعيه من النصوص نفسها [6] .

وبما أنَّ الشعر والنثر ((يشتركان في جوهر التشكيل عبر اللغة وكلاهما يتجسد في كونه تشكيلا جماليا يعكس حركة واقع اجتماعي معين)) [7] . ولكن يرى باختين بأن الخطاب يولد داخل الحوار مثل ما تولد إجابته الحيوية , ويتكون داخل فعل حواري متبادل مع كلمة الآخر بداخل الموضوع , وهذا يحيل إلى فهم موضوع الخطاب من خلال الحوار [8] . وهو بذلك يشير إلى ضرورة اتصال الخطاب بأصوات مختلفة لأجناس نصية أدبية أخرى , مما يمتزج فيها ويحاورها . ولكن نجد جوليا كر ستيفا لم تبتعد كثيرا عن ما أشار إليه باختين فالتداخل النصي لديها : ((عبارة عن لوحة فُسَيفسائية من الإقتباسات , وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى)) [9]. وهذا يعني عدم قيام النص بذاته , وإنَّما يتكون من عملية إنتاج نصا جديدا تتداخل فيه نصوص من مختلف الأزمان .

فالنص المتولد عن تفاعل جملة من الأنماط والنصوص يكون أرقى وأرفع درجة وأبلغ من النص التي تعمل معانيه بوساطة مَسرب ونسيج واحد عندما تتحدد ملامحه [10] . وكذلك يدل على التماسك في إتزان النص الأدبي نتيجة التقارب بين جنسي الشعر والنثر الذي جاء به تواجد المنظوم داخل البنية السردية[11] .

إذ يؤدي تداخل الشعر في ((فنون النثر العربي إلى تشكيل وحدة عضوية لا يمكن معها فصل الشعر عن النوع الذي التحم معه)) [12] . إذ تبين أنَّ الشعر بوصفه عنصرا من عناصر النص يحيل به الراوي على إكمال ما لم يقله النثر؛ لأنَّ تداخل المنثور مع المنظوم في الأدب العرب جاء من أجل التقارب بين جنسين النثر والشعر وللتداخل أهمية في توضيح التمايز بين الأجناس الأدبية ؛ لأنَّه يعطي لأحدهما مكانة متميزة ويقدمه على الآخر , وهذا يخفي أهمية أحدهما أو

يُهمل ويكون تابعا لغيره , إلا أنَّ لكل منهما حضوره الفعلي في تقديم النص الأدبي ومن ثم فإن هذا التداخل يبين لنا أنَّ الحدود بين الأجناس واهية جدا [13] . وهذا الأمر يدل على أنَّ تداخلهُ ((لا يمثلُ عنصرا طارئا على السرد , بل يشكل قسما من أقسام الخطاب ملتحما بالنثر داخل البنية السردية يستعين به السارد , على إكمال ما لم يقله النثر)) [14] . ولكن من دون أنَّ يشكل ذلك عائقا داخل السرد , ومن ثَّم ينتقل التشكيل السردي من النثر إلى الشعر من غير أنَّ تتعثر حركتهُ [15] .

تضمن كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار لزمخشَري نسبة كبيرة من الأشعار ذات المضامين والوظائف المختلفة , مما يستدعي هذا الأمر دراستها والكشف عن أهميتها في بناء نصوص الزمخشَري , كذلك عملت على تقوية النص وتأكيد صحته ,وذلك لكون الشعر وسيلة محببة للنفس في إيصال عدد من الأحاسيس والمشاعر المترابطة داخل النص الأدبي نفسه , وهذا يجعل النص السردي يستعين أساليب معينة حتى يؤدي مهمته في تقديم النص , ونلحظ من ذلك أنَّ متعة الكاتب لا تتكامل إلا بوجود رافد آخر للنثر ((ليحرك مؤشر الإمتاع داخل الكتاب بما يقترحه من أساليب وتقنيات متنقلا بين الشعر والنثر وهما يعملان معا على تجسيد هذه الوظيفة وبلورة حضورها)) [16] .

ويمكن القول عن نسق التداخل النصي أنَّه النسق المكمل لنسق التتابع , فنجده في أوقات كثيرة متعايشا معه في نص واحد , وهو أيضا من أقدم أنساق بناء الحدث , الأصل فيه تضمين نص داخل نص , يسعى السارد من خلاله لإكساب نصه جمالية فنية أو أدبية , أو أنَّ يسعى لملأ فراغ في الأحداث , أو القصد التنويع أو الإثارة , كل ذلك لإثراء النص , فيتوقف عن سرده لأحداثه الأصلية ويأتي بحدث جديد , يرتبط بالحدث الأصلي بمجموعة من العلاقات , فيها العديد من السمات المغايرة أو المتوافقة , أو يضمن نصا أدبيا قديما في نص جديد , من الممكن أنَّ يكون له أثر أيديولوجي في عملية التأليف [17] . إن المزاوجة بين الأشعار والأخبار في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار لزمخشَري لم تأتِ من أجل التنوع والاتساع فقط , بل نجدها عملت على تقوية المضمون وتحقيق الاتزان والشمولية في النص الأدبي , ففي بعضها يكون الشعر تابعاً للنثر وخاضعاً له , ويكون في أحيان أخر بمثابة الأساس للنص ويأتي الخبر النثري تابعاً له , أي إن الخبر إمَّا يمتهن الشعر وإمَّا إن يتكئ عليه ويتجمل به [18].

ويبدو أنَّ استدعاء النص الشعري في أخبار الزمخشَري جاء نتيجة للدور والوظيفة اللذين ممكن أنَّ يؤديها ذلك النص في تحريك عجلة الخبر وضمان ديمومة بقائه ولعل من تلك الوظائف ما يلي :

1 - الوظيفة التوثيقية :

وهي الوظيفة التي تتحقق عن طريق قيام الراوي بتضمين خبره في بعض الأبيات الشعرية لتكون ليكون دليل وحجة على ما يرويه , لكون الشعر يضطلع بدور المثبت لصحة الأخبار والمؤكد في شخصياتها وأحداثها [19] . ويمكن أنَّ تتجلى وظيفة السرد التدويني التوثيقي بشكل واضح في الأخبار التي تسجل الاحداث التي سبقت عصر تأليف الزمخشَري لكتابة , فهي وإنَّ كانت تؤدي وظائفا أخرى إلا أنها تضطلع بوظيفة التوثيق لهذه الاحداث , ويضطلع الزمخشَري فيها بدور المؤرخ .

ومثل هذه الوظيفة نجدها في الأخبار التي تبين سبب قول الشعر , إذ يراد منها احياء العلاقات الغائبة بين النصوص الشعرية وسياقاتها [20] . فهي تحفظ حق الشاعر وتبعد شبح الانتحال عن أبياته , وهذا ما نجده ماثلا في الخبر التالي : ((طلب يعقوب بن الربيع أخو الفضل بن الربيع جارية اسمها ملك سبع سنين , باذلا فيها ماله وجاهه حتى ملكها , فماتت بعد ستة أشهر , فأنفذ شعره في مراثيها , فقال :

بليت ملك في التـراب فأبـــــ لاني بلاها وذكر ملك جديد
ينقص الوجد كلما تقدم العهـــــد ووجدي في كل يوم يزيد)) [21] .

جاء الخبر السابق بمثابة التوطئة , نتيجة تقديم الأبيات التي جاءت بعده , حتى يتضح لمتلقي الخبر سبب قول هذه الأبيات الشعرية , وهو موت جارية يعقوب , بينما تبين الأبيات الشعرية لقارئها عن الشخصية المقصودة بالرثاء وما آل اليه الحال بعد موتها .

ونلحظ من ذلك أنَّ الجزء النثري من الخبر قد أعطى بعض المعلومات التي تساعد القارئ على فهم الأبيات ألا أنها أدت وظيفة توثيقية في نفس الوقت . وهذا يحث المتلقي على ملء الفراغات بالانعكاسات ,التي نُسجت حولها الأحداث واستعانة بالشعر لبيان صدق الخبر و يجذب القارئ داخل الأحداث ويضطر إلى إضافة ما يُفهم مما لم يذكر وما يُذكر لا يكون له معنى إلا كمرجع لما يذكر .

ومن أمثلة ذلك قول الزمخشَري : ((اتهم سعد بن مصعب , بامرأة في ليلة عرس , وكانت تحته بنت حمزة بن عبد الله بن الزبير , فقال الأحوص :

وليس لسعد النار من تذكرونه ولكن سعد النار سعد بن مصعب
ألم تر أنَّ القوم ليلة جمعهم بغوه فألفوه لدى شرً مركب
وما يبتغي بالشر لا درَّ درَّه وفي بيته مثل الغزال المربَّب

سعد النار شاطر كان بالمدينة , نسب إلى النار لا رتكابه الموجبات , فدعا سعد بالأحوص ليعزره فقال : دعني فلا والله لا أهجو زبيريا أبدا , فخلاه , ثم قال : ما أنكرت إلا قولك : وفي بيته مثل الغزال المربَّب)) [22] .

إنَّ البيت الشعري في الخبر السابق لم يأتِ به الزمخشَري من التنويع بين الأجناس , بل جاء به وسيلة انتقال من حدث لآخر . وهذا بدوره يتحقق عندما يكون البيت حاملا لدلالة معينة تؤدي إلى تغيير مسار الخبر , إذ اتهام سعد بن مصعب بامرأة في ليلة عرس قلب الأحداث رأسا على عقب , فبعد أنَّ كان موقف الأحوص من سعد النار , الذي نسب أليه لأرتاكبه الموجبات ورفضه هيجاء الزبيرين , وبذلك يكون البيت الشعري أحد أهم الركائز التي يستند عليها النص,بل يمكن أنَّ نعده احدى حلقات التسلسل الخبري التي لا يمكن الاستغناء عنها , فلو افترضنا عدم وجود البيت في الخبر عنده ندرك بسهولة الفراغ الذي تركته الحلقة المفقودة . ومما وردنا من أخبار في ربيع الأبرار حمل وظيفة التداخل النصي التوثيقي قوله : ((ركوب الكوسج , عبارة عن دخول آذرماه , وأصله أن إنسانا كوسجا كان يتناول في أول يوم من هذا الشهر بعض الأدوية المسخنة , ويطلى ببعض الأطلية الحارة , ويخرج في ثوبواحد , وهي عادة في بغداد وفارس , قال المرادي :

قد ركب الكوسج يا صـاح فانزل على المزمر والـراح
وانعم بآذرماه عينـا وخذ مـن لـذة العـيش بـمـفـتـاح)) [23] .

إذ سرد لنا الزمخشري بيتين من الشعر للمرادي وثق فيهما ما جاء في خبره (ركوب الكوسج) , توثيقا منه لخبره ليجعل المتلقي أكثر شوقا لسردياته من خلال توثيقة الشعري لها . وإلى نفس هذا النمط يسوقنا الزمخشري عندما يتكلم عن ليلة الفرزدق قائلا : ((ليلة الفرزدق, مثل في ليالي الخلعاء . بات الفرزدق

عند ديرانية , فأكل طفيشلها , بلحم خنزير , وشرب خمرها , وفجر بها , وسرق كساءها , ثم قال لله در ابن المراغة , يعني جريرا , حيث يقول :

وكنت إذا نــزلت بــدار قــوم رحلت بخزية وتركت عارا)) [24].

وبعدما ساق سرديته التي تكلم فيها عن لليلة الفرزدق التي بات فيها عند ديرانية , وأكل لحم الخنزير , وشرب خمرها , أردف الزمخشَري هذه الحادثة بأبيات لجرير وثق فيها سرديته (لليلة الفرزدق) .

2 ـ الوظيفة الوصفية :

وتُعد من الوظائف الأخرى التي أدّاها الشعر في ربيع الأبرار ونصوص الأخبار لزمخشَري إذ يستعين الراوي بالشعر لإكمال مالم يقَله النثر [25] . وهي وظيفة أساسية للسارد , إذ لا يستطيع أنً يحيد عنها دون أنً يفقد في الوقت ذاته صفة السارد [26] .

فمن خلال وجود الحكي دلً ذلك على وجود حاك يقوم بتوصيل الحكاية من مخاطب يحاول التأثير في مخاطَب من خلال السرد الوصفي [27] . لذا تُعد من أكثر الوظائف ((ملازمة للسارد . به تحدد أجناسية النص , بل إن تسميته تعود في الأصل لتلك الوظيفة , فإليه تعود مهمة نقل الأخبار بعد انتقائها)) [28] . وتوصيلها إلى طرف آخر ليتأكد بذلك ((الطابع الأدائي الوظيفي النفعي للظاهرة السردية التي تُكرَّسُ في كل حالاتها أصلا أو مرجعا)) [29] .

ولا يقتصر دور الوظيفة الوصفية على إظهار موقع الراوي وتميزه عن موقع الشخصيات والأحداث وذلك ؛ لأنً الراوي عندما يخبر عن حدث أو منظر من المناظر فإنَّه لا ينقله بجميع تفاصيله الدقيقة التي وقعت , إذ يقوم بإجراء بعض التعديلات التي يجدها ملائمة على الحدث الذي يصوره على نحو تبرز شخصيته ويحدد معالمه , فيكون اختياره وفق دوافع منها الرغبة في التأثير في المخاطب , وفي إتقان الحبكة حتى تكون أكثر جمالا , ومنها أيضا الرغبة في النقد وإظهار اللقطات المؤلمة أو التي يرغب الراوي في نقدها , أو غير ذلك [30] .

لذا يؤتى الشعر في الوظيفة الوصفية لرسم المشاهد التي تصور الأحداث رسما دقيقا وبارزا وكأن المتلقي يقف أمام صورة قد التقطت وليس أمام خبر قد نقل , فيكون الشعر ((مكونا من مكونات الوصف يستعين به الراوي والسارد , على إكمال ما لم يقله النثر)) [31] . فيعمل الوصف على نقل الصورة إلى المتلقيً وكأنها ماثلة أمام عينيه , إذ نجد أن الشعر يتعدى الخبر في ,

استحضاره مشهد الخبر أمام عيني المتلقي , ومن أمثلة ذلك قول الزمخشَري : ((لما بلغ رسول الله (ﷺ) , في هجرته ثنية الوداع , استقبله الجواري يضربن بالدفوف ويغنين :

طلع البــدرُ عـلـيـنـا مـن ثـنـيـّات الـوداع
وجـب الشـكـر عـلـيـنـا مـا دعـا لله داع)) [32] .

الشعر الوصفي هنا ليس معتمدا على الخبر بل يتعداه ليرسم صورة فنية من خلال لغته الشعرية. فالشاعر كان بارعا في استعمال الأبيات الشعرية , إذ وصف ثنية الوداع عند الرسول (ﷺ) , واستقبال الجواري بالدفوف يغنين له بعد هجرته , ولتوضيح هذه الصورة الشعرية يصف الشاعر في جو من الهيجان النفسي يلمس مشاعره وأحاسيسه , ولاسيما بتصويره وجوب الشكر مما دعا اليه الله تعالى لرسوله الكريم , إذ أستطاع استحضار صورة الرسول (صلى عليه وسلم) , عندما بلغ ثنية الوداع في هجرته أمام ناظري المتلقي دون أيهامه في حقيقة الحدث و واقعيته .

ومن أمثلة ذلك الخبر الذي ورد في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار والذي تدور أحداثه عن تهنئة ابراهيم الموصلي لرشيد بالخلافة ويقول الزمخشَري ((إبراهيم الموصلي في تهنئة الرشيد بالخلافة :

ألم تر أن الشمس كانت مريضة فلما أتى هارون أشرق نورها
تلبَّست الدنيا جمالا بملكه فهارون واليها ويحيى وزيرها

وغناه بهما من وراء حجاب , فوصله بمائة ألف , ويحيى بخمسين ألفا)) [33] .

نجد إبراهيم الموصلي في البيتين السابقين مزج بين مدح وتهنئة الرشيد ووزيره يحيى بالخلافة وطلب حاجته , وقد سعى بهذه المزاوجة للوصول إلى غايته , إذ إنَّ تعدد الصفات الحميدة والتغني بها شعرا , كان دأب الشعراء في حضرة الملوك والأمراء من أجل نيل العطاء والمكانة الحسنة , فالخبر عند إبراهيم الموصلي قد حصل على العطاء بعد هذه الأبيات التي ضمنها وصفا لرشيد لم نعثر عليه في ثنايا النص السردي , ولعل البيتين وأثرهما على الرشيد ووزيره يحيى أقوى وأشد منه لو عددها نثرا ؛ لأنَّ هذه الأبيات سوف تحفظها الذاكرة العربية وتتناقلها الأجيال جيلا بعد آخر , فضلا عن الذائقة العربية التي كانت تفضل الشعر على النثر . وإلى هذا النوع نتسلسل مرة أخرى مع الزمخشَري إذ يقول : ((كان المتوكل أحسن الخلفاء العباسية وجها , وأبهاهم منظرا ؛ قال المبرد : دخلت عليه , فقال : يا بصري أرأيت أحسن وجها مني ؟ قلت : ولا أسمح راحة , ثم قلت :

جهرت بحلفة لا أتقيها لشك في اليمين أو ارتياب
بأنك أحسن الخلفاء وجها وأسمح راحتين ولا أحابي)) [34] .

فبعد أن تكلم المتوكل مع المبرد وطلب منهُ وصف حسن وجهِ أردف المبرد أبيات من الشعر وصفة ما جاء في السردية التي حكاها لنا الزمخشَري عن ما حدث بين المتوكل والمبرد ومثل هذه الوظيفة يستعين بها الراوي لإكمال ما يقله نثرا [35] . وكما نرى الوظيفة الوصفية في الكثير من سرديات الزمخشَري يسوقنا إلى هذه الوظيفة في قوله : ((مر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر , بعبد الحميد بن علي القرشي , فاستبقاه , فسقاه سويق , لوز بطبرزذ, فقال :

شربت طبرزذا بغريض مزن كذوب الثلج خالطه الرضاب

فقال عبد الحميد :

وما إن ماؤنا بغريض مزن ولكن الملاح بكم عذاب
وما إن بالطبرزذ طاب ولكن بمسك هكذا طاب الشراب
وأنت إذا وطئت تراب أرض يطيب إذا مشيت بها التراب)) [36] .

3 ـ الوظيفة الحوارية :

إذ يستعمل الشعر في الجمل الحوارية بين الشخصيات , ويستشهد به في مواضع تحاورهم , فيأتي البيت الشعري حجة قاطعة للشخصية المتحاورة , وهو يمثل الحركة القصصية أو الجانب الدرامي في النص الخبري [37].

مما يعمل السارد على مسرحة الأحداث من خلال تلك الوظيفة الحوارية الشعرية [38] . فيأتي الشعر على شكل حوار على لسان الشخصيات وبذلك يكون النص الخبري قريبا من الاعمال المسرحية .

والقارئ لكتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار يجد ما يؤكد ذلك . فمثلا يقول الزمخشَري في أحد أخباره ((لمست أعرابية كف أبيها فألفتها , خشناء فقالت :

هذه كف أبي خشنها ضرب مسحاة ونقل بالزبيل

فأجابها :

ويلك لا تستنكري مس يدي ليس من كَدً لعز بذليل
إنما الذلة أن يمشي الفتى ساحب الذيل إلى باب البخيل)) [39] .

ففي الخبر الذي أوردناه نجد المشهد القصصي واضحا جدا , إذ يتوقف السارد ليتولى الشعر الذي يرد على لسان الشخصيات مهمة السرد . لذا فإن السارد لم يكن إعتباطيا في إيراد الشعر في الخبر السابق . ولكن جاء بسبب حاجة فنية تساعد المؤلف على تجسيد المشهد وتجسيمة , إذ أنَّ الشعر في هذا الخبر قد تكامل مع السرد , حتى يعطي لنا نصا خبريا متكاملا يُشعر القارىء بأنَّه يشاهد هذه الحادثة . كما تدفعه الحوارية الشعرية بين الأعرابية وأبيها عندما لمست كفهِ وبعد ذلك رأيهم في الحادثة ومن ثمَّ التفاعل النصي .

ويمكن أنَّ نمثل لذلك بخبر آخر مثل قول الزمخشَري في أحد أخباره : ((قال مسلم بن عبد الملك : ما وعظني إلاَّ عمران بن حطان في قوله :

أفي كـل عـام مـرضــة ثم نقهــةُ وتنعي ولا تنعى فكم ذا إلى متى

فقال له معاوية الصوفي : أما أنا فقد سمعته أمـات الموت وما أماته شاعر قبله , حيث يقول :

لا يعجز الموت شيء دون خـالقـه والمـوت فان إذا مـا جـاءه الأجـل

وكـل شيء أمـام المـوت متضــع للمـوت والمـوت فيمـا بعـده جلل)) [40] .

جاء الشعر في هذا الخبر السابق على شكل حوار على لسان الشخصيات ليكشف عن مشاعرها وأفكارها إذ استطاع مسلم بن عبد الملك ومعاوية الصوفي أنَّ يبينا ما بداخلهما من مشاعر وأفكار وأحاسيس بكلام منظم على الوزن والقافية عن طريق ما سمعوا من أبيات شعرية مأثرة من قبل عمران بن حطان , فكان الشعر في هذا الخبر ليس معتمدا على الخبر , وإنَّما هو جزء من الحدث وصانع لهُ , فبدا الخبر وكأنه مشهد مسرحي نثري شعري نابض بالحياة , فالشعر هنا لغة حوار بين الشخصيات , وفي هذا الخبر يتراوح السرد بين إسناد القول الشعري والقول النثري .

ونجد النص الشعري أحيانا يقوم مقام المونولوج الداخلي , إذ ((يتتبع بواسطته الحركة الداخلية في نفوس الأبطال)) [41]. فتخرج القصة من مجرد كونها سردا تاريخيا جامدا إلى قصة حيَّة مليئة بالانفعالات , ويبدو هذا في أوضح صورة في الخبر الآتي : ((بينما حسان جالس وفي حجره صبي له يطعمه الزبد والعسل إذ شرق الصبي بهما , فمات , فقال :

اعمـل وانت صحيح مـطلق مرح مـا دمت يا مغرور في مهـل

يرجـو الحياة صحيح ربـما كـمنت لـه المنيـة بين الـزبـد والعسـل))[42].

نرى هنا أنَّ الشعر هو تغيير في طريقة التعبير إقتضاه الموقف وإضطرت إليه أمانة الزمخشَري في نقل الأحداث , فقد نقل إلينا ما أرادت الشخصية نقله . لذا نشعر في هذه القطعة الشعرية , التي تحكي قصة صبي الذي شرق فمات بعدما كان حسان يطعمه الزبد والعسل في حجره , لذا فإن أقرب لغة للتعبير عن الإحساس المتدفق في تلك اللحظة هي لغة الشعر . فالشاعر في هذا الخبر يحاور نفسه نادما على ما مضى.

كما أن القارئ والمطلع على كتاب ربيع الأبرار , يجد أضافة إلى ما تقدم نفسهُ أمام وظيفة جديدة لتداخل النصي في أخبار الزمخشَري , وهي الوظيفة الحوارية , والتي يسوق فيها أبيات من الشعر , فينقل بين شخصياته خبره الرئيسة ومنها قوله :

((تناظر أبو عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد في الوعيد , فأنشد أبو عمرو :

لا يرهـب مـا عشت صولتي ولا أختشي مـن صـولة المـتهـدد

وإني وإن أوعـدتـه أو وعـدتـه لـمخلف إيعـادي ومنجز مـوعدي

فقال له عمرو صدقت ,تمدح العرب بالوعد دون الإيعاد وتـمدح بالوفاء بهما لتصرف المعاني وأنشد :

إن أبـا خـالـد لمجتمع الرأ ي شـريف الأفعـال والبيـت

لا يخلف الــوعد والــوعيد ولا يبيت من ثأره عـلى فـــوت)) [43] .

فنجد أن الزمخشَري ساق هذا النوع من التداخل النصي , ليجعل خبرهُ أكثر تشويقا في ذهن المتلقي الذي تعجبهُ الكثير من هذه الأخبار , ولاسيما أن الشعر يضيف ذائقة جمالية إلى النثر الوارد بالخبر .

4 ـ الوظيفة لعاطفية (الانفعالية) :

لقد تستعمل هذه الوظيفة الشعر لتوضيح مما في ذات الشخصية من أحاسيس وعواطف وأفكار يثيرها الخبر, عندما يُهيمن الخبر على الشعر في صور مختلفة منها ما يميزها عن الأخر , ولعل أبرزها أن يكون الشعر عنصراً سرديا فاعلاً , حتى لا يمكن أن تُقَدم القصة من غيره , إذ تترتب عليه أحداثاً ومواقفاً مهمة [44]. وهي تتضمن ((مشاركة السارد , بما هو كذلك , في القصة التي يرويها , أي تتناول العلاقة التي يقيمها معها , إنها علاقة عاطفية حقاً , ولكنها

أيضاً أخلاقية وفكرية))[45]. وبهذا تكون العلاقة بين الشعر والنثر علاقة تواصلية عاطفية فكل منهما يؤثر في الآخر إلا أنَّه يحقق التواصل في الوقت نفسه , ويجعل من الخبر سلسلة من الاتصال والتأثير لإحداث الانفعال في نفس القارئ من جانب , وإيهامه بواقعية الخبر من جانب آخر .

ومن ذلك قول الزمخشَري : ((عبد العزيز بن الماجشون , من فقهاء المدينة : قال لي المهدي : يا ماجشون , ما قلت حين فارقت أصحابك الفقهاء بالمدينة ؟ فقلت : قلت :

لله بـاك عـلى أحبـــابـه جـزعـا قـد كنت أحـذر من ذا قبـل أن يقعـا
إن الـزمـان رأى إلف السرور لنـا فـدبَّ بـالبين فيمـا بيننا وســعى
مـا كان والله شؤم الـدهـر يتـركني حتى يجـرِّعني من بعدهم جـرعـا
فليصنـع الـدهرُ بي مـا شـاء مجتهدا فـلا زيـادة شيء فـوق مـا صنعـا

فقال : والله لأغنيك , فأعطاني عشرة آلاف دينار)) [46] .

فالشعر في الخبر السابق ليس مُقحما على الخبر , وإنَّما هو متممُ للخبر وجزء منه , وقد جاء كوسيلة انتقال من حدث لآخر , وهذا جعل من الأبيات الشعرية في الخبر أعلاه للإفصاح عمَّا في داخل الشخصيات من مشاعر وأفكار , إذ أستطاع عبد العزيز بن الماجشون أنَّ يبين ما بداخله عندما فارق أصحابه الفقهاء بالمدينة وأخذ يعبر عن مشاعره الخاصة والإفصاح عن ما في داخله من أفكار بصورة مباشرة وواضحة , وهذا يزيد من جمالية الخبر وواقعيته يجذب أنتباه القارئ من خلاله , وبذلك يؤكد أنَّ ما يسرد عليه من صميم الحياة الواقعية ؛ ليحرك بذلك مشاعره وعاطفته اتجاه أحداث الخبر .

ومنه قول الزمخشَري ((كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار الجشمي القارئ , ينزل مكة , فسمي القس من عبادته وزهده , ثم استُهيم بمغنية من مولدات مكة اسمها سلامة , حتى نُسبت إليه , فقيل لها سلامة القس , وله فيها :

ألـم تـرهـا لا أبـعـد الله دارهـا إذا رجـعت في صـوتها كيف تصنـع
تـمـد نـظام الـقـول ثـم تـردَّه إلى صـلصـل في صـوتهـا يترجـــع

وله :

إذا مـا عـج مـزهـرهـا إلـيـهـا وعـجـت نـحـوه أذن كـــرامُ
وأصغوا نحـوهـا الآذان حتى كـأنـهـمُ ومـا نـامـوا نـيـامُ)) [47] .

كان للأبيات الشعرية في الخبر الذي ذكرناه حضورا فعليا مهما عمل على إخراج الحدث من ذاكرة الجمود والضياع إلى التنامي والتطور من خلال الاستثارة بالأبيات التي أستشهد بها عبد الرحمن بن عبد

الله بن أبي عمار الجشمي وما جاء بها في الغناء من التحليل والتحريم , وكان الشعر حلقة أساسية في بناء النص السردي , ومُحفزا لجميع الأحداث فيه .

ومما جاءنا في ربيع الأبرار من التداخل النصي , وفي وظيفته الأنفعالية التعبيرية قول الزمخشَري : ((كان يزيد بن الطثرية , غزلا , ذا جمة فينانه , وكان ثور أخوه كثير المال ؛ فكان يأتي العطار فيقول : ادهني دهنة من إبل ثور , فأهلك مال أخيه , فاستعدى عليه السلطان, فأمره بحلق رأسه, فقال :

أقول لثور وهو يحلق لمتي بعقفاء مردود عليَّ نصابها
ألا ربما يا ثور فرَّق بينها أنامل رخصات حديث خضابها
فجاء بها ثور ترف كأنها سلاسل درع لينها وانسكابها
ورحت برأس كالصخيرة أشرفت عليها عقاب ثم طارت عقا بها)) [48] .

فالسردية جاءت تحكي أمرا حدث لثور , وهو الشخصية الرئيسة لخبر الزمخشَري , إذ أستعدى عليه السلطان لحلق رأسه فقال شعرا تعبيريا انفعاليا , وضح فيه ما جاء به الزمخشَري في سرديته وهذه من الوظائف التي تعطي مساحة للمتلقي في معرفة ما آلت إليه السردية حتى نهايتها , ثم يستدرجنا مرة أخرى الزمخشَري إلى الوظيفة التعبيرية الانفعالية في سردياته , إذ يقول : ((وقع , أعرابي إلى أرض أصبهان في أيام الربيع , فاستطاب الهواء , وأنس بالأشجار , فلما جاء الشتاء قحلت الأشجار , وثلجت الأقطار , فجعل يرتعد من البرد وتخفق أحشاؤه , فقال :

بأصبهان شعثت أموري لما تقضى الصيف ذو الحرور
ورمت الآفاق بالهرير وللثلج مقرونا بزمهرير
جاءت بشر مجنب عافور لولا شعار البرة البرور
أم الكبير وأبي الصغير لم يدف مقرور من التخصير
والشمس فيها فرح المقرور)) [49] .

وبعد أن يتكلم عن حال الأعرابي , وما طاب له في أرض أصبهان أيام الربيع , وذلك البرد الذي كدر عليه صفوة العيش فجعله يرتعد وتخفق أحشائه , أردف الزمخشَري هذه السردية بأبيات الأعرابي الانفعالية , التي تكلم فيها عن معاناتهِ مع برد أصبهان .

5 ـ الوظيفة التوضيحية :

ويراد بها أنَّ الشعر يؤتى به لشرح الخبر أو تفسيره , وأحيانا أخرى يُعمد إلى الشعر فُيستعمل كدليل على صحة الخبر وقوته , فيخرج به الرواة من حلقة المجاز والخيال التي يمتاز بها إلى محمور الحقيقة والواقع , وتطغى سمة الخبر التصريحية على سمة الشعر الإيحائية [50] . وفي ذلك يستعمل لغته الشعرية التي توحي بنوع من التوازن بين الشعري والنثري كما في هذا الخبر : ((كتب ابن مقلة , كتاب هدنة بين المسلمين والروم , فهو في كنسية قسطنطينية , يبرزونه في الأعياد , ويعلقونه في جملة تزايينهم في أخص بيوت العبادات , يعجبون الناس من حسنه . وفيه قيل :

خط ابن مقلة من أرعاه مقلته ودت جوارحه لو حولت مقلا
الدار من دره ذو صفرة حسدا والنور من نوره ذو حمرة خجلا)) [51] .

نلحظ من هذه الأبيات الشعرية التي تبين الاستدلال بما كتبه ابن مقلة وجهة نظر الشخصية الرئيسة (ابن مقلة) , من شرحة كتب هدنه بين المسلمين والروم , وتفسيره , ووضع تعليل لهُ وتفسيره الذي يوضح للقارىء مغزى الخبر أو مضمونه . ومن أمثلة ذلك الخبر الذي أورده الزمخشَري إذ يقول : ((رأى الحجاج في منامه أن عينيه قلعتا , فطلق هند بنت المهلب وهند بنت أسماء بن خارجة . فلم ينشب أن

جاءه نعي محمد أخيه يوم مات إبنه محمد . فقال : والله هذا تأويل رؤياي من قبل , إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون . محمد ومحمد في يوم واحد ! ثم أنشأ يقول :

حسبي حيـاة الله من كـل ميت وحسبي بقـاء الله من كل هـالك

وقال الفرزدق :

إن الـرزيـة لا رزيـة مـثـلهـا فقدان مثـل محمد و محمد)) [52] .

إن الراوي في الخبر السابق عمد إلى ذكر الأبيات الشعرية التي نطقها الحجاج والفرزدق فهنا تتضح هيمنة الخبر السردي على الشعر , والاستفادة منه من خلال إبعاده عن الخيالية المعروف بها وإضفاء الواقعية عليه , فالسارد أعتمد على الشعر في بناء الخبر , ثم جعل منها وسيلة لتأكيد صحة وقوع الأحداث عن طريق رؤيا الحجاج في منامه , وجاء الشاهد على لسان الحجاج الذي تدور أحداث السرد كلها حوله , وكأنَّه أراد بث القناعة في نفس المتلقي ولم يدع له مجالا للشك في صحة وقوعها , فالنثر والشعر تعاضدا معا في نقل تلك الصورة بدقة وصدق وواقعية تامة , فالأبيات الشعرية جاءت إقناعا للسامع القارئ أولا , ولتأكيد الحادثة وتخليدها ثانيا , إذ يستعير الشاعر مكونات النص السردي , ويُضفي عليها شيئا من إبداعه , ليكسب النص الشعري تميزا نوعيا من النص النثري , وإن تطابقا في التجربة ذاتها .

وإلى نوع أخر من أنواع توظيف التداخل النصي ما جاء به الزمخشَري من الوظيفة التوضيحية التي جعلت المتلقي أمام نص بعيد عن الأيهام قولهُ: **((**قال أبو العتاهية لا بن مناذر, : كم تقول في اليوم من الشعر؟ قال : الخمسة أو الثلاثة ؛ فقال أبو العتاهية : لكني أقول المائة والمائتين , فقال ابن مناذر: أجل إنك تقول :

يـا عـتـبُ مـالـي ولـكِ يـا لـيـتـنـي لـم أركِ

وأنـا أقـول :

ستظلم بغداد وتجلو لنـا الدجى بمكـة ما عشنـا ثلاثـة أقمـر
إذا نـزلـوا بطحـاء مكـة أشرقت بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
ومـا خـلقت إلاَّ لـجـود أكفـهم وأقـدامـهـم إلاَّ لإ عواد مـنـبر

ولو أردت مثله لطال عليك الدهر **))** [53] .

فبعد أن سرد لنا ما جاء بين أبي العتاهية وأبن مناذر في خبر أعاب فيه أحدهم على الأخر قول الشعر , أردف الزمخشَري أبيات لهما توضيحية تبعد عن المتلقي , ذلك الغموض وتوضح له شعرا ما جاء في سرديته ,وإلى نفس الوظيفة يجد المتلقي الكثير من التداخل النصي الشعري الذي جاء به الزمخشَري في الكثير من أخباره وسردياته ومنها قوله : **((** المأمون : علمان نظرت فيهما وأنعمت فلم أرهما يصحان , النجوم والسحر .

وللمأمون :

والله مـا تختلف الـنـجـوم وتضـرب الشمس فـلا تقـوم
وقـمـر فـي فـلـك يـعـوم إلا لأمر شـأنـه عـظـيـم)) [54] .

جُعل المتلقي أمام توضيحية جاب بها المأمون , بعد أن تكلم عن النجوم والسحر نثرا وضحت ذلك النثر شعرا فجعلت المتلقي أمام نص متكامل نثرا وشعرا .

والواقع إن الشعر لم يدخل في هذه الأخبار عبثا , وإنما كان دخوله جوهريا , وجميع ما ورد من شعر في أخبار الزمخشَري إنما يروي الأحداث مرة أخرى على لسان أحد أبطالها , وهو وإن كان يمزج في

بعضها بين الأحداث الخارجية وبين موقفه النفسي , إلا أنها في آخر الأمر وثيقة تؤكد الأحداث الخبر , ومن الصور الأخرى التي يرد فيها الشعر تابعا للنص الخبري تلك الأخبار التي يكون مدارها الموازنة بين شاعرين أو أكثر , إذ يصبح كل مقطع بمثابة الُحجة التي تُستعمل للدلة على براعة الشاعر أو إثبات العكس (55) .

ومن ذلك خبر يذكر فيه الزمخشَري لقاء لبيد بالوليد بن عقبة يقول فيه : ((كان لبيد , آلى على نفسه كلما هبت الصبا أن ينحر جزورا ويطعم , وربما ذبح العناق , إن أضاق . فخطب الوليد بن عقبة وقال : قد علمتم ما جعل أبو عقيل على نفسه , فإعينوه على مروءته , وبعث إليه بخمس جزاير وبهذه الأبيات :

أرى الجزَّار يشحذ مديتيه إذا هبت رياح أبي عقيل
طويل الباع أبلج جعفري كريم الجد كالسيف الصقيل
وفي ابن الجعفري بما نواه على العلات والمال القليل

فدعا لبيد بنتا له خماسية , فقال : إني قد تركت قول الشعر فأجيبي الأمير , فقالت :

إذا هبت رياح أبي عقيل دعونا عند هبتها الوليدا
طويل الباع أبلج عبشميا أعان على مروءته لبيدا
بأمثال الهضاب كأن ركبا عليها من بني حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد إن الكريم له معاد وظني يا ابن أروى أن تعودا

فقال لبيد : أحسنت لولا أنك سألت . فقالت : يا أبة , إن الملوك لا يستحي منهم في المسألة . فقال : أنت في هذا أشعر .

وفد رجل من بني ضبة , على عبد الملك فأنشده .

والله ما ندري إذا ما فاتنا طلب إليك من الذي نتطلب
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد أحدا سواك إلى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التي عودتنا أو لا فأرشدنا إلى من نذهب

فأمر له بألف دينار . فعاد إليه من قابل وأنشده :

وليس كبان حين تم بناؤه تتبَّعه بالنقص حتى تهدَّما

فأمر له بألف دينار . فعاد في الثالثة فأنشده :

(يعودون بالإحسان عودا على بدء) .

وقال : يا أمير المؤمنين , إن الروي لينازعني , وإن الحياء ليمنعني . فأمر له بألف , وقال : والله لو قلت حتى تنفذ بيوت الأموال لأعطيتك)) (56) .

إنَّ هذا الخبر لم يأتِ مناسبة لقول الشعر , ولكن جاء لسرد فكرة تفضيل شعر على آخر , إذ إنَّ الشعر في هذا الخبر ليس غاية في حد ذاته , وإنما طريقة الوصول لهذه الفكرة . والدليل في أثبات هذه الفكرة من خلال أمكانية ذكر غير هذه الأبيات في الطلب والاستجداء ورفع الحوائج وقضائها , أو المفاضلة في غرض آخر ليصل السارد إلى غرضه الأساس وهو تفضيل بنت لبيد الشعر على الوليد بن عقبة إستنادا إلى ما يذكره من شعر .

ويمكن القول أنَّ الزمخشَري في هذا الخبر كان موفقا في طرح فكرته , إذ جعل لبيد يفضِّل أبنته على نفسه وبذلك وصل إلى ما أراد من دون أن يتحيز لشاعر دون آخر . ومن أمثلة ذلك أيضا ما جاء في ربيع

الأبرار ونصوص الأخبار من موازنة أبي نؤاس ومسلم , ((دعبل , جمعت بين أبي نؤاس ومسلم فأنشده : **أجارة بيتينا أبوك غيور** . وأنشده مسلم قصيدته التي فيها :

لله من هـــاشـم في أرضـــه جبـلُ وأنت وابنـك ركنـــا ذلـك الجبـل

فقلت لأبي نؤاس : كيف رأيته ؟ قال : هو أشعر الناس بعدي , وسألت مسلما فقال : أنا أشعر الناس بعده)) [57] .

إن الأبيات في الخبر السابق , وإن كان غرضها واحد إلا أننا نجد بينها فروقا أهمها اختلاف في جودتها وقائلها عندما جمع دعبل ما بين الشاعر أبي نؤاس ومسلم بن الوليد الأنصاري , والتي وظفها الزمخشري لتفضيل أحد هؤلاء الشعراء , حتى نصل في النهاية إلى تفضيل مسلم بن الوليد الأنصاري على أبي نؤاس استنادا لما سمعه من كل واحد منهم . وبهذا يمكن القول إن الراوي دفع القارئ إلى قراءة الشعر لا كما يريد الشاعر , فالشاعر نسجها للوصف بينما الراوي أرادها للموازنة بين الشعراء .

وأحيانا يأتي الخبر نثرا يتداخل لتوضيح ما سردهُ الزمخشَري شعرا , إذ أننا أمام نوع جديد يمكن أنطلق عليه سلطة الشعر على الخبر , وقد أشار إليه الزمخشَري في بعض أخباره فيقول : ((بعض الخوارج :

ومـن يخشَ أظفـار المنـايـا فـإننـا لبسنـا لـهـن السـابغـات من الصبر
وإن كـريـه المـوت عـذب مـذاقـه إذا مـا مـزجنـاه بـطيب من الـذكر

حضَّ منصور بن عمار , على الغزو , فطوحت , امرأة رقعة فيها : رأيتك يا ابن عمار تحض على الجهاد , وقد ألقيت إليك ذؤابتي , فلست أملك والله غيرها فبالله إلا جعلتها قيد فرس غاز في سبيل الله , فعسى الله أن يرحمني , فارتج المجلس بالبكاء)) [58] .

فيجد المتلقي نفسهُ أمام سردية تختلف عما كان ينقلهُ الزمخشَري في أخبار , تتمثل في اعتلاء الشعر مكان المقدمة على النثر في هذه السردية إذ جاء بأبيات لبعض الخوارج , ووظف بعدها النثر ليكون مكملا لشعر , وهي وظيفة جديدة أستطاع الزمخشَري أنَّ يوظفها في أخباره .

ثم أستطاع الزمخشَري أنَّ يوظف هذه السلطة للشعر عن الخبر أيضا في قولهِ : ((محرز الكاتب :

لله درَّ عـصـابـة تـركـيـة دفعـوا نـوائب دهـــرهم بالسيف
قتلوا الخليفـــة جعفرُ في ملكـــه وكسوا جميع الناس ثوب الخوف

أنشدهما بغا بعد قتل المستعين فأجازه , بعشرة آلاف ووصيفة وضيئة كانت قائمة على رأسه)) [59] .

أراد الزمخشَري أنَّ يضع متلقيه أمام سرديته أشبه بفكرة يقدمها برمز , ولكن الرمز هنا الشعر بعد أنَّ كان في سردياته السابقة وصفا من النثر , فجعل المتلقي باحثا عن ما أراد الزمخشَري من أبياته هذه , فيجد مبتغى بما ساقهُ له من ذلك النثر الموضح لفكرته .

ثم يمهد لنا الزمخشَري في نفس سلطة الشعر على الخبر, ليكون فيه الشعر مرتكزا أساس في خبره فبعد أن يبين القائل لهذه الأبيات يسردها شعرا , ولعل هذا النوع يعطي تنوعا للأخبار الواردة في كتاب ربيع الأبرار ونصوصه , ويجعل القارئ بعيد عن الملل الذي جاءت به السرديات وهذا ما نراهُ في قول الزمخشَري : ((كان جرير في بلاد قيس مريضا فعادوه وتفقدوه , فقال :

نفسي الفداء لقـوم زينـــوا حسبي وإن مـرضـت فهـم أهلي وعـــوَّادي
لـو خفت ليثـا أبـــا شبلين ذا لبد مـا أسلمـوني لليث الغـابة العـــادي
إن تجـر طيـر بأمر فيـه عـافيـة أو بـالـرحـيل فقـد أحسنتمُ رادي)) [60] .

لذا يمكن القول أن طريقة الزمخشَري ليست مجرد ترصيع بين النثر والشعر , بل أرادة أن لا يجعل فاصلاً بينهما في أخباره فمرةً جعل النثر الأساس في نصه الخبري ممهداً لمعرفته شعراً ,ثم يجدد لنا

التداخل فيعطي للشعر سلطة عليا على النثر , أن هذا التنوع الذي وجدناه في أخبار الزمخشَري في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار , جعل المتلقي راغباً في أكمال سردياته , والبحث في خفاياها , وشخصياتها الرئيسة وفكرتها التي صبَّ الزمخشَري فيها جهدا ليضعها أخباراً طريفة ومعبرة بما حملته من أفكار وحكم ووصايا مثلها شعراً ونثراً .

هوامش البحث

(1) ـ ينظر : الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري , د . ركان الصفدي : 290 .
(2) ـ ينظر : تداخل الأنواع الأدبية في رواية (عكا والملوك) للروائي أحمد رفيق عوض (بحث) , عمر عبد الهادي عتيق , جامعة اليرموك , مج , (2) , ع (5) , 2008 : 3 .
(3) ـ ينظر : تداخل الأجناس وهيمنة السرد على الشعر , (مقال) , د . عبد الرحيم مراشدة , جريدة الدستور , ع 786 , 2006 : 6 .
(4) ـ مدخل لجامع النص , جيرار جينيت , تر: عبد الرحمن أيوب : 90 .
(5) ـ ينظر : التفاعل في الأجناس الأدبية , بسمة عروس : 137 .
(6) ـ ينظر : ثقافة الأسئلة (مقالات في النقد والنظرية) , عبد الله محمد الغذامي : 119 .
(7) ـ آليات السرد في الشعر العربي المعاصر , د . عبد الناصر هلال : 19 .
(8) ـ ينظر : الخطاب الروائي , ميخائيل باختين : 541 .
(9) ـ الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريعية , عبد الله محمد الغذامي : 29 .
(10) ـ ينظر : التفاعل في الأجناس الأدبية : 31 .
(11) ـ ينظر : السرد العربي القديم الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل , ضياء الكعبي : 142 .
(12) ـ سردية النص السيري , رسالة ماجستير , غانم حميد عبود الزبيدي : 49 .
(13) ـ ينظر : الكلام والخبر , سعيد يقطين : 192 .
(14) ـ التداخل بين الأجناس الأدبية للمقامات , صالح بن رمضان , مجلة جذور ,مج 2 , ع 4 , 2000 : 49 .
(15) ـ ينظر : سرد الأمثال , دراسة في البنية السردية لكتب الأمثال العربية , لؤي حمزة عباس : 71 .
(16) ـ بلاغة التزوير (فاعلية الأخبار في السرد العربي القديم) , لؤي حمزة عباس : 102 .
(17) ـ ينظر : البناء الفني في الرواية العربية في العراق , د . شجاع مسلم العاني : 16 - 17 .
(18) ـ ينظر : الخبر في الأدب العربي , محمد القاضي : 545 .
(19) ـ ينظر : الخبر في الأدب العربي : 377 .
(20) ـ ينظر : الكلام والخبر : 195 .
(21) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : 5 / 147 - 148 , ينظر: الأبيات الشعرية : الكامل في اللغة والأدب , المبرد : 4 / 76 .
(22) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : 3 / 72 - 73 , ينظر : شعر الأحوص الأنصاري , تح : عادل سليمان جمال :98.
(23) ـ م ، ن : 1 / 62 .
(24) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : 1 / 71 , ينظر : ديوان جرير : 216 .
(25) ـ ينظر : السرد العربي القديم (الانساق الثقافية واشكالية التأويل) : 141 .
(26) ـ ينظر : خطاب الحكاية , بحث في المنهج , جيرار جنيت : 264 .
(27) ـ ينظر : الراوي والنص القصصي , عبد الرحيم الكردي : 59 .
(28) ـ سرديات جيرار جنيت في النقد العربي الحديث , منصوري مصطفى : 314 - 315 .
(29) ـ السرد العربي القديم , الأنواع والوظائف والبنيات , إبراهيم صحراوي : 97 .
(30) ـ ينظر : الراوي والنص القصصي : 60 - 61 .
(31) ـ السرد العربي القديم , الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل : 141 .
(32) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : 3 / 120 , ينظر : الأبيات الشعرية , المستطرف من كل فن مستطرف , شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي , تح : محمد خير طعمه الحلبي : 553 .
(33) ـ م ـ ن : 4 / 248 , ينظر : الأبيات الشعرية , كتاب أسحاق الموصلي , ابو الفرج الأصبهاني , تح : الأستاذ كرم البستاني : 161 .
(34) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : 2 / 187 , ينظر: الأبيات الشعرية , معجم الشعراء , المرزباني : 129 .
(35) ـ ينظر : السرد العربي القديم , الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل : 141 .

(36) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : 1 / 185 , ينظر : الأبيات الشعرية , الأغاني : 12 / 435 .
(37) ـ ينظر : ملامح الرواية عند جرجي زيدان , علاء الدين سعد جاويش :268 .
(38) ـ ينظر: الرواية العربية عصر التجميع , فاروق خورشيد : 168 .
(39) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : 3 / 172 .
(40) ـ م ـ ن : 5 / 154 , ينظر: الأبيات الشعرية , وفيات الأعيان , ابن خلكان : 95 / 96 .
(41) ـ الفن القصصي في النثر العربي : 289 .
(42) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : 5 / 135 , ينظر: الأبيات الشعرية , الطبقات الكبرى , ابن سعد : 3 / 286 .
(43) ـ م ـ ن : 2 / 52 , ينظر : الأبيات الشعرية في كتاب التهذيب تاريخ ابن عساكر , ابن بدران : 11 / 349 .
(44) ـ ينظر الفن القصصي في النثر العربي : 290 .
(45) ـ خطاب الحكاية , بحث في المنهج , جيرار جنيت : 265 .
(46) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : 3 / 18 , ينظر: الابيات الشعرية , معجم البلدان , ياقوت الحموي : 1 / 474 .
(47) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : 3 / 140 , ينظر: الأبيات الشعرية , أخبار المغنين والمغنيات في الجاهلية والإسلام , عبد الأمير مهنا : 146 .
(48) ـ م ـ ن : 2 / 194 , ينظر : الأبيات الشعرية , شعر يزيد بن الطثرية , تح : حاتم صالح : 65 .
(49) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : 1 / 144 .
(50) ـ ينظر : الخبر في الأدب العربي : 575 .
(51) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار :4 / 51 .
(52) ـ م ـ ن : 5 / 141 , ينظر : الابيات الشعرية , ديوان الفرزدق , تح : علي خريس : 332 .
(53) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : 2 / 63 , ينظر : الأبيات الشعرية في كتاب الشعر والشعراء , لابن قتيبة : 4/ 747 .
(54) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : 1 / 87 , ينظر : البداية والنهاية, ابن كثير : 10/ 226 .
(55) ـ ينظر : الخبر في الأدب العربي : 571 .
(56) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : 3 / 199 - 200 ,ينظر : الأبيات الشعرية , كتاب تهذيب التهذيب , أحمد بن حجر العسقلاني : 1 / 246 .
(57) ـ م ـ ن : 5 / 203 , ينظر : ديوان صريح الغواني , مسلم بن الوليد الأنصاري : 22 .
(58) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : 4 / 97 - 98 , ينظر : شعر الخوارج , تح : أحسان عباس : 232 .
(59) ـ م ـ ن : 4 / 113 , ينظر : معجم البلدان : 1 / 427 .
(60) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : 5 / 61 , ينظر : الأبيات الشعرية , ديوان جرير : 150 - 151 .

المصادر والمراجع

ـ الفن القصصي في النثر العربي في القرن الرابع الهجري , ركان الصفدي , الهيأة العامة السورية للكتاب , دمشق , ط1 , 2011 م .
ـ مدخل لجامع النص , جيرار جنيت , تر: عبد الرحمن أيوب , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , 1985 م .
ـ الكلام والخبر (مقدمة السرد العربي) , سعيد يقطين , المركز الثقافي العربي , بيروت , 1997 م .
ـ التفاعل في الأجناس الأدبية مشروع قراءة النماذج من الأجناس النثرية القديمة , بسمة عروس , مؤسسة الانتشار العربي , بيروت ـ لبنان , ط1 , 2010 م .
ـ ثقافة الأسئلة (مقالات في النقد والنظرية) , د . عبد الله محمد الغذامي , دار سعاد الصباح , الكويت , ط2 , 1993 م .
ـ آليات السرد في الشعر العربي المعاصر , د . عبد الناصر هلال , مركز الحضارة العربية , القاهرة , ط1 , 2006 م .
ـ الخبر في الأدب العربي (دراسة في السردية العربية) , محمد القاضي , دار الغرب الاسلامي , تونس , ط1 , 1998 م .
ـ الخطاب الروائي , ميخائيل باختين , تر : محمد برادة , دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع , القاهرة , ط1 , 1987 م .
ـ الرواية العربية عصر التجميع , فاروق خورشيد , دار الشروق , بيروت , ط3 , 1982 م .
ـ الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية , قراءة نقدية لنموذج معاصر , د . عبد الله محمد الغذامي , الهيئة المصرية العامة للكتاب , ط4 , 1998 م .
ـ خطاب الحكاية , بحث في المنهج , جيرار جنيت , تر : محمد معتصم وآخرون , الهيأة العامة للمطابع الأميرية , القاهرة , ط1 , 1997 م .
ـ السرد العربي القديم (الانساق الثقافية واشكالية التأويل) , : ضياء الكعبي , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت , ط1 , 2005 م .

ـ سرد الأمثال , دراسة في البنية السردية لكتب الأمثال العربية , د . لؤي حمزة عباس , من منشورات اتحاد الكتاب العرب , دمشق , 2003 م .
ـ البناء الفني في الرواية العربية في العراق , شجاع مسلم العاني , دار الشؤون الثقافية العامة , العراق ـ بغداد , 1994 م .
ـ السرد العربي القديم (الأنواع والوظائف والبنيات) , إبراهيم صحراوي , منشورات الاختلاف , الجزائر , ط1 , 2005 م .
ـ الأغاني , أبو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني (ت 356 هـ) , دار احياء التراث العربي , بيروت , 1994 م .
ـ بلاغة التزوير (فاعلية الأخبار في السرد العربي القديم) , د . لؤي حمزة عباس , منشورات الاختلاف , الجزائر , ط1 , 2010 م .
ـ الكامل في اللغة والأدب . لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد , عارضه بأصوله وعلق عليه , محمد أبو الفضل إبراهيم , دار الفكر العربي , ط3 , القاهرة , 1997 م .
ـ ديوان جرير , دار بيروت للطباعة والنشر , بيروت , 1986 م .
ـ الراوي والنص القصصي : عبد الرحيم الكردي , دار النشر للجامعات , القاهرة , ط2 , 1994 م .
ـ سرديات جيرار جنيت في النقد العربي الحديث , منصوري مصطفى , رؤية للنشر والتوزيع , القاهرة , ط1 , 2015 م .
ـ كتاب اسحاق الموصلي , أبو الفرج الأصبهاني , وقف على شرحة وتحقيقه , الاستاذ كرم البستاني , مكتبة صادر بيروت , 1951 م .
ـ كتاب المستطرف في كل فنٍّ مستطرف (850 هـ), تأليف شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي , تحقيق : محمد خير طعمة الحلبي , دار المعرفة , بيروت ـ لبنان , ط5 , 2008 م .
ـ معجم الشعراء , لأبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (384 هـ) , تحقيق : د . فاروق اسليم , دار صادر , بيروت , ط1 , 2005 م .
ـ ملامح الرواية عند جرجي زيدان , علاء الدين سعد جاويش , مؤسسة حورس الدولية , الاسكندرية , ط1 , 2011 م .
ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان , أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان (681هـ) , تحقيق : د . إحسان عباس , دار صادر , بيروت , (د ـ ط) , 1978 م .
ـ كتاب الطبقات الكبرى , محمد بن سعد بن منبع الزهري (ت 230 ه ـ) , تحقيق : د . علي محمد عمر , الناشر مكتبة الخانجي , القاهرة , ط1 , 2001 م .
ـ كتاب التهذيب تاريخ ابن عساكر , الشيخ عبد القادر بن أحمد مصطفى بن عبد الرحيم ابن محمد الرومي الدمشقي المعروف بابن بدران (ت 1346 هـ) , المكتبة العربية , دمشق , 1929 م .
ـ معجم البلدان , للشيخ الأمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626 هـ) , تحقيق : عبد الله بن يحيى السريحي , المجمع الثقافي , أبو ظبي , ط1 , 2002 م .
ـ كتاب أخبار المغنيين والمغنيات في الجاهلية والإسلام , د . عبد الأمير المهنا , دار الكتب اللبناني , ط1 , 2002 م .
ـ الشعر والشعراء , ابن قتيبة , تحقيق : أحمد محمد شاكر , دار المعارف , القاهرة , (د ـ ط) , 1951 م .
ـ كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار , ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشَري (ت 538 هـ) , تحقيق : د . عبد الأمير المهنا , مؤسسة الأعلمي للمطبوعات , بيروت ـ لبنان , ط1 , 1992 م .
ـ البداية والنهاية , أبو الفداء الحافظ ابن كثير (ت 774 هـ) , مكتبة المعارف , بيروت , (د ـ ط) , 1990 م .
ـ كتاب تهذيب التهذيب , لشيخ شهاب الدين ابي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ,(ت 852 هـ) , الناشر دار الكتب الإسلامي , القاهرة , ط1 , 2016 م .
ـ ديوان الفرزدق , شرحه علي خريس , مؤسسة الأعلى للمطبوعات , بيروت , ط1 , 1996 م .
ـ ديوان صريع الغواني , مسلم بن الوليد الأنصاري (208 هـ) , عنى بتحقيقه والتعليق عليه , د . سامي الدهان , دار المعارف , القاهرة , ط3 , 2009 م .
ـ شعر الخوارج , جمع وتقديم , إحسان عباس , دار الثقافة , بيروت ـ لبنان , ط2 , 1972 م .
ـ شعر الأحوص الانصاري , جمعه وحققه : عادل سليمان جمال , قدم له : شوقي ضيف , مكتبة الخانجي , القاهرة , ط2 , 1990 م .
ـ شعر يزيد بن الطثرية , صنعة حاتم صالح الضامن , ساعدت وزارة الأعلام على نشره , مطبعة اسعد , بغداد ـ العراق , ط1 , 1984 م .
ـ تداخل الأنواع الأدبية في رواية (عكا والملوك) للروائي أحمد رفيق عوض , د . عمر عبد الهادي عتيق , جامعة اليرموك , مج2 , 2008 م .
ـ تداخل الأجناس وهيمنة السرد على الشعر, (مقال) , عبد الرحيم مراشدة , جريدة الدستور , ع786 .
ـ التداخل بين الأجناس الأدبية للمقامات , صالح بن رمضان , مجلة جذور الجزء الرابع , المجلد الثاني , 2000 م .

ـ سردية النص السيري , غانم حميد عبود الزبيدي , رسالة ماجستير , كلية الآداب , جامعة البصرة , 2010

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

الشخصيات القصصية في كتاب عقلاء المجانين للنيسابوري

د. منتدى مانع دايخ
المديرية العامة لتربية محافظة القادسية- وزارة التربية
MuntdaMana@gmail.com

سأضع في بداية دراستي لنصوص كتاب (عقلاء المجانين) الحديث عن الشخصيات القصصية للاستشهاد بها، وتحليلها ونقدها، وبيان الأثر الفاعل الذي تؤديه تلك الشخصيات في بنية النص السردي، لتتيح لنا الكشف عن الأبعاد المعرفية التي تعين المتلقي ، ليُصبح النص السّردي حادثة قصصية تستدعي قراءة نقدية فاحصة للشخصية القصصية في نصوص كتاب (عقلاء المجانين)، والكشف عن مواقفها الإنسانيّة وادوارها ووظيفتها وتحركاتها عبر المسار القصصي، فالشخصيّة هي إحدى ركائز العمل القصصي، وعنصراً رئيساً من عناصر التشكيل السّردي فهي الّتي تدير الأحداث وتتقدم بها؛ ولا يخفى على أحد أهميتها في أي عمل سردي فلا يمكن التخلي عنها بما تمتلكه من قدرةٍ فنيّةٍ على التأثير فيمن حولها من الشخصيات، فمقياس الابداع القصصي هو خلق شخصيات قادرة على إقناع القارئ وإمتاعه والتأثير فيه(1)، وهي كما ذكرها تودوروف ((موضوع القضية السردية))(2)؛ لذا يعمد السارد إلى تحميلها أفعالاً وأفكاراً يريد إيصالها إلى المتلقي، لما لها من قدرة في تكوين الحدث وتصاعده ونهايته فهي تعتبر مقياس الإبداع والقطب الذي يدور حوله العمل السردي، والعمود الذي ترتكز عليه ، بلْ هي من يربط مكوناته وعناصره (3).

ويمكن التأسيس بناء على ما تقدم بأن الشخصية تحظى بعنايةٍ كبرى بوصفها الفن القصصي الذي يكمن في خلق الشخصيات القصصية في وضعٍ محدد، اجتماعي ، أو حضاري ورسم صورة متكاملة وشاملة للشخصية الإنسانية وكشف علاقاتها المعقدة في الواقع الخارجي(4)، فالشخصية عنصراً مهماً من عناصر النص القصصي بوصفها علامة قصصية مشحونة بوظيفةٍ ، أو بعدها سمة تُحيلنا على بنى إجتماعية وتركيبات نفسية أو ذهنية، إذْ سعت جهوداً كثيرة لإضاءة بنيتها وفاعليتها لكونها المحور الذي تدور حوله أحداث القصة كلّها، فهي تضع الحدث وتسهم في تكوينهِ وتُلقي أضواءً كاشفة على مكامنه (5)، حيث تمثل عنصراً أساسياً في العمل الروائي يبدعها خيال الراوي فتضطلع بمختلف الأفعال التي تترابط وتتكامل في مجرى الحكي السردي، لكونها "مدار المعاني الإنسانيّة ومحور الأفكار والآراء العامة، ولهذه المعاني والأفكار المكانة الأولى في القصة"(6).

وتبعاً لذلك ومن أجل بيان الحدود الفنيّة التي تشكلّت منها الشخصيات القصصية في نصوص عقلاء المجانين، وتقديمها نظراً لكونها ركناً مهماً من أركان العلاقة بين النصوص النثرية ومرجعياتها الواقعية، وربما تكون وليدة خياله المحض ليعكس من خلالها قيم العصر آنذاك ومشكلاته، ولأهميتها الكبيرة لما تنهض به من مهام في الإخبار والتّعبير عن تاريخ التجربة وخلق معادل موضوعي لحمل أفكار الكاتب، وتسعى للبوح عنها وتمثيلها بما تقوم عليه النصوص من آلياتٍ وصيغ بفضاءِ وقوعها، ليبني الكاتب من تجربته عملاً فنيّاً ضمن إطار اللغة التي يغذيها الخيال للنهوض بالحدث؛ ومنحها القدرة اللازمة على الحركة الواعية داخل اللعبة السّردية لتتولد وتتفاعل في نصوص عقلاء المجانين لتجسيد سياقاً اجتماعيا معيناً، أي تأخذ قيمتها كوسيلةٍ تعبيرية مؤثرة ترصد مختلف تغيّراتها من خلال تغيّر مجرى الأحداث، وترتفع بأهداف النصوص وتنجز مهماتها في الكشف عن مهمتهِ وحركته بين المرجع والنص، وترد بعض الشخصيات محوراً في الحكاية فتدور حوله الأحداث فتؤثر فيها وتتأثر بها(7)، وهو ما سنتعرف من خلاله ، على الأسلوب الفنّي الذي امتازت به نصوص كتاب عقلاء المجانين لشخصياته القصصية.

أولا : أنواع الشخصيات :

تتعدد أنماط الشخصية بتعدد القضايا ووجهات النظر المطروحة في القصّة، كما إنّ تقسيم الشخصيات إلى أنواع يتم بحسب الأعمال المنوطة بها، فضلاً عن أنّ الشخصيات في السّرد متنوّعة بحسب الوظيفة التي تقوم بها في سياق السّرد، وقد قام النقاد والباحثون بتصنيف الشخصيات إلى عدّة أنماط بحسب دورها في العمل السّردي، فمن الطبيعي أن تكون الشخصيات رئيسة ، أو ثانوية بحسب تأثيرها في النص وتقنياته ، وقد آثرنا تقسيم الشخصيات القصصية الواردة في النصوص الإبداعيّة في كتاب عقلاء المجانين حيث يمكن تحديدها وإعطاء بعض النماذج حسب أنواعها والدور الذي تؤديه إلى :

1- الشخصية الرئيسة :

وهي تلك التي تأخذ حيّزاً واضحاً في صنع الأحداث، أو التي تضطلع بالدور البطولي داخل العمل القصصي بحسب الدور المناط بها، لذلك تستحوذ الشخصية الرئيسة على اهتمامنا الأكبر لأنَّ " عناية القصة برسم معالم الشخصية الرئيسة عنايةٌ لم تنلها سواها من الشخصيات ، لأنها ذات حضورٍ سردي متميّز تفتقرُ إليه شخصياتٌ أخرى وغالباً ما تحتوي القصة على أكثر من شخصية رئيسة"(8)، ولعلَّ أهم ما يميّز هذا النوع من الشخصيات أنّها أساس بناء القصة التي تعتبر اللسان الناطق لها، وأفعالها في النص فهي التي تمثّل بؤرة لاستقطاب الحدث في النص.

وعند التأمل في نصوص عقلاء المجانين – موضوع المقالة- نلحظ حضوراً للشخصيات الرئيسة التي يُناط بها الدور البطولي وتحظى بالنصيب الأوفر من الاحداث، أو شخصيات ثانوية تؤدي وظيفة معينة تسهم في تطوير جزء من الحدث، ومن الشخصيات الرئيسة التي تُطالعنا في نصوص عقلاء المجانين ، ما نُقل عن شخصية "صباح الوزّان الكوفي" قوله : " لقيتُ بهلولاً يوماً فقال لي : أنت الذي يزعم أهل الكوفة أنك تشتم أبا بكر وعمر؟ قلت : معاذ الله أن أكون من الجاهلين . قال : إياك يا صباح فإنهما جبلا الإسلام وكهفاه، ومصباحا الخُلد وقنديلاه، وحبيبا محمد (ﷺ) وضجيعيه، وشيخا المهاجرين وسيداهم. ثمّ قال : جعلنا الله من الذين على الأرائك يسمعون كلام الله إذا زفّ القوم إلى سيدّهم"(9).

إنَّ المتأمل للنص أعلاه يلحظ أن الكاتب قدّم شخصية تاريخية وإنسانيّة رئيسة تمثّلت بشخصية (بهلول)، فهي التي تؤدي جوهرياً على المستوى الخُلقي والإنساني والاجتماعي والتاريخي وارتبط بمجتمعه وانصهر في بيئته؛ وظلّت شخصيته حاضرة على امتداد النص السرد الخبري ، فالراوي ينقل لنا الحوار المباشر الذي دار بين الشخصيتين صباح الوزّان الكوفي وبهلول، وتم من خلال اللُغة الحواريّة طرح قضية اجتماعية يكون لها تأثير كبير ومباشر على النسيج الاجتماعي والديني وعدم المساس برموز المسلمين واحترامهم، وطرح هذه القضية إنما جاء من أجل إظهار شخصية بهلول كشخصيةٍ رئيسة فعّالة ذات تأثيرٍ في قومها ومتمركزة حولها أحداث الحكاية وصولاً إلى جملةٍ من الكلام الوعظي الذي تضمن النُصح والإرشاد عن تعظيم مقام صحابة رسول الله (ص) وتوقيرهم، في هذا الموقف جانب من واقعية القصّة السياسية والدينية في بناء الشخصية الرئيسة وإظهار القدرة الفائقة بتحمل المسؤولية والحكم في الأمور حكماً إيجابياً سعياً منه لتغيير وضعهم الاجتماعي نحو الأفضل.

كما تظهر في نصوص عقلاء المجانين قضايا فكرية ذات مواقف خلافية تنطوي على قدرٍ من التعقيد، حيث يجسّد الراوي موقفه بأن جعل من الشخصية الرئيسة تمثّل رؤيته الفكرية، فوضعها في إطار قيمه وأفكاره، ومنها النص الآتي عن عثمان بن حكيم الأودي حيث يقول : " كان للحسن بن صالح جار يُقال له سلمة، فقال له : يا سلمة . فقال : لبيك .قال : أتؤمن بالمعاد؟ ففتح سلمة عينيه وغضب وقال : نعم يا حسن، كأنّي أنظر إلى يوم القيامة وقد قامت ، وإلى كرسي وقد وضع كما شاء الله، وإلى الموازين قد نُصبت، وإلى الصُحف قد نُشرت كما شاء الله ، وكأني أنظر إلى فريق في الجنة وفريق السعير . ولكن يا حسن اتقِ ولا تردّ أمر الله. فقال له الحسن :كيف أرد أمر الله؟ قال : إنكم معاشر الشيعة تدفعون أن أبا بكرٍ وعمر إماما عدل ، وقد قال الله عز وجل في كتابه : « إن الله يأمر بالعدل القضاء والإحسان » فتولية أبي بكر و من عدل الله الذي أمر به ، ثم تزعم أن عليا أولى بالأمر منها ، فإن لقيت الله بهذه المقالة لقيته وأنت من الخاسرين . فقال الحسن : ليس هذه مقالة أهل بيتك . قال : لكنها مقالتي يا حسن ، اشتفيتَ منّي فاشتفيتُ منك. قال الله : وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به " (10).

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

يكشف النصص القصصي أعلاه نافذةً نطلُّ من خلالها على الماضي وعوالمه وشخوصه؛ لتتيح لنا القدرة والتأمل الواعي للتجربة العميقة فنيّاً وإيحائياً المنبثقة من الشخصية الرئيسة (سلمة) في الحكاية بوصفها عنصراً فاعلاً ومؤثراً في الكاتب والمجتمع الذي حولها؛ فالقصة هنا تفصح عن شخصيّة قد حظيت بالسيطرة على معظم مساحة السّرد من خلال اللغة الحوارية الموحيّة ، قرّبها الكاتب إلى القارئ ليتفاعل معها والتاريخ معاً، وقد تمثّلت واتصفت شخصية (سلمة) بصفات التدبير والحكمة والمُثل العليا، من خلال الرد على الحوار الذي يبدأ بالسؤال والجواب ليدعم فكرته التي تكمن في تجسيد قيم العبرة والعظة ؛ ويخلق أجواء إيجابية في داخل القصة مقترناً بالدلالة القرآنية وقد عملت كل عناصر السّرد مجتمعة لإظهارها كشخصيةٍ متمركزة في الأحداث.

2- الشخصية الثانوية :

وهي الشخصية التي تؤدي وظيفة معينة تسهم في تطوير جزء من الحدث وتكون مساعدة للشخصيات الرئيسة في أداء مهماتها التي ترسم لها، وهي غالباً ما تكون جانبية غير مثيرة للاهتمام ويكون دورها في مجرى الحكي أقلُّ من غيرها(11)، إلا أنّها من الشخصيات المكملة لتفعيل نشاط الشخصية الرئيسة في الحدث القصصي.

ومن الطبيعي أن لا تخلو قصص عقلاء المجانين من هذا النمط من الشخصيات ساعدت في نسج الأحداث فهي منتشرة في قصصه، تمارس أدواراً مختلفة، ومنها شخصية أبو عبد الرحمن التي تمثّلت في النص الآتي : " قدِمَ علينا هارون أمير المؤمنين يريد الحج فنزل الحيرة وكنت بها فغدوت يوماً فرأيت بهلولا في جبانة كندة فقلت : يا بهلول إن لي حاجة فادع الله لي فاستقبل القبلة ورفع يديه ثم قال : يا من لا تحترك الجوارح دونه اقض لعزيز حوائج فحللت من خرقة كانت معي درهمين فقلت : هاكهما . فقال: يا ابا محمد انك تعلم اني .أخذ الرغيف وأشباهه ولا آخذ على الدعاء أجراً، قال أبو عبد الرحمن : قال أبي : حتى قضيت حاجتي"(12).

فشخصية (أبو عبد الرحمن) ماهي الا شخصية ثانوية أدّت وظيفة معينة وساعدت على ظهور الشخصية الرئيسة التي تمثّلت في شخصيةِ بهلول، والتي سلطت الضوء من خلالها على إظهار الحدث وشدّ الوقائع عن طريق الشخصية الثانوية، بحيث كشفت جانباً مهماً من جوانبِ سلوكية الشخصية الرئيسة وهي شخصية المجنون بهلول، وعلى الرغم من بساطة الدور الذي تلعبه الشخصية الثانوية فضلاً على الثباتية التي هي عليها إلا أنّها تمارس دوراً أكبر من دورها في العمل الفنيّ الأدبيّ رسمها الراوي لإثبات أهمية ومكانة هذه الشخصية، بوساطة الحوار الذي يدور بينها وبين الشخصيات الأخرى معينةً بذلك على فهمها من خلال الاحتكاك والتفاعل معها، (13).

كما لعبت شخصية الخليفة دور الشخصية الثانوية المؤثرة في أحداث القصة، حيث كان متسماً بالعبارة المركزّة التي يستند فيها إلى لُغة الحوار والحكمة، أو أنّه اقتسم دور البطولة مع الشخصية الرئيسة (سمنون)، حيث يقول الكاتب في النص الآتي : " أنهي إلى بعض الخلفاء خبر سمنون فأحب لقاءه خلوة ، فما زال يطلبه حتى ظفر به في الطواف . فقال له : يا سمنون، مع القربة خدمة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن حياة قلوب الواصلين إليه في خدمته . فقال له : كيف وصلت إليه ؟ قال : ما وصلت إليه حتى عملت ستة أشياء : أمتُّ ما كان حيّاً وهو النفس ، وأحييت ما كان ميتاً وهو القلب ، وشاهدت ما كان غائباً وهو الآخرة ، وغيّبتُ ما كان شاهداً الدنيا، وأبقيت ما كان فانياً وهو المراد ، وأفنيت ما كان باقياً وهو الهوى ، فاستوحشت مما تأنسون به وأنستُ بما تستوحشون"(14).

تعكس القصة حضور الشخصية الثانوية المتمثلة (بالخليفة) والتي لم يذكر فيها اسمه في الحكايةِ، حيث كان لها دوراً بارزاً في إظهار الشخصية الرئيسة (سمنون) وتنمية الأحداث التي تؤديها من خلال دورها الموكل إليها، وقد وظّفت لخدمتها وهي المعبّرة عن حركية الحياة وتفاعلاتها وعلاقتها بما تحيط بها كونها وسيلة الكاتب التي اختارها من وسيلة لطرح القضايا الفكرية في تجسيدِ رؤيته في الحرص على الفوز بالآخرة والحرص الدائب عليها ، لأنه " لا بدَّ لكلِّ قصة جيّدة من هدف تسعى إلى تحقيقه ، وغاية توضع من أجلها وهذه الغاية هي الفكرة التي يدير الكاتب قصته كلها حولها وهي تمثل وجهة نظره في الحياة وتقديره لها ونقده لأبنائها"(15).

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

ثانيا : أبعاد الشخصيات :

يُعرّف البعد على نحو عام بأنّه مصطلح " تصويري فضائي اقتبس من الهندسة، ويستعمل في جلّ المفاهيم الإجرائية المستعملة في السيميائية"(16)، وإذا ما تأملنا تعريف جيلفور بقوله : "إنَّ كُلَّ سمة من سمات الشخصية تتضمن فروقاً بين الأفراد، ويعني كلّ فرق من هذه الفروق اتجاها، وأمثلتها اتجاه صفة الكسل أو بعيداً عنها ، تجاه الاندفاع أو صوب الحرص وتجاه الدقة أو إزاء عدم الدقة وهكذا"(17)، ولذلك يتطلب فهم الشخصية معرفة أبعادها المختلفة من حيث الوضع الاجتماعي ، والبعد الخارجي ، والبعد النفسي، والبعد الديني التي تؤلف بمجملها مستوى تكوين الشخصية.

ويمكن أن نحدد الأبعاد الآتية للشخصية في كتاب عقلاء المجانين سواء أكانت أبعاداً خارجية تتعلق بالشكل الخارجي أو الجسمي، أم أبعاداً داخلية تتعلق بالمعطيات الثقافية والجوانب النفسيّة، وهي كالتالي :

1- البعد الخارجي (الشكلي) :

ويُقصد به دراسة الأبعاد الشكليّة للشخصية القصصية تقوم على توصيف المظهر العام لها وسلوكها الخارجي، وهي تستمد بناءها الجسماني من طول ، ونحافة ، وبدانة ، وعيوب وشذوذ عن طريق رسم خطوطها الخارجية ، حتى تظهر وتبرز ملامحها وتتجسم في مخيّلة القارئ(18).

ومن أجل التعرف على البعد الخارجي يظهر لنا ذلك في كتاب عقلاء المجانين من خلال الوصف المجنون (رزام) في النص الآتي: " كان بطرسوس مجنون يقال له رزام، وكان مدهوشاً يهذي ويسمع ويؤذي. فإذا خرج العسكر إلى أرض الروم خرج بخروجهم وحمل درقة وسيفاً ، فكلما لقي العدو أفاق كأن لم يكن به جنون ، وكان من أخشن الناس عليهم ، وربما قتل في اليوم جملة من العدو ، فإذا عاد إلى أرض الإسلام عاد إلى جنونه"(19).

من خلال البعد الخارجي أخذنا انطباع ذهني وفقاً لوصف الراوي الذي يتسم بالطابع الجمالي مشتملاً على الاسم الصريح والهيكل الخارجي، وفي تصوير وضع وحالة وهيئة المجنون (رزام) من حيث قواه البدنيّة من أنّهُ خشن الجسم وذو صلابة، فضلاً عن كونهِ قادراً على مواجهة العدو في المعركةِ وإحراز النصر والتغلب على خصمهِ، إضافة الى أنَّ صفة الجنون الواضحة عليهِ في بعض الأحيان، وحركات أفعاله ليحقق الراوي بذلك وظيفة تفسيرية تومئ إلى قدراتهِ إزاء المواقف والأحداث.

2- البعد النفسي :

يظهر البعد النفسي في عدّة مجالات تكون في أحسن حالاتها ضمن حقلي علما النفس والأدب اللذان يعملان على كشف الحقيقة واهتمامهما بالدوافع الانسانيّة ، فضلاً عن كونه وسيلة رئيسة لتناول العواطف والأخيلة والمشاعر والبناء الداخلي لهوية الشخصية والغوص في أعماقها؛ وهو ما يفصح عن الانعكاسات التي ترد على لسان الشخصية وفيما تفعله، ونوعية اللغة التي تتحدث بها، وطريقة حديثها وشدّة صوتها(20).

ولغرض معرفة هذا البعد نجد أنَّ نصوص عقلاء المجانين قد زخرت بهذا البعد منها النص الاتي : " سمعت حيونة تقول : من أحب الله أنس ، ومن أنس طرب ، ومن طرب اشتاق ، ومن اشتاق وله ، ومن وله خدم ، ومن خدم وصل ، ومن وصل اتصل ، ومن أتصل عرف ، ومن عرف قرب ، ومن قرب لم يرقد ،وتسورت عليه بوارق الأحزان"(21).

يتضح في النص أعلاه أنَّ البعد النفسي ظهر شكلٍ واضح من خلال ذكر الحالة النفسيّة التي تلازم الانسان وإحساسه الجميل عند محبتهِ وتعلقّه بالذات الإلهيّة؛ فيسمو بخُلقهِ وشمائله فوق الغرائز والشهوات ورغبته الصادقة في التعلق بالذات الإلهية، فالأنس , والطرب ، والاشتياق، صفات تبعث في نفسه السرور والسعادة وماهي إلا بعداً نفسياً يتكون داخل الشخصية نتيجة الارتباط مع الحبيب وهو الذات الإلهيّة.

3- البعد الاجتماعي :

إنَّ الغاية التي يتطلّع إليها هذا البعد هو دراسة البعد الاجتماعي للشخصيّة في نطاقِ علم الاجتماع، ومن هنا يجنح هذا البعد إلى دراسة المحيط والبيئة والظروف المتاحة والإمكانات المؤثرة داخل الشخصية الاجتماعية بوجه عام (22)، فيجسِّد بعدها الاجتماعي وتيارها الثقافي ومدى فعاليتها أو خمولها، وميولها وعلاقتها مع الآخرين في الوسط الذي تتحرك فيه(23)، والمحيط الذي نشأت فيه الشخصية القصصية والطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها، و مجال العمل الذي تزاوله ودرجة ثقافتها وتعليمها والمذهب الديني الذي تعتنقه، أي أن البعد الاجتماعي يتعلّق بمكانة الشخصيّة وتعاملها مع الحياة التي تعيشها.

ونقرأ البعد الاجتماعي في نصوص عقلاء المجانين حيث نجد سؤال سوار بن عبد الله القاضي أحد المجانين وهو شيخ موسوس، والنص هو كالآتي: " يا شيخ ما حرفتك ؟ قال : أنا أبيع الكعاب والدوامات من الصبيان. فقلت في نفسي : مع من وقعت ! فقال لي ما حرفتك ؟ قلت : لا أخبرك . قال : والله ما أنصفتني ! سألتني عن حرفتي فأخبرتك وسألتك عن حرفتك فلم تخبرني . فقلت : أنا أنظر فيها بين الناس وأمنع الظالم من المظلوم . قال الشيخ : ويقبلون منك ؟ قلت : من لم يقبل حبسته وأدبته . قال ويمكنك ذلك ؟ قلت : نعم إن معي أعواناً من السلطان . قال الشيخ : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به . قال سوار : فتصاغرت إلى نفسي"(24).

يتبين البعد الاجتماعي من خلال الحوار بين شخصيتين هما الشيخ الموسوس وسوار بن عبد الله القاضي، وهذا الحوار هيأ لنا فرصة الموازنة الاجتماعية بينهما، وسؤال سوار بن عبدالله القاضي للشيخ الموسوس عن حرفته ونوع العمل الذي يزاوله؛ وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على اختلاط الموسوس مع محيطة الاجتماعي، وأنّه لا يعيش العزلة والانفراد عن وطنهِ وأهله على الرغم من أنّه من الطبقات المهمشة في المجتمع والمحرومة من أبسط حقوقها كحقِ حسن المعاملة والتآلف مع المنظومة الاجتماعيّة، وهذا يتبين من خلال قوله في نفسه : (مع من وقعت؟) ، وهذا كلّه يبلور تجربته وسلوكه الذي أثرّت فيه الظروف المحيطة في تكوينه ويندرج ضمن البعد الاجتماعي(25).

4- البعد الديني :

وما دمنا بصدد الحديث عن أبعاد الشخصيات نجد أن البعد الديني في نصوص عقلاء المجانين، فإننا نجد إلى جانب الأبعاد السابقة البعد الديني وما يتصل بالديانة التي تعتنقها الشخصية، من خلال الاقتباسات الدينية من القران الكريم ، والاحاديث النبوية الشريفة ، ويكون محور حديثها عن العقاب ، والعفو ، والرحمة ، والحب الالهي.

لقد جاءت أهمية هذا البعد في بناء الشخصية، نتيجةً منطقية لتحديد سمات الشخصيّة الدينية والكشف عن محتويات اللاشعور وأفكاره واتصاله بالذات الإلهية واللواعج الدينية ، وكثير ما نجد في نصوص عقلاء المجانين البعد الديني بصورةٍ واضحة، منها النص الآتي: "- الواسطي يقول : خرجنا غزاة في الصائفة ، فرأيت في بعض الثغور مجنوناً يقال له شقران ، وقد ازدحم عليه الناس وهو يقول " يا أيها الناس الدنيا دار خراب ، وأخرب منها قلب من يعمرها ، والآخرة دار عمران ، وأعمر منها قلب من يطلبها ". لقد أدى وصف البعد الديني إلى جانب السّرد دوراً مهماً في النص، حيث يتضح البعد الديني للشخصية من خلال قولهِ: "يا أيها الناس الدنيا دار خراب ، وأخرب منها قلب من يعمرها ، والآخرة دار عمران، وأعمر منها قلب من يطلبها"(26).

نطّلع على البعد الديني للمجنون (شقران) حيث يُثبت فيها رؤياه الدينية وابتعاده عن الدنيا وتمسكه بالدار الآخرة ، حيث يقول : " قال الواسطي : وسمعته يقول مرة أخرى : الدنيا دار زوال وانتقال واضمحلال ، والآخرة دار جلال وجمال وكمال" عند التأمل في النص نجد البعد الديني واضحاً من خلال تأثّر الشخصية بزوال الدنيا الفانية واضمحلالها والبقاء للأخرة دار الخلود، فلذلك يوصي قومه بأنّ الموت حق وغاية كلّ حي ، وأن الآخرة هي دار السعادة والبقاء.

نخلص مما سبق أنّ الشخصية هي ركناً مهماً من أركان العناصر السّردية، ولها دوراً مهماً في اكتمال العمل الفنيّ أو الأدبي من خلال تمظهرها في القصة، وقادرة على إعطاء الصورة الواضحة من خلال تمظهرها في الحكاية بأسلوب السّرد ، والتي تثبت من خلال الحوار وتنامي الاحداث من خلال

الشخصية الثانوية وقد حفلت نصوص عقلاء المجانين الكثير من الشخصيات المتنوعة بأدوارها (الرئيسية ، والثانوية)، وكان الدور الأكبر وتعتبر شخصية محورية هي الشخصية الرئيسية التي يقع على عاتقها تطور الأحداث بوصفها مركزية؛ لهذا حظيت من الاهتمام من المتلقي فهي تقوده الى فهم عملية النسيج السّردي وتفاعلها المستمر مع سير الحدث ، وأما الشخصية الثانوية التي كان لها الدور الأهم في تسليط الضوء على الشخصية الرئيسة، على الرغم من أنها لم تحظى بالاهتمام مثل ما حظيت به الشخصية الرئيسة، فهي تمثل القسم الثاني من الشخصيات من حيث الدور الذي تؤديه، ولها دوراً كبيراً في مسرح الأحداث.

أما الأبعاد بموضوعاتها المختلفة فهي أساس البناء الفنيّ لدراسة جوهر الشخصية وباطنها ، ولا نجد شخصية تخلو من هذه الأبعاد وما يرافقها من مشاعرَ وعواطف وأحاسيس؛ لأنّ أي خلل من هذه الأبعاد ودورها وموضوعاتها هو خللٌ يصيب البناء الفنّي، وعلى المبدع مراعاة هذه الأبعاد لأنّ ما يميز الشخصيات وتحركها في داخل النص وفق علاقات تربط بعضها ببعض تجعلها ذات اهمية ، فهنالك شخصيات بسيطة ، وشخصيات معقدة ، فالنظر الى الشخصية بصفاتها الذاتية الفردية.

الهوامش :

1- ينظر : في مفهوم الشخصية الروائية ، د. إبراهيم جنداري ، مجلة ، ع (2)، لسنة 2001 : 11.
2- ينظر : البنية السردية في شعر الصعاليك، رسالة ماجستير ، ضياء غني لفتة، جامعة البصرة:138.
3- ينظر : في النص الروائي، إبراهيم جنداري: 12.
4- ينظر : الشخصية في المنجز الروائي لمدينة الناصرية، محمد كاظم كتوب : 9.
5- ينظر :فن القصة، محمد يوسف نجم : 146.
6- النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال.
7- ينظر :سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، التهامي نقرة: 360.
8- الشخصيات القصصية في الشعر العربي قبل الاسلام، ألحان عبد الله محمد: 20.
9- عقلاء المجانين : 147.
10-عقلاء المجانين : 219.
11-قال الراوي : 94.
12-عقلاء المجانين : 142.
13-ينظر :النقد التطبيقي التحليلي.
14-عقلاء المجانين : 233.
15-فن القصة ، أحمد أبو سعد : 13.
16- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم وترجمة: سعيد علوش: 51.
17-الأبعاد الأساسية للشخصية، أحمد محمد عبد الخالق : 202.
18-ينظر : النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال : 573.
19-ينظر : النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال : 573.
20-ينظر : دراسات في المسرح ، فؤاد علي خارز الصالحي : 53.
21-عقلاء المجانين : 289.
22-ينظر :أبعاد الشخصية ومرجعيتها : 127.
23-ينظر : النقد الأدبي الحديث : 537.
24-عقلاء المجانين : 304.
25-الشخصية ومرجعياتها : 25.
26-عقلاء المجانين : 245.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

التداخل الأدبي في كتاب الفصوص لصاعد البغدادي (ت 417هـ)

اعداد الطالبة منال معن حوذان
تحت أشراف أ.د. صادق جعفر عبد الحسين
جامعة ذي قار/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

الملخص
أن مفهوم التداخل النصي جاء من الغرب، ألا ان جذوره الأولى في النقد العربي القديم، جاء على شكل مصطلحات نقدية كالسرقات، والأغارة، والاستعانة وهذا يدل على أن المفهوم انبثق من حياة العرب القديمة، وهذا ما اشارت اليه الناقدة البلغارية جوليا كريستيفا، وورولان بارت من حتمية تداخل النصوص، لأسباب تتعلق بالموروث الثقافي البشري القائم على قراءة التجارب والاقوال التي مضى على قولها في زمن محدد، ومن ثم إعادة ترجمتها في الفنون الأدبية بما يتناسب مع الاحداث والظروف القائمة في الوقت الحالي، لذا فأن التداخل النصي يحدث بنسب متفاوتة مع النصوص الأدبية السابقة.
وبعد قراءة كتاب الفصوص اصاعد البغدادي، وجدنا ثراء واسع، لما يتمتع به الكتاب من تنوع فصوص مادته، وما تحمله من ثقافة عالية في طرح تداخلات في مختلف الفصوص الدينية، والتاريخية، وتداخل الكتب التراثية والشخصيات بكافة مجالاتها الحياتية، وطرح الاخبار عن الشعراء وغيرهم.

التداخل النصي لغة واصطلاحا:
مفهومه
أن التداخل النصي، ما هو الا امتدادات نصية متعمقة داخل النص، وخارجه، وقد تكون محيطة به، أي هو عالم منفتح على عوالمٍ متعددة أثر وتأثر بها، فتكون تفاعل خصب بين النصوص وسمي ما يعرف بالتداخل النصي، والتداخل النصي هو عبارة عن مفردتين منفصلتين يجب تحديد كل منهما على حدٍّ سواء.
التداخل لغة:
جاء في لسان العرب عند ابن منظور في كلمة(دَخَلَ)،" الدخول: نقيض، دَخَلَ يَدْخُلُ دُخُولاً وتَدَخَّلَ ودَخَلَ بِهِ؛ وقوله:

تَرَى مَرَادَ نِسْعِهِ الْمُدْخَلِّ
بَيْنَ رِحِى الْحَيْزُومِ والْمَرْحَلِّ
مِثْلَ الزَّحالِيفِ بِنَعْفِ التَّلِّ[1]

أنَّمَا أَراد المُدْخَلَ والمرحلَ فشَدَّد للوقفِ، ثم احتاج فأجرى الوصل الوقف، وجاء في الحديث: أذا أراد أحدكم أن يضطجع على فراشه فلينزع داخله أزاره، ولينفض بها فراشه، فأنه لا يدرى ما خلفه عليه؛ قال ابن الاثير: داخله الازار طرفه وحاشيته من داخل، وداخل كل شيء: باطنه الداخل؛ قال سيبويه: وهو من الظروف التي لا تستعمل الا بالحرف، يعني انه لا يكون الا اسماً مختص كاليد والرجل[2] أما في الدلالة فهو تشابك آمرين أو أكثر يصعب التفريق بينهم.

النص لغة فقد جاء عند أبن دريد قوله: واستعمل من معكوسة النصّ؛ نصَصتُ الحديث أنُصُه نَصاً، أذا أظهرته. ونصَصتُ العروس نصاً، أذا أظهرتها. ونَصصتُ البعيرَ في السير أنُصُّه نصاً، أذا وفعته. وقالوا: نَصصتُ الحديث، أذا عزوته الى محدِّثك به. ونصَصتُ العروسَ نصًّا، أذا أقعدتها على المنصَّة. وكل شيء أظهرته فقد نصَصْتهُ، ونصة المرأة: الشعر الذي يقع على وجهها من مقدم رأسها[3]، وما جاء عند ابن منظور في مادة "نصص" ما يلي: رفعك الشيء. نص الحديث ينصه نصا: وفعه وكل نص أظهر فقد نص. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري أي ارفع له واسند له"[4]، فالمعنى الدلالي للفظة(النصَّ) بمعنى الرفع والأضهار.

أما المفهوم الدلالي للنص فقد جاء في تاج العروس" نص المتاع نصاً، أي "جعل بعضهُ فوق بعضٍ"[5] فهذا المفهوم يجعل من التداخل النصي قريب من عملية الاحلال والازاحة التي تمارسها التداخلية النصية، لذلك يكون النص في استمرارية شبيه الى حد ما ترحال النصوص وتداخلها في التداخل النصي. أما في ما جاء بتعريف النص كمفهوم عند النقاد فقد قالوا:" النص هو صيغة الكلام الاصلية التي وردت من المؤلف، وجمعها نصوص. وحين نقول: نصُّ الحديث كذا..، نقصد متنه دون سلسة السند، وحين نقول: نص شعري، نقصد القصيدة كلها أو أي جزء منها يعطي فكرة تامة، أي هو كلام المؤلف دون تحديد جنسه كأن يكون شعراً، أو خطبة، أو رسالة، أوشرحاً، أوقصة...الخ"[6].

التداخل الادبي مع الكتب الأدبية التراثية:-

توطئة

التراث هو عالم واسع من الاستمرارية والخلود والبقاء، وهو عالم شغل الإنسانية في كيفية الاستفادة منه والاستمرار عليه والمحافظة والثبات على اهم ركائزه لديمومة البقاء، فهو ليس مختصر على مكان او زمان معين والأمم المثقفة تنهض بثقافتها عن طريق اهتمامها بالكتب التراثية المتوارثة من جيل لأخر، اذن التراث هو عالم واسع ويسعى فيه الاديب او الشاعر الى توظيف النصوص في الكتب التراثية توظيفاً اسلوبياً او فكرياً من خلال تداخلها مع نصوص الشعراء والاباء وتعالقها بطريقة تخدم النص الادبي وتجعله اكثر قبولا وتوسعا سواء كان ظاهرا ام مخفيا بوعي سكوني تام ام بغير وعي، وهذا لاحظه الكثير من النقاد والادباء عند استخدام مصطلح التداخل النصي عند اول إشارة اليه من الناقدة البلغارية(جوليا كر ستيفا)، حيث استعملته في عدة بحوث كتبتها بين عامي 1966-1967[7]، أن مهمة العقل الإنساني هي ادراك ووعي الوجود الحاضر والعمل الادبي انما يدرك في ظل علاقاته بالأعمال الأدبية الأخرى، فالأدب ينمو ويزدهر في ظل عالم ملئ بالكلمات كونت بفضل نصوص سابقة ومعاصرة، اعُتيدت صياغتها بشكل ملاءم للنص الادبي ويحدث منهجا تفاعل وهذا التفاعل يولد نصوص تشكل نتاجا مع مكونات الثقافة والقارئ؛ أي يمكن القول ان احداث النص الادبي تزامن الاحداث الواقعية الحاضرة وتحاليلها بطريقة فنيه[8]، وعند النظر الى كتاب الفصوص لصاعد البغدادي نلحظ هناك تداخلاً واضحاً بين هذه النصوص ونصوص من كتب أخرى سواء كانت متداخلة معها بالفكرة او الأسلوب او كليهما معا وجاء التداخل للنصوص مع الكتب الأدبية، ولاسيما الكتب المشرقية مثل كتاب الحيوان، البيان والتبين للجاحظ، والكامل للمبرد، وعيون الاخبار لابن قتيبة، والعقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي، كتاب الأغاني للأصفهاني، كتاب الأمالي والنوادر لابي علي القالي، والامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي. ونلحظ فيه ايضاً فيه تشابه كبير بينه وبين كتابي الجاحظ الحيوان والبيان والتبين من حيث التنوع العلمي والأدبي.

في النبات والحيوان، والمعادن، واحوال العرب، والاعراب وعاداتهم، وفي علوم القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر، والامثال، والبلاغة، فضلاً عن الفكاهة والمجون، وهذا ما نجده عند صاعد البغدادي في تنوع الفصوص حيث جعل مادته مكونة من عدة فصوص متنوعة ليشكل حرف استطراد للقارئ ليتجاوز الملل في التلقي، وكذلك نجد تداخلاً مع كتب الأمالي والنوادر للقالي من حيث يعدَّ مصنفه ارتجالياً دون اعتماد على المكتوب لم يكن الا وجها من عدة أوجه كما هو الحال في الفصوص الى الخ... من الكتب الأدبية.

وسنحاول عرض ما وجد من مادة في كتاب الفصوص لتداخل مع نصوص من الكتب السابقة مثلا ما جاء في كتاب البيان والتبين للجاحظ، من حيث الأسلوب كان انشائياً معتمداً على الاستطراد حيث كان يدخل في موضوع ويخرج الى موضوع جديد، لذلك دائما يذكر عبارات تبين ذلك، وكانت فصوص البغدادي نابضة بالحياة، مستمدة موضوعاتها من تفكير عميق، وعدَّة تجارب، وكانت فصوصه تجمع التنوع في القرآن، والحديث النبوي الشريف، مؤثراً الايضاح والسهولة، وكان أسلوبه انشائي شبيه الى حد ما أسلوب الجاحظ في الاستطراد، للترويح عن النفس ومنه ذكر صاعد في فصوصه قال: أنشدني يوسف بن الضّحاك قول لعلية بنت المهدي في مسجد الاشعريين، إذ قالت[9]:

اِشْرَبْ عَلَى ذِكْرِ الْغَزَالِ الْأَغْيَدِ الْحَسَنِ الدَّلَالِ { م. الكامل }
اشْرَبْ عَلَيْهِ وَقُلْ لِهُ يَا شُغْلَ الْبَابِ الرِّجالِ

ذكرت الشاعرة أوصاف من تغنت به، إذ كانت لطيفة المعنى، رقيقة الشعر، حسنة مجاري الكلام، شاغلة اشغال الرجال، وأجمل النساء وأضرفهن، لذلك جاء وصفها رقيقاً نابضاً بالحياة، إذ تغنت بكل شفافية واصفه بالغزال الذي يشغل الناس جمالاً وطرباً.

وجاء مثله استشهادات كثيرة في وصف النساء في كتاب البيان والتبين[10].وفيه قول بشار بن برد[11]:

أُنسٌ غَرائِرُ ما هَمَمنَ بِرِيبَةٍ كَظِباءِ مَكَّةَ صَيَّدُهُنَّ حَرامُ { الكامل }
يَحْسبنَ مِن لينِ الحدَيثِ زُوانياً وَيَصُدُّهُنَّ عنِ الخنا الإسلامُ

ومنه قول ذي الرمة في وصف أمراءه[12]:

وحَيرانَ مُلتجٍّ كأنَّ نجومَهُ وراءَ القتامِ العاصبِ الأعينُ الخُزْرُ { الطويل } نلحظ في هذه النصوص، أن الأسلوب الذي جاء به الجاحظ جاء دون تعليل او تحليل، ولا تداخل في الالفاظ، بينما بني على التنوع والاستطراد، وهذا ما جمع بين نصوص البغدادي والجاحظ، مما جعل مادة الكتابين متشابه الى حد ما في الاستطراد والتنوع، لكن مرامي كل منهما مختلفة من كتاب الى اخر. أما ما جاء من تداخلات كتاب الفصوص، بكتاب(الكامل) للمبرد، فالكتابان كبيران ينطويان على ثقافة واسعة، تنوعت في كثير من الموضوعات، والفصوص التي تحويها من لغة، ونحو، وحفظ المنثور، والمنثور من اقوال العرب، ومن نقل احاديث واخبار وقصص للعرب جاءت على نفس المنوال في كلا الكتابين، إذ كان المبرد في كتابه يستطرد للترويح عن القارئ، وكان يخفف عن هذا الاستطراد بعبارات خاصة ذكرها صاعد البغدادي في كتابه منها عبارة،(الشيء يذكر بالشيء)، وكذلك(الشيء يذكر بالشيء وأن كان دونه)، ومنه ما جاء في فص الحديث قال رسول الله محمد(ص): ((كفى بالسلامة داء))[13]. إذ بينّ الرسول(ص)، أن الانسان وسلامة من الداء هي الكافية الشافية ومثله جاء في كتاب(الكامل)،للمبرد قول حميد بن ثور[14]:

أرى بصري قد رابني بعد صحّة وحسبك داءً أن تصحّ وتسلما

نلحظ هنا ما ذكر من أسلوب في الكتابين، جاء يحتوي على ثقافة عالية، من خلال ما يملكانه من شخصية عالية عمودها علوم اللغة العربية، والإسلام، وما يحملانه من لغة، وحديث، ونحو، وامثال وحكم وغيرها من ذلك، إذ جاء التداخل بين الكتابين بمنثور الحديث، والنص الشعري، إذ جاء كلاهما بعبارات قصيرة، وجرس موسيقي مع استطراد بين الاسلوبين متأتي من تنوع العلوم والفصوص في الكتابين.

أما ما جاء في كتاب (العقد الفريد)، لأبن عبد ربه الأندلسي من تداخلات واضحة مع فصوص البغدادي، فهي كثيرة، لما فيها تشابه في مختلف جواهر الكلام، ودقة السبك، وحسن النظام، فمؤلف ابن عبد ربه الأندلسي جاء متنوعاً على عدة أجزاء، وعدد اجزاءه خمسة وعشرين كتاباً، وكل كتاب منها جزأن، فتلك خمسون جزءاً في خمسة وعشرين كتاباً وقد انفرد كل منها بجوهرة من جواهر العقد الفريد، وهذا يشبه الى حد كبير ما جاء من فصوص البغدادي، من حيث عدد فصوصه في الكتاب وكل فص هو شبيه بالجوهرة الثمينة، لما يحيويه من مختلف العلوم ومنها ما جاء في القرآن الكريم، قال الله عز وجل في كتابه الكريم:**((الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكَاةَ وأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ونَهَوْا عَنِ المُنكَرِ وَلِلهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ))**[15]. وصف الله سبحانه وتعالى في هذه الآية القرآنية الكريمة ما جاء به الحكام

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

من صفات، إذ مكنهم الله في الأرض، واختصهم بأمور خلقه، ومصالح رعيته، والاعتناء بأهل الطاعة منهم، وقد تداخل ابن عبد ربه في كتابه مع القران الكريم، إذ ذكر في كتابه اللؤلؤة في السلطان قائلاً: (قالت الحكماء: إمام عادل، خير من مطر وابل، وإمام غشوم، خير من فتنه تدوم، ولما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن)[16].

جاء هذا المنثور متداخلاً مع اية الذكر الحكيم من حيث اللفظ والمعنى، وهذا ما يدل على أن توظيف هذه الألفاظ في الفصوص جاء متأثراً بما جاءت به جواهر العقد الفريد، ومنه أيضا قول الرسول (ص):**"كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"**[17].جاء هذا الحديث متزامنا مع جوهرة من جواهر العقد الفريد في قول الافوه الأودي[18]:

لاَ يصْلُح النَاسُ فَوْضىَ لا سَرَاةَ لهم ولاَ سَرَاة إذا جُهَّالهم سَادُوا { البسيط }
وَالبيْت لا يبْتَنى إلا لهُ عَمَدٌ ولا عِمادَ إذا لمْ تُرسَ أَوْتَادُ
وإنْ تَجَمّع أوتادٌ وأعْمِدةٌ وساكنٌ، بلغوا الأمْرَ الذي كادا

هنا وصف الشاعر أن الإسلام والسلطان والناس مجتمعين للإصلاح؛ أي لا حياة لقوم بلا زعيم وإلا عاشوا في فوضى، ولا حياة لهم إذا تحكوا في أمرهم جهلة. ففي كلا النصين كان الأسلوب واضح في بيان مكانة الرعية، ومكانة الراعي المسؤول عنها سواء كانت هذه الرعية عامة ام خاصة، وهنا تداخل اللفظ والمعنى في الكتابين من حيث ف الحديث مع جوهر العقد الفريد ليكون اللفظ اقوى وأوضح في الأسلوب والتنوع والدقة. ونجد هذا التداخل أيضا في الخطابة للكتاب نفسه، إذ وردت خطبة لداود بن علي بالمدينة قائلاً:

((أيها الناس حتَّام يهتف بكم صريخكم؟ أما آن لراقدكم أن يهب من نومه((كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ))[19]! اغرّكم الإهمال حتى حسبتموه الإهمال؟ هيهات منكم، وكيف بكم والسوط في كفي والسيف مشهر))[20].

للخطب اسلوبها في كتاب العقد الفريد، فقد تداخلت مع ايُّ الذكر الحكيم، فالتناص مع الآية جاء ليؤدي دورا فاعلا في الإجابة عن كل ما يطرقه الخطيب في خطبته، وهذا ما ينماز به أسلوب الكتاب من رؤى وأفكار مقيدة به، ومثله جاء في كتاب الفصوص على نفس الأسلوب الذي سلكه ابن عبد ربه في كتابه في توازن وأسلوب واضح في الرد سواء كان في الخطابة ام في الشعر.

وما جاء من التداخل في الكتب الأدبية التراثية منه كتاب (الأغاني)، لأبي فرج الأصفهاني، إذ تداخل الكتاب وتشابه الى حد ما مع مؤلف البغدادي، من حيث غزارة الاشعار، والاخبار، والطرف، والنوادر التي ضمها كتاب الفصوص، فضلاً عن المادة العلمية في صناعة الغناء، وهذا ما نجده بحد ذاته تشابه وتداخل مع مؤلف الاصفهاني حيث قال فيه الصاحب بن عباد مقولة المشهورة: (لقد اشتملت خزانتي على مائتين وستة آلاف مجلد، منها ما هو سميري غيره؛(أي غير كتاب الأغاني)، ولا راقني منها سواه...)[21]، فكتاب الأغاني، كتاب مشحون بالمحاسن المنتخبة، والفقر الغريبة، وانه لزاهد فكاهة، وللعالم مادة وريادة، وللكاتب والمتأدب لصناعة وتجارة، وللبطل رُجلة وشجاعة، وللملك طيبة ولذاذة. أذا تمعنا في الكتابين، نجد أن أحد فصوص البغدادي جاءت بأخبار العرب وانسابهم ومجالستهم، وفك المعمى من الغامض، والتعمق في علم الموسيقى، وهذا ما نجده واضحا في كتاب الأغاني القائم على الاستطراد في نقل الاخبار والمجالسة مع الملوك والوزراء والادباء، إذ اصبح ضالتهم، ففي احد الفصوص نجد صاعد النديم المغنّي، والعالم الموسيقار، حيث ذكر خبر مفاده انه كان يحفي علمه بالموسيقى على المنصور وعامة الناس:

((دخل صاعد يوما على المنصور؛ فلما وصل اليه، وجد عودا بين يديه. فقال له المنصور: قد تواتر الخبر، وتحدث عنك البشر انك فرد في علم الموسيقى فماذا تقول؛ ولم يجد من ملجأ غير انه اخذ العود واخذ ينشد))[22]:

أبى القلب إلا حبها عامريةً لها كنيةً عمر وليس لها عمرو { الطويل }
تكاد يدي تندى اذا لمستها وينبت في أطرافها الورق الخضرُ[23]

وأذ ما وصلنا الى كتاب الأمالي لأبي علي القالي، نجدهما قد درجا ضمن ما وصف بأدب الأنس والدرس، وهي من المؤلفات التي قصد أصحابها الى المتعة والفائدة معا. ونجد تداخلات كثيرة بين الكتابين من حيث الأسلوب والتنويع في الموضوعات، فمثلاً نجد في كتاب الأمالي ينقل القالي خبرا مسندا الى ابن دريد وهو خبر ام الضحّاك المحاربية* عندما طلقها زوجها الضبابي وكانت تحبه حبا شديدا فقالت فيه:

هَل الْقَلْبُ إنْ لاقَى الضِّبَابيَّ خَالياً لَدىَ الرُّكْنِ أوْ عِنْدَ الصَّفَا مُتَحَرِّجُ { الطويل }
وأَعْجَلَنا قُرْبُ الْفراقِ وبَيْنَنا حَدِيثٌ كتَنشيجِ الْمَرِيضَيْنِ مُزْعِجُ[24]

وينقل صاعد نفس الخبر، لكن دون تسمية المراءة، مسندا الخبر الى راوية كوفي ابي عمرو الشيباني قائلاً فيه أن أمراءه عشقتْ رجلاً من بني الضباب فقالت:

هَل القلبُ إن لاقى الضبابيَّ خَالياً لَدى الركنِ أو عَنْدَ الصفا متحرَّجُ[25] { الطويل }

ففي كتاب الأمالي يورد أبو علي القالي الخبر متعلق بامرأة معروفة وهي(أم الضحّاك)، وخبر طلاقها من زوجها الضبابي، بأسلوب واضح باحثاً فيه التفوق بين المطالب المزعومة، بينما نجد في كتاب الفصوص توارد الأسلوب ذاته، مما جاء في وصف امرأة، دون ذكر اسماً لها تصف مشاعرها حول طليقها الضبابي. ونجد هنا أن الأسلوب ذاته قد تكرر في الكتابين، ولمسات الجمال قد باتت في متناول الشواهد الشعرية والموضوعات التي استعملها صاعد في نقل اخباره، على الرغم من التجديد فيها بأسلوب واضح ورزين.

ومن هنا جاءت الفكرة القائلة وما كتاب الفصوص لصاعد البغدادي الا مصنفاً واحداً كلاهما التزما بمنهج التنويع في نقل الاخبار، مما جعل صاعدا يبني فصوصه على نفس المطالب الكبرى التي بنى القالي عليها أماليه[26].

ومن الاخبار التي تداخلت في الكتابين خبر ذكر في الأمالي مفاده اجتماع وفود العرب بباب سلامه ذي فائش ليعزوه في ابنه وما قالوه في التعزية: حدثنا أبو بكر الانباري قال: حدّثنا عمي عن ابيه عن ابن الكلبي عن ابيه قال: نشأ لسلامه ذي فائش ابن كأكمل أبناء المقال، وكان به مسروراً يرشحه لموضعه، فركب ذات يوم فرسا صعبا فكبا به فوقصه، فجزع عليه ابوه جزعا شديدا وامتنع عن الطعام واحتجب عن الناس، واجتمعت وفود العرب ببابه ليعزوه، وكان من بين الوفود الملبلب بن عوف بن سلمه الجعفي فقال: ((أيها الملك، ان الدنيا تجود لتسلب، وتعطي لتأخذ، وتجمع لتشتت، وتحلى لتمر، وتزرع الاحزان في القلوب، بما تفجأ به من استرداد الموهوب؛ وكلُّ مصيبة تخطيتك جلل، مالم تدن الاجل، وتقطع الامل؛ وإن حادثاً ألمَّ بك، فأستبد بأقلك وصفح عن اكثرك لمن أجل النعم عليك؛.....الخ))[27].

نفس الخبر نقله صاعد في فصوصه لكنه زاد على اسناد القالي، فأصبح عن ابن الكلبي عن ابيه عن ابيه، وترك الخبر بدون شرح معتمدا على ما ذكره القالي من الفاظ تغنيه عن شرح المناسبة او الخبر الذي ذكره، وهذا بحد ذاته يعدُّ تشابه الى حد كبير بين الفصوص والامالي[28].

أما ما جاء في كتاب (الامتاع والمؤانسة)، لأبو حيان التوحيدي، من تداخلات بينه وبين كتاب الفصوص نرى انهما قد تشابها الى حد ما في قضية النسب، أي انهما أن كلاهما ينسب الى أدب ألأنس والدرس، إذ ورد في ليلة من ليالي الامتاع والمؤانسة ليلة مفادها أن الوزير قال:(يعجبني الجواب الحاضر، واللفظ النادر، والاشارة الحلوة، والحركة الرضية، والنغمة المتوسطة، لا نازلة الى قعر الحلق، ولا طافحة على الشفة)[29]. وكانت سرعة الجواب من ابي حيان قائلاً: ((اقتراح الشيء على الكمال سهل، ولكن وجدانه على ذلك صعب، لأنّ التّمنيّ صفو النفس الحّسية، ونيل المتمنى في الفرصة المحشوة بالحيلولة))[30].

ونجد هذا مثله في فصوص البغدادي، حيث ذكر خبر مفاده أنه اصطنع سرعة الجواب في كسب العيش، واصطناع المجون والهزل، ليكسب لقمة العيش، إذ جعل هزله المسلي للمنصور، ومجالسة الوزراء والادباء لنيل هبات المنصور فقال:

لِوَجْدِ شِعْرِي رَأيْتُ فِيهِ كَوَاكب اللَّيلِ كيفَ تَسْرِي { مخلع البسيط }
وإنَّما هَزْلُه مُجُونُ يَمْشِي بِه الْمَعاش آمْرِي[31]

نجد هنا توارد نفس الأسلوب في التصنع بسرعة الرد، وامتاع المقابل من الوزراء والشخصيات العالية، فصاعد البغدادي قد نهل من ينبوع ابي حيان التوحيدي، ووشح نصوصه بطريقته، متخذاً تزاوج الأسلوب، ووضوح الفكرة دون الخروج عن الرصانة التي عُرفّ بها التوحيدي في أسلوبه. فقال المدائني في ذلك: أحسن الجواب ما كان حاضرا مع إصابة المعنى وايجاز اللفظ وبلوغ الحجة[32]. نلحظ أن حضور الجواب هو ما كان يميز الأسلوب في الكتابين، والايجاز في اللفظ الخالي من الحشو.

أن التداخل النصي مع الكتب التراثية، تمثل ظاهرة قيمة محملة بالدلالات والصور والرموز، وقد مثَّلَ هذا المبحث، عالم متسع من المزج بين كتاب الفصوص لصاعد البغدادي وبين نصوص الكتب التراثية المتناولة في هذا المبحث، أذ عمد صاحب المؤلف الى التفاعل والتداخل الخارجي مع هذه الكتب، وجعل بناء ماده فصوصه مستمدة موضوعياً من بناء الكتب التراثية المشرقية، وذلك لتأثره بالفكر المشرقي من جهة، وليوضح للأندلسيين كيف شكلت مؤلفات المشارقة مرجعية أساسية للأندلس في شتى مجالات العلم والآداب. وكتاب الفصوص، كان مؤلف ملؤه بالمصادر التراثية التي كان لها دور كبير واضح في انفتاحها على النصوص الجديدة من خلال استعمالها تقنيات وآليات التداخل من الامتصاص، والاجترار لتشكل جمالية للصورة المرسومة للنص الجديد الممتص أو المجتر وهذا ما نلاحظه في فصوص البغدادي، فضلاً عن الأسلوب الذي استخذه صاحب الفصوص جاء متزامناً مع أسلوب الكتب التراثية المتداخلة ليعطي نسيج ابداعي بنَّاء، فضلاً عن ذلك، ذكر انفاً لا ننسى الخصائص الاسلوبية لكتاب الفصوص جاءت متشابهة الى حد سواء مع أسلوب الكتب التراثية المشرقية المتمثلة بالسهولة والايضاح ، والابتعاد عن الصنعة، والعناية بالألفاظ والمعاني.

الهوامش

1- لسان العرب، أبن منظور، مادة (دَخّل): 1341.
2- ينظر المصدر نفسه: 1341.
3- جمهرة اللغة، أبو بكر بن محمد بن الحسين ين دريد: 101.
4- لسان العرب: 97/7.
5- تاج العروس في جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي: 28/4.
6- مدخل الى تحليل النص الأدبي: د. عيد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزق: 7.
7- ينظر النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، د. محمد عزام: 37.
8- ينظر: انفتاح النص الروائي، النص والسياق، سعيد يقطين: 106-107.
9- الفصوص: 193/1.
10-البيان والتبين: الجاحظ، عمر بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، ت: عبد السلام هارون: 276/1.
11-المجدي في أنساب الطالبين، علي بن محمد ابن الصوفي: 348.
12- ديوان ذي الرمة: 104.
13- بحار الأنوار، العلامة المجلسي: 175/78.
14- الكامل، المبرد: 125، 506. ديوان حميد بن ثور: 7.

15- الحج: 41.
16- كتاب العقد الفريد، ابن عبد ربه الاندلسي: 9.
17- صحيح البخاري، الراوي عبد الله بن عمر: 2409.
18- ديوان الأفوه الاودي: 65-66. العقد الفريد: 10.
19- المطففين: 14.
20- العقد الفريد: 10.
21- الأغاني، أبو فرج الاصفهاني: 32. مجلة الرسالة، المناظرات الأدبية القديمة، كوركيس عواد، العدد: 457، لسنة: 24-12- 2017.
22- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبن بسام: 33.
23- ديوان أبو صخر الهذلي: 102.
24- ام الضحاك المحاربية: شاعرة عربية جاهلية من شاعرات الغزل. الأمالي، أبو علي القالي: 86.
25-صاعد البغدادي، حياته واثاره: 329.
26- ينظر المصدر نفسه: 322-323.
27- الأمالي: 2/ 112.
28- ينظر: صاعد البغدادي، حياته واثاره: 330.
29- الإمتاع والمؤانسة: 380/3.
30- ينظر المصدر نفسه: 3/ 380.
31- صاعد البغدادي، حياته واثاره: 201.
32- ينظر: الإمتاع والمؤانسة: 380/3.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

أحسنُ طرق التفسير في منظور الدكتور صلاح الخالدي من خلال كتابه تعريف الدارسين - دراسة وصفية نقدية -

م.م. عبدالله يوسف نافع
abdullah.nafi@uoanbar.edu.iq
أ.د طه إبراهيم شبيب
dr.taha.shbeeb@uoanbar.edu.iq
جامعة الأنبار- كلية التربية للعلوم للإنسانية

الملخص:
يُعدُّ العلامةُ الدكتور صلاح الخالدي أحد رواد المؤلفين في اتجاهات التفسير , إذ إن كتابه (**تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**) هو من أبرز الكتب التي كُتِبتْ في بابه, ومن ضمن ما تطرق له في كتابه حديثه عن أحسن طرق التفسير, وكيف تسهم هذه الطرق في ضبط المنهج التفسيري لأيّ مفسر يقوم بتفسير القرآن الكريم, ولأجل هذا جاء بحثي هذا ناقداً لما ذكر الخالدي من تبويب علمي لأحسن طرق التفسير وأثرها في تكوين المفسر.

Summary:
The scholar Dr. Salah Al-Khalidi is considered one of the pioneering authors in the directions of interpretation, as his book (Introducing Scholars to the Methodologies of Interpreters) is one of the most prominent books written in its chapter, and among what he touched on in his book is his talk about the best methods of interpretation, and how these methods contribute to controlling the curriculum The interpretation of any interpreter who interprets the Holy Qur'an, and for this reason my research came to criticize what Al-Khalidi mentioned regarding the scientific classification of the best methods of interpretation and their impact on the formation of the interpreter.

المقدمة
الحمد لله المنان, مُنَزّلِ القرآن, بالحجةِ البالغة وأفصح البيان, والصلاة والسلام الكاملان الأتمان على سيد العرب من بيني عدنان وبني قحطان, ما طلع النيران, وتعاقب الملوان.
وبعد؛ فإن البحث في مناهج المفسرين يُعدُّ باباً معاصراً من أبواب البحث العلمي في علم تفسير القرآن الكريم, وما يحيط به من علومٍ ذاتِ صلة مباشرة, ومن الجدير بالبحث والنقد والتقويم تلك التأليفات التي كُتبت في مناهج المفسرين, ومن ضمنها كتاب الدكتور الخالدي الموسوم بـ (**تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**), إذ يعد من الكتب المعتبرة والأساسية في مناهج المفسرين, ولذا كان من الواجب تناولها بالبحث والدراسة, لما لها من أفكار جديدة تحتاج إلى تقويم ونقدٍ, وقد جاء بحثي هذا ناقداً لأحد المحاور والجزئيات التي تطرق لها الخالدي في تفسيره, ألا وهو الحديث عن (أحسن طرق التفسير), وخدمة هذه الطرق لعمل المفسر, وأثرها في تقويم أقواله التفسيرية وتقييمها.
وعلى هذا الأساس جاء بحثي في ناقداً لكلام الدكتور الخالدي في أحسن طرق التفسير, وذلك عن طريق ثلاث مطالب, جاء الأول منها متحدثاً عن سيرة الخالدي العلمية, وجاء المطلب الثاني متحدثاً عن كتابه

وواصفاً له ولما اشتمل عليه من مباحث ومسائل, وجاء المطلب الثالث ناقداً لنظرة الدكتور الخالدي في أحسن طرق التفسير وإمكانية إسهامها في صناعة المفسر.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة الدراسة في البحث أمكانية خدمة طرق التفسير للعلمية التفسيرية والآلية التي يمكن من خلالها أن يستفيد المفسر من هذه الطرق, وقد اقترح الدكتور الخالدي آلية لاستعمال هذه الطرق لينضبط بها عمل المفسر, والتي نصب حولها عملنا النقدي والتقويمي لما ذكره الدكتور الخالدي.

أهمية البحث:

تكمُن أهمية البحث في تقويم العمل بطرق التفسير, وضبط الآليات التي تحدد إمكانية استعمالها في العمل التفسيري, إذ لا بدّ لكل طريق من طرق التفسير من ضوابط ومعايير يحدد بها إمكانية العمل به من عدمها, وعلى هذا الأساس فليس ثمة تفاضل بين الطرق التفسيرية إلا من ناحية توافر ضوابط الاستدلال والاستعمال من عدمها, والدراسة النقدية لهذه الطرق تُوجِدُ للمفسر المساحة والآليات التي يمكنه من خلالها استعمال هذه الطرق.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى التوصل إلى العديد من المحاور المهمة المتعلقة بكيفية استعمال أحسن طرق التفسير والاستعانة بها في تفسير القرآن الكريم, وهي كما يأتي:

1- معرفة أهمية طرق التفسيرية في خدمة العمل التفسيري.
2- وضع ضوابط وآليات تسهم في تحديد مواطن استعمال طرق التفسير.
3- تقويم العمل بطرق التفسير بحسب توجه المفسر, وذوقه التفسيري, وثقافة بيئته وعصره.
4- التأكيد على أن طرق التفسير قابلة للتطوير والتجديد.

المطلب الأول: التعريف بالدكتور صلاح الخالدي, وكتابه.

أولًا: اسمه ونسبه وكنيته ومولده.

هو الدكتور صلاح بن عبد الفتاح بن محمد بن يوسف الخالدي، كنيته أبو أسامة نسبة الى ولده المرحوم أسامة ، أما نسبه فيرجع الى بني خالد ، وهي قبيلة عربية أصيلة، يرجع نسبها إلى الصحابي الجليل خالد بن الوليد[1]، ولد الخالدي في مدينة (جنين) في الضفة الغربية بفلسطين المحتلة - ردها الله للمسلمين - في الثامن عشر من محرم الحرام لسنة سبع وستين وثلاثمئة وألف من الهجرة النبوية الشريفة الموافق: 1/ 12/ ١٩٤٧م[2].

ثانياً : نشأته وطلبه للعلم.

نشأ في أسرة فقيرة تمتهن الزراعة ، متربياً على الفضائل والقيم التي كانت سائدة في المجتمع . ودرس في المدارس الحكومية حتى أكمل فيها المرحلة الابتدائية وستتين من الدراسة الاعدادية . ثم انتقل إلى محافظة نابلس للدراسة في المعهد الديني الإسلامي فدرس فيها سنتين: الثالث الاعدادي والأول الثانوي ، وكان ذلك سنة 1964- 1965م ولأن هذه المدرسة كانت مرتبطة مع الأزهر الشريف وكان من سياستها ارسال الطلبة المتفوقين للدراسة في الأزهر الشريف في مصر على وفق نظام البعثات فقد يسر الله له ذلك بأن تفوق ونال هذه البعثة وانتقل على أثرها الى الثانوية الأزهرية وقدمها في معهد البحوث الإسلامية في القاهرة سنة 1965م، وهناك حصل على الثانوية الازهرية سنة 1966م، ثم دخل كلية الشريعة ليحصل على البكالوريوس في الشريعة من جامعة الازهر سنة 1970م.

وبعد رجوعه الى الأردن عمل موظفاً في وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية ، واعظاً ثم مديراً لأوقاف الطفيلة[3] سنة ١٩٧١ – ١٩٧٤م، ثم مراقباً للتوجيه الإسلامي في مديرية أوقاف السلط سنة ١٩٧٤ – ١٩٧٦م. بعدها ابتعث للدراسة لإكمال الماجستير في تخصص التفسير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض سنة ١٩٧٧م، ونال درجة الماجستير سنة ١٩٨٠م بتقدير امتياز عن رسالته الموسومة (سيد قطب والتصوير الفني في القرآن)، بعدها عاد إلى الأردن وعمل مدرساً في كلية العلوم الإسلامية التابعة لوزارة الاوقاف سنة ١٩٨١ م واماماً وخطيباً في مسجد عبد الرحمن بن عوف في

صويلح ، بعدها قبل في الدكتوراه تخصص التفسير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٩٨١م، وحصل على شهادة الدكتوراه سنة ١٩٨٤م بتقدير امتياز ايضاً ، عن اطروحته الموسومة (في ظلال القرآن – دراسة وتقويم –)، ليعود بعدها إلى الأردن ويبدأ برحلة في تقلد الوظائف وتأليف الكتب.[4]

ثالثاً: شيوخه:

كان الالتزام الديني للشيخ وتنوع دراسته وتنقله بين مختلف البلدان الأثر الواضح والبليغ السيد برج الله أحد على كثرة مشايخه ، ففي فلسطين كان من أبرز مشايخه الشيخ موسى علماء فلسطين ، وقد كان عالماً عاملاً ربانياً وخرج من العلماء الكثير . أما في مصر فكان له عدة مشايخ على الرغم من الظروف التي كانت تمر بها مصر في تلك الحقبة حيث كان هناك حرب على العلماء وكثير منهم في السجون ، ومنهم الشيخ محمد الغزالي وسيد سابق وعبد الحليم محمود . وهو وعندما سافر الى المملكة العربية السعودية لدراسة الماجستير والدكتوراه تتلمذ على يد علماء أجلاء الأستاذ الدكتور احمد حسن فرحات حيث كان مشرفة في رسالة الماجستير وأطروحة الدكتوراه ، والاستاذ محمد قطب الذي التقى به في مكة المكرمة لإعداد الباب الذي سيتكلم به عن سيد قطب وحياته وكان مناقشاً له مع الشيخ الدكتور محمد الراوي رسالة الماجستير ، ومن مشايخه أيضاً : الشيخ عبد الله الغديان – عضو هيئة كبار العلماء - | الذي درسه علوم القرآن الكريم ، والشيخ الدكتور مصطفى مسلم الذي درسه مادة التفسير وغيرهم من الشيوخ الكثيرين ... والتقى ايضاً بالسيد أحمد صقر ، والأديب السعودي المعروف أحمد عبد الغفور عطار . والناظر في شيوخه يرى قلتهم في فلسطين وكثرتهم في غيرها من البلاد ، وسبب ذلك أن الدكتور الخالدي كان حديث السن عند خروجه من فلسطين ، ولم يتمكن من العودة اليها، وأن غالب مشايخه من الذين درسوه في مرحلتي الماجستير والدكتوراه في المملكة العربية السعودية . وان معظم مشايخه لهم نتائج علمي زخرت به المكتبات العربية والإسلامية وكان لها الاثر الواضح في النهضة الإسلامية والتي ألقت بظلالها على شخصية الدكتور العلمية في تأليف الكتب.[5]

المطلب الثاني: التعريف بكتاب (تعريف الدارسين بمناهج المحدثين):

يُعدُّ كِتاب «**تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**» من الكتب المهمة التي أُلفت في مناهج المفسرين, إذ يقولُ مؤلفُهُ عن سبب تأليفِهِ للكِتابِ: "ورأيتُ الحاجةَ ماسةً إلى تعريف الدارسين من طلابٍ جامعيين وأكاديميين ومثقفين إسلاميين، وطلبة علم حريصين عليه بأهم مناهج المفسرين وعرض لأهم قواعد كل منهج، وتعريف بأشهر التفاسير التي تحقق فيها هذا المنهج؛ ولهذا أعددتُ هذه الدراسةَ".[6]

وأما مضمون الكتاب الذي بين أيدينا؛ فقد اشتمل على ثمانية فصول، إذ تحدث **الفصل الأول** عن مقدمات مفاهيمية وضرورية قدمها الدكتور الخالدي للكتاب؛ لكي يكون من خلالها تعريف لمناهج المفسرين, إذ اشتمل هذا الفصل في مبحثه الأول على التعريف بمناهج المفسرين، وبيان أهمية معرفة مناهج المفسرين، وقد تكلم في المبحث الثاني عن مصطلحي: (**التفسير**) و(**التأويل**)، كما تعرض فيه إلى الأقوال التي فرَّقت بين المصطلحين، أما المبحث الثالث؛ فقد استعرض فيه الدكتور الخالدي حركة التفسير على طول مسيرتها التاريخية منذ نشأتها وحتى العصر الحديث، وفي هذا المبحث ذكر الدكتور الخالدي تقسيمًا تاريخيًّا لمناهج المفسرين.[7]

أما الفصل الثاني؛ فقد تحدثَ فيه الدكتورُ الخالدي عن أهم الشروط والضوابط والعلوم والآداب والتوصيات التي لا بدَّض أن تتحقق في المفسرين وتكون حاضرة في تفاسيرهم؛ حتى تكون تفاسيرهم مستقيمة قائمة على المنهج الصحيح.[8]

أما الفصل الثالث؛ فقد تحدث فيه المؤلفُ عن تفسير القرآن بالقرآن والسنة؛ لأن الدكتور الخالدي يرى أنَّ هذه المناهج هي الأساس الذي يجب أن تقومَ عليه التفاسير، إذ تحدث في المبحث الأول منه عن تفسير القرآن بالقرآن، وتحدثَ في المبحث الثاني عن تفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية، وتحدث في المبحث الثالث عن تفسير الرسول ﷺ للقرآن الكريم؛ وذلك باعتباره المفسر الأول للقرآن الكريم، وقد بيَّن فيه المقدارَ الذي فسَّرهُ الرسولُ ﷺ مِنَ القرآن الكريم، وصدره تفسيره للقرآن الكريم ومظان تفسير الرسول ﷺ من كتب التفسير والسنة.[9]

أما الفصل الرابع؛ فقد خصص للحديث عن التفسير المأثور, وذلك بعدّهِ المنهج الأول ظهورًا من بين مناهج المفسرين, إذ يُعدُّ المنهج الذي فسَّرَ الرسولُ ﷺ به القرآنَ الكريمَ, وفسَّرَ به الصحابةُ رضي الله عنهم والتابعونَ وتابعوهم كِتابَ الله تعالى.

وقد تحدَّثَ الخالدي في المبحث الأول عن مفهوم التفسير المأثور, والمصادر التي نرجع إليها للأخذ بالتفسير المأثور، أما المبحث الثاني فقد عرض فيه أهمَّ قواعد وضوابط التفسير المأثور, وفي المبحث الثالث تابع المؤلفُ فيه خطواتِ التفسير بالمأثور من الصحابة إلى التابعين إلى تابعيهم وكيف كانت تفسير المأثور عِلمًا مُدمجًا بعلم الحديث ثُم انفصل بعد ذلك بالتأليف حتى قام بصفته علمًا مستقلًا.

وفي المبحث الرابع تحدَّثَ فيه عن تفسير الصحابة رضي الله عنهم وأشهر المفسرينَ مِنَ الصحابة وما يتعلق بهم، وأما المبحث الخامس فقد تحدَّثَ فيه عن التفسير بالمأثور عند التابعين وتضمن أيضًا التعريف بأهمِّ المفسرين مِنَ التابعين، وتحدَّثَ فيه عن مناهج أحد كبار التابعين في التفسير ألا وهو الحسن البصري[10] رحمه الله تعالى، وأما المبحث السادس فقد تحدَّثَ فيه عن التفسير بالمأثور في زمن أتباع التابعين، وقام المؤلفُ بالتعريف بأهمِّ أعلامِ التفسير في هذه المرحلةِ، أما المبحث السابع فقد تحدَّثَ فيه عن التفسير بالمأثور حتى القرن التاسع الهجري وفيه تم الحديث عن التأليف في التفسير بالمأثور المجرد والمتمثل بكتاب السيوطي رحمه الله تعالى المسمى بـ (الدر المنثور في التفسير المأثور).[11]

أما الفصل الخامس؛ فقد تحدَّثَ فيه المؤلفُ عن المنهج الثاني من مناهج المفسرين؛ وهو منهج التفسير الأثري النظري، إذ عَدَّهُ المنهجَ الأهمَّ مِن بين مناهج المفسرين، وقد تطرَّقَ فيه الى التعريف بثمانية تفاسير تنتمي بحسب رأيه إلى المنهج الذي اقترحه، وهي: تفسير يحيى بن سلام البصري, وتفسير بقي بن مخلد، والتفسير الوسيط للواحدي، وتفسير البغوي، وتفسير ابن عطية الأندلسي، وتفسير ابن الجوزي, وتفسير القرطبي، وتفسير الشوكاني.[12]

كما تكلَّمَ في المبحث الثاني عن تفسير الإمام الطبري؛ وذلك باعتباره التفسير الأشهر في الباب الأثري النظري بل التفسير الأشهر على الإطلاق إذ عرَّفَ فيه مؤلف التفسير وتحدَّثَ عن منهج الطبري في تفسيره.[13]

أما المبحث الثالث؛ فقد تحدث فيه عن تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فعرَّفَ بمفسرِهِ وبيَّنَ فيه قواعدَ منهجِهِ الأثري النظري في التفسير.[14]

أما الفصل السادس؛ فقد تحدث فيه الدكتور الخالدي عن المنهج الثالث من مناهج المفسرين ألا وهو التفسير بالرأي المحمود أو التفسير العقلي المنضبط إذ تحدث في المبحث الأول عن مفهوم التفسير بالرأي المحمود واختلاف العلماء فيه والشروط التي لا بد من تحققها فيه لكي يكون تفسيرا محمودًا ومنضبطًا.[15]

أما المبحث الثاني؛ فقد خصّصه الدكتور الخالدي للحديث عن أشهر سبع التفاسير تمثل التفسير بالرأي المحمود, وهي تفسير البيضاوي وتفسير النسفي وتفسير القومي النيسابوري, وتفسير أبي حيان الأندلسي, وتفسير البقاعي, وتفسير أبي السعود, وتفسير الآلوسي.[16]

أما المبحث الثالث؛ فقد خصّصه للحديث عن أشهر هذه التفاسير بالتفصيل ألا وهو تفسير الإمام الرازي رحمه الله المسمى بـ (مفاتيح الغيب)، إذ ترجمَ للإمام الرازي ترجمةً مُجملةً ثم تعرض لبيان منهجه في التفسير.[17]

أما الفصل السابع؛ فقد خصصه الدكتور صلاح الخالدي للحديث عن الاتجاهات المنحرفة -بحسب رأيه- في التفسير التي اصطلح لنفسه أن يدرجها ضمن التفسير بالرأي المذموم, وقد قسّم هذا الفصل الى اربعة مباحث تناول في المبحث الأول أهم أسباب الانحراف في التفسير, وتناول في المبحث الثاني أهم الفرق المنحرفة في التفسير, وذكر منها المعتزلة والشيعة والخوارج والصوفية والفلاسفة ومدعي التجديد المعاصر, أما المبحث الثالث فقد خصصه للحديث عن أشهر ستة تفاسير تمثل فيها الانحراف في التفسير وهي: تفسير مجمع البيان للطبرسي الإمامي الشيعي، وتفسير همیان الزاد لمحمد طفيش الإباضي الخارجي، والبرهان في تفسير القرآن لهاشم البحراني الشيعي الامامي، وحقائق التفسير للسلمي الصوفي، والتأويلات النجمية لنجم الدين داية الصوفي، والهداية والعرفان للدمنهوري الإلحادي.[18]

وتكلم في المبحث الرابع عن تفسير الكشاف للزمخشري, وذلك بعدّه أبرز تفسير في هذا الاتجاه الذي سماه بالاتجاه المنحرف, إذ ترجم فيه للزمخشري وقام بعرض قواعد المنهج التفسيري عند الزمخشري في تفسيره.[19]

أما الفصل الثامن والأخير؛ فقد تكلَّم فيه الدكتور صلاح الخالدي عن التفسير في العصر الحديث, وذلك من حيث طبيعته واتجاهاته, فقد تضمّن المبحثُ الأول من هذا الفصل الحديثَ عن طبيعة التفسير في العصر الحديث, اما المبحث الثاني فقد عرض فيه اهم الاتجاهات التفسيرية في العصر الحديث وهي الاتجاه الاثري الاتجاه العلمي الاتجاه العقلي الاتجاه التوفيقي الاتجاه الدعوي[20]

أما المبحث الثالث, فقط تعرض فيه للتعريف بأشهر خمسه اتجاهات معاصره تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ومحاسن التأويل للقاسمي واضواء البيان للشنقيطي والتحرير والتنوير لابن عاشور والتفسير المنير للدكتور وهبه الزحيلي.[21]

أما المبحث الرابع فقد خصصه للحديث عن تفسير سيد قطب في ظلال القرآن إذ عَرَّفَ فيه سيد قطب تعريفًا مُجملًا ثم تَحدَّثَ فيه عن قصة تأليفه لتفسير الظلال والمراحل التي تم تأليف هذا التفسير بها، ثم تحدث عن منهجه التفسيري والذي اصطلح لنفسه أن يسميه بـ **(التفسير الحركي التربوي الدعوي)**, وبه عَرَّفَ الدكتورُ بأهداف سيد قطب مِنَ الظلال وقواعد منهجه في التفسير، ثم عَدَّ تفسيرَ الظلالِ نقلةً جديدةً في تاريخ تفسير القرآن الكريم لمح التعارض لمظاهر هذه النقلة التي أحدثها سيد قطب في كتابه.[22]

وبهذا الذي تقدم استطعنا أن نصف الهيكلية الوصفية لكتاب الدكتور الخالدي وما احتوى عليه من مادة علمية كما بيّنا فيه المفاصل المهمة التي تطرق لها الدكتور في كتابه واهم المحاور العلمية التي قام الدكتور باستدعائها والحديث عنها من خلال مؤلفه وانما تعرضنا هذا الكتاب فلا بد أن نقف على أهم المعالم الوصفية التي برزت أثناء حديثنا عن هذا الكتاب والتي يمكن أن نجملها بالآتي:

1- بيَّنَ الدكتورُ صلاحُ الخالدي في بداية تأليفه أهمَّ المصطلحاتِ المفاهيمية التي عَدَّها مسلكًا ومدخلًا للولوج في فصول الكتاب وقد لاحظت عليه التمسك التقليدي فلم يأتِ بجديدٍ في هذه المصطلحات، بل كان كلاسيكيًّا جدًّا في بيان هذه المصطلحات.

2- من المفاصل المهمة التي اجاد فيها الدكتور صلاح الخالدي الا وهو تقسيم لمراحل التفسير تقسيما جديدا إذا اصطلح على أربعة مراحل تبين الانتقال والتطور التاريخي الذي حصل في عملية تفسير القران الكريم منذ نزوله حتى عصرنا الحديث والمراحل تلك هي:

المرحلة الأُولى التفسير في طور التأسيس المرحلة الثانية التفسير في طور التأصيل المرحلة الثالثة التفسير في قول التفريع المرحلة الرابعة التفسير في طور التجديد.

وفي الحقيقة يمثل هذا التقسيم محور بارزًا من المحاور التي ذكرها الدكتور صلاح الخالدي في تفسيره اذ يعد هذا التقسيم تقسيما جديدا لم يذكره احد من قبله فيمثل هذا التقسيم خاصية في كتاب الخالدي.

3- شكل تقسيم الدكتور صلاح الخالدي لمناهج المفسرين الكثير من الارباك وعدم الموضوعية اذ تقسيم الاتجاه المنحرف لا يعد تقسيم موضوعيا, بل هو تقسيم شخصي لاتجاهات معينة ومدارس إسلامية أخرى لا يتوافق معها.

4- ذكر الدكتور صلاح الخالدي في حديثه عن صفات, وآداب المفسر العديد من المحاور العامة التي يشترك بها المفسر مع غيره بل يشترك بها حتى الإنسان العامي ولا أرى ذلك تقسيمًا موضوعيًا وعلميًا, إذ لا بدَّ أن تحدد الآداب والصفات لتكون خاصة بالمفسر لا يشاركه بها غيره, والحديث عن موضوع علمي غير الحديث عن مواضيع تتعلق بالأخلاق والآداب وفضائل الأعمال.[23]

المطلب الثالث: رؤية الدكتور صلاح الخالدي في أحسن طرق التفسير:

ذكر الدكتور صلاح الخالدي في حديثه عن أحسن طرق التفسير مراحل تراتبية بين من خلال معرفة أحسن طرق التفسير ثم تليها وقد ذكرها بحسب الترتيب الآتي[24]:

المرحلة الأولى: تفسير القرآن بالقرآن.

المرحلة الثانية تفسير القرآن بالسنة الصحيحة.

المرحلة الثالثة: تفسير القرآن بأقوال الصحابة.
المرحلة الرابعة: تفسير القرآن بأقوال التابعين.
المرحلة الخامسة: تفسير القرآن باللغة.
المرحلة السادسة: استنباط المعاني واللطائف والدلالات.

وقد وصف الدكتور صلاح الخالدي أن هذه الطرق هي أحسن طرق التفسير, وإن الالتزام بها يقود المفسر إلى التفسير العلمي والمنهجي الصحيح للقرآن الكريم[25].

وليس بالضرورة أن يكون الالتزام بهذه المناهج المذكورة قائدًا إلى تفسير علمي صحيح فلربّما كانت دلالات الاستشهاد فيها متكلفة والأخذ بهذا الترتيب غير صحيح, إذا لم تتوفر في كل منهج من هذه المناهج أدوات الاستدلال المنضبط ويكون التفسير فيها قائمًا على أساس علمي لا يشبه المغالطات العلمية والمنهجية.[26]

وعلى هذا الأساس فإن قيمة المناهج التي ذكرها الخالدي مستمدة من جودة أدائها العلمي في خدمة النص القرآني, فتفسير القرآن بالقرآن هو من أفضل المناهج التفسيرية إذا توافرت فيه تأصيلات التفسير المنضبط,[27] وقد يكون أضعف هذه المناهج اذا لم يراعِ أصول الاستدلال وأدوات التفسير التي تضبطه وتمنعه من الانحراف والتكلف.

وقد ذكر الدكتور صلاح الخالدي أن طبيعة القرآن في أرض الموضوعات تمثلت في أنه لا يعرض الموضوع الواحد في موضع واحد او صورة واحدة, وإنما يوزعه على صور ومواضيع عديدة, وفي هذا الحكم التربوية والتشريعية والإعجازية والبيانية الشيء الكثير وعلى أساس هذه الاعتبارات فإنه لا بد أن تجمع هذه النصوص المتفرقة في القرآن الكريم إلى بعضها عند إرادة تحليل قضية ما أو الوصول إلى تفسير موضوع معين في القرآن الكريم.[28]

وعلى أساس تلكم المنطلقات التي أوردناها, وما اقتضته طبيعة القرآن الكريم فإنه يجب على المفسر أن يكون ملمًا ومتمكنًا من القرآن الكريم, فيستطيع أن يعرف تعبير القرآن الكريم عن موضوع واحدٍ في سور متعددة, فكل هذه الجزئيات الدقيقة لها اعتباراتها المهمة في تفسير القرآن الكريم, فبها ينبسط تفسير القرآن بالقرآن, وبهذا يمكن القول أن تفسير القرآن بالقرآن حينما يكون منضبطًا ومراعيًا لأصول الاستشهاد, وطبيعة القرآن فإنّهُ يُعدُّ من أفضل مناهج تفسير القرآن الكريم.

وكان يجبُ على الدكتور صلاح الخالدي ألا يَذكر تفسير القرآن بالقرآن بشكل عمومي لا يُحدد فيه مسارات التفسير الصحيح في هذا المنهج, ويُحدد قواعد الاستدلال فيه, وكيفية انضباط هذا المنهج في تفسير القرآن الكريم؛ وذلك لأنّ الذي ذكره الدكتور صلاح الخالدي من جمع الموضوعات المتفرقة في القرآن الكريم وضمها إلى بعضها ليس إلا أحد روافد تفسير القرآن بالقرآن؛ بل هو من أسهل مسلك من مسالك تفسير القرآن بالقرآن, إذ ليس بالأمر العسير على المفسر أن يجمع أطراف قصة قرآنية ذكرت في أكثر من موضع, ويُفسّر بعضها ببعضٍ.

ولكن هنالك روافد ومسارات أخرى لتفسير القرآن بالقرآن تُمثّل محوريةً مهمةً في هذا المنهج, وفيها ما يُبنى على أُسسه تشريع أحكامٍ, ونسخ أخرى, كما أن هناك من يعمل على هذا المنهج من أجل اثبات آراء مسبق له فيحاول تكييف هذا المنهج وفق اختياراته الشخصية وانتماءاته المذهبية والفكرية كما أن هنالك من يتكلف استعمار هذا المنهج ليس إلا لأجل أن يستعمل منهج تفسير القرآن بالقرآن ولو أورده ذلك موارد التكلف والتأويل البعيد.

أما المنهج الثاني المفاهيم التي اعتبرها الدكتور صلاح الخالدي فهو تفسير القرآن بالسنة الصحيحة, وقد أحسن الدكتور بحصر السنة بالصحيح وذلك ضابط مهم لان السنة النبوية لا يمكن أن تأخذ مكانها ورتبتها الحقيقية إلا إذا توفرت فيها شروط الصحة وضوابط الاستدلال الصحيح.

ومع أن تفسير القران الكريم من قبل النبي ﷺ كان بحسب ما يحتاج إليه أهل زمانه, فإنها تعدَّ شارحة للقرآن الكريم ومبينة له ولأحكامه, ولذلك فإنّ النبي ﷺ يقول: ((الا اني اوتيت القران ومثله معه)).[29]

وقد أكد الدكتور صلاح الخالدي على منهجيته الواضحة من منهج تفسير القران بالسنة الصحيحة اذ يقول: " يجب على المفسر ان يكون حذرا في اعتماده على احاديث رسول الله ﷺ وذلك بأن لا يأخذ منها الا الصحيح الثابت وان يخرج تلك الاحاديث ويذكر من رواها من الصحابة رضي الله عنهم ومن اخرجها من علماء الحديث وعليه ان يتجنب الاحاديث الموضوعة أو الضعيفة فلا يجوز أن يفسر كلام الله الثابت باحاديث موضوعة او ضعيفة لم تثبت عن رسول الله ﷺ.[30]

ومع أن التفاسير قد احتوت على هذه الاحاديث التي تتراوح بين الضعيف والموضوع الا ان الدكتور صلاح الخالدي لم يمتنع عن بيان المنهج الصحيح في تفسير القران بالسنة النبوية.

أما المنهج الثالث؛ فهو تفسير القران بأقوال الصحابة اذ عده الدكتور الخالدي من المناهج التي ينبغي ان يؤخذ بها في تفسير القران الكريم على سبيل التراتبية التي اعتمدها الدكتور الخالدي وقد وضع الخالدي عده شروط للأخذ بتفسير الصحابة والتي تتلخص بما يأتي[31]:

1- عدم اعتماد إلا ما صح من أقوال الصحابة رضي الله عنهم.

2- ألا يتعارض قول الصحابي في التفسير مع ظاهر القرآن الكريم وذلك لأنه هنالك بعض الأقوال التفسيرية الواردة عنهم, لا تصح من جهة الثبوت وتتعارض مع ظواهر القرآن والسنه النبوية.

وكذلك كان الحال مع المنهج الرابع من مناهج التفسير فلم تقبل فيه إلا الأقوال الصحيحة التي لا تعارض ظاهر القرآن الكريم ورغم مكانه التابعين وكونهم أعلم الناس بالتفسير بعد الصحابة رضي الله عنهم فإنه لا بد من تمحيص ما ورد عنهم من أقوال في التفسير[32]

أما المرحلة الخامسة التي اعتمدها الدكتور الخالدي فهي: **(تفسير القرآن باللغة)** فإنّها تُعدُّ من أهم المناهج التفسيرية التي يصحح بها المسار التفسيري وينضبط بها, ولم يتطرق الدكتور الخالدي لذكر أي شروط أو آليات تُقنن استعمال هذا المنهج في تفسير القرآن الكريم[33]

أما المرحلة السادسة فهي استنباط المعاني واللطائف والدلالات, وهي مرحلة يرى الدكتور الخالدي فيها أنها تأتي بعد المراحل الخمسة السابقة, فإنّ المفسر حين يحقق العلم بتفسير الآية, والإطلاع على أقوال الصحابة رضي الله عنهم, ومن بعدهم في التفسير والاستعانة باللغة العربية التي تسهل على المفسر عمليه استنباط التفسير, ومدى المساحة اللغوية والسياقية التي يستطيع المفسر ان يتحرك فيها بسهولة, فهنا وبعد كل تلك المراحل السابقة يستطيع المفسر ان يعمل رأيه في الآية, ويفسرها تفسيراً عقلياً يستصحب معه المصاحب أدوات وضوابط معينة تمنعه من الانحراف والخطأ في التفسير.[34]

ومع هذه المراحل التي ذكرها الدكتور صلاح الخالدي, وحديثه عن أحسن تفسير يمكن أن يقوم من خلال السير على هذه المراحل المذكورة, فانه لا يخلو حديثه من انتقادات وملحوظات تقويميه, وهي كما يأتي:

أولًا: لا يُعدُّ الإلمام بهذه المراحل مؤهلًا إلى الرتبة التي تحدث عنها ما لم يكن للمفسر موهبة التفسير, والتي تُعدّ من أبرز السمات التي يحتاج إليها المفسر في تكوينه العلمي حتى يفسر القرآن الكريم, إذ إن هنالك الكثير من العلماء ممن توفرت فيهم معرفة هذه المراحل التي تكلم عنها الدكتور الخالدي، ولكن لم يكن لهم حضور في التفسير ولا أثر معلوم.

ثانيًا: لا يشترط من تحصيل هذه المراحل العلمية أن يكون التفسير بعدها منضبطًا وعلميًا, إذ أن هذه المراحل هي عبارة عن خزين معرفي للمفسر يستعين به على الاستنباط العقلي والقول بتفسير القرآن الكريم بالرأي المحمود وقد يخفق المفسر في ذلك من خلال استعمال أدوات الاستنباط والملك العقلية وقد يخطئ في توظيف معرفته بهذه المراحل المذكورة فلا يشترط من معرفة هذه المراحل أن يكون التفسير علميًا وصحيحًا ومنضبطًا كما زعم الدكتور الخالدي, وإنما هي عبارة عن أدوات وارث معرفي يساعد المفسر في ضبط أقواله التفسيرية.

ثالثًا: لا يخلو التفسير المعاصر من احتياجٍ إلى رؤية جديدة في التفسير, ولا يعني من ذلك عدم استمداد هذا التجديد من أصول وضوابط التفسير المعروفة, ولذا فإن المهم من معرفة ليس هذه المعرفة المتعينة عند الدكتور الخالدي وانما يتعين معرفة الضوابط العامة التي قام على أساسها التفسير في المراحل المذكورة فمعرفة الضوابط التفسيرية الخاصة بأصول التفسير وما يتعلق به من سياقات خاصه اضافه الى

الخصوصية التي يتمتع بها القران الكريم كلها عوامل حاكمه على تفسير الصحابي, وتفسير المفسر المعاصر على حدٍّ سواء على أن الخطأ في التفسير في عصر الصحابة والتابعين قلبي كثير من العصر الحديث, وعليه فالمهم معرفة المناهج والضوابط التي منعت كثره الخطأ في التفسير وعلى هذا الاساس يكون التحاكم المعرفي.

رابعًا: أن افضل المناهج التفسيرية ليس المنهج الذي ذكره الخالدي وإنما المنهج الذي يحافظ على مخرجاته التفسيرية من الانحراف, ويلبي حاجة الناس المعرفية فيتلاءم مع روح العصر ومتطلباته فقد يكون المنهج الأثري هو الافضل في زمن ما ويكون المنهج الاجتماعي هو الافضل في زمن آخر وهكذا.

النتائج:

الحمد لله رب العالمين, وبعد؛ فإني قد توصلت من خلال بحثي هذا إلى العديد من النتائج, والتي يمكن إجمالها بما يأتي:

1- الترتيب الذي ذكره الخالدي لأحسن طرق التفسير غير منضبط, فقد يكون منهج تفسير القرآن بالقرآن من أضعف الطرق إذ خلا من ضوابط الفهم والاستدلال.
2- التفسير بهذه الطرق المذكورة كله تفسير عقلي, بُني على الاستنباط والتوفيق العقلي بمساعدة هذه الطرق والمناهج التفسيرية.
3- الطرق التي ذكرها الخالدي مناهج تفسيرية قائمة بذاتها في بداية نشأة التفسير, ولكنّها في التفسير المعاصر هي أدوات تخدم المناهج التفسيرية الجديدة.
4- تحدد أحسن طرق التفسير بالعامل التاريخي والجغرافي, فبيئة المفسر ترجح استعمال منهج دون آخر, بحسب مقتضيات ومسالكها الفكرية والعلمية.
5- طرق التفسير قابلة للتجديد والتحديث المنضبط بخصوصية القرآن الكريم بحسب حاجة البشرية ومتطلبات الحياة الإنسانية في المستقبل.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
1- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير, محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت ١٤٠٣هـ), مكتبة السنة الطبعة: الرابعة, د.ت, د.س.
2- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين, صلاح عبدالفتاح الخالدي, (1429م- 2008م), (ط3), دمشق, سوريا: دار القلم.
3- التيسير في التفسير, نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي (٤٦١ - ٥٣٧ هـ), المحقق: ماهر أديب حبوش، وآخرون دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول - تركيا الطبعة: الأولى، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.
4- دراسات في علوم القرآن الكريم, أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي, الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
5- الروايات التفسيرية في فتح الباري, عبد المجيد الشيخ عبد الباري, رسالة دكتوراة, الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م.
6- لباب التفاسير للكرماني أبو القاسم محمود بن حمزة الكرماني، المتوفى بعد سنة (٥٣١ هـ) التحقيق: أربع رسائل دكتوراة بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض, ١ - ناصر بن سليمان العمر - من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة النساء - ١٤٠٤ هـ. ٢ - عبد الله بن حمد المنصور - من أول سورة المائدة إلى آخر سورة الإسراء - ١٤٢٩ هـ. ٣ - إبراهيم بن محمد بن حسن دومري - من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الصافات - ١٤٢٩ هـ. ٤ - إبراهيم بن علي بن ولي الحكمي - من أول سورة ص إلى آخر سورة الناس - ١٤٢٩ هـ.

7- مسند الإمام أحمد بن حنبل الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي, مؤسسة الرسالة, الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
8- مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: 354هـ)، تحقيق: مرزوق على إبراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة، ط1، 1411 هـ - 1991 م.
9- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، لياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ), تحقيق: إحسان عباس دار الغرب الإسلامي، بيروت, ط1، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
10- معلمة للتراث الأردني ، الأديب المؤرخ روكس بن زائد العُزيزي، عمان، ١٩٨٥م.
11- موسوعة التفسير المأثور إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية المشرفون: أ. د. مساعد بن سليمان الطيار - د. نوح بن يحيى الشهري مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي- دار ابن حزم - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ - ٢٠١٧
12- موقع ويكيبيديا, سيرة الدكتور صلاح الخالدي: https://ar.wikipedia.org/wiki , تاريخ الاستفادة: 22/ 11/ 2022م.
13- موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات(بحث محكم بكلية أصول الدين جامعة الأزهر ١٤٢٥ هـ) ، أحمد بن محمد الشرقاوى سالم، الكتاب مرقم آليا.
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ) ، المحقق: إحسان عباس دار صادر - بيروت الجزء: ١ - الطبعة: ١، ١٩٠٠م، الجزء: ٢ - الطبعة: ١، ١٩٠٠ الجزء: ٣ - الطبعة: ١، ١٩٠٠م، الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٧١م، الجزء: ٥ - الطبعة: ١، ١٩٩٤م، الجزء: ٦ - الطبعة: ١، ١٩٠٠م، الجزء: ٧ - الطبعة: ١، ١٩٩٤م.

[1] أجمع النسابون على أن عشائر قبيلة بني خالد يعودون بنسبهم إلى قبيلة بني مخزوم القرشية التي ينتمي إليها الصحابي الجليل البطل العظيم خالد بن الوليد رضي الله عنه. [معلمة للتراث الأردني ، الأديب المؤرخ روكس بن زائد العُزيزي ، منشورات بهذا يكون قد أنهى دراسته الثانوية والجامعية في مصر . عاد بعدها إلى الأردن لأن الضفة سلطنة عمان السياحية ، عمان ، ١٩٨٥ م : (4 / ٢٠).

[2] حوار أجريته مع الدكتور صلاح الخالدي في داره العامرة في عمان صويلح بتاريخ ٢٩ / ١٠ / ٢٠١٦ م وينظر : الحوار الذي أجرته معه مجلة الفرقان الصادرة عن جمعية المحافظة على القرآن الكريم بالأردن العدد الثالث والأربعين تاريخ : رجب ١٤٢٦هـ.

[3] هي احدى محافظات الأردن في القطاع الغربي الجنوبي من المملكة، تبعد عن العاصمة ١٨٠ كيلو متراً.

[4] ينظر: موقع ويكيبيديا , سيرة الدكتور صلاح الخالدي : https://ar.wikipedia.org/wiki , تاريخ الاستفادة: 22/ 11/ 2022م.

[5] ينظر: موقع ويكيبيديا , سيرة الدكتور صلاح الخالدي : https://ar.wikipedia.org/wiki , تاريخ الاستفادة: 22/ 11/ 2022م.

[6] تعريف الدارسين بمناهج المفسرين, د. صلاح الخالدي, مقدمة الكتاب, ص7.

[7] ينظر: المصدر نفسه,, ص13-47.

[8] ينظر: المصدر نفسه, ص49-143.

[9] ينظر: المصدر نفسه, 147-196.

[10] هو: الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، وهو مولى أم سلمة، يكنى أبا سعيد، كان من سادات التابعين وكبرائهم، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة، كان مولده لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب، رأى الحسن مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من عباد أهل البصرة وزهادهم مات في شهر رجب سنة (110هـ)، وعمره ست وتسعون سنة. ينظر: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: 354هـ)، تح: مرزوق على إبراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة، ط1، 1411 هـ – 1991 م ، ص142–143.معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، لياقوت الحموي، 1023/3، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، 69/2.

[11] ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين, 197–297.

[12] ينظر: المصدر نفسه, 299–340.

[13] ينظر: المصدر نفسه, 342–380.

[14] ينظر: المصدر نفسه, 381–409.

[15] ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين, 411–424.

[16] ينظر: المصدر نفسه, 425–462.

[17] ينظر: المصدر نفسه, ص381 وما بعدها.

[18] ينظر: المصدر نفسه, ص493–530.

[19] ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين, 532–557.

[20] ينظر: المصدر نفسه, ص559–564.

[21] ينظر: المصدر نفسه, ص569–595.

[22] ينظر: المصدر نفسه, 596 وما بعدها.

[23] ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين, 61–66.

[24] ينظر: المصدر نفسه, ص67–80.

[25] ينظر: المصدر نفسه, ص80.

[26] ينظر: موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات (ص2 بترقيم الشاملة آليا).

[27] ينظر: لباب التفاسير للكرماني (ص102)؛ التيسير في التفسير – أبو حفص النسفي (المقدمة/ 78)؛ دراسات في علوم القرآن, فهد الرومي (ص152)؛ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص84)؛ موسوعة التفسير المأثور (1/ 107)؛ الروايات التفسيرية في فتح الباري (1/ 6).

[28] ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين, ص68.

[29] أخرجه أحمد في مسنده, (28/ 410), برقم: (17174), وقال محقق الكتاب شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

[30] ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين, ص70.

[31] ينظر: المصدر نفسه, ص73.

[32] ينظر: المصدر نفسه, ص74.

[33] ينظر: المصدر نفسه, ص75–78.

[34] ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين, ص78, وما بعدها.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

السيناريو والمونتاج الشعري في شعر رعد عبد القادر

أ.د. حيدر برزان سكران
الباحثة غفران نعيم مغتاض
جامعة ذي قار ـ كلية الآداب / قسم للغة العربية

ملخص
عُرف الشعر العربي المعاصر في تداخله مع مختلف الانواع الادبية والفنية جمالية كفلت له تفعيل طاقاته التعبيرية بمزيد من الحيوية والتألق والخروج عن إعتيادية الرؤية والتشكيل في آنٍ معاً ، وقد جاء هذا البحث ليقف عند حدود التضافر بين الفن الشعري وفن السينما ، ليرصد حضور تقنية المونتاج السينمائي بأساليبه المختلفة في بعض الكتابات الشّعرية المعاصرة.

Summary
Contemporary Arabic poetry, in its overlap with various literary and artistic genres, is aesthetically pleasing, ensuring its activation of its expressive energies with more vitality and brilliance, and deviating from the usual vision and formation at the same time. In his different styles in some

مقدمة
السيناريو يعني قصة تُروى بالصور ، والصور المتحركة ، وهي وسط مرئي يَنقل على نحو درامي قصة ما ، وبغض النظر عن نوع القصة ، لابد ان يكون للسيناريو بداية، ووسط، ونهاية[1] ، فكتابة السيناريو ((فن وضع الكلمات على الورق لإبداع صورة بصرية في ذهن قارئ تغيره وتترك إنطباعاً حسناً لديه))[2] ، حيث ان المناظر في سياق أيّ فلم يعقب بعضها بعض في ترتيبها الزمني ما لم يدخل فيه نوع من التحول الى الوراء، كما يحدث في إستذكار مغامرات وأحلام وذكريات.[3]
ويأتي ترتيب مجموعة من اللقطات السينمائية على نحو معين بحيث تعطي هذه اللقطات ، من خلال هذا الترتيب معنىً خاصاً لم يكن لتعطيه فيما لو رتبت بطريقة مختلفة[4] ، ومن الواضح أن إيقاع أسلوب السرد ووصف الأمكنة لابد أن يكون أكثر ميلاً الى البطء في إيقاع المحادثة أو الحوار الذي يميل إلى السرعة في الإيقاع لكونه يقوم على عنصر الحديث الذي يحمل أسئلة واجابات[5] حيث يقوم كاتب السيناريو تحويل الأفكار أو القصص إلى سيناريو يعبّر عن الموضوعات بالصورة والصوت ، ويكتبه مقسم إلى مشاهد وأماكن وأزمنة ، ويقوم برسم الشخصيات وتطور الصراع في تتابع يحقق الإيقاع العام للفيلم[6] ، والسيناريو هو الجزء المكمل للحوار في عرف الكتابة السينمائية ، حيث يعرض المقدمة الوصفية من وصفه المكان والزمان والأجواء ، بإعتبار الوصف ((هو أحد وسائل السرد التي تصور المرئيات دون أن يتدخل السياق))[7] ، والسيناريو مهم عند الشاعر رعد عبد القادر حتى إنّه يخرج نصّه كفيلم سينمائي يفضل السيناريو الذي أتقن صناعته وتمثيل لما قلناه ، ما نراه في نصّ (الميت ومن ودّعوه)[8] ، الذي يقول فيه :

في الصالة كانت ثمة مرآة كبيرة
وتابوت على الأرض
كان الرجل في التابوت يبتسم لمودعيه ،
وضعوا الأزهار فوق رأسه ورحلوا ....

المرآة الكبيرة
تظهر الرجل في التابوت يبتسم لمودعيه
وتظهر المودعين يضعون الأزهار فوق رأسه ويرحلون ....
ويوم رحل المودعون
ضلت الإبتسامة عالقة في ذاكرة المرآة
واحتفظت الصالة بذكرى الزهور...

بداية تقول : إنَّ الشاعر أبدع في وصف المكان وتجلياته بأدق التفاصيل حتى جعلنا نعيش أجواء تلك اللحظات ، إذ إستحوذ على حاسة البصر وإستدار تركيزها بهذا الوصف والتصوير للمكان والزمان وإعادة إنتاجها شعرياً ، لتحقيق تجربة شعرية جمالية ، ومن ثمَّ ((لإدراك المتلقي للذة النصّ ، الأمر الذي يقود إلى تنظيم توليفات تعبيرية تقوي التراكيب والمشاهد وتزيد من قدرته التأثيرية))[9] ، فقد أخضع المكان (الصالة) لإعادة الانتاج شعرياً وتمت صياغته بفعل وصفي تنحرف فيه الكاميرا الشعرية ، وهي التي يتوزع عملها بين تصوير اللقطة وتصوير المشهد وتصوير الحركة ، أيّ بمعنى أن ثمة أكثر من كاميرا تعمل في وقت واحد[10] ، إذ إنَّ تجليات السيناريو تنمو داخل حركة الكاميرا على اللقطات والمشاهد ، والشاعر نجده دائم البحث عن المشاهد التصويرية التي يمكن تقليها بصرياً وإمالتها إلى ذاكرة كلّ متلقي مرَّ بهذه الظروف ، مما جعله يعيد صياغة الحديث الشعري منتجاً بؤرة مكانية ذات طابع سينمائي ، فنلاحظ أنَّ هذا النّص يتكشّف وفق قصّة لا تكتمل الصورة إلاّ بإكتمالها ، إذ إنَّ اللقطات متلاحقة لا توجد جزئية تتوقف عندها ، وكل ما يدفع بهذه اللقطات التصويرية على التتابع هي الإيقاعات البصرية التي أحدثتها الفواصل ونقاط التتابع ، فنرى عمل السيناريو وهو ((يصف الأحوال ، والإشارات ، والإيعازات لتقطيع المنظر ، وحركية الكاميرا ، والأصوات وتفاصيل فنية أُخرى))[11] ، فيقدم القصة بنفس شعري متكامل بأدوات جرت في مكان الاحداث وسرد التفاصيل ، أمَّا الوتيرة الشعورية التي قدمتها الكاميرا فتتبع من قدرة الشاعر على ربط اللقطات من الناحية الموضوعية ، وهو الذي أدّى إلى التدفق الصوري ، وهذه اللقطات تحيط المكان موحية حركة الكاميرا نحو مستويين من التشكيل :

المستوى الأول : المكان الهيكلي (الصالة والتابوت ، والمستوى الثاني : (المرآة) بإعتبارها عاكسة لزوايا الصالة ومحتوية لحيثياتها ، لكنّ الكاميرا تضع اللقطة أمام بصر المتلقي بإنتظار التواصل الصوري وما يطرأ على ذلك من تحولات، ثم تتجه الكاميرا باتجاه أوسع خارج اللقطة الاولى ، ولكن ضمن مشهدها العام ليعطي النص جانباً من التنوع في التشكيل (كان الرجل يبستم ...) فتكشف عن محتوى جديد ومجال تصويري آخر تبدأ فيه من الملموس إلى المتصور والخيال (ظلت الابتسامة عالقة في ذاكرة المرآة) فالمرآة حين اظهرت الرجل يبتسم هي صورة عاكسة لوجه الرجل الميت ، لكن هذه الصورة بقيت عالقة في ذاكرة المرآة لتحدث إنزياحاً كبيراً في مستوى تلقي الصورة. إذ إنّ الذاكرة ((حالة ذهنية تتطلب إدراكاً رمزياً لإستيعاب حركتها في المجال الصوري))[12] ، وهذه المرآة إحدى ديكورات النصّ الفاعلة في تنشيط مرايا الصورة الشعرية ، وبعد هذا الرصد لحركة الكاميرا تتحول الصورة في مرحلة لاحقة من تطورها ضمن المجال الوصفي يعمل على شخصية (الصالة) ليضفي عليها شيئاً من الإيجابية وإحتفظت الصالة بذكرى الزهور ... إلى مجال صوري سردي تعمل فيه الكاميرا في مجال أوسع ، إذ تتجه نحو تعرية المجهول وفتحه على مجال الرؤية الوجودية :

واليوم هو يشيعهم بابتسامة إلى مثواهم الأخير
ويضع فوق رؤوسهم زهوراً كثيرة
ويرحل
تاركاً في الصالة تابوتاً فارغاً ومرآة كبيرة[13]

فالصورة السردية تسلِّط الرؤية الذهنية والبصرية على وجود مشهد مفاجئ تتجه الكاميرا الشعرية لكشفه وعكس حقيقته التي يتمحور حولها سيناريو النصّ ليتفتّح على حساسية الزمن وتشرع حكاية النصّ بالانعكاس في فضاء الصّورة.

والكاميرا الشعرية تصوّر الذات/ الشاعر وهو يمارس فعله السردي المرهون بالفلسفة ، حيث قام في سياق معاكس أو إنحرافي ، وذلك بأن يقدّم المونتير ، اللقطات تباعاً ، ثمَّ ينحرف في مسارها بعض اللقطات بشكل مفاجئ ليحفّز المشهد بالإنحراف المشهدي ، أثر تجاوز اللقطات المعكوسة في الإطار المشهدي العام المؤطر ليؤدي الحدث[14] ، فقيام فاعل الحركة الصورية في النصّ (الرجل الميت) بإنشاء موازي لفظي فبعد أن شيعوه ووضعوا عليه الزهور عاد هو ليشيعهم ويضع على رؤوسهم الزهور ، وهذه اللقطات في تشكيلها اللفظ المغاير تضاعف من طاقة الشعرية الصورية في المشهد الذي يعد ((مكان ساحة الحدث الذي يُرام نقله)[15] ، وهو سلسلة من اللقطات مرتبطة بعضها ببعض يربط بينها عامل مشترك[16] ، وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنَّ الشَّاعر قد يجمع في نصوصه المجسدة بصرياً والمتخيلة بإعتماد اللقطات القريبة التي تجعل الموضوع المجسد متحقق حيناً ومجسد بصرياً حيناً آخر ، وبهذا التلميح لفاعلية السيناريو والكاميرا نكون قد مهدّنا لجمالية العمل المونتاجي في النصّ ؛ لأنَّها أهم أدوات السيناريو ، فهذا أسلوب في التعبير وقاعدة لتجميع اللقطات المتفرقة وربطها بخيط البؤرة الأساسية في النصّ.

وفي نصّ ((إحتفال مؤجل))[17] ، إعتمد الشاعر تقنية السيناريو في إسلوبه الوصفي لتصوير مشاهد السمع البصرية المستلة من الواقع مركز في كاميرته الشعرية على رصد المشاهد الفنية التي يأتي بها السيناريست في كراسته من تقطيع فني للقطات والصور فيقول:

البالونات الورقية اطلقت في الفضاء
عمال الكهرباء يصلحون المصابيح
سيارات الإطفاء حضرت
سيارات الإسعاف
ردمت الحفر ونظفت السطوح ووزعت الحلوى
قبل دهورٍ كانت الالهة تتسلى بمنظر البئر
مذيعة التلفزيون غيرت مكياجها
الكائنات تهذي في نومها

إنَّ الشاعر في نقلهِ هذه المشاهد للمتلقي مزج بين روح الشعر وحقيقة الواقع اليومي لحياة المجتمع ، فتجسّد السيناريو بصورة معرفية تتفق مع زمن العرض الآتي للنصّ المفلمن ، كما إنه لم يتخيل عن الأصوات ، كأصوات الشخصيات ، وأصوات الآلات (البالونات ، سيارات الإسعاف والكهرباء ، ردم الحفر ، هذيان الكائنات) فكلّ هذه الثيم أغنت النصّ ورفعت مستواه من نصّ مقروء إلى نصّ مفلمن ، فحركة الكاميرا كما نلاحظ قد التقطت صوراً متفرقة عن الواقعة وجمعتها في سلسلة نصّية تمثل حالة التردي والتدهور الحياتي للمجتمع بحيث لا يمكن أن يكتمل الإحتفال ، فالاحتفال سيؤجل حتماً والشاعر إستفاد من تقنية الوصف التي أثرت النصّ ، ووضعت المتلقي أمام نصّ سينمائي للواقع اليومي للفرد ، ولعل وضوح الترسيم الفضائي مع طغيان البنية البصرية من خلال تتابع اللقطات والمشاهد أضاف للنصّ ميزة التكامل المشهدي ، وهذه الميزة الأهم في السينما ، حيث أنَّ ((السيناريو المحترف يكون مختصراً ، لأنَّه يهدف الى التركيز على إيجاد العناصر البصرية ... ويعبر عن تجربة إنسانية))[18].

ثم يتواصل الشاعر في وصف المشاهد التي أدت الى تأجيل الاحتفال مستعيناً بلقطات أخرى تُظهر فداحة وقبح الحال والواقع الحياتي ، إذ يقول :

الإحتفال تأجل أكثر من مرة
بهت لون الشريط
وصدأ المقص
وتعفنت الكعكة
وغادرت السيارات ، ونام عمال الكهرباء
وفرقعت الزينة في السماء

زود الشّاعر المقطع بالافعال (بهت ، صدأ ، غادر ، تعفن) وهي أدوات تفيد بالنهايات ، وإنّ الإحتفال أصبح من الماضي ، فكلّ أدوات الإحتفال ، بهتت وصدأت ولا إحتفال أُقيم ! وهكذا إستطاع الشّاعر فلمنة

النصّ الشّعري السينمائي ببراعة مستخدماً وسائل سينمائية متعددة لينحت للقصيدة قالباً بكراً ومضموناً بارعاً حتّى أوصلها للمتلقي في ثوب جديد من أوّل لقطة إلى آخر مشهد شعري محسوس .[19]

المونتاج:

يعد المونتاج من التقنيات السينمائية التي ظهرت في شعر رعد عبد القادر ، فيكاد نصّه أن لا يبلغ التمام إلاّ بعد إتمام عملية التوليف والمونتاج ، إذ يمثل عملية فنية وحرفية في الوقت نفسه ، تقوم أساساً على عمليتي القطع واللصق وتركيب اللقطات في السياق الطبيعي[20] ، في حين ورد تعريف المونتاج في معجم المصطلحات العملية هو تنظيم المشاهد واللقطات المصورة[21] ، ومن المؤكد أن سلسلة هذه التعريفات تجمعها ركيزة واحدة وهي ان المونتاج : عملية ربط وتوليف فني بين اللقطات ، لتشكيل بنية مشهدية محفزة للمتلقي بصرياً من خلال ما تثيره من إيماءات بصرية إيحائية ، تساعد اللقطات على البروز والتمثيل العياني المجسد ، على أساس ما تثيره هذه التقنية من تنشيط بصري يتبعه تأمّل وتفكُّر في سيرورة المشهد ومغزاه الفني[22] ، وبالنظر الى تجليات المونتاج الشعري في نصوص رعد عبد القادر سنقف على بعض الأشكال البارزة من تقنيات المونتاج التي تزدهي بها نصوصه ، وهي كالتالي :

أوّلاً : المونتاج التوليفي الترابطي

في هذا الشكل يقوم الشاعر / المونتير بتراكم اللقطات بشكل مكثف دفعة واحدة ، دلالة على أهمية الحدث ومحفزاته البصرية ، ومسبباته الشعورية ، فاللقطة لا تكاد تنتهي حتّى تحل محلها لقطة أخرى[23]، وهو خاصية أصلية في الشّعر حيث يقدم الشّاعر عدداً من اللقطات التي تبدو متباينة لكنها مترابطة على صعيد التجربة الشعرية إذ تكوّن صورتها الكلية بترابطها[24] ، وتظهر هذه الخاصية في نصّ (قمر وحروب)[25] الذي يقول فيه :

قمر ومدرسة
القمر في الأرض
والمدرسة في السّماء
ثمة في الساحة المكشوفة احجارٌ كريمةٌ
وصفٌ طويلٌ من الأشجار
في المستشفيات تقرع أجراس الطفولةِ
في الشوارع تدور عجلات الغبار
في البيوت تقفز الأحلام من النوافذ
بلا تلاميذ
الطيور في الخنادق
والظهيرة بلا أُمهات

من المؤكد أن هذا النوع من المونتاج يؤدي دوراً تحفيزياً من الناحية الفنية لقدرته على التقاط حيثيات المشهد من جميع زواياه ، بلقطات مكثفة تستدعي التركيز ، فهنا نجد أن الشاعر قد تمكن من منتجة المشهد من خلال تعاقب اللقطات ، واللقطة هي أصغر وحدة في الحدث السينمائي[26] ، فهي عبارة عن وحدات صغيرة من الفيلم الذي يتكون من مجموع تلك اللقطات ، مما يعني أنَّ الحدث داخل الإطار السينمائي عبارة عن حركة دلالية فعلية متصلة بحركة أخرى ، وبذلك تعد اللقطة هي المادة الأساسية في اللغة السينمائية[27] ، فالمشاهدة والصور ما هي الا عبارة عن لقطات متصلة مع بعضها ، ففي اللقطة الأولى نلاحظ أنَّ الأنموذج المكاني لدال القمر يتخلى عن دوره إلى دال المدرسة في اللقطة الثانية (المدرسة في السماء) ، مما يؤدي الى خلق متاهة تتحرك على فضاء الإنزياح مرة ، وعلى مسار الواقع مرة أخرى لتعكس مرارة التجربة وصراع الحياة مع الحروب ، ثمّ تغادر الكاميرا الفنية لِتلتقط صوراً أخرى وهي تتداخل بين الجزئيات لتتحول الى مشهد آخر مستقل لغةً ومعنى عن المشهدين السابقين القائمين على إنزياحات دلالية دفعت بمعنى الجمل الظاهري الى ما وراءه من معانٍ مضمرة ذات مناخ رؤيوي خاص يُسيّر فعالية الغموض في باطنية اللغة استناداً الى حساسية الرؤية التشكيلية التي تعمل على إنجازها ، فطبيعة اللغة ((مراوغة تتأتى على الاقتناص))[28] فلا تسلِّم ذاتها للقراءة بسهولة ، فهي تلعب مع المتلقي

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

لعبة الحجب والتخفي والمواربة ، في سبيل الإبقاء على حساسية التخفي والمواربة لديها[29] ، لذلك لم نلحظ ترابطاً بين اللقطات عند القراءة العابرة (أحجارٌ كريمة) إذ لا علاقة منطقية بين اللقطتين السابقتين واللقطات التالية الاّ إنّها تحيل الى دلالة ذهنية ووحدة موضوعية تربط النصّ على مستوى التوليف بين تلك اللقطات مع تنافرها للوصول إلى الدلالة الكلية التي تربط مفاصل النصّ ، لأن التوليف بحد ذاته ((ينشأ من وضع مكونات غير متجانسة ، وهو من الائتلاف ...))[30] وعند الربط بين اللقطات نلمس الفكرية التي كوّنت الفضاء الشعري ، على الرغم من كثافة المساحة الشعرية التي تحركت بها الصيغ التعبيرية وبدت كأنها تتحرك بقدر من إحتشاد اللقطات المصورة إلاّ أنَّ منسوبها الدلالي إنتهى إلى منطقة تعبيرية تضع الشاعر موضع الراصد لتلك الوقائع ليصور الواقع الذي ستوقفه الحروب ، وكانت له بلاغة واضحة في إختيار اللقطات المتفرقة التي تفسّر ذلك الواقع الخاضع للحروب ، وعند توليفها نلمح ترابطاً موضوعياً يعطي الصورة الكلية لفكرة النصّ ، حتى ينتهي تدفق اللقطات في المقطع الأول إلى تدفق شعري آخر تنزاح فيه المفردات تعبيراً حراً عن حرارة المشهد وضغط الأسى ، حيث إحتشدت اللقطات بدوال غارقة في الأسى والسلبية وهي تنتهي الى إعتراف حصل بأكثر الصيغ التعبيرية وهذه اللقطات تنهض على مرجعيات وقائعية تمكن المتلقي من إستحضار الصورة ذهنياً كونه عاش هذه الصورة بكلّ تفاصيلها ، والنصّ الأدبي مكوّن من عناصر عدة بعضها آتٍ من التجربة الإنسانية والصلة بالواقع وبعضها آت ن اللغة ، كالكلمة ، والجرس الموسيقي ، والاوزان ، والنّص لابد فيه أن تتفاعل وتتآلف هذه العناصر لتكوّن النسق المطلوب.

ويبدو أنَّ الشّاعر إعتمد هذا النسق في المونتاج في نصّه من أصل تحقيق التوازن بين توترات الشعور الذاتي ونبض التجربة الجماعية لتكشف بنية النصّ التعبيرية لهذا التجميع عن إنّ المتناقضات والفجوات ، والتباينات هي التي تُحدث الإنسجام الجمالي عند تجاوزها فهي أساس لعبة الشّعر ولعبة السينما.[31]

ثانياً : المونتاج المتدفق غير المرئي

وظف الشاعر مونتاج التدفق ، حيث لا يظهر القطع ما بين اللقطات ، فاللقطة السينمائية هي أُخت اللقطة الثانية وهكذا[32] ... وكذلك الأحداث متواصلة مع بعضها ، وأن عمليات القطع لم تكن مرئية للمشاهد ، المتلقي ، ومن النماذج على ذلك نصّ : (حجر[33]) الذي يقول فيه :

رجل ينام في الحديقة
فمه مفتوح للشمس
فكاه يتحركان في النوم
دم الفراشات يصبغ أسنانه
إصبعه على الزناد
الفوهة إلى الأرض
يده على الركبة العارية المدماة
قدماه تغوصات في الحجر
وثمة فوق رأسه
غربان بأجنحةٍ بيض

تبدأ الكاميرا بتسليط عدستها على صورة الرجل النائم ، وتتسلط على مرايا الأعماق لتصور حال الذات بمعاناتها وأزمتها الوجودية ، وهي تلخص تجربة مُرة عبَّرت الذات الشاعرة عن تفاصيلها بلقطات متلاحقة ، متسلسلة منطقياً ، لقطة تلو الأُخرى ، جاءت على شكل ((مشهد سينمائي مبني على فعل الحركة وهي نامية متطورة من البداية حتى النهاية))[34] ، تصور مشاهد ذات بُعد متسلسل زمنياً ومكانياً، حيث جعل الرجل بؤرة مركزية ؛ لأنَّ التصوير تتمحور حوله اللقطات الوصفية وتغير من أطياف الشخصية لتدلي بمجموعة من الأحداث التي تسير على وقف تسلسل منطقي دون إنقطاع عبر لقطات المشهد ، وإنّ تطوّر الأحداث التوصيفية للرجل النائم عبر التسلسل الزمني تجعل المتلقي لا يشعر بالإنقطاع ، فعمليات المونتاج لا تظهر للمشاهد ؛ لأنّ اللقطات المتدفقة لا توحي بالقطع ولم يرد الشاعر/ المخرج أن يلفت إنتباه المتلقي / المشاهد عن تطور الأحداث[35] ، فمع هيمنة الالة الواصفة / الكاميرا وترادف اللقطات واحدة تلو الأخرى

على مستوى النصّ ، تحولت فيها الجمل إلى صور شعرية نابضة بالحركة ، فضلاً عن ملائمة إيقاع النصّ لتشكلاته الحرة المتنوعة المناسبة للتشكيل المونتاجي ، وهذا التكثيف يدعو المتلقي الى أن يأخذ المقطع كلّ دون توقف.

وفي نصّ (راس الكلب)[36] تجتمع اللقطات بدون فواصل : إذ يقول :

ماتت الزوجة
وبقي الرجل وبناته السبع
ومات الرجل وبقيت البنات السبع
وتزوجت البنات
ومات ازواجهن السبعة
ثم ذهبت البنات الى قبور ذويهن وازواجهن
ورجعت ترافقهن سبع فراشات
واليوم ،
الفراشات ـ وحدها ـ تحلق بالالاف
ترفرف فوق راس الكلب في القارب
الذاهب بالشمس الى المقبرة

هذا المشهد المكوّن من عدة لقطات متلاحقة ، متدفقة بصرياً وذهنياً ، تجعل المتلقي/ المشاهد يراقب الذوات الماثلة في النصّ (الام ، الاب ، والبنات وازواجهن) وكأنهم أمام عدة لقطات متلفزة متوالية تركيبياً ليصل الشّاعر إلى تأثيث المقطع بمعمارية فنية ذا صيغة تقريرية ، وذلك بإنفتاح الفيلم السينمائي المتسلسل الأحداث على مشهد مرئي يجسد لغة الموت عبر توالي الأزمنة وتلاحقها ؛ وقد أجاد في توظيف مفردات الواقع بطريقة إيحائية حيث قدم صوراً ذات نسق وصفي خاضعة لحركات سرية تعمق الحس الدرامي ، بيد أن تركيزه على بعض العناصر كرَّس عبرها ظواهر واضحة يستطيع المرء إدراكها بالعين المجردة ، وهذه المفردات أسهمت في إيصال الأحداث الى الذروة والإرتقاء بالنصّ ومضاعفة طاقاته الإيحائية لأجل الوصول الى لقطة مركزية (الفراشات وحدها ...) فاعتمد الشاعر التشكيل المتدفق للقطات التصويرية ، مع هيمنة فعل (الموت) ماتت الزوجة ، مات الزوج ، مات ازواج البنات ...) على مستوى النصّ تحولت الجمل إلى صور نابضة بالصّراع ، فالشاعر مضى بالأحداث بواسطة الكاميرا التصويرية لتجمع لقطات وتفاصيل نسج شريط شعري سينمائي بلغة ذات دلالات ضاغطة على الحدث وراصدة لماهية الموقف والة التصوير في النص هي الراوي الذي يلتقط الصور التي تشكل المشهد ((ويُرى من وجهة نظر محددة))[37] وهو الذي يعمل على ربط الأحداث وضبط التحولات في الزمان والمكان عبر تحول الحدث في المشاهد المتتابعة في النصّ[38] ، ومن هنا يمكن القول إنّ المونتاج المتدفق عند الشاعر يمنح نصّه فيضاناً شعورياً في تلقيه أثر تقارب اللقطات وعدم وجود فواصل بين لقطة واخرى.

ثالثاً : مونتاج المفارقة المغايرة

يعرف في الفن السينمائي بالمونتاج التقابلي ، او التضادي ، أو التناقضي ، ويعني تقديم لقطة مع لقطة متناقضة معها[39] ، ويعرف بالشعر بـ المفارقة التصويرية وهي خاصية أصلية في الشعر ، فالشاعر المونتير ، يقدّم لقطات متباعدة مفارقة لبعضها البعض بهدف مدلولها المركز وإستقطابها للمعنى الجدلي، فهو يثير انتباه القارئ[40] نظراً لما يثيره هذا المونتاج من مغايرة وإختلاف أثر بعض اللقطات والمشاهد المحتدمة بصرياً[41] ، وتظهر هذه التقنية في نصّ (فلك هو فلك)[42] إذ يقول :

رجل يجلس في بئر يكتب الرسائل لإمرأة تجلس فوق منارة القمر
رجل يجلس فوق منارة ، يكتب الرسائل لإمرأة تنام فوق القمر في البئر
رجل شمسي وعقله قمري وعمامته هدهدية
رجل يعانق شجرة فوقها غراب يقتل حية تحته ،
رجل يمشي على أربع
يصيح : يا صاحبة الكَرباج جسدك يعجبني

تجلده سلوقية
رجل يحشو فمه بالذهب وجيوبه بالتراب
رجل سكران في كاسه امرأة ميتة يقول لها : قومي ، يرحمك الله
رجل في يديه تلبط سمكة النار
رجل يلعب بحربةٍ خضراء
ويصيح : فلك انا فلك

وتبرز أولى المفارقات وتضادها في لقطة رجل يجلس في بئر ، إمرأة تجلس فوق القمر رجل شمسي الرجل يعانق ... الخ وهكذا تستمر كاميرا العرض التشكيلي بجمع اللقطات المتفرقة ، لقطات بعيدة ولقطات قريبة تُجمع في سياق نصّي واحد ، فيواجه المتلقي نصّاً مشحوناً بالتعقيد ولغة عصية على الفهم تسهم في مضاعفة مجال التأويل وإنتاج المعنى حيث تنمو الأحداث بكثافة تصويرية نمواً تضادياً في سياق السرد الشعري بوصفها مثيرات سينمائية ولحظات تنوير تعمّق من قوة فضاء النصّ[43] ، فالنص يضج بالمفارقات والجمل المغايرة والمتناقضة مع بعضها ، ففي كل سطر شعري يعرض مجموعة من اللقطات المتضادة تحمل طابع المفارقة التصويرية وكل لقطة تناقض سابقتها فيقف متلقي النصّ أمام مشهد سينمائي مصمم وفق تتابع تعسّفي للقطات أُخذت من زوايا متعددة مع قطع لحركة الصورة وإتجاهاتها.

ولابد من الاشارة ايضاً الى أنّ نصوص رعد عبد القادر غالباً ما تأتي لتوليد المغايرة والتباين بين المشاهد واللقطات التصويرية ((لإبراز إحتدامها وتناميها مشهدياً بوصفها محفزات بصرية تدفع المُشاهد الى طرح تساؤلات وإستفسارات عديدة عما تولده من نوازع تأملية تفضي الى إحساس عميق وتأمل مفتوح))[44] وكأن الشاعر أراد أن يرتقي بتصوير النصّ ، وبث اللقطات ، وأن يدفع به من دائرة التأويل إلى دائرة الإستعراض ، فكثف السياق بقوة إختزال شعرية ذات تشكيل ذهني أدى إلى تشكيل صوري متناقض في الحدود والأبعاد ، لأنَّ ((إرتباط الدلالة الفنية بالتشكيل الصوري إرتباط عضوي متواشج ؛ لأن كليهما وليد الخيال المبدع ، والخيال نشاط فعّال يعمل على إستنفار كينونة الأشياء ليبني منها عملاً فنياً محدود الأجزاء))[45] ، وبمتابعة اللقطات تتطور كثافة الأداء الشعري على مسرح الواقعية النصّيّة مشكلة منظومة مغلقة من الصور المبنية على علاقات تجريدية ليس لها معادل بصري بل معادل تخيلي ، إذ إنّ الشّاعر إستطاع من خلال الصور والتراكيب أن يحفّز مخيلة المتلقي ويشعره بتناقضها السّطحي.

والمفارقة التصويرية هي ((تكتيك فني يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين ، بينهما نوع من التناقض))[46] ، وهي ليس تقنية تشكيلية تزين النصّ بل لها أهمية في التغلغل في صميم النصّ ، وخلق الإثارة والمتعة وتحفيز المتلقي على التفكير والتأمل ، ففي النصّ تظهر المفارقات جليّة متكأة على إنعكاسات تقابلية جمعها الشّاعر لإبراز حرارة المشهد ، وتكثيف الإيحاءات التصويرية ومدلولاتها النفسية ، فنلاحظ جلياً التوتر والتنافر بن اللقطات التصويرية ، حيث تتشيّد عمارة النصّ بالإيحاءات والصورة المتضادة ، إذ للصورة دور ليس بقليل في النهوض بالمفارقات وتصعيدها ، فاللقطات تستجيب لفضاء تشكيلي منتج بدلالة التحرك في منطقة المفارقات (رجل يجلس في بئر ، رجل فوق المنارة رجل يمشي على أربع ، رجل يحشو فمه بالذهب وجيبه بالتراب ... الخ) ،

فإذا كانت هذه الصور تمارس دورها في النصّ ، فإنّها تكتسب أهمية مضاعفة حيث جاءت في سياق المفارقة ، ذلك أنَّها أقرب الى ذهن المتلقي من المجردات والأفكار[47] ، كما أنَّ لها الدّور الفعّال في كشف المعنى المتخفي في الصورة ، وفي مقطع من نصّ :

(الوّراق)[48] تظهر المفارقة التصويرية جليّة متكأة على إنعكاسات ضدية جمعها الشاعر لإظهار المونتاج المفارقي باسلوب تقابلي ـ تضادي لإبراز حدة المشهد وتكثيفه بإيحاءات صورية ومدلولات نفسية:

هو يشرب خمرته ويقوم يصلي في الموتى
أو يخلط خمرته بالحبر الأحمر
يخلق في الدكان حريقاً
ويصب عليه الإبريقا
فيرى أن كلاماً يتصاعد من جمر الصمت

ويهبط مخنوقاً
* * *
في الباب أنا ...
هي لي كأساً
وافرش سجادة مولاك
بين صلاتين
سأبتكر المعصية ـ الطاووس

يقدم الشاعر هنا صور ولقطات غير متوقعة ـ يبدو للوهلة الاولى أنّها تناقض مرجعية المتلقي المعتقدة بأن شارب الخمر لا يقرب الصلاة ، فالصلاة من الطهارة والخمر من المنكرات التي تنهى عنها الصلاة وكأن المتلقي هنا يلمس في هذه المفارقة نوع من السخرية والتهكم بحيث يصلي ويشرب الخمر في آنٍ واحد ؛ لأن السخرية تكون في بعض الأحيان سائرة في السبيل ذاته الذي يسيره التضاد والتنافر ، من أجل هذا قد يكون التهكم والهزأ والسخرية من العوامل المهمة التي تؤدي الى قلب المعنى وتغيير الدلالة الى ضدها تماماً كما يقلب التضاد المعنى الظاهر مبتدلاً إياه بالمعنى المضمر الذي ينتجه التلقي لا النصّ[49] ، فنلاحظ المفارقة جلية في (الصلاة ، شرب الخمر) ، (يخلق حريقاً ويطفأه إرتكب معصية بين صلاتين ، كلها مفارقات لا تتلاقى على أية شكل من الأشكال في الحقيقة والواقع ، لكنها في التكوين الشعري تصبح من الممكنات من خلال فك شفرات النصّ وسبر أغواره والتفاعل مع ميزات كل نقطة.

رابعاً : المونتاج التناظري

هو المونتاج المبني على تقنية التناظر بين لقطتين او بين جانبين متناظرين ، وذلك بأن يعرض الشاعر لقطة تتبعها لقطة أخرى مناظرة لها ، كمؤشر على فاعل دينامية التناظر المشهدي التي تحقق صورة المشهد كثافةً وحضوراً فعالاً في تبئير الحدث وتعميق مقتضيات البصرية الصورية[50] ، وتظهر هذه التقنية في نصّ (الكلب الأبيض والكلب الأسود)[51] إذ يقول :

ذهب كلب أبيض وجيء بكلب أسود
وذهب كلب أسود وجيء بكلب أبيض
القبر الأسود للكلب الأبيض
والوردة السّوداء على القبر الأبيض
والوردة البيضاء على القبر الأسود
في اللّيل تعوي القبور
العواء الأبيض
والعواء الأسود يشتبكان

إنّ أبرز ما يحققه المونتاج التناظري ، المجازية بين اللقطات المتباعدة لإثارة المشهد وتبئير مدلوله ، ومن هنا جاء إهتمام تيار ما بعد الحداثة بعملية المجازية بين المشهدي / البصري في تأسيس علم الجمال الذي يجمع المشهد / بالصورة[52] ، فالمونتاج التناظري لتوليف اللقطات المتناظرة في مشهد شعري يعكس دينامية اللقطات وتفاعلها في مسارها النّصّيّ المشهدي المكثف أي فلمنة المشاهد المتناظرة، والمونتاج التناظري يمنح النصّ مشهدية تكثيفية عالية من خلال خصوصية التناظر المشهدي بين اللقطات لدرجة منح المشهد الشعري بلاغة فنية ومصداقية تصويرية مضاعفة تحول النصّ إلى نموذج بليغ شديد التكثيف والإيحاء[53] ، فنلاحظ أنّ التناظر في خلق المفارقة باللقطات المعكوسة لتكثيف إيحائاتها التصويرية يعكس اللقطة ، كما في اللقطة المعكوسة (كلب أسود ، كلب أبيض) ، (وردة بيضاء، وردة سوداء ... الخ) ، وهذا الجدل في عكس المدلولات وقلب الرؤى يخلق مناورة مشهدية تركز على بؤرة الحدث.

ومن هذا المنطلق يمكن القول إنَّ الشاعر قد أفاد من تقنية المونتاج ونوّع في إستخدام اللقطات الشعرية من زوايا متعددة ، إذ إنَّ اللقطات وزوايا النظر أسهمت في إنتاج صور مشهدية منتقاة من الصور الفنية للواقع بطريقة إيحائية فنية.

خامساً : مونتاج التوازي

وتعني تقديم حدثين موازيين متداخلين ، بحيث تقدم لقطة من هذا ولقطة من ذاك على التبادل والتقابل بينهما[54] ، ففي نص (الأم) يعرض الشاعر رعد عبد القادر حدثين مختلفين متداخلين معاً في الحدث ، إذ يقدّم ملامح اللقطة الواحدة ثم ما يقابلها في اللقطة الثانية المتعلقة بها ، فيقول : [55]

بإسم أبي سقيت الغريب
وبإسم أمي أطعمته
شرب الغريب من مائي الذي سقيته
وأكل من طعامي الذي اطعمته
ومضى الغريب الى أهلي
وخطبني لنفسهِ
وقدَّم لهم الذهب والفضة
وأخذني من بين أبي وأمي
أخذني الغريب الى بيته من بيت أبي وامي
سقاني بإسم أبيه
وأطعمني بإسم أُمه
أنا شربت من ماء الغريب الذي أسقانيه
وأكلت من طعامه الذي اطعمنيه
وذهب الغريب
وترك لي ولداً وبنتاً

يكشف المقطع عن حركة كثيفة مستقرة في إتجاهين متوازيين وتظهر لنا الأم / المتكلمة في مركز الصورة ، وهي مركز البث والإستقطاب للحدث الشعري ، وهذا الوجود الأنثوي المتمركز هو وجود شعري يحصر الحضور البصري والذهني للصورة ، بينها وبين عدة إتجاهات من الفضاء النصّي من خلال حدثين متوازيين متساويين عن كل منظومة ، وقد إتّبع الشّاعر هذه الطريقة في تكوين لقطاته ؛ بوصفها قيمة جمالية تحقق للنصّ توازنه وتكامله الفني ، وبهذا المنحى تقول الناقدة خلود ترمانيني : ((يعد التوازي من أعمق أسس الفاعلية الفكرية في الشعر ؛ فهو شكل من التنظيم النحوي ، ويتمثل في تقسيم البنية اللغوية للجمل الشعرية الى عناصر متشابهة في الطول والنغمة ، فالنصّ يتوزع على عناصر وأجزاء تربط فيما بينها من خلال التناسب بين المقاطع الشعرية التي تنظمت جملاً متوازية ، وها هنا تُحقق التأثيرات النحوية أنساق التوازن في الشعر ، ومن ثم توجه حركة الإيقاع في النصّ))[56] ، فالعناصر التوازية هنا ، سقيت ، أطعمت ، شرب ـ أكل تتظافر في اللقطات منذ البداية ، اذ تبرز كل لقطة تؤلف معها كل حالة مستقلة (بإسم أبي ، بإسم أمي ، والحدث مضى ، خطبني لنفسه ... وهكذا تتسلسل اللقطات بتوافق زمني ما بين اللقطات ، هذا المشهد الشعري يعد مشهداً داخلياً بلغة السين يرتكز في بدايته على الإيحاء عبر إستنطاق المشهد لملامح الحدث التصويري ، والشاعر عادة يلجأ الى ربط سياقات سردية ترتكز على التمايز الشكلي عبر الإنتقال من لقطة الى أخرى مكملة ، وما ترمز اليه من دلالات شعرية بالمعاني ، ومن خلال تتبع مجريات الأحداث تتضح الأبعاد الرمزية للشخصية (الأم) ففي التصوير السينمائي ((أمكن تقريب الثقة بين الصورة اللغوية والصورة المرئية ، اذ أمكن التغلب على العنصر الزماني نهائياً فتكون الصورة المتحركة تعبيراً عن التكور في الزمن ، وبذلك تجمع اللقطة السينمائية بين الزمان والمكان))[57] ، اذ يعمل النصّ عمل اللقطة السينمائية فاللفظ يوصل المعنى في داخل النصّ ، مثلما توصله اللقطة.

سادساً : المونتاج الفجائي

يسمى بذلك لأن الشاعر يصوّر في نصّه ((مجموعة من اللقطات المنسجمة في تسلسلها الشعوري ثم يقحم بينها لقطة مفاجئة بهدف أحداث اثر ما في المتلقي))[58] ومن النماذج التي تمثلت بهذه التقنية نص (بائعة السمك)[59] فيقول :

شمس الصباح تطل
على شحاذين يعتمرون طاقيات اليهود
روسيا بائعة سمك مجفف

يحشد الشاعر مقطعين شعريين يبدآن في تطور سردي مستمر ومترابط يظهر قدراً من الإنتظار لإكمال المغزى الفني لكن هذا التسلسل الشعوري سرعان ما يتبدد بإفعام لقطة مفاجئة إختزلت في السطر الثالث (روسيا بائعة السمك) التي أربكت النص وأخرجته من تسلسله الشعوري والموضوعي وقد عملت هذه اللقطة في السطر الثالث على ((أسلبة النص وفق إحالات الخاتمة أو الصدمة ، وتتجلى هذه الأسلبة من خلال البوح ولن نجد نصّاً لا يبوح ، وربما كان البوح صدمة النصّ الذي يصبر على كتمان شجاه بواسطة اللعب بالصور والكلمات لتاثيل شعرية خاصة))[60] والحصيلة صورة نهائية عمقت فجوة الإنكسار وعملت على التّصعيد الدرامي وحافظت على سيولة الصورة المونتاجية دون الغوص في التفاصيل.

الخاتمة

ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث :

لقد تعاملت القصيدة المعاصرة مع الفن السابع ، السينما ، واستعارت منه أسلوب السيناريو والمونتاج، وإن هذه الدراسة قد كشفت مدى إفادة الشاعر رعد عبد القادر من تقنيات السينما بالجمع والتأليف بين اللقطات التي تبدو كأنها متباينة في صورتها الظاهرية ، إلاّ إنها مترابطة على مستوى التجربة الشعرية ، وإن الشاعر إذ يلجأ الى هذا التداخل الاجناسي ؛ فإن هدفه التركيز على تطوير فنية شعره وتوسيع رؤاه والذهاب بأدواته الشعرية الى مداها الأرحب ، والأعمق لتحقيق الجمالية المطلوبة في النصّ الشعري.

الهوامش

(1) ينظر : السيناريو ، سدفيلد ، ترجمة : سامي محمد ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، 1989م : 23.
(2) المصدر نفسه : 25.
(3) ينظر : النقد الادبي اصوله ومناهجه ، سيد قطب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت : 28.
(4) ينظر : عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د. علي عشري زايد ، مكتبة الاداب ، القاهرة ، ط4 ، 2002م : 227.
(5) ينظر : القصيدة العربية الحديثة ، البنية الدلالية والبنية الايقاعية ، محمد صابر عبيد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د.ت : 46.
(6) ينظر : حرفيات الاخراج السينمائي ، علي بدرخان ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2016م : 26.
(7) استعادة المكان (دراسة في اليات السرد والتأويل ، رواية السفينة) لجبران ابراهيم جبرا انموذجاً ، محمد مصطفى علي ، دائرة الثقافة والاعلام ، الشارقة ، د.ط ، 2004م : 15.
(8) المجموعة الكاملة : 306/2.
(9) الهيمنة السردية وتقنياتها الاجرائية في النص الشعري الحديث طه ياسين حافظ انموذجاً ، د. عبد الرزاق كريم خلف ، العدد الثاني والستون ، 2010م : 28.
(10) ينظر : شعرية الحجب في خطاب الجسد : 107.
(11) جمالية الادب والسينما ، مجلة الاقلام ، العدد2 ، 2001م : 19.
(12) شعرية الحجب في خطاب الجسد : 109.

(13) المجموعة الكاملة : 306/2.
(14) ينظر : حداثوية الحداثة الفرات ، يروت ، لبنان ، ط1 ، 2008م : 259.
(15) صناعة السيناريو ، محمد حماد : 209.
(16) ينظر : عن بناء القصيدة العربية الحديثة : 221.
(17) المجموعة الكاملة : 322/2.
(18) الإخراج السينمائي ، تقنيات وجماليات ، مايكل رابيجر ، ترجمة : احمد يوسف ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، ط1 ، 2013م : 317.
(19) ينظر : الاسلوب السينمائي في البناء الشعري المعاصر ، محمد عجور دراسة نقدية فنية ، البحوث والدراسات ، دائرة الثقافة والاعلام بالشارقة ، الامارات العربية ، 2009م : 107 - 108.
(20) ينظر : معجم الفن السينمائي ، احمد كامل ومجدي وهبة : 92.
(21) ينظر : معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية الجديد ، احمد شفيق الخطيب ، ط2 : 386.
(22) حداثوية الحداثة : 254.
(23) ينظر : حداثوية الحداثة : 254.
(24) ينظر : علم الشعريات ، قراءة مونتاجية في ادبية الادب ، عز الدين المناصرة ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ط1 ، 2007م : 13 -14.
(25) المجموعة الكاملة : 314/2.
(26) ينظر : معجم المصطلحات السينمائية ، ميشيل ماري ، ترجمة : فائز بشور ، منشورات وزارة الثقافة ، العدد125: 81.
(27) ينظر : التوظيف الدلالي لبناء اللقطة ـ المشهد ـ المشهد عند الموجة الفرنسية الجديدة ، د. ماهر مجيد ، صلاح محمد طه ، الاكاديمي ، العدد52 ، 2009م : 189.
(28) الجحيم الارضي ـ قراءة في شعر صلاح عبد الصبور ، محمد بدوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1986م : 32.
(29) ينظر : شعرية الحجب في خطاب الجسد : 93.
(30) التوليف (المونتاج) في لشعر العربي المعاصر ، مجلة كلية التربية الاساسية ، سمير الخليل ، العدد53 : 23.
(31) ينظر : علم الشعريات ، عزالدين المناصرة : 13 - 14.
(32) ينظر : توظيف القصيدة العربية المعاصرة لتقنيات الفنون الاخرى ، تيسير محمد الزيادات ، دار البداية ، عمان، الاردن ، ط1 ، 2010م : 243.
(33) المجموعة الكاملة : 384/2.
(34) ينظر : شجر الكلام ، ربيعة جلطي ، منشورات السفير ، مكناس ، المغرب ، ط1 ، 1991م : 65 -66.
(35) ينظر : تداخل الانواع الادبية والفنية في الكتابة الشعرية الجزائرية المعاصرة ، المونتاج السينمائي الشعري انموذجاً، منى دوزة ، جامعة منتوري ، قسنطينة : 293.
(36) المجموعة الكاملة : 379.

(37) سردية السيناريو بين السرديات الادبية والسرديات الصورية ، د. طه حسين الهاشمي ، الاكاديمي ، العدد52 ، 2009م: 143.

(38) ينظر : القصيدة وتقنيات السيناريو ، فاضل ثامر ، ملة الادب المعاصر ، العدد46 ، 1994م : 14.

(39) ينظر : تداخل الانواع الادبية والفنية في الكتابة الشعرية الجزائرية المعاصرة ، المونتاج السينمائي/الشعري انموذجاً، منى دوزة ، جامعة منتوري ، قسنطينة : 278.

(40) ينظر : جمالية المشهد الشعري وتفاعله مع السينما ، قصيدة (في القدس) لتميم البرغوثي انموذجاً ، شريفة سعيدي، رسالة ماجستير ، جامعة محمد بوطياف ـ المسيلة ، 2020 - 2021 : 46.

(41) ينظر : حداثوية الحداثة : 266.

(42) المجموعة الكاملة : 364/1.

(43) ينظر : التشكيل الشعري الصفة والرؤيا / محمد صابر عبيد ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا ، 2011م : 135.

(44) ينظر : حداثوية الحداثة : 266.

(45) الصورة الفنية في النقد الادبي ، عبد القادر الرباعي ، مجلة المعرفة السورية ، العدد204 ، 1979م : 72.

(46) ينظر : عن بناء القصيدة العربية ، علي عشري زايد : 130.

(47) ينظر : المفارقة في الشعر العربي الحديث ـ امل دنقل ـ سعدي يوسف ـ محمود درويش انوذجاً ، د. ناصر شبانة، المؤسسة العربية للدراسة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2002م : 47.

(48) المجموعة الكاملة : 179/1.

(49) ينظر : الرؤية النصية ، ميلغيل ستيفن ، ترجمة : سيد عبدالله ، مجلة فصول ، العدد62 ، 2003م : 202.

(50) ينظر : حداثوية الحداثة : 267.

(51) المجموعة الكاملة : 402/2.

(52) ينظر : حداثوية الحداثة : 260.

(53) ينظر : المصدر نفسه : 265.

(54) ينظر : عن بناء القصيدة العربية الحديثة : 216.

(55) المجموعة الكاملة : 310.

(56) الايقاع اللغوي في الشعر العربي الحديث ، خلود ترمانيني : 250.

(57) في نقد الشعر العربي المعاصر ، دراسة جمالية ، روضان الصباغ ، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر ، ط1 ، 2002م : 320.

(58) الحداثة في الشعر العربي ، ادونيس انموذجاً ، سعيد بن زرفة ، الجان للترجمة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2004م : 309.

(59) المجموعة الكاملة : 242/2.

(60) دلالة المكان في قصيدة النثر (بياض اليقين) ،لأميرا سبر انموذجاً ، عبدالاله الصائغ ، الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا ، دمشق ، ط1 ، 1990م : 59.

المصادر

- المجموعة الكاملة ، رعد عبد القادر ، مكتبة الفكر الجديد ، ط1 ، بغداد ، 2013م.
- الإخراج السينمائي ، تقنيات وجماليات ، مايكل رابيجر ، ترجمة : احمد يوسف ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، ط1 ، 2013م.
- استعادة المكان (دراسة في اليات السرد والتأويل ، رواية السفينة) لجبران ابراهيم جبرا انموذجاً، محمد مصطفى علي ، دائرة الثقافة والاعلام ، الشارقة ، د.ط ، 2004م.
- الاسلوب السينمائي في البناء الشعري المعاصر ، محمد عجور دراسة نقدية فنية ، البحوث والدراسات ، دائرة الثقافة والاعلام بالشارقة ، الامارات العربية ، 2009م.
- الايقاع اللغوي في الشعر العربي الحديث ، خلود ترمانيني ، اطروحة دكتوراه ، جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، سوريا ، 2004م.
- تداخل الانواع الادبية والفنية في الكتابة الشعرية الجزائرية المعاصرة ، المونتاج السينمائي الشعري انموذجاً، منى دوزة ، جامعة منتوري اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب واللغات ، قسنطينة ، 2018م.
- التشكيل الشعري الصفة والرؤيا ، محمد صابر عبيد ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا ، 2011م.
- التوظيف الدلالي لبناء اللقطة ـ المشهد ـ المشهد عند الموجة الفرنسية الجديدة ، د. ماهر مجيد ، صلاح محمد طه ، الاكاديمي ، العدد52 ، 2009م.
- توظيف القصيدة العربية المعاصرة لتقنيات الفنون الاخرى ، تيسير محمد الزيادات ، دار البداية ، عمان، الاردن، ط1 ، 2010م.
- التوليف (المونتاج) في لشعر العربي المعاصر ، مجلة كلية التربية الاساسية ، سمير الخليل، العدد53.
- الجحيم الارضي ـ قراءة في شعر صلاح عبد الصبور ، محمد بدوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1986م.
- جمالية الادب والسينما ، مجلة الاقلام ، العدد2 ، 2001م.
- جمالية المشهد الشعري وتفاعله مع السينما ، قصيدة (في القدس) لتميم البرغوثي انموذجاً ، شريفة سعيدي، رسالة ماجستير ، جامعة محمد بوطياف ـ المسيلة ، 2020 - .2021
- الحداثة في الشعر العربي ، ادونيس انموذجاً ، سعيد بن زرفة ، الجان للترجمة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2004م.
- حداثوية الحداثة ، شعر بشرى البستاني أنموذجاً ، عصام ابراهيم شرتح ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 2014م.
- حرفيات الاخراج السينمائي ، علي بدرخان ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2016م.
- دلالة المكان في قصيدة النثر (بياض اليقين) ،لأميرا سبر انموذجاً ، عبدالاله الصائغ ، الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا ، دمشق ، ط1 ، 1990م.
- الرؤية النصية ، ميلغيل ستيفن ، ترجمة : سيد عبدالله ، مجلة فصول ، العدد62 ، 2003م.
- سردية السيناريو بين السرديات الادبية والسرديات الصورية ، د. طه حسين الهاشمي ، الاكاديمي ، العدد52 ، 2009م.
- السيناريو ، سدفيلد ، ترجمة : سامي محمد ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، 1989م.
- شجر الكلام ، ربيعة جلطي ، منشورات السفير ، مكناس ، المغرب ، ط1 ، 1991م.
- شعرية الحجب في خطاب الجسد ، محمد صابر عبيد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط1 ، 2007م.
- صناعة السيناريو ، محمد حماد ، الفرات ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2008م.

- الصورة الفنية في النقد الادبي ، عبد القادر الرباعي ، مجلة المعرفة السورية ، العدد204 ، 1979م.
- علم الشعريات ، قراءة مونتاجية في ادبية الادب ، عز الدين المناصرة ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ط1 ، 2007م.
- عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د. علي عشري زايد ، مكتبة الاداب ، القاهرة ، ط4 ، 2002م.
- في نقد الشعر العربي المعاصر ، دراسة جمالية ، روضان الصباغ ، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر ، ط1 ، 2002م.
- القصيدة العربية الحديثة ، البنية الدلالية والبنية الايقاعية ، محمد صابر عبيد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د.ت.
- القصيدة وتقنيات السيناريو ، فاضل ثامر ، مجلة الادب المعاصر ، العدد46 ، 1994م.
- معجم الفن السينمائي ، احمد كامل مجدي وهبة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، 1973م.
- معجم المصطلحات السينمائية ، ميشيل ماري ، ترجمة : فائز بشور ، منشورات وزارة الثقافة، العدد125.
- معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية الجديد ، احمد شفيق الخطيب ، ط2 ، مكتبة لبنان ، 1999م.
- المفارقة في الشعر العربي الحديث ـ امل دنقل ـ سعدي يوسف ـ محمود درويش انوذجاً ، د. ناصر شبانة، المؤسسة العربية للدراسة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2002م.
- النقد الادبي اصوله ومناهجه ، سيد قطب ، ط3 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1959م.
- الهيمنة السردية وتقنياتها الاجرائية في النص الشعري الحديث طه ياسين حافظ انموذجاً ، د. عبد الرزاق كريم خلف ، العدد الثاني والستون ، 2010م.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

الطبيعة القانونية لعلاقة الموظف العام بالدولة
- دراسة مقارنة-

الباحث شيروان احمد طاهر حويز

الملخص

تناولت هذه الدراسة موضوعاً غاية في الأخمية، ألا وهو موضوع: " الطبيعة القانونية لعلاقة الموظف العام بالدولة دراسة مقارنة"، وعرضنا له من خلال ثلاثة مطالب، تناول المطلب الأول: مفهوم العلاقة بين الموظف العام والدولة، والمطلب الثاني: علاقة الموظف العام بالدولة علاقة تعاقدية، أما المطلب الثالث: علاقة الموظف العام بالدولة علاقة نظامية، وانتهينا إلى العديد من النتائج والتوصيات، لعل من أبرزها أن تكييف العلاقة بين الموظف العام وجهة الإدارة، يختلف باختلاف الدول وباختلاف الزمان والمكان، ووفقًا لما اعتمدته الدول من نظام للوظيفة العامة في كل منها، واقترحنا على المشرع العراقي ألا يسمح لأن تكون السلطة التي بيد الإدارة سلطة مطلقة في تقدير الجزاءات وفرضها على الموظف العام، وذلك بما لا يتنافي مع حقها في تأديب الموظق العام وفرض العقوبات المناسبة لما ارتكبه من مخالفة، شريطة ألا تتعسف في استعمال هذا الحق.

Abstract

This study dealt with a very topical topic, which is the topic: “The Legal Nature of the Public Employee’s Relationship with the State A Comparative Study.” We presented it through three demands. As for the third requirement: the relationship of the public employee with the state is a regular relationship, and we ended up with many results and recommendations, perhaps the most prominent of which is that the adaptation of the relationship between the public employee and the direction of the administration varies in different countries, time and place. In accordance with the system adopted by the states for the public service in each of them, we suggested to the Iraqi legislator not to allow the authority in the hands of the administration to be an absolute authority in assessing and imposing penalties on the public servant, in a manner that does not conflict with its right to discipline the public position and impose appropriate penalties for what he has committed violation, provided that you do not abuse this right.

المقدمة

أولًا – أهمية البحث: تبدو أهمية هذا البحث، في أن اكتساب صفة الموظف العام مرتبط بالعمل في خدمة مرفق عام في الدولة، نظراً لأن الموظفين العموميين في الجهاز الإداري لأي دولة يكونون طائفة متميزة يعمل أفرادها باسم الدولة ولحسابها لتحقيق النفع العام، فمن الطبيعي أن يكون للدولة نظام قانوني رسمي ومكتوب يحدد المركز القانوني لطائفة الموظفين العموميين من حيث تعيينهم وتحديد مرتباتهم وعلاواتهم وترقياتهم، وكذلك تأديبهم وأسلوب إنهاء خدمتهم.

ثانيًا - إشكالية البحث: تبرز إشكالية هذا البحث في مدى تمتع الموظف العام بحقوقه كاملة مع وجود السيادة الكاملة لجهة الإدارة، وحقها في فرض العقوبات على الموظف العام، مع تعسفها في استخدامها ذلك الحق في كثير من الأحيان.

ثالثًا - منهج البحث: المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج التحليلي المقارن، وذلك من خلال إبراز النصوص محل البحث وتحليلها ومقارنتها مع القوانين الأخرى، كالقانون الفرنسي والمصري إن كان هناك وجه للمقارنة.

رابعًا - خطة البحث: يأتي هذا البحث في ثلاثة مطالب، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: مفهوم العلاقة بين الموظف العام والدولة.

المطلب الثاني: علاقة الموظف العام بالدولة علاقة تعاقدية

المطلب الثالث: علاقة الموظف العام بالدولة علاقة نظامية

المطلب الأول

مفهوم العلاقة بين الموظف العام والدولة

أثارت العلاقة ما بين الدولة وموظفوها خلافا كبيرًا بين الفقهاء بشأن طبيعتها القانونية، حيث تطورت النظرة اليها تبعا للتطور الذي يطرأ على الدول بحسب فلسفتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية[1]، ومن ثم فإن تكييف العلاقة بينهما يختلف باختلاف الدول وباختلاف الزمن وبحسب ما اعتمدته الدول من نظام للوظيفة العامة، وحيث إن هنالك نظامين أساسيين لمفهوم الوظيفة العامة، وهذين النظامين هما:

أولاً - المفهوم الأوروبي للوظيفة العامة، إذ يتقارب المفهوم الإنجليزي للوظيفة العامة من المفهوم الفرنسي لها[2]، وتعتبر الوظيفة العامة وفقاً لهذا المفهوم بأنها عمل مستقر وتخضع لنظام قانوني خاص بها ويتفق هذا المفهوم والهدف المقصود من الوظيفة العامة، وهو تحقيق المصلحة العامة، ويعني هذا المفهوم أن العمل الذي يلتحق به الموظف العام يعد عملاً دائماً لا عارضاً وإلى حين انتهاء خدمته بإحدى الوسائل المقررة قانوناً وأن علاقة الموظف العام بالوظيفة العامة علاقة تنظيمية لا تعاقدية وأن ديمومة العلاقة واستمراريتها محكومة بالقوانين والأنظمة التي تحدد المركز القانوني للموظف العام،[3] وبالتالي فإن الإدارة تلتزم في مواجهة الموظف بكافة الحقوق والامتيازات والضمانات كالراتب أثناء الوظيفة، وبعدها الراتب التقاعدي، مقابل التزام الموظف بواجبات الوظيفة وأداء مهامها خدمة للصالح العام، ويتميز هذا المفهوم للوظيفة العامة بما يوفره من استقرار وظيفي ينعكس إيجاباً على حياة الموظف العام وكفاءة الجهاز الإداري للدولة.

ووفقًا لهذا المفهوم، فإن الترقية أو التقدم في الدرجة الوظيفية – كحق من الحقوق الوظيفية - تتمثل في رفع التكييف العقدي للموظف العام في التدرج الهرمي[4]، وعلى هذا النحو، فإن الترقية أو التقدم في الدرجة الوظيفية يتمثل في خفض الدرجة أو تنزيل الدرجة تعديلاً في عقد العمل، والذي يتطلب مُوافقة المُوظف، ومن الملاحظ أن أن هذا التعديل قد لا يثير أي اعتراض، وقد لا يُثير نزاعات، غير أن الأمر على خلاف ذلك، نظراً لأنه من المُفترض أن يُقدم للمُوظف تحسناً مادياً عن طريق زيادة راتبه، ومع ذلك، فإن هناك من ينتقد الترقية، وقد يكون مدفوعاً ومُسبباً باعتبارات مُختلفة تتعلق بالرغبة في الحفاظ على التوازن بين الحياة الأسرية والحياة المهنية، وذلك في الحالة التي تكون فيها الترقية مصحوبة بنقل جغرافي بعيداً عن منزل الموظف العام، أو أن الترقية تؤدي إلى زيادة الرواتب التي تجاوز الحدود الضريبية أو الاجتماعية، مما يجعل الترقية مُعاملة مُحايدة من حيث القوة الشرائية[5].

وقد عرفت محكمة النقض الفرنسية، الترقية: بأنها انتقال الموظف العام إلى وظيفة ذات مستوى أعلى، مما يؤدي إلى تغيير كبير في مُحتوى الأنشطة التي يقوم بها المُوظف العام لتبرير انتقاله إلى مُستوى أعلى[6].

ثانياً - المفهوم الأمريكي للوظيفة العامة: فتعتبر الوظيفة وفقاً لهذا المفهوم بأنها عمل مؤقت لا تخضع لنظام قانوني خاص بها بل يحكمها النظام القانوني الذي يحكم الوظيفة في المشروعات الخاصة لدى القطاع الخاص، إذ يخضع الموظف العام لذات النظام القانوني الذي يخضع له كافة المواطنين في المشروعات الخاصة، حيث إن مركز الموظف العام في أمريكا ظل أقل ثباتاً من مركز غيره من الموظفين كما هو

الحال في فرنسا وفي غيرها من الدول الأوروبية،[7] فالوظيفة وفقاً لهذا المنظور ما هي إلا مجرد عمل مؤقت وعارض ويرتبط عادة بوظيفة بعينها فلا ينتقل الموظف من وظيفة لأخرى أو يُرَقى لغيرها، وبذلك تكون علاقته بالدولة علاقة تعاقدية وليست تنظيمية.

والدول تعتنق أياً من النظامين، مع وضع شروطها التي تجد أنها تناسب ظروفها ومتطلباتها.

ولذلك ثار التساؤل عن طبيعة الرابطة التي تربط الموظف العام بالدولة، حيث تترتب نتائج قانونية هامة على تكييف هذه الرابطة، يهمنا من خلالها معرفة موقع الترقية الوظيفية وهي موضوع دراستنا في ظل أي تكييف منها، **فما هي طبيعة علاقة الموظف العام بالدولة؟**

ثار الخلاف في الفقه والقضاء في بداية الأمر[8]؛ حيث اتجه البعض إلى تكييف العلاقة التي تربط بين الموظف العام والدولة على إنها علاقة خاصة يحكمها القانون الخاص، فهي رابطة تعاقدية خاصة تخضع لقاعدة "العقد شريعة المتعاقدين"، بينما الاتجاه الاخر ذهب إلى تكييف علاقة الموظف العام بالدولة على إنها علاقة تعاقدية عامة، أي أن الرابطة التي تربط الموظف العام بالدولة وإن كانت رابطة تعاقدية قوامها العقد، إلا أنه ليس عقدا من عقود القانون الخاص ولكنه عقد من عقود القانون العام، غير أن الرأي قد انتهى إلى تكييف علاقة الموظف العام بالدولة على أنها علاقة نظامية.

المطلب الثاني

علاقة الموظف العام بالدولة علاقة تعاقدية

بحسب هذه النظرية فإن الرابطة بين الموظف والدولة رابطة تعاقدية لا تختلف عن أية علاقة مثلها في القانون الخاص وذلك حينما كانت قواعد القانون المدني هي الحاكمة للعلاقات لتمثل الشريعة العامة التي يتم تطبيقها سواء على الافراد فيما بينهم ام مع الإدارة، ومن ثم فان احكام القانون المدني هي من تتولى تحديد حقوق وواجبات الموظف قبالة جهة الإدارة بموجب العقد المبرم بينهما، وهذا يعني أن العلاقة القانونية التي تربط الموظف بالدولة هي علاقة عقدية ناشئة عن رابطة تعاقدية، ويختلف هذا العقد باختلاف نوع العمل المطلوب إنجازه، فقد تكون علاقة عقدية أساسها الإجارة إذا كان الموظف يقوم بعمل مادي، أو عقد وكالة إذا كان يقوم بعمل قانوني[9].

وتقوم هذه النظرية على تبادل الإرادات بين الطرفين والتي يتحقق من التقائهما نشوء العلاقة الوظيفية وتحدد التزامات كل طرف وفقاً لما يتم عليه الاتفاق، وقد كانت هذه النظرية تقضي بأن العلاقة بين الموظف والدولة هي علاقة تقوم على أساس عقد الوكالة لأن العمل المنوط بالموظف هو عمل قانوني تظهر فيه الدولة بصفة رب عمل دخل في علاقة تعاقدية مع الأطراف، ثم ذهبت إلى القول بأن علاقة الموظف مع الدولة هي علاقة تتمثل في عقد الإذعان، لأن تعيين الموظف العام لا يسبقه مناقشة في الشروط والالتزامات التي تنشأ عن التعيين بل يكون كل ذلك محدد سلفاً، وهذا التغيير داخل إطار النظرية العقدية جاء نتيجة الانتقادات المبنية بالاساس على القول بان القانون المدني هو من يحكم علاقة الاطراف، وبالتالي اتجه انصار النظرية العقدية إلى القول بأن علاقة الموظف بالدولة هي علاقة من نوع خاص، وأن العلاقة هي علاقة عقدية من عقود القانون العام[10]، ومن أجل الوقوف على تلك التكييفات نضعها على النحو الآتي:

أولاً:- علاقة الموظف العام بالدولة عقد من عقود القانون الخاص

اتجه الفقه القديم في بداية الأمر إلى القول بأن الموظف العام يرتبط بالدولة بعقد من عقود القانون الخاص، وبالذات القانون المدني الذي يعد بمثابة الشريعة العامة لعلاقته بالدولة أو بغيرها من أشخاص القانون العام وكأنها علاقة تعاقدية خاصة تخضع غالباً لأحكام القانون المدني،[11] وكان الفقه يصف هذا العقد الخاص الذي يربط الموظف بالدولة بأنه عقد وكالة عادية في حال كان العمل الموكول للموظف هو عمل ذهني، بينما يكون الوصف عقد عمل إذا كان عمل الموظف هو مجرد عمل يدوي[12].

ويترتب على هذا الطرح أن أصبح مركز الموظف العام مماثلاً للمركز التعاقدي لأي متعاقد في نطاق روابط القانون الخاص، ومن ثم يتطلب ابرام العقد اجراء مفاوضات بين الفرد والدولة بهدف تحديد مضمون العقد من حيث موضوعه وشروطه وآثاره[13].

إلا أنه وبرغم شئ من وجاهة الرأي السابق إلا أن استقلال القانون الإداري عن القانون المدني في ذلك الوقت جعلت هذه الفكرة محلاً للانتقاد الفقهي، وهو الأمر الذي جعل القضاء يتخلى عنها.
وقد تمحورت اوجه النقد إلى الفكرة العقدية للوظيفة العامة حول مأخذين أساسيّن[14]:

1. يشمل افتقاد عملية التعيين للعناصر الشكلية للعقد باعتباره توافق بين إدارتين أو أكثر حول موضوع معين، فتعين الموظف ودخوله في خدمة المرفق العام لا يتم غالباً بناء على مفترضات فكرة التعاقد الحر بين الطرفين، حيث لا توجد مناقشات حرة بينه وبين الدولة عند تحديد علاقتهما الوظيفية معاً، وإنما يتم تعيين الموظف بموجب قرار إداري يصدر بالإرادة المنفردة للإدارة، وإذا كان قبول الموظف للتعاقد مع الإدارة ضرورياً لتنفيذ قرار التعيين إلا أن مسألة تعيينه ونشوء مركزه القانوني يتحقق في هذه الحالة بناء على هذا القرار وحده.
2. يدور أساساً حول تخلف مبدأ العقد شريعة المتعاقدين في نطاق علاقة الموظف بالإدارة، فالعقد في نطاق القانون الخاص محكوم دائماً بالمبدأ الكلاسيكي القاضي بأن العقد شريعة المتعاقدين، والذي يترتب عليه غالباً أن الإدارة لن تستطيع تعديل المركز الوظيفي إلا بموافقته باعتباره المتعاقد معها في ظل سيادة فكرة العقد، كما أن الموظف يمكنه فسخ العقد مع الإدارة إذا خالفت بعض شروط التعاقد.

فيتبين أن تكييف العلاقة بين الموظف والدولة على أنها علاقة خاصة يحكمها القانون الخاص تعرضت للنقد من الناحية الموضوعية، حيث تسيطر قاعدة "العقد شريعة المتعاقدين" على روابط القانون الخاص مما يعني عدم جواز تعديل مركز الموظف إلا بالاتفاق معه بوصفه الطرف الآخر في العقد، وكذلك حق الموظف في فسخ العقد في الأحوال وبالشروط المتفق عليها، واحتمال اختلاف مراكز الموظفين العموميين باختلاف نصوص عقودهم ولو كانوا يقومون بعمل واحد، وذلك فضلاً عن أن الاختصاص بنظر منازعات الموظفين العموميين سيكون للقضاء العادي[15]، وكل هذه الأمور لا يمكن التسليم بها ولا يجري العمل عليها، وذلك نظراً لخروجها على المبادئ الحاكمة لسير المرافق العامة، ومن بينها مبدأ سير المرافق العامة بانتظام واطّراد[16]، والجدير بالذكر أن القول بعلاقة الموظف بالدولة بموجب عقد من عقود القانون الخاص ظل سائداً في فرنسا حتى أواخر القرن التاسع عشر، وفي مصر لغاية عام 1940م[17].
ومن الجدير بالذكر أن مبدأ المساواة في الوظائف العامة، يؤدي إلى إعمال القاعدة العامة للتوظيف في الخدمة المدنية عن طريق الاختبارت التنافسية، والذي يعكس مبدأ عدم التمييز في الحق في الوصول إلى الوظائف العامة ويجوز أن ينص القانون على استثناءات لممارسة المُنافسة هذه في حالات خاصة، إذا لم تُمثل تهديد أو مساس بالمبدأ العام للمساواة، وينطبق المبدأ نفسه على التطوير الوظيفي؛ حيث يُشير إلى المسألة الحساسة المُتمثلة في تقييم جودة الخدمة التي يُقدمها الموظفون المدنيون "موظفي الخدمة المدنية، فإذا كان ينبغي إلا يكون ترقية الدرجة ناجماً عن أي اعتبار آخر غير تقييم قدراتهم ومواهبهم[18].

ثانياً:- علاقة الموظف العام بالدولة عقد من عقود القانون العام

لقد ترتب على فكرة ربط الموظف العام بالدولة بموجب عقد من عقود القانون الخاص العديد من العيوب الجلية، وخصوصاً مسألة التعارض الواضح فيما بين الأخذ بمبدأ العقد شريعة المتعاقدين وبين مراعاة مقتضيات وحاجات المرافق العامة في السير المنتظم والمطّرد لتحقيق المصلحة العامة للدولة، وفي ذات الاتجاه التعاقدي حاول الفقه والقضاء تكييف العلاقة الوظيفية بين الموظف والدولة على إنها علاقة تعاقد في نطاق القانون العام[19].
فأمام تلك الانتقادات التي وجهت للرأي القائل بتكييف علاقة الموظف بالدولة على أنها رابطة خاصة يحكمها القانون الخاص، والمجافاة البيّنة لمتطلبات سير المرافق العامة، وحرمان جهة الإدارة في تعديل النظام القانوني للموظف العام تلبية للصالح العام، ذهب الفقه والقضاء إلى القول بأن رابطة الموظف العام بالدولة هي رابطة تعاقدية لا غير ولكن يحكمها القانون العام لا الخاص، أي أنه وإن كان العقد هو مصدر هذه الرابطة إلا أن هذا العقد يعتبر عقداً من عقود القانون العام، مما يعني الاعتراف للدولة بحق تعديله بما يتلاءم مع سير المرافق العامة بانتظام واطّراد[20].

المطلب الثالث

علاقة الموظف العام بالدولة علاقة نظامية

نظراً لأن النظرية التعاقدية سواء التي كيفت العلاقة بين الموظف العام والدولة على أنها علاقة تعاقدية تحكمها قواعد القانون الخاص، أو تلك التي تكيف هذه العلاقة في نطاق القانون العام لا تحقق جميع النتائج التي يتطلبها إعمال القواعد الضابطة لسير المرافق العامة بانتظام واطراد[21].

لذلك فقد عدل مجلس الدولة نهائياً عن تكييف الرابطة بين الموظف والدولة على أساس الفكرة التعاقدية، واتجه إلى تكييف علاقة الموظف بالسلطة الإدارية بأنها علاقة تنظيمية تحكمها القواعد القانونية المتصلة بتنظيم الوظائف العامة[22].

وتقوم هذه النظرية على أن مركز الموظف تحكمه القوانين واللوائح المنظمة للوظيفة العامة وبالتالي فإن الموظف العام في مركز تنظيمي أو لائحي، فحقوق الموظف وواجباته منظمة من خلال قانون الوظيفة العامة الذي تضعه الدولة ويكون الموظف ملتزماً به تحقيقاً للمصلحة العامة فقبول الموظف للوظيفة يعني خضوعه لأحكامها، فيباشر مهامها ومسؤولياتها وفقاً للقوانين والأنظمة المعمول بها، ودور هذا القرار هو إسناد الوظيفة للموظف المعين وفقاً لما حددته القوانين واللوائح.[23]

وبناء على هذا التكييف فالموظف العام لا يملك الحق في الاحتفاظ بمركزه الأصلي ولا يمكنه الاحتجاج بذلك أمام الجهة الإدارية، بل يجب عليه الخضوع لأي تغيرات في مركزه تصدر من جانب الإدارة تبعاً لضروريات المرفق العام، ومن ثم لا يلزم في هذا الصدد موافقة أصحاب الشأن لكي يطبق عليهم مثل هذه القواعد، بل يجب عليهم الخضوع لهذه القواعد وما يجري عليها من تغيير[24].

ثم عدل الفقه والقضاء عن القول بإرتباط الموظف العام بالدولة أو الإدارة بعلاقة تعاقدية، سواء كانت عقداً خاصاً، أو عقداً من عقود القانون العام، واستقر الرأي على تكييف هذه العلاقة على أساس أنها مركز تنظيمي أو لائحي، فأحكام الوظيفة العامة، بكل ما تتضمنه من حقوق وواجبات إنما تستمد مباشرة من أحكام القوانين واللوائح المنظمة للوظيفة العامة، فقرار التعيين ليس إلا تصرفاً شرطياً، فهو لا ينشئ مركزاً ذاتياً للموظف، بل يتضمن إسناد الوظيفة له، فيباشر مسؤولياتها وفقاً لما تقرره القوانين واللوائح في هذا الشأن[25].

ومن ثم يعتبر الموظف في مركز تنظيمي، حيث يشغل –بتعيينه- مركزاً كان قائماً وموجوداً من قبل، فالتعيين لا يخلق الوظيفة وإنما يعني إلتحاق الشخص بهذه الوظيفة، حيث يمارس اختصاصها ومسؤولياتها التي تكون القوانين واللوائح قد حددتها من قبل.

فالمشرع المصري لم يتعرض بنص صريح لتكييف طبيعة علاقة الموظف بالدولة أو الإدارة وترك هذه المسألة للفقه والقضاء، ويتفق الفقه على تكييف هذه العلاقة بأنها تنظيمية ولائحية[26].

واتجه الفقه والقضاء في مصر – في ظل قصور وعيوب النظرية التعاقدية - إلى الاستقرار على أن علاقة الموظف بالدولة لا تستند إلى أي عقد من العقود ، وإنما تستند غالباً على النصوص المدرجة في القوانين واللوائح التي تنظم شروط هذه العلاقة الوظيفية مسبقاً وتحدد من ثم الحقوق والواجبات الوظيفية عموماً[27]، وبعبارة أخرى يكون الموظف في مركز تنظيمي أو لائحي في علاقته الوظيفية مع الإدارة وليس في مركز فردي أو شخصي يكون مستمد من أي عقد من العقود.

إذاً أصبحت العلاقة الوظيفية فيما بين الموظف العام والدولة موجودة في أحضان العلاقة التنظيمية لا العلاقة العقدية، وهو ما يجعل مركز الموظف في عداد المراكز القانونية واللائحية وليس في عداد المراكز التعاقدية، وهو ما يجعل قرار تعيينه في الوظيفة العامة وكأنه بمثابة "قرار شرطي" يستند أساساً على ما سبق ونظمته القوانين واللوائح الخاصة بمسائل الوظائف العامة من مركز قانوني عام ينطبق على كافة الأشخاص الذين يعينون في هذه الوظائف.

ويترتب على ذلك أن قرار تعيين الموظف لا ينشئ مركزاً خاصاً فالمركز الوظيفي موجود وسابق في وجوده على الموظف العام، فهو في مركز تنظيمي عام وليس مركز شخصي خاص،[28] كما أن تعيين الموظف بمعرفة الإدارة وقبوله للتعيين ليس إيجاباً ولا قبولاً للعقد دائماً، وإنما قرار التعيين هو قرار إداري صادر من الجهة المختصة، وهذا القرار الصادر من السلطة الإدارية ليس إيجاباً، وإنما أمر قبول الموظف للتعيين هو إذعان وليس إعلان عن إرادة طرف ثانٍ في العقد[29].

كما يترتب على اعتبار علاقة الموظف العام بالدولة علاقة تنظيمية ولائحية عدة نتائج هامة منها:

1. يوجد تماثل في المراكز القانونية بكافة الموظفين الخاضعين لنفس الطائفة الوظيفية بناء على القواعد العامة والمجردة المتضمنة في القوانين واللوائح المنظمة للوظيفة العامة.

وبمعنى آخر فإن المركز القانوني للموظف هو مركز تنظيمي نابع في الأساس من القوانين واللوائح وليس إلى عقد من العقود مع الدولة، في هذه الحالة يمتنع على الإدارة أن تبرم أية اتفاقات فردية بينها وبين بعض الموظفين على خلاف القواعد المقررة مسبقاً من القوانين واللوائح الوظيفية، وذلك بصرف النظر عما إذا كان الاتفاق لصالح الموظف أو لمصلحة الدولة مما قد يخلق مراكز مختلفة لهم عن مراكز نظرائهم، ومثل هذه الاتفاقات في حالة حدوثها سوف تكون مجردة من كل قيمة قانونية وتكون باطلة بطلان مطلق لمخالفتها حجة عليه وملزم للإدارة فإذا تم مثل هذا الاتفاق لمصلحة الدولة فهناك غالباً شبهة إكراه واقعة على الموظف العام، أما إذا كان هذا الاتفاق لصالح الموظف فهو يعد خروجاً على مبدأ المساواة بين الموظفين فيما يتمتعون به من حقوق وما يلتزمون به من واجبات وظيفية.

2. يمكن للدولة أو الإدارة التي تتعاقد مع الموظف الذي يشغل مركزاً وظيفياً في وحدات الجهاز الإداري أن تعدل في أي وقت كافة القوانين واللوائح التي تنظم المراكز القانونية للموظفين، وذلك دون أن يتوقف ذلك على قبولهم أو رضائهم بهذه التعديلات طالما أن هذه الأخيرة كانت موضوعية وعامة في نظم التوظف المختلفة حتى ولو تضمن ذلك الحرمان الجزئي أو الكلي من بعض الامتيازات الوظيفية، ومع ذلك لا يجوز المساس بالمركز القانوني للموظف بقرار فردي بدون تعديل عام في هذا الشأن وما تقدم يعني عدم توافر إمكانية معارضة أي موظف لهذا التعديل أو مجرد التمسك بأي حقوق مكتسبة من القوانين واللوائح محل التعديلات.[30]
3. لا يجوز للموظفين الإضراب أو مجرد الامتناع عن العمل حتى ولو كانت هناك إجراءات غير مشروعة اتخذتها الإدارة لأن ذلك سوف يترتب عليه تعطيل سير المرافق العامة مما يؤدي إلى حدوث اضطرابات في البلاد.
4. إن القرارات التي تصدرها الإدارة في شان الموظفين كقرارات التعيين والترقية والنقل والندب، وإنهاء الخدمة هي قرارات إدارية ويترتب على ذلك أن الإرادة المنفردة للإدارة هي التي تصدر هذه القرارات ودون مشاركة أو حتى قبول من الموظف المعني، ويعود ذلك إلى أن هذه القرارات تحدث تعديلاً في المركز القانوني للموظف ودون أن يتوقف على رضاه، في هذه الحالة تخضع هذه القرارات للطعن بالإلغاء كدعوى من دعاوى القضاء الكامل، ولا تعتبر مجرد إجراءات مرتبطة بتنفيذ عقد إداري.[31]

ويبدو جلياً أن اعتناق النظرية اللائحية يؤدي إلى ترجيح مقتضيات المصالح العامة في مواجهة مصالح الموظفين، وتسمح بتعديل قواعد تنظيم المرفق العام بما يتلاءم والصالح العام وانسجاما مع مقتضيات المرافق العامة، ولئن كان الأصل الآن أن علاقة الموظف بالدولة علاقة تنظيمية لائحية إلا أن ذلك لا يحول دون لجوء الإدارة لأسلوب التعاقد لشغل الوظيفة العامة استثناء، فتكون الرابطة بينها وبين المتعاقد معها تعاقدية.

من جهة أخرى وعلى الرغم من أن المشرع المصري لم ينص صراحة على أن العلاقة بين الموظف والإدارة علاقة تنظيمية أو لائحية، إلا أنه من خلال النظر في تشريعات الوظيفة العامة، وذلك منذ القانون رقم 210 لسنة 1951م، وحتى قانون نظام العاملين بالدولة رقم 47 لسنة 1978، يلاحظ أن المشرع المصري قد أشار إلى العلاقة التنظيمية بشكل ضمني غير مباشر[32]، وكذا هو الحال في قانون الخدمة المدنية الجديد رقم 81 لسنة 2016.

حيث نصت المادة 76 من قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة (الملغى) على أن: (الوظائف العامة تكليف للقائمين بها، هدفها خدمة المواطنين تحقيقاً للمصلحة العامة طبقاً للقوانين واللوائح والنظم المعمول بها....).

ولقد نص المشرع المصري في قانون الخدمة المدنية المصري رقم 81 لسنة 2016على: ((الوظائف المدنية حق للمواطنين على أساس الكفاءة والجدارة وهي تكليف للقائمين بها لخدمة الشعب، وتكفل الدولة حقوقهم وحمايتهم، وقيامه بأداء واجباتهم في رعاية مصالح الشعب ...))[33].

اما فيما يتعلق بموقف القضاء المصري، فقد أخذ القضاء العادي في بداية الأمر بالنظرية التعاقدية، وبعد ذلك استقر على الأخذ بالنظرية النظامية، وأما مجلس الدولة المصري فقد تبنى النظرية التنظيمية منذ إنشائه.

ويتمثل موقف القضاء المصري النافي للعلاقة التعاقدية بين الموظف والإدارة في حكم محكمة القضاء الإداري الصادر في 1955/1/30:(لان رعاية الوظيفة وهي ذات اتصال وثيق بالصالح العام تقتضي استبعاد أن تكون هذه العلاقة تعاقدية لما ينبني على ذلك من أن تكون الوظيفة موضوعا للاستغلال والمساومة الأمر الذي يترتب عليه مساس خطير بالصالح العام)[34]

وهذا ما استقرت عليه المحكمة الإدارية العليا حيث قضت بان: (علاقة الموظف بالحكومة هي علاقة تنظيمية تحكمها القوانين واللوائح التي تصدر بشأنها، وهذه الصفة الحكومية للوظيفة تختص الموظف بمركز قانوني عام يجوز تغييره وتعديله في أي وقت وفق ما تقتضيه المصلحة العامة دون أن يكون للموظف الاحتجاج أو الادعاء بالحق المكتسب المسند إلى القوانين)[35].

وفي حكم آخر للمحكمة الإدارية العليا أوضحت بقولها: (إن تحديد سن الإحالة إلى المعاش –جزء من نظام الوظيفة العامة- نظام قابل للتعديل باعتبار أن علاقة الموظف بجهة الإدارة هي علاقة تنظيمية تحكمها القوانين واللوائح- ليس من سبيل في تعيين الأسباب التي تنتهي بما خدمته ومن بينها تحديد سن إحالته إلى المعاش – تحديد نظم التوظف هذه السن حسبما يوجب الصالح العام قد يقتضي تقرير بعض الاستثناءات وهو ما اتجه إليه المشرع في قانوني رقم /36/ و/37/ لسنة 1960 المشار إليهما إذ بعد أن قرر أصلاً عاماً يسري على العاملين المخاطبين بأحكامها بإنهاء خدمتهم لدى بلوغهم سن الستين، استثنى من هذا الاصل الموجودين بالخدمة في تاريخ العمل بأحكام هذين القانونين الذين تقضي لوائح توظيفهم ببقائهم في الخدمة بعد بلوغهم هذه السن)[36].

وكذلك استقر قضاء محكمة القضاء الإداري على تكييف مركز الموظف العام بأنه مركز تنظيمي لائحي، فعلاقته بالدولة أو الإدارة هي علاقة تنظيمية ولائحية[37].

من جهة أخرى، يمكن التساؤل عن تكييف علاقة العامل المؤقت بالدولة؟

فقد ذهبت بعض أحكام القضاء الإداري إلى أن تعيين العامل المؤقت بعقد لا يغير من وضعه القانوني في علاقته بالدولة باعتبار أن هذه العلاقة علاقة تنظيمية تحكمها القوانين واللوائح وليس مجرد علاقة تعاقدية تحكمها قواعد القانون المدني، حيث قضت المحكمة الإدارية العليا (إن علاقة الموظف بالحكومة علاقة تنظيمية تحكمها القوانين واللوائح، ونموذج عقد الاستخدام أقره مجلس الوزراء لا يعدو أن يكون قاعدة لائحية يخضع لها المستخدمون المؤقتون..)[38].

وقد انحاز جانب من الفقه لهذا الاتجاه والذي يرى أن المركز القانوني للعمال المتعاقدين لا يختلف عن غيرهم[39] من موظفي الدولة أي أنهم في مركز تنظيمي أو لائحي تأسيساً على أن العقد المبرم بين العامل والدولة يعتبر بمثابة عمل شرطي يلحق صاحب الشأن بمركز تنظيمي[40].

أما الجانب الآخر من الفقه فذهب إلى القول إنه لا يمكن إعتبار العمال المؤقتين في مركز تنظيمي، فإذا كانت هناك مسائل ينظمها العقد ويخضع فيها العامل التعاقدي للقواعد الأمرة في القوانين أو اللوائح فإن ذلك لا يغير من طبيعتها غاية الأمر أن هذه المسائل لا يجوز الاتفاق على مخالفتها بوصفها قواعد أمرة تتعلق بالنظام العام[41].

ويؤيد الباحث الرأي القائل بأن العامل المؤقت في مركز تنظيمي لائحي، حيث إن العقد المبرم بين العامل والجهة الإدارية لا يغير من وضع الموظف القانوني فالوظيفة موجودة قبل التعاقد مع الموظف، فتعيين الموظف لا يخلق الوظيفة وإنما يعني إلحاقه بها، واختصاصات الوظيفة وواجباتها محددة بمقتضى القوانين واللوائح القائمة الموجودة قبل التعاقد مع الموظف كما أن العقد يحتوي على بعض البيانات المتعلقة بالموظف والوظيفة مثل الراتب الشهري ومدة التعاقد بينما يتم تنظيم باقي الأمور التي لم يرد بها نص في العقد عن طريق قانون ولوائح الوظيفة العامة بالإضافة إلى ذلك أحقية الدولة في تغيير أحكام وقواعد الوظيفة العامة دون أن يكون للموظف حق في الاعتراض على ذلك ما دام هذا التعديل لا يمس الشروط المنصوص عليها في العقد المبرم بين الطرفين.

وفي الامارات تعتبر علاقة الموظف بالإدارة ايضا علاقة تنظيمية لائحية وتأييدا لذلك فقد قضت المحكمة الاتحادية العليا بالطعن المرقم 397 بتاريخ 2010/1/5(نقض إداري) بما يلي: "وحيث إن مما ينعاه الطاعن على الحكم المطعون فيه مخالفة القانون والخطأ في تطبيقه وتأويله وتفسيره إذ قضى بأن نقل الموظف المطعون ضده من وظيفته بوزارة التعليم مشروط بكون الوظيفة المنقول إليها تعادل وظيفته الأصلية ومن أوجه التعادل أن يكون النقل من وظيفة فنية إلى وظيفة فنيه أخرى والحال أن صلاحية الإدارة في نقل موظفيها منوط بعدم تنزيل الموظف لوظيفته أو التقليل من راتبه الأساسي أو حرمانه من حق الترقية عملا بما تنص عليه المادة 39 من قانون الخدمة المدنية ، وهو ما التزمت به الطاعنة ولم يفطنه الحكم المطعون فيه مما يعيبه بما يوجب نقضه، وحيث إن هذا النعي في محله ذلك أن النص في المادة 39 من القانون الاتحادي رقم 21 لسنة 2001 في شأن الخدمة المدنية الذي كان سارياً وقت رفع الدعوى أن علاقة الموظف بجهة عمله هي علاقة تنظيمية تحكمها القوانين واللوائح ، وأن لجهة الإدارة بمالها من سلطة تقديرية صلاحيات نقل موظفيها مكانيا ونوعياً تمكينا لها من إدارة المرفق وتحقيق المصلحة العامة شريطة إلا يترتب عن النقل تأخير في أقدمية الموظف المنقول ، أو تنزيل في درجته الوظيفية التي يشغلها ، أو تغيير في مستواه الوظيفي ، وألا يشوب قرار الإدارة إساءة في استعمال السلطة. ولما كان ذلك وكان قرار نقل المطعون ضده جاء في إطار إعادة تشكيل الهيكل التنظيمي للوزارة الطاعنة ، وقد شمل النقل (77) موظفا ولم يقصر هذا الإجراء على المطعون ضده وحده وقد تم وفق الضوابط المنصوص عليها في المادة 39 من القانون آنف البيان ودون مساس بأقدمية الموظف أو فرصة ترقيته ودون أي تنزيل من درجته الوظيفية ومن ثم فقد اخطأ الحكم المطعون فيه تطبيق القانون عندما ألزم الإدارة بأن يكون نقل الموظف من وظيفة فنية إلى وظيفة فنية أخرى وهو شرط لم تفرضه المادة 39 مما يتوجب معه نقض الحكم))[42]؛ وكذا قرار اسبق لها في الطعن 703 لسنة 2008 بتاريخ 2008/3/25((أن المقرر في قضاء هذه المحكمة، في ضوء نص المادة (39) من القانون الاتحادي رقم 21 لسنة 2001 في شأن الخدمة المدنية، أن علاقة الموظف بجهة عمله هي علاقة تنظيمية تحكمها القوانين واللوائح، ويكون الموظف في مركز قانوني عام يجوز تغييره في أي وقت وفق ما تقتضيه المصلحة العامة، وليس له حق مكتسب في البقاء في وظيفة معينة))[43].

وفي العراق لم تتعرض تشريعات الوظيفة العامة إلى بيان طبيعة العلاقة التي تربط الموظف العام بالدولة بشكل صريح ومباشر، ولكن **الفقه والقضاء** مستقران على أن العراق يأخذ بالنظرية التنظيمية، فقد أكد القضاء العراقي العادي والإداري هذه العلاقة، فنجد محكمة التمييز في قرارها الصادر بتاريخ 1979/11/20 تقول: (إن علاقة المميز عليه بالمميز إضافة لوظيفته بعد إكمال الدراسة وتعيينه أصبحت علاقة تنظيمية، وكذلك محكمة قضاء الموظفين (مجلس الانضباط العام سابقاً) أكدت طبيعة العلاقة التنظيمية بين الموظف والدولة في قراره المرقم 71/162 الصادر بتاريخ 1971/12/11 والذي جاء فيه: (لا يحق للموظف الإعتراض على إلغاء أمر نقله لأن علاقة الموظف بالحكومة هي علاقة تنظيمية)[44].

ومن القرارات الحديثة لمحكمة قضاء الموظفين قرارها المرقم 22/قضاء موظفين تمييز/2014 بتاريخ 2015/1/22 جاء فيه : ((من واجب الإدارة إعادة ترتيب الأوضاع القانونية للموظفين في ضوء الأحكام القانونية الجديدة خصوصا وان الموظف في مركز قانوني تنظيمي ...))[45]

واجتهادات الفقه الإداري العراقي من جانبها اكدت الأخذ بالنظرية التنظيمية، إذ إن العراق أخذ بوجود أنظمة متعددة تنظم العلاقة التي تربط الدولة بعمالها فهناك قانون الخدمة المدنية وقانون الخدمة الجامعية.....)[46].

وكذلك فإن الفقه والقضاء العراقي متفقان على الأخذ بهذا التكييف لعلاقة الموظف بالدولة، وهو أمر واضح وجلي في الواقع التشريعي وما يقره للموظف من مركز قانوني.

كما انتهج **المشرع الإماراتي** ذات النهج الذي سار عليه المشرع المصري والعراقي، على عدم النص بشكل واضح وصريح على طبيعة العلاقة التي تربط الموظف العام بالدولة، إلا أنه نص على هذه العلاقة بشكل ضمني، حيث نص المشرع في قانون الخدمة المدنية في الحكومة الاتحادية رقم 1973/8 على أن

"الوظائف العامة تكليف للقائمين بها، هدفها خدمة المواطنين تحقيقاً للمصلحة العامة طبقاً للقوانين واللوائح المعمول بها".(47)

كما نص المشرع الاتحادي في قانون الخدمة المدنية رقم 2001/21 على أن «الوظائف العامة تكليف للقائمين بها، هدفها خدمة المواطنين والصالح العام طبقاً للقوانين واللوائح المعمول بها، ويجب على الموظف أن يقوم بنفسه بالعمل المنوط به وأن يؤديه بدقة وامانة وان يخصص وقت العمل الرسمي لأداء واجبات وظيفته، وأن يحافظ على الانتظام في العمل واحترام مواعيده الرسمية وان يسلك في تصرفاته مسلكاً يتفق وكرامة الوظيفة، وعليه أن يراعي أحكام القوانين والنظم واللوائح وتوجيهات الرؤساء والتقيد في إنفاق أموال الدولة بما تفرضه الأمانة والحرص عليها».(48)

ولا يغير من الطبيعة القانونية للموظف العام ما نصت عليه المادة /7/ من هذا القانون التي تقضي بأنه: «يكون شغل الوظائف بالنسبة لغير المواطنين بصفة مؤقتة عن طريق التعاقد على أن تصدر نظم توظيفهم بقرار من مجلس الوزراء بناء على اقتراح مجلس الخدمة المدنية».

فعلى الرغم ذلك فيبقة الموظف في مركز تظيميلائحي ويتم تطبيق قانون الخدمة المدنية فيما لم يرد به نص خاص في هذه العقود.

الخاتمة

نخلص من هذه الدراسة إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولًا – النتائج:

(1) بينت الدراسة أن تكييف العلاقة بين الموظف العام وجهة الإدارة، يختلف باختلاف الدول وباختلاف الزمان والمكان، ووفقًا لما اعتمدته الدول من نظام للوظيفة العامة في كل منها.

(2) بينت الدراسة أنه وفقًا للنظرية التعاقدية، فإن العلاقة بين الموظف العام من جهة والدولة من جهة أخرى، هي علاقة تعاقدية لا تختلف عن أية علاقة مشابهة لها في القانون الخاص، وذلك حينما كانت قواعد القانون المدني هي القواعد الحاكمة للعلاقات، والتي تمثل الشريعة العامة التي يتم تطبيقها سواء على الافراد فيما بينهم أم فيما بينهم وبين جهة الإدارة.

(3) بينت الدراسة، أنه وفقًا للنظرية النظامية، فإن تكييف علاقة الموظف العام بالسلطة الإدارية، هي علاقة تنظيمية تحكمها القواعد القانونية المختصة بتنظيم الوظائف العامة في الدولة.

ثانيًا – الاقتراحات:

نقترح على المشرع ألا يسمح لأن تكون السلطة التي بيد الإدارة سلطة مطلقة في تقدير الجزاءات وفرضها على الموظف العام، وذلك بما لا يتنافي مع حقها في تأديب الموظق العام وفرض العقوبات المناسبة لما ارتكبه من مخالفة، شريطة ألا تتعسف في استعمال هذا الحق.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا – المراجع العربية:

- أحمد محمد السليطي، التحقيق الإداري مع الموظف العام في دولة قطر، دراسة مقارنة جمهورية مصر العربية ودول مجلس التعاون الخليجي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 2000.
- جلوريا منير أبو جابر، النظام القانوني لترقية في الوظيفة العامة، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان، 2001.
- خالد حماد محمد العنزي، النظام القانوني لترقية الموظف العام، دراسة مقارنة بين الأردن والكويت، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2012.
- د. أحمد عبد الحسيب عبد الفتاح السنتريسي، الوظيفة العامة في ضوء نصوص قانون الخدمة المدنية وأحكام القضاء الإداري، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، 2018.
- د. أنور أحمد رسلان، وسيط القانون الإداري، الوظيفة العامة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1997.

- د. ايمن محمد عفيفي، قانون الوظيفة العامة، دار النهضة العربية، الطبعة الاولى، 2017، القاهرة.
- د. توفيق شحاتة، مبادئ القانون الإداري، 1955/1954.
- د. خالد سمارة الزعبي، القانون الإداري، ط3، عمان، دار الثقافة للنشر، 1998.
- د. سليمان محمد الطماوي، الوجيز في القانون الإداري، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996م،
- د. شاب توما منصور، النظام القانوني لعمال الدولة، مجلة العلوم القانونية، المجلد الأول، العدد الأول، مطبعة العاني، بغداد، 1969.
- د. صبري محمد السنوسي محمد، وسائل النشاط الإداري، دار النهضة العربية، القاهرة، 1998.
- د. عزيزة الشريف، القانون الإداري، بدون دار نشر.
- د. فتحي فكري، مبادئ الوظيفة العامة، دار النهضة العربية، القاهرة، ص1987.
- د. ماجد راغب الحلو، القانون الإداري، الدار الجامعية، الاسكندرية.
- د. ماجد راغب الحلو، القانون الإداري، الدار الجامعية، الاسكندرية، 2006م،
- د. ماجد راغب الحلو، القانون الإداري، دار الجامعة العربية، الاسكندرية، مصر، 2006م.
- د. ماجد راغب الحلو، تنظيم السلطة الإدارية والوظيفة العامة في دولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة مقارنة، مطبعة جامعة الإمارات، 1989.
- د. محمد جودت الملط، المسؤولية التأديبية للموظف العام، رسالة دكتوراه كلية الحقوق جامعة القاهرة،1967.
- د. محمد رفعت عبدالوهاب، النظام العام للوظائف العامة في فرنسا، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، مصر، 2017.
- د. محمد فؤاد عبد الباسط، القانون الإداري، تنظيم الإدارة، نشاط الإدارة، وسائل الإدارة، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، 2005م.
- د. مصطفى أبو زيد فهمي، القانون الإداري، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، الدار الجامعية الجديدة، الاسكندرية، 1990م.
- د. نورا فرغلي عبد الرحمن السناري، مسئولية الموظف ومدى مسئولية الدولة عن أخطائه وأفعاله، دراسة مقارنة بين مصر وفرنسا والنظام الدولي، دار النهضة العربية، القاهرة، 2016.
- د. وليد سعود القاضي، ترقية الموظف العام في نظام الخدمة المدنية الأردني والنظم المقارنة، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، 2009
- لفتة هامل العجيلي، قضاء المحكمة الإدارية العليا مختارات من قضاء محكمة القضاء الإداري ومحكمة قضاء الموظفين، الطبعة الاولى، 2016، مطبعة أوفسيت الكتاب، بغداد
- محمد الأحسن، النظام القانوني للتاديب في الوظيفة العامة، دراسة مقارنة، اطروحة دكتوراه، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة ابي بكر بلقايد، 2016، الجزائر

ثانيًا – المراجع الفرنسية:

- J. YUNG-HING, Aspects juridiques de la qualification professionnelle, thèse, Toulouse, 1986, Éd. CNRS
- Michel Badré et Nicole Verdier Naves , L'évolution de la fonction publique et des principes qui la régissent , Avis du Conseil économique, social et environnemental , JOURNAL OFFICIEL DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE , Séance du 24 janvier 2017 , CESE 03 JANVIER 2017 , p. 14.
- Pascal CAILLAUD , Qualification professionnelle , Répertoire de droit du travail , Dalloz , février 2020, p. 162.

- Soc. 25 juin 2007, no 05-45.298 , JCP S 2007. 18, no 37, note S. Brissy
- Conseil d'Etat, 1 / 4 SSR, du 17 décembre 1993, 111629, Conseil d'Etat - 1 / 4 SSR mentionné aux tables du recueil Lebon
- **Conseil d'Etat, 1 / 4 SSR, du 17 décembre 1993, 111629, mentionné aux tables du recueil Lebon Conseil d'Etat - 1 / 4 SSR**

---

(1) د. نورا فرغلي عبد الرحمن السناري، مسئولية الموظف ومدى مسئولية الدولة عن أخطائه وأفعاله، دراسة مقارنة بين مصر وفرنسا والنظام الدولي، دار النهضة العربية، القاهرة، 2016، ص127

(2) د. شاب توما منصور، النظام القانوني لعمال الدولة، مجلة العلوم القانونية، المجلد الأول، العدد الأول، مطبعة العاني، بغداد، 1969، ص255.

(3) د. خالد سمارة الزعبي، القانون الإداري، ط3، عمان، دار الثقافة للنشر،1998، ص179.

(4) راجع:

J. YUNG-HING, Aspects juridiques de la qualification professionnelle, thèse, Toulouse, 1986, Éd. CNRS

(5) انظر في ذلك:

Pascal CAILLAUD , Qualification professionnelle , Répertoire de droit du travail , Dalloz , février 2020, p. 162.

(6) حكم محكمة النقض الفرنسية:

Soc. 25 juin 2007, no 05-45.298 , JCP S 2007. 18, no 37, note S. Brissy

(7) د. شاب توما منصور، مرجع سابق، ص259.

(8) د. محمد جودت الملط، المسؤولية التأديبية للموظف العام، رسالة دكتوراه كلية الحقوق جامعة القاهرة،1967 ص39 وما بعدها.

(9) د. مصطفى أبو زيد فهمي، القانون الإداري، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، الدار الجامعية الجديدة، الاسكندرية، 1990م، ص215.

(10) خالد حماد محمد العنزي، النظام القانوني لترقية الموظف العام، دراسة مقارنة بين الأردن والكويت، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2012، ص35.

(11) د. محمد فؤاد عبد الباسط، القانون الإداري، تنظيم الإدارة، نشاط الإدارة، وسائل الإدارة، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، 2005م، ص437.

(12) د. محمد رفعت عبدالوهاب، النظام العام للوظائف العامة في فرنسا، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، مصر، 2017، ص125.

(13) د. أنور أحمد رسلان، وسيط القانون الإداري، الوظيفة العامة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1997، ص94

(14) د. ماجد راغب الحلو، القانون الإداري، الدار الجامعية، الاسكندرية، 2006م ص31و32

(15) جلوريا منير أبو جابر، النظام القانوني لترقية في الوظيفة العامة، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان، 2001، ص9.

(16) د. صبري محمد السنوسي محمد، وسائل النشاط الإداري، دار النهضة العربية، القاهرة، 1998م، ص40 وما بعدها، د. أحمد عبد الحسيب عبد الفتاح السنتريسي، الوظيفة العامة في ضوء نصوص قانون الخدمة المدنية وأحكام القضاء الإداري، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، 2018، ص18.

(17) د. نورا فرغلي، مرجع سابق، ص131.

([18]) انظر في ذلك:

Michel Badré et Nicole Verdier Naves , L'évolution de la fonction publique et des principes qui la régissent , Avis du Conseil économique, social et environnemental , JOURNAL OFFICIEL DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE , Séance du 24 janvier 2017 , CESE 03 JANVIER 2017 , p. 14.

(19)أ د. محمد فؤاد عبد الباسط، القانون الإداري، تنظيم الإدارة، نشاط الإدارة، وسائل الإدارة، مرجع سابق، ص438.

(20) د. أحمد عبد الحسيب عبد الفتاح السنتريسي، الوظيفة العامة، المرجع السابق، ص19.

(21) د. سليمان محمد الطماوي، الوجيز في القانون الإداري، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996م، ص437، د. ماجد راغب الحلو، القانون الإداري، دار الجامعة العربية، الاسكندرية، مصر، 2006م، ص246، د. أنور أحمد رسلان، وجيز القانون الإداري، مرجع سابق، ص380.

(22) د. سليمان محمد الطماوي، الوجيز في القانون الإداري، مرجع سابق، ص410، أ.د. ماجد راغب الحلو، تنظيم السلطة الإدارية والوظيفة العامة في دولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة مقارنة، مطبعة جامعة الإمارات، 1989، ص84.

(23) د. سليمان محمد الطماوي، الوجيز في القانون الإداري، مرجع سابق، ص410.

(24) المرجع السابق، ص75.

(25) أحمد محمد السليطي، التحقيق الإداري مع الموظف العام في دولة قطر، دراسة مقارنة جمهورية مصر العربية ودول مجلس التعاون الخليجي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 2000، ص48.

(26) د. سليمان محمد الطماوي، مبادئ القانون الإداري، مرجع سابق، ص272، وما بعدها، د. توفيق شحاتة، مبادئ القانون الإداري، 1955/1954، ج1، ص460 وما بعدها.

(27) أحمد بن محمد الحي السليطي، ترقية الموظف العام بدولة قطر، دراسة مقارنة، مرجع سابق، ص48.

(28) د. محمد فؤاد عبد الباسط، القانون الإداري، تنظيم الإدارة، نشاط الإدارة، وسائل الإدارة، مرجع سابق، ص416.

(29) د. ماجد راغب الحلو، القانون الإداري، مرجع سابق، ص200، احمد بن محمد الحي السليطي، ترقية الموظف العام بدولة قطر، دراسة مقارنة، مرجع سابق، ص49.

(30) أحمد بن محمد الحي السليطي، ترقية الموظف العام بدولة قطر، دراسة مقارنة، مرجع سابق، ص49.

(31) د. أحمد عبد الحسيب عبد الفتاح السنتريسي، الوظيفة العامة في ضوء نصوص قانون الخدمة المدنية واحكام القضاء الإداري، مرجع سابق، ص21.

(32) د. وليد سعود القاضي، ترقية الموظف العام في نظام الخدمة المدنية الأردني والنظم المقارنة، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، 2009، ص81، د. أحمد عبد الحسيب عبد الفتاح السنتريسي، الوظيفة العامة، في ضوء نصوص قانون الخدمة المدنية وأحكام القضاء الإداري، مرجع سابق، ص22.

[33] راجع المادة /1/ من قانون الخدمة المدنية المصري رقم /81/ لسنة 2016.

(34) محمد الأحسن، النظام القانوني للتاديب في الوظيفة العامة، دراسة مقارنة، اطروحة دكتوراه، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة ابي بكر بلقايد، 2016، الجزائر

[35] حكم المحكمة الإدارية العليا المصرية، الدائرة الثانية، في الطعن رقم /14058/، لسنة 53 ق.ع، بجلسة 2008/11/22، مجلة هيئة قضايا الدولة، العدد الاول، السنة الثالثة والخمسون، جمهورية مصر العربية، يناير 2009م، وحكم المحكمة الإدارية العليا في الطعن رقم /2043،بجلسة 2000/7/1م.

[36] حكم المحكمة الإدارية العليا المصرية في الطعن رقم /1077/ لسنة /38/ قضائية عليا، بجلسة 2001/10/28م.

[37] حكم محكمة القضاء الإداري بتاريخ 6/يناير/1948م، مجموعة مجلس الدولة السنة الثانية، ص201. وحكمها كذلك بتاريخ 25/ديسمبر/195م.

[38] حكم المحكمة الإدارية العليا المصرية، في الطعن رقم /130/، لسنة 17 قضائية عليا، بجلسة 1976/11/27.

(39) د. ايمن محمد عفيفي، قانون الوظيفة العامة، دار النهضة العربية، الطبعة الاولى، 2017، القاهرة، ص45.

[40] د. ماجد راغب الحلو، القانون الإداري، الدار الجامعية، الاسكندرية، 2006م، ص243، د. عزيزة الشريف، القانون الإداري، بدون دار نشر، ص73

[41] د. فتحي فكري، مبادئ الوظيفة العامة، دار النهضة العربية، القاهرة، ص1987، ص182.

[42] مبادئ واحكام المحكمة بالعربية /2011/الاحكام الإدارية، منشور على الموقع الرسمي لوزارة العدل في دولة الامارات العربية المتحدة.

[43] د. محمد فؤاد عبد الباسط، القانون الإداري، تنظيم الإدارة، نشاط الإدارة، وسائل الإدارة، مرجع سابق، ص152.

[44] نشره ديوان التدوين القانوني، العدد الاول، وزارة العدل، السنة الثانية 1972، ص112.

(45) لفتة هامل العجيلي، قضاء المحكمة الإدارية العليا مختارات من قضاء محكمة القضاء الإداري ومحكمة قضاء الموظفين، الطبعة الاولى، 2016، مطبعة أوفسيت الكتاب، بغداد، ص137.

[46] د. شاب توما منصور، مرجع سابق، ص267.

(47) المادة /56/ من قانون الخدمة المدنية رقم 1973/8.

[48] المادة /63/ من قانون الخدمة المدنية الاتحادي رقم 2001/21.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

مكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية في التشريعات الوطنية والدولية - دراسة تحليلية في ضوء القانون العراقي-

خولة اركان/مدرس مساعد
الجامعة التقنية الشمالية/المعهد التقني كركوك
Khavlaharkan@ntu.edu.iq
دلال صادق احمد / مدرس
الجامعة التقنية الشمالية/المعهد التقني كركوك
Hiam-sadiq@ntu.edu.iq

المستخلص

تعد جرائم المخدرات والمؤثرات العقلية من اكثر الجرائم تعقيدا لما لها من اثار سلبية في دمار المجتمعات والشباب والاسر وان علاجها يستوجب وفقة من الدولة والاسرة والمجتمع ونظرا لتعدد اساليبها واشكالها فان التشريعات تواكب هذه الجرائم للحد منها ومن اثارها التي تعصف بالبلدان واخرها كان المشرع العراقي الذي لم يكن في معزل عن هذه المشكلة التي اثرت على شبابنا وخصوصا بعد عام 2003 لما شهده البلد من تدهور في الوضع الامني والاجتماعي فقد اصدر المشرع العراقي قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم (50) لسنة 2017 والتي تناول فيها امورا عديدة تخص هذه الجريمة ،لذلك سنتطرق الى التشريعات التي تعنى بالمخدرات والمؤثرات ومنها التشريعات العراقية السابقة والدولية التي تناولت جرائم المخدرات ونبين كيف واكبت التشريعات العراقية المعاصرة لمعالجة ظاهرة المنتشرة من جرائم المخدرات في المجتمع للحد من خطورتها واثارها.

Abstract

Psychotropic crimes and drugs are among the most complex crimes due to their negative influence on the destruction of societies, youth and the family. Thus their treatment requires approval from the state, family and society, and given the multiplicity of their methods and forms, the legislation keeps pace with these crimes to reduce them and their effects that afflict countries, the last of which was the Iraqi legislator. Which wasn't apart from this problem that effected on our young generation particularly after 2003 as the country witnessed a deterioration in the security situation, the Iraqi legislator issued the Drugs and Mental Health Law No. (50) of 2017 in which it deals with many issues related to this matter, Therefore, we will discuss the legislation dealing with drugs and substances, including the previous Iraqi and international legislation that dealt with drug crimes .We will show how the contemporary Iraqi legislation has accompanied the widespread phenomenon of drug crimes in society in order to reduce its danger and effects

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

المقدمة

المخدرات والمؤثرات العقلية من أخطر آفات العصر ويعد الاتصال غير المشروع بها بأية صورة كانت زراعة أو صناعة أو إتجاراً أو تعاطياً، من أخطر الظواهر الاجتماعية المعاصرة التي لها آثار وخيمة على الفرد وعلى المجتمع في أساسه الديني وبنيته الاقتصادية وترابطه الاجتماعي وقوته الصحية والنفسية، وهو ما يستدعي تظافر الجهود كافة على المستويين الوطني والدولي لمواجهتها. فلم يعد الاهتمام بها شأناً محلياً وإنما أصبح شأناً عالمياً بوصفها من أخطر الجرائم الدولية العابرة للحدود. إذ تعتبر المخدرات سلاح فتاك من أسلحة الأعداء الموجهة ضد تطلعات الشعوب ومنها الشعب العربي التي تقف ضد طموحاته في التقدم وبناء الإنسان الاجتماعي والثقافي والعلمي، إذ أدى ظهور الإدمان على المخدرات الذي يعتبر أفة وفايروس كبير يصيب المجتمع وله مخاطر سلبية على الدولة والإفراد ويؤدي الى تداعي القيم والبنى وإنهيار التوازن القائم بين الفرد وأسرته والمجتمعات الأخرى. فنجد ان القانون الدولي قد اهتم بالمخدرات من خلال تضافر الجهد الجماعي الدولي عن طريق التعاون بين الدول لأجل مكافحة المخدرات، فقد عقدت العديد من المؤتمرات والاتفاقيات الدولية لوضع أسس التعاون وخاصة بعد تشكيل منظمة الأمم المتحدة.

مشكلة البحث :

تكمن إشكالية الدراسة القصور التشريعي في القوانين الخاصة بمكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية و ظهور مؤثرات عقلية جديدة مطورة ممكن تداولها بسهولة وبشكل مشروع تحول ابناء العراق الى مستهلك للمخدرات بعد ان كان خالي منها بحسب التقارير التي تم اصدارها عام ٢٠٠٣ من قبل المنظمات الدولية المعنية بهذا الموضوع. حيث واجه المجتمع العراقي هذا التغيير في ظل الاحتلال الأمريكي،ولاسباب عدة منها الانفلات الامني مما ادى الى قصور الأجهزة الأمنية المختلفة كالشرطة والجمارك الحدود وأجهزة مكافحة المخدرات بواجباتها المنوطة بها وكذلك تضاؤل جهود المكافحة والوقاية، كل هذه العوامل مهدت السبيل لكي تزدهرآفة المخدرات والمؤثرات العقلية بكل بشاعتها على المجتمع العراقي وانتشارها بين أبنائه كانتشار النار في الهشيم وأصبحت سرطاناً يسري في أحشائه مما أوجب التصدي لهذه الظاهرة الخطيرة وبذل جهوداً مضنية وعلى المستويات كافة من خلال تعديل التشريعات التي تهدف للحد من انتشارها.

هدف البحث

يهدف بحثنا هذا الى بيان جرائم المخدرات وخطورتها التي تفتك بالمجتمع العراقي ومعرفة ما اذا كانت التشريعات العراقية السابقة والحديثة قد افلحت في مواكبت جرائم المخدرات والمؤثرات العقلية وقللت من خطورتها على المجتمع العراقي .

منهج البحث

وبالنظر للخصوصية التي يتميز بها موضوع جريمة المخدرات التقليدية والاهتمام الذي يحظى به من قبل المجتمع الدولي، حيث ستعتمد الدراسة في معالجتها لهذا الموضوع على المنهج التحليلي بالتطرق لبعض النصوص المتعلقة بجريمة المخدرات ودور التشريع والقضاء فيها ، وشرح مضمونها وتقييمها.

المبحث الاول

تعريف المخدرات والمؤثرات العقلية وانواعها

المواد المخدرة والمؤثرات العقلية تعد مواد طبيعية أو مصنعة تؤثر على النشاط البدني للإنسان ، وكانت في الأصل مجموعة من المواد التي تسبب حالة من النعاس. وهي عقاقير نباتية مثل الماريجوانا ومشتقاتها أو الأفيون ومشتقاته [1], وكذلك المؤثرات العقلية التي لها نفس خصائص المواد الطبيعية ولكنها تصنع في المعامل بالطرق الكيميائية من المواد والمستحضرات الكيميائية[2] .

المطلب الاول

تعريف المخدرات والمؤثرات العقلية

معظم التشريعات سواء المحلية أو الدولية تجنبت تحديد المواد المخدرة وذهبت لتعريف المواد المخدرة في الجداول الملحقة بالقوانين ، لذلك سنعرض تعريف المخدرات والمؤثرات العقلية في التشريع العراقي والمقارن والاجنبي على النحو التالي: -

الفرع الاول : المخدرات والمؤثرات العقلية في الاتفاقيات الدولية

أشارت بعض الاتفاقيات الدولية إلى المقصود بالمخدرات ، بما في ذلك الاتفاقية الوحيدة للمخدرات لعام 1961 والتي تنص على أن العقار هو "كل مادة طبيعية أو اصطناعية من المواد المدرجة في الجدولين الأول والثاني [3]. أما بالنسبة لاتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية لعام 1988 ، فقد نصت على أن المخدرات هو "أي مادة طبيعية أو اصطناعية مدرجة في الجدول الأول والجدول الثاني من الاتفاقية الوحيدة للمخدرات لعام 1961" ، من بين تلك الاتفاقية ، بصيغتها المعدلة ببروتوكول عام 1972 [4]، تشير أيضًا إلى أن المؤثرات العقلية هي "أي مادة طبيعية أو اصطناعية ، أو أي منتجات طبيعية مدرجة في الجداول الأول والثاني والثالث والرابع من اتفاقية المؤثرات العقلية لعام 1971[5]، واوضحت الاتفاقية العربية لمكافحة الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية لسنة 1994 أن المادة المخدرة هي "أي مادة سواء كانت طبيعية أو مصنعة من المواد المدرجة في القسم الأول من الجدول الموحد"[6] ، وأشارت إلى أن المؤثرات العقلية هي "أي مادة طبيعية أو مصنعة أو أي منتجات طبيعية مذكورة في القسم الثاني من الجدول الموحد[7]. كما تم تعريف المخدرات من قبل لجنة الأمم المتحدة للمخدرات على أنها "كل مادة خام أو مستحضر يحتوي على منبهات أو مواد مسكنة ، إذا تم استخدامها لأغراض غير طبية أو صناعية ، فقد يؤدي ذلك إلى حالة تعاطي تضر الفرد جسديًا أو نفسيًا ، وكذلك المجتمع ".

الفرع الثاني : تعريف المخدرات في التشريع العراقي

في قانون المخدرات والمؤثرات العقلية الجديد اتخذ المشرع العراقي مسارا يقوم على تعريف المواد المخدرة والمؤثرات العقلية بتعريف عام من جهة وحصرها في جداول خاصة ملحقة بالقانون المنظم لها من جهة أخرى كأول المادة الموصوفة الفقرة (اولا) من الفصل الاول الموسومة بـ (التعاريف والاهداف) من قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم 50 لسنة 2017 [8] المخدرات بأنها (المخدرات او المواد المخدرة : كل مادة طبيعية أو تركيبية من المواد المدرجة في الجداول الأول والثاني والثالث والرابع الملحقة في هذا القانون وهي قوائم المواد المخدرة التي اعتمدتها الاتفاقية الوحيدة للمخدرات لعام 1961 وتعديلاتها).

ووصفت الفقرة ثانيا من المادة المذكورة اعلاه المؤثرات العقلية بانها (المؤثرات العقلية كل مادة طبيعية او تركيبية من المواد المدرجة في الجداول الخامس والسادس والسابع والثامن الملحقة في هذا القانون , وهي قوائم المؤثرات العقلية التي اعتمدتها اتفاقية الامم المتحدة للمؤثرات العقلية لسنة 1971 وتعديلاتها) [9].

انسجاماً مع نهج مكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية ومراعاة للتطور الذي قد يحدث في المواد التي جاء القانون لمواجهة تعاطيها والاتجار غير المشروع بها ، فوض المشرع الدائرة الصحية المختصة ممثلة بوزير الصحة الاتحادي سلطة إصدار (بيان يتضمن تعديل الجداول الملحقة بهذا القانون عدا الجدول الحادي عشر للرسوم بالحذف أو بإضافة أو تغيير النسب المذكورة فيه وفقا لتعديل الجداول المرفقة بالاتفاقية الوحيدة. عام 1961 وتعديلاته ، واتفاقية المؤثرات العقلية لعام 1971 وتعديلاتها ، واتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية لعام 1988 وتعديلاتها ، أو وفقًا لنتائج الدراسات التي أجرتها الوزارة الصحة أو اعتمادها على المواد المخدرة أو المؤثرات العقلية بشرط أن البيان ينشر في الجريدة الرسمية[10].

المطلب الثاني

انواع المخدرات والمؤثرات العقلية

تتنوع المواد المخدرة تبعا لمعايير مختلفة منها ما يتعلق بأصل وتركيب هذه المواد ومنها ما يتعلق بنوع التأثير الذي تحدثه هذه المواد في العقل البشري ووظائف أعضائه وتبعا لطريقة تعاطي هذه المواد إن كان لأغراض علاجية أم كانت لأغراض الإدمان والسلوك المنحرف، ولتناول هذا الموضوع بشيء من التفصيل، سنقسمه على الآتي :

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

الفرع الاول : المخدرات الطبيعية

يقصد بالمخدرات الطبيعية المواد المخدرة من أصل نباتي ، سواء بقيت في حالتها الطبيعية أو تم تعديلها بشكل طفيف من مصدرها النباتي ، مثل الحشيش والأفيون ونبتة شجرة الكوكا والقات[11].

وعلى الرغم من أن زراعتها انتشرت في مختلف بقاع العالم, ولكن قديما اشتهرت منطقتان رئيسيتان بإنتاجها ,هما المنطقة الأولى (تايلند، ولاوس، ومنيمار) اما المنطقة الثانية هي (أفغانستان، وباكستان، وإيران) [12] وسيتم التعرض إلى اهم الأنواع والاصناف المخدرة الطبيعية الأكثر انتشاراً وكما يأتي : -

1- مجموعة الأفيون

تضم هذه المجموعة المخدرات من أصل نباتي ، مستخلصة من نبات الخشخاش ، وهو نبات عرفه الإنسان وكان له دور كبير في الحضارات القديمة ، وأبرزها الحضارة السومرية التي عرفتها منذ 6000 قبل الميلاد ، والتي أطلق عليها سكانها اسم نبات السعادة. ، واللوحات تتحدث عنها ، وصف سومري قديم يعود تاريخه إلى عام 3300 قبل الميلاد موسم حصاده وكذلك معرفته بين الشعوب الأخرى التي استخدمته لغرض علاج بعض الأمراض أو تخفيف آلامها مثل الحمى وآلام التسنين عند الأطفال ، الإمساك ، إلخ. يتم استخراجه عن طريق تشريط بذور النبات غير الناضجة في الصباح الباكر بحيث تسيل منها مادة حليبية تتصلب بمرور الوقت وتتحول إلى اللون البني لتتحول إلى قوالب وأقماع وعصي وأشكال أخرى. هذا هو مخدر الأفيون الطبيعي الخام ، والذي يستخدم بمفرده كمثبط للجهاز العصبي المركزي[13].

أ- الهيروين :

عقار خطير مشتق من مادة قلويد في الأفيون ، يزيد ثلاث مرات عن مصدره الذي استخرج منه ، يؤدي إلى الإدمان ومعروف بالعديد من الأسماء الشائعة في مختلف البلدان ، بما في ذلك "Diamorphine" وهو الاسم الدولي غير المسجل الذي يطلق عليه الاسم البريطاني ، و ثنائي أسيتيل المورفين ، يُعرف الهيروين أيضًا بالعديد من الأسماء التي يطلق عليها في مجتمع المتعاطين والمدمنين ، بما في ذلك المنشطات ، H ، صفعة ، سكراب ، حصان ، بني ، وغيرها. [14].

الهيروين النقي على شكل مسحوق أبيض له طعم مر ، ناعم الملمس ، ورائحته مثل الخل يذوب بصعوبة في الماء وبسهولة في الكحول. ينتج بشكل أساسي في دول أمريكا الجنوبية وبدرجة أقل في دول جنوب شرق آسيا ، ويسيطر على الأسواق الأمريكية شرق نهر المسيسيبي يمكن إطفاءه نقيًا جدًا أو يدخن الهيروين ، وقد يكون أكثر إمتاعًا وجاذبية للمستخدمين الجدد لأنه يزيل وصمة العار المرتبطة بتعاطي المخدرات بالحقن[15].

ب- المورفين:

يتميز المورفين بتأثيره القوي المسكن للألم ، فلو استخدم بكثره فانه يؤدي إلى إدمان , وهذه الخاصية تجعله في عداد الادوية إلى المخدرة تم اكتشاف المورفين في عام 1804 ويشتق اسمه من اسم الإله اليوناني للنوم (مورفيوس) ، لتأثيره المهدئ وهو أول مسكن للألم يستخدم في الطب وهو مخدر على شكل مسحوق ابيض ناعم الملمس او على شكل اقراص مستطيلة او دائرية الشكل يستخدم لأغراض طبية في علاج الحمى والسعال والامساك وتخفيف الاوجاع لا سيما اثناء العمليات الجراحية لما له من اثر مخفف ومسكن من الالم , فهو دواء مشروع الاستخدام ولكن اذا ما اسيء استعماله فانه من الممكن ان يتحول الى اداة للإدمان لذلك نظمت التشريعات استخدامه ومنع اساءة استعماله وقصرت استعماله على الاغراض الطبية وعدم جواز صرفه الا بوصفة طبية [16].

ج- الكودايين :-

الكودايين من المواد المخدرة التي تستخدم في تصنيع العديد من الأدوية والمركبات التي تستخدم طبيا لعلاج أمراض كثيرة ، بعد أن يتم علاجها علميا ، حيث يتم تضمينها في هذه الأدوية على شكل أملاح (كبريتات الكودايين وكودايين الفوسفات) ، والذي يتم استخراجه كيميائيًا من المورفين ويكون على شكل أقراص صلبة أو كبسولات. أو شراب أو سائل يعطى عن طريق الحقن العضلي أو تحت الجلد ولا يسبب

الإدمان إذا تم تناوله بجرعات علاجية عادية ليس له أي آثار سلبية ولكن إذا تم استخدامه لفترة طويلة وبجرعات تتجاوز الجرعات العادية تؤدي إلى أضرار صحية للمستخدم وقد تكون هذه التشنجات والوفاة والإدمان[17] .

ويشمل حظر هذا النوع من المخدرات في القوانين الوطنية والدولية كلا من اصل النبات وجميع مشتقاته ومنها المورفين والكودايين والهروين فهي تخضع لأحكام قانون المخدرات العراقي ذي الرقم (50) لسنة (2017) فهذه المشتقات مدرجة في الجداول الملحقة بنص هذا القانون المذكور.

2- مجموعة الكوكائين

يعتبر الكوكايين من أشهر أنواع المخدرات وأكثرها شيوعًا ، وهو مركب كيميائي يُستخرج من أوراق نبات الكوكا أو من ثماره أو مسحوقه مباشرة أو بعد تغيير كيميائي عليه ، وهو على شكل مسحوق أبيض ذو مذاق مر ، وتعاطي هذا النوع من المخدرات يسبب تنميل اللسان ، وانتشار تعاطي الكوكايين بين الطبقات الغنية من أفراد المجتمع أكثر من أفراد الطبقات الفقيرة بسبب ارتفاع سعره في السوق ، ويتم إنتاجه في دول أمريكا الجنوبية ، وخاصة كولومبيا وبوليفيا وبيرو ، حيث يتم تهريبه إلى الولايات المتحدة الأمريكية وبيعه في السوق السوداء الشعبية لهذا النوع من المخدرات [18].

ويتم تعاطي مادة الكوكائين بواسطة الشم او التدخين ويمنح متعاطيه الشعور بالنشاط والخفة والطاقة والحساسية الزائدة[19].

وقد اتفقت أحكام القوانين الوطنية والدولية بالإجماع على اعتبار هذا النبات وأوراقه وثماره ومسحوقه من الأدوية المحظور التعامل معها ويجب مواجهتها ومنها المشرع العراقي حيث نص في المادة الأولى الفقرة (5) بانه (يقصد بتعبير جنبة الكوكه جميع أنواع الجنبات من جنس الاريثروكسيلون) ونصت الفقرة (6) بأنه (يقصد بتعبير ورقة الكوكة ورقة جنبة الكوكة باستثناء الورقة التي استخرج منها كل من الايكونين والكوكائين وجميع أشباه قلويات الايكونين الأخرى)[20] ، ونص القانون الحالي للمخدرات العراقي على " المواد المخدرة المعدلة جينياً هي النباتات التي تعدل جينياً بقصد الحصول على المواد المخدرة منها [21].

3- مجموعة القنب الهندي

تشمل هذه المجموعة نبات القنب ومستحضراته ، بما في ذلك الماريجوانا ، وهو نبات ذو تأثير نفسي يستخدم لأغراض العلاج الطبي ويستخدم للترفيه من قبل مستخدميه و يمكن استخدام القنب عن طريق التدخين أو التبخير أو الطعام أو كمستخلص. وفقًا لمكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة (UNODC) ، يتم استخدام كمية THC الموجودة في عينة القنب عمومًا كمقياس لقوة القنب [22].

والأشكال الرئيسة الثلاثة لمنتجات القنب هي الزهرة والراتنج (الحشيش) والزيت (زيت القنب), ويذكر مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة أن القنب يحتوي في الغالب على 5 في المائة من المحتوى من مادة THC ، وأن الراتنج يمكن أن يحتوي على ما يصل إلى 20 في المائة من محتوى THC ، وأن زيت القنب قد يحتوي على أكثر من 60 في المائة من محتوى THC[23].

و نبات القنب[24], من النباتات المحظورة زراعتها وفقاً لأحكام الاتفاقية الوحيدة للمخدرات لسنة (1961) المعدلة ببروتوكول (1972) باستثناء الكميات البسيطة التي يحتاجها البلد الطرف في الاتفاقية للأغراض العلمية والأبحاث [25]

فالمشرع العراقي لا يختلف في موقفه عن هذا المسار فإلتزم بالتحديد الوارد في الاتفاقية الوحيدة للمخدرات ، فقد عرف قانون المخدرات العراقي في القانون الملغي رقم (68) لسنة 1965 القنب بأنه (الأطراف المزهرة أو المثمرة من نبات القنب ولا يشمل ذلك البذور والأوراق غير المصحوبة بأطراف التي لم يستخرج الراتينج منها اياً كانت تسميتها) [26]، وعرف راتينج القنب بأنه (هو الراتينج المفصول الخام أو المنقى المستخرج من نبات القنب) [27] ، ولقد حضر زراعته وزراعة أي النباتات التي تنتمي إلى المخدرات الطبيعية وذلك بنص المادة الثانية الفقرة (1) من قانون المخدرات العراقي رقم 68 لسنة 1965: (تمنع زراعة نبات القنب ونبات خشخاش الأفيون وجنبة الكوكة ونبات القات في العراق) [28].

اما المشرع العراقي في القانون الجديد رقم (50) لسنة 2017 فقد اشار الى انواع المخدرات اشارة بسيطة في المادة (23) منه التي حدد فيها النباتات الممنوع زراعتها وذكر على سبيل المثال(.....الجدول الاول الملحق بهذا القانون التعامل بها في جميع اطوار نموها وبذورها او التبادل بها او التوسط في شيء من ذلك الا للأغراض الطبية او العلمية وفي الاحوال والشروط المنصوص عليها في هذا القانون ومنها الخشخاش والافيون ونبات القنب وجنبة الكوكة والقات والنباتات التي تشتمل على ذلك والمعدلة جينياً والتي لها نفس تأثير المخدر) [29].

4- مجموعة القات

يُستخرج القات المخدر من أوراق نبات القات المعروف باسم نبات القات (Catha edulis) ، وهو نبات استوائي ينمو ببطء وله أوراق دائمة الخضرة يتراوح طولها بين (1-10 م) ويزرع في العديد من البلدان خاصة في القرن الأفريقي (جيبوتي ، إثيوبيا ، الصومال (وشبه الجزيرة العربية ، منطقة البحيرات الكبرى ، جنوب إفريقيا ، كينيا ، تنزانيا ، مدغشقر ، وكذلك في أفغانستان وباكستان ، لذلك تضاعفت أسماؤها بالتعددية اللغوية) من الدول التي تزرعها مثل القات والقم والغات والدردشة والشاي الحبشي والشاي الصومالي والمرايا والشاي العربي والكفتة وشاي بوشما وشجرة الشات وزهرة الجنة[30] .

الفرع الثاني :المخدرات التخليقية (الاصطناعية)

يشير مصطلح المخدرات التخليقية او الاصطناعية، والمعروف باسم (NPS) ، إلى المواد ذات التأثير النفساني التي يتم تصنيعها بواسطة عملية كيميائية والتي لم يتم اشتقاق مكوناتها ذات التأثير النفساني الرئيسي من مواد موجودة في الطبيعة ، ولم يتم تضمينها بعد في المعاهدات الدولية أو التشريعات الوطنية. بدأ استخدام مصطلح المخدرات الاصطناعية كمرادف علمي لمفردات الرقص والعقاقير الترويحية نتيجة ظهور عقار النشوة (MDMA) والبدائل الخلقية الأخرى للأمفيتامينات وتعاطيها المتكرر في أماكن الاحتفالات. والمهرجانات والمراقص وما إلى ذلك [31].

فبدأ الاتحاد الأوروبي لمواجهة هذا النوع من المخدرات في حزيران 1997 بهدف الحد من انتشارها وقمع الممارسات غير المشروعة المتعلقة بتعاطيها او الاتجار بها والتي تسمى المؤثرات العقلية [32].

1- المنشطات (عقاقير النشوة)

المنشطات هي عقاقير أ تسرع من نشاط الجهاز العصبي المركزي. يمكن لهذه المنشطات أن تجعل الشخص الذي يأخذها يشعر بالحيوية والتركيز والتحفيز ، وكذلك تجعله يشعر بالغضب أو الانزعاج. يرتفع معدل ضغط الدم ، وترسل إشارات من المخ إلى العضلات لإعطاء المتعاطي طاقة إضافية ، ومن هنا خطورته في حالة التعود عليه ، خاصة أنه يعتبر من الأدوية المهددة للحياة [33].

ووفقاً لتقرير المخدرات العالمي الصادر عام 2016 فإن المنشطات المشتقة من الأمفيتامين مثل الإكستاسي والميثامفيتامين هي أكثر المخدرات تعاطياً في العالم بعد الماريجوانا[34] من أمثلة العقاقير المنشطة :

أ-الامفيتامينات: (AMPHETAMINE) , اشهر المنشطات والذي يعد في معظم دول العالم من المخدرات واسمه اختصار للعناصر الكيمائية المكونة له , ("Alpha-Methyl-PHÉnéThylAMINE") [35] .

ب- عقار الاكستازي (MDMA) :

وهو منبه للجهاز العصبي المركزي لفئة الأمفيتامين ، وقد أصبح استخدامه كعقار ترفيهي شائعًا في المجتمعات الغربية في أماكن الأعياد في التسعينيات من القرن الماضي ، وغالبًا ما ترتبط هذه المادة بالبيئة التقنية رغم أنها تم استهلاكه في جميع أماكن الأعياد منذ العقد الأول من القرن الحادي والعشرين [36].

3-المهبطات (العقاقير المهبطة)

المسكنات هي عقاقير تثبط أو تبطئ نشاط الدماغ والأعصاب ، وتعمل مباشرة على الجهاز العصبي المركزي لإحداث تأثير مهدئ أو مسكن للشخص الذي يتناولها. تشمل هذه الفئة من المؤثرات العقلية الباربيتورات (الفينوباربيتال ، والثيوبنتال ، والبوتالبيتال) ، والبنزوديازيبينات. (ألبرازولام ، ديازيبام ، كلونازيبام ، لورازيبام ، ميدازولام) ، كحول ، ومثبطات غاما هيدروكسيبوتيرات (GHB) تؤخذ طبيا

وتوصف لتخفيف القلق ، وتعزيز القدرة على النوم ، وإدارة وتنظيم نوبات الاكتئاب لدى المرضى. هذا الأخير يرفع القدرة الجسدية والعقلية ، وتقلل الأدوية المثبطة من تلك القدرة ، لأنها تضعف القدرة على التركيز والانتباه مع انخفاض الحركة والنشاط.[37].

يمثل تعاطي هذه المؤثرات مشكلة اجتماعية وطبية خطيرة ، بالنظر إلى أن الأدوية الاكتئابية ، حتى عند استخدامها بوصفة طبية لعلاج القلق والخوف ، إلا أن الجرعة الزائدة قد تؤدي إلى اضطراب عقلي وصعوبة في التفكير ، حيث قد تؤدي إلى هلوسة شديدة و تلف دماغي مميت.[38].

4-المهلوسات (عقاقير الهلوسة)

المهلوسات مصطلح تُعرف به العقاقير المخدرة والتي تعمل على الجهاز العصبي المركزي بطريقة تدفع المستخدم إلى تغيير تصوره للواقع والزمان والمكان الذي يقيم فيه. الأدوية التي تؤدي إلى اضطراب النشاط العقلي والاسترخاء العام والاضطراب في الحكم على الأشياء ، بالإضافة إلى كونها أدوية تولد الأوهام والقلق الشديد وانفصام الشخصية ، فيعتقد المستخدم أنه يسمع الضوء الأحمر بدلاً من رؤيته. يشتم صوت الجرس بدلاً من سماعه. ويشعر بحالة الجسد خارج نفسه.وتشمل الأدوية او العقاقير المهلوسة كلا من :

أ-عقار ال اس دي (ثنائي إيثيل أميد حمض الليسرجيك) :

يؤخذ LSD من خلال الشم او عن طريق الحقن او من خلال الامتصاص الجلدي من خلال لصق الجرعة الورقية على الجلد يستمر مفعوله لست ساعات او اكثر [39] .

ب- فينسايكلدين (Phencyclidine) (PCP) :

عقار من فئة العقارات المخدرة الرائجة الاستخدام في عالم المخدرات والمؤثرات العقلية ذات الاثر المسبب للهلوسة , والمعروف بالعديد من الاسماء ومنها: غبار الملائكة(angel dust) ، و أوزون(ozone) ، ووقود الصاروخ (rocket fuel) ، وقارب الحب(love boat) ، والحشيش الخارق(superweed) ، (belladonna), وهو عقار يمكن استخدامه بعد طرقه تبعا لشكله المصنع فهو يمكن أن يتم استنشاقه، أو تدخينه، أو حقنه، أو بلعه، كما يتم ذره على التبغ والماريغوانا والبقدونس ومن ثم تدخين هذه المواد المنثور عليهاصنع هذا العقار في خمسينيات القرن الماضي لأغراض طبية بسبب خصائصه المهدئة ، واستخدم في الطبين البشري والبيطري حتى منع استخدامه عام 1965بعد تحديد الاثار السلبية الناجمة عن استخدامه والمتمثلة في البارانويا، والغثيان والإقياء، وتصلّب العضلات، والقلق، والتصرفات العدائية والعنيفة، وظهور الميول الانتحارية، والغيبوبة، وقد تسبّب الجرعات المفرطة منه الوفاة ولكن المخابر السرية استمرت باصطناعه كمادة للتعاطي على شكل حبوب سمّيت (The PeaCe Pill) ، وهو الاسم الذي اختُصر تباعًا إلىPCP ، وبعد ذلك ازداد استخدامه شيوعًا، رغم كونه غير قانوني، وظهرت أشكال أخرى منه، بالإضافة إلى خلطه سرّيًا مع أدوية أخرى مثل (MDMA) المسّمى أيضًا باسم(ecstasy)[40].

المبحث الثاني

الاساس القانوني لمكافحة المخدرات وموقف التشريع والقضاء منها

المطلب الاول

الأساس القانوني في مكافحة جريمة المخدرات العراق

لا يخفى أن الجريمة تعد ظاهرة اجتماعية خطرة تقلق المجتمع ووسيلة الدولة في مكافحتها هي القوانين ذلك أن مبدأ الشرعية يحتم عليها إصدار التشريعات مبينة فيها ما يعد من الأفعال جرائم مجرماً إرتكابها وما يلقاه فاعلها من عقاب نتيجة لخرقه لأحكام القانون. ولان جرائم المخدرات تعد من الجرائم الاجتماعية وذلك بلحاظ الآثار التي تتركها على المجتمع فقد نالت عناية واهتمام كبيرين من قبل المشرع العراقي فأصدر قانون المخدرات رقم (68) لسنة 1965 على اثر انضمام العراق إلى الاتفاقية الوحيدة للمخدرات لسنة 1961، ولأهمية إقرار نصوص جنائية اقتضتها الضرورة وبهدف جعل هذه النصوص منسجمة مع أحكام الاتفاقية الجديدة [41].

هذا وقد صدرت في العراق العديد من القوانين الخاصة بمكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية والتي تعد أساسا قانونياً يمنح للإدارة سلطة قانونية لمواجهة هذه المواد ولتنظيم استعمالها بالطرق القانونية للأغراض الطبية والعلمية إذ عهدت هذه التشريعات للإدارة الصحية المختصة مسألة تنفيذ أحكام هذه القوانين ووضعها موضع التطبيق حماية للمجتمع من خطر وضرر التعامل غير المشروع بها. ومنها ما يأتي:

1. التشريعات الخاصة بمكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية :

يعد المشرع العراقي هو الأسبق من بين المشرعين العرب في تشريع قانون خاص يعني بأمر مكافحة المخدرات ودفع خطرها وضررها عن أفراد المجتمع العراقي وتعزيزا للصحة العامة لأفراده، إذ صدر أول قانون عراقي بهذا الخصوص سنة 1933 بقانون منع زراعة قنب الحشيشة الهندي وخشخاش الأفيون برقم (12) لسنة 1933 الملغي لتليه العديد من القوانين[42] الخاصة بمواجهة التعامل غير المشروع لهذه المواد الخطرة المخدرة مثل:

- قانون العقاقير الخطرة رقم 44 لسنة 1938 الملغي.
- قانون المخدرات رقم 68 لسنة 1965 الملغي.

وأخر التشريعات الصادرة بهذا الخصوص هو قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم (50) لسنة 2017، النافذ لمواجهة الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية في العراق ولقمع العصابات الإجرامية التي تعمل على تضليل بعض فئات الشعب العراقي والتي تشكل تهديد خطير على صحة البشر ورفاهيتهم ولغرض اعتماد قواعد علمية في معالجة المدمنين على المخدرات والمؤثرات العقلية وكذلك لتوطيد التعاون العربي والدولي بهذا الشأن ومنع زراعة المخدرات والنباتات التي يستخرج منها المؤثرات العقلية أو للحد منها لحماية المجتمع [43] .

يهدف هذا القانون الى تطوير أجهزة الدولة المعنية بمكافحة الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية أو سوء استعمالها وكذلك تكثيف إجراءات مكافحة الاتجار والتداول غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية أو السلائف الكيميائية أو الحد من انتشارها وضمان التنفيذ الفعال للمعاهدات والاتفاقيات الدولية ذات الصلة بالمخدرات وتامين سلامة التعامل بالمخدرات والمؤثرات العقلية للأغراض الطبية والعلمية والصناعية والوقاية من الإدمان على المخدرات أو المؤثرات العقلية وسوء استعمالها ومعالجة المدمنين على أي منها في المصحات والمستشفيات المؤهلة للعلاج[44] .

حيث تم بموجب هذا القانون انشاء الهيئة الوطنية العليا لشؤون المخدرات والمؤثرات العقلية التي ترتبط بوزارة الصحة وتشكل برئاسة وزير الصحة ويكون وكيل وزير الداخلية نائب لرئيس الهيئة وعضوية مدير عام دائرة الأمور الفنية في وزارة الصحة والمستشار الوطني للصحة النفسية وممثل عن الأمانة العامة لمجلس الوزراء وزارة العدل وزارة المالية (الهيئة العامة للكارك) وزارة العمل والشؤون الاجتماعية المديرية العامة لمكافحة المخدرات وجهاز الأمن الوطني ومدير عام دائرة الطب العدلي وممثل عن الجهة الأمنية المعنية بمكافحة المخدرات في إقليم كردستان ونقابة الصيادلة[45] . وتتولى هذه الهيئة وضع السياسة العامة لاستيراد أي نوع من أنواع المخدرات والمؤثرات العقلية وتصديرها ونقلها وكذلك التنسيق والتعاون بين الجهات والوزارات والجهات المختصة بمكافحة المخدرات اقتراح انشاء المؤسسات الصحية الخاصة بمعالجة المدمنين وتامين احتياجاتهم الأساسية من الملاكات والأجهزة والمعدات الضرورية وتشجيع الكوادر الطبية والاجتماعية على العمل بالمؤسسات المعنية بمكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية وتحديث الجداول المرفقة بهذا القانون بما ينسجم مع الاتفاقيات الدولية الموقعة من قبل جمهورية العراق والمعتمدة[46] ، واستحدث القانون المديرية العامة لشؤون المخدرات في وزارة الداخلية يرأسها ضابط من ذوي الخبرة والاختصاص وحدد مهامها في القانون[47] .

وكذلك استحدث القانون نظام التسليم المراقب بموجب البند الخامس عشر من المادة (1) من القانون وهو السماح للشحنات غير المشروعة أو المشبوهة من المخدرات والمؤثرات العقلية من المرور عبر أراضي الدولة الى دولة أخرى بعلم سلطاتها المختصة وتحت مراقبتها بقصد التعرف على الوجهة النهائية لهذه

الشحنة والكشف عن المتورطين فيها[48] ، واستحدث القانون مركز لتأهيل المدمنين على تعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية يرتبط بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية[49] .

كما شدد القانون العقوبات المنصوص عليها في المواد (28) و (29) من ارتكب الجريمة وكان من الموظفين أو المكلفين بخدمة عامة المنوط الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية وكذلك اذا اشترك الفاعل في عصابة دولية أو استعمل العنف والسلاح أو ارتكبت الجريمة في دار عبادة أو مؤسسة تعليمية عسكرية أو مدنية أو مكان حجز أو إصلاح للأحداث أو دار إيواء المشردين أو لرعاية الأيتام أو نادي رياضي أو مؤسسة مجتمع مدني.

بموجب المادة (29) البند الخامس شددت عقوبة إغواء حدث على تعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية الى السجن المؤبد أو المؤقت أو الغرامة بعد ان كانت الحبس والغرامة في قانون المخدرات رقم 68 الملغي ويشمل ذلك حالة قيام المتهم بتشجيع زوجته أو أحد أقاربه الى الدرجة الرابعة.

كما نصت المادة (42) على تشكيل لجنة من قضاة الصنف الأول وممثلين عن الجهات وزارة الداخلية ووزارة الصحة والهيئة الوطنية لمكافحة المخدرات والأمانة العامة لمجلس الوزراء تتولى الإشراف على ضبط وفحص وحفظ وخزن وإتلاف المواد المخدرة في دائرة الطب العدلي التي حكم بمصادرتها وينظم عمل اللجنة بتعليمات يصدرها رئيس الهيئة الوطنية لشؤون المخدرات[50] .

أما المادة (43) البند اولا حددت "أعضاء الضبط القضائي بكل من ضباط ومنتسبي قوى الأمن الداخلي وضباط ومنتسبي حرس الحدود وموظفي الجمارك والموانئ والمطارات وموظفي وزارة الزراعة وموظفي وزارة الصحة اللذين يعينهم وزير الصحة لرقابة تنفيذ هذا القانون والبند الثالث من المادة خول موظفي وزارة الزراعة بقلع المزروعات الممنوعة وجمعها مع أوراقها وجذورها على نفقة أصحابها وتحفظ بمخازن وزارة الزراعة وتكون إجراءاتهم باعتبارهم أجهزة ضبط قضائي بعلم الجهات القضائية المختصة"[51] .

كما أوجب القانون على وزارة الصحة باعتبارها جهة إدارية مختصة بالحفاظ على الصحة العامة في البلاد بان "تقوم خلال سنتين من نفاذ هذا القانون انشاء وتطوير الوحدات العلاجية الخاصة بالمدمنين على المواد المخدرة والمؤثرات العقلية ضمن المؤسسات الصحية وتوفير عيادات نفسية اجتماعية لمعالجة متعاطي المواد المخدرة تأهيل وتدريب الملاكات الصحية والموظفين وتشجيعهم مادياً ومعنوياً لمعالجة المدمنين أيضا أعطى القانون لوزير الصحة الصلاحيات الكاملة بتعديل (1) الجداول الملحقة بهذا القانون هذا الجدول الحادي عشر الخاص بالرسوم ومن خلال النصوص القانونية السابقة يمكننا ان نلاحظ السلطات الممنوحة للإدارة وطريقة تنظيم عملها واستحداث الهيئات المختصة بمكافحة المخدرات وإنشاء المؤسسات الصحية والهيئات والمديريات لممارسة أعمالها في نطاق القانون عن الى دور أعضاء الضبط القضائي سواء موظفين وزارة الصحة أو وزارة الداخلية أو وزارة المالية أو وزارة العمل والشؤون الاجتماعية أو وزارة الزراعة سلطات ممنوحة للإدارة بموجب القانون للقيام بدورها بمكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية في القانون العراقي فهي خطوات جدية ومهمة من قبل المشرع العراقي لمكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية وتأسيساً لبناء منظومة إدارية فعالة بهذا المجال[52] .

2. النصوص القانونية الأخرى التي نظمت مكافحة المخدرات:

يوجد في جمهورية العراق العديد من القوانين التي تناولت في جزء منها تنظيم مكافحة المخدرات منها ما يعنى بالصحة العامة ومنها ما يخص تنظيم التجارة في البلاد والبعض الآخر خاص بحماية امن الحدود وغسيل الأموال فهنالك عدد من القوانين الصادرة بهذا الخصوص وعلى النحو الآتي: -

- قانون العقوبات العراقي رقم (111) لسنة 1969 المعدل

تناولت العديد من النصوص القانونية في قانون العقوبات العراقي تأثير المسكرات في المواد (386، 387، 388) والتي يدخل ضمن مفهومها جرائم المخدرات لاتحاد العلة في التجريم والعقاب في هذين النوعين من الجرائم مما يؤثر على العقل البشري نتيجة فقده الإدراك بسبب تعاطيها حيث نص القانون على تعاطي المسكرات أو التحريض عليها، بالإضافة الى ذلك تناول القانون الجرائم المضرة بالصحة العامة حيث

نصت المادة (368) "يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ثلاث سنوات كل من ارتكب فعلاً من شأنه نشر مرض خطير مضر بحياة الأفراد فإذا نشأ عن الفعل موت إنسان أو إصابته بعاهة مستديمة عوقب الفاعل بالعقوبة المقررة لجريمة الضرب المفضي الى الموت أو جريمة العاهة المستديمة حسب الأحوال"[53] .

- امر سلطة الائتلاف المرقم 69 لسنة 2004 "تفويض الصلاحيات بأنشاء هيئة المخابرات الوطنية العراقية [54] .

جاء الفصل الأول من هذا الميثاق تحت عنوان "ميثاق هيئة المخابرات الوطنية العراقية " حيث نصت المادة الأولى من هذا الميثاق على تأسيس هيئة المخابرات الوطنية العراقية، هذا فضلاً عن نص المادة (3) من الميثاق والتي نصت على " تكون المعلومات الدقيقة والكافية عن الإرهاب والتمرد الداخلي والتجسس وإنتاج المخدرات سرية..... مما ينبغي استعمال كل الوسائل القانونية لمواجهة هذه الأخطار". والمادة (4) من القانون أعطت صلاحية لهيئة المخابرات الوطنية جمع المعلومات وإدارة النشاطات الاستخباراتية عن تهديد الأمن القومي وإنتاج أسلحة الدمار الشامل وإنتاج المخدرات أو الإتجار بها والجريمة المنظمة الخطرة.

- أصول المحاكمات العسكري رقم 30 لسنة 2007 : -

بينت المادة (14) من هذا القانون انه لا يجوز استعمال أي وسيلة غير مشروعة للتأثير على المتهم في الفقرة الخامسة منه " لا يجوز استعمال أي وسيلة غير مشروعة للتأثير على المتهم للحصول على اعترافه ويعتبر من الوسائل الغير مشروعة سوء المعاملة والتهديد والإيذاء واستعمال المخدرات والعقاقير.

- قانون رقم (4) لسنة 2011 قانون مجلس امن إقليم كردستان[55] :

يؤسس في إقليم كردستان جهاز الأمن ويتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي والإداري ويرتبط برئاسة مجلس الوزراء ومن ضمن المهام التي يقوم بها ما نصت علية المادة الثالثة الفقرة ثامنا تحقيق الأمن الاقتصادي والاجتماعي ومكافحة الجريمة المنظمة بكافة أنواعها وكذلك مكافحة جرائم المخدرات، وفي المادة السادسة من القانون التي تناولت تشكيلات الجهاز ومن ضمنها المديرية العامة لمكافحة المخدرات.

المطلب الثاني

دور التطور والاجتهاد التشريعي في مكافحة جرائم المخدرات والمؤثرات العقلية

لم يكن التنظيم التشريعي لهذه الظاهرة جديداً على العراق فقد أصدر العديد من التشريعات لها منذ زمن بعيد وكان أول تشريع بهذا الصدد هو (قانون منع زراعة قنب الحشيش الهندي وخشخاش الأفيون رقم 12 لسنة 1933) والذي يعد أول تشريع من نوعه لمكافحة المخدرات في العراق وبعدها صدر قانون العقاقير الخطرة رقم 44 لسنة 1938 حيث وسع هذا القانون من نطاق تجريم التعامل بالمواد المخدرة واستمر العمل طويلا بكلا القانونين لحين صدور قانون المخدرات السابق رقم 68 لسنة 1965 الملغي وآخر التشريعات هو القانون رقم 50 لسنة 2017 النافذ، فانتشار المخدرات والمؤثرات العقلية تعد من المشاكل الأكثر تعقيد وخطورة على الانسان والمجتمع وتعد إحدى مشكلات العصر حيث بدأت تحتل مكان بارز في الرأي العام العالمي والمحلي ولذا لا بد ان تقوم الدول بمواجهة انتشارها ليس فقط بتشريع القوانين وإنها بتطبيقها وحسن تنفيذها وتعاون الأجهزة في الدول على الحد من انتشارها لذلك يتطلب هذا الموضوع تعاون الجهود الدولية والإقليمية على الحد من انتشارها والتعاون أيضاً في مجال مكافحة الاتجار غير المشروع بالمواد المخدرة لان هذا النوع من التجارة يتبع المافيات ويعد من الجرائم الدولية واتجهت أغلب الدول على منح الإدارة سلطات على مستوى عالي من الأهمية من ناحية الوسائل والأجهزة التي تشكل داخل الوحدات الادارية لهذا الغرض[56] .

تعد الجريمة ظاهرة اجتماعية خطرة تقلق المجتمع ووسيلة الدولة في مكافحتها هي القوانين ذلك أن مبدأ الشرعية يحتم عليها إصدار التشريعات مبينة فيها ما يعد من الافعال جرائم مجرما ارتكابها وما يلقاه فاعلها من عقاب نتيجة لخرقه لأحكام القانون. ولان جرائم المخدرات تعد من الجرائم الاجتماعية وذلك فأصدر قانون المخدرات رقم (68) لسنة 1965 على اثر انضمام بلحاظ الآثار التي تتركها على المجتمع فقد نالت

عناية واهتمام كبيرين من قبل المشرع العراقي العراق إلى الاتفاقية الوحيدة للمخدرات لسنة 1961، ولأهمية إقرار نصوص جنائية اقتضتها الضرورة وبهدف جعل هذه النصوص منسجمة مع أحكام اتفاقيات المخدرات والمؤثرات العقلية[57] . أن جرائم المخدرات كغيرها من الجرائم الأخرى لها بصفة عامة ركنان أساسيان هما الركن المادي، والركن المعنوي فضلا عن وجود ركن مفترض يتمثل بمحل الجريمة. سنقسم دراسة هذا المطلب على نقطتين، وهي ما يأتي:

أولاً: مكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية في القواعد العامة :

أصبحت مكافحة المخدرات محل اتفاق التشريعات في دول العالم كافة بعد أن كشف العالم آثارها الضارة ومن ثم أعلنت دول العالم كافة حرباً لا هوادة فيها ضد كل اتصال غير مشروع بالمخدرات ومن أوجه مكافحة التشريعات لجرائم المخدرات هو أنها أخضعتها لما يعرف بالإختصاص الشامل أو كما يسميه البعض (مبدأ عالمية القانون الجنائي) والذي بمقتضاه تطبق قواعد القانون الجنائي للدولة عن كل جريمة يقبض على مرتكبها في إقليم الدولة أياً كان الإقليم الذي ارتكبت فيه وأيا كانت جنسية مرتكبها[58] .

فهذه القواعد الجنائية الوطنية أصبحت بسبب اتفاق الدول عليها تشكل ما بالقانون الجنائي الدولي. فهي قواعد جنائية وطنية للدول ارتفعت لتصبح قواعد دولية بسبب اتفاق الدول عليها[59] . يسمى ويمتاز هذا المبدأ بأنه يقرر للقانون الجنائي نطاقاً متسعاً يكاد يمتد إلى العالم بأسره إذ لا يجعل المكان ارتكاب الجريمة أو لجنسية مرتكبها اعتباراً ولا يشترط سوى أن يقبض على الجاني في إقليم الدولة حتى يخضع لقانونها[60].

وقد أخذت بالمبدأ قانونين العقوبات الحديثة بالنسبة لبعض الجرائم ذات الخطورة العالية كجرائم ذات الخطورة العالية كجرائم الاتجار بالمخدرات أو بالنساء أو الأطفال، وغيرها من الجرائم .

والعلة من الأخذ بالاختصاص الشامل وإعطاء القانون الوطني صلاحية محاسبة أشخاص ارتكبوا جرائم خارج بلدانهم هو سعي الدول إلى مكافحة بعض أنواع الجرائم منها جرائم المخدرات وهو يعكس نظرة المشرع إلى خطورة جرائم الاتجار بالمخدرات حيث بعد ذلك أسلوباً من أساليب تضافر الجهود الدولية مكافحة الجرائم ذات الخطر التي تهدد أمن المجتمعات بمختلف أوضاعها[61] .

ومن مظاهر مكافحة المشرع العراقي لجرائم المخدرات هو أنه استثنى جرائم المخدرات من شمولها بالعفو في قوانين العفو العام كافة التي أصدرها[62] وكان آخرها قانون العفو العام رقم 27 لسنة 2016.

ثانيا: السياسة التشريعية لقوانين المخدرات والمؤثرات العقلية النافذ رقم 50 لسنة 2017 :

السياسية الجزائية تبين ما يجب أن تكون عليه العقوبة من الوجهة التشريعية، لتحقيق الحماية الاجتماعية وتقتضي هذه الحماية استقراء العقوبات التي تتفق مع القيم الاجتماعية السائدة والتي تعبر اصدق تعبير عن الدور الاجتماعي للسياسة التجريمية. حيث أن مكافحة الجريمة ومحاولة التقليل منها، يعتبر الهدف الذي يسعى أليه أي مجتمع ومدى تحقق هذا الهدف أو عدم تحققه، يعد مؤشرا على مدى نجاح السياسة الجزائية التي انتهجها المشرع، وتبرز أهمية السياسة الجزائية في مدى ملاءمة العقوبة المقررة للجريمة مع قيم المجتمع وعاداته وتقاليده، وأفكاره ومدى تقبل المجتمع لها.

فالعقوبة جزاء جنائي مؤلم بحق مرتكب الجريمة أو من يساهم فيها يقرره القانون وتفرضه المحكمة على الجاني بسبب جريمة ارتكبها خلافا لنهي القانون عن ارتكابها أو أمره بعدم ارتكابها ويكون متناسبا مع جسامة الجريمة. وبما أن الجريمة تعد فعلا مضادا للمجتمع يتمخض عنه رد فعل اجتماعي إزاء من تقررت مسؤوليته عنها والذي يكون في صورة سخط واستنكار الجماعة ضد مرتكب الجريمة، لذا فان العقوبة تعتبر الوسيلة التي تمنع أو تحول دون تكرار الجريمة في المستقبل من ذات المجرم أو من غيره.

يبدو أن المشرع العراقي تشدد في العقاب على ارتكاب جرائم المخدرات حتى وصل بالعقوبة إلى الإعدام والسجن المؤبد بهدف حماية الحقوق والمصالح الاجتماعية من خلال تحقيق الردع العام الذي يهدف إلى منع الاقتداء بالجاني فلا يكفي من إيقاع العقوبة تحقيق غاية مرتبطة بشخص الجاني فحسب، إذ يجب أن يتعدى اثر تطبيقها إلى المجتمع بشكل عام حتى تصبح العقوبة أداة لتحقيق غرض بعيد المدى وهو خلق حالة من الخوف لدى المجتمع، لغرض مواجهة الخطر الاحتمالي الذي تمثله جرائم المخدرات من خلال

التهديد بالمصالح المعتبرة محل الحماية الجنائية فلا معنى لفرض عقوبة دون وجود خطر يهدد تلك المصالح في توازنها واستقرارها سواء كان هذا الخطر ماديا يلزم تجسمه في الواقع أو كان خطرا مفترضا لا يلزم له ذلك وإنما يفترض المشرع وجوده. فضلا عن الردع الخاص الذي يحرص على علاج الخطورة الإجرامية الكامنة في شخص الجاني والعمل على استئصالها، لأنه ليس هناك ما يدفع الإنسان إلى اتخاذ سلوك غير إنساني إذا ما توفرت لديه أمكانية إشباع حاجاته الحقيقية بصورة مشروعة، ولذا فان غرض المشرع من تشديد العقوبة على كل من يتصل اتصالا غير مشروع بالمخدرات يكمن في أن تعاطي المخدرات تؤثر على الوظائف العقلية للإنسان من حيث الإدراك والتفكير والقدرة على الابتكار، فيصبح الإنسان عاجزا خاملا لا يقوى على أداء مهامه الاجتماعية[63] .

اراد المشرع العراقي بتشريعه لقانون المخدرات والمؤثرات العقلية النافذ رقم 50 لسنة 2017 [64] ان يواكب الاتجاهات الحديثة التي أقرتها التشريعات الدولية في ميدان مكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية فاخذ أحكامه من الاتفاقيات الدولية وكان من أهم هذه الاتفاقيات، الاتفاقية الوحيدة للمخدرات لسنة 1961 وتعديلاتها واتفاقية الأمم المتحدة للمؤثرات العقلية لسنة 1971 وتعديلاتها واتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الاتجار غير المشروع في المخدرات والمؤثرات العقلية لسنة 1988.

وقد جاء في الأسباب الموجبة لتشريع هذا القانون أنه: "بالنظر لمصادقة جمهورية العراق وانضمامها إلى العديد من الاتفاقيات الدولية ذات العلاقة بالمخدرات والمؤثرات العقلية، ولمواجهة انتشار الاتجار غير المشروع في المخدرات والمؤثرات العقلية في العراق، ولقمع العصابات الإجرامية التي تعمل على تضليل بعض فئات الشعب وتشجيعهم على تعاطي هذه المواد، التي تشكل تهديداً خطيراً لصحة البشر ورفاهيتهم وتلحق الضرر بالأسس الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأخلاقية في المجتمع، ولغرض اعتماد قواعد علمية في معالجة المدمنين على المخدرات والمؤثرات العقلية، ولتوطيد التعاون العربي والدولي في هذا الشأن، ولمنع زراعة المخدرات والنباتات التي تستخلص منها المؤثرات العقلية أو الحد منها باعتبارها آفة خطيرة تهدد كيان المجتمع ووضع العقوبات الرادعة لزارعيها أو المتاجرين بها شرع هذا القانون".

المطلب الثالث

موقف التشريع والقضاء العراقيين من المخدرات والمؤثرات العقلية

إن المخدرات و المؤثرات العقلية إستخدمت في الأصل لعلاج الأمراض أو التركيبة حيث إن جميع أنواع المخدرات تسبب إما زيادة في النشاط العصبي أو هبوطه أو تسبب هلاوس سمعية أو بصرية ومن المظاهر اللافتة للنظر في العقدين الأخيرين هو إساءة إستعمال المؤثرات العقلية وانتشارها إنتشاراً واسعاً لدى كافة فئات المجتمع بحيث أصبحت حماية المجتمع من شرورها الشغل الشاغل لأجهزة مكافحة المخدرات[65] .

وكان لهذا الانتشار أسباب واقعية كثيرة حيث جرائم المخدرات والمؤثرات المخدرات العقلية هي من الجرائم المنظمة السابقة لعصرها بحكم اتباع عصابات أساليب حسن الإدارة والتنظيم الدقيق في عملها والاستفادة الى أقصى حد من معطيات التقدم العلمي والتكنولوجي في مختلف المجالات فالثورة العلمية وتطبيقاتها التكنولوجية وصلت الى مستوى فاق تصور المفكرين والباحثين فالمعرفة العلمية تتطور بسرعة فائقة وكذلك تطبيقاتها التكنولوجية[66] ، وقد أصاب هذا التطور صناعة المخدرات التي ينفق عليها وعلى بحوثها المال الكثير بحكم وفرته لدى عصابات المخدرات المنظمة. وعلى أثر تشديد الرقابة والمكافحة الدولية على المخدرات الطبيعية غير المشروعة زراعة واتجاراً تحول الطلب العالمي على المؤثرات العقلية التي تصنع في المعامل والمختبرات حيث وجد فيها المتعاطون والمدمنون بديلاً مناسباً لا تحظره القوانين وأقل كلفة وباتت تتسرب الى أسواق الاتجار والتعاطي ويساء استعمالها[67] .

بحيث ألحقت بالإنسان أضراراً بالغة الأمر الذي حدا بالمجتمع الدولي الى التحرك لحظر هذا النوع من المؤثرات العقلية بموجب اتفاقية الأمم المتحدة للمؤثرات العقلية في فينا لسنة [68] 1971 واستنادا للاتفاقية المذكورة فقد فرضت كثير من تشريعات دول العالم رقابتها على المؤثرات العقلية ولكن ليس من بينها قانون المخدرات العراقي السابق رقم 68 لسنة 1965 بعد أن أجرى عليه بعض التعديلات التي تشدد من

عقوبات القانون ولم يشرع قانوناً للمؤثرات العقلية وكانت إساءة استعمال هذا النوع من المخدرات يخضع لقانون مزاولة مهنة الصيدلة رقم 40 لسنة 1970 المعدل الذي لم يشرع لمعالجة مثل هذه الحالات أصلاً. حيث أن نصوص القانون المذكور عالجت تنظيم مهنة الصيدلة ووضعت الجزاءات الجنائية والإدارية على مخالفة أحكام مهنة الصيدلة[69] ويبقى الحال على هذا المنوال حتى صدور القانون رقم 39 لسنة 1994 المعدل بالقرار 135 لسنة 1996 والذي شرع في وقت الحصار الاقتصادي الذي فرضته الأمم المتحدة على العراق وأصبحت أحكامه تسري على الاتجار غير المشروع بهذا النوع من المؤثرات العقلية بوصفها من الأدوية حيث إن القرار المذكور وضع عقوبات قاسية على المتاجرة بالأدوية والمستلزمات والأجهزة الطبية إذ كانت هذه المواد غير مجهزة من مصدر معترف به[70] .

وأصبحت المحاكم العراقية تطبق أحكام القرار المذكور على الاتجار غير المشروع بهذا النوع من المؤثرات العقلية بوصفها من الأدوية إلا أن تعاطيها أو حيازتها بغير قصد الاتجار لا يشكل جريمة وقد استقرت محكمة التمييز الاتحادية في العراق على هذا التفسير في الكثير من أحكامها فقد ذهبت في أحد قراراتها الى أن: "كمية الأدوية المضبوطة بحوزة المتهم (س) هي شرطين من الحبوب المخدرة وأن المتهم أنكر متاجرته بالأدوية وأنه يتعاطى الأدوية كونه مريضاً وحيث إن حيازة الأدوية بدون وصفة طبية يتحملها صاحب الصيدلية الذي يقوم بيع الأدوية لذا تكون الأدلة المتوفرة ضد المتهم غير كافية للإدانة قرر نقض كافة القرارات الصادرة في الدعوى وإلغاء التهمة الموجهة للمتهم[71] .

وذهب الى قرار الى أن " القرار 39 لسنة 1994 عاقب على الحيازة بقصد المتاجرة كما نصت على ذلك الفقرة 1 - ج. من القرار المذكور وحيث لم يثبت قيام المتهم بالمتاجرة بتلك الحبوب عليه واستناداً لأحكام المادة 259 / 1 – 6 من قانون أصول المحاكمات الجزائية قرر نقض كافة القرارات الصادرة في الدعوى وإلغاء التهمة والإفراج عن المتهم (س) [72] .

وفي 26 / 6 / 2018 أصدرت محكمة الجنايات المركزية الهيئة الثانية حكماً بتجريم المتهم (س) وفق المادة 28 / أولا من قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم (50) لسنة 2017 وذلك عن جريمة حيازة على مادة (المثيل امفيتامين) لغرض المتاجرة بها وحمت عليه بالحكم المؤيد وبغرامة مالية مقدارها ثلاثون مليون دينار، وصدقت القرار محكمة التمييز الاتحادية[73] إذ "كانت المحكمة المذكورة قد راعت عند إصدارها تطبيق القانون تطبيقاً صحيحا بعد ان اعتمدت الأدلة الكافية التي أظهرتها وقائع الدعوى تحقيقاً ومحاكمة".

وكذلك في 26 / 11 / 2017 أصدرت محكمة الجنايات المركزية الهيئة الثانية حكماً بتجريم المتهم (س) وفق المادة (32) من قانون المخدرات والمؤثرات العقلية وذلك عن جريمة حيازة المواد المخدرة بقصد المتاجرة وحكمت عليه بالحبس الشديد لمدة سنتين وغرامة مالية قدرها ثلاثة ملايين دينار، وصدقت القرار محكمة التمييز الاتحادية [74] " باستثناء قرار فرض عقوبة الحبس الشديد لمدة (سنتين)، أما بشأن العقوبة المقضي بها على المجرم (س) وفق المادة (32) من قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم (50) لسنة 2017 فقد وجد أنها خفيفة ولا تتناسب مع وقائع الجريمة وظروف إرتكابها لذا قررت المحكمة إستناداً لأحكام المادة (259 / 1 - 4) من قانون أصول المحاكمات الجزائية قرر إعادة الدعوى الى محكمتها للنظر في العقوبة بغية تشديدها الى الحد المقرر قانوناً بمقتضى مادة الإتهام".

وكذلك في 7 / 11 / 2017 أصدرت محكمة الجنايات المركزية حكماً بتجريم المتهم (س) وفق المادة (32) من قانون المخدرات والمؤثرات العقلية وذلك عن جريمة حيازة مواد مخدرة (الكريستال) بقصد المتاجرة بها وحكمت عليه بالحبس الشديد لمدة ثلاث سنوات وبغرامة مالية قدرها عشر ملايين دينار، حيث وجدت محكمة التمييز الإتحادية في قرارها [75] "أن كافة القرارات التي أصدرتها محكمة جنايات المركزية بهذه الدعوى قد جاءت غير صحيحة ومخالفة للقانون لأن محكمة الجنايات ذكرت في قرار التجريم وورقة التهمة أن حيازة المتهم (س) للمادة المخدرة المضبوطة بحوزته كان يقصد المتاجرة بها بينا وجهت له التهمة وفرضت عليه العقوبة وفق المادة 32 من قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم (50) لسنة 2017 التي تنص على معاقبة وحيازة مخدرات بقصد التعاطي والاستعمال الشخصي هذا من جهة

ومن جهة أخرى ثبت من خلال محضر الضبط والتقرير الطبي الصادر من دائرة الطب العدلي أن المادة المضبوطة من نوع (المثيل. أمفيتامين) والذي ورد ذكرها ضمن الجدول رقم (6) الملحق بقانون المخدرات وبالتالي فإن حيازتها بقصد المتاجرة بها ينضوي تحت نص المادة (28 / سادساً / 2) من القانون المذكور، وحيث أن المحكمة وقعت بأخطاء قانونية فان قرارها حري بالنقض مع التنويه للمحكمة أن المتهم أعلاه انكر متاجرته بالمواد المخدرة أمام محكمة التحقيق وكرر إنكاره أمام محكمة الجنايات وأفاد ان حيازته للمواد المخدرة كان يقصد التعاطي وان الشهود المدونة أقوالهم من أفراد المفرزة القابضة لا توجد له شهادة عيانيه ضده بخصوص المتاجرة بالمخدرات ولما تقدم قرر نقض كافة القرارات الصادرة في الدعوى وإعادتها الى محكمتها للسير فيها وفق المنوال المذكور وصدر القرار بالاتفاق استنادا لأحكام المادة 259 / أ / 7 من قانون أصول المحاكمات الجزائية في 25 / 8 / 2018.

وصدقت محكمة التمييز [76]قرار محكمة جنايات الأنبار المرقم 631 / ج1 / 2010 في 30 / 11 / 2010 والمتضمن الإفراج على المتهم (ح) عن حيازته شريط حبوب من نوع فاليوم بدون الحصول على وصفة طبية حيث جاء فيه: "أن قانون المخدرات لا ينطبق على فعل المتهم حسبما هو ثابت من كتاب معهد الطب العدلي كما أن القرار 39 المعدل لا ينطبق لأنه يحظر المتاجر بالأدوية والمستلزمات الطبية ذات المناشئ غير المعروفة. أن مادة الفاليوم هي نوع من أنواع البابيتورات وهي المنومات التي تعد صورة من صور المؤثرات العقلية والنفسية والتي تشمل إضافة لذلك على الامفيتامينات والمواد المهلوسة وحيث إن العراق لم يصادق على اتفاقية الأمم المتحدة للمؤثرات العقلية لعام 1971 ولم يصدر قانوناً خاصاً للمؤثرات العقلية والنفسية أسوة بما فعلته كثير من الدول العربية حيث أصبحت قوانين المخدرات تشتمل على المؤثرات النفسية والعقلية لذا فلا جريمة في حيازة وتعاطي هذه المواد إن لم يكن للأغراض التجارية بصورة غير مشروعة كما أن صرف الشريط إن كان بدون وصفة طبية فإنه يثير مسؤولية الصيدلي حسب قانون العقوبات أو قانون مزاولة مهنة الصيدلية"، وقضت في قرار آخر: "إن القرار 39 لسنة 1994 عاقب على الحيازة بقصد المتاجرة كما نصت على ذلك الفقرة 1 - ج. من القرار المذكور وحيث لم يثبت قيام المتهم بالمتاجرة بتلك الحبوب عليه واستناداً لأحكام المادة 259 / 1 – 6 من قانون أصول المحاكمات الجزائية قرر نقض كافة القرارات الصادرة في الدعوى وإلغاء التهمة والإفراج عن المتهم (س) وإطلاق سراحه حالاً من الحبس[77] .

كما ورد في قرار آخر لها: "إن القرار غير صحيح ومخالف للقانون لأن وقائع الدعوى تتلخص بورود معلومات عن قيام المتهم (س) بيع الحبوب المخدرة... أن أحكام القرار 39 لسنة 1994 عاقبت على حيازة الأدوية والمستلزمات الطبية بقصد المتاجرة"[78].

كما ذهبت في قرار آخر الى أن: "القرار 39؟ لسنة 1994 الفقرة / 1 - ج. عاقبت على حيازة الأدوية والمستلزمات والأجهزة الطبية بقصد المتاجرة وعلى ضوء ما تقدم فأن حيازة الأدوية بهذه الكمية قرينة على أنه لم يقصد العلاج"[79] .

وإذا كان مسلك المشرع العراقي سائغاً قبل عام 2003 لعدم وجود مشكلة جدية بهذا الصدد فإنه بعد الإحتلال الأمريكي للعراق تحولت المؤثرات العقلية الى آفة خطيرة، أطلت بكل بشاعتها وضررها على المجتمع العراقي مما استدعى تظافر كافة الجهود ولا سيما الجهود التشريعية لمواجهتها لأن القاعدة القانونية هي إنعكاس لإحساس المجتمع بظاهرة معينة تخل بنظامه وتهدد أمنه فيهب المشرع لتجريمها ووضع الجزاء القانوني على مخالفتها. وإن واقع المجتمع العراقي يشير الى تفاقم ظاهرة إنتشار المؤثرات العقلية الأمر الذي استدعى تدخل المشرع للحد من هذه الظاهرة فإصدار قانوناً جديداً للمخدرات والمؤثرات العقلية هو قانون رقم 50 لسنة 2017 أسوة بما فعلته أغلب دول العالم واكب من خلاله التطور التشريعي في جريمة المخدرات المنظمة، حيث عرف المؤثرات العقلية في المادة 1 / ثانيا " كل مادة طبيعية أو تركيبية من المواد المدرجة في الجداول (الخامس) و (السادس) و (السابع) و (الثامن) الملحقة في هذا القانون، وهي قوائم المؤثرات العقلية التي اعتمدتها اتفاقية الأمم المتحدة للمؤثرات العقلية لسنة 1971 وتعديلاتها".

كما عرف السلائف الكيميائية في المادة 1 / ثالثاً بأنها: "عناصر أو مركبات كيميائية تدخل في صنع العقاقير الطبية ذات التأثير النفسي والمدرجة تفاصيلها في الجدولين (التاسع) و (العاشر) الملحقة في هذا القانون " وهي قوائم السلائف الكيميائية التي اعتمدتها اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الإتجار غير المشروع في المخدرات والمؤثرات العقلية لسنة 1988".

ويلاحظ أن المشرع العراقي وضع عقوبات جزائية لكل من حاز أو أحرز أو إشترى أو باع أو تملك مؤثرات عقلية أو سلائف كيميائية أو نبات من النباتات التي تنتج مؤثرات عقلية أو سلمها أو تسلمها أو نقلها، الخ. والواردة في الجداول 5 – 10 من الجداول الملحقة بالقانون في المادة 28 منه، وهي عقوبات بطبيعة الحال أخف بكثير من العقوبات المنصوص عليها بالنسبة للأفعال المشار إليها في أعلاه والمتعلقة بالمخدرات[80] .

الخاتمة

أولا: الاستنتاجات:

1- اغلب قوانين المخدرات سواء في الدول النامية أو المتقدمة اعتمدت في تحديد ماهية المخدرات والمؤثرات العقلية أسلوبين، الأول يتمثل في النص القانوني الذي يبين المادة المخدرة ويترك حرية التقدير للقاضي في الحكم كونها مادة مخدرة أو لا، أما الأسلوب الثاني فهو وضع جداول تلحق بقانون المخدرات لتبين المخدرات والمؤثرات العقلية الممنوع التعامل بها مع ترك الحرية للجهات المختصة لإضافة أي مادة تعد من المواد المخدرة في ضوء ما يثبت من تقارير الخبراء والمختصين ويعد هذا السبيل هو الأفضل حيث يتسم بالوضوح والمرونة والانضباط.

٢- صدور قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم (50) لسنة ٢٠١٧ والغي القانون رقم (68) لسنة 1965 والذي بقي مدة طويلة ساري المفعول، المشرع من خلال القانون الجديد اخذ بعين الاعتبار صدور اتفاقية المؤثرات العقلية وانضمام العراق اليها ومصادقته على أحكامها فقد سمي القانون بقانون المخدرات والمؤثرات العقلية بعد ان كان القانون السابق هو قانون المخدرات.

3- تُعد تجارة المخدرات من أهم وأخطر أنواع التجارة المحرمة عالمياً، حيث لم تفلح كافة الجهود المبذولة على منعها بشكل نهائي، بل اقتصرت تلك الجهود على تقليلها نظراً لوجود بعض البلدان المصنعة والمهربة لتلك المخدرات الى باقي دول العالم، وذلك لما تدره تلك التجارة على العاملين فيها من ربح كبير.

4- يعد مبدأ التعاون الدولي في العالم المعاصر من أهم المبادئ القانونية الدولية، سيما في مجال مكافحة المخدرات، فأي دولة مها بلغت درجة قوتها وصلابتها لا تستغني عن الدخول في علاقات تعاون متبادلة مع غيرها من الدول، خاصة وأن جهودها الداخلية في مكافحة هذه الجرائم أو الملاحقة لها لم تعد كافية لمنع الجريمة أو تقليص حجمها.

ثانياً: المقترحات:

1- نقترح على المشرع العراقي الى تعديل تسمية قانون المخدرات والمؤثرات العقلية وذلك بتسميته قانون مكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية أسوء بقانون مكافحة الإرهاب وقانون مكافحة تهريب النفط وقانون مكافحة الاتجار بالبشر.

٢- نقترح على المشرع العراقي إعادة النظر بنص المادة (3) من قانون المخدرات والمؤثرات العقلية وجعل رئاسة الهيئة الوطنية العليا لشؤون المخدرات والمؤثرات العقلية من اختصاص رئيس مجلس الوزراء أو الأمين العام لإعطاء القرارات الصادرة منها قوة أكثر وضمان سرعة تنفيذها من قبل باقي الوزارات.

3- ندعو أيضاً المشرع العراقي الى إعادة النظر بالمادة (19) الفقرة الأولى "لا يجوز للصيدلي صرف مواد مخدرة أو مؤثرات عقلية إلا بموجب وصفة طبية أصولية من طبيب ..." كان الأجدر بالمشرع ان يحدد عدد المرات التي تصرف فيها الوصفة الطبية المحتوية على المواد المخدرة .

(1) محمد زيد , افة المخدرات وكيفية معالجة الادمان , ط1 , دار الاندلس للطباعة , بيروت, 2004, ص 19.

(2) سمير محمد عبد الغني , مبادئ مكافحة المخدرات الادمان والمكافحة استراتيجية المواجهة , ط1 , دار الكتب القانونية ,القاهرة , 2009 , ص , 82

([3]) الفقرة (ي) من المادة (1) من الاتفاقية الوحيدة للمخدرات لسنة 1961.

([4]) الفقرة (ن) من المادة (1) من اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية لسنة 1988.

([5]) الفقرة (ص) من المادة (1) من اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية لسنة 1988.

([6]) الفقرة (16) من المادة (1) من الاتفاقية العربية لمكافحة الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية لسنة 1994م .

([7]) الفقرة (19) من المادة (1) من الاتفاقية العربية لمكافحة الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية لسنة 1994م .

(3) قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم (50) لسنة 2017 , منشور بجريدة الوقائع العراقية بالعدد/ 4446 , الصادر في 8 /5/ 2017.

([9]) المادة الاولى (اولاً / ثانياً) من قانون المخدرات والمؤثرات العقلية العراقي رقم (50) لسنة 2017.

([10]) الفقرة الثانية من المادة (49) من قانون المخدرات والمؤثرات العقلية العراقي رقم (50) لسنة 2017 , وكذلك عبد كاظم الزيدي , مكافحة المخدرات في القانون العراقي , ط1 , مكتبة القانون المقارن , بغداد , 2018 , ص 44-45

(1) انطوان البستاني , مصدر سابق , ص 34

([12]) محمد جمال مظلوم، مصدر سابق، ص19. و حسنين المحمدي , مكافحة المخدرات بين القانون المصري والقانون الدولي , ط2, منشأة المعارف , الاسكندرية , 2005, ص 25 , 26.

([13]) سمير محمد عبد الغني، المكافحة الدولية للمخدرات عبر البحار، ط1, دار النهضة العربية، القاهرة ، 2002، ص12.

([14]) (Rang HP, Dale MM, Flower RJ, Henderson G (2011), *Rang & Dale's* pharmacology(7th ed.). Edinburgh, UK: Churchill Livingstone. ISBN 978-0-7020-3471-8.

وليد مرزة المخزومي , مصدر سابق ص28.

(1) سمير محمد عبد الغني , المكافح ة الدولية للمخدرات , مصدر سابق , ص 231

(16) صلاح يحياوي , المخدرات , مؤسسة الرسالة , بيروت ,1981, ص 26.

([17]) محمود السيد علي، المخدرات تأثيرها وطرق التخلص منها , ط1 , اكاديمية نايف للعلوم الامنية, الرياض , 2012، ص24-27.

([18]) سعيد كاظم جاسم , مصدر سابق , ص 32

([19]) سمير محمد عبد الغني، مبادئ مكافحة المخدرات، مصدر سابق، ص74 - 75

([20]) تجدر الإشارة أن المادة (1/2) من قانون المخدرات العراقي الملغي نصت على (تمنع زراعة جنبة الكوكا في العراق)، وكذلك قد تم أدراج ورقة الكوكة والكوكائين في الجدول رقم (1) الملحق بالقانون المذكور.

(2) المادة (12/1) من قانون المخدرات رقم 50 لسنة 2017 .

([22]) لماذا تهم مادة الحشيش؟"تقرير صادر عن .مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة 29-06-2009 . UNOCD.

([23]) تنص المادة (26 / 2) من الاتفاقية الوحيدة للمخدرات على (تعمل الدول الأطراف، قدر الإمكان على اجتثاث جذور جميع جنبات الكوكا البرية وتقوم بإتلاف جنبات الكوكا المزروعة بطريقة غير مشروعة) .

([24]) تجدر الإشارة أن الحشيش كلمة عامة تستخدم في العالم وخاصة في دول الشرق الأوسط كمرادفة لكلمة القنب و تطلق على مختلف أشكال المخدر التي يتم الحصول عليها من نبات القنب ومنها : الماريجوانا وراتينج الحشيش وزيت الحشيش ، محمد فتحي عيد، جريمة تعاطي المخدرات، ج1، مصدر سابق، ص 140.

([25]) تنص المادة (1/22) من الاتفاقية الوحيدة للمخدرات على (تقوم الدولة الطرف التي تحظر زراعة خشخاش الأفيون أو نبتة الكوكا باتخاذ التدابير المناسبة لضبط أية نباتات تزرع بصورة غير مشروعة وتدميرها، باستثناء الكميات البسيطة التي يحتاجها البلد الطرف للأغراض العلمية والأبحاث).

([26]) المادة الأولى الفقرة (2) من قانون المخدرات رقم 68 لسنة 1965الملغي.

([27]) المادة الأولى الفقرة (3) من قانون المخدرات المذكور أعلاه.

([28]) المادة الثانية الفقرة (2) من القانون المذكور أعلاه.

([29]) المادة (23) من قانون المخدرات العراقي رقم (50) لسنة 2017

([30]) عبد الرحمن مصيفر ,الشباب والمخدرات في دول الخليج العربي , الربيعان للنشر والتوزيع , الكويت , 1995, ص 25 - 28.

([31])« Esters of Morphine. UNODC Bulletin on Narcotics, 1953; Issue p36-38 »

(1) UNODC , position paper on "the social impact of drugs abuse prepared for the world, USA, 1995 ,p 8-11.

([1]) ذياب موسى البدانه , الشباب والانترنت والمخدرات , ط1 , اكاديمية نايف للعلوم الامنية , الرياض , 2012 , ص75-76

([2]) علي احمد راغب , مصدر سابق , ص 146 .

([35])amphétamine et méthamphétamine , www.centres-pharmacodependance, p 38.

([36])سعد محمد الحفار , تعاطي المخدرات واعادة التأهيل والمعالجة , ط1 , دار الفكر المعاصر , بيروت , 1988 , ص 199.

([37]) محمود السيد علي، مصدر سابق، ص155. وهيمن تحسين حميد، مصدر سابق، ص31.

([38]) عبد العزيز علي الغريب ، ظاهرة العود للإدمان في المجتمع العربي، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 2006، ص45.

([3]) محمد فتحي عيد , جريمة تعاطي المخدرات في القانون المقارن , المركز العربي للدراسات الانسانية , المملكة العربية السعودية , 1988 , ص 198

([2]) سمير محمد عبد الغني , المخدرات والمؤثرات العقلية والمواد المستخدمة في تصنيعها , مصدر سابق , ص 87.

(1) عمر عباس خضير العبيدي ، المواجهة الدولية والوطنية في مكافحة جرائم المخدرات الرقمية والمخدرات التقليدية ، مركز الدراسات العربية ، 2020م ، ص45 .

([42]) ينظر : د. علي غني عباس، د. ذو الفقار علي رسن: مدى استجابة القوانين العراقية لمتطلبات الاتفاقيات الدولية لمكافحة المخدرات، بحث منشور في مجلة كلية المنصور، ع20، سنة 2013، ص 117.

([43]) ينظر : ينظر الأسباب الموجبة لتشريع قانون المخدرات رقم 50 لسنة 2017.

([44]) ينظر : المادة (2) من قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم 50 لسنة 2017.

([45]) ينظر : كاظم شهد حمزة: أحكام التجريم والعقاب في قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم 50 لسنة 2017، مكتبة القانون المقارن، بغداد، 2017، ص 84.

([46]) ينظر : ينظر المادة (5) من قانون المخدرات رقم 50 لسنة 2017..

([47]) ينظر : فتحي الجواري: الجريمة المنظمة عبر الوطنية، ط1، مطابع العدالة، بغداد، 2015 ، ص169 ، المادة (6) اولا من قانون المخدرات العراقي رقم 50 لسنة 2017.

([48]) ينظر : المادة (1 / خامس عشر) من قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم 50 لسنة 2017 .

([49]) ينظر : المادة (7) اولا من قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم 50 لسنة 2017..

(1) عمر عباس خضير العبيدي ، مصدر سابق ، ص49 .

([51]) ينظر : المادة (43) من قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم 50 لسنة 2017..

(1) عمر عباس خضير العبيدي ، مصدر سابق ، ص51 .

([53]) ينظر : المادة 308 من قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة 1969 المعدل النافذ.

([54]) ينظر : امر سلطة الائتلاف رقم 69 لسنة 2004، منسور بالوقائع العراقية بالعدد 3983، الصادر بتاريخ 1 / 6 / 2004.

([55]) ينظر : قانون مجلس امن كردستان رقم 4 لسنة 2011 منشور بوقائع كردستان بالعدد 127 بتاريخ 5 / 6 / 2011 .

(1) عمر عباس خضير العبيدي ، مصدر سابق ، ص183-184 .

([57]) ينظر : الأسباب الموجبة لصدور قانون المخدرات والمؤثرات العقلية العراقي رقم (50) لسنة .(2017)
([58]) ينظر : د. علي حسين الخلف، د. سلطان عبد القادر الشاوي: قانون العقوبات، القسم العام، مطابع الرسالة، الكويت، 1982، ص108.
([59]) ينظر : د. ضاري خليل محمود: البسيط في شرح قانون العقوبات، القسم العام، دار صباح صادق جعفر، بغداد، 2002، ص47.
([60]) ينظر : علي حسين الخلف ، مصدر سابق ، ص109 .
([61]) ينظر : د محمد حماد مرهج الهيتي: أصول البحث والتحقيق الجنائي، دار الكتب القانونية، المحلة الكبرى، مصر، 2008، ص 500.
([62]) ينظر : بإستثناء قانون العفو العام رقم 225 لسنة 2002 والذي لم يستثن جرائم المخدرات من العفو حيث صدر القانون في ظروف خاصة سبقت الحرب عام 2003.
([63]) ينظر : سعيد كاظم جاسم الموسوي: مصدر سابق، ص129.
([64]) ينظر : نشر هذا القانون في جريدة الوقائع العراقية بالعدد 4446 في 8 / 5 / 2017 على أن ينفذ بعد مضي (90) تسعين يوماً من تأريخ نشره في الجريدة الرسمية حسب منطوق المادة 51 من القانون.
([65]) ينظر : يشير تقرير مكتب الأمم المتحدة الخاص بالمخدرات والجريمة في شأن الوضع العالمي فيها يخص المؤثرات العقلية الذي عرض على لجنة المخدرات في دورتها الثامنة والأربعون في فينا (13 – 17 آذار 2006) وطبقاً لتقرير المكتب بخصوص المخدرات أن (5، 26) مليون شخص يتعاطون الامفيتامينات (عدا عقار الاكستازي) كما أن (9، 7) مليون شخص متعاطون لعقار الاكستازي (عقار النشوة) ولا تزال الأمفيتامينات تحتل المركز الثاني في التعاطي بعد الحشيش. وتشير وثائق المؤتمر العربي العشرين لرؤساء أجهزة مكافحة المخدرات الذي عقد في تونس في تموز عام 2006 أنه في عام 2003 تم ضبط 14 مليون قرص من العقاقير المنشطة (الكبتاجون) وفي عام 2004 زاد عدد المضبوطات الى 30 مليون وزادت الكمية المضبوطة عام 2005 الى 38 مليون قرص، وأكثر الدول ضبطاً هي السعودية ثم الأردن ثم سوريا ثم الإمارات. أما المؤثرات العقلية الأخرى فقد تم ضبط (6، 4) مليون قرص عام 2004 وتضم المؤثرات العقلية الأخرى طبقاً للمكتب العربي لشؤون المخدرات الاكستازي الامفيتامينات والباربيتورات وتأتي في مقدمة الدول العربية التي تم ضبط مؤثرات عقلية أخرى فيها البحرين ثم السعودية ثم الأردن ثم المغرب.
([66]) ينظر : د. مصطفى عمر التير: المخدرات والعولمة – الجوانب السلبية، بحث منشور في كتاب المخدرات والعولمة لمجموعة من المؤلفين، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ط1، الرياض، 2007، ص18 .
([67]) ينظر : د. سمير عبد الغني: مصدر سابق، ص82.
([68]) ينظر : نصت المادة 1 / ه من اتفاقية الأمم المتحدة للمؤثرات العقلية لسنة 1971 على أنه يقصد بتعبير المؤثرات العقلية (كل المواد سواء أكانت طبيعية أو تركيبية وكل المواد الطبيعية المدرجة في الجداول الأربعة المرفقة بالاتفاقية) .
([69]) ينظر : وعلى قدر تعلق الأمر بموضوع الاتجار غير المشروع بالأدوية والمستلزمات الطبية فقد تضمن قانون مزاولة مهنة الصيدلية رقم 40 لسنة 1970 في المادة (51) منه على أنه: "يعاقب بالحبس مدة لا تتجارز سنة واحدة أو بغرامة لا تزيد على مائة دينار كل من استورد أو باع أو عرض للبيع أحد المستحضرات أو المواد الكيمياوية الوارد ذكرها في المادة الثالثة والأربعون من هذا القانون دون أن يكون مجازاً بذلك" وانظر كذلك المادة 16 / 1 من قانون المخدرات والمؤثرات العقلية النافذ والتي تنص: "لا يجوز للطبيب أن يصف المواد المخدرة أو المؤثرات العقلية لأي مريض إلا بقصد العلاج الطبي ووفق التعليمات والضوابط التي تصدرها وزارة الصحة في هذا الشأن" .
([70]) ينظر : نص القرار في الفقرة (1) منه: "تعد الأفعال الآتية من جرائم تخريب الاقتصاد الوطني ومن الجرائم المخلة بالشرف ويعاقب مرتكبها وكل من ساهم في ارتكابها بالإعدام أو السجن المؤبد أو السجن المؤقت أو الحبس مدة خمس سنوات وبغرامة لا تقل عن عشرة آلاف دينار ولا تزيد على مئة ألف دينار، وللمحكمة أن تصادر أموال المحكوم عليه ما يتناسب مع جسامة الضرر" وبعد ذلك ذكر المشرع أربع حالات منها المتاجرة بالأدوية والمستلزمات الطبية".
([71]) ينظر : قرار محكمة التمييز الاتحادية المرقم 655 / الهيأة الجزائية الثانية / 2009 في 20 / 8 / 2009، غير منشور.
([72]) ينظر : قرار محكمة التمييز الاتحادية المرقم 3642 / الهيأة الجزائية الثانية / 2007 في 30 / 1 / 2010، غير منشور.
([73]) ينظر : قرار محكمة التمييز الاتحادية المرقم 13545 / الهيأة الجزائية / 2018 في 4 / 12 / 2018، غير منشور.
([74]) ينظر : قرار محكمة التمييز الاتحادية المرقم 3739 / الهيأة الجزائية / 2018 في 30 / 9 / 2018، غير منشور .
([75]) ينظر : قرار محكمة التمييز الاتحادية المرقم 2336 / الهيأة الجزائية / 2018 في 25 / 8 / 2018، غير منشور.
([76]) ينظر : قرار محكمة التمييز الاتحادية المرقم 2980 / الهيأة الجزائية الثانية / 2011 في 13 / 3 / 2011، غير منشور.
([77]) ينظر : قرار محكمة التمييز الاتحادية المرقم 3642 / الهيأة الجزائية الثانية / 2007 في 19 / 8 / 2007 غير منشور.
([78]) ينظر : قرار محكمة التمييز الاتحادية المرقم 8479 / الهيأة الجزائية الأولى / 2009 في 30 / 1 / 2010، غير منشور.
([79]) ينظر : قرار محكمة التمييز الاتحادية المرقم 6745 / الهيأة الجزائية الأولى / 2010 في 20 / 6 / 2010، غير منشور.
([80]) ينظر : د. موفق حماد عبد ، مصدر سابق، ص 41.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

النقيض الأجتماعي والطبقي في النص المسرحي العربي المعاصر

رؤى فوزي مردان
ruaafawzi6@gmail.com
أ.م.د. حسن عبود النخيلة
al_raoy@yahoo.com
جامعة البصرة ــ كلية الفنون الجميلة

خلاصة البحث باللغة العربية:

يسعى البحث الحالي الى معرفة النقيض الأجتماعي والطبقي في الأدب المسرحي العربي المعاصر, من خلال رصد متغيرات وعوامل تصدير المتناقضات الأجتماعية ذات الأثر البارز في أنتاج المتغير عبر رصد الفكر والسلوك الأنساني , الذي اضحى متعمقاً في أثارة التناقضات التي أسهمت في تحطيم البنية الأجتماعية السليمة, وأدخال الأنسان في معتركات جديدة لمقاومة هذا المتغير الذي صار يشكل أزمة حاضرة وبقوة على الصعيد الأجتماعي.

وقد كان للفن المسرحي شأنه للتصدي لهذه الأشكالية عبر طرح بواعثها وتسليط الضوء عليها, ولذا زعم الباحثان لطرح عنوان بحثهما الموسوم النقيض الأجتماعي والطبقي في النص المسرحي العربي المعاصر .

وقد قسم البحث على النحو الآتي: الفصل الأول (الإطار المنهجي) متضمناً لمشكلة البحث وهدفه وأهميته والحاجة إليه وتحديد أبرز مصطلحاته. أما الفصل الثاني فقد أشتمل على (الإطار النظري) الذي تحدد بمبحثين الأول :النقيض الأجتماعي في الدراسات الأجتماعية , والثاني: النقيض الأجتماعي في المسرح العالمي والعربي .

لتصل الباحثة الى تأشير ما أسفر عنه الأطار النظري .ومن ثم تحليل عينتها المختارة هي مسرحية (الصدى والآخر) لـ (دفع الله حامد) لتصل بعد ذلك الى الخروج بنتائج البحث والأستنتاجات, وخاتمة بهوامش البحث وخلاصة باللغة الأنكليزية.

الفصل الأول : الأطار المنهجي

أولاً: مشكلة البحث :

من المعلوم أنّ أبعاد الشخصية الأنسانية وأسلوب تفاعلها مع محيطها الخارجي يختلف من فرد الى اخر تبعاً للدوافع الداخلية والمثيرات الخارجية وطبيعة النزعة الفكرية التي تبنى وتتبرمج عبر معطيات البيئة الأجتماعية . ولأنّ الأدب المسرحي محكوم بالظاهرة الأجتماعية وراصد عمق لها هو خبئ ومؤثر فيها, فقد اتصف الأدب المسرحي بقدرته على استيعاب المتغيرات الأجتماعية ,وتأثيرها المنعكس على شخصية الفرد داخل ابنية الأجتماعية ,وما ينتج من نقائض أجتماعية مغايرة للسياقات المعهود ومناقضة للسلوكيات الطبيعية, وقد شكل هذا الأمر حضور واضح في بواكير الكتابة المسرحية الأغريقية, فالنقيض الأجتماعي يعول عليه في تأسيس ذروة الدراما التي تتعامل مع الشخصيات الفريدة والخارجة عن الأطر فينشأ الصراع ولا يمكن لهذا الصراع أن ينشأ إلاّ من خلال التناقض.

ثانياً ــ أهمية البحث والحاجة إليه :

1_ تكمن أهمية البحث في تقديمه لموضوع يشغل حيزاً وتأثيراً في الدراسات الأجتماعية المعاصرة وفاعلية بارزة في طروحات الأدب المسرحي العربي في رصد لظاهرة النقيض الأجتماعي

2_ تتجلى الحاجة الى البحث لما يقدمه كم أفادة للدارسين في مجال الأدب والنقد المسرحي والباحثيين والدارسين في مجال علم الأجتماع.

ثالثاً_ هدف البحث:

1_ يهدف البحث الى الكشف عن النقيض الأجتماعي في الأدب المسرحي العربي.

رابعاً _ تحديد المصطلحات:

1_(النقيض)

لغوياً:من الفعل الثلاثي (نقض)وجاء في القاموس المحيط بأنه " النقض في البناء والحبل والعهد وغيره : ضد الأبرام كالأنتقاض والتناقض"(656,1)

كما عرف (محمد بن أبي بكر الرازي)(النقيض) بأنه "نقض البناء والحبل والعهد من باب نصر و(النقاضة) بالضم ما نقض من حبل الشعر . و(المناقضة) في القول أن يتكلم بما (يتناقض) معناه و(الأنتقاض) الأنتكاث "(676,2)

(النقيض)أصطلاحاً:

هي" ثنائية تناقض وتعارض ,تقع على نفس المحور الدلالي (مثل البارد/الساخن /الشرير/الخير) والتناقض الواقع في الخطأ الدائم ,من وجهة المضمون ,والذي يعتبر كالحشو ,عند المناطقة , في افتقاده الى الدلالة وخطأ"(218,3)

2_أجتماعي: لغوياً:

أجمعَ القوم: اتّفقوا: اسم يدلُ على التوكيدِ والشّمولية،.. يقالُ جاءَ القومُ اجمَعُهم وجمعيُهم،.. الاجتماع: في اللّغة الجّمع الانضمام والتأليف، والاجتماعي: المنسوب الى الاجتماع هو مَنْ كانَ محباً للمجتمع والإنسان بطبيعتهِ ككائن اجتماعي،.. اجتمعَ: اجتماعاً انظمَ وتألف وتجمّع"(18,4)

2_(أجتماعي) أصطلاحاً:

"يصف علم الاجتماع، الفن المسرحي كنشاط اجتماعي، يهدف الى إحداث التفاعل الاجتماعي بين البشر، فهو نشاط إنساني ذو أفعال اجتماعية، ويجب فهمه كوسيلة من وسائل الاتصال الرمزية استناداً على ان _ التفاعل الرمزي _ هو أحد فروع علم الاجتماع، يرى الانسان ويحلّله باعتباره رمزاً بشريّاً يعيش في المجتمع من خلال شبكة من التصرفات والسلوكيّات ذات أصل ثقافي واجتماعي"(81,5)

ويحدد الباحثان تعريف (النقيض الأجتماعي) اجرائياً: هو ذلك التعارض القائم بين أمرين أو أكثر ويتجلى عبر تركيبة الأنسان المتضاربة مع ذاتها ومع غيرها , مفردة لحالة مضادة للتماسك والأتلاف الأجتماعي الذي يقوم بطبيعته السوية على الألتحام, متجلياً في الأدب المسرحي عبر مفترقات سلوكية ولفظية وفكرية.

الفصل الثاني (الإطار النظري)

المبحث الأول _ النقيض الأجتماعي في الدراسات الاجتماعية

حظيت دراسة الشخصية الإنسانية ، وأسلوب تفاعلها مع محيطها الخارجي ، بمكانة خاصة لدى الباحثين بغية التعرف على طبيعتها ورصد المتغيرات الأجتماعية التي تطرأ عليها, وقد كشفت دراسات عديدة عن جملة من النقائض التي ارتبطت بسلوك الإنسان وتفكيره وطبيعته وميوله ورغباته على مستوى علم الأجتماع ، وعلم النفس الأجتماعي ايضا، وقد شغلت فكرة النقيض الاجتماعي موقعاً مهماً من طروحات عالم الاجتماع العراقي (علي الوردي) ، فقد التفت إلى تلك النقائض الطبقية التي تنعكس على سلوك الانسان وطريقة تفكيره ، إذ بين أن هناك نظامين أجتماعيين هما البداوة والحضر ووجد بأن النقيض يتأسس عليهما فعلى حد قوله " ان الهدف الأساسي الذي تسعى نحوه البداوة هو على نقيض مما تسعى اليه الحضارة هناك ناحيتان يتضح فيهما هذا التعاكس أو التناقض بين الحضارة والبداوة : هما الدولة والأحتراف ضمن الناحية الأولى نجد البداوة ميالة بطبيعة تركيبها الأجتماعي نحو النفرة من الدولة ونحو التهرب من الخضوع لها أن العصبية القبلية في البداوة تحل محل الدولة وتقوم بوظيفتها , فالفرد البدوي يعتز بقبيلته كل الأعتزاز فهي سبب بقائه وموئل كرامته .اما الدولة في نظره فليست سوى نظام للذل ودفع الضريبة"(12,6) اي ان الفرد في البدو يتميز بصفات الشجاعة والبسالة والكبرياء والغلبة فهو يأمن بالقوة ويتهرب من الخضوع ويعد نظام الدولة بمثابة نظام للذل والكدح والصبر واداء الضريبة.

وفي رصد النقيض الطبقي يستشف (علي الوردي) مدى تاثير ذلك على الجانب الأخلاقي ، فبحسب اعتقاده" ان الأخلاق في العراق لا تزال تحمل في ثنائياها بعض قيم البداوة في أحترام الغالب وأحتقار المغلوب ولكنها قيم ممسوخة حيث خرجت من محيطها الأول وفقدت وظيفتها الأجتماعية أنما بقيت توجه السلوك كالعقدة النفسية من غير أن يكون هدف لها يلائم محيطها الجديد "(51,7)ان الأخلاق دفينه في ذات الشخصية فهي لا تستطيع التحرر من قيمها البدوية التي أعتادات عليها فهي تحترم الغالب حتى وأن كان ظالماً وتحتقر المغلوب حتى وأن كان الحق معه .

و من ميزات النقيض الطبقي ما يذكره (الوردي) بتأكيد صفة الحسد التي يمتاز بها البدوي، إذ يقول " أن التحاسد في البداوة أشد عنفاً مما هي في الحضارة هو أن المتحضرين أعتادوا على خلق التملق والمجاملة الزائدة في علاقاتهم الأجتماعية فهم اذا حسدوا أحداً حاولوا تغطية حسدهم بطلاء من المجاملات الكاذبة أما البدو فهم على نقيض من ذلك عادة أنهم يعدون الكذب والتملق من أمارات الضعف والمذلة ليس في البدو حكومة تقهرهم وتعرض عليهم الضرائب ولهذا فهم ليسوا مضطرين الى أتخاذ أخلاق الذل كالكذب والمكر والمجاملة الزائدة "(75,8) وعلى مستوى النقيض الاجتماعي فأن الصنفين خاضعين لسلطانه فالبدوي بصراحته الفجة يشكل نقيضاً للعنصر الاجتماعي الايجابي ، والحضري بتملقه وكذبه ومجاملاته لا يظهر الا النقيض الماكر والضعيف في آن واحد . وهو يدلل على النقيض الاجتماعي بسلبيته ، فبحسب ما يذهب اليه (علي الوردي) أن " الفرد العراقي أصبح مضطراً أن يقتبس نوعين من القيم الأجتماعية او يقلد طبقيتن من الناس : طبقة البدوي الغالب وطبقة الفلاح المغلوب فهو تارة يؤمن بالغلبة ويتباهى بها أو يحاول أن يظهر قوته على غيره وهو تارة أخرى يئن من سوء حظه ويشتكي من ظلم الناس له"(51,50,9) .

المبحث الثاني : النقيض الاجتماعي في الأدب المسرحي العالمي و العربي

النقيض الأجتماعي لدى (موليير) فيُلاحظُ بأنه يهتم بمعالجة عيوب المجتمع المتصلة بسلوك الشخصيات التي تكون بعيدة عن الأخلاق والذوق ؛ فيتطرق لنقل قضية الآفات الأخلاقية المنتشرة في المجتمع فهو يلجأ " الى كشف شخصياته كشفاً بارعاً , والى صراع مخطط تخططياً جيداً بين أفراد ذوي آراء وميول مختلفة ,والى تعرية ماهرة لعيوب الأنسان الأساسية وسخافاته"(234,10)

اتصفت بعض شخصيات مسرحه بالتناقض ولا سيما شخصية (تارتيف) في مسرحية (طرطوف) واحياناً تسمى مسرحية (المنافق) فهي " تعرض الفضائح والخيانة والغدر والأنانية على عامة الناس ..ذلك الأنسان الذي أستطاع طويلاً أن يلبس القناع ويراه الناس على غير حقيقته , نزع موليير عنه القناع وعرضه عارياً"(11,11) .

تتضح شخصية (تارتيف) وهي تجسد النقيض الاجتماعي فمن خلال ارتداء قناع التدين الذي يحث الناس من خلاله على التقوى وفعل الخير للوصول الى غاياته والتستر على حيله ؛ في مقابل ذلك كان النقيض المتواري خلف القناع يتصف بالخداع والكذب فهو ذلك " المنافق الشهوى الأناني الذي عبث بالسذاجة , بعد أن لزم (أرجون orgon) المتبلد الفهم , وبعد ذلك أقحم نفسه في أسرته ,هددها بكارثة أكيدة ,وقد كشفت زوجة أرجون بفطرتها الأمينة عن حقيقة دوافعه, وما أنطوت عليه نفسه من شهوة وغرور ,أدى هذا الى نزع قناعه عنه ,ثم أفتضاحه ,ثم خيبته, فجزائه"(133,12).

اراد موليير"نقد مظاهر التدين الكاذبة التي تخفى وراءها أناس لا هم لهم في الواقع الا أشباع غرائزهم وملأ جيوبهم مستخدمين في ذلك أقدس ما يعتز به الأنسان من قيم روحية"(24,23,13).

تبرز عبقرية (موليير) في كشف النقيض الاجتماعي بجعل جميع أسرة (أرجون) يعرفون حقيقة المنافق (تارتيف) ويحاول اقناع (ارجون) بأنه كاذب ذو شخصيتين إلا أن (أرجون) يسلمه بيته ، ويقوم بالتنازل لــ (تارتيف) ويحاول ان يزوجه ابنته وهذا يدل على مدى براعة (تارتيف) بالتصرف على مبدأ الوقار والحشمه والسيطرة في التحكم بأفعال (أرجون) .

يتأسس السلوك المتناقض لدى شخصية(تارتيف) فهو يتنقل بين شخصيتين متناقضتين ما بين التزامه بالقيم الأخلاقية والدينية ؛ عبر ذلك القناع الذي يتستر به ويخلعه عند لقائه ب(المير) ليكشف عن شخصيته الحقيقية المتسمة بالكذب والخداع .

إن (موليير) يقوم بكشف النقاب بشكل قصدي على نوع من النماذج البشرية باتت قلوبهم كاذبه ويسيرون على الطريق الرباني بقصد الوصل الى ما يصبون اليه "كان موليير يكتب هذه المقدمة لمسرحية(طرطوف وهو فرح جداً ,حيث كان يفرغ ما كان يعتلج في روحه , وما كان كامناً في صدره الا أنه كان يسهو عن كل شيء , وهو في معرض الأحساس بانه كلماته هذه موجهة لطرد الطراطيف وتحرير مشاعر الخير والأفكار الجميلة الحقيقية الكامنة في قلوب الناس ,بعد أن كانت محبوسة أمداً طويلاً تحت تأثير الأكراه والأضطهاد , الذي كان متسلطاً عليهم من قبل هؤلاء السادة المتزلفين "(99,14).

كما أن المسرحية تكشف عن الرذائل التي تتفشى في الأوساط الأجتماعية , فبين حين واخر يتكشف رجال متسترين بالدين ينفذون ابشع الجرائم، ويستلقون سلم القداسة بهدف تحقيق مصالحهم الخاصة على حساب حياة الأخرين.

أمّا عند (نعمان عاشور) فبتركيزه على الصراع الطبقي من خلال طرحه لفكرة نضال الطبقة الكادحة والمُستغلّة بهدف التخلص من جشع الأقطاع والرأسمالية ، واقامة نظام قوي يكون أساسه قوة الشعب فأنّه يكشف عن ذلك في مسرحية "المغناطيس في وقت لم يكن من الممكن عرضها لتنقد واقع المدينة حيث الرأسمالية الجشعة التي تستغل كل شيء حتى الدين متمثلة في (محمود ابو المال) التاجر الجشع الذي يستغل الدين من أجل أنجاح تجارته فيقيم مصلى داخل محل البقالة لأغراض شخصية"(126,15) جعل (نعمان عاشور) يصور أحد آفات المجتمع هي شخصية (محمود ابو المال) ليحقق مصالحه الشخصية عن طريق التطلع الى الطبقة البرجوازية العليا بزواجه من (قمر) لكن حتى بعد هذا الزواج يقوم بألانفصال عنها لأختلاف التفكير والعادات والتقاليد فيما بين الطبقتين القائم بينهما النقيض الطبقي.

وعلى العموم تمتاز نصوص (نعمان عاشور) بالتركيز على تصوير تناقضات الواقع الأجتماعي وتتحرك التناقضات بأتجاه الصراع الطبقي بين الطبقة الحاكمة والمسيطرة (الطبقة البرجوازية) وبين طبقة العمال المقهورين يلاحظ هذا جلياً في مسرحية (الناس اللي تحت) إذ تفصح عن "أهتمام نعمان عاشور بالصراع الطبقي في الناس اللي تحت بين الأجيال القديمة وبين الجديد المبشر..وأختياره للشخصيات التي تتفق مع الواقع الأجتماعي ..راسما هذه الشخصيات بأبعاد جسمانية ونفسية وأجتماعية بحيث تكون شخصيات متباينة متناقضة ليتولد منها الصراع "(54,16) .

يتجلى هذا اللون بالنقيض الطبقي برصد (نعمان عاشور) للصرعات بين القيم القديمة المزيفة والفاسدة ، وتلك المنتمية إلى القيم الجديدة . إذ حاول التعبير عن تكل المتغيرات الأجتماعية السريعة يقول (نعمان عاشور) "إنها مرحلة التضارب الطبقي العميق الذي بات يحرك المجتمع من أغواره السفلى فجمع بين العمال والمثقفين في بوتقة الأصهار مع الفلول الخابية من الأقطاع القديم المندحر والطبقات الشعبية العاجزة . وهذا ما يصوره بالفعل السكان اللي تحت "(186,17).

تمثل القيم التي تنشدها الطبقات المقهورة ما هو غير متحقق في ظل انعكاس المتغيرات الاجتماعية السياسية التي تحكمت بخارطة الواقع الأجتماعي ، على هذا الأساس " في الناس اللي تحت تناول نعمان عاشور خطا دراميا وسياسياً هو الصراع بين عالمين يبشر في النهاية بانتصار الجديد .. هذان العالمان ممثلان في عمارة بهيجة هانم التي تمثل بشقتها العليا مركزا للقيم البرجوازية الجوفاء وبين ساكنى البدروم في نفس العمارة حيث تسكن الأنماط المقهورة الباحثة عن حياة أفضل "(56,18) فالقاعدة السفلى للهرم الأجتماعي تحتلها الطبقة المقهورة اما قمة هذا الهرم فتمثلها الطبقة البرجوازية ، ويركز الكاتب (نعمان عاشور) على النقيض الطبقي ، وهذا ما يتبين في كلام (بهيجة) مع سكان البدروم بكل طغيان ، وممارسة قوتها وسطوتها من خلال ملكيتها لتلك الأرض .يُلاحظ كذلك كيف جعل (نعمان عاشور) (عبد الرحيم) شخصية مستضعفه مستسلمة لإحساس الضعف والهزيمة ؛ عندما يحاور (بهيجة) وهنا يتضح مدى تسلط وطغيان الطبقة العليا على الطبقة الكادحة الضعيفة .

كما أنّ "عزت لم يزل ذلك الثائر الرومانسي ,الذي تتغلب عليه مثاليته من جهة وتلك الأفكار البرجوازية التي أكتسبها من خلال معايشته لها أعواما طويلة وجدها خلالها مترسخة في وجدان من حوله كفكرة الأصل تلك الفكرة التي جعلته يفقد الثقة في نفسه أحيانا وهو صاحب الرؤية الثورية والقادر على

الفعل فعند المقارنة بينه وبين عبد الخالق الذي ينافسه في حب لطيفه وهو الأنتهازي المرتشى تتغلب عليه الأفكار البرجوازية التي تفقده ثقته في نفسه أثناء صراعه ضد عبد الخالق"(141,19) .

كما ويلاحظ تكرار (نعمان عاشور) لفكرة النقيض الطبقي بطرحه مسرحية اخرى هي (الناس اللي فوق) ففيها حضور واضح للصراع بين الطبقات الثلاثة الطبقة العليا والطبقة الوسطى والطبقة الشعبية طبقة الدنيا ' فهنا يلقي (عاشور) الضوء على مجموعة من الناس كانوا قد زحفوا من الحضيض الى اعلى القمة ولكن تفكيرهم بقي كما هو واخلاقهم كذلك "فنرى الطبقة العليا تتكشف سوءاتها بعد أن ألقت الثورة عن حياتها النقاب فخليل بك الذي كان يتسمح بجاه أخيه الباشا ويستغل ذلك الجاه نراه أول من ينقلب على أخيه وأن نكر هذا الأنقلب المخزي في ثوب الشفقة بأخيه ولحرص على سلامته .وما يرتفع الستار حتى نرى خليل بك هذا يهجم على أخيه الذي أثقلته السنون والأحداث هجوما عنيفا بأسم الحرص على مصلحته فيدعوه في حدة تقرب من الشماته الى أن يصحو هو وزوجته الهانم من غفلتهما ويدركا ما أحدثته الثورة من تغيير شامل "(98,20) ان الناس الذين ترفعوا عمن سواهم حتى من اقربائهم ، لكنهم بعد التغييرات الاجتماعية التي حدثت بعد الثورة نجد الطبقة العليا التي تمثلها (رقيقة هانم) تقوم بزيارة لأحد أقربائها ضمن الطبقة الوسطى والتي تمثلها (الست سكينة) ولكنها تبقى متمسكة بتفكيرها، فتكون اول المعارضين بأسم الفوارق الطبقية عندما يقوم ابن خادمة (انور) بعرض الزواج على (جمالات) ابنة (الست سكينة).

يُعبّر (نعمان عاشور) عن العقد التي بقيت مترسخة لدى الطبقة الشعبية، إذ " تحاول أن تقنع نفسها بعد الثورة بأنها ليست بأقل من الطبقتين الأخريين إلا أنها في المسرحية لا تزال تعاني من مركب نقص شديد. وقد نجح المؤلف من الناحية الدرامية في تصوير هذا المركب نجاحاً رائعاً في شخصية أنور"(99,21)

ويبرز النقيض الأجتماعي الطبقي بصوره واضحة كذلك ، لدى كاتب آخر ، هو (يوسف ادريس) ففي (مسرحية الفرافير) ينقل مشكلة السيادة والعبودية من خلال انتقاءه لأسماء الشخصيات الرئيسية ، بذكر (السيد) وهو يمثل نظام السيادة اما (فرفور) فيمثل نظام العبودية ، ولكن نجد " (السيد) و(الفرفور) فأنهما يواجهان الموت , وقد عجزا عن تغيير واقعهما بواقع التبعية والسيادة ,مع أنهما حاولا أن يجريا الأمور المقلوبة وجعلا من السيد (فرفورا) ومن الفرفور(سيدا) أي تبادل السيادة بينهما وحاولا كذلك ألغاء الفوارق الطبقية بينهما ,ولكنهما أخفقا في كل المحاولات فالواقع التقليدي يستحوذ على تفكير كل منهما ,وحتى بعد الموت لم يتحول النظام ,وظل (الفرفور) كما بدأ تابعاً يدور حول سيده"(109,108,22).

أشتغل (ادريس) على عملية تبادل الأدوار ؛ اي جعل السيد يصبح فرفوراً والخادم يصبح سيده ولكن حتى مع تبادل الأدوار هذه ، أخفق" لأن الوجود الجبري يعيد فرفور صنع ماهيته أو يحاول ,ويوجه السيد جل فكره في تثبيت ماهيته التي خلق بها على ماهي عليه بما يحقق له النفع الذاتي ,دون أعتبار للآخر شريكه في الوجود الجبري ,وما عليه إلا محاولة تهيئة الطرف الآخر في الصراع لقبول هذا الوضع بالحيلة ووسائل المراوغة والأقناع "(383,23) .

هنا جاء تأكيد (أدريس) على النقيض الطبقي الأجتماعي فقد عمل على عملية تبديل الأدوار ولكن ضمن قاعدة الفوارق الطبقية فهي صفة أجبارية حتى لو أخذ الفرفور دور السيد يبقى السيد سيد والخادم خادم . كما أكد (أدريس) على النظام الطبقي وأخفاقه في علاقة السيد والفرفور ،وجعله نقيضاً صلباً مستمداً هذه الفكرة من تزمت الطغاة وتجبرهم ، فيتضح حتى أن الموت نفسه لا يلغي الفوارق الطبقية بين السيد والفرفور ، فقد احتوت المسرحية " كثيراً من ألوان النقد السياسي والأجتماعي (...)وبدأ بمناقشة كيفية وجود الأنسان وعمله في الحياة ,ثم موته بعد ذلك ,وأن الحياة التي يحياها الأنسان ويموت بعدها لا تعد حياة ,فهي في نظر السيد (نكته) وفي نظر (فرفور) (غير لائقة) وفي رأى (فرفور) أن قبول الأنسان بعمل ما يساعده على الحياة ,هو ضرب من العجز ,وجنوح الى الخلاص ,لأن الأنسان ضائع لا يملك من أمره شيئاً, كما أن الأنتحار عجز ,والتصوف نقصان في الحيلة, والرضا بالواقع موت ,أما الحياة اللائقة فما زالت غير معروفة لديه"(112,24).

ينقل (أدريس) حيرة الأنسان في العالم الذي يحيا به وأحساسه بالضياع في فرض نظام التبعية والسيد بصورة أجبارية مع أختفاء جميع الحلول , فحتى وإن وجدت تلك الحلول فلا جدوى من وجودها ,

فالعالم مسير حول التعامل بنظام الطبقات ، وذلك يمثل نقيضاً أجتماعياً طبقياً داخل المجتمع" فأرادة الإنسان ورغبته في تغيير موقف لا جدوى منهما أمام القوة الأكبر .وفي هذه الأيديولوجية الماركسية علاقات البشر الأجتماعية تحكمها قوانين صارمة مثل قوانين الحركة الفيزيائية . والمجتمع الماركسي فعل منعكس لقانون حتمى, وبنيته وحركته مستقلتان تماماً عن الأرادة والبراعة الأنسانيتين والأنسان يظن أنه يتحكم في مصيره ,وفي النشاط الأجتماعي , ولكن أفكاره في الحقيقة خاضعة تابعه , وليس لها أستقلال ذاتي "(162,25).

اما في مسرحية (جمهورية فرحات) نجد (ادريس) يعرض لوحات من فساد وتفاهه اخلاق مجتمعه فهو يعرض مدى الطغيان والأنحلال في النظام من خلال شخصية الصول فرحات التي قدمها (أدريس) معتمداً النقيض السلوكي ، فهو ذلك الشخص " الساخط على عمله الممل المتبرم به ولا يزال يثرثر ويتلكأ في عمله حتى إذا أحس بقدوم الضابط معاون القسم تظاهر بالجد والأهتمام وأنجاز عمله بينما نعلم أنه قد بلغ من الكسل والتبرم حداً يتساءل معه لماذا مات رجل في خرابة تابعة للقسم الذي يعمل فيه"(113,112,26)

تتضح ازدواجية الشخصية (لصول فرحات) التي نقلها (ادريس) فهي شخصية بليدة خاملة ولكن في الأوقات التي تحس بأن خطر يداهم مصلحتها الخاصة تتحول لسلوك شخصية حريصة مجدة في عملها تلك الشخصية التي تقدم نقيضاً اجتماعيا واضحاً (للسلوك) داخل المجتمع.

ما اسفر عنه الإطار النظري من مؤشرات

بعد دراسة المباحث النظرية تبين أن النقيض الاجتماعي يقوم على المؤشرات الآتية :

1_**النقيض الاجتماعي الأزدواجي:** وهو النقيض الذي يتضح على الشخصية عندما تصطدم بقوانين وقيم المجتمع التي تعيش في داخله فتتخذ الشخصية ادواراً مختلفة تحاول فيها ابراز افضل صورة عن نفسها مخفيةً ذاتها الحقيقية ، وقد تبين هذا الطرح في كتابات (ارفنج كوفمان).

2_ **النقيض الاجتماعي الطبقي** :وهو النقيض الذي يكشف عن الشخصية في صراعها الناتج عن الفوارق الطبقية ، كالفارق بين الطبقة الحاكمة والطبقة المحكومة من الفقراء كما في مسرحية (الناس اللي فوق)لنعمان عاشور ومسرحية (الفرافير) ليوسف ادريس.

<u>:تحليل العينة</u>

بغية الوصول الى تحقيق النتائج التي ترتبط بهدف البحث_ستقوم الباحثة بتحليل عينة البحث على وفق مايلي:

1_ النقيض الأجتماعي الأزدواجي 2_النقيض الأجتماعي الطبقي

: تحليل مسرحية (الصدى والآخر) لـ (دفع الله حامد)

يتناول دفع الله حامد في مسرحيته الموسومة (الصدى والآخر) مآسي المجتمع العربي بتناوله الفوارق الطبقية وطريقة تسلط الطبقة الحاكمة على الأنسان البسيط الذي لا حول له ولا قوة تبدأ حكاية المسرحية في مكان مقسم الى قسمين الطرف الأول يمثله البلاط الملكي بما فيه كرسي الملك وادوات ترمز الى تسيد الملك وسيطرته الكاملة على المملكة اما الطرف الآخر يمثله فنان بأدواته البسيطة يبدأ الصراع بدخول الشخصيتان ملتصقتان عضوياً ببعضهما البعض الملك والفنان فالملك يحمل الصولجان التي تنتمي الى السلطة اما الفنان يحمل ادواته الفنية يبدأ الصراع بأن كل شخصية تمثل طبقة معينة تريد التخلص من الطبقة الآخرى والسيطرة عليها :

" الملك : من الذي حتم ذلك ؟لابد أن يكون هناك مخرج لي أو مفر لك ..أنك تلتصق بي كحشرة متطفلة تأخذ عصارة ثماري وتتنفس معي من هواء واحد ..كرهت رائحة جلدك النتن..أنك تفسد على أفكاري بالصادي من كلماتك, مللت التصاقك بي كورم سرطاني لا يمكن التخلص منه.

الفنان: مد يدك وأقتلعني.. لا تتوان ..هيا أنت السلطان هنا, وأنا لا شيء.. سوف يقولون أن هناك شخصاً ميتاً على عنق السلطان" (11,27)

فالنقيض الأجتماعي الطبقي في هذا النص يبرز من البداية عبر أعلان (حامد) عن ذلك ,فهو يقارن بين الملك الذي يمثل الجبروت والقوة الذي ينتمي الى سلالة الملوك , أو القادة العظام وبين الأنسان الفقير

يبدأ الملك بوصفه ليس سوى حشرة تعرقل عليه افكاره ولكن نلاحظ ان الملك رغم سيطرته نراه في هذا النص بأن لا يستطيع فعل اي شيء وانه فقد السيطرة على تلك القوة عندما يبدأ الفنان بمدح الملك في نفس الوقت ذم نفسه تقليل من قيمته الشخصية وانه تابع للملك ولا يمثل كيانه اي شيء :

الملك :أنك مظلم كليل ولادتك ..(يتوقف الصراع)سحقاً لهذا القدر الأ يدري بأني سوف أصير السلطان هنا.

الفنان: سلطان يحمل على جانبه شخصاً آخر.. ربما يكون ذلك مصدر فخر وأعتزاز لك.. هذه قمة الإنسانية والمساواة .وبذلك تتمتع بشعبية لم يسبق لها مثيل.. أما أنا فلا عذر لي أحمل السلطان على كتفي واقف مع الشعب الذي يخاف أن يرى السلطان ينظر من على دكته.. فما بالهم أن كان السلطان يتوارى خلف ظهري.. أحمل دليل خيانتي على ظهري(يركض وكأنه يريد أن يسقط الملك لكنه لا يستطيع)كيف يتكلم لساني أذاً؟

الملك : لسان مسلط على .. يملأ أذني ثرثرة وطنياً.. كتلة قذرة تمنعني الحديث الى نفسي.. أملك ما أملك لكني لا أملك أمر بتره .. أنك لا تعرف غير العذاب .ألم تجد مكاناً آخر لتنبت فيه غير هذا المكان ؟أنك تلطخني بوجودك هذا "(11,12,28)

فالنقيض الأجتماعي الطبقي جاء في النص اعلاه يوضح الفوارق الطبقية ما بين الملك والفنان اذا كان السلطان يتقاسم حياة الترف مع احد ابناء الطبقة الفقيرة تمثل تلك اشارة للعدل والمساواة التي يتسم بها الطبقة الحاكمة عند حمل الملك لشخص وتمثل تلك اشارة مميزة لم يعمل بها أحد من أبناء الطبقة الحاكمة اما اذا كان الفنان يحمل الملك فهو هنا شيء عادي يبرز معاناة الطبقة المهمشة الفقيرة بما تحمله من اذلال فهي معتادة على تحمل اعباء الطبقة الحاكمة ولكن نجد كذلك في الحوار السابق تتغير اللعبة وان الملك رغم سلطته لا يستطيع التصرف بأي شي واخراج نفسه من تلك اللعبة والتخلص من الفنان:

"الملك : جئت لهذا الوجود لكي أصير ملكاً عليه.. أميراً على كل الكائنات.. أن يكون الجميع تحتي لا يعلو على صوتي صوت

الفنان: لا تعرف ما يخطه لك القدر

الملك: بنيت لنفسي ما أريد ..(يمزق أحدى اللوحات)

الفنان: لن تكون كما تتمنى.. (يرمي بالسوط أرضاً)

الملك: القدر قد تنبأ بوجودي وبقائي كملك قبل ولادتي(يسقط أحد الأستاندات) حييت على طريقة الملوك ولن أدع ما ينغص علي أيامي الملكية.. أنت ظلي.. صدى صوتي ..أنا الملك ,وكلمات الملوك هي النافذة دائماً.

الفنان :لست معتقداً أو أسطورة أو ضرباً من ضروب العبادة

الملك: قلت لك نشأت على طريقة الملوك

الفنان :أذا كن ملكاً على نفسك

الملك : تفسد علي ماهو مرسوم ..أن كان الآخرون على علم تام بل على يقين كامل بأنهم شعبي لم ترفض أنت على ذلك؟.. لماذا لا تنصاع الي وأنت جزء مني؟ لأني واحد منهم .. أنت لا تفهم ما يخبئه لك الآخرون

الملك: من يجرؤ على رفضه

الفنان: أنا من يرفضك "(14,13,29)

يتضح في النص اعلاه تأكيد على النقيض الأجتماعي الطبقي في مدى تسلط وطغيان الطبقة العليا (طبقة الملوك) على الطبقة الضعيفة الكادحة جاءت طبقة الملوك متمسكة بتفكيرها فتكون أول المعارضين بأسم الفوارق الطبقية في مساواتها مع الأخرين , فالواقع التقليدي يستحوذ على تفكير الملك بأن يبقى ملك وتابع لطبقة الملوك مهما كان القدر. يحاول (الفنان) ان يضع حد لمشكلة العبودية من خلال التخلص من نظام الأستغلال الملكي للأخرين بالسخرية من الملك وعدم الأنصياع الى قرارته واخذها بعين الأعتبار بل ظهر (الفنان) يتمرد ويرفض اي قرار يصدر من الملك بل يتصداه من غير خوف او استضعاف .

" الملك : أنت ؟ (يضحك) ..أنت لا شيء .. بعد أن تملك أقداماً تمشي عليها وجسداً تستند أليه قل ذلك .. أنت تعتمد علي في كل شيء.. لم تصر ذاتاً بعد.. وهذا الجسد الذي تظن أنك تنتمي أليه هو ملك لغيرك.. أنت لا تملك سوى ما يزعج الآخرين .. لساناً لا يكف عن الثرثرة .
الفنان : الأ يكفي هذا للتعبير .
الملك : أن تملك رأساً يحبل بالأفكار والآراء.. (يضحك) أين القوة التي تشكل تلك الأفكار على الواقع؟.. أن الكلمات لا تمتد أبعد من رجع صداها .
(يحمل بعض اللوحات ويمزقها) لن تحكم الكلمات ما دام الشعب أصم .. أنت تعرف لغة الهمس والنبر والتفخيم .. تنقصك الأيماءة والحركة الحرة والطيران ..أنت دون أجنحة لا يمكنك التحليق والسيطرة"(15,14,30)

على هذه الوتيرة يستمر الملك بالصراع الطبقي في محاولة تذكير الفنان بأن العالم الذي يحيا به مسير تحت نظام التبعية والسيد بصورة أجبارية حتى وان كان الفرد يملك الحلول والأفكار لتحرير من ذلك النظام فهي دون جدوى جاءت الكلمات في النص اعلاه تؤكد على نظام التبعية والسيد فالملك يقول للفنان انت لا شيء وحتى جسدك ملك لغيرك يقدم (حامد) صورة الفقير الذي تسلبه طبقة المماليك كرامته فالعالم مسير تحت نظام الطبقات ان كنت تملك الأفكار والأرادة في مواجهة ذلك الظلم لا تستطيع دون ان تسند لجهة معينة.

" الفنان: لكني أسبح بخيالي أبعد مما تتوقع.
الملك: تسكنني كدوامة بحرية ..يجرفني الموج من أقتلاع كل الطفيليات والشعب المرجانية.. أنا أخطبوط البحر الساكن.. بل تيارات متداخلة تعكر صفاء البحر الراكد.. أحرك ذرات الماء في أعماق البحر الميت أقتل كل أسماك القاع.. غرقاً يتم القتل وعلى سطح الماء تطفو جثث الموتى.. آمر نسور الجو الجارحة بأن تواري آثار القتلى.. الجوع ما جعلها تمد يد المساعدة .. الخوف من الموت ما يجعلنا نركض على فناء الدنيا.
الفنان: وندوس أكباد الأطفال؟
الملك: لا يهم من يموت ما دام الأمر عند الأحياء.. ونحن الأحياء.
الفنان: ربما أنت أول الأموات.
الملك: من قال أن الملوك يموتون بهذه السهولة(يضحك ضحكة هستيرية تهتز لها الأشياء)
الفنان: حتمية الأقدار.
الملك: سفسطة ..نحن من يسير الأشياء.
الفنان: أذاً سير أمر نفسك وكن وحيداً.
الملك: أتظن أنني نسيت ذلك؟
الفنان: الملوك لا ينسون (يضحك بسخرية)"(16,15,31)

يستمر الصراع الطبقي بمحاولة الملك اثاره الرعب في نفس الفنان يتحدث عن قوة المماليك المتسلطة التي تسيطر على الشعب بذكر انتهاكاتهم البشرية ليظهر الملك لمحة من شرورهم فيستجيب الفنان معه بالحوار اعلاه ويبدأ بالتمرد عليه والأستهزاء به وتذكيره بالنظام يخلو من العدالة بما فيها الأفعال البشعة التي تعمل بها طبقة المماليك فيبين أنهم اقتلعوا اكباد الأطفال التي لا حول لهم ولا قوة يواصل الملك بالحديث ولا يهم من يموت فهم يفكرون بنفسهم لا غيرهم مهما كانت الضحايا .بل يرصد (حامد) صورة الملوك الذين يتصدون للموت ويسيرون امور الشعب وهم في نفس الوقت غير قادرين على تسير امورهم.

" الملك : ما ينفع الآخرين لا ينفعني
الفنان: أذا أنت لست منا.
الملك: كيف يكون الملك من الرعية.. أنا من نسل كريم ..لقد كان الملوك أنصاف آلهة ولم يحاكمهم أحد.. لم تسلبنا ماهو حق لنا؟
الفنان: أنا أجنبك حق الآخرين للرعية حق يضاهي حقك في هذا الكرسي الذي تجلس عليه

الملك: أذا الطمع ما يحرك البغضاء بداخلك.
الفنان: اكتفاؤك بذاتك يحرم الآخرين من مشاركتك
الملك: أشارك نفسي فأجد فيها ما لا أجده في أي شيء آخر"(18,32)

يستمر الصراع بين الملك والفنان ومع التأكيد على الفوارق الطبقية نلاحظ مدح الملك بالطبقة التي ينحدر منها ويبدأ بالتعالي عن طبقة الفنان , ولا أحد له السلطة على طبقة الحكام غير أنفسهم يشبه سلطتهم بسلطة الآلهة, فالملك يرتدي قناع الشخصية التي تأمر وتسيطر الأ أنه في الحقيقة شخصية ضعيفة لا يستطيع حتى كيف يتخلص من الفنان الملتصق به,

" الملك :كيف يتحول الى كتلة دون التأثير في ؟ لقد هيأت لك من وسائل العلم ما يجعلك على قمته, لكني لا أجد في الفشل المتلاحق ,سحقاً لكل العلوم أن لم تجلب السعادة لراعيها
الطبيب: مولاي لا أجد من الأعذار ما هو مناسب لجلالتك.
الملك: دائماً ما تواروا محاولاتكم الفاشلة وراء اعذار لا تنبئ الأ بضعف أصحابها ,أنصرف فقد جردناك من جميع مخصصاتك, ولتسحب منك الدرجة العلمية , ولتكن أفقر الرعية ,أذهب فقد عجز العلم عن مساعدتي
الطبيب : لكن مولاي...
الملك: أصمت قبل أن تخرج أصم من هنا.
(الطبيب ينسحب بعد أن يجمع أدواته في أضطراب شديد)
الملك :لن يدخل اليأس الى صدري لن أعلن لك عجزي, ما زالت هناك طرق يمكن السير فيها
الفنان: (يضحك ضحكة هستيرية ,مما يزيد ضيق الملك)"(22,33)

ويُرصدُ في النص اعلاه قوة تسلط وطغيان الملك على طبقة الموظفين واحتقاره وتعسفه لبقية العلوم جاء النقيض الطبقي مأكد عليه في بيان هيبة الملك ووقاره مقابل عجز الأطباء عن مساعدته فهو يقوم بإعطاء اوامر بسحب الدرجة العلمية من الموظف لا يبالي فيما عاشه الموظف من معاناة حتى يحصل على تلك الدرجة وهي مصدر دخله فهو همه الوحيد نفسه التي تعلو على كل شيء لا يفكر بغيره غايته الوحيدة انقاذ نفسه من مساواته مع طبقة العاملة والتخلص منها يتكرر الموقف في استهزاء الفنان بالملك بمدى عجزه عن التخلص منه رغم هيبته ومكانته لا يستطيع فعل اي شيء.

"الفنان : أجدك في جميع لوحاتي
الفتاة : ضمني أليك.
الملك: (يضحك بخبث) سوف أضمك أنا.
الفتاة :لا أحب الأجساد المتعفنة.
الفنان :هو جزء مني.
الفتاة :لا يشبهك في شيء
الملك: أنت لي ..وهذه الكلمات أشعر بها في جسدي ,وتفعل فعل السحر في داخلي.
الفنان: تتكلم عن الأحاسيس والمشاعر وأنت أبعد الناس عنها.
الملك: هذا سلطانه الخاص ..ينقاد للمرأة أكثر من أنقياده لي"(27,34)

نلاحظ في احداث النص اعلاه بروز النقيض الأجتماعي الأزدواجي من خلال شخصية الملك يقوم بتقمص شخصية مناقضة لحقيقته الذاتية بغية التوافق مع الفتاة وتحقيق التفاعل معها اي يظهر الملك بقناع يخفيه به هويته الأجتماعية من اجل تحقيق ذلك التفاعل فيقدم الملك ذاته المصطنعة بنقل افضل صور عنه محاولا اخفاء قوة تسلطه وطغيانه ونسبه لطبقة المماليك ,يحاول الكاتب ان يظهر مدى عمق وتأثير النقيض الأزدواجي على الجانب الفكري للشخصيات , عندما يشعر الملك رغم مكانته غير مرغوب به من قبل الفتاة.

النتائج والأستنتاجات :

1_ ينعكس النقيض الأجتماعي الطبقي على سلوك الفرد وتفكيره وهذا ما أكد عليه (علي الوردي) لذا يصبح الفرد مضطر الى ان يقلد طبقتين من الناس طبقة بدوية الالبة وطبقة العمال المغلوبة

2_ كشف (موليير) عن عيوب المجتمع برصده سلوك الشخصيات التي تكون بعيدة عن الأخلاق اتسمت بالغدر والخيانة والأنانية كما في شخصية (تارتيف) بمسرحية (المنافق) من خلال ازدواج الشخصية
3_ جاء مسرح (نعمان عاشور) بتركيزه على النقيض الطبقي من خلال طرح فكرة الطبقة الكادحة والمستغلة بهدف التخلص من جشع الأقطاع الرأسمالية واقامة نظام قوي.
4_أستغل (يوسف أدريس) النقيض الطبقي في عملية تبادل الأدوار ولكن قاعدة الفوارق الطبقية تبقى صفة أجبارية حتى لو اصبح التابع سيد والسيد تابع.
5_ يبرز الصراع الطبقي بصورة واضحة في مسرحية (الصدى والأخر) بمحاولة الملك اثاره الرعب في نفس الفنان يتحدث عن قوة المماليك المتسلطة التي تسيطر على الشعب بذكر انتهاكاتهم البشرية ليظهر الملك لمحة من شرورهم.

الهوامش

1_ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي : القاموس المحيط ,ط8 (بيروت : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ,2005) ص656
2_محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي : مختار الصحاح (كويت :دار الرسالة ,1983م)ص676
3_سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (بيروت : دار الكتاب اللبناني ,1985م) ص218
4_أمل عبد العزيز: القاموس العربي الشامل، (بيروت: دار المراتب الجامعية، 1997)، ص18.
5_مدحت الكاشف : المسرح والإنسان تقنيّات العرض المسرحي المعاصر، تقديم: سعد اردش (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008)، ص81.
6_علي الوردي : دراسة في طبيعة المجتمع العراقي (بغداد : منشورات سعيدين جبير , د.ت) ص12
7_علي الوردي : الخلاق (الضائع من الموارد الخلقية) (الفرات : للنشر والتوزيع ,2007)ص51
8_علي الوردي : دراسة في طبيعة المجتمع العربي : المصدر السابق ,ص 75
9_علي الوردي :شخصية الفرد العراقي ,ط2 (بغداد : منشورات دار ليلى , 1951)ص50_51
10_فرد ب ميليت وجيرالدايدس بنتلي :فن المسرحية ,ترجمة: صدقي حطاب , مراجعة :محمود السمرة (بيروت :دار الثقافة, مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ,1986)ص234
11_ف . م . مولاتولي : موليير ,ترجمة :يوسف أبراهيم جهماني (دمشق :دار حوران ,1994)ص11
12_الأردايس نيكول :المسرحية العالمية ,ترجمة: محمود حامد شوكت , ج2(القاهرة : هلا للنشر والتوزيع ,2000)ص133
13_موليير :المنافق ,ترجمة :محمد عبد الحليم وفايزة هيكل (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ,1970)ص23_24
14_ف . م . مولاتولي : موليير ,المصدر السابق ,ص99
15_كمال الدين حسين :المسرح والتغير الأجتماعي في مصر ,تقديم :مختار السويفى (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ,1992)ص126
16_فاطمة يوسف محمد :المسرح والسلطة في مصر من1952_1970(القاهرة : مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب,1994)ص54
17_نعمان عاشور :المسرح حياتي (القاهرة : القاهرة للثقافة العربية ,1975)ص186
18_فاطمة يوسف محمد :المسرح والسلطة في مصر من1952_1970,المصدر السابق ,56
19_كمال الدين حسين :المسرح والتغير الأجتماعي في مصر, المصدر السابق ,ص141
20_محمد مندور :في المسرح المصري المعاصر(القاهرة _دار نهضة مصر للطبع والنشر ,ب_ت)ص98
21_محمد مندور :في المسرح المصري المعاصر, مصدر سابق,ص99
22_حسن محسن :المؤثرات الغربية في المسرح المصري المعاصر (القاهرة :دار النهضة العربية ,1979)ص108_109

23_أبو الحسن سلام :أتجاهات في النقد المسرحي المعاصر بين النظرية والتطبيق (الأسكندرية :مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع ,2005)ص383
24_حسن محسن :المؤثرات الغربية في المسرح المصري المعاصر,المصدر سابق ,ص112
25_نادية رءوف فرج : يوسف أدريس والمسرح المصري الحديث ,المصدر السابق ,ص162
26_محمد مندور :في المسرح المصري المعاصر ,المصدر السابق, ص112_113
27_دفع الله حامد :نصوص مسرحية سودانية (الصدى والآخر) ,(الشارقة : دائرة الثقافة والأعلام ,2010)ص11
28_دفع الله حامد :نصوص مسرحية سودانية (الصدى والآخر) ,المصدر السابق ,ص11_12
29_دفع الله حامد :نصوص مسرحية سودانية(الصدى والآخر), المصدر السابق ,ص13_14
30_دفع الله حامد :نصوص مسرحية سودانية (الصدى والآخر) ,المصدر السابق ,ص14_15
31_دفع الله حامد :نصوص مسرحية سودانية (الصدى والآخر) ,المصدر السابق ,ص15_16
32_دفع الله حامد :نصوص مسرحية سودانية (الصدى والآخر) ,المصدر السابق,ص18
33_دفع الله حامد :نصوص مسرحية سودانية (الصدى والآخر) ,المصدر السابق,,ص 22
34_دفع الله حامد :نصوص مسرحية سودانية (الصدى والآخر) ,المصدر السابق,ص27

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

المرجع البيئي للامألوف الشكلي في الخزف العراقي المعاصر

التدريسي :أ.م. عادل صبري نصار التميمي
Adils.aldubaisi@uokufa.edu.iq
جامعة الكوفة / كلية التربية -قسم التربية الفنية

ملخـص البحـــث

تمثل الدراسة الحالية الموسومة (**المرجع البيئي للامألوف الشكلي في الخزف العراقي المعاصر)**محاولة للتركيز على الضاغط البيئي كونه مرجعا أساسيا في العملية الفنية وله دوره المهم في إبداع ما هو غير مألوف من الأشكال الخزفية ،و من هنا تأسس موضوع البحث للكشف عن طبيعة المرجع البيئي للامالوف الشكلي في أعمال الخزافين العراقيين المعاصرين ، حيث سعى الباحث لجمع المواد العلمية بما يخدم موضوع البحث الذي اشتمل على أربعة فصول وعلى النحو الأتي:-

***الفصل الأول* (الإطار العام للبحث):** احتوى على مشكلة البحث التي طرحت في ضوء التساؤل الأتي: هل باستطاعة الباحث الكشف عن المرجع البيئي الذي اعتمده الخزاف العراقي المعاصر في إبداع أعماله الخزفية اللامالوفه من ناحية الشكل . كما تضمن الفصل الأهمية والأهداف فضلا عن حدوده التي تمثلت بالأعمال الخزفية العراقية المعاصرة للفترة من 1998م الى 2010م ،وتحديد أهم المصطلحات الواردة فيه.

***الفصل الثاني*(الإطار النظري والدراسات السابقة):** اشتمل على مبحثين هما: **المبحث الأول**: ويتفرع إلى محورين أساسيين الأول يتطرق إلى (المرجع البيئي كمفهوم واشتغال) و يبين مفهوم المرجعيات وأنواعها وما المقصود بالبيئة وما طبيعة تأثيرها على الفنون والية الاشتغال . أما المحور الثاني يتناول مفردة (مفهوم اللامالوف الشكلي وآلية الاشتغال) ،حيث يتم البحث في مفهوم المصطلح ومن ثم الولوج من خلاله إلى معرفة اليات الاشتغال داخل العمل الفني .

المبحث الثاني:اللوحة التشكيلية العراقية المعاصرة ،و يتضمن ثلاثة محاور:

1- طبيعة العمل الفني (العناصر و العوالم) .
2- الانساق الشكلانية في اللوحة التشكيلية .
3- البيئة واللامالوف الشكلي في الخزف العراقي المعاصر .

***الفصل الثالث* (اجراءات البحث) :** تضمن منهجية البحث وإجراءاته، وتبيان مجتمع البحث وعينته. والأداة التي تم بواسطتها جمع المعلومات وتحليلها.. وذلك بإجراء تحليل دقيق وشامل لنماذج العينة المنتخبة وفق أسس ومبررات علمية .

***الفصل الرابع*(النتائج والاستنتجات) :** يتضمن النتائج والاستنتاجات التي تم التوصل إليها من خلال عملية التحليل ومن اهم النتائج التي توصل اليها الباحث ما يأتي :

1- تم تحديد المرجع البيئي بثلاثة انواع من المرجعيات البيئية وهي : مرجع البيئة الطبيعية (إنسان, نبات, حيوان , جماد), مرجع البيئة الثقافية (محمولات الفكر والفلسفة والإرث المعرفي والفني) , مرجع البيئة الاجتماعية من عادات وتقاليد وموروث .
2- ابتكار الشكل اللامالوف باعتماد صيغ تجريدية عالية التقنية للخروج بأشكال لها معادلها وتأثيرها البصري الجاذب للانتباه , فضلا عن محمولاتها الفكرية والفلسفية بالاعتماد على البيئة كوسط زاخر بالمفردات.

3- للمرجع البيئي الثقافي ضاغطة الفكري المؤثر في عمل الخزاف وصياغته للأشكال اللامالوفه وجعلها وسيطا ناقلا ومعبرا عن رؤيتها الثقافية بدلاله رمزية.

اما اهم الاستنتاجات فهي:

1- ان الأعمال الخزفية في الخزف العراقي المعاصر خرقت نظم الطبيعة الشكلانية التقليدية الى ما هو خارج عن المالوف في التمثيل الشكلي للأعمال .

2- للمرجع,البيئي سواء طبيعي او اجتماعي او ثقافي سيطرة تظهر من خلال اللامالوف الشكلي وتطويعة بحسب اسلوب الخزاف.

كما تضمن البحث التوصيات والمقترحات والمصادر وملحق الاشكال .

Research Summary

The current study (The Environmental reference for informal nonfiction in contemporary Iraqi ceramics) **represents** an attempt to focus on the environmental compressor as a primary reference In the technical process and its important role in Creativity What is unusual The strange shapes Ceramic , And from here established the subject of research to reveal the nature of the environmental reference to the formal mold in the work of Iraqi cottons contemporary, where the researcher sought to collect scientific materials to serve the subject of the research, which included four chapters and as follows :

Chapter I : Contained the research problem posed in the light of the following question : Can the researcher reveal the environmental reference adopted by the contemporary Iraqi ceramist in creativity His ceramic works are immaculate and in terms of shape. as such The chapter included importance Goals As well as its limits represented by the Iraqi contemporary ceramic works for the period of 199 to 8 p.m. 2010 , and identify the most important terms contained therein.

Chapter II: included MP urged the yen represented the theoretical framework of the current research: -

The first topic : It is divided into two main axes The first deals with (the environmental reference as a concept and work) and shows the concept of references and types and what is meant by the environment and the nature of its impact on the arts and the working state. The second axis deals with a single for informal nonfiction mechanism to engage), where the concept of search term and then through access to the knowledge of the mechanics of engaging in technical work.

The second topic : the Iraqi plastic painting contemporary, and includes three axes : -

1- The nature of the artistic work and its elements .

2- Formal formations in the contemporary Iraqi plastic painting .

3- The environment and the formal malformations in ceramics Contemporary Iraq.

Chapter Three : Research Methodology and Procedures , and Explain the Research Community and its Design. And the tool through which the information was collected and analyzed. This is done by conducting a thorough and comprehensive analysis of the sample of the elected sample based on scientific bases and justifications .

Chapter Four : J ensure that the results do not conclusions that It reached through the analysis process and the most important findings of the researcher following:

1- The environmental reference was determined by three types of environmental references: Reference of the natural environment (man, plant, animal, inanimate), Reference of the cultural environment (thought, philosophy, knowledge and art heritage), Reference of the social environment of customs, traditions and heritage .

2- The creation of the non-verbal form by adopting abstract, high-tech forms to extract its equivalent forms and visual effects, as well as its intellectual and philosophical metaphors based on the environment as a vocabulary-rich medium .

3- The cultural environmental reference is the intellectual pressure exerted in the work of ceramics and its formulations of the infallible forms and to make them a communicator and reflective of its cultural vision symbolically .

The main conclusions are:

1- Ceramic works in contemporary Iraqi ceramics have violated the traditional formalist systems of nature to what is outside the mold in the formal representation of the works.

2- For the reference, the environment, whether natural, social or cultural, the control appears through the formal and nonfiction pattern according to the style of the potter.

K t what within your search The recommendations and the proposals.

الفصل الاول
الاطار العام للبحث
مشكلة البحث :

عند الشروع في انجاز العمل الفني تتراءى في مخيلة الفنان العديد من الصور والتشكيلات التي غالبا ما تمثل البيئة منطلقها الأساسي ,كون البيئة بمختلف أنواعها الطبيعية او العضوية او الاجتماعية او الثقافية تمثل ضاغطا نفسيا وفكريا يدفع الفنان لمحاولة ترجمة تلك الضغوطات والتفاعل معها بما يخدم عمله الفني ويؤسس لتنظيمات شكلية مبتكرة يكون أساسها الفكر الخلاق والمبدع لكل ما هو جديد بفعل عوامل التأثير المختلفة ليست للبيئة فحسب بل لكافة المرجعيات المتنوعة , فغالبا ما يتخذ الفنان من إبداعات ما قبلة نقطة الشروع في أنتاج الجديد من خلال الإضافة المتفردة عليها ليبدع أشكاله التي تكون بمثابة القاموس الذي يعتمد علية في منجزة الفني .

عديدة هي الأعمال الخزفية العراقية المعاصرة التي أنجزت بحسب العودة الى مرجع معين فهناك المرجع التراثي والمرجع الديني او المرجعيات الفكرية , فضلا عن مرجعيات البيئة كأساس في عملية

ابتكار الأعمال الخزفية التي يبرز فيها عامل الإبداع بما يشكل نقطة خروج عن التنظيمات الشكلية وآلياتها السائدة والمتداولة ليتخطاها الى ما هو غير مألوف من الأشكال التي تخرق نظام الشكل وتتلاعب بعناصر وأسس التكوين الفني المعروفة لتكون أعمالا ذات نظم شكلية تعتمد كل ما هو غريب وغير مألوف من التكوينات الشكلانية التي تكون بحد ذاتها غاية الخزاف وهدفه حتى وان ابتعد عن التجسيد الموضوعي او التعبير عن المضامين الفلسفية او الفكرية .لتكون تلك الأعمال عبارة عن تكوينات مشفرة يلعب فيها عنصر الشكل اللامالوف الدور الأكبر في عملية الاستثارة الحسية لدى المتلقي وليجعله يتساءل عن ماهية تلك الأشكال وطبيعة مرجعياتها فيما اذا كانت مستمدة من خيال الفنان او لعلها ذات مرجعيات معينة . من هنا تأسس موضوع البحث في محاولة للكشف عن طبيعة المرجع البيئي للامالوف الشكلي في أعمال الخزافين العراقيين المعاصرين , حيث تم طرح مشكلة البحث عبر السؤال الأتي :- هل يستطيع الباحث الكشف عن المرجع البيئي للامالوف الشكلي في الخزف العراقي المعاصر .

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على البيئة كمرجع مهم قد وظفت مخرجاتها في عملية الإبداع والتجسيد الفني لكل ما هو غير مألوف من ناحية الشكل في الخزف وليكون البحث مرجعا دراسيا لجميع الخزافين والمبدعين في مجال الفنون التشكيلية , في محاولة لإثراء مكتبة الفنون الجميلة ضمن موضوعة اللامالوف الشكلي من الناحيتين النظرية والتطبيقية .

هدف البحث :

يرمي البحث إلى :

الكشف عن المرجع البيئي للامالوف الشكلي في الخزف العراقي المعاصر .

حدود البحث :

تمثلت الحدود الموضوعية للبحث بدراسة المرجع البيئي للامالوف الشكلي في الخزف,اما الحدود المكانية فقد تمثلت بالعراق, في حين تم تحديد الفترة من 1998م الى 2010م كحد زماني للبحث .

تحديد المصطلحات:

المرجع:

لغةً :

المرجع: (رَجَعَ) الشيء بنفسه من باب جَلَسَ و (رَجعَهَ) غيره من باب قَطَعَ وهَذَيْلٌ تقول (أرْجَعهَ) غَيْرهُ بالالف. المرجع) يعني " أن يحكي المتكلم مراجعة في القول ومحاورة في الحديث جرت بينهُ وبين غيرهُ [20].

اصطلاحا:

1- المرجع: هي علاقة بين العلامة وما تشير اليه، والوظيفية المرجعية كلغة هي الوظيفة التي تحيل، على ما نتكلم عنه وعلى موضوعات خارجية عن اللغة ونميز كذلك بين (النظرية المرجعية والنظرية الدالة) [12] .
2- المرجع : الاصول و المصادر الذي يستمد منه الفنان خزينه المعرفي مستندا عليها بأعتبارها القاعدة التي انطلق منها بتفاعل وجدل لبناء وتشكيل بنية ومضمون منجزه الفني[2].

اجرائياً: المرجع :هو المنبع الذي يعتمده الخزاف ويرجع اليه في إبداع أعماله الفنية وصياغتها ضمن انساق شكلانية لها خصوصيتها وطابعها الفرداني.

البيئة:

لغةً : البيئة : (الباءة والبيئة والمبوأ والمباءة) المنزل الحالة يقال (انه حسن البيئة و (البيئة) أيضا الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الإنسان[16] .

اصطلاحاً

1- البيئة : " نظام متكامل يتألف من مجموعة العوامل والعناصر الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية التي تحيط بالانسان ويحيا فيها" [5].

2- البيئة : "مجموعة الأشياء والظواهر المحيطة بالإنسان المؤثرة فيه ، نقول البيئة الطبيعية أو الخارجية والبيئية العضوية، والبيئة الاجتماعية والبيئة الفكرية" [9].
3- عرفها (المعجم الادبي):بأنها "مجموع العوامل المكانية والاجتماعية التي تؤثر في حياة الفرد، وعاطفته وفكره ، وموقعه)[10].

اجرائياً:
البيئة: كل ما يحيط بالفنان من اشياء موجوده في الطبيعة ,و تلقي بآثارها على منجزه التشكيلي .

المرجع البيئي

يعرفه الباحث إجرائيا بما يخدم مسار البحث بأنه:
(كل ما يشكل مصدرا لإلهام الخزاف من أشكال أدمية او نباتية او حيوانية او جماد , فضلا عن الثقافة والمحيط الاجتماعي والفكري ,وتكون نابعة من محيطه ومؤثرة في عمله الفني الخزفي).

2- اللامالوف الشكلي

لغةً:
اللامألوف :هو خرق السنن المالوفة عبر الجديد الذي يعرضه[1].

اصطلاحاً:
1- اللامالوف الشكلي :عرفةد.نجم حيدر بانه: "عملية بناء وابتكار لظواهر جديدة خلال تغيير آلية النظم والعلاقات وابتداع انساق جديدة غير سائده لتحقيق الجذب "[11].
2- اللامالوف الشكلي: " توظيف تقني يتسم بمظهر مغاير للمالوف البصري ومؤديا اهدافا جمالية ودلالية غير مباشره في التوصيل واساس تفعيل القدرات الادراكية لدى المتلقي "[14].

اجرائياً: اللامالوف الشكلي يعرفة الباحث حسب مقتضيات البحث بانه :عملية ابتكار لاشكال خزفية تكون خارجة عن المالوف المتداول , تثير المتلقي وتشد انتباهه ضمن انساق شكلية متفردة تتسم بالغرابة والحداثة في نفس الوقت.

الفصل الثاني (الإطار النظري والدراسات السابقة)

المبحث الأول

1- المرجع البيئي كمفهوم واشتغال.

يمثل المرجع القاعدة الاساسية والمعطى الفكري الذي ينطلق منه الفنان لبلورة رؤيته الفنية وابداع اعماله التي تتلبس بمظاهر متنوعة تكاد لاتمت بصله للاصل الذي اخذت عنه ,ربما الا عند التمحيص والتدقيق فيها نستطيع عندها ان نردها الى مرجعياتها الاولى ,ولا يتم ذلك الا عن طريق الاستعانه بنظريات المرجع التي اخذت على عاتقها ازالة الالتباس .وقد حددت الدراسات الفلسفية ثلاثة نظريات مهمة وهي :1-النظرية الوصفية للمرجع :ويتم بموجبها تحديد المرجع في ضوء الوصف له.2-النظرية السببية للمرجع :التي يعتمد فيها على التسلسل السببي لمجريات الاحداث ,فضلا عما يمكن معرفته من معلومات متراكمة .3-النظرية القصدية للمرجع :وتعتمد آلية التحديد للمغزى والقصد بنوع من الاشارة وليس المباشرة ,لذا يجب معرفة مقاصد الاشياء وما وراءها لتحديد المرجع المعين . في الفنون التشكيلية تحديدا يكون الاعتماد على الحالة البصرية في تشخيص الاشياء وردها الى مرجعياتها ,فطبيعة الاشارة الى الشئ تحدد في ضوء المقاربة ما بين مكوناته الاساسية والتركيز على بنية الاشياء والمقارنة بين العمل الفني والشيء المستقرئ منه, وتعمل مخيلة الفنان على انتاج الاشكال وتحويرها بما يبعدها عن صورتها الواقعية لكي يقدم منجزا فنيا محمل بطاقة الفكر والمشاعر ,وهذا ما يتفرد به الفن التشكيلي كونه يمتاز بمجال واسع من الديناميكية توفره له طبيعة المواد الداخله فيه , فضلا عن القدرة على التلاعب بعناصر وعلاقات التكوين الجمالية .مما يتيح للفنان تحوير معطيات الواقع الى معالجات فنية يكون اساسها الفكر الخلاق [2].

يستشف الباحث ان المرجع ما هو الا عبارة عن مجموعة معطيات تزخر بالتنوع وتكون بمثابة المعين الذي ينهل منه الفنان ويعتمد في صياغة اشكاله ومن ثم بلورة رؤيته الفنية الاسلوبية. ان المرجع باختلاف

مسمياته يرتبط ارتباطا وثيقا بالبيئة المحيطه بالفنان .والتي يكون لها فعل التاثير عليه , فالفنان ابن البيئة واقعا تحت تاثيرها مستمدا اعماله من مكوناتها لاكما هي بل بما يستطيع استلهامه منها من خلال ادراك جوانب الجمال والفكر في عناصرها الزاخرة بالتنوع[7].

ان حالة التاثر والتاثير والسيطرة والتفاعل سواءَ الايجابي او السلبي من قبل الفنان ببيئته هي مسالة مختلف عليها ,هناك عدة نظريات تاسس منهجية التعامل مع هذه الاشكالية , ومنها النظرية الحتمية البيئية التي تشير الى خضوع تام للبيئة والسيطرة المطلقة لها على ذواتنا وأجسامنا وإبداعاتنا.اما النظرية الاختيارية فهي بالضد من النظرية الاولى وتدين بايجابية الفرد كونه يمتلك الارادة الفعالة والقوة والامكانية على التاثير بالبيئة . في حين تذهب النظرية الثالثة نظرية الاحتمالية التوافقية التي يميل الباحث الى مخرجاتها وتشير الى انه لا سيطرة مطلقة لاحد على آخر أي البيئة والفنان وتاكد تلك النظري على دور الانسان والبيئة وتاثير كل منهم على الاخر بتبادلية حيوية بحسب الظرف المهيأ وطبيعة التفاعل والاثر الناتج عنه " فالانسان يستثمر البيئة , والبيئة تعطي الانسان مصادر الحياة بقدر ما يبذله فيها من جهد " ,فالبيئة زاخرة بالهيئات الشكلية والعناصر والتراكيب المتنوعة ,التي غالبا ماتحمل قيم التجسيد والتعبير ,وما على خيال الفنان الا الاستثمار في تلك الهيئات لتحويلها الى اشكال معبره تلبي طموحه في الابتكار والاتيان بالجديد .ولعل البيئة الطبيعية خير مثال على ذلك التاثر والتاثير فاشكال الصخور والحيوانات والنباتات بدت مواضيع لها من الحضور الشيء الكبير في فضاءات العمل الفني ,وقد تم توظيفها ضمن تراكيب شكلية مبتدعة تحمل خطاب الفكر والشعور الانساني في توصيل المعنى [8].

تقسم المرجعيات البيئية الى ما ياتي :-

1- البيئة الطبيعية" هي المكان او المحيط الذي يعيش ويؤثر فيه بكل ما يحمل من صفات طبيعية وفيزيائية ,كمناخ وموارد طبيعية " وتكون لها ارتباطاتها المفاهيمية بعوامل الزمان والمكان لتحديد الهوية المجتمعية من ناحيتي المعيشة والمناخ[4] .وتكون مرجعياته الشكلية منطلقة منها كالنباتات والحيوانات والجماد كالصخور وتراكيبها المتنوعة من خلال التامل والنفاذ الى ما وراء الاشياء للخروج باشكال لامالوفة وهذا ما ساعدت عليه البيئة الطبيعية العراقية من خلال تنوعها وثرائها[8] .
2- البيئة الاجتماعية : تتجسد من حيث اهتمام الفن بالقضايا الاجتماعية ونقلها باسلوب فني جمالي يهدف لتصوير تلك المفردات الاجتماعية ومحاولة طرح المعالجات والحلول لها .كون الفنان جزء من بيئته الاجتماعية وليس بمعزل عنها وهناك عدد من النظم تاثرفي البيئة الاجتماعية كالنظم الدينية والسياسية والاقتصادية .
3- البيئة الثقافية :وتكون ممثلة بالعادات والتقاليد وانماط السلوك والافكار ,وهي تختلف من مجتمع لاخر ,واثرت معطياتها كافة على مجمل المدارس الفنية والفكرية المعاصرة [4].

يمكن القول ان انغماس الفنان ضمن البيئات المختلفة يمكنه من اعادت الصياغات الشكلية الواقعية وتحويلها الى صياغات شكلية مرمزة جديدة وذلك لاعادة تفسير المظاهر الشكلانية الواقعية في البيئة , وايجاد فن اسلوبي يعتمد الخبرة الحسية والاحاطة الكاملة بكافة مفردات البيئة ونظمها .

2-مفهوم اللامالوف الشكلي وألية الاشتغال .

تعتبر السريالية من أولى المدارس الادبية والفنية التي رسخت منهجية اللامالوف ,ويعد النتاج الشعري للشاعر "تازاراورامبو" من أولى المحاولات في تجاوز النسق وتخطي المالوف الى ما هو غير مالوف ,كما يمكن القول ان الفيلسوف "بريشت" هو من ادخل مفاهيمية تجاوز المألوف وكسر القوالب الجاهزة والمتعارف عليها في الفن المعاصر .من خلال نظريته في تغريب المسرح عما هو متوقع ,حيث سعى بقصدية واعية الى ان تؤدي العناصر السمعية والمرئية فعلا مختلفا عما هو معروف ومتداول(مالوف) بغية إعطائها بعدا مضامينيا جديدا يتماشى مع أطروحاته الفكرية ,وقد انسحب ذلك على اغلب الفنون لتحقيق مبدأ الجذب والإثارة للمشاهد . يحقق مبدأ اللامالوف الذي ينتج من تغيير الأشياء المعروفة حاضرا الى أشياء مبهرة يحقق ردة فعل الاندهاش وترسيخ اللا متوقع من اجل الخروج بمدارس وتيارات فنية خلال فترة الحداثة وما بعدها على فرض التواصل والارتباط الفكري بينهما ليكون الناتج بمستويات متقدمة

من اللامالوفية والارتقاء بالمتلقي الى مديات تاويلية غير متوقعة . لقد برزت تداعيات اللامالوف في الفن ضمن فترة الحداثة وما بعدها لاسيما ضمن التيار التفكيكي المثير للجدل في أهدافه ,الذي اتخذ من ترك المألوف مسارا له باليات من التمرد على عناصر العمل الفني وإخراجها عن نظمها التقليدية وإعادة التشكيل بأنساق ونظم محدثة أساسها الابتكار ,بمعنى كسر المألوف والإتيان بما هو غير تقليدي (لامالوف)وإنتاج أشكال غير متداولة لتكون في بؤرة الضوء كأعمال او أشكال لامالوفة تحقق الجذب والاندهاش بواسطة التلاعب بالمادة وابتكار المعالجات التقنية واعادة الصياغة والتركيب لعناصر وعلاقات الشكل الواقعي وتحويله الى أنماط شكلية لامالوفة تنجز مبدأ الخروج عن الواقع[15] .اذ يفهم من ذلك ان اللامالوف ما هو الا كل جديد وغريب عن الواقع باعتماد تقنيات عمل مبتكرة أساسها كسر النظم والعلاقات التقليدية والخروج السافر عنها .

اما الشكل فيوصف بانه الضابط الموجه لمدركات المتلقي وتوجيهه نحو اتجاه محدد في حالة الأعمال التقليدية المفهومه ,كما انه يضم عناصر العمل المختلفة بنسق من النظم والعلاقات الجمالية من اجل بلورة القيمة الحسية والتعبيرية في العمل الفني باطار ما يسمى بالتنظيم الشكلي الذي يرسخ قيم الجمال فيه.فالشكل هو نتاج اندماج عوامل المادة والوظيفة , فضلا عن العوامل النفسية والبيئية [13]. ويتمتع بخاصية الإعادة والتحوير لتكوينه الخارجي تبعا لضرورات تكوين ذلك الشكل الفني وتداوله لموضوع معين ويتجسد ذلك عادة ضمن مخرجات الفنون التجريدية التي غلبت عليها النظم الشكلية وأصبحت هي الغاية المبتغاة وقد تم الانزياح عن المضمون لصالح استقلالية العمل الفني المستقل بذاته بعيدا عن المضمون ,حيث غدت الأولوية للأعمال ذات الصبغة الغرائبية كونها تحمل نظم شكلانية غير مألوفة حتى وان تم ذلك على حساب قيم الجمال الكلاسيكية .

ليس هناك من حتمية معينة للتفريق بين مرجعيات اللامالوف الشكلي سواء انحدر من البيئة او من خيالات الفنان سيما التي توظف الشكلانية الهندسية غير المنتظمة .فهناك تداخلات فكرية وفنية معقدة اذا ما حاولنا وضع قاموس لفهرست مصادر تلك الأشكال ,وقد ارجع الباحثين مصادر الأشكال اللامالوفة الى ثلاثة مصاديق منها : المصدر التجريدي الذي يكون كحصيلة ذهنية وتفاعل لقواعد الفكرة لديه مع معطياته التي يمتلكها وهي غالبا ما تشابه الاشكال الهندسية ,والمصدر الثاني يسمى بالمصدر التمثيلي وتنتج أشكاله من خلال مراقبة الطبيعة والتقاط مشاهدها , اما المصدر الثالث فهو المصدر الحسي " نشا عن الاحتياجات المهنية ,فقد توجد المصادفة شكلا ما للحل العملي الذي يتطلبه استعمال غرض وتفرضه أيضا طبيعته المادية ,ثم يعاد استخدام هذا الشكل لمجرد لذة التزيين " [19] .

يستشف الباحث مما تقدم ان الفنان المبدع لابد لع من توظيف الموجودات لتوسيع قاموسه الشكلي .هناك آليات اشتغال يجب تفعيلها للولوج نحو اللامالوف الشكلي تتمثل بكسر القواعد والنظم والعلاقات للاشكال واعادة الصياغات الفنية باعتماد الخيال الخلاق لتمثيل اشكال فيها من الابداع ما يشكل خرقا لكل السنن ولتعلن كثيمات متفردة تحقق الشد والانتباه ولترسخ وجودها كاشكال ابتكارية لامالوفة.

المبحث الثاني

اللوحة التشكيلية العراقية المعاصرة

أ- طبيعة العمل الفني (العناصر والعوالم) .

ب- الأنساق الشكلانية في اللوحة التشكيلية .

ج - البيئة واللامالوف الشكلي في الخزف العراقي المعاصر .

أ-طبيعة العمل الفني (العناصر والعوالم):

تلعب ذائقة الفنان الجمالية وشعوره المرهف الدور الفعال في عملية الصياغة الفنية والتركيبية للعمل الفني باعتماد عناصر التشكيل من شكل ولون وملمس وفضاء , فضلا عن الخطوط والمساحات والمجسمات في أبداع اشكال متنوعة لاحتواء أفكار الفنان بما ينسجم وما يؤمن به من رؤى اسلوبية ليكيف مكونا ت عمله الفني مع تلك المنهجية التي يعتمدها في مسيرته الإبداعية [17], فطريقة تنظيم وجمع عناصر العمل الفني داخله هي ما يميز عمل عن اخر ,وهي تنبع من الاستجابة والتجربة الذاتية للفنان , فضلا عن القصدية والإرادة التي توجه تلك العناصر واسلوب الاخراج ,بغية تحقيق التكامل في المعاني

التعبيرية والجمالية , فضلا عن المعنى التشبيهي والوظيفي وتحقيق الوحدة في العمل لكي يتمكن المتلقي من ادراك وتحليل وتذوق تلك الاعمال ضمن نظام الجمال وملامسة أحاسيس الجمهور المتلقي [18].

أهم عناصر العمل الفني الخزفي التي لها الدور الأكبر في انجاز الاعمال المتكاملة في شكلها وخاماتها التي ترسخ مبدأ التجانس الشكلي والوظيفي هي :الخط: وهو المكون الرئيسي في العمل التشكيلي وهو الحد الفاصل بين النور والظل والأداة المترجمة لتصورات الفنان ,وفي فن الخزف يوظف لإضفاء طاقة التعبير بحسب نوع وطبيعة الخط ورمزيتة . اللون :يوظف لاغراض دلالية تعزز المضمون التركيبي وتغني الجانب الرمزي عن طريق التنوع في المعالجات التعبيرية وتمنح البعد الجمالي . كما تفعل مهارات الخزاف فعلتها في التحكم بتنوع الوان الطلاءات وطبيعة التكنيك واليات الخزاف وخبرته في توظيف اللون بطبيعتة المالوفة او اللامالوفة من خلال استحداث خلطات اللون والتحكم باليات الحرق .الملمس: هناك الملمس الخشن الذي يمتص الضوء ,وهناك الملمس الأملس العاكس للضوء وهناك الشفاف وجميعها تشكل سمه جمالية للاعمال الخزفية بما تحمله من قوه تعبيرية وتتحقق هذه الملامس في الخزف من خلال " إدخال خامات معدله لخصائص الطينة مثل نشارة الخشب ،الكروك...الخ ,مما يمنح العمل الخزفي خشونة في الملمس او باستخدام ادوات (حادة او مسننه) تؤدي الى احداث تنوع في السطوح ,لانها تترك اثرها على العمل الفني , فضلا عن استخدام انواعا من الزجاج توحي بالخشونة او النعومة في الملمس...يؤدي الى تحقيق رؤيته الإبداعية "[6].

ان مجمل العناصر التشكيلية "التكوين"الواردة الذكر والأخرى جميعها تتحد لتحقيق حالة الانسجام والاندماج لكل الأجزاء وعلى نحو تكاملي لتكون لغة شكلية تجسد وجدان الفنان وتوائم بين مخرجات الفن والواقع والطبيعة في ضوء ما يخلق من تجانس بين كل عناصر العمل الفني بتفاعل ما هو حسي مع العقلي وصولا لمراتب التفرد في ابداع المجز الفني .

تجدر الاشارة الى ان العمل الفني ينتج عن التقاء ثلاثة عوالم تؤدي فعل الشراكة في طبيعة الانتاج للوحدات الشكلانية في الفن وهذه العوالم تتلخص بما ياتي[19]:

- عالم الواقع المرئي :"الذي منه ينطلق ومنه يستعير مواده مهما يكن التبدل الذي يقسرها عليه ", ويكون للمحيط الخارجي فعل الفرض على الفنان بما يوفره من اساسيات العمل المعين وعلى ارض الواقع , فالمعماري على سبيل المثال يزوده الواقع الخارجي بحيثيات المكان والحيز من ناحيتي الاشتغال والاستعمال , بينما الرسام والنحات تتوفر له مساحة من التخيل والاستعارة من الطبيعة شخوصا او ظواهر طبيعية ,انهار او غابات او فضاءات مفتوحة ,
- عالم الصيغة : " أي الضرورات التي تفرضها المادة التي يصنع منها العمل والطريقة التي يصنع بها " ,وهو ما يقوم به الفنان من موائمه لمفردات الطبيعة واخضاعها للقواعد البنائية واسس التنظيم بعملية نقل تقوم على الانطباع البصري , ومن خلال الخطوط بابتكارية الفنان وتبسيط اللون وتوظيف كافة الوسائل الفنية المتاحة لدى الفنان وصولا للصورة او المشهد الذي يامله .
- عالم الخواطر والمشاعر :وتكون منبعا خصبا لابتكار الأشياء اللامالوفه والتعبير عما في النفس وتجسيد الآمال والأفكار ,وهي تتطلب إصرارا ومهارة وإحساس مرهف من قبل الفنان المبدع وتكون نتاجاته اما صادرة عن قصد او دونه فهو يعبر ويبوح عما في دواخله بأمل الكشف عن الجديد وتطويع الخيالات لتعبر عن نوازعه الفكرية والغريزية .

ب-الأنساق الشكلانية في اللوحة التشكيلية :

خطت اللوحة التشكيلية من رسم ونحت وخزف في الفن العراقي المعاصر لنفسها مسارات أبداع *بنسق* من التحولات الجذرية في الرؤى الفنية , فضلا عن الأسلوبية الذاتية للفنان وسعيه للخروج عن النمطية في الصورة التقليدية وتجاوزها الى ما هو غير تقليدي وإبداع انساق شكلانية فيها من اللامالوف الشيء الكثير حد المبالغة في التجريد .فقد حرص الفنان العراقي المعاصر على انتقاء مفردات اعماله في ضوء عوالمه المرئية والصيغية وعوامل الخيال والمشاعر بحيوية وطاقة خلاقة , فظهرت تمثلات عديدة لتجريداته الشكلانية والتي توصف على نحو التشخيص بانها تمثلات تجريدية موروثة وأخرى خالصة , فضلا عن تجريدات كان للرؤية العلامية وضغط المرجعيات والرؤية التدوالية فضلا في انجازها لاسيما في الفترة

المحددة بالتسعينات وما بعدها .ان التجريدات الشكلانية الموروثة في الفن العراقي المعاصر قد ادخل فيها مفردة الحرف ضمن العمل التشكيلي باسلوب محلي يجسد البعدين اللغوي والجمالي بتوظيف هندسي واستعارات حضارية مع الحرص على البعدين الطبيعي والثقافي للحرف العربي الجميل . اما التجريدات الخالصة فقد ظهرت في معظم اعمال فنانينا على هيئات مختلفة , كاشكال هندسية او أسطورية فضلا عن موجودات البيئة التي غالبا ما تعبر عن هوية المجتمع المحلية بإطار من الحداثة والربط بين الواقع وامتدادات الجمال وتمثلاته في أعمالهم الابتكارية . اما التجريدات التي تعود الى الرؤية العلامية للفنان وضغط المرجعيات فقد وظف من خلال الذاكرة البصرية الذاتية والوعي المرئي " ومن ثم راحوا يلتمسون في المكونات الأكثر إيهاما لهذه التجربة الداخلية بعدا جماليا بعيدا عن كل ما يحيط بهذا الواقع في فضاءات خارجية " وقد كان لعامل الهروب من ضغط الواقع وقيوده ان انحاز الفنان الى الأسطورة ومخرجات العزلة الإنسانية ليعطي أشكاله بعدا بنيويا قائم على استثمار الذات بمختلف ادوات التوظيف للقديم والجديد . اما النسق الشكلاني المعتمد على عامل الرؤية التداولية فقد أنتج أشكالا تقترب في انساقها المحلية من النسق السائد والعام في تقبل الأشياء , مما يعد كأحد نقاط التحول العامة بتأثير تحولات الحداثة واشتغالاتها سواءَ الجمالية او الثقافية او الاجتماعية او النفسية , وقد شخصت انساق ذات صياغات توفيقية بين تجسيد الاصاله في العمل الفني من جهة وحداثته من جهة أخرى [4] .

ج-البيئة واللامالوف الشكلي في الخزف العراقي المعاصر .

تمثل العلاقة بين الفنان والبيئة علاقة ترابطية متبادلة فكلاهما يؤثر ويتأثر بالأخر , فالفنان يذوب في محيطة العام يستلهم منه الفكرة والشكل والخبرة في الجمال والصنعة , وتتفتح مداركه الحسية لتكون روابط بينها وبين ما يقدمه من نتاج فني ,والذي تكون معظم مصاديقه متواجدة في محيط الفنان الخارجي أي بيئته ,ولو تاملنا الصياغات والاساليب المختلفة للاشكال الفنية لتاكد لنا مرجعياتها الطبيعية , فضلا عن المدرك الحسي البيئي الذي تصاغ منه الاشكال الفنية .لذا فقد ظهرت العديد من الاساليب والتيارات الفنية منها ما ينادي بالنقل الحرفي من البيئة وتوظيف مفرداتها بأمانة ودون تصرف ,وقد تمردت على ذلك المدارس الحديثة في الفنون ودعت الى تغليب الجانب الحسي والإلهامي في توظيف البيئة ضمن مخرجات فن جديد وإشكال جديدة لا تخضع الا لذائقة الفنان وتصوراته الذهنية وخاصية الإبداع والابتكارية لإنتاج الصياغات الشكلية البعيدة عن المألوف والخارجة عن النمطية[3].

يعد فن الخزف المعاصر وسيلة من وسائل التعبير المهمة كونه قد امتلك أدوات التجسيد والتعبير الفكري والفلسفي بما قدمه من تجارب في الغرائبية الشكلانية واللونية , فضلا عن المضمون ,مما أعطاه زخما في الانزياح عن خانة النفعية الى مجالات التعبير الخلاق واكتشاف قيم الجمال في جوانب البيئة بمسمياتها المختلفة وتقديم كل جديد وغير مالوف وبأنماط شكلية اقل ما توصف به هو اللامالوفية , وقد كسرت الطابع التقليدي للشكل الخزفي .تمثل تجارب الخزافين العراقيين نموذجا عن ذلك حيث سخر الخزاف موجودات البيئة لإنتاج اعمال تحمل مفردات او علامات ورموز البيئة من نبات او حيوان او جماد....بطريقة ابتكارية تقطع كل صله لها بالواقع لتكون تمظهرات بصرية حيوية خارجة عن نطاق المتداول . يمثل الاختزال والتحوير والإضافة مرتكزها الإبداعي لانجاز فعل التخطي لجميع انظمة الشكل المالوفه .واذا ما استعرضنا بعضا من تجارب خزافينا المعاصرين المتميزه والتي وظفت مفردات البيئة في اعمالها نجد تجربة الخزاف الرائد"سعد شاكر " تحتل مكانه مميزه من خلال اشكالها غير النمطية ذات المرجعيات البيئية ,والانتماء لهيئة الشكل البشري كما في الشكل رقم(1), او الحيواني الشكل رقم (2)

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027





شكل رقم 1 **شكل رقم 2**

فهو لم يجرد هنا بشكل سطحي بل تعمق في ذلك بحيث أصبح من الصعوبة معرفة مرجعيات أشكاله وتبويبها الا من خلال التأويل والافتراض ,كونها تعد معادلا داخليا قد تم صياغته بذاتية صرفة مرتكزها التحفيز البيئي وليس المحاكاة . كما شخصت اعمال مقاربة لذلك في التجربة الخزفية للخزاف محمد العريبي الشكل رقم (3) مرجعية عضوية "صخور" ,وكذلك ضمن اعمال الخزاف شنيار عبد الله الشكل رقم (4) المسمى الشظية .





شكل رقم 3 **شكل رقم 4**

كما كان لمرجعيات مثل العادات والموروث القديم والشعبي والتقاليد اثره في ان يكون منطلقا في التجسيد نحو الاستعارات الشكلية وصياغتها بالامالوف شكلي , بمعنى توظيف أنساقها الشكلية والجمالية في أبداع الجديد ما هو غير مالوف شكلانيا كما في اعمال كل من الخزاف ماهر السامرائي الشكل رقم (5) بوابة عشتار , والخزافة سهام السعودي الشكل رقم (6) المسمى بيئة تراثية .





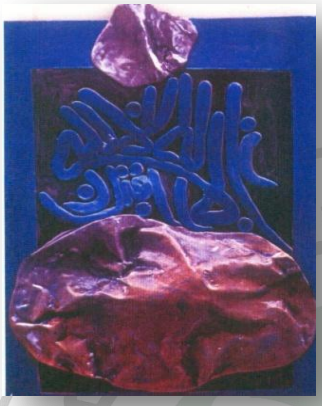
شكل رقم5 شكل رقم 6

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

لقد ركز خزافين آخرين على ادخال الهيئات المبتكرة ببعدها البيئي الثقافي وعمدوا الى اظهارات شكلانية بتراكيب قوية لتحمل أفكارا متعددة ضمن بناء الكتله وإيجاد المساحات اللونية وخلق التناغمات بين جميع العناصر الداخلة في منجزهم الخزفي كما في اعمال الخزاف خالد العبيدي شكل رقم(7) يحمل مرجعيات الثقافة ببعد فكري خلاق, كما جسد الخزاف شنيار عبد الله بعض اعماله بنطاق بيئي يحمل المرمز الإسلامي بامتداد ثقافي من ناحية الرمز اللوني وتوظيف الحرف جماليا كما في الشكل رقم (8) وبإخراج غير تقليدي .

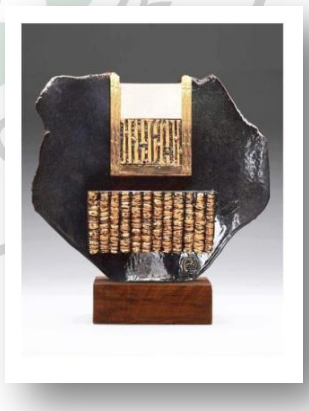


شكل رقم 7



شكل رقم (8)

بعض الخزافين استغل الجانب المهاري التقني لديه في انجاز اعمال عضوية في مرجعياتها تتجه بوصلتها نحو اللامالوف الشكلي كما في الشكل رقم (9) العائد للخزاف قاسم نايف , وفعل فيه نظام الشكل الهندسي غير المنتظم والي أنجز بحرفية عالية .كما ظهر ذلك أيضا في اعمال الخزاف طارق ابراهيم كما في الشكل رقم (10) الذي يحمل من اللامالوفية ما يحيله الى عمل معاصر يتمتع بجمال الخطاب البصري بمضامين الفكر والإثارة الحسية وقابلية التاويل .



شكل رقم 9



شكل رقم 10

ان تنوع اساليب الاستقاء والتوظيف والإنشاءات الشكلية لدى خزافينا , قد جعلت من تجربة الخزف العراقي المعاصر علامة فارقة في مسار الحركة التشكيلية العراقية والعربية عبر خروجها عن نظم الخزف التقليدية وسعيها نحو المعاصرة ومواكبة مسارات الارتقاء نحو قمة الفن الخلاق .

الدراسات السابقة:

بحسب علم الباحث لا توجد دراسات سابقة مطابقة او قريبة في نفس موضوع البحث الحالي والذي ركز على دراسة المرجع البيئي للامالوف الشكلي في الخزف العراقي المعاصر.

مؤشرات الاطار النظري :

لقد افرز البحث المؤشرات الاتية :

1- المرجع هو القاعدة الأساسية والمعطى الفكري الذي ينطلق منه الفنان.
2- الإنسان يستثمر البيئة , والبيئة تعطيه مصادر الحياة بقدر الجهد المبذول.
3- تقسم المرجعيات البيئية الى(الطبيعية,الاجتماعية, الثقافية) .
4- اللامالوف ما هو الا كل جديد وغريب عن الواقع باعتماد تقنيات عمل مبتكرة أساسها كسر النظم والعلاقات التقليدية .
5- أعطيت الأولوية في التذوق للأعمال ذات الصبغة الغريبة كونها تحمل نظم شكلانية غير مألوفة .
6- صنفت مصادر الأشكال اللامالوفة الى ثلاثة أصناف منها : (المصدر التجريدي, مصادر التمثيلي ،المصدر الحسي)
7- حرص الفنان العراقي المعاصر على انتقاء مفردات أعماله في ضوء عوالمه المرئية والصيغية وعوامل الخيال والمشاعر.
8- العناصر التشكيلية "التكوين" تتحد لتحقيق حالة الانسجام والاندماج لكل الأجزاء وعلى نحو تكاملي لتكون لغة شكلية تجسد وجدان الفنان وتوائم بين مخرجات الفن والواقع والطبيعة.
9- ظهرت تمثلات عديدة لتجريدات شكلانية توصف على نحو التشخيص بانها تمثلات تجريدية موروثة وأخرى خالصة ,و تجريدات الرؤية العلامية وضغط المرجعيات وتجريدات ناتجة عن الرؤية التدوالية .
10- توظيف البيئة ضمن مخرجات فن جديد واشكال جديدة لا تخضع الا لذائقة الفنان وتصوراته الذهنية.
11- الغرائبية الشكلانية واللونية , فضلا عن المضمون في الخزف اعطته زخما في الانزياح عن خانة النفعية الى مجالات التعبير.
12- موجودات البيئة أنتجت اعمال تحمل مفردات او علامات ورموز البيئة من نبات او حيوان او جماد.

الفصل الثالث(اجراءات البحث)

منهجية البحث:

اتبع الباحث طريقة التحليل الوصفي التي تهتم بتفتيت البيانات والمعلومات وتنظيمها لغرض الوصول لمبتغى البحث.

مجتمع البحث:

يتحدد مجتمع البحث الحالي بالأعمال الخزفية لمجموعة من الخزافين العراقيين المعاصرين ضمن حدود البحث الحالي من(1998 – 2010م)المحددة بدراسة المرجع البيئي للامالوف الشكلي في الخزف العراقي المعاصر والتي تم تحديد عددها بـ (54) عملا خزفيا .وقد اطلع الباحث على مصورات تلك الأعمال التي عينت كمجتمع للبحث ،وقد أفاد الباحث من المصورات والمصادر والانترنت والكتب والرسائل والاطاريح بما يحقق هدف البحث.

عينة البحث:

قام الباحث بانتقاء نماذج العينة التي بلغ عددها (5) اعمال خزفية بشكل قصدي , فقد اطلعت الباحث على ما متوفر منها بعد ان تم تصنيفها حسب المؤشرات التي توصل اليها من اجل التحليل والمناقشة.وقد تم اعتماد التصنيف البيئي الاتي :-

1) المرجع البيئي الطبيعي
2) المرجع البيئي الاجتماعي
3) المرجع البيئي الثقافي

اداة البحث:

اعتمد الباحث على المؤشرات الموضوعية والجمالية والفنية والتقنية التي خلص اليها الاطار النظري ومؤشراته, فضلا عن اداة الملاحظة .

تحليل نماذج العينة

الأنموذج رقم (1)



الفنان :قاسم نايف	اسم العمل : طائر	سنة الانجاز :1998 م	القياسات:50x 35 سم

الوصف البصري:

عمل خزفي يتمتع بمظهر تجريدي ,يتكون من شكل اشبه بالجزء البشري العلوي من الجسد او ربما هو اشبه بالطائر بجناحين مفتوحين ومستقر على قاعدة سوداء اللون ,فضلا عن الشكل كذلك الذي قد توشح بالسواد الفاحم في معظم سطحه التصويري عدا عن بعض الخطوط العمودية باللون الاحمر واشكال دائرية سوداء برزت على خلفية حمراء .

تحليل العمل :

بقراءة بصرية متأمله لمجمل اعمال الخزاف نرى حرصه الواضح على طبيعة التجسيد واخراج الاشكال بطريقة مغايرة لما هو سائد ومعروف مقارنة باعمال غيره من الخزافين فاللامالوف الشكلي في اعماله قد بدا واضحا من الصياغة والاظهار , فضلا عن مشفرات شكلية ولونية قابله للتاويل والاحتمالية , فمرجعية العمل الشكلانية حددت بمرجع بيئي طبيعي حيواني(شكل الطائر) . لكن لايمكن الجزم بذلك نظرا لتجريدية العمل وخلوه من اي تفاصيل ارشادية يمكن من خلالها تحديد مرجعية الشكل بحزم وثقة , فهناك بعدا تاويلياً اخر حيث يمكن ترجمته على انه يمثل الجزء العلوي من جسد انسان ,وتمثل الفتحه العلوية ذات الفضاء المفتوح تعطي دلالة الراس وباقي العمل يمثل الصدر والاكتاف , وان المعنى التاويلي

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

للمضمون يشير الى انسان قد اتحد فكرة بالسماء من خلال الفضاء المفتوح وان اللون الاسود يدل على حزن ذلك الرجل , اما عرض الصدر واتساع الاكتاف فهو ايحاء بعظمة هذا الشكل البشري مردها الى محاولة ايصال فكرة فلسفية عميقة مفادها ان الحزن كبير لايسكن الا في النفوس الكبيرة لانها وحدها القادرة على استيعابه واحتواء تبعاته وآثاره النفسية العميقة والتي لا تقدر عليها النفوس البسيطة .لذا وفي كلتا المحاولتين في التاويل (الطائر او انسان) فمرجعية العمل تحدد ضمن استقدام لمفردة بيئية من الطبيعة , وقد خضعت للتشكيل والصياغة بنسق فني كايقونة ابتكارية يؤشر عليها حالة التفرد والتجديد والخروج عن التشخيص المالوف الى مديات اللامالوف المفعمة بطاقة التاويل وحمل المضامين المتنوعة وجماليتها في الجذب وشد الانتباه اليها .

الأنموذج رقم (2)



الفنان :ماهر السامرائي	اسم العمل :شلالات الذهب	سنة الانجاز :1999م	القياسات:60 x 35سم القطعه الكبيرة/ 40 x30 سم القطعة الصغيرة

الوصف البصري:

بناء بهيئة معمارية يتكون من شكلين مختلفين في الحجم ,لونهما شذري مزرق ظهر اخدود طولي باللون الذهبي على الشكل ذي الحجم الاكبر اشبه بشلال منحدر ,اما الكتله الاصغر فقد ظهر عيها شقين باللون الاسود عليهما كتابات حروفية باللون الذهبي .

تحليل العمل :

بنائية العمل تتمتع بجذب بصري اساسة المظهر الشكلاني المبتكر , فضلا عن جاذبية اللون ,وجماليته القائمة على مبدأ التضاد بين اللونين الشذري والذهبي الذي يدل على استقدام المرجعية البيئية كونهما اي اللونين الشذري والذهبي يمتلكان بعدا دينيا وقدسيا لارتباطهما بالقباب الاسلامية وزخارف المساجد,وقد اظهر العمل انزياحه التام عن الوظيفية التقليدية نحو الابتكاررية واللامالوف من خلال ما انجزه من جدة الصورة وتأثيرها في خيال المتلقي كاستثارة بصرية .وقد تلاعب الخزاف بمقدرات الشكل نحو صياغة خارج المشهد النمطي لمنظر الشلال ومحاكاته الواقعية لتكون الصورة الجديدة عبارة عن صياغة شكلية غير مالوفة في نسقها الشكلاني ونظامه ,فضلا عن التقنيات الفنية والمهارة في الانجاز باستغلال متقن لجمال التقنيات اللونية وجمال عنصر الملمس الناعم ذات الصفة المظهرية اللامعة .كما اعطت الكتابات الحروفية التي ظهرت ضمن سياق بنية العمل في الكتلة الصغيرة المتقدمة فضلا عن ظهور حروف اخرى بارزه على منحدر الشلالين , حيث زودت تلك التقنية العمل بنقطة جذب وعامل

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

استثارة حسية وذهنية للمتلقي وتاكيد فعل الحركة في مساحة العمل .شكلت العلاقات المدروسة بين عناصر العمل الخزفي للخزاف من شكل غير مالوف ولون وملمس جمالا بنائيا مضافا على هيأته الكتلوية بمظهرها التجريدي .كما ان تجسيد العمل بتلك الهيئة وتكونه من قطعتين منفصلتين قد اعطى سمه حداثويه له وبعدا ياكد حالة اللامالوف الشكلي .وعندما نقوم بالتركيز على مخرجات العمل الشكلية يمكن تثبيت مرجعه البيئي الى مكون البيئة الطبيعية الا وهي مفردة الشلال .والتي صورت بطريقة ابتكارية تبعده عن التمثيل النمطي لهيئة الشلال, مما يحسب للخزاف كعمل ذي طبيعة لامالوفة شكلا وذو مرجعية تنتمي للبيئة الطبيعية .

الأنموذج رقم (3)



الفنان : ساجدة المشايخي	اسم العمل :حرف النون	سنة الانجاز :2000م	القياسات:50 سم

الوصف البصري:

يتالف العمل من كتلتين متفاوتتين في حجمهما , فالاولى ذات الحجم الاكبر ظهرت بانحناء نحو الاعلى مما شكل فضاءاً داخليا مفتوح تموظعت فيه الكتله الاصغر ذات الشكل البيضاوي .الوان العمل ذات جو احتفالي ,وزعت بتقنية لونية قائمة على التنوع المساحي والتجاور المنسجم تارةً والمتناقض تارةً أخرى من خلال تجاور ألوان كالاحمر مع الازرق او الابيض او الاسود وفي مساحات قليلة الاصفر وبحجوم متباينة كان لها بعداً جماليا أساسه التلاعب بالمتجاورات المساحية وقيمة اللون الضوئية .

تحليل العمل :

يحسب العمل على الاعمال التجريدية ذات البعد العلامي وهو قائم على مبدأ احتواء الشكل الكبير للشكل الاصغر ضمن تمثلات العلاقة والنسبية من اجل تاكيد وايصال المضمون , فهو يدل على استلهام الحرف العربي (حرف النون) كمفردة ابداعية انطلاقاً للاشاره لمضامين العمل الثقافية ببعد فكري دال على مرجعيات حرف النون وما يحمله من معاني في الفكر الثقافي الاسلامي , كونه يرتبط بمصاديق الاية القرآنية ((ن والقلم وما يسطرون)) ,لذا يمكن تاويله على انه يحمل الصفة الرمزية المحملة بالبعد الثقافي , والتي من خلالها يتم ايصال مضمون العمل . وقد ابتكر الخزاف هذا التنظيم الشكلي لتكوين حرف النون بطريقة ابداعية مبتكرة خرجت فيها عن الصياغات التقليدية لمفردة الحرف .وقد عمدت الى انشاء فهمها البصري باعتماد آليات الخروج عن النمطية وكسر قواعد الخط العربي المالوفة نحو الشكلانية اللامالوفة

,فنظام الشكل هنا يقوم على التجريد والاتيان بمخرجات شكلانية خارج ما هو مالوف وبالاعتماد على الموائمة لمفردة ثقافية فكرية واخضاعها لبنائية الشكل , وتوظيف عناصر واسس التكوين بنقل بصري مبتكر ومبسط سواءَ في الشكل او اللون وصولاً لانجاز مشهدية العمل الذي تبتغيه الخزافة . يمكن ارجاع العمل الى المرجع البيئة الثقافية التي فعلت فيه عوالم الصيغة الشكلانية اللامالوفة باتحاد مع عوالم الواقع المرئي , فضلا عن تغذية عالم الاحساس والمشاعر لتجسيد فعل الابتكار للمفردة بهيئة غير متداولة مما يعد كعمل شكلاني غير مالوف الصياغة بمرجعيات تدلل على تاثيرات البيئة الثقافية بمحمولات الفكر العقائدي

الأنموذج رقم (4)



الوصف البصري:

الفنان : أكرم ناجي	اسم العمل :رجل وأمرأة	سنة التنفيذ : 2007م	القياسات:30 x25 سم

نحت خزفي يتكون من كتلتين بنظام شكلي غير منتظم ,الكتله الكبيرة ذات اللون الرمادي ظهرت بشكل مخروطي وعلى سطحها تعرجات واخاديد عديده ,كما يعلوها شكل مستطيل باللون الاحمر . اما الكتلة ذات الحجم الاقل فقد انجزت بنفس نظام الشكل غير المنتظم مع امتياز بالمرونه والانحناءات بانجاز جمالي فعلت طبيعة وانسيابية تللك التعرجات . اما الالوان فقد اشتملت على اللون البني المحمر مع بعض اللون الرمادي بقيمه ضوئية فاتحه تعطي مظهراً مبرقشا للشكل . ملمس الكتلتين وخطوطهما العامة تكاد تتشابه في طبيعة صياغة العمل العامة .

تحليل العمل :

القراءة البصرية للعمل تحيلنا الى تشخيص شكلاني لثنائية قطبية الرجل والمراة بفعل المرمزات الضمنية في الكتلتين سواء الاختلاف في حجميهما او طبيعة الانحناءات الظاهرة عليهما , فضلا عن رمزية الالوان التي تتمته بمرجعياتها البيئية بدلالة اللون البني المحمر وارتباطه بالارض , ودلالة اللون الرمادي لارتباطه بالتكوينات الصخرية ضمن البيئة الجبلية .لذا فالمقاربات الشكلية ومظهرية الالوان

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

تنحاز نحو فعل الارتباط بما هو بيئي طبيعي (الارض والجبل) . ان الهيئة الشكلية العامة للعمل خالية من التفاصيل والجزئيات الداله على الفعل التشخيصي للشكل الكلاسيكي لتكوين الرجل او المرأة مما يعد انزياحا عن المنظومة الشكلانية التقليدية وصولاً لاتباع التعبيرية التجريدية ,فالخزاف انجز العمل بطريقة عفوية قصدية بتوجه حسي مفعم بالاحساس بطبيعة التمثيل الشكلاني ,وهذا ما ميز العمل بجدته , فضلا عن كونه ذي صياغة حرة يمكن احالة مرجعياتها الى ضاغط مرجع البيئة الطبيعية لاسيما الصخرية منها , فقد بدت الكتلتين بمظهر شكلاني عضوي غير مالوف في نسقه مما يمكنا من القول ان العمل صور بشكل ايقوني ضمن استعاره بيئية للموجودات العضوية الشكل واعادة التشكيل باعتماد التحوير والاختزال العالي وصولا الى ابعد مديات التجريد , حتى بدت الاشكال بمظهر غير مالوف وخارج نطاق المتداول ومحددة لمرجعياتها التي استعملت من خلاله حيث المرجع البيئي بتكوينة الجبلي وما يضمه من تكوينات صخرية وأخاديد و تموجات جسدت بجمالية مفعمة بطاقة الحركة الفعالة .

الأنموذج رقم (5)



الفنان:خالد العبيدي	اسم العمل:العين شرك	سنة التنفيذ:2010 م	القياسات:35 x25سم

الوصف البصري:

عمل خزفي تم صياغته بهيئة شكلية غير مألوفة عبارة عن مساحات متراكبة ومتداخلة بخطوط ومنحنيات جمالية , فضلا عن تنوع الملمس فيها بين الصقيل والخشن . ظهرت كتابات حروفية عربية وأخرى سومرية بدلالة نهاية الحروف المثلثة الشكل في وسط العمل ضمن شكل دائري . الوان العمل بين اللون الزيتوني واللون القهوائي الغامق .

تحليل العمل :

لقد سعى الخزاف خالد العبيدي غالبا في أعماله الى استلهام البيئة واحداثها , ضمن مخرجات منحوتاته الخزفية , وعمله هذا واحد من تلك الاعمال ,ويوصف العمل على انه عمل ابتكاري أنتجته مخيلة الخزاف باعتماد مرجعية الشكل التجريدي الخالص وقد وظفه برمزية عالية تشير الى هيئة العين البشرية تم اخراجها بنظام شكلي خارج عن المالوف فيه من الغرائبية ما يجعله عملا خارج نطاق الوظيفة التقليدية نحو فعل الانزياح التام عنها لمصافحة الصفة التعبيرية التي اكتسبها العمل من حيث حمله ع وتعبيره عن قيم مجتمعية ذات طابع اجتماعي ديني .ففكرة العمل مستلهمة من مقولة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام ((العين شرك)), وهذا المفهوم يحيلنا الى قضية دينية ذات بعد اجتماعي فغض النظر له ايجابياته

على بناء المجتمع وحفظ العلاقات الطيبة والالتزام بقيمنا الشرقية .لقد جسدت تلك المقولة بهذا النسق التراكبي في مساحاته وملامسه بجمالية وحرص على الاتيان بما هو جديد ومبتكر من ناحية التجسيد المظهري , فضلا عن تسليط الضوء على قضايا اجتماعية من خلال اعتماد اعمال توظف اللامالوف الشكلي فيها ,والذي يمكن تصنيف مرجعيته كاللامالوف شكلي ينحدر عن المرجع البيئي الطبيعي العضوي كجزء من الشكل البشري (العين) والتي جسدت مضمون العمل الاجتماعي المتأثر بالنظام الديني لمجتمع تحكمه القيم الشرقية .

الفصل الرابع(النتائج والاستنتاجات)

النتائج ومناقشتها :

تم تحديد المرجع البيئي في نماذج العينة المختارة بالارتكاز على مخرجات الاطار النظري والتفاعل البصري معها , وقد تم تحديد المرجع البيئي بثلاثة انواع من المرجعيات البيئية وهي : مرجع البيئة الطبيعية (انسان, نبات, حيوان , جماد), مرجع البيئة الثقافية (محمولات الفكر والفلسفة والارث المعرفي والفني) , مرجع البيئة الاجتماعية من عادات وتقاليد وموروث .

لقد نفذت جميع نماذج العينة بطريقة تقوم على ابتكار الشكل اللامالوف باعتماد صيغ تجريدية عالية التقنية للخروج بأشكال لها معادلها وتأثيرها البصري المثير للانتباه , فضلا عن محمولاتها الفكرية والفلسفية بالاعتماد على البيئة كوسط زاخر بالمفردات التي يتم أعادت صياغتها بشكل غير مألوف لتكون وسيطا فكريا وجماليا معبرا عن خلجات الخزاف وإمكاناته الإبداعية في الصياغة الشكلية والتكنيك العام وتقنيات العمل الخزفي من توظيف لطبيعة الخامة وعناصر التكوين المختلفة ,وإخضاع موجودات البيئة لمشيئته كل حسب مرجعه :

1- هناك نماذج من العينة تظهر مرجعيتها للبيئة الطبيعية والتي تعود الى اشكال حيوانات كما في الانموذج رقم (1) الذي يؤشر نظام اللامالوف الشكلي فيه الى هيئة الطائر بالاعتمال على البعد التأويلي في فك شفرة العمل رغم عدم مالوفية الشكل وخروجه عن نمطية التمثيل.
2- اتضح مرجع البيئة الطبيعية في الانموذج رقم (2)في ضوء محددات شكله اللامالوف على انه منظر طبيعي يجسد مظهرية الشلال من خلال انحدار التموجات من مرتفع باسلوب جمالي وظف فيه جمال اللون وجاذبيته .
3- مرجع بيئة طبيعية كمكون ارضي طبيعي كما في الأنموذج رقم (4) , الذي اعتمد على تسخير مكونات الأرض الجبلية بما فيها من أخاديد وتجاويف ومكونات صخرية , فضلا عن اللون البني المحمر والرمادي بقيم ضوئية متباينة مما يعزز حاله المرجع للبيئة الطبيعية ومكوناتها الشكلية واللونية
4- للمرجع البيئي الثقافي ضاغطة الفكري المؤثر في عمل الخزاف وصياغاته للأشكال اللامالوفه وجعلها وسيطا ناقلا ومعبرا عن رؤيته الثقافية بدلاله رمزية كما في الأنموذج رقم (3)حيث تم صياغة حرف النون بطريقة ابتكاريه لإيصال مضمون العمل .
5- التركيبة النفسية للخزاف ونشأته البيئية ضمن وسط معين تتمثل فيه نظم كالدين مثلاً كعامل مؤثر في إنتاجية الخزاف وتوجهاته الفكرية التي تنطلق من واقعه الاجتماعي تجعل من اعماله مرآة عاكسه لذلك الواقع الاجتماعي , كما في الأنموذج رقم (5)الذي اعتمد المرجع البيئي الاجتماعي بضاغطة الفكري العقائدي بفعل تأثير الوازع الديني حيث جسدت المقولة الدينية من خلال الأنموذج الذي صيغ بطريقة خارجة عن التمثيل الواقعي لشكل العين بما يبوب تحت المسمى العضوي الحي للشكل.

الاستنتاجات :

1- الأعمال الخزفية في الخزف العراقي المعاصر خرقت نظم الطبيعة الشكلانية التقليدية الى ما هو خارج عن المألوف في التمثيل الشكلي للأعمال .
2- عقلية الفنان تتأثر بمفردات البيئة مما ينتج عنه أعمال أبداعية بأنساق متنوعة .

3- للوسط البيئي الثقافي والاجتماعي اثره البالغ على اعمال ونفسية الفنان على السواء .
4- هناك وعي وإدراك من الخزاف لما تمثله البيئة من مضامين يمكن بواسطتها إيصال المضمون الى المتلقي
5- للمرجع,البيئي سواء طبيعي او اجتماعي او ثقافي سيطرة تظهر من خلال اللامالوف الشكلي وتطويعة بحسب اسلوب الخزاف.
6- حرص الفنان العراقي المعاصر على انتقاء مفردات أعماله في ضوء عوالمه المرئية والصيغية وعوامل الخيال والمشاعر.
7- امتازت الأعمال الخزفية العراقية المعاصرة بتحقيق مبدأ الانزياح عن الوظيفة التقليدية للخزف نحو قيم المعاصرة والجمال الفني في ضوء ما ابدعه الخزاف من ابتكارات شكلية غير مالوفة اغلبها ذات مرجعيات بيئية, بمعنى ان للبيئة الثقل الاكبر والمساحة الاعظم في التمثيل
8- **التوصيات :**
1- إصدار مطبوعات مصورة، تشمل كتب ومجلات دورية تسلط فيها الأضواء على المنتج الإبداعي للامالوف الشكلي للخزف المعاصرة ، بغية توفير مساحة اوسع للدارسين للاطلاع عليها، ومن ثم الاستفادة منها .
2- إطلاع دارسي الفن لما وصلت إليه المدارس الحديثة لدراسة وتوفير فرصة علمية ومستلزمات تطبيقية لتوظيفها في الخزف العراقي المعاصر

المقترحات :
1- دراسة البيئة العضوية وانعكاساتها في الخزف المعاصر.
2- دراسة اللامالوف الشكلي وآلية اشتغاله في الخزف الكوري .

الهوامش:

1- ابو هنطش , م . (2000م) ,مبادئ التصميم ,ط3,عمان: دار البركه للنشر والتوزيع ,ص 36 .
2- البيضاني,ف. (2010م) المرجعيات الفكرية والاجتماعية في الرسم العراقي المعاصر. جامعة البصرة/ كلية الفنون الجميلة/ الفنون التشكيلية / رسم , (رسالة ماجستير غير منشورة) ص5-16.
3- ثجيل,ع , خضير, أ .(2008) ,اثر البيئة في الفن العراقي المعاصر ,بغداد /كلية الفنون الجميلة –قسم التربية الفنية , ص 6-7 .
4- حنون , ز . (2010م) المضمون البيئي في الرسم العراقي المعاصر, جامعة البصرة, كلية الفنون الجميلة/ الفنون التشكيلية / رسم, , (رسالة ماجستير غير منشورة), ص 40-84 .
5- الخطاط , س. (1990م) , الفن البيئي ,الموصل : دار الحكمة للطباعة والنشر,ص 21 .
6- الخفاف, أ. (2008م),السمات الجمالية للتركيب الشكلي في الخزف العراقي المعاصر ، جامعة بغداد ,كلية الفنون ا لجميلة ، ،(رسالة ماجستير غير منشورة) ص 27-33 .
7- السامرائي ,أ. (2006م) ,التطور الأسلوبي في رسومات الفنان سعد الطائي ,سلسلة رسائل جامعية , ط1,بغداد :دار الشؤون الثقافية العامة ,ص 82-84.
8- السعدي ,أ,العابدي ,ر.(2015م) ,تمثلات البيئة في الخزف العراقي المعاصر,مجلة جامعة بابل ,العلوم الإنسانية ,المجلد23/العدد3,لسنة , ص 1429-1431.
9- صليبا ,ج .(1982) المعجم الفلسفي،ج2، بيروت :دار الكتاب اللبناني، ص 220-221 .

10- عبد النور،ج. (1979 م)،المعجم الأدبي ، ط4, بيروت: دار العلم للملايين ، ص 54 .
11- عبد حيدر , ن .(1996م) , التحليل والتركيب في اللوحة العراقية المعاصرة ,جامعة بغداد,كلية الفنون الجميلة /رسم , , (اطروحة دكتوراه غير منشورة) , ص 36 .
12- العبيدي ,م .(2004), التحول الدلالي في النحت العراقي المعاصر بين المفهوم والبيئة ، كلية الفنون ا لجميلة ، جامعة بغداد، ، ،(رسالة ماجستير غير منشورة) ,ص 97 .
13- لفته ,ه .(2015),اللامالوف الشكلي ودوره في تعزيز الخطاب الاتصالي للمنجز الطباعي , مجلة كلية التربية الأساسية , المجلد 21/ العدد91, ص 228.
14- محمد ,د . (2010م)ماهية النظام الكامن في فعل التصميم للإعلانات التجارية , جامعة بغداد , كلية الفنون ا لجميلة ، ،(رسالة ماجستير غير منشورة) ص 4.
15- محمود,ح .(2016م)اللامالوف الشكلي ودوره في أثراء الخطاب الاتصالي لتصاميم الأقمشة النسائية , ,كلية الفنون الجميلة /جامعة بغداد مجلة الأكاديمي,العدد 81 لسنة، ص 212-214.
16- منجد الطلاب,(1986م) ,ط21, بيروت : دار المشرق,ص 48 .
17- مونرو ,ت . (1972م)التطور في الفنون , ج2, ت: عبد العزيز جاويد وآخرون , مصر: القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ص 43 .
18- نوبلر , ن .(1992م), حوار الرؤية ,ط1 ,ت: فخري خليل ,مراجعة :جبرا إبراهيم جبرا ,بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ,ص 97-98 .
19- هوينغ, ر . (1978م), الفن تأويله وسبيله, الجزء الاول ، ت: صلاح برمدا ,دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي ,ص 30-36 .
20- وهبه ,م المهندس, ك .(1979م)معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ,لبنان :بيروت ,ص 5 .

المصادر

1- ابو هنطش , م . (2000م) ,مبادئ التصميم ,ط3,عمان: دار البركه للنشر والتوزيع .
2- البيضاني,ف. (2010م) المرجعيات الفكرية والاجتماعية في الرسم العراقي المعاصر. جامعة البصرة/ كلية الفنون الجميلة/ الفنون التشكيلية / رسم , (رسالة ماجستير غير منشورة) .
3- ثجيل,ع , خضير ,أ .(2008) ,اثر البيئة في الفن العراقي المعاصر ,بغداد /كلية الفنون الجميلة –قسم التربية الفنية .
4- حنون , ز . (2010م) المضمون البيئي في الرسم العراقي المعاصر, جامعة البصرة, كلية الفنون الجميلة/ الفنون التشكيلية / رسم, , (رسالة ماجستير غير منشورة) .
5- الخطاط , س. (1990م) , الفن البيئي ,الموصل : دار الحكمة للطباعة والنشر .
6- الخفاف, أ. (2008م),السمات الجمالية للتركيب الشكلي في الخزف العراقي المعاصر ، جامعة بغداد ,كلية الفنون ا لجميلة ، ،(رسالة ماجستير غير منشورة) .
7- السامرائي ,أ. (2006م) ,التطور الأسلوبي في رسومات الفنان سعد الطائي ,سلسلة رسائل جامعية , ط1,بغداد :دار الشؤون الثقافية العامة .
8- السعدي ,أ,العابدي ,ر.(2015م) ,تمثلات البيئة في الخزف العراقي المعاصر,مجلة جامعة بابل ,العلوم الإنسانية ,المجلد23/العدد3,لسنة .
9- صليبا ,ج .(1982) المعجم الفلسفي،ج2، بيروت :دار الكتاب اللبناني .

10- عبد النور،ج. (1979 م)،المعجم الأدبي ، ط4, بيروت: دار العلم للملايين.
11- عبد حيدر , ن .(1996م) , التحليل والتركيب في اللوحة العراقية المعاصرة ,جامعة بغداد,كلية الفنون الجميلة /رسم , , (اطروحة دكتوراه غير منشورة) .
12- العبيدي ,م .(2004), التحول الدلالي في النحت العراقي المعاصر بين المفهوم والبيئة ، كلية الفنون ا لجميلة ، جامعة بغداد، ، ،(رسالة ماجستير غير منشورة) .
13- لفته ,ه .(2015),اللامالوف الشكلي ودوره في تعزيز الخطاب الاتصالي للمنجز الطباعي , مجلة كلية التربية الأساسية , المجلد 21/ العدد91 .
14- محمد ,د . (2010م)ماهية النظام الكامن في فعل التصميم للإعلانات التجارية , جامعة بغداد , كلية الفنون ا لجميلة ، ،(رسالة ماجستير غير منشورة) .
15- محمود,ح .(2016م)اللامالوف الشكلي ودوره في أثراء الخطاب الاتصالي لتصاميم الأقمشة النسائية , ,كلية الفنون الجميلة /جامعة بغداد مجلة الأكاديمي,العدد 81 لسنة .
16- منجد الطلاب,(1986م) ,ط21, بيروت : دار المشرق .
17- مونرو ,ت . (1972م)التطور في الفنون , ج2, ت: عبد العزيز جاويد وآخرون , مصر: القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب .
18- نوبلر , ن .(1992م), حوار الرؤية ,ط1 ,ت: فخري خليل ,مراجعة :جبرا إبراهيم جبرا ,بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
19- هوينغ, ر . (1978م), الفن تأويله وسبيله, الجزء الاول ، ت: صلاح برمدا ,دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي
20- وهبه ,م المهندس, ك .(1979م)معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ,لبنان :بيروت .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

العنف العاطفي والنفسي في الشعر العباسي

أ. د. عبدالحسين عبدالرضا العَمري
abdulhusseinalomari@utq.edu.iq
إكرام علي فليفل
Art21arphd1@utq.edu.iq

جامعة ذي قار / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

الملخص:
يبدو أن قاعدة عدم الثبات طالت قضايا الحياة وموضوعاتها، إذ لم يسلم منها حتى الجانب العاطفي كما سنلاحظ؛ لأن موضوعة الغزل وكما علمنا هو بوح الروح صوب مَن تُحب، فخطاب المحبوب لابد أن يكون خطاباً شفافاً ناعماً يعكس خبايا العالم الداخلي بألطف عبارات الحب والاعجاب مراعياً في ذلك نفسية المحبوب "المرأة" إذ ((يقال في الإنسان إنه إذا غزل إذاً كان مشكلاً بالصورة التي تليق بالنساء وتجانس موافقاتهن لحاجته إلى الوجه الذي يجذبهن إلى أن يملن إليه والذي يميلهن إليه وهو الشمائل الحلوة، والمعاطف الظريفة، والحركات اللطيفة، والكلام المستعذب، والمزاح المستغرب))[1]، فلم يُعد الغزل المعهود بل أصبح غزلا خشناً معبأ بألفاظ القتل، والحرب، والدم.
الكلمات المفتاحية: (العنف، العاطفي، النفسي، الشعر العباسي).

الغزل العنيف في الشعر العباسي

ما يطالعنا ها هنا وتحت عنوان هذه المفردة أن الغزل بدا عنيفاً؛ لأن الشاعر يعمد إلى ترك خطاب العاشقين وتلويث نصه الشفاف بلغة العنف البغيض، ما يعكس عدم التناسب بين العنوان والمضمون (الغزل والعنف)؛ فالشاعر بات يغرف لمنجزه الغزلي ألفاظاً ليس من معجم الغزل الشعري المتعارف عليه، فحديث العشق بات حديثاً ينماز بخشونة التعبير البعيد كل البعد عن رقة الغزل المعهود، بل يمكن القول إن الغزل أصبح منفذاً للتعبير عن فروسية الشاعر، وضراوته، وبسالته أمام محبوبته، إذ ((إن اعتداد الفارس بشجاعته وفخره بنفسه وثقته بها لا يعرف الحد، وقد يرى أن هذه الشجاعة والثقة قد تنتقل من جسده إلى كل شيء يلمسه ويملكه))[2]،ولعلهم يرون في هذا أمرٌ حسن؛ لأنهم يجعلون مكانة المرأة ترتفع إلى مصافي بطولاتهم، وهذا كله أدى إلى تشظي عنصر المرأة بمعنى أن المرأة صيَّرها الشاعر بمثابة وعاءٍ يفرغ فيه مكبوتاته النفسية وطموحاته الذاتية، وأحياناً يعبر بأدوات العنف عن وصفه لمحبوبته مستعيناً بذلك(بصليل السيف، وصرير الرمح، ومضرجة الدم،...) وكأننا ليس في محل عشقٍ، وولهٍ، وهيام بل في محل اثبات للذات، فاندمجت بذلك لغة الحب بالعنف إلى درجة يصعب التفريق بينهما، فهذا شاعر عصر العباسي الأول **"أبو نواس"**(ت146هـ) الذي يدمج الحب بالعنف ويجعل من نظرات المحبوبة التي كانت بمثابة لغة ناطقة تفصح عن خبايا العشق المهيمن على مكامن الروح التي تجلت في المدونة الشعرية إلى لغة العنف وأدواته القتالية المتمثلة بـ (السهام) حين يقول:

أصبحت بالهوى سهامُ المنايا قاصـــــــداتٍ إليَّ من عينيك[3]

لو تأملنا طبيعة البوح نجده خطاباً عشقياً وهذا واضح من لفظة (الهوى) فالشاعر في محل تفريع جواني، وتعبير روحي، وبوح وجداني لكنه صيغ بعيداً عن لغة العشاق؛ لأن عيون الحبيبة دائما ما كانت تترك اهتزازت نفسية بفعل طرفها الساجي الفاتر، والعيون الكحيلة الجميلة، ولمعانها الخلاب وكل ما تتركه من

اهتمامات نفسية ووثبات عاطفية، لكن الشاعر طعّم كل ذلك بلغة عنفية وأدخل السهام المقرونة بالمنايا في خطابه العشقي، ليضحي بذلك غزلاً عنيفاً خلق به جواً مخالفاً لسياق الغزل النفسي الشفاف.

أما الشاعر **"راشد بن اسحاق"**[4] (ت240هـ) نجده في بوحٍ عاطفي مغلف بخطاب عنفي واضح عن طريق مؤولات نصية تكشف عن تفاعلات اللاوعي ونفثاته الحارة صوب المحبوبة، بحسب تعامل الشعراء مع المرأة فكرياً وتجسيدها شعرياً حين يقول:

غزالٌ شجاني فاترُ الطرفِ أحورُ يصيدُ بعينيه القلـــــوبَ ويسخرُ
إذا ما رمتنِي مقلتَاه بلحـــــظةٍ تذكَّرتُ فضلاً حـــين تسمو وتنظرُ
....
سأصبرُ حتى يحكمُ اللهُ بيـــــنَنا فأُدرك ثأري أو أمـــــوتُ فأعذرُ[5]

لغة الرماية، والثأر، والموت تجتاح النص العشقي الغزلي فيلونه بلغة العنف فيغير أهواء البوح الشفاف، فغزال الشاعر(المحبوبة) بالرغم من أنها ذات نظرة عشقية تذيب القلب بفعل مؤثراتها المعنوية وبواعثها المادية التي تجسد حرارة العاطفة المتولدة، إلا أنه أدخلها مدخلاً لغوياً آخر مستعيناً بالمعجم الشعري العنفي، فكسى نصه وشاح العنف الفكري ومصادرة الإضاءات المميزة للمرأة المتغزَّل بها، فجعل النص بمثابة حلبة صراع ينتظر فيها الشاعر الموقف الحاسم له إما الثأر وإما الموت، فيبتعد كل البعد عن اسلوب الغزل الرقيق، ليضحي غزلاً يدور في نطاق الصراع، والمرارة، والانتظار، والانتقام، وبعدها الزوال التام.

ونجد الغزل العنيف عند الشاعر **"ابن المعتز"** (ت296هـ) عندما يدخل في غزله ألفاظ تدل على القوة، والقسوة، والوقع الجسيم حين يقول:

قد شكا الوعدُ منك حبساً طويلا فاحللي عنه يا شريرَ الصـــفادا[6]
أنت لا تحسنين وعـــــدُك هذا كل من شاءَ اخـــــلفَ الميعادا
ليس كل العشاقِ صـــــبا[7]**ولكن ذا حساما يقطعُ الأكبـــــــادا**[8]

قائل النص بدا ملتاعاً شاكياً متذمراً في خطابه الغزلي، وكأنه اتخذ منه متنفساً لتفريغ ما استفحل في عالمه الداخلي من القهر المضني المتولد من جفاء محبوبته وخذلانها إياه، حتى أنه شبهها بـ (الصفادا) تشبيهاً لم يأت من فراغ؛ بل من مكابدته لمعاناة الجفاء والمماطلة، كل هذا دعاه إلى الخطاب المباشر لها بلغة تعكس جانبه العنفي هو، وكأنه تعرض إلى عنف الحب من الآخر هذا ما حتّم عليه أن يستعين بالمعجم العنفي في وصف حبه في قوله: (ذا حساما يقطع الأكبادا)، في محل لا بد أنه يفوح بالحس الأنثوي والحب الطافح بالأنس، والطمأنينة، والسكينة، وكل ما تملكه من سحر الأنوثة، لكن شوّه كل تلك المعاني بجعل الحب كالسيف الحاز للأكباد في شكوى غزلية عنيفة.

على حين نجد الشاعر **"الخبز أرزي"** (ت317هـ) في معركة غزلية وكأننا بين فارس وغريم في صراعٍ مستديم مولداً إصابات عشقية جارحة كما نلاحظ في قوله:

فوالله ماهز الرماحُ بمقلتـــــــــي بأروع لي من هز معتدلِ الـــــــقد
وان ارتكاضَ الشوقِ في حلبةِ الـــحشا لأهولُ من ركضِ المسوّمةِ الـــــجرد
ولحظُ عيون العين أمضى مضـــــــاربا وأتلفُ للأرواحِ من قُضبِ الـــــــهند
وأنفذُ من وقعِ السهام : تغـــــــازلٌ على القرب أو حسن الإشارة من بعـــد
سهامُ الهوى تَهوى إلى باطنِ الحـــشا وتردي لكن لا تؤثر على الجـــــــلد
عجبتُ من الطرفِ المكحلِ أنَّـــــــــه يشخُطُنِي بالسيف والسيفُ في الغـــمد
فلو أنني في غمرتي حربُ داحـــــــسٍ وحربُ بسوسٍ كان دون الذي عـــــندي[9]

يقابل قائل النص بين العنف والحب فيجتر من معجميهما مفردات نصية يتحف بها منجزه النصي، فيشوه معالم البوح الغزلي على ما أرى، وهو في كل ذلك يعكس ملامح الواقع الاجتماعي المليء بالأحداث العنيفة إذ أن إدراك الجسم الإنساني والسلوك المرتبط به كليهما يمكن النظر إليهما في ضوء البناء الإجتماعي السائد في مجتمع معين))[10]، فنجد في هذا البوح تلويناً شعورياً في مكامن الأنا الشاعرة، فباستكناه معاني النص نلحظ أن الغزل أضحى غزلاً عنيفاً؛ فهز الرماح بات معادلاً موضوعياً لهز القد،

في صورة اندماجية نقلها لنا من مخزونه الثقافي حول الحرب وما شاكل ذلك ليقولب ذلك الوقع العشقي وأثره العميق عليه، فالشاعر يظهر لنا عاشق ومحب لمنظر الرماح الحربية ثم يتماهى بين وقع رماح (الحرب والحب) وإن زاد الثاني على الأول وفقاً لقوله: (...بأروع لي من هز معتدل القد) وهو هاهنا يؤطر الغزل الرقيق بإطار العنف البغيض، ثم يقارن في موضعٍ آخر بين ارتكاض الشوق وركض المسومة في قوله:

وان ارتكاض الشوق في حلبة الـــحشا لأهول من ركض المسوّمة الـــــجرد

مؤولات عنفية زاحمت البوح العشقي في قوله هذا، فمؤولات النص (ارتكاض، حلبة، أهول، ركض المسومة الجرد) تكشف عن واقع عنيف فلفظة "ارتكاض" تنطوي على مخازن عنفية؛ لأنها لا تنتمي إلى المعجم الغزلي، إذ أنها توحي بالسرعة المفرطة، والقوة الحامقة، والرغبة العاتية، لفظة عنفية بامتياز لآنها قرينة الجري السريع للخيول العربية، وهذا ما قابله في قوله: (لأهول من ركض المسوّمة الجرد)، ولا تقل لفظة (الحلبة) من دلالات العنف لأنها توحي مباشرة إلى مكان للصراع، والتنازع، والاعتراك، والربح، والخسارة وهذا كله بعيد عن خطاب الروح الشفاف الذي يحمل ايحاءات العشق، والسكينة، والطمأنية، والمأوى الروحي ..، ويستمر حديث الروح باسلوب مغاير لرقته كما نلاحظ في قوله:

ولحظ عيون العين أمضى مضـــــارباً وأتلف للأرواح من قُضب الـــــــهند
وأنفذ من وقع السهام : تغـــــــازلٌ على القرب أو حسن الإشارة من بعـــد
سهام الهوى تهوى الى باطن الحـــشا وتردي لكن لا تؤثر على الجـــــــلد

مما لا شك أن الحب له أثرٌ مضني على المحب وخاصة في لحظات الفراق، والبعد، والخصام ،والشوق، واللقاء كذلك، لكن ما يستوقفنا فعلاً هو حالة التزاوج المعجمي بين العنف والحب، ففي ألفاظ النص ما يشير علانيةً إلى ذلك فـ (أمضى مضارباً، قضب الهند، وقع السهام، سهام الهوى) عمدت بها فالذات الشاعرة إلى خلق واقع آخر لما هو متعارف عليه صنعه من معطياته الشعورية ومن لغة الحرب الذي اتخذه طريقاً للصبابة، وكأننا أمام شاعر فارس لأن ((اجتماع الغزل والفروسية أو الحب والحرب ظاهرة من ظواهر شعر الفرسان))[11]، فمشاهد الغزل اصطبغت بمنظر السيوف والسهام، حتى بات التعبير خشناً خالياً من الرقة المعهودة، فباتت المرأة موضوعاً مفتعلاً في مضمون الغزل؛ لأننا أمام شاعر يتغنى بألفاظ الحرب ووقائعها المدوية ثم يضيف هذا إلى المرأة المحبوبة، ليكون نصاً غزليا موشحاً بوشاح العنف فيكتسب صفة الغزل العنيف منه.

أما الشاعر **"أبو الطيب المتنبي"** (ت354هـ) فنجد أن الفاظ العنف وأركانه زاخرة كثيراً في ديوانه كل هذا يبعث في نفسه ((صفة العظمة ومعنى القوة في شخصه، لأنها كانت تعداداً لمظاهر القوة التي تؤدي إلى الشجاعة والإقدام عند والمرتبطة برموز لها متعددة تتجسم بالسيف والرمح والفرس ...))[12]، إذ يقول:

كم قتيلٍ كما قتلت شهـــيد ببياض الطلا وورود الخدود
وعيونٍ المها ولا عيـــون فتكت بالمتيم المعمـــــود
....
راميات بأسهم ريشُها الهد بِ تــشقُ القلوبَ قبل الجلودِ
يرتَشِفنَ من فمي رشــفات هنَّ فيه أحلى من التوحـــيد[13]

من المعلوم أن غزل المتنبي ليس كغيره من الشعراء إذ أن ((غزله لا يأتي منفصلاً عن ملحمة حياته المتعالية التي تتعلق بأوهام لا سبيل لتحقيقها، فهو غزل نفسي أدمتها أوجاع الطموح إلى المستحيل... لذا جاء شعره في الغزل في مستوى شعره نفسه في الحرب والحكمة والشكوى والفراق والفخر))[14]، فالنسق العنفي متوارى خلف الغزل العشقي الجميل إذ ((الحيلة الجمالية التي من تحتها يجري تمرير أخطر الأنساق وأشدها تحكماً فينا))[15]، فهو عندما يطعم نصه الغزلي بألفاظ العنف (قتيل، قتلت، شهيد، فتكت، راميات، أسهم، تشق) انّما يعكس حياته الحربية، والتعالي النفسي، والنرجسية المتضخمة لديه ولا سيما في قوله: (يرتشفن من فمي...) فهنا شكّلت المرأة مكملاً للفروسية لديه و((تكاد تكون صورتها في مفهومه قد تحولت من صورة المرأة المادة إلى صورة المرأة الفكرة))[16]، فأكتسى الغزل لديه طابع العنف حسب معطيات البوح أعلاه.

أما الشاعر **"عبد الرحمن بن محمد بن دوست"**(ت431هـ) في ثنائية قولية بينه وبين معشوقته كان لابد أن تطرز بمعاني العشق الرقيق لكن يمنحها بعداً آخر عن طريق اختيار ألفاظ العنف كما في قوله:

وشادنٌ قلـــتُ له هل لك في المنادمه
فقـال : كم عاشقٍ سفكتُ بالمنى دمــه[17]

ترسبت ألفاظ العنف إلى النص الغزلي والحوارية العشقية ، فالنص الشعري تعبيرا عنفياً واضحاً من حيث اللغة عن طريق استثمار دلالة (السفك، والدم) في نصه، لذلك يمكن القول أن القفز الدلالي من السياق الغزلي إلى العنفي تجعل من اللغة حاملة لأنساق تعبيرية، فالعنف طغى على الحوار الروحي الذي استهوى المنادمة وما يتخللها من لطافة الحديث، وحسن اللقاء، ورهافة الحس ليصطبغ ذلك كله بصلب الحبيب وسفك الدماء لنخرج بذلك من الغزل الرقيق إلى العنف الوعر.

أما الشاعر **"الايبوردي"**(ت507هـ) يجتر من لغة العنف والمعجم الحربي بالذات ألفاظاً يبثها فيدمج الرقيق بالعنيف على ما نلاحظ قوله:

فبتّ أشكو هواها وهو مُرتفقٌ[18] **يشوُقُه البرقُ نجدياً إذا ومضا**
تبدو لوامعه كالسيف مختضباً شباه بالدم أو كالعرق إن نبضا[19]

فـ (البرق، ومضا، السيف، مختضباً، الدم) مفردات من المعجم العنفي عجَّ بها المنجز النصي، عمدت الذات الشاعرة إلى استثمار دلالتها في موقف غزلي يصور لوعة ومرارة الشوق فيها، فبهذا كشف عن القدرة الفنية لها في استلهام المعاني المؤدية في عوالم النص المنتج، لأن الكلمة في حال توظيفها تصبح مركزاً لإشعاعات ايحائية في السياق الشعري[20]، فالكلمات الموظفة أعلاه بالرغم من الإجادة في ترجمة شوقه إلّا أنه عبّر بلغة العنف والقسوة تاركاً التعبير عن فعائل الشوق ولياليه الطويلة وتأوهات الليل المضنية، وراح يوظف لوحات عنفية مصطبغة بالدماء ووميض السيوف ليجعل من الغزل غزلاً عنيفاً لا محال.

على حين نجد الشاعر **"عبد الرحيم بن شيث"**[21](ت625هـ) قد عمد مثل غيره إلى إصباغ غزله بصبغة العنف وصوره الدموية الملتهبة حين يقول:

وسهامُ اللحاظِ قد فوَّقـــــتْ لي فلها كلما رمقـــــــــتُ مروقُ
لستُ أدري إذ ضرّم اللثـم وجدي أ حريقٌ رشفتُه أم رحـــــــــيق
ليدعني أهل الرشاد وشـــــأني ليس يدري ما بالأســـير الطليق[22]

استحضر المبدع من ثقافته العنفية تلك الألفاظ التي غطت الجانب الغزلي في منجزه النصي والانتفاع من دلالتها لبث العنف فيه ليصبح غزلاً عنيفاً واضحاً، ففي قوله:(سهام اللحاظ، ضرّم، أ حريقٌ، الأسير) كلها ألفاظ تعبيرية خشنة لا تنتمي لرقة الغزل الشعري لتكوّن معطى تنافذياً بعث تلك الدلالة العنفية لتؤدي دورها خدمة لتجربته الغزلية العنيفة إذ ((الشعر العربي يكاد يغترف من ينبوع واحد هو الحرب ومقتضياتها، وما يترتب عليها))[23].

الاغتراب العاطفي

الاغتراب لغةً : جاء في بطون المعاجم أنَّ ((لفظ "الغرْب" بمعنى الذهاب والتخفي عن الناس، وترد الغربة والغرب بمعنى النوى والبعد، يقال غرَّب فلان في الأرض إذا أمعن فيها ورجل غريب ليس من القوم، والغريب الغامض من الكلام))[24]، وجاء بمعنى: الاختلاف والمغايرة لما هو سائد, والانسلاخ عن المجتمع وإيثار العزلة, يُقال((اغترب فلان إذا تزوج من غير أقاربه))[25].

إن الاغتراب ظاهرة اجتماعية تتشابك في نسيج الحياة العامة، وتترامى أبعادها في مناحي الحياة على اختلاف مستوياتها، وهو غالباً ما يكون نتيجة لسلوك قمعي لذلك يتداخل مع مفهوم العنف ويتعانق معه؛ لما فيه من ممارسات الاستلاب، والقهر، والجبر، والاضطهاد، والاكراه[26].فتتجسد موضوعة البحث- الاغتراب العاطفي بواقعه العنفي- في كون أن التجربة العاطفية دائماً مخاض صراع داخلي بين الجسد والروح أو صراع خارجي بين العاشق والمجتمع المحكوم بالعادات والتقاليد، والحواجز، والقيود التي تعمل على تدمير رغباته، وتشتيت أفكاره، وقتل حلمه فيعمل كل ذلك على بث زفرات وشحنات تعمل على تأجيج الصراع الداخلي، فالاغتراب العاطفي المتولد جرّاء ذلك يكون بمثابة عنف موجه نحو العاشق تجبره على

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

الانزواء، والتقهقر، والانكفاء، والاغتراب وفقدان الهوية والشعور بالاختلال، ويكون بمثابة الظلام على بصيرته فيجعله هائماً في متاهات وعثرات لا يقوى على الصمود إزاءها[27]، فالاغتراب العاطفي نتيجة حتمية للحرمان المجتمعي والقيود الصارمة الوضعية، و((بطبيعة الحال أنَّ الاغتراب الشعري والحياتي للشاعر يعود إلى عوامل ذاتية وموضوعيّة، وعوامل روحية ومادية متداخلة، كما أنَّ قهر الاغتراب كإمكانية يرتبط أيضًا بسلسلة من العوامل الذاتية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية))[28]. إذ شكلت الرقابة الاجتماعية عامل قهرٍ لا ينجلي؛ لأنها كانت مصدراً للفتن، والوشاية، وإفساد العلاقات العاطفية، لذلك فرض عليهم حالة اغترابية قهرية، يتجلى فيها جانب العنف المجتمعي فمن مظاهر الاغتراب العاطفي الذي عانته المرأة فيما كتبته الشاعرة **"فضل"** إلى سعيد بن حميد:

ولكنني أبدي لهذا مودتـــــــــــي وذاك لأخلو فيك بالبث والوجدِ
مخافةَ أن يغري بنا قولُ كاشحٍ عدوٍ، فيسعى بالوصال إلى الصـــدِّ[29]

تعيش الذات الشاعرة حالة اغترابية قهرية بفعل الوشاية والمطاردات ودورها القمعي، فكان لها دوراً في تحفيز الموقف الشعوري والصخب الانفعالي الاغترابي لديها، لأنها ذات محاصرة، مراقبة، ممنوعة، مقيدة، معنَّفة اجتماعياً وهذا واضحاً في قوله: (مخافة أن يغري بنا قول كاشح عدو)، فلفظة (مخافة) تضج بالعنف، وعمق الواقع المتردي الذي تعتاشه، وهول الاغتراب لأنها خائفة مترددة؛ ما جعلها تصفهم بـ (كاشحٍ عدو) فـ (عدو) يكشف عن ذات متحاملة تجعل من الآخر/الرقيب عدواً لها؛ لما عانته منه وأصبحت بسببه تعاني حالة الاغتراب والحرمان العاطفي؛ لأنها في حالة قلق وجودي بفعل قوة قاهرة بالمجتمع تحد من حريتها في اطلاق العنان لمشاعرها والتعبير عن حبها صوب من تحب، لذلك هي تتمنى الخلوة من أجل البوح وهذا أمر محرم اجتماعياً صنعته ايديولوجيات عرفية عمقت للاغتراب بكافة أنواعه وهي بذلك تمارس عنفاً فكرياً بطريقة وأخرى.

وتفعل الوشاية والكتمان والرقيب الاجتماعي فعلتها بالشاعر **"تميـــم الفاطمي"**(ت 501هـ) فدخل إزاءها في صراع بين الذات والآخر/المجتمع ، نظراً إلى ما يمر به من محنة الإنطفاء والتغريب المتولد؛ نتيجة لتصادم الأشياء وعدم توافقها معاً، مما يسبب له من حالة اغترابية تخيم عليه يشعر حيالها بالعنف الموجه حين يقول:

إلى الله أشكو سِرَّ شوقٍ كتمـــــته فنمَّ به واشٍ من الدمع مـــــــعرب
وإني لألقى كل خطبٍ بمهـــجتي يهونُ عليها منه ما يتـــــــصعَّبُ
واستصعب الأهوال في كل موطنٍ ويمزح لي السم الزعاف[30]**فأشـــــرب**
وأغضي على مثل الأسنةِ صابراً ولو شئتُ لم أصبر وللسيف مضـــربُ[31]

يبدو أن الذات الشاعرة قد خنقت شوقها، وكتمت حبها، وأخفت ألمها، لكن فضحها دمعها، فالخنق، والكتمان، والاخفاء، والدموع كلها ركائز نصية ومجسات لاهبة تتكئ عليها لمعرفة مدى العنف المتولد من حالة الاغتراب العاطفي المفروض عليها، وهذا واضح في معجمه الشعري (شوقٍ كتمـــــته، فنمَّ به واشٍ من الدمع معرب) فحتى الدموع التي هي بمثابة تفريغ لشحنات الألم النفسي والترويح عن الذوات المكلومة حسب الدراسات السايكولوجية قد شكّلت له عامل عنف مريب؛ لأنه أصبحت بمثابة واشٍ كاشف عن مكنون فؤاده، وما للواشي من دورٍ مذموم لا محالة، فهو ها هنا لم يكن تلك الوسيلة النفسية بل أضحى رقيباً، متربصاً به، ناماً عنه، فهو في حالة اختناق شعوري، وشد نفسي، واغتراب عاطفي مجسداً لمعاني العنف المجتمعي العاصف به، ففي قوله:

واستصعب الأهوال في كل موطنٍ ويمزح لي السم الزعاف فأشـــــرب

فحالة الارتباك تكشف عن الوجدان المنغمس بالشعور الاغترابي، حتى أنه أضحى بؤرة مركزية تبعث لنا دلالات العنف الموجه من المجتمع صوب الشاعر، فنجده قد تجرع السم الزعاف لمجرد ممازحته إياه، في صورة شعرية تعكس عمق الاحساس بالوحدة، والتيه، واللاجدوى، والاغتراب لأنه في وضعٍ مريب وضاغط وعنيف وهذا واضح في قوله: (وأُغضي على مثل الأسنة صابراً)، فالصبر قهرا لم يكنْ مواساةً بل تحملاً، وهنا حتى العلاج النفسي يحمل نفثات عنفية تعمل على هز أركان الذات المعنفة وتجبرها على وضعٍ مكره لها.

أما الشاعر **"البهاء زهير"** (ت565هـ) يعيش حالة اغترابية تفرض عليه مشاعر الخوف، والقلق، والترقب، واللاأمان والذي يصب في وادي العنف المقيت بفعل الواشي وفعائله الخانقة حين يقول:

صبٌّ بأسرار الهوى خوفاً من الواشين رامز
فأنامِلٌ أبدا تشـــي ـر وأعيـــنٌ أبداً تغامز[32]

تكشف لفظة (خوفاً) عن آهات وجدانية ضاغطة غطت عالم الجوف الداخلي والمكتنزة بالعنف العاطفي، والرقابة، والملاحقة، والوشاية، ففرضت عليه واقعاً اغترابياً ساخطاً نمّا لديه مشاعر العزلة، والانكفاء، والاعتكاف، والانسحاب العاطفي، وهذه بالتالي كلها مشاعر اغترابية عنيفة، فمعطيات البوح تضعنا أمام عمق الألم، والارتياب، وعدم الانتماء اللام به؛ بفعل تلك (الأنامل المشيرة والأعين المغامزة) وهذا التشخيص السببي جاء عبر منظار الملل والسقم الكائن به بفعل فعائلهم المشينة، وعيونهم المراقبة، وأياديهم المشيرة، وألسنتهم الصاعقة، وأهدافهم الخبيثة، وهنا نستشف أسباب توطين ثيمة العنف عن طريق الاغتراب العاطفي المتولد من تلك التصرفات السلبية.

على حين نجد الشاعر **"أبو ايمن البغدادي"**[33] (ت613هـ) يعيش حالة اغترابية ضانكة ألمت به بعد فراق من يُحب وبهذا شكّل الحب عامل عنف امتص منه قواه وتركه طريحاً وان كان حياً، حتى أن ليله لا يتنفس نهاره بسبب تلك الحالة العصية التي اعتاشها حين يقول:

نهاري في عُمر النوى كلُّه جنح كما أن ليلي مذ نـــأوا مالُه صبح
إذا أنام لم أنظر إلى من أحـــبُّه فكل ذرور في جفونـــي لها قرح
رماني زماني من كنانةِ غـدره بسهمٍ له في كلِّ جارحـــــةٍ جرحُ
سقاني من الآفاتِ كاســاً رويةً إذا لم أمتْ منها وعشتُ فما أصحو[34]

يعاني الشاعر اغتراباً عاطفياً حاداً وفق معطيات نصه، إذ يكشف النص عن صراع مرير تكابده الذات الشاعرة، فمعطيات المعجم الشعري المتمثل بـ (جنح، قرح، رماني، بسهم، الآفات) مفاتيح نصية تساعدنا في تجلي ثيمة العنف المحيط به، والتي تجعل من الاغتراب حالة عنفية قاسية يدور إزاءها في حلقة كليمة من التصدعات في ظل التجربة العاطفية الخانقة، فأحاسيس القهر والمعاناة المتولدة من فراق وهجران من يحب في قوله: (إذا أنام لم أنظر إلى من أحـــبُّه) فرضت عليه حالة اغترابية (أنومية)[35]؛ باحها عِبر مبثوثه النصي بما تحمله من تلك الأبعاد العنفية التي عكست ملامح أناه المنسحقة، فالعنف مهيمن نصي مستتر تحت معاني الاغتراب العاطفي الظاهرة.

أما الشاعر **"ابن الحلاوي الموصلي"**[36](ت656هـ) نجده متوتراً مؤرقاً بفعل ما يفعله به الاغتراب العاطفي المتولد بفعل الشوق الهالك، وما يبثه فيه من أزمات عنفية واضحة بين طيات نصه حين يقول:

فما بال قلبي كلُّ حُبٍّ يَهيـــــجه؟ وحتَّام طرفي كلُّ حُسنٍ يروقه؟
فهذا كيوم البين لم تطـفَ نـــاره وهذا كبعدِ الدار ما جـفَّ مُوقه[37]
ولله قلبي، ما أشدَّ عفـــــــافه وإن كان طرفي مستمراً فُسوقه
أرى الناسَ أضحوا جاهلية ودِّهِ فما بالهُ عن كل صبٍ يـــعوقه[38]؟[39]

جسّد الشوق في البوح أعلاه ملمحاً من ملامح العنف الفكري؛ لما بثه من أحاسيس السقم، والوجاعة، والسأم، والكآبة بفعل الواقع العاطفي والزخم النفسي والاضطهاجات العاطفية المأزومة الذي يعتاشها الشاعر وتضج بها الذات وتقبع فيها في الوقت ذاته، فتصبح هنا بمثابة عامل عنف رهيب يكرس في صورة فنية ناضجة مستقطبة للمعاني الاغترابية العاكسة لملامحه بكثافة عالية من قبل الذات الشاعرة الذي يمكن أن نستشعره من نافلة القول وعتبته : (فما بال قلبي كلُّ حُبٍّ يَهيـــــجه؟) فالهيجان حالة شعورية متولدة بفعل الاغتراب العاطفي اللام به، ويكمن العنف من جانب أن التهيج يولد حالة اغماء نفسي، وعمي بصري، وانفلات عقلي يصدر منه أي تصرف (أذى) حيال ذاته دون تفكير، وهذا الانفلات العقلي، والنفسي، والعاطفي يشكل جزءاً من التشكلات النفسية المجسدة لمعالم العنف الفكري.

بينما نجد الشاعر **"ابن زيلاق الموصلي"**[40](ت660هـ) في حالة عذاب، وتمزق، ومكابدة وهذا كله عنف فكري واضح يعمد على أز عالم الذات الداخلي وانهيارها، وهذا متولد بفعل حزنه الشديد، وشوقه،

وشدة الآمه، وتأزيمه النفسي المتسرب من أحاسيس الاغتراب العاطفي الذي جسده في خطابه الشعري في قوله:

إني لأقضي نهاري بعدكم أسفاً وطولَ ليلي في حزنٍ وتعـــذيبِ
جفنٌ قريحٌ وقلب حشوه حرقُ فمن رأى يوسفاً في حزن يعقوب[41]

إن الشعور بالأسف، والحزن، والتعذيب شعوراً يمزق الأنا ويجعلها تدور في اغتراب نفسي خانق، فالحالة السايكولوجية للأنا الشاعرة تشي بعذابات نفسية مريرة لم تأتِ من فراغ بل من حالة عنفية اغترابية عاطفية ألمَّت بها؛ بفعل نأي المحبوبة عنه إذ ((قد تأتي دواعي الغربة من أقرب الناس، ومن هنا تكو أشد مرارة وأقوى فتكاً وأقدر على تنمية الشعور بغربة الذات))[42]، وهنا كان الاغتراب العاطفي أداة من أدوات العنف الفكري المتجلي في مبثوثات بوحه، فحالة الإقتال الداخلي النفسي، والتمزيق الأنوي، والتفتيت لعالم النفس الداخلي هو تسلط عنفي من الذات وإلى الذات لكنه ردة فعلٍ لفعل الآخر/ المحبوبة الكامن في عقاب ذاته المتمثل في (أسفاً، حزن، تعذيب، قريح، حرق) ألفاظ تشي بدمار نفسي داخلي ولده الاغتراب العاطفي.

أما الشاعر **"ابن الظهير الإربلي"**[43](ت677هـ)نجده في اغترابٍ عاطفي صاخب ولّد لديه أحاسيس طاحنة بات أمامه عاجزاً معنَّفاً بصورة علنية في قوله:

إذا كان صبري في الصبابةِ خاذلاً فما لي سوى دمعي على الشــوقِ ناصرُ
على أن فيضَ الدمعِ لم يــرو غُلَّةً من الوجدِ أذكتها العيونُ الفـــــواترُ[44]

فالإجراء التحليلي للنص يحتم علينا التدقيق في سلسلة دلالاته اللغوية المشحونة بصدى الطابع العنفي، فكلُّ مفردة تأخذ دورها في كشف عوالم النص الداخلية. فالشوق غالباً ما يسايره شعور القلق والارتياب[45]؛لذا تشي لفظة (الشوق) في المنجز النصي بمشاعر اغترابية؛ لما يكتنز الشوق من مشاعر الألم، والأسى، واللوعة، والشكوى، لذا عبّر بوساطة التعبير الشعري عن تجربته الشعورية الخانقة ذات المشاعر العنيفة الهالكة إذ أن المبدع ((يحس بالموقف ويتفاعل معه نفسياً وفكرياً ثم يصوغ ذلك في قوالب لفظية وفي صور موحية يشاركه القارئ شعره أو سامعه أحاسيسه ومشاعره وبمقدار هذه المشاركة يتحدد نجاح الشاعر أو اخفاقه))[46]، فالشوق يكشف عن رؤية مخيفة له تكتنزه الأنا وتنفثها في عالم النص الشعري؛ إذ أصبح بمثابة خصم وعدو له يتمنى الفوز عليه ، فشكّل عامل قهر وعنفاً فكرياً واضحاً ، نستشف هذا من قوله: (على الشــوق ناصر)، فلفظة (ناصر) جعلته في صراع مستديم مع الشوق ورغبة عارمة في الانتصار، وهنا نفهم كيف أن الاغتراب العاطفي ملمح من ملامح العنف الفكري.

الانكفاء النفسي

وكما هو معلوم أن الانكفاء اغتراب ذاتي باطني تميل إليه الذوات؛ نتيجة لما يعصف بها من اصطراعات داخلية مضنية يجبرها على الانسحاب، والتقوقع، باعتقادها أن ((الانكفاء رمزٌ من رموز الخلاص من المواجهة مع المحيط))[47], فتلازمية الذات دافعها الأساس عنف المجتمع؛ إذ من رحم المجتمع ومعانته تنشأ مشاعر العزلة، وما يزيد الأمر توهماً وغوصاً في بوتقة العنف الذاتي أنها تتخذ من النكوص النفسي حلاً لها، متناسية من أن النكوص والانكفاء يبث مشاعر مضاعفة من الانطفاء، والقلق، والكآبة، وفقدان الهوية، والتحجر النفسي، والتفكير الساحق وهذا كله يصب في خانة العنف الذاتي والنفسي الهالك لها، لأن العزلة ((شكلاً من أشكال السجن الذاتي المؤبد, الذي يفضي في نهاية الأمر إلى الجنون؛ لأن العكوف على الذات هو في الواقع الخطيئة الأولى))[48]، وفقاً لهذا فأنها أزّمت وضعها النفسي لما تبثه العزلة من دلالات القهر المتسرب في ثناياها، فالانكفاء على كل حال هو خيارٌ سلبي للذوات يفرض عليها الرضوخ التام، والابحار في فلك الهموم، والتفكير في اسئلة حارقة، وبالتالي تتوسع لديها مدارات الخيبة، ويتفجر بداخلها الحس المأساوي، فتصبح مخلوقةً هزليةً منهكةً لا تقوى على المقاومة بوصفها ((الإحساس بثقل العالم, بثقل الوجود كفضيحة أمام مرآة ذاتنا))[49]،لأن الذات المنكفئة انهت قواها النفسية وأضحت هشة لا تقوى على شيء فهي قد عنّفت ذاتها بذاتها، ترتد من العنف وإليه، وفرضت عليها واقع خاص أجلته لنا المتون النصية لعصر الدراسة والبحث متبلوراً نصوص الزوال، والاغتراب، والزهد والتصوف.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

نجد تلازمية الذات تطال الشاعر **"أبو فراس الحمداني"** (ت357هـ) في محنة الأسر التي ألمت به، فكان واقع عنفي نفسي فرض عليه الانزواء والانطواء والانكفاء الذاتي، فنجده يقول:

أقولُ وقد ناحت بقربي حمـــامةٌ أيا جارتا هل تشعرين بحـــالي؟
معاذ الهوى ما ذُقت طارقة النوى ولا خطرت منك الهموم بـبال
أتحمل مخزونَ الفؤادِ قـــــوادمٌ على غصنٍ نائي المسافة عال[50]

في ظل معاناة الأسر والسجن ومحنتهما يخرج البوح الشعري معبراً عن عمق الشعور الانكساري والواقع العنيف الذي فرضَّ عليه انكفاءً حاداً وانزواءً تاماً، وإن مخاطبة الحمامة بالذات يأتي تأكيداً على الوحدة، والتلازمية، والانزواء في مكان خالٍ يعتكف به دون أي أنيس، وهنا يتجسد لنا الواقع ذو العنف المضاعف (عنف الآخر وعنف الذات) حيال ذاته، فمخزونات الذات الشاعرة باحت عن عذاباتها من خلال تعبيرها الشعري المكتنز بمشاعر الوحدة، والاغتراب، والتلاشي الذي هو بالتالي مسار عنفي.

ونجد في نص مفعم بالشكوى والحنين وما يترتب عليه من العزم الضعيف الذي يفرض عليه حالة من التلازمية الذاتية التي تنم عن عنف ذاتي بحق ذاته عند الشاعر **"صاعد بن أبي الفتح"** [51](ت426هـ)، حين يقول:

ولي سكن أحن إليه وجـداً حنيناً ليس يشبهه الحنينُ
إذا روّى فمي من خمر فيه فذاك الوقتَ أعطشَ ما أكون
وما أشكو سوى عزم ضعيـف وصبر حين أطلـــبه يخون[52]

حالة الحنين والنكوص والانزواء النفسي طافية على ملامح النص الشعري، إذ بتعبير نفسي عميق يكشف الشاعر عن حالة عنفٍ ضربت حنايا ذاته متمثلاً بقوله: (وما أشكو سوى عزم ضعيف وصبر...) فكلاهما عطاء ذاتي يمنحه الانسان لنفسه بعد التوكل على الله، أي أن المحفز الأساس هو الذات نفسها، لكن الشاعر يعمد إلى تعنيف ذاته وانكسارها وخذلانها وحرمانها من وصول مبتغاها بالرضوخ للتصدع النفسي الذي سيطر على عالمه الداخلي علاوة على الدافع الأساس لها فعل الآخر/ المحبوب إذ أثر به ونخر قواه وجعله في فلك مشروخ عمد على هزّ كيانه الذاتوي فكان الحنين والشوق معادلاً لمرارة العنف المضني.

أما الشاعر **"ابن بطلان"**[53](ت444هـ)نجده في حالة زوالية مضنية وشعور حاد بالتلاشي والاضمحلال فرض عليه حالة انزوائية نفسية مضنية وهذا واضح في بوحه:

إنمـا دنيـاي نفســـــي فـإذا ذهبتْ نـفسي فلا عاش أحد
ليت أن الشمسَ بعدي غربتْ ثم لم تطلع على أهل بلد[54]

يعيش

الشاعر في انزواء تام وانغلاق ذاتي ضمن عالم يمور بمشاعر الضياع، والزوال، والاندثار، وهذا ما تكشفه لنا لفظة (نفسي) المكررة والتي تعبر عن جو نفسي مشحون بالوحدة والوحدة والانكفاء الذي استولى على مكامنه الشعورية، فهو في عالم منزوٍ ليس فيه إلا هو، عالم عنيف فرض عليه هذا الشعور الذاتي المأزوم، وتكشف بالوقت نفسه لفظة (ذهبتْ نفسي) بوصفها لفظة تعبيرية كاشفة عن رؤية مخيفة واحساس عصيب يكتنف الأنا وهي تتحسس معاناة الوحدة والزوال والذي مثل ملمحا من ملامح العنف الذاتي.

ونقف على المنجز النصي للشاعر **"أبو العلاء المعري"** (ت449هـ)فنجده في حالة شعورية تشي بالانكفاء الذاتي الحاد والانسحاب والنكوص النفسي ونبذ الدنيا حين يقول:

دعاني بالحياة أخــو وداد رويدك انما تدعـو عَلَيّا
وما كان البقاء لي اختياراً لو أن الأمر مردود إليّا[55]

يبدو أن الذات الشاعرة قد تكالبت عليها الهموم الحياتية بفعل فهمها لفعائلها الناقصة، فعلائم النص تنبأ أنها متخمة من واقع مشحون متخم بمشاعر الأسى والجور الدنيوي، فقوله: (رويدك انما تدعـو عَلَيّا، وما كان البقاء لي اختيارا) رحابة دلالية حاملة لمضمونها النفسي المشحون بمشاعر الانكفاء، والانسحاب

الذاتي، والاستشعار لإيحاءات الانزواء، والنبذ، والعزلة، وهذا جاء نتيجة لحالة الاحساس بالتعنيف الموجه من قبل الحياة وبهرجتها الزائلة، واللأمان، وعدم المساواة في قوانينها الوضعية.

فنجد حالة الانكفاء الذاتي الحاد الذي يكابده الشاعر **"عمرو بن الهدير"**[56] طاغٍ على نصه بحسب المعطى النصي المباشر في قوله:

وقفتُ فلا أدري إلى أين أذهبُ وأيَّ أموري بالعزيـــــــــمةِ أركبُ
عجبتُ للأقدار عليّ تتابعـــت بنحسٍ، فأفنى طولَ دهري التعـــجبُ
ولما التمستُ الرزق فأنحلَّ حبله ولم يصفُ لي من بحره العذب مشـرَبُ
....
ولم يمطر الناس الدنانير لم يـكن بشيء سوى الحصباء رأسيَ يحصـبُ[57]

منذ عتبة النص نجد اللاتوازن النفسي طاغٍ على وضع الذات الشاعرة حيث بدت قلقة، مغتربة، تائهة، حائرة بالتالي هي ذات معنَّفة، فالتجوهر العنفي يكاد يطفو على متن النص فلفظة (وقفت) تعكس حالة انكفائية ذاتية، وعزلة، وانطواء، وانزواء مجتمعي فرض عليه واقع نفسي مرير الذي طوق مصيره المأزوم نتيجة الاغتراب المجتمعي الذي هو ازاءه والذي يعد ملحماً عنفيا واضحاً، فصوت الذات الشاعرة جاء مشحوناً بدلالات نصية عارمة تشي بانكفاءٍ ذاتي حاد (وقفتُ، عجبتُ، التمستُ) فهي ذات تكابد الأسى لحالها في محاورة ذاتية دون مشاركة مجتمعية، وهنا يبرز الانعزال النفسي الذي تعتاش في كنهه الذات والذي نفثه في نتاجه النصي.

على حين الشاعر **"ابو اسحاق الموصلي"**[58] (ت632هـ) في حالة انكفاء ذاتي حاد ناتج من واقع اجتماعي عنيف سبب له حالة اغترابية حين يقول:

ولمّا فقدتُ أهل الـــزمان لأصحب منهم صديقاً صدوقا
ولم أرَ إلا ودودَ الـلسان يُظهرُ برّاً ويُخفي عقـــــوقا
أصحبت الدفاتر مستأنساً يهنَّ فكنَّ رفيقـــــــاً رفيقا[59]

مما لاشك أن الانكفاء الذاتي لم يأتِ من فراغ؛ بل من مخلفات واقع مرير يمور بالقهر يفرض على الذات الشاعرة التلازمية الذاتية والانزواء على استناد أن ((الغير يسلبني عالمي))[60]، هذا ما نستشفه من الحيثيات التصويرية في مساق التصوير النصي ففي قوله: (أصبحت الدفاتر...) نجد أن الذات تقبع في نطاق سجن ذاتي، ووحدة تامة، وعزلة حادة ،وانزواء تام، وتشظٍ نفسي، فتتخذ من الدفاتر معادلاً موضوعياً، ومؤنساً نفسياً، ومناسبة فنية للبوح المثقل بالعنف الذاتي الموجه حيالها من قبل المجتمع اللارحيم.

أما الشاعر **"ابن دانيال"** نجده في معترك حياتي صاخب مثّل عامل عنف بحقه متمثلاً بظلم زوجته إياه فرض عليه انسحاب حياتي وانزواء نفسي متجسداً في قوله:

قل لقاضي الفســـوقِ والادبـــار عَضُدِ البُلهِ عُمدةِ الفجـــــار
....
لك أشكو من زوجةٍ صيَّـــــرتني غائباً بين سائر الحُضـــــّارِ
غيبتني عليَّ ما أطمعتـــــــــني فأنا اليومَ مُفكرٌ في انتظـــــاري
....
فنهاري من البلادة ليـــــــــلٌ في التساوي والليل مثل النـــــهارِ[61]

الحركة النصية بطابعها الايحائي الشعوري تنبأ عن انكسارات شعورية حادة أرغمت الذات الشاعرة على الانزواء والانكفاء النفسي والاجتماعي في الوقت ذاته؛ بفعل تلك المنغصات الاجتماعية والضغوط الأسرية التي شكّلت عامل عنف وتوتر نفسي ضاغط، وهذا ناتج من الاهتزازات النابعة من النص العنفي أعلاه، فالأغطية الرمزية بدت تتكشف لنا من دلالات الاغتراب الاجتماعي العاصف بها في منجزه النصي ففي قوله: (صيرتني غائباً، غيبتني، فنهاري من البلادة...) حالات نفسية تشي بحالة عنفية ألمت به جعلته في مدار انكفائي هالك وتأوهات ذاتية حالكة نتيجة لحالة عنفية متركزة في حركات نصه الفاعلة.

الحواشي:

[1]- نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر: 140.
[2]- دراسات في الأدب المقارن التطبيقي، داود سلوم : 303.
[3]- ديوانه: 472.
[4]- راشد بن اسحاق: شاعر وأديب كوفي. ينظر: الوافي بالوفيات، ج59/14.
[5]- الديوان المخطوطة الورقة 26ب.
[6]- الصفادا: ما يربط به الأسير. لسان العرب، مادة صفد.
[7]- صباً: مغرماً: ينظر: المصدر نفسه، مادة صبّ.
[8]- ديوانه: 94.
[9]- يتيمة الدهر ج2: 366.
[10]- ينظر: العنوان وسيموطيقيا الاتصال الأدبي، محمد فكري الجزار: 77.
[11]- عناصر حياة الفتيان بين عنترة والشعراء الفرسان، بحث، د. أحمد نصيف الجنابي، مجلة آداب المستنصرية ، العدد6، 1982: 20.
[12]- ملامح من صورة البطل عند المتنبي، مصطفى عبد الحميد: 64.
[13]- ديوانه: 503.
[14]- الغزل في شعر المتنبي، محمد إبراهيم أبو سنة، مجلة الفيصل، العدد 7: 118.
[15]- النقد الثقافي، عبدالله الغذامي: 87.
[16]- الصورة في التشكيل الشعري تفسير بنيوي، سمير علي سمير : 41.
[17]- موسوعة شعراء العصر العباسي، عبد عون الروضان: 464.
[18]- مرتفق: الاتكاء على مرفق يده. لسان العرب، مادة رفق.
[19]- ديوانه: 340.
[20]- ينظر: محاضرات في الصوت والمعنى، رومان جاكبسون : 90.
[21]- عبد الرحيم بن شيث: عبد الرحيم بن علي بن الحسين بن اسحاق بن شيث الأموي الاسناني القوصي، أبو القاسم جمال الدين. صاحب ديوان الانشاء للملك المعظم عيسى. من مؤلفاته (معالم الكتابة ومغانم الاصابة). ينظر: القلائد الجوهرية، محمد بن علي ابن طولون: 217.
[22]- موسوعة شعراء العصر العباسي: 466.
[23]- الحماسة في شعر الشريف الرضي: 128.
[24]- لسان العرب، مادة غرب.
[25]- المصدر نفسه.
[26]- ينظر: مقياس الاغتراب، عبداللطيف محمد خليفة: 156.
[27]- ينظر: الاغتراب وعلاقته بمفهوم الذات، آمال محمد بشير "اطروحة دكتوراه": 159.
[28]- الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي، عزيز السيد جاسم: 1.
[29]- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشير يموت: 247 .
[30]- الزعاف: السم القاتل. لسان العرب، مادة زعف.
[31]- ديوانه: 41.
[32]- ديوانه: 102.
[33]- أبو اليمن تاج الدين زيد بن الحسن الكندي البغدادي، كان متفوقاً باللغة والنحو وشاعراً متفنناً كثير الاعجاب بنفسه، توفي بدمشق ودفن بجبل قاسيون. ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ج71/13.
[34]- أبو اليمن تاج الدين حياته وما تبقى من شعره: 60.
[35]- الأنوميا: دخل هذا المصطلح إلى علم الاجتماع على يد العالم إميل دور كايم، في مؤلفه "الانتحار" الذي اقتبسه من سابقه الفرنسي جين ماري غويو. ينظر: التنوير الآتي من الشرق ، جي. جي . كلارك: 59.
[36]- ابن الحلاوي: هو شرف الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الوفاء المعروف بابن الحلاوي، ولد سنة (603هـ) مدح الأيوبيين بدمشق وحلب. ينظر: المختار من نوادر الاخبار، أبو عبد الله محمد بن أحمد/المقري التلمساني: 7-14.
[37]- موقه: مجرى الدمع في العين. لسان العرب، مادة مقى.
[38]- ود ويعوق: من الأصنام في عصر ما قبل الإسلام.
[39]- ابن الحلاوي الموصلي حياته وشعره، مجلة التربية والعلم: 39.

[40]- ابن زيلاق الموصلي: أبو المحاسن محيي الدين يوسف بن يوسف بن إبراهيم بن الحسن الهاشمي العباسي المعروف بابن زيلاق، ولد سنة 603هـ، قتله التتار سنة 660هـ. ينظر: ديوانه: 27- 31.
[41]- المصدر نفسه: 175.
[42]- مظاهر الغربة في شعر المعمرين، علي بن ناصر بن جماح، "مقال": 115.
[43]- ابن الظهير الإربلي: محمد بن أحمد بن عمر الإربلي المعروف باسم ابن الظَّهِير فقيه حنفي وأديب عراقي في القرن السابع الهجري. ينظر: البداية والنهاية: 356.
[44]- ديوانه: 146.
[45]- ينظر: الغزل في الشعر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي: 425.
[46]- التجربة الشعورية في الشعر الأندلسي غربة ابن حمديس الصقلي انموذجاً، ستار جبار ارزيج: 311.
[47]- القناع في الشعر العربي الحديث, دراسة في النظرية والتطبيق، سامح الرواشدة: 63.
[48]- العزلة والمجتمع، نيقولاى برديائف: 39 .
[49]- إبليس ونزاع الاعتراف أو في هوية المقاومين, فتحي المسكيني, مجلة يتفكَّرون,ع4, 53.
[50] - ديوانه: 211- 212.
[51]- هو أبو منصور صاعد بن أبي الفتح بن صاعد النصراني ولد جمال الرؤساء أبي الفتح بن صاعد المتقدم ذكره، ولم يزد العماد على ذلك. ينظر: خريدة القصر وجريدة العصر،ج135/2.
[52]- المصدر نفسه، ج135/2.
[53]- ابن بطلان: طبيب وباحث من أهل بغداد سافر مصر ودخلها عام 441هـ، واستقر بها ثلاث سنوات وتوفي فيها. وكان مسيحيا مشوه الخلقة. ينظر: كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم ابن أبي اصيبعة، ج98/1.
[54]- دعوة الأطباء: صفحات من الأدب الطبي العربي، ابن بطلان :156.
[55]- اللزوميات، ج2: 873.
[56]- من الشعراء العباسيين المنسيين. لم نعثر له على ترجمة.
[57]- العقد الفريد، ج216/6- 217.
[58]- أبو اسحاق الموصلي: ابراهيم بن عبد الكريم بن أبي السعادات، أبو اسحاق بن أبي محمد الموصلي الفقيه الحنفي الكاتب المولود سنة (595هـ). ينظر: قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، كمال الدين بن الشعار الموصلي، ج114/1- 115.
[59]- قلائد الجمان، ج120/1- 121.
[60]- أعلام الفكر المعاصر، فؤاد كامل: 219.
[61]- المختار من شعر ابن دانيال: 161-162.

المصادر والمراجع:

- إبليس ونزاع الاعتراف أو في هوية المقاومين, فتحي المسكيني, مجلة يتفكَّرون,ع4, 53.
- ابن الحلاوي الموصلي حياته وشعره، تحقيق محمد قاسم مصطفى، عبدالوهاب العدواني، مجلة التربية والعلم، كلية التربية جامعة الموصل، العدد 2، شباط، 1980م.
- أبو اليمن تاج الدين حياته وما تبقى من شعره 520 - 613 هـ : حياته و ما تبقى من شعره ، تقديم و تحقيق سامي مكي العاني ، هلال ناجي، بغداد، 1977م.
- أعلام الفكر المعاصر، فؤاد كامل، دار الجيل - بيروت، ط1، 1993م.
- الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي، عزيز السيد جاسم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1987م.
- الاغتراب وعلاقته بمفهوم الذات عند طلبة وطالبات الدراسات العليا بكليات التربية، آمال محمد بشير محمد، "اطروحة دكتوراه"، جامعة عين الشمس، كلية التربية، مصر، 1989م.
- البداية والنهاية، ابن كثير (ت 774هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988م.
- التنوير الآتي من الشرق ، جي. جي . كلارك، ترجمة: شوقى جلال، سلسة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2007م.
- الحماسة في شعر الشريف الرضي، محمد جميل شلش، المؤسسة العربية للدراسات، بغداد، ط2، 1985م.

- خريدة القصر في جريدة العصر، شعراء العراق أبو عبد الله عماد الدين بن محمد ابن صفي أبو الفرج محمد بن نفيس الدين الأصبهاني، تحقيق: محمد بهجة الأشربي، المجمع العلمي العراقي، العراق، ١٩٥٥م.
- دراسات في الأدب المقارن التطبيقي، داود سلوم، الجمهورية العراقية ، منشورات وزارة الثقافة – بغداد ، 1986م.
- دعوة الأطباء: صفحات من الأدب الطبي العربي، ابن بطلان، دار الفكر, 2003م.
- ديوان ابن زيلاق، دراسة وجمع وتحقيق، د. محمود عبد الرزاق أحمد، د. أدهم حمادي ذياب النعيمي، مطبعة الرشاد، بغداد، د، ط، 1990م.
- ديوان أبو فراس الحمداني، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1، 1983م.
- ديوان أبو نواس، تحقيق: سليم خليل قهوجي، مطبعة دار الجيل، بيروت، 2003م.
- ديوان البهاء زهير، أبو الفضل زهير بن محمد بن على المهلبى، تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان.
- ديوان عبدالله بن المعتز: تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت.
- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشير يموت ، المكتبة الاهلية، بيروت، ط1، 1936م.
- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، المنسوب للعكبري (ت 616هـ)، دار الأرقم للطباعة، بيروت، ط1، 1997م.
- شعر الخبز أرزي في المظان، محمد قاسم مصطفى وسناء طاهر محمد، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ٢٩، الجزء الثاني، ١٩٩٦م.
- الصورة في التشكيل الشعري تفسير بنيوي، سمير علي سمير، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، 1991م.
- العزلة والمجتمع، نيقولاى برديائف، ترجمة - فؤاد كامل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢ ، القاهرة، ١٩٧٩ م.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: أحمد أمين وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط2، 1984م.
- عناصر حياة الفتيان بين عنترة والشعراء الفرسان، بحث، د. أحمد نصيف الجنابي، مجلة آداب المستنصرية ، العدد6، 1982م.
- العنوان وسيموطيقيا الاتصال الأدبي، محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب : ط1، 1998م.
- الغزل في الشعر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.
- الغزل في شعر المتنبي، محمد إبراهيم أبو سنة، مجلة الفيصل، العدد 7.
- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، كمال الدين بن الشعار الموصلي، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2005م.
- القلائد الجوهرية، محمد بن علي ابن طولون، دمشق، مكتب الدراسات الاسلامية،1949م.
- القناع في الشعر العربي الحديث, دراسة في النظرية والتطبيق، سامح الرواشدة، إربد، مطبعة كنعان، 1995م.
- كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم ابن أبي اصيبعة، الهيأة المصرية العامة للكتاب, 2001م.
- اللزوميات ديوان لزوم مالايلزم، لأبي العلاء المعري، تحقيق: عمر الطباع، دار الأرقم ابن أبي الأرقم للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.
- لسان العرب، ابن منظور الافريقي المصري (711هـ) ،دار صادر، بيروت- لبنان، 1955م.
- محاضرات في الصوت والمعنى، رومان جاكبسون، ترجمة : حسن ناظم، على حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، 1994م .
- المختار من شعر ابن دانيال، الامام صلاح الدين خليل بيك الصفدي، تحقيق: محمد نايف الدليمي، مؤسسة دار الكتب، جامعة الموصل، 1997م.
- المختار من نوادر الاخبار، أبو عبد الله محمد بن أحمد/المقري التلمساني ، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، 2015م.
- مظاهر الغربة الزمانية في شعر المعمرين ، علي بن ناصر بن جماح، "مقال "، السعودية، نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي، مج 34, ع 67,68، 2009م.
- مقياس الاغتراب، عبداللطيف محمد خليفة، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع, 2005م.
- ملامح من صورة البطل عند المتنبي وقيمتها الفنية، مصطفى عبد الحميد - مجلة كلية الآداب ، جامعة البصرة ، عدد ١٠ ، ١٣٩٦ - ١٩٧٩ م .
- موسوعة شعراء العصر العباسي، عبد عون الروضان، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع, 2001 م.
- نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر، مطبعة الجوانب قسطنطينية،ط1، 1900م.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدي(764هـ)، تحقيق: أحمد الارناؤط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت- لبنان، 2000م.

- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت 429هـ)، حققه وضبطه وشرحه: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1377هـ.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

اتجاهات مديري المدارس الحكومية نحو محتوى ما تنشره شبكات التواصل الاجتماعي والتأثيرات المترتبة عليها دراسة حالة على محافظة بابل

قاسم حسين حمزه غريري
باحث لدرجة الدكتوراه في معهد الصحافة وعلوم الاخبار
جامعة منوبة / تونس

ملخص البحث باللغة العربية
اتجاهات مديري المدارس الحكومية نحو محتوى ما تنشره شبكات التواصل الاجتماعي والتأثيرات المترتبة عليها "دراسة حالة على محافظة بابل"

يهدف البحث الى معرفة اتجاهات مديري المدارس الحكومية نحو محتوى ما تنشره شبكات التواصل الاجتماعي وماهي اثار المترتبة عليها , دراسة حالة على محافظة بابل ، اعتمد الباحث في هذا البحث على المنهج الوصفي ، ويتكون مجتمع البحث من مديري المدارس الحكومية (الابتدائية والمتوسطة والاعدادية) سواء كانت هذه المدارس بنين او بنات او مختلطة . التابعة للمديرية العامة للتربية في محافظة بابل للعام الدراسي 2022-2023 .واستعان الباحث بصحيفة الاستبيان الالكترونية وطبقها على عينة عشوائية عمدية من مجتمع الدراسة ممثلة لكل لفئات عينة الدراسة الميدانية من مديري المدارس الحكومية الابتدائية والمتوسطة والاعدادية اعتمد الباحث على نظرية الاستخدامات والإشباعات وتوصل الى نتائج منها : ان اتجاهات مديري المدارس الحكومية في محافظة بابل كانت اغلبها ايجابية نحو ما تنشره شبكات التواصل الاجتماعي ، كما اتضح ان العوامل الديموغرافية للمبحوثين لا تؤثر على طبيعة استخدام شبكات التواصل الاجتماعي ، ومن نتائج البحث ايضا ، ان عينة البحث تُستخدم شبكات التواصل الاجتماعي للاستفادة منها في ادارة مدارسهم وتبادل المعلومات والتعليمات المدرسية مع زملائهم والتواصل مع اولياء الامور الطلاب.

Summary of the research in English

Attitudes of government school principals towards the content of what is published by social networks and the effects thereof, "A case study on the province of Babylon"

The research aims to know the attitudes of government school principals towards the content of what is published by social networks and what are its implications, a case study on the province of Babylon. Schools for boys, girls, or mixed schools affiliated to the General Directorate of Education in Babil Governorate for the academic year 2022-2023. The researcher used the electronic questionnaire newspaper and applied it to a deliberate random sample of the study population representing all the sections of the field study sample from the principals of government primary, middle and middle schools. The researcher relied on the

theory of uses and gratifications And a number of results were reached, including: The attitudes of government school principals in the province of Babylon were mostly positive towards what social networks publish, as it turned out that the demographic factors of the respondents do not affect the nature of the use of social networks, and from the results of the research also, that the research sample uses social networks To benefit from them in managing their schools and exchanging information and school instructions with colleagues them and communicate with students' parents.

المقدمة :

أصبحت شبكات التواصل الاجتماعي من السمات المميزة لعصرنا ، وأحد أهم العوامل المؤثرة في تشكيل الاتجاهات ، أصبحت بديلاً شائعًا لوسائل الاتصال التقليدية واحدثت نقلة في عالم الاتصال والاعلام حيث اصبحت الوسيلة الاكثر فاعلية والاسرع والاسهل في تناول الاخبار ونشرها ويستطيع العالم وقليلي التعلم استخدامها بكل سهولة ويسر وبإمكانك ان تجوب العالم وانت جالس في غرفتك وتتطلع على اخر التطورات الهامة في الفن والرياضة والاحداث السياسية العالمية من خلال كبسة زر واحدة على حاسوبك او هاتفك الذكي .

وفي وقتنا الحالي الذي اخذ يسمى بمسميات عديدة اكتسبت بعضها من التطور العلمي في مجال الاتصال مثل العصر الرقمي وعصر الانترنيت وعصر الفيس بوك وعصر الاعلام الجديد وغيرها من التسميات فلا عجب من ذلك بسبب اهمية الكبرى التي حصلت عليها من الثورة التقنية العلمية العالمية ، ورافق هذا التطور دخول شبكات التواصل الاجتماعي في نواحي الحياة المختلفة وامتزجت معها واصبحت مقترنة بها ورافق هذا الاقتران مجموعة من التغيرات في مختلف المجالات بعضها ايجابي والبعض الاخر سلبي بسبب الاستخدام الخاطئ لها .

ان المميزات الكثيرة التي تتميز بها شبكات التواصل الاجتماعي جعلت الكثيرين يعتمدون عليها وبكل كبير في حياتهم العامة والخاصة ، وان هذا الاعتماد يتجلى بصورة جلية بموقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك) بشكل خاص ، هو حالة استخدام طبيعية فقد حولت شبكات التواصل الاجتماعية العالم إلى مكتبة بلا جدران ، والى قرية بلا اسوار ، ووفرت لسكان هذه القرية ثقافة غير محدودة ، وأصبحت أداة قوية لتغيير اتجاهات وأفكار العديد من المستخدمين ، فقد غيرت هذه الوسيلة (شبكات التواصل الاجتماعي) اتجاهات الكثيرين لما تتمتع به من مزايا عديدة.

وعلى الرغم من المزايا العديدة والكثيرة التي قد تحققت بفعل مواقع التواصل الاجتماعي ودخولها في جزئيات الحياة الصغيرة وجعلت الفرد مدمن عليها ويعتمد اعتمادا كليا عليها في كل احتياجاته العلمية والاجتماعية وغيرها ، إلا إنها في الوقت ذاته تعد مبعث خطورة ايضا على رواد شبكات التواصل الاجتماعية ، حيث اثبتت العديد من الدراسات في هذا الصدد فقد ساهمت مواقع التواصل الاجتماعي في انخفاض العلاقات الاجتماعية ووسعت الفجوة بين الافراد والعلاقات الاسرية , وهذا ما اكده العديد من الباحثين إلى أن قضاء الافراد يستخدمون ويتصفحون المواقع الاجتماعية ولساعات طويلة يؤدي الى تغير في العلاقات الإنسانية التي تجمعهم فاصبحوا يحصلون على مبتغاهم من التسلية والترفيه والتسوق وتبادل العلاقات الاجتماعية والمطالعة ويتناسون واجباتهم الاجتماعية واليومية حتى اصبحوا اسرى امام شاشات الاجهزة الذكية ويكتفون بساعات نوم قليلة واكلات سريعة واغلب وقتهم يقضونها في تصفح مواقعهم المفضلة .

ولشبكات التواصل الاجتماعي دور لا يمكن انكاره في التأثير على جمهور مستخدميه سواء كان التأثير ايجابي او سلبي فهنا ارتى الباحث في بحثه هذا ، الى معرفة اتجاهات مديري المدراس الحكومية في محافظة بابل نحو شبكات التواصل الاجتماعي والتأثيرات المرتبة على ذلك ، على اعتبار انهم شريحة كبيرة من المجتمع البابلي ويلعبون ادوار مهمة في المجتمع .

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث الاجابة عن التساؤل الرئيسي ، ما هي اتجاهات مديري المدارس الحكومية سواء ابتدائية والثانوية(متوسطة او اعدادية) في محافظة بابل نحو محتوى ما تنشره شبكات التواصل الاجتماعي والتأثيرات المترتبة على ذلك ؟

الدراسات السابقة :

1- دراسة أحمد حسن على محمد (2018)[1]

تهدف هذه الدراسة الى رصد دور شبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل اتجاهات الشباب الجامعي اتجاه قضايا العنف الأسرى ودورها في تشكيل اتجاهات الشباب الجامعي نحو قضايا العنف الأسرى ، واعتمد الباحث في دراسته على عينة من الشباب الجامعي المصري في أربع جامعات مصرية (القاهرة ، جامعة الدلتا ، جامعة المنصورة ، جامعة الأزهر) والذين تتراوح اعمارهم بين (١٨ - ٢٥) عاماً، مع الاخذ بنظر الاعتبار الخصائص الديموغرافية للمبحوثين ، واستخدم الباحث المنهج الوصفي والتحليلي ، وتوصلت الدراسة للعديد من النتائج منها التحليلية والميدانية واهمها : ان الموضوعات المتعلقة بقضايا العنف الأسري في صفحات عينة الدراسة التحليلية: جاءت معظم صفحات عينة الدراسة التي تناولت موضوع الدراسة (صفحات جريدة اليوم السابع) في المرتبة الأولى ثم الثانية بالترتيب (صفحة جريدة الأهرام) احتل المرتبة الثالثة والأخيرة (صفحة البوابة) ، واكدت نتائج الدراسة التحليلية على فئة (العنف ضد الأطفال) في صحف الدراسة ، يليه المرتبة الثانية (العنف ضد الزوجات) ، في المرتبة الثالثة (العنف ضد الأطفال).) يليها فئة (الأزواج) ، تليها فئة (العنف ضد الوالدين) في المرتبة لأخيرة من فئة (العنف بين الأشقاء).

وبينت الدراسة الميدانية أن طلاب الجامعات الشباب مهتمون بتعليقات المستخدمين الآخرين على المنشورات ومقاطع الفيديو المنشورة على مواقع التواصل الاجتماعي حول قضايا العنف المنزلي ، يظهر البحث الميداني أسباب انعدام الحرية والقيود على مواقع التواصل ، وهي في المقام الأول (تقييد أخلاقي من قبل المستخدمين) والمرتبة الثانية (نقص الحقائق والمعلومات ، عدم الغموض في الحجة) نقص الحقائق والمعلومات لإعطاء الرقيقة عدم الغموض في الحجة) ، وجاء بعد ذلك بترتيب ثالث (الكائنات حيث يحاول جسد المستخدم الاختباء والتواء وتوجيه نفسه في اتجاه معين).

2- دراسة ناصر سعود الرحمانة (2018) [2]

تهدف هذه الدراسة الى التعرف على مفهوم خطاب الكراهية خلال شبكات التواصل الاجتماعي واشكاله وتأثير ذلك على المجتمع في الاردن كما تهدف ايضا الى تحديد الاثار المترتبة على ذلك واثار ذلك على القيم الاجتماعية والثقافية والدينية في النظام الاجتماعي الاردني ، وقد استخدم الباحث في دراسته هذه على المنهج الوصفي واستعانة بأداة الاستبيان كأداة لجمع بياناته وطبقها على مجتمع الدراسة من خلال عينة عشوائية بلغت 400 مفردة من شرائح اجتماعية مختلفة شملت المجتمع الاردني في محافظة عمان ، ومن جملة ما توصلت الدراسة أليه من النتائج اهمها : اختلافات في مفهوم خطاب الكراهية وتعدد مفهومه لدى عينة الدراسة وجاء ،(تشويه الحقائق او تكذيبها) في مقدمتها ثم جاء بعده (عدم قبوله بالاختلاف مع الاخرين) ، (وان شبكات التواصل الاجتماعي تعمل على اثارة الفتن والتناحر في مجتمع الدراسة مما يؤدي الى تفكك المجتمع وفقدان تماسكه وبالتالي اضعافه وخصوصا وقت الازمات) ، ودور مواقع التواصل الاجتماعي اتجاه خطاب الكراهية يعتمد بالدرجة عالية على طبيعة الاستخدام لها ومستوى عينة الدراسة التعليمي والاجتماعي واحيانا التضليل بنشر معلومة مغلوطة وغير دقيقة ومضللة .

3- دراسة جانكو Junco (2012)[3]

هدفت هذه الدارسة إلى الكشف عن آثار شبكات التواصل الاجتماعي وتطبيقاتها ممثلة موقع في الفيس بوك في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك من أجل معرفة أثر استخدام الفيس بوك، والمشاركة في فعالياته ومنشوراته ، واستخدم الباحث المسح الاعلامي بدراسته وتكونت عينة الدراسة من (2368) طالبًا وطالبة ، و توصلت الدراسة الى عددا من النتائج منها ، أن استخدام الفيس بوك كان استخداماً إيجابياً من جانب متغير اضاعت الوقت وكان استخداماً سلبياً لصالح متغير تحقيق الفائدة في الاستخدام من جانب

عينة الدراسة، كما توصلت الدراسة ايضا إلى أن بعض استخدام الفيس بوك كانت بصورة إيجابية من الناحية العلمية .

4- دراسة نعيم المصري (2011)[4]

وهدفت هذه الدراسة إلى معرفة مدى استخدام واستعمال الطلبة الجامعيين في دولة فلسطين لمواقع التواصل الاجتماعي, وأثر ذلك الاستخدام بالاستعاضة عن وسائل الأعلام الأخرى والاكتفاء بمواقع التواصل الاجتماعي , كما هدفت الدراسة أيضا معرفة الآثار السلبية والإيجابية لاستخدام عينة الدراسة لهذه المواقع, عن طريق التطبيق على عينة تعدادها (50) مفردة من طلبة الكليات الحكومية الفلسطينية بقطاع غزة. وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها ما نسبته (52%) من عينة الدراسة يستخدمون مواقع التواصل الاجتماعي لمدة ساعتين يومياً, كما وضحت الدراسة أن من سلبيات استخدام عينة الدراسة لمواقع التواصل الاجتماعي تعود (لتغذية الأزمات السياسية وتهيئة الفرص لعمليات الاستقطاب من قبل الآخرين, وزيادة الاحتقان وتعميق الخلافات وبنسبة وصلت إلى 78%) . أما أهم الايجابيات الاستخدام لمواقع التواصل الاجتماعي فقد تمثلت في (تعريف المستخدمين بموضوعات تساعدهم على النقاش مع الآخرين وبنسبة بلغت 47%). أما ما يختص بتأثير استخدام العينة لمواقع التواصل الاجتماعي على وسائل الإعلام والاتصال الأخرى, فقد أظهرت الدراسة أن (هناك انخفاضا ملحوظا في مطالعة الكتب وقراءة الصحف والمجلات والاستماع للراديو ومشاهدة الفضائيات وبنسب تراوحت ما بين 76%- 84.%).

4- دراسة أرين كاربنسكي Aren karbnsky (2010)[5]

هدفت الدراسة الى الإجابة على السؤال الرئيسي لمشكلة الدراسة وهو(ما أثر استخدام موقع " فيس بوك " على التحصيل الدراسي لدى طلبة الجامعات؟) وُطبقت هذه الدراسة على عينة مكونة من 219 طالبًا جامعياً ، منهم 79 طالبا الذين شملتهم هذه الدراسة (اعترفوا بأنّ إدمانهم على موقع " الفيس بوك " أثرّ سلبيًا على تحصيلهم الدراسي) وقد استخدم الباحث في دراسته على المنهج الوصفيّ التحليلي وعلى صحيفة الاستبيان كأداة للحصول على بيانات دراسته ومعدلات العامة للطلبة عينة الدراسة واستخدم للحصول على النتائج ، برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية spss في معالجة البيانات، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة : (إنّ معدل الدرجات التي حصل عليها طلاب الجامعات مدمنو الاستخدام تصفح موقع فيس بوك اقل بكثير من تلك التي حصل عليها اصدقائهم الذين لا يستخدمون الفيس بوك) كما بينت النتائج أنه كثرة الوقت الذي يقضيه الشاب الجامعي في تصفح الفيس بوك كلما تراجعت درجاته في الامتحانات واظهرت النتائج ايضا ان الأشخاص الذين يقضون وقتًا طويلا على الانترنت، يكون وقت الدراسة قليل لانشغالهم بالأنترنيت ، وأنّ موقع الفيس بوك يتيح للمستخدمين الدردشة وتكوين الصداقات وبينت النتائج (إنّ 79% من الشباب الجامعي الذين شملتهم الدراسة اقروا بانهم مدمنين باستخدامم الفيس بوك وانه أثرّ بصورة سلبية على تحصيلهم الدراسي) .

6- دراسة نرمين زكريا خضر (2009)[6]

وتهدف هذه الدراسة إلى معرفة الدوافع من استخدام الشباب الجامعي المصري لموقع الفيس بوك واكتشاف طبيعة الصداقات والعلاقات الاجتماعية التي يسعى الشباب الجامعي المصري لتكوينها , كما تهدف هذه الدراسة أيضا إلى معرفة وتحليل الآثار الاجتماعية والنفسية سواء كانت سلبية او ايجابية من جراء تعامل عينة الدراسة الميدانية مع تطبيق الفيس بوك , وذلك من خلال عينة عشوائية عمدية الذين يستخدمون موقع الفيس بوك لعدد من طلاب الجامعات المصرية عددهم (136) طالب وطالبة موزعة بالتساوي بين جامعة القاهرة والجامعة البريطانية في مصر ، وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها ، أن دافع (الترفيه والتسلية) جاء في مقدمة دوافع استخدام طلاب الجامعة لموقع الفيس بوك, وبنسبة عالية مقدارها (69.9%) من العدد الكلي لعينة الدراسة , بينما جاء دافع (خلق صداقات جديدة) بالمرتبة الثانية وبنسبة (41.2%) , ودافع (التواصل مع الآخرين وتطوير علاقات اجتماعية معهم) جاء بالمرتبة الثالثة, وبنسبة (37.5%), وتوصلت الدراسة ايضا الى ان الآثار الاجتماعية كانت ذات طابع ايجابي غلب على استخدام الشباب الجامعي المصري لموقع الفيس بوك.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

مدى الاستفادة من الدراسات السابقة :

استفاد الباحث من الدراسات السابقة في تحديد تساؤلات بحثه من خلال وضع صيغ مختلفة لأسئلة الاستبيان الخاص بالبحث للتعرف على اتجاهات مديري المدراس الحكومية في محافظة بابل نحو ما تنشره شبكات التواصل الاجتماعي وايضا تعميق مشكلة البحث وذلك من خلال تحديد متغيرات متنوعة استخدم في هذا البحث .

أهميّة البحث :

تأتي أهمية هذا البحث من حداثة موضوع وجدته حيث تسعى إلى التّعريف بأهميّة مواقع التّواصل الاجتماعيّ بتشكيل الاتجاهات واثرها على شريحة اجتماعية مهمة الا وهي ، مديري المدراس الحكومية الابتدائية والثانوية من جراء استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وذلك بسبب التّطوّر العلمي والتّكنولوجيّ الهائل ، إذ طغى استخدام التّكنولوجيا على مختلف جوانب الحياة ، وبرز شيوع استخدامها من قبل جميع الفئات على حدا سواء ، فغَزَت كلّ بيت وأصبحت في متناول يد كلّ فرد، فظهرت هناك حاجة ملحة لاستخدام مواقع التّواصل الاجتماعيّ في العمليّة التّعليميّة والاجتماعية بشكل يومي وعلى مدار الساعة .

اهداف البحث :

يهدف البحث الى :

1) التعرف على دوافع مديري المدارس الحكومية في محافظة بابل من التعرض واستخدام شبكات التواصل الاجتماعي وانماط تعرضهم لها والاثار المترتبة من هذا التعرض .
2) التعرف على اتجاهات مديري المدارس الحكومية محافظة بابل نحو شبكات التواصل الاجتماعي
3) التعرف عن مدى استفادة مديري المدارس الحكومية في محافظة بابل من شبكات التواصل الاجتماعي في عملهم .

تساؤلات البحث :

يهدف البحث على اجابة على مجموعة من التساؤلات من بينها :

1) ماهي اتجاهات مديري المدارس الحكومية في قضاء كوثى نحو محتوى ما تنشره شبكات التواصل الاجتماعي .
2) معرفة الاسباب الحقيقية او الدوافع لمديري المدارس الحكومية في محافظة بابل من جراء استخدام شبكات التواصل الاجتماعي
3) معرفة العوامل الديموغرافية (الجنس – والنوع – السكن) للمبحوثين (مديري المدارس الحكومية في محافظة بابل ، وهل تؤثر على طبيعة الاستخدام ؟
4) معرفة الاوقات المفضلة لمديري المدارس الحكومية في محافظة بابل لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي .
5) معرفة اكثر موقع من مواقع التواصل الاجتماعي استخداما من قبل مديري المدارس الحكومية في محافظة بابل .

التعريفات الاجرائية للبحث :

الاتجاهات : يعرفها الباحث حسب بحثه هذا ، بانها استعداد عقلي ووجداني مكتسب وثابت نسبيا لدى عينة الدراسة (مديري المدارس الحكومية في محافظة بابل) والذي يحدد سلوكهم وتقيمهم نحو محتوى ما تنشره شبكات التواصل الاجتماعي سواء بالقبول او بالرفض الذي ينعكس على التأثيرات المترتبة عليها .

شبكات التواصل الاجتماعي : هي عبارة عن تجمعات لأفراد خلال مجموعات محددة والذين يشتركون في صفات اساسية مثل مكان العمل او مدارس او جامعات او أي مجموعة موحدة الاهتمام ، ومن اشهر هذه الشبكات الفيس بوك وتويتر واليوتيوب وغيرها.. ومما شجع على انتشارها هو سهولة استخدامها ورخص ثمنها ولا يحتاج استخدامها الى مؤمل علمي عالٍ .

مديري المدارس الحكومية : ويقصد بها الباحث وحسب بحثه هذا انهم المسجلين بصورة رسمية كمديري لمدارسهم بعد حصولهم على شهادة علمية- اكاديمية (دبلوم او بكالوريوس او شهادة عليا) وهم مسؤولين على ادارة المدرسة وعلى الطلبة .

الاجراءات المنهجية للبحث :

نوع البحث :

يعد هذا البحث من الدراسات الوصفية التي تستهدف دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة او موقف او مجموعة من الناس بهدف الحصول على معلومات كافية ودقيقة عنها، ويهدف البحث الى معرفة اتجاهات مديري المدارس الحكومية نحو محتوى ما تنشره شبكات التواصل الاجتماعي (الفيس بوك) وماهي الآثار المترتبة عليها , دراسة حالة على المديرية العام للتربية في محافظة بابل .

منهج البحث

استخدم الباحث في هذا البحث على المنهج الوصفي من خلال وصف خصائص الظاهرة المدروسة وجمع المعلومات عنها ومتابعتها في الميدان بغية الحصول على بيانات حقيقية لتحقيق أهدافها والإجابة عن تساؤلات الدراسة.

مجتمع البحث :

يتكون مجتمع البحث من مديري المدراس الحكومية الابتدائية والثانوية والتي تشمل (المتوسطة والاعدادية) سواء كانت هذه المدارس بنين او بنات او مختلطة بواقع 400 مفردة من المبحوثين التابعين للمديرية العامة للتربية في محافظة بابل للعام الدراسي 2022- 2023 .

عينة البحث :

استعان الباحث بصحيفة الاستبيان الالكترونية وطبقها على عينة عشوائية عمدية من مجتمع الدراسة ممثلة لكل فئات عينة الدراسة من مديري المدارس الحكومية الابتدائية والمتوسطة والاعدادية سواء كانت هذه المدارس بنين او بنات او مختلطة بواقع(400) مبحوث من مديري المدارس في المديرية العامة للتربية محافظة بابل .

ادوات جمع البيانات :

اعتمد الباحث في جمع بيانات بحثه على الاستبيان الالكتروني ولجأ اليه الباحث بسبب الصعوبات واتساع عينة البحث وصعوبة التنقل بين مدراس المحافظة وخاصة في المدراس الريفية لبعدها عن مركز المحافظة وارتباط الباحث بعمله اليومي في مديرية تربية بابل ، لذلك فالاستبيان الإلكتروني هو انجح اسلوب في ظل هذه الظروف . ثم جمعها ، وتفريغها ، واجراء المعالجات الاحصائية عليها حسب متغيرات البحث . واستعان الباحث على البرنامج الاحصائي spss المستخدم على نطاق واسع في الدراسات الاجتماعية والاعلامية لتحليل بيانات البحث والحصول على النتائج النهائية .

صحيفة الاستبيان :

قام الباحث بتحديد اهداف البحث وتساؤلاته ووضع مجموعة اسئلة وضمنها في صحيفة الاستبيان الخاصة بالبحث . حاول الباحث من خلالها الى الوصول الى اجابات مقنعة وشافية تخدم البحث ، بحيث تم صياغة الاسئلة بطريقة تقيس متغيرات البحث وقد اعتمد الباحث على الاسئلة المغلقة مع وجود بديل مفتوح لتسنى للمبحوث اختيار اكثر من اجابة .وقد تم تطبيق الاستبيان على مديري المدارس الحكومية في محافظة بابل إلكترونيا ، وبعد اعداد صحيفة الاستبيان واسئلته بصورتها الاولية تم عرضها على مجموعة من الاساتذة المحكمين والأكاديميين من ذوي الخبرة في مجال تخصصهم لمعرفة مدى صلاحيتها للتطبيق والذين اشاروا بصلاحيتها للتطبيق .

مجالات البحث :

اولا/ المجال الزمني : ويشمل هذا ، السنة الدراسية 2022-2023 .

ثانيا / المجال المكاني : وهذا يخص ، عينة الدراسية (مديري المدارس الحكومية) في المديرية العامة للتربية في بابل .

ثالثا / المجال البشري : ويقصد به مديري المدارس الحكومية في المديرية العامة لتربية بابل .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

نظرية الاستخدامات والإشباعات ومفهومها :

استخدم الباحث نظرية الاستخدامات والاشباعات في بحثه هذا ، حيث تهتم نظرية الاستخدامات والإشباعات بدراسة الاتصال الجماهيري دراسة وظيفية بصورة منظمة . فخلال الاربعينات من القرن المنصرم ادى ادراك نتائج الفروق الفردية والتباين الاجتماعي بين الافراد الى ادراك السلوك المتعلق بوسائل الاتصال والاعلام الى بداية منظور جديد للعلاقة بين الجمهور ووسائل الاتصال والاعلام[7].

اذ صار الاهتمام منكبا على رضا المستخدمين لوسائل الاتصال وذلك بطرح استفسار جديد هو : ماذا يفعل الجمهور بوسائل الاعلام[8]؟ من خلال السؤال الذي طرحته نظرية الاستخدامات والإشباعات على التناقض للتساؤل القديم الذي كان سائدا فيما مضى الا هو (ماذا تفعل وسائل الاعلام بمستخدميها ؟).

فمن خلال نظرية الاستخدامات والاشباعات لا تعد الافراد مجرد مستقبلين لرسائل الاتصال الجماهيري كمتلقين سلبيين فقط ، وانما ينتقي الافراد بوعي وسائل الاتصال والاعلام التي يفضلونها عن غيرها من الوسائل في التعرض لها ، ونوع المحتوى الذي يلبي ويشبع حاجاتهم الاجتماعية والنفسية من خلال قنوات المعلومات والاخبار والتسلية والترفيه المتاحة[9] .

ويلخص كاتر واعضاء فريقه فرضيات نظرية الاستخدامات والإشباعات في النقاط التالية[10]:

1) جمهور المتلقين هو جمهور نشط واستخدامه لوسائل الاعلام هو استخدام موجه لتحقيق اهداف معينة .
2) يمتلك اضاء الجمهور المبادرة في تحديد العلاقة بين اشباع الحاجات واختيار وسائل معينة يرى انها تشبع حاجاته.
3) تنافس وسائل الاعلام مصادر اخرى لإشباع الحاجات مثل الاتصال الشخصي او المؤسسات الاكاديمية او غيرها . جمهور المتلقين هو جمهور نشط واستخدامه لوسائل الاعلام هو استخدام موجه لتحقيق اهداف معينة .

يمتلك ارضاء الجمهور المبادرة في تحديد العلاقة بين اشباع الحاجات واختيار وسائل معينة يرى انها تشبع حاجاته. الاحكام حول قيمة العلاقة بين حاجات الجمهور واستخدامه لوسيلة او محتوى معين يجب ان يحددها الجمهور نفسه ، لان الناس قد تستخدم نفس المحتوى بطرق مختلفة بالإضافة الى ان المحتوى يمكن ان يكون له نتائج مختلفة . وتحقق نظرية الاستخدامات والإشباعات ثلاثة اهداف رئيسية [11]

1) محاولة تحديد كيفية استخدام الافراد لوسائل الاعلام وذلك بالنظر الى الجمهور النشط الذي يستطيع ان يختار ويستخدم الوسائل والمضامين التي تشبع حاجاته.
2) شرح دوافع التعرض لوسائل الاعلام والإشباعات المتحققة من هذا التعرض .
3) التأكيد على نتائج استخدام وسائل الاعلام بهدف فهم عملية الاتصال الجماهيري .

عناصر نظرية الاستخدامات والإشباعات :

افتراض ان الجمهور نشط : ويرى بالمغرين ان الجمهور يكون نشط من خلال ثلاثة ابعاد رئيسية هي :

1) الانتقاء ، حيث ينتقي ويختار الجمهور الوسائل الاعلامية والمضامين وفقا لما يتفق مع حاجاته واهتماماته .
2) الاستغراق ، ويتم ذلك بالاندماج مع ما يتعرض له الجمهور من مضامين .
3) الايجابية ، بمعنى الدخول في مناقشات والتعليق على المضمون [12].

الاصول النفسية والاجتماعية لمستخدمي وسائل الاعلام :

لقد ادى ظهور مفهوم الادراك الانتقائي المرتكز على الفروق الفردية الى افتراض ان الانماط المختلفة من البشر يختارون الانشطة بأنفسهم ويفسرون وسائل الاعلام بطرق متنوعة ومتباينة اي ان العوامل النفسية يمكن ان تؤدي الى وجود حوافز وان تحدد اصول كثير من استخدامات وسائل الاعلام [13].

وقد قدمت العديد من الدراسات العلمية الدليل الامبريقي على الدور الذي تلعبه العوامل الديموغرافية والاجتماعية في التعرض لوسائل الاعلام ، مثل ارتباط هذا التعرض بالنوع والعمر والمهنة والمستوى التعليمي والاجتماعي والاقتصادي[14].

دوافع الجمهور لاستخدام لوسائل الاعلام

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

ان دوافع التعرض لوسائل الاعلام ترتبط بمجموعة من الحاجات يمكن تلخيصها اساسا الى (حاجات معرفية) اي الحاجة الى الخبر والمعرفة بشكل عام وغيرها من الحاجات و(وحاجات عاطفية) مثل الحاجة الى الاحساس بالأخوة والمحبة والفرح و(حاجات اجتماعية) وايضا حاجات تحقيق الذات وكذلك الحاجة الى الترفيه[15].

اما الدوافع فقسمها (روبن) الى فئتين هما :

1) الدوافع الوظيفية (النفعية) : وتعني اختيار الفرد لنوع معين من المضامين ولوسائل اتصالية معينة لإشباع حاجته من المعلومات المعرفية .
2) الدوافع الطقوسية : وتستهدف تمضية الوقت والتنفيس ولاسترخاء والهروب من الروتين اليومي والمشكلات[16].

تطبيق النظرية في البحث :

قام الباحث بتطبيق النظرية (الاستخدامات والإشباعات) في هذا البحث وذلك اعتبار ان مدراء المدارس الحكومية (في المديرية العامة لتربية بابل) مجتمع نشط يسعى الى معرفة الاخبار والمعلومات عن طريق استخدامه لشبكات التواصل الاجتماعي التي تمس حاجاته وبالتالي تشكيل اتجاهات جديدة تبعا لهذا التعرض وقد تكون هذه الاتجاهات سلبية او ايجابية.

خصائص العينة

جدول رقم (1) يوضح توزيع العينة من حيث جنس المبحوث:

العينة	الذكور	الاناث	المجموع
ك	252	148	400
%	%63	%37	%100

يتضح من الجدول السابق ، توزيع العينة وحسب جنس المبحوثين ، ان الذكور احتلت بالمرتبة الاولى بنسبة 63% بينما جاءت الاناث بالمرتبة الثانية وبنسبة 37% .

جدول رقم (2) يوضح توزيع العينة من حيث نوع المدرسة :

العينة	ثانوي	متوسط	ابتدائي	المجموع
ك	124	147	129	400
%	%31	%36.8	%32.2	%100

يتضح من الجدول السابق ، توزيع العينة من حيث نوع المدرسة ، ان المدارس المتوسطة احتلت بالمرتبة الاولى وبنسبة 36.8% بينما المدارس الابتدائية جاءت بالمرتبة الثانية وبنسبة 32.2% واحتلت المدارس الثانوية المرتبة الثالثة والاخيرة بنسبة 31%.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

جدول رقم (3) يوضح توزيع العينة من حيث صنف المدرسة :

العينة	بنين	بنات	مختلط	المجموع
ك	150	139	111	400
%	%37.5	%34.75	%27.75	%100

يتضح من الجدول السابق ، توزيع العينة من حيث صنف المدرسة ، ان مدارس البنين جاءت بالمرتبة الاولى وبنسبة 37.5 % بينما احتلت مدارس البنات المرتبة الثانية بنسبة 34.75 % وجاءت المدارس المختلطة بالمرتبة الثالثة والاخيرة بنسبة 27.75%.

جدول رقم (4) يوضح توزيع العينة من حيث مكان المدرسة :

العينة	ريف	حضر	المجموع
ك	178	222	400
%	%44.5	%55.5	%100

يتضح من الجدول السابق ، توزيع العينة حسب مكان المدرسة ، ان المدارس الواقعة بالحضر احتلت المرتبة الاولى بنسبة 55.5% بينما المدارس الواقعة في الريف جاءت في المرتبة الثانية بنسبة 44.5% .

جدول رقم (5) يوضح توزيع العينة من حيث المؤهل العلمي للمبحوثين:

العينة	دبلوم	بكالوريوس	ماجستير	دكتوراه	المجموع
ك	26	219	98	58	400
%	%6.5	%54.8	%24.5	%14.3	%100

يتضح من الجدول السابق ، توزيع العينة من حيث المؤهل العلمي ، ان عينة الدراسة من حملة شهادة البكالوريوس جاءت بالمرتبة الاولى بنسبة 54,8% بينما احتلت حملة شهادة الماجستير المرتبة الثانية بنسبة 34.5% وجاءت العينة من حملة شهادة الدكتوراه بالمرتبة الثالثة بنسبة 14.3% وجاءت العينة من حملة شهادة الدبلوم بالمرتبة الرابعة بنسبة 6.5% .

جدول رقم (6) يوضح توزيع العينة من حيث متوسط الدخل للمبحوثين (بالدينار العراقي):

العينة	اكثر من 2مليون دينار	من1-2مليون دينار	اقل من مليون دينار	المجموع
ك	95	198	107	400
%	%23.8	%49.5	%26.8	%100

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

يتضح من بيانات الجدول السابق ، توزيع العينة حسب متوسط الدخل ، ان العينة الذين دخلهم يتراوح بين 1-2 مليون دينار عراقي احتل المرتبة الاولى بنسبة 49.5% واحتلت العينة الذين يتراوح دخلهم اقل من مليون دينار عراقي المرتبة الثانية بنسبة 26.8% وجاءت العينة التي يتراوح دخلهم اكثر من 2 مليون بالمرتبة الثالثة بنسبة 23.8% .

جدول رقم (7) يوضح توزيع العينة من حيث العمر للمبحوثين :

العينة	من 25-34سنة	من 35-44سنة	اكثر من 45سنة	المجموع
ك	88	176	136	400
%	%22	%44	%34	%100

من هذا الجدول يتضح ان اعمار المبحوثين الذين تتراوح بين 36 -45 سنة هي الاعلى ، حيث بلغت نسبتهم 57،6% بينما كانت نسبة الاعمار اكثر من 46 سنة بالمرتبة الثانية بنسبة 24،8% بينما جاءت اعمار المبحوثين من 25-35 سنة بالمرتبة الثالثة بنسبة 17،6% .

جدول رقم (8) يوضح توزيع العينة من حيث السنوات ادارة المدرسة

العينة	من 1-5 سنة	من 6-10سنة	اكثر من 10 سنوات	المجموع
ك	79	156	165	400
%	%19.8	%39	%41.2	%100

يتضح من الجدول السابق ، توزيع العينة من حيث سنوات ادارة المدرسة ، ان العينة التي تتراوح ادارتهم للمدرسة اكثر من 10 سنوات جاءت بالمرتبة الاولى بنسبة 41.2% بينما العينة التي تتراوح ادارتهم للمدرسة من 6-10 سنوات جاءت بالمرتبة الثانية بنسبة 39% وجاءت العينة التي تتراوح ادارتهم للمدرسة من 1-5 سنوات بالمرتبة الثالثة بنسبة 19.8% .

جدول رقم (9) يوضح التطبيقات التواصل الاجتماعي الاكثر استخداما من قبل عينة الدراسة

تطبيقات التواصل الاجتماعي حسب الاستخدام	التكرار	النسبة	الترتيب
فيس بوك	150	%37.5	1
تويتر	42	%10.5	3
يوتيوب	25	%6.25	5
واتساب	40	%10	4
انستغرام	24	%6	6
تيك توك	21	%5.25	8
سناب شات	23	%5.75	7
تلكرام	75	%18.75	2
المجموع	400	%100	-

يتضح من الجدول السابق ، التطبيقات الاكثر استخداما من قبل عينة الدراسة ان الفيس بوك جاء بالمرتبة الاولى بنسبة 37.5% ثم تلكرام بالمرتبة الثانية بنسبة 18.75% وجاء بعدها توتير المرتبة الثالثة بنسبة 10.5% ثم تطبيق واتساب بالترتيب الرابع بنسبة 10% ثم تطبيق اليوتيوب بالمرتبة الخامسة بنسبة 6.25% يليه تطبيق انستغرام بالترتيب السادس بنسبة 6% ويليه تطبيق سناب شات بالمرتبة السابعة بنسبة 5.75% وبالاخير تطبيق تيك توك بالمرتبة الثامنة بنسبة 5.75% يمكن الاطلاع على ترتيب التطبيقات من خلال عمود الترتيب .

الجدول رقم (10) يوضح الاوقات المفضلة لعينة الدراسة لاستخدام مواقع التواصل الاجتماعي

الفترة المفضلة لديك لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي	التكرار	النسبة	الترتيب
الفترة الصباحية	٥٤	%١٣,٤	٤
فترة الظهيرة	٧٩	%١٩,٨	٣
في المساء	١٥٢	%٣٨	١
حسب الفراغ	١١٥	%٢٨,٨	٢
المجموع	٤٠٠	%١٠٠	-

يتضح من الجدول السابق ، الاوقات المفضلة لعينة الدراسة ، ان فترة المساء جاءت بالمرتبة الاولى بنسبة 38% ثم حسب الفراغ بالمرتبة الثانية بنسبة 28.8% وجاءت فترة الظهيرة بالمرتبة الثالثة بنسبة 19.8% تليها الفترة الصباحية بالمرتبة الرابعة بنسبة 13.4% وكما هو موضح في عمود الترتيب .

الجدول رقم (11) يوضح اسباب ودوافع اهتمام عينة الدراسة بشبكات التواصل الاجتماعي (ن=400)

اسباب متابعتك واهتمامك بشبكات التواصل الاجتماعي	التكرار	النسبة	الترتيب
حب استطلاع	١٤٤	%١١,١	٥
معرفة ومتابعة الاخبار	٢٠٥	%١٥,٨	١
التسلية والترفيه	١٠٣	%٧,٨	٨
سرعة نشر الاخبار	١٤٤	%٨,٨	٧
التحديث المستمر للأخبار	١٥٢	%١١,٧	٤
لا يحتاج الى دفع تكلفة الانترنيت	٧٦	%٥,٨	٩
التواصل مع الاصدقاء والزملاء	١٩٢	%١٤,٨	٢
التواصل مع اولياء امور الطلاب	١٨٢	%١٤	٣
التعليم والتعلم	١٣٣	%١٠,٢	٦
المجموع	١٣٠١	%١٠٠	-

يتضح من الجدول السابق ، اسباب اهتمام ودوافع عينة الدراسة بمتابعة شبكات التواصل الاجتماعي ، ان معرفة ومتابعة الاخبار جاءت بالمرتبة الاولى بنسبة 15.8% ثم تلتها التواصل مع الاصدقاء بالمرتبة الثانية بنسبة 14.8% ثم بقية الاسباب وكما هو واضح من عمود الترتيب .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

الجدول رقم (12) يوضح اعتقاد عينة الدراسة أن المداومة على متابعة مواقع التواصل الاجتماعي قد أثر بهم ايجابياً.

هل تعتقد أن مداومتك على متابعة مواقع التواصل الاجتماعي قد أثر بك ايجابيا	التكرار	النسبة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مربع كاي	درجة الحرية	مستوى المعنوية
دائما	١٣٣	%٣٣,٣	١,٨٥	٠,٧٠٣	٥٤,٩٠٥	٢	٠,٠٠٠
احيانا	١٩٤	%٤٨,٥					
نادرا	٧٣	%١٨,٣					
المجموع	٤٠٠	%١٠٠					

يتضح من الجدول السابق ، اعتقاد مداومة عينة الدراسة على متابعة مواقع التواصل الاجتماعي قد اثر بهم ايجابيا ، ان فئة " احيانا " جاءت بالمرتبة الاولى بنسبة 48.5% يعتقدون ان مداومة عينة الدراسة على متابعة مواقع التواصل الاجتماعي اثر بهم ايجابيا ، وان فئة " دائما " احتلت المرتبة الثانية بنسبة 33.3% بينما احتلت فئة "نادرا " المرتبة الثالثة بنسبة 18.3% من عينة الدراسة الميدانية. كما يتضح ايضا ان عينة الدراسة ترى بشكل عام يعتقدون " احيانا " ان مداومتهم على متابعة مواقع التواصل الاجتماعي قد اثر بهم ايجابيا حيث بلغ الوسط الحسابي لمعدل اعتقادهم 1.85 وبانحراف معياري قدره 0.703 وهو اقل من الواحد الصحيح مما يدل على اتفاق عينة الدراسة في ثقتهم ، وتوجد فروق بينهم في ثقتهم لصالح " احيانا " ثم " دائما " ثم " نادرا " حيث بلغت قيمة مربع كاي = 54.905 ودرجة الحرية 2 وهي دالة احصائيا عند مستوى معنوية (0.000) .

الجدول رقم (13) يوضح ، التأثيرات المعرفية لشبكات التواصل الاجتماعي على عينة الدراسة

العبارات	اتفق بشدة		اتفق		لا اتفق		الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مربع كاي	درجة الموافقة	الترتيب
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة					
تجعلني شبكات التواصل الاجتماعي افهم طبيعة الموضوعات بعمق	١٦٢	%٤٠,٥	١٢٣	%٣٠,٧٥	١١٥	%٢٨,٧٥	١,٨٨	٠,٨٢٥	٩,٤٨٥	اتفق بشدة	٢
تجعلني شبكات التواصل الاجتماعي افهم الاسباب والنتائج المترتبة	١٤٣	%٣٥,٧٥	١٧٢	%٤٣	٨٥	%٢١,٢٥	١,٨٦	٠,٧٤٢	٢٩,٤٣٥	اتفق	٣
تساعدني شبكات التواصل الاجتماعي على التعرف على الاحداث الجارية	١٧٧	%٤٤,٢٥	١٤٩	%٣٧,٢٥	٧٤	%١٨,٥	١,٧٤	٠,٧٥٠	٤٢,٥٤٥	اتفق بشدة	٤
تساعدني شبكات التواصل الاجتماعي على اثراء معلوماتي العامة	١٨٨	%٤٧	١٢٩	%٣٢,٢٥	٨٣	%٢٠,٧٥	١,٧٤	٠,٧٨١	٤١,٥٥٥	اتفق بشدة	٥
تقوم شبكات التواصل الاجتماعي بتشويش افكاري ومعلوماتي عن المواضيع المطروحة	١٠٢	%٢٥,٢٥	١٢٤	%٣١	١٧٤	%٤٣,٥	٢,١٨	٠,٨١١	٢٠,٩٤٧	لا اتفق	١

يتضح من الجدول السابق ، ، التأثيرات المعرفية لشبكات التواصل الاجتماعي على عينة الدراسة ، ان تقوم شبكات التواصل الاجتماعي بتشويش افكاري ومعلوماتي عن المواضيع المطروحة جاءت بالمرتبة الاولى

بدرجة موافقة (لا اتفق) بوسط حسابي (2.18) ثم جاءت تجعلني شبكات التواصل الاجتماعي افهم طبيعة الموضوعات بعمق بالمرتبة الثانية بدرجة الموافقة (اتفق بشدة) وبوسط حسابي قدرة 1.88 ، ثم بقية العبارات كما هو واضح من خلال عمود الترتيب .

الجدول رقم (14) يوضح التأثيرات الوجدانية لشبكات التواصل الاجتماعية على عينة الدراسة

العبارات	اتفق بشدة		اتفق		لا اتفق		الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مربع كاي	درجة الموافقة	الترتيب
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة					
تشعرني شبكات التواصل الاجتماعي أني في موقع الحدث	١٧٥	%٤٣,٧٥	١٢٤	%٣١	١٠١	%٢٥,٢٥	١,٨٢	٠,٨١١	٢١,٥١٥	اتفق بشدة	٤
ترفع شبكات التواصل الاجتماعي الروح المعنوية لدي من معرفة المعلومات	١٥٨	%٣٩,٥	١٨١	%٤٥,٢٥	٦١	%١٥,٢٥	١,٧٦	٠,٧٠٠	٦٠,٨٤٥	اتفق	٥
تجعلني شبكات التواصل الاجتماعي اشعر بالملل اتجاه الموضوعات المطروحة	٨٩	%٢٢,٢٥	١٢١	%٣٠,٢٥	١٩٠	%٤٧,٥	٢,٢٥	٠,٧٩٧	٩٣,٩٦٥	لا اتفق	١
اشعر ان شبكات التواصل الاجتماعي تنقل لي جو تشاؤمي للمواضيع المطروحة	٩٥	%٢٣,٥	١٢٥	%٣١,٢٥	١٨٠	%٤٥	٢,٢٢	٠,٨٠١	٢٨,٥٢٦	لا اتفق	٢
اشعر بمصداقية وموضوعية بتناول شبكات التواصل الاجتماعي للمواضيع المختلفة أكثر من وسائل الاعلام الاخرى	١٧٠	%٤٢,٥	١٢٨	%٣٢	١٠٢	%٢٥,٥	١,٨٣	٠,٨٠٨	١٧,٦٦٠	اتفق بشدة	٣

يتضح من الجدول السابق ، التأثيرات الوجدانية لشبكات التواصل الاجتماعي على عينة الدراسة ، ان تجعلني اشعر بالملل اتجاه الموضوعات المطروحة جاءت بالمرتبة الاولى وبدرجة الموافقة (لا اتفق) بوسط حسابي 2.25 بينما جاءت ، اشعر ان شبكات التواصل الاجتماعي تنقل لي جو تشاؤمي للمواضيع المطروقة بدرجة موافقة (لا اتفق) بوسط حسابي 2.22 ، ثم بقية العبارات كما هو واضح من عمود الترتيب .

الجدول رقم (15) يوضح التأثيرات السلوكية لشبكات التواصل الاجتماعية على عينة الدراسة

العبارات	اتفق بشدة		اتفق		لا اتفق		الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مربع كاي	درجة الموافقة	الترتيب
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة					
تدفعني شبكات التواصل الاجتماعي الى البحث عن معلومات اضافية وجديدة	١٦٥	%٤١,٢٥	١٢٢	%٣٠,٥	١١٣	%٢٨,٢٥	١,٨٧	٠,٨٢٤	١١,٥٨٥	اتفق بشدة	٢
تساعدني شبكات التواصل الاجتماعي على تبني الآراء والنقاش مع الاخرين	١٨٢	%٤٥,٥	١٢٨	%٣٢	٩٠	%٢٢,٥	١,٧٧	٠,٧٩٣	٣٢,٠٦٠	اتفق بشدة	٥
تزيد شبكات التواصل الاجتماعي من شعوري بالخمول والملل وعدم القناعة بما ينشر	٩٤	%٢٣,٥	١٢٥	%٣١,٢٥	١٨١	%٤٥	٢,٢٢	٠,٨٠١	٢٨,٥٢٦	لا اتفق	١
تزيد شبكات التواصل الاجتماعي من اهتمامي بالمواضيع المنشورة	١٦١	%٤٠,٢٥	١٣٢	%٣٣	١٠٧	%٢٦,٧٥	١,٨٧	٠,٨٠٨	١٠,٩٥٥	اتفق بشدة	٣
توجهني شبكات التواصل الاجتماعي لاتخاذ مواقف معينة اتجاه المواضيع المنشورة	١٦٨	%٤٢	١١٩	%٢٩,٧٥	١١٣	%٢٨,٢٥	١,٨٦	٠,٨٢٨	١٣,٦٥٥	اتفق بشدة	٤

ويتضح من الجدول السابق ، التأثيرات السلوكية لشبكات التواصل الاجتماعي على عينة الدراسة ، ان عبارة تزيد شبكات التواصل الاجتماعي من شعوري بالخمول والملل وعدم القناعة بما ينشر ، جاءت بالمرتبة الاولى بدرجة الموافقة (لا اتفق) بوسط حسابي 2.22 .
ومن جداول التأثيرات (المعرفية والوجدانية والسلوكية) السابقة ، يتضح ان المبحوثين رفضوا العبارات السلبية بأغلبية وكانت متصدرة للعبارات بوسط حسابي اعلى من بقية العبارات الاخرى ، وهذا يدل ان لمواقع التواصل الاجتماعية لها تأثيرات معرفية ووجدانية وسلوكية ايجابية على عينة الدراسة .

نتائج البحث

1) اتضح من البحث ان اتجاهات مديري المدارس الحكومية في محافظة بابل كانت اغلبها ايجابية نحو ما تنشره شبكات التواصل الاجتماعي وهذا هو الإجابة على السؤال الرئيسي لمشكلة البحث التي سعى الباحث الى ايجاد الاجابة عليه .
2) اتضح من نتائج البحث انه العوامل الديموغرافية للمبحوثين لا تؤثر على طبيعة الاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي ، حيث انه بالإمكان استخدامها لأي شخص كان لأنها لا تحتاج الى جهد او ثقافة كبيرة اضافة الى رخص الاشتراك وسهوله الاستخدام .
3) اتضح ان الاوقات المفضلة لأغلب المبحوثين يفضلون فترة المساء ، وهذا يرجع ان انشغالهم في امور المدارس او امور اجتماعية اخرى في فترات الصباح والظهيرة .
4)اتضح من نتائج البحث ان عينة البحث تستخدم شبكات التواصل الاجتماعي للاستفادة من عملهم في ادارة مدارسهم وتبادل المعلومات والتعليمات المدرسية والتواصل مع اولياء الامور الطلاب ، فقد جاءت هذه في مقدمة اسباب استخدام مواقع التواصل الاجتماعي .
5)اتضح ايضا من نتائج البحث ان الفيس بوك هو الاستخدام الاكثر شعبية لمديري المدارس الحكومية في محافظة بابل ، اكثر من اي موقع اخر . وذلك لما فيه من مميزات وخاصيات متوفرة فيه اكثر من اي تطبيق اخر من تطبيقات شبكات التواصل الاجتماعي من حيث الشعبية والتفاعلية والمناقشة وابداء الآراء وامكانية تكوين والانضواء تحت مجموعات خاصة وعامة فيه
6) يتضح من الجدول السابق ، اسباب اهتمام ودوافع عينة الدراسة بمتابعة شبكات التواصل الاجتماعي ، ان معرفة ومتابعة الاخبار جاءت بالمرتبة الاولى بنسبة 15.8% ثم تلتها التواصل مع الاصدقاء بالمرتبة الثانية بنسبة 14.8% ثم بقية الاسباب وكما هو واضح من عمود الترتيب .
7) يوجد تأثيرات معرفية ووجدانية وسلوكية ايجابية على عينة الدراسة حيث بينت الجداول ان المبحوثين رفضوا بشدة العبارات السلبية وكانوا متفقين على العبارات الايجابية وهذا يؤكد ان تأثيرات شبكات التواصل الاجتماعي كانت ايجابية .

التوصيات :

تشهد شبكات التواصل الاجتماعي اقبالا واسعا بحكم الظروف العامة التي يشهدها العالم اجمع والعراق بصورة خاصة . التي جعلت من شبكات التواصل الاجتماعي ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها حتى اصبح وسيلة للتواصل الاجتماعي الاكثر اعتمادا بين الجمهور ، لما لها من مميزات تميزها عن غيرها لذلك يوصي الباحث ، على مديري المدارس الحكومية تشكيل كروبات ومجاميع على شبكات التواصل الاجتماعي بين ادارة المدارس وبين اعضاء الهيئة التربوية والتدريسية للتبليغ ونشر التعليمات المباشرة والمستعجلة ، كذلك انشاء مجاميع مع اولياء الامور لتبليغ التعليمات والمواعيد المهمة لامتحانات وغيرها من الامور . وايضا التواصل مع ادارات المدارس الاخرى لتبادل المعلومات والمستجدات فيما يخص التعليم والتعلم .
ورأينا كيف ان الظروف كورونا جعلت اغلب التعليم في دول العالم يعتمد على التعليم عن بعد او التعليم الالكتروني وهذه دعوة الى الاهتمام وايجاد واستحداث اكثر من وسيلة للتوصيل المادة العلمية للطلاب

بشتى المسميات ، مما يحفز مديري المدارس الحكومية الى ايجاد وسيلة متطورة وسهلة في نفس الوقت للتواصل مع الإدارة والطلاب من جهة , وبين الادارة المدرسية وبين اولياء امور الطلاب من جهة اخرى . لذا اوصي ، على إدارات المدراس الحكومية في محافظة بابل بإيجاد مجموعات تضم اولياء امور الطلاب مع اساتذة المدرسة للتفاهم وللنقاش وايجاد الحلول المناسبة للمشاكل التي قد تواجه العملية التربوية والتدريسية في المدارس . وتكون هذه المجموعة رسمية ومفتوحه للجميع في ابداء الرأي ومتابعة مستوى الطلاب بالمدرسة وتكون بمثابة بوابة لنشر نتائج الامتحانات الفصلية والنهائية للطلاب والتبليغات ، وتبقى هذه مستمرة على مدار العام الدراسي لما لها من فوائد عامة للإدارة المدرسة ولأولياء الأمور للطلاب .

المصادر :

1) خضور ،اديب (1999)، دور الاعلام في مكافحة المخدرات ،ط1 ، دار الايام , الجزائر .
2) مكاوي ، حسن عماد ، والسيد ، ليلى حسين (2003) ، الاتصال ونظرياته المعاصرة : ط1، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، مصر .
3) حسن ، حمدي (1991) : الوظيفة الاخبارية لوسائل الاعلام ، دار الفكر العربي ، مصر .
4) ابو اصبع ، صالح خليل (2004) ، الاتصال والاعلام في المجتمعات المعاصرة ط4، دار الارام ، الاردن .
5) غزي ، عبد الرحمان (2003) ، دراسات في نظرية الاتصال(نحو فكر اعلامي متميز) ط1، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان .
6) عبد الحميد ، محمد عبد (2000) ، نظريات الاعلام واتجاهات التأثير :ط1،عالم الكتب ،القاهرة ، مصر .
7) العادلي ، مرزوق عبد الحكم (2004) ، الاعلانات الصحفية " دراسة في الاستخدامات والإشباعات ، ط 1، دار الفجر ، القاهرة ، مصر .
8)ميلفين ديفلير وساندرا بول روكتيش (1993) , نظريات الاعلام , ترجمة كمال عبد الرؤوف ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر .
9) خضر ،نرمين زكريا (٢٠٠٩)، الآثار النفسية والاجتماعية لاستخدام الشباب المصري لمواقع الشبكات الاجتماعية : دراسة على موقع الفيس بوك. مقدمة إلى مؤتمر كلية الأعلام ، جامعة القاهرة ، وهو بعنوان : الأسرة والإعلام وتحديات العصر ، والذي عقد في الفترة ما بين ١٥ – ١٧ فبراير ٢٠٠٩م
10) المصري ، نعيم (٢٠١٠)، استخدامات الطلبة الجامعيين لمواقع التواصل الاجتماعي وأثره على وسائل الإعلام الأخرى دراسة ميدانية على عينة من طلبة الكليات الفلسطينية، ورقة بحثية قدمت إلى مؤتمر كلية الإعلام بجامعة اليرموك ، وعنونه " الإعلام والتحولات المجتمعية في الوطن العربي" والذي عقد في الفترة ما بين ٢٣ – ٢٥/ تشرين الثاني/ ٢٠١١م ، جامعة اليرموك ، إربد ، الأردن .
11-Aren, Karbiniski. (2010) *Facebook and the technology revolution* , N,Y Spectrum Publications **.**
12-**Junco**, R. (2012*). The relationship between frequencies of Facebook use. Participation in Facebook activities, and student* engagement Computers & Education 58,162-171.

[1]) محمد ، أحمد حسن علي (2018) ، *دور مواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل اتجاهات الشباب الجامعي نحو قضايا العنف الأسرى* ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، مصر ، 2018

[2]) الرحمانة ، ناصر سعود (2018) ، *خطاب الكراهية في شبكة الفيس بوك في الاردن دراسة مسحية* ، رسالة ماجستير ، قسم الصحافة والاعلام ، كلية الاعلام ، جامعة الشرق الاوسط ، عمان ، الاردن .

([3]) Junco, R. (2012). *The relationship between frequencies of Facebook use. Participation in .Facebook activities, and student*. engagement Computers & Education 58,162-171

[4]) المصري ، نعيم (٢٠١٠)، *استخدامات الطلبة الجامعيين لمواقع التواصل الاجتماعي وأثره على وسائل الإعلام الأخرى دراسة ميدانية على عينة من طلبة الكليات الفلسطينية.* ورقة بحثية قدمت إلى مؤتمر كلية الإعلام بجامعة اليرموك ، وعنونه " الإعلام والتحولات المجتمعية في الوطن العربي" والذي عقد في الفترة ما بين ٢٣ – ٢٥/ تشرين الثاني/ ٢٠١١م ، جامعة اليرموك ، إربد ، الأردن.

.5)Aren, Karbiniski. (2010*) Facebook and the technology revolution* , N,Y Spectrum Publications

[6]) خضر ، نرمين زكريا (٢٠٠٩)، *الآثار النفسية والاجتماعية لاستخدام الشباب المصري لمواقع الشبكات الاجتماعية : دراسة على موقع الفيس بوك.* مقدمة إلى مؤتمر كلية الأعلام ، جامعة القاهرة ، وهو بعنوان : الأسرة والإعلام وتحديات العصر ، والذي عقد في الفترة ما بين ١٥ – ١٧ فبراير ٢٠٠٩م

[7])خضور، أديب (1999)، *دور الإعلام في مكافحة المخدرات* ، الطبعة الاولى ، دار الأيام، الجزائر ، ص 9

[8]) ميلفين ديفلير وساندرا بول روكتيش (1993) , *نظريات الاعلام* , ترجمة كمال عبد الرؤوف ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ص 266.

[9]) ابو اصبع ، صالح خليل (2004) ، *الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة*، ط 4 ، دار الارام ،الاردن ، ص 140

[10]) مكاوي ، حسن عماد ، والسيد ، ليلى حسين (2003) ، *الاتصال ونظرياته المعاصرة* ، ط1، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، مصر ، ص240

[11]) عبد الحميد، محمد (2000) ، *نظريات الإعلام واتجاهات التأثير*، ط 8 ،عالم الكتب، القاهرة _مصر، ص 222

[12]) العادلي ، مرزوق عبد الحكم (2004) ، *الاعلانات الصحفية " دراسة في الاستخدامات والإشباعات* ، ط 1، دار الفجر ، القاهرة ، مصر ، ص115– 116

[13]) حسن ، حمدي (1991) ، *الوظيفة الاخبارية لوسائل الاعلام* ، دار الفكر العربي ، مصر ، ص 21

[14]) مكاوي ، حسن عماد ، و السيد ، ليلى حسين ، مرجع سابق . ص 24.

[15])عبد الرحمان عزي (2003) ، دراسات في نظرية الاتصال(نحو فكر اعلامي متميز) ط1، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، ص115

[16]) العادلي ، مرزوق عبد الحكم ، مرجع سابق ، ص 118

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

أثر العلاقات الإقليمية على نظام الحكم في دولة أفغانستان

الباحث: حمود لفلوف عبد
أ.د. ظاهر عبد الزهرة الربيعي
جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الانسانية - قسم الجغرافية

المستخلص:

امتازت افغانستان بموقع جغرافي مهم ما جعلها عرضة لأطماع بعض الدول الاقليمية، فضلاً عن دورها المؤثر في أنماط التفاعلات الاقليمية، ما حدا ببعض دول جوارها الى بسط نفوذها عليها وتوجيه سياستها الخارجية بما يتفق والامن القومي لتلك الدول، وقد استغلت هذه الدول ظروف أفغانستان التي اتسمت بالضعف لخلق أكبر قدر ممكن من المنافع لها وتوسيع مجال نفوذها في أفغانستان، وتعددت وتباينت انواع العلاقات التي تربط أفغانستان بدول جوارها والتي كان ابرزها الرابط الديني والقومي والاجتماعي والاقتصادي، وتختلف طبيعة تلك العلاقات باختلاف انظمة الحكم وتوجهها الايديولوجي والسياسي.

Abstract:

Afghanistan was distinguished by an important geographical location, which made it vulnerable to the ambitions of some regional countries, in addition to its influential role in the patterns of regional interactions, which prompted some of its neighboring countries to extend their influence over it and direct their foreign policy in accordance with the national security of those countries. To create the largest possible amount of benefits for it and expand its sphere of influence in Afghanistan, and the types of relations that bind Afghanistan with its neighboring countries have multiplied and varied, the most prominent of which was the religious, national, social and economic ties, and the nature of those relations varies according to the different regimes and their ideological and political orientation.

المقدمة:

في ضوء ما تشهده الساحة الأفغانية من تنافس حاد بين العديد من القوى الإقليمية التي تسعى إلى ملء الفراغ الذي خلّفه الانسحاب الكامل لقوات الولايات المتحدة الأمريكية وحلف شمال الأطلسي (الناتو) في 2021، بالتوازي مع حرص حركة طالبان على تعزيز نفوذها وتوسيع نطاق سيطرتها على الأراضي الأفغانية بعد حرب دامت 20 عاماً.

إذ يشكل نظام توازن القوى في منطقة الشرق الأوسط مصدراً لاستقرار الإقليم وضرورة مهمة جداً لحفظ الاستقرار والسلم العالمي، الذي تعرض لعدد من الاهتزازات والتحولات تسببت بها القوى الإقليمية في المنطقة من جهة والنظام الدولي من جهة أخرى.

واستناداً لذلك فقد جاء البحث لدراسة (أثر العلاقات الإقليمية على نظام الحكم في دولـــة أفغانستان) في اطار المنهج التحليلي ووفقاً لأدبيات البحث في الجغرافية السياسية من اجل الوقوف على حيثيات تلك العلاقة وأثرها على نظام الحكم في دولة أفغانستان، وتمثلت مشكلة الدراسة بمجموعة من التساؤلات أبرزها:

- هل أثرت العلاقات الاقليمية على نظام الحكم في دولة أفغانستان؟
- هل كان للعامل الجغرافي اثر في طبيعة العلاقات بين أفغانستان ودول جوارها؟
- ماهي المراحل التي مرت بها العلاقات الافغانية مع كل من دول جوارها؟

فرضية البحث:

ويفترض البحث أن ثمة تأثير للدول الاقليمية على نظام الحكم في دولة أفغانستان، ومرد هذا التأثير لعوامل يأتي في مقدمتها العامل الجغرافي.

هدف البحث:

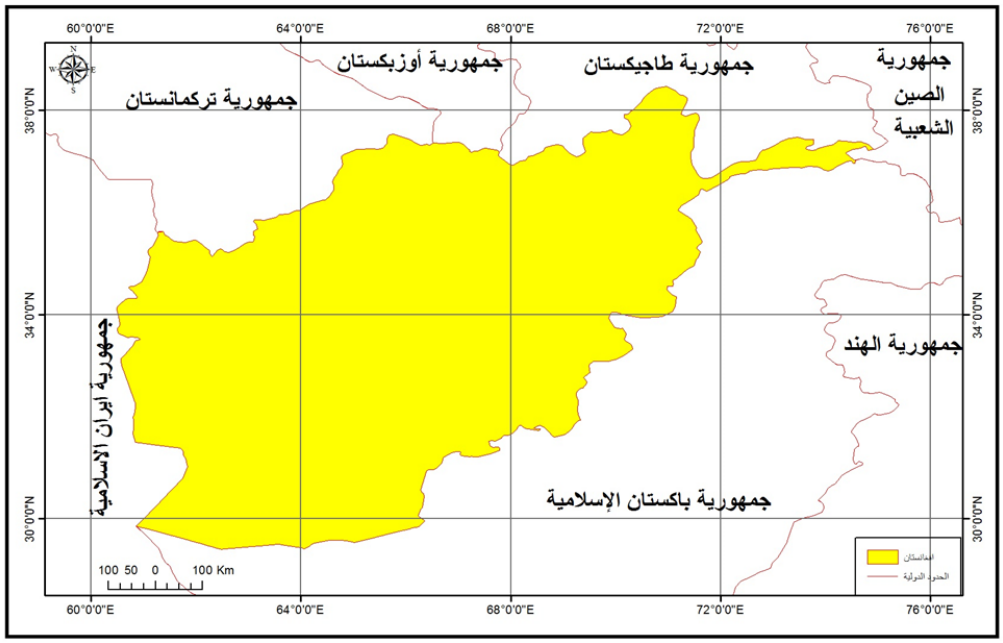
ويهدف البحث الى التعرف على تأثير دول الجوار الجغرافي في الوضع السياسي الافغاني عبر العلاقات المتفاوتة بين أفغانستان وكل من دول جوارها.

حدود منطقة البحث:

وتمثلت حدود منطقة البحث المكانية بالحدود السياسية لدولة أفغانستان، اما الحدود الزمانية فتمثلت بدراسة العلاقات الافغانية مع كل من دول جوارها للمدة 2001-2022 مع الرجوع للماضي بحسب ما تقتضيه ظروف البحث.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

خريطة موقع الجوار الجغرافي لدولة أفغانستان



المصدر[1]: اعتمادا على: إبراهيم حلمي الغوري، أطلس العراق والوطن العربي والعالم، (د، ط)، دار الشروق العربي، بيروت، 2010 ، ص 16

منهج البحث:

اعتمد البحث أكثر من منهج من أجل الوصول لنتائج دقيقة، فقد اعتمد المنهج التاريخي لتوضيح أبرز المراحل التاريخية التي مرت بها العلاقات بين أفغانستان وكل من دول جوارها والمنهج التحليلي الذي اعتمد في تبيين طبيعة العلاقة بين أفغانستان وكل من دول جوارها.

هيكلية البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وست مباحث تضمن كل مبحث منها دولة من دول جوار أفغانستان الست واختتم البحث بالنتائج والتوصيات.

المبحث الاول: جمهورية باكستان الإسلامية

تشترك الدولتان الجارتان بروابط تاريخية وثقافية عميقة، إذ أصبح فكلاهما عضواً في رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي، اتصفت العلاقات بينهما بالتذبذب بين القوية والضعيفة لأسباب عدة أولها رفضت أفغانستان قبول باكستان في الأمم المتحدة منذ عام 1947 عندما حصلت باكستان على استقلالها وتقدمت بطلب الانضمام للامم المتحدة على غرار باقي الدول[2]. وثانيهما الاختلاف على خط (ديوراند) الخط الحدودي بين الدولتين الذي وضعته بريطانيا عند خروجها من الهند عام 1893، في أيام حكم الأمير عبد الرحمن خان لأفغانستان والذي لم تعترف فيه ايّة حكومة أفغانية لاحقة. اذ قسم هذا الخط القبائل البشتونية الى قسمين. وثالثها قيام أفغانستان بتسليح الحركات الانفصالية في باكستان الحديثة. إذ ازدادت حدة التوترات مع العديد من القضايا المتعلقة بالحرب على أفغانستان (1978 لحد الآن) فضلاً عن ملايين اللاجئين الأفغان[3]. والذي قدر عددهم بأربعة ملايين لاجئ لجئوا الى باكستان[4].

اتهم الجيش الباكستاني أفغانستان بإيواء مختلف الجماعات الإرهابية التي تشن هجمات على باكستان، في حين اتهمت السلطات الافغانية وكالة الاستخبارات الباكستانية بتمويل أمراء الحرب وطالبان، وبتأسيس معسكرات إرهابية داخل الأراضي الباكستانية لإستهداف أفغانستان. إذ تضم باكستان أربعة جماعات قومية (السنديين والبنجابيين والبلوشيين والباتانيين (الباشتو))، ويدين 95% من الشعب الباكستاني بالإسلام وما تبقى من الهندوس والسيخ[5]. وينتمي المسلمون السنة في باكستان إلى ثلاث مدارس هي: البريلوية (الصوفيون) وأهل الحديث والديوبندية[6]. وتربط أفغانستان بباكستان روابط تاريخية وثقافية وجغرافية إذ لا يمكن كسر تلك الروابط بل يجب تدعيمها بالتوصل إلى حلول مقبولة ومرضية للطرفين في المسائل الخلافية كمسألة الحدود، والتعاون في مسائل مثل معالجة مشاكل البطالة ونقص الخدمات والمرافق العامة، وضعف الحكم وقضايا أخرى يمكن أن تعيق تقم الطرفين كالإرهاب والتطرف والذي كان سببه الإخفاقات الماضية[7].

وتعمل الدولتان معاً لايجاد حلول للمشاكل التي تؤثر عليهما. وهذا يشمل امكانية التعاون الدفاعي وتبادل المعلومات الاستخباراتية مع زيادة تعزير التجارة البينية والغاء التأشيرات لحاملي جوازات السفر الدبلوماسية لتسهيل السفر بين الدولتين. فضلا عن توقيع مذكرات تفاهم تجارية بينهما ومذكرة لبناء خطوط سكك حديدية في افغانستان لربطها بخطوط السكك الحديدية الباكستانية.

ولعبت باكستان دوراً مهماً في اقناع حركة طالبان بالمشاركة فى المحادثات مع الحكومة الأفغانية في عام 2020, واعترفت الولايات المتحدة بدورها في العملية. وخاضت افغانستان و باكستان نزاعات طويلة حول ادارة حدودهما المشتركة التي يبلغ طولها (2600) كيلو مترا والمعروفة باسم خط ديوراند. المعترف به من قبل الامم المتحدة واعضائها إذ اتخذت باكستان قراراً بتسييج الخط باسلاك شائكة مزدوجة بإرتفاع اربعة امتار ومزودة بكامرات مراقبة دقيقة لتجنب تدفق اللاجئين الافغان او تسلل العناصر الإرهابية المسلحة الى اراضتها. يتم معظم التبادل بين الدولتين من خلال معبر تور خام الحدودي. اذ بلـــغ حجم التبادل التجــاري بينهمـا (1-3) مليار دولار سنوياً[8].

وقد عملت باكستان جاهدة على إيجاد نظام حكم موالي لها في كابل، عبر إستخدامها للعامل القومي والمذهبي في أفغانستان، فمن دعمها لـ (حكمتيار) الزعيم البشتوني إلى دعم جماعة طالبان ذات الأغلبية البشتونية، إذ تسعى إلى الحفاظ على مصالحها في أفغانستان من خلال إيجاد حكومة موالية لها في أفغانستان ذات الموقع الجغرافي الحساس.

المبحث الثاني: جمهورية طاجيكستان

ترتبط جمهورية طاجيكستان بدولة أفغانستان بكثير من الوشائج والعلاقات والتي تسعى من خلال تلك العلاقات إلى تلبية مصالحها وحفظ أمنها القومي.

وتقع طاجيكستان الى الشمال الشرقي من أفغانستان، وترتبط معها بحدود يبلغ طولها نحو (1345)، كيلو مترا وهو ما يعادل (22.7%) من مجموع حدود أفغانستان[9].

وبلغ عدد سكانها عام 2020 نحو (9,500,000) نسمة[10]، ويتوزع هؤلاء السكان على عدد من المجموعات العرقية وهي: طاجيك (84.3%)، أوزبك (12.2%)، قرغيز (0.08%)، روس (0.05%)، تركمان (0.02%)، تتار (0.01%)، مجموعات عرقية أخرى (1.9%) وتجري طاجيكستان تعداداً للسكان بشكل منتظم كل عشر سنوات منذ عام 2000[11].

وقد لعبت طاجيكستان دورا بارزا في السياسة الأفغانية من خلال دعمها لبعض القوميات مثل الطاجيك وهم ثاني اكبر قومية في أفغانستان والأوزبك وغيرهم وتخشى طاجيكستان من تفاقم الأوضاع في

افغانستان ومن سيطرة الجماعات الأصولية المتطرفة على مقدرات الجارة افغانستان، فهي تعمل على تأمين حدودها خشية انتقال المتمردين والانشطة الارهابية والمخدرات الى اراضيها، ويوفر الاستقرار السياسي في افغانستان لها فرص اقتصادية كبيرة مثل تطور التجارة عبر افغانستان الى جنوب آسيا، كبديل عن الطرق الروسية والأوزبكية وتصديرها للفائض من انتاج الطاقة الكهربائية الى جانب قرغيزستان إلي أفغانستان ثم إلى باكستان، ومن المشاريع الاقتصادية الواعدة مشروع سكة حديد تركمانستان - أفغانستان - طاجيكستان، وتدعم طاجيكستان تقاسم السلطة في أفغانستان بين المجموعات العرقية المختلفة على العكس من سياسة الناتو والولايات المتحدة في تفضيل البشتون على الطاجيك[12].

وفي عام 2021 سيطرت طالبان على السلطة في أفغانستان بعد انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية، مما أدى بتطور الأوضاع بين الدولتين وحشَّد كل منهما قواته على الحدود وكادت أن تندلع المواجهة العسكرية بسبب التصريحات المتشنجة والمتبادلة بين قادة الدولتين، إذ منحت طاجيكستان حق اللجوء لكبار قادة المقاومة الأفغانية وكبار قادة الحكومة التي أسقطتها طالبان، كما منحت سابقاً مئات الآلاف من القومية الطاجيكية حق اللجوء ابان الحرب الاهلية في افغانستان، كما لجأ أفراد القوة الجوية الأفغانية بطائراتهم الحربية الى طاجيكستان عقب سيطرة حركة طالبان على السلطة[13].

ولطاجيكستان تأثيراً بالغاً على نظام الحكم في افغانستان من خلال امتلاكها لادوات التأثير في الداخل الأفغاني للإرتباط العرقي وولاء عدد من التيارات والاحزاب السياسية الأفغانية لها.

المبحث الثالث: جمهورية إيران الإسلامية

تمتاز العلاقات الأفغانية الإيرانية بالترابط التاريخي الاثنوغرافي فلها روابط عميقة مع الطاجيك والهزارة وأهالي مدينة هرات والشيعة والمتحدثين باللغة الفارسية. ويرتبط البشتون السنة والبلوش الإيرانيين بصلات قرابة وروابط دينية وثقافية تجمع الطرفين[14]. إذ تحد إيران أفغانستان من جهة الغرب، وتبلغ طول الحدود بينهما نحو (945) كيلومتراً, ما يعادل (16%) من مجموع حدود أفغانستان البالغة نحو (5914) كيلومتراً[15] وتبلغ مساحة إيران نحو (1.630.000) كيلومتراً مربعاً وعدد سكانها عام 2021، (85) مليون نسمة[16].

وتضم ايران عدد من القوميات اهمها: الفرس (51%)، والأذريين (24%)، والجيلكي والمازندراني (8%)، والكردي (7%)، والعربي (3%)، واللور (2%)، والبلوش (2%)، والترك(2%)، وقوميات اخرى (1%)[17].

وقد دعمت إيران أفغانستان ماليا وفنيا لإعادة أعمارها ولاسيما المقاطعات الغربية منها و كانت إيران من اكبر الجهات المانحة لأفغانستان، ويزداد التبادل التجاري بين الدولتين إذ تصدر ايران لأفغانستان الغذاء والدواء والنفط وكثير من البضائع المهمة، واستثمرت إيران في المنظمات غير الحكومية الأفغانية مثل المدارس والمؤسسات الإعلامية وساهمت طهران في جهود المصالحة الداخلية الأفغانية، بين أحزابها وقومياتها وقبائلها بوسائل عدة والعمل على تطور العلاقات بينهما واستمرارها[18]

وقد كانت ايران من اول الدول التي اعترفت رسمياً بحكومة داود خان، الذي اطاح بالنظام الملكي، ولم تخلو العلاقات الافغانية الايرانية من الخلافات ابان الحكم الملكي لاسيما مع وجود قضية نهر هلمند[19].

اذ وقعت عدد من الاتفاقيات بين الدولتين حول تقاسم مياه نهر هلمند، وأهم تلك الاتفاقيات اتفاقية عام 1973، بين (امير عباس هويدا) رئيس الوزراء الايرانى و محمد موسى شفيق) رئيس الوزراء الأفغاني، والتي حددت (26) متراً مكعبا في الثانية اي ما يعادل (820) مليون مترا مكعبا سنويا من مياه النهر كحصة لإيران، إلا أن تلك الاتفاقية لم تنفذ بسبب الاوضاع الداخلية لأفغانستان، واستطاعت حركة طالبان

ابان سيطرتها على افغانستان عام 1996 ، من قطع المياه عن ايران بشكل كامل، وعند سقوط حكومة طالبان عقدت اتفاقية تعاون بين الجانبين نص البند الثالث عشر منها على تطبيق معاهدة 1973، وقد امتنع الرئيس الأفغاني (اشرف غنى) عام 2021، عن امداد ايران بالمياه بشكل مجاني، مما ادى الى انخفاض حصة ايران من نهر هلمند وهناك نزاع اخر بين الدولتين حول نهر (هري رود) الذي ينبع من المرتفعات الوسطى في أفغانستان بطول (1100) كيلومتر ويمر في ايران ويصب في تركمانستان، إذ يؤثر مباشرة على حياة اكثر من (3) مليون نسمة في أقليم خراسان رضوي في إيران وانخفضت كمية المياه فيه الى النصف وهذا مخالف للاتفاقات الدولية للأنهر الدولية العابرة للحدود[20]. ولم تتردد طهران بالتعامل مع حكومة طالبان الجديدة و تدعيم علاقتها بها[21]

ويمكن ان يحلل الباحث العلاقة بينهما اذ تعتمد على الموقع الجيوسياسي والايديولوجية، والثقافة، والدين، والعرق، واللغة كلها محددات تؤدي دورا مهما في رسم العلاقة بين الدولتين، فإن ايران تتاثر و تؤثر بكل حدث سياسي مستجد على الساحة الافغانية فضلاً عن نظرتها لحماية أمنها القومي لذا قامت ايران بدعم احزاب وقيادات سياسية وعسكرية مختلفة في أفغانستان لوقف المد الشيوعي، وعندما سيطرت حركه طالبان على افغانستان، دفعت ايران الى دعم تحالف الشمال الذي يضم مجموعات من الطاجيك والهزاره والاوزبك بقيادة شاه مسعود. اذ اتخذت علاقات ايران و طالبان منعطفاً خطيراً بعد هجوم الحركة على قنصلية ايران في مدينة مزار شريف. الافغانية في 1998. وبعد احتلال الولايات المتحدة الامريكية لأفغانستان قامت ايران بدعم حركة طالبان وهي تدرك الوضع الجديد الذي يفرض عليها الواقع ان تحقق توازن المصالح مع الدول المجاورة مثل باكستان والصين والهند وروسيا. فضلا عن نظرتها إلى افغانستان على انها ارض خصبة و محتملة لمؤامرات اميركية ضدها ادركت ايران بانها لا تستطيع السيطرة على افغانستان منفردة بسبب وجود منافسين اقليميين وقوى دولية ولذلك فهي لا تعتمد في بناء تحالفاتها في افغانستان على المحرك الطائفى بل استفادت من الدعم المادي وقوتها الناعمة القائمة على القواسم المشتركة بين الدولتين لتحقيق مصالحها ومنافعها العميقة هناك فايران تدرك أهمية افغانستان من الناحية الاقتصادية والتجارية بوصفها سوقا مهمة للبضائع الايرانية، وادراكها لوجود عدو مشترك بينهما (الولايات المتحدة الأمريكية) فضلا عن ان افغانستان تدرك انها لا تستطيع الوصول الى اعالي البحار لنقل البضائع والطاقة الا عبر ايران، ان قضايا الحدود والهجرة غير الشرعية والمياه وتهريب المخدرات شكلت تحديات جدية لطبيعة هذه العلاقات ومستقبلها، لذلك فان الحوار المستمر والفاعل وتوقيع معاهدات لتنظيم هذه الملفات أصبح ضرورة لا مفر منها[22].

المبحث الرابع: جمهورية تركمانستان

وتميز تركمانستان عن غيرها من دول جوار أفغانستان بعدم سعيها للتأثير على الداخل الأفغاني بأي شكل من الأشكال، إذ اتخذت مبدأ الحياد في سياستها الخارجية مع دول جوارها وجمع دول العالم، وتقوم سياستها على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، وعدم استخدام القوة وعدم المشاركة في اي احلاف عسكرية. وتعزيزها للعلاقات السلمية القائمة على المنفعة المتبادلة. كما أكد ذلك دستورها منذ عام1995[23]. وتقع تركمانستان على طول الحدود الشمالية الغربية لأفغانستان، بالقرب من مقاطعات هرات وبادغيس وفرياب وجوزجان الأفغانية، ويبلغ طول حدودها (804) كيلو مترا، في سهل يمتد من شمال أفغانستان الى صحراء كاراكوم في تركمانستان[24]. وعدد سكانها (6) مليون نسمة في عام 2021. يشكل التركمان (85%) من سكان افغانستان، يتركزون بشكل رئيسي على طول الحدود الشمالية مع تركمانستان. فضلا عن وجود مجموعة عرقية مشتركة في افغانستان وتركمانستان هي

الاوزبك[25]. واللغة التركمانية هي اللغة الرسمية للدولة والدين الرسمي للدولة هو الاسلام المذهب السني[26]. وعلى الرغم من الروابط العديدة التي تربط الدولتين فان عشق آباد تعمل على حماية نفسها من التأثر بالاضطرابات الداخلية في افغانستان، مع مواصلتها التعاون في مجالات الطاقة والتجارة مع كابل على الرغم من التحولات والتغيرات السياسية الافغانية[27].

وقد تخضع جزء من سياسة تركمانستان إلي رغبة الولايات المتحدة الأمريكية، وخير دليل على ذلك مشروع خط أنابيب تابي (TAPI) والذي ينقل الغاز التركماني إلى الهند عبر دولتي أفغانستان وباكستان، والذي طرحته الولايات المتحدة بديلا عن (أنبوب السلام) والذي كان من المقرر أن ينقل الغاز الإيراني إلى باكستان ثم إلى الهند، وعلى الرغم من البيئة الأمنية الهشة التي يمر بها أنبوب (TAPI) في أفغانستان وجزء من باكستان، فقد لبى الطموح الأمريكي في إيجاد بديلا عن الغاز الإيراني و وأد مشروع (أنبوب السلام) وإيجاد طرق بديلة لتصدير الغاز التركماني عن الطرق التي تمر عبر روسيا، وتسعى الولايات المتحدة من خلال علاقاتها بعض الدول الصديقة لإضعاف خصومها وتحجيم دورهم[28].

المبحث الخامس: جمهورية أوزبكستان

تقع أوزبكستان شمال أفغانستان بحدود مشتركة يبلغ طولها (144) كيلو متراً[29]. ومساحتها نحو (449) الف كيلو متر مربعاً، وبعدد سكان نحو (34) مليون نسمة عام 2021[30]. وهي ذات قوميات مختلفة أهمها الأوزبك (71.4%)، والروس (8.4%)، والطاجيك (4.7%) والقازاخ (3.2%) وأكثر هؤلاء السكان من المسلمين السنة، وتقوم السياسية الخارجية لدولة أوزبكستان على تدعيم صلاتها بالاوزبك الأفغان وذلك في إطار تدعيم أمنها القومي والمحافظة على كيانها الإقليمي، وتوطيد نفوذها وحماية مصالحها في أفغانستان ويتركز الاوزبك الأفغان على طول الحدود مع أوزبكستان[31]. تتمتع الدولتان تاريخياً بعلاقات حسنة في المجالات كافة وكانت أفغانستان من اول الدول التي اعترفت رسميا باستقلالها وفتح سفارتها فيها، واستفادت أوزبكستان من المنافسة الشديدة بين الشركات الصينية والهندية في تحقيق طموحها بأن تصبح مركزاً رئيساً للنقل، وتؤدي أوزبكستان دوراً رئيسا في طرق النقل وإمدادات الكهرباء لأفغانستان، وتعمل

أوزبكستان على منع الحركة الإسلامية الدولية من الاستفادة من الصراعات في أفغانستان من اجل زعزعة الاستقرار في أوزبكستان، فضلاً عن دعمها لمشاركة جميع الأطرف الأفغانية في السلطة ودعوتها لحل جميع المسائل الخلافية من خلال الحوار والتفاوض[32].

المبحث السادس: جمهورية الصين الشعبية

وما يميز العلاقات الأفغانية الصينية هو عدم دعم بكين لجماعات سياسية أو عرقية على حساب جماعات أخرى في أفغانستان، ويأتي الاقتصاد في المقام الأول في سياسة الصين الخارجية الإقليمية منها والدولية ، والتزمت الصين دور المحايد في مجمل تطورات الداخل الأفغاني، ولم تكن لديها أية منازعات حدودية مع أفغانستان. تقع جمهورية الصين الشعبية في الجزء الشرقي من قارة آسيا، وتحد افغاستان من جهة الشرق بحدود طولها (76) كيلو متراً، عبر ممر واخان وهو شريط ارضي ضيق يمتد من الأراضي الأفغانية حتى إقليم سينكيانج الصيني، وعلى جانبي ممر واخان طاجيكستان من جهة الشمال، والأراضي الكشميرية الخاضعة لباكستان من جهة الجنوب، وقد تم توقيع معاهدة ترسيم الحدود المشتركة بين الدولتين عام 1963، وكان هذا الممر يشكل منطقة عازلة بين مناطق النفوذ البريطاني في الجنوب ومناطق النفوذ الروسي في الشمال[33].

وتبلغ مساحتها (9.6) مليون كيلو مترا مربعاً و هي الأكثر سكاناً من بين دول العالم والبالغ (1.5) مليار نسمة عام 2021[34]. ويتكون سكانها من قوميات عدة أهمها الهان (87%)، والتبتيون والبورميون (2%)، والزهوانغ بويي والدونغ لي (2%)، والايغور (1%)، والمنغول (0.6%)، وقوميات أخرى (7.4%)، ومعظم الصينين لا يعتنقون أي ديانة بنسبة (73%)، من مجموع السكان و(15%) يعتنقون الديانة البوذية و(8%) يعتنقون الديانة الطاوية و الديانات الشعبية ، أما المسيحية والإسلام فهي تشكل (3%) و (1%) فقط[35].

تعد الصين واحدة من أهم جيران أفغانستان، إذ كانت كاهول عبر التاريخ، واحدة من ابرز المحاور على طريق الحرير الصيني حتى اليوم، وإن كان أفغانستان في حالة اضطراب داخلي وخاضعة لحركة طالبان، لكنها تتمتع بأهمية مضاعفة بالنسبة للصين، خاصة من الناحية الاقتصادية والأمنية. تعود بداية العلاقات بين الدولين إلى القرن السابع الميلادي، عندما قام (شوان تسانغ) زعيم الرهبان في الصين بزيارة وادي باميان ومجد تمثالىن كبيرين لبوذا وهي نفس التماثيل التي دمرتها حركة طالبان عام 2021. فمنذ عام 1955، بدأت العلاقات الرسمية والدبلوماسية بين الدولي، وكانت العلاقات تحظى بمسار طبيعي في اغلب الأحيان وذلك في مجالات التجارة والثقافة والتعاون الحدودي، فضلاً عن تواصل المسؤولين والعلاقات السياسية وصولاً إلى أوائل الثمانينات من القرن الماضي عندما دخلت الجهات الفاعلة الدولية الرئيسية إلى أفغانستان فاتجهت أنظار الصين تجاه أفغانستان لخطورتها على أمنها القومي بسبب موجات لاجئي الحرب، وتواجد المجاهدين ونشاطاتهم وطالبان والقاعدة، وغيرها من مصادر قلق الصين[36].

شكل الغزو الأمريكي لأفغانستان في عام 2001، بداية حقبة جديدة في العلاقات الصينية ـ الأفغانية، اعترفت الصين بالحكومة الانتقالية فور تشكيلها وإعادة فتح سفارتها في عام 2002، وكانت سياسة الصين تعتمد على عدم التورط في الصراعات السياسية وعدم قبول الالتزامات العسكرية في أفغانستان حتى عام 2005، إذ كانت لدى الصين مخاوف إستراتيجية بشان توسع النفوذ الهندي والياباني واستمرار الوجود العسكري للولايات المتحدة الأمريكية وحلف الناتو في أفغانستان، تركزت علاقات الصين هذه الفترة على مشاريع البنية التحتية، بما في ذلك إطلاق شبكات الاتصالات الرقمية، وبناء الطرق والسدود والمستشفيات وأنظمة الري، فضلا عن التعاون ألاستخباري والعسكري المحدود، إذ كانت الصين حتى عام 2009 الشريك التجاري الأول لأفغانستان[37]. كما أدى انضمام أفغانستان إلى منظمة شنغهاي للتعاون في عام 2012 إلى تعميق العلاقة بين الدولتين، وأصبحت الدبلوماسية الصينية في أفغانستان اكثر نشاطاً وديناميكية، بما في ذلك التعاون الكمركي والتجاري والتبادل الثقافي والطلابي وتطوير التعاون السياسي والأمني، مما ساهمت في التطورات الداخلية في أفغانستان وعلى الرغم من تأييدها للغزو الأمريكي على أفغانستان إلا إنها تحمل الولايات المتحدة تبعات ذلك الغزو من اضطرابات وانعدام الأمن في أفغانستان[38].

إن نهج الصين تجاه أفغانستان يأتي تبعاً لاستراتيجياتها وسياساتها على المستويين الإقليمي والدولي إذ تنظر إلى أفغانستان على أنها جزء لا يتجزأ من مبادرة الحزام والطريق (حزام واحد – طريق واحد)*[39]. وتسعى الصين إلى إضعاف مجالات تأثير التطرف في سينكيانج ومنع آثاره المدمرة الناجمة عن الوجود الأمني الأمريكي في أفغانستان والذي يضر بالصين، ولذلك عملت الصين على محاولة التأثير في ثلاث جوانب رئيسة هي:

أ- حث طالبان على تشكيل نظام جديد واسع وشامل يناسب الظروف الوطنية لأفغانستان وذالك يتلائم مع موقف الصين الثابت المتمثل في تعزيز السلام وعمليه المصالحة في أفغانستان.

ب- تسعى الصين جاهدة لجعل أفغانستان جزء من تنمية الصين.

ت- العمل مع حركة طالبان على مكافحة الإرهاب وعدم السماح لأي قوات باستخدام الأراضي الأفغانية للقيام بأعمال تعرض امن الصين للخطر.

وتعهدت الصين باستثمار أربعة مليارات دولار في حقل عينك الأفغاني ثاني الكبر حقل لرواسب النحاس في العالم، فضلا عن بناء محطة طاقة حرارية سعة (400) ميغاواط، ومد سكة حديد من أفغانستان إلى إقليم سينكيانج في الصين، وبناء عدد من المستشفيات والمساجد، وقد وقعت شركة النفط الوطنية الصينية عقداً لمدة (25) عاما لاستخراج النفط في المحافظات الشمالية، وبلغت الاستثمارات الصينية نحو (10) مليار دولار، على الرغم من خطورة الوضع الأمني، وأعلنت حزمة مساعدات بملايين الدولارات وألغت ديونها على أفغانستان' وقد غيرت الصين سياستها تجاه أفغانستان بشكل تدريجي ملحوظ ، من عدم التدخل إلى حفظ أمنها وحماية مصالحها الاقتصادية[40].

وأنشأت الصين خط سكة حديد طاجيكستان – أفغانستان – تركمانستان، وتوفر أفغانستان طريق بري يمتد إلى قرغيزستان وأوزبكستان، ومن المؤمل أن تواصل الصين مساعدة أفغانستان عبر إنشاء مشاريع البنية التحتية الكبرى، فضلا عن الدعم اللوجستي والمساعدات المالية، ومن المرجح أن تؤدي بعض المؤسسات المالية الخاضعة للصين من قبيل البنك الأسيوي للاستثمار، دوراً اكثر نشاطاً في مشاريع البنية التحتية في أفغانستان، ومن الممكن أن تكون كل تلك المشاريع في إطار مبادرة الحزام والطريق* التي أطلقتها الرئيس الصيني لربط الصين بالعديد من دول العالم[41].

يستشف الباحث أن الصين تنتهج سياسة سليمة، إذ تحاول دعم أشكال الممارسات الديمقراطية وتقديم سبل تحقيق نظام اقتصادى عالمي جديد يحقق التنمية المطلوبة، لذا فهي تدعم كل ما تقوم به الدول بهذا الجانب على الصعيد الإقليمي والدولي، وتنادي بضرورة قيام نظام دولي سياسي قائم على مبادئ الشرعية والمساواة وعدم التدخل بالشؤون الداخلية للدول وترفض الإرهاب بأشكاله كافة وتدعو إلى الحوار وتفادي الصدام المسلح.

الاستنتاجات:

1- أدت التنافسات والصراعات الداخلية بين الأحزاب والحركات المدعومة من دول الجوار سواء كانت بدوافع دينية أو قومه، الى إحداث الحرب الأهلية في أفغانستان (1992-2001).

2- دعمت باكستان حركة طالبان، ذات التوجه الإسلامي (السني)، ساعية من خلال ذلك الدعم لإيجاد قوة يمكن الاعتماد عليها في مواجهة الهند والحد من نفوذ إيران في المنطقة.

3- كان التدخل الصيني في أفغانستان تدخل ايجابي إذ عملت على كسب جميع الاطراف الداخلية المختلفة والعمل معها على بناء شراكات اقتصادية مثمرة.

4- إن لدول الجوار الأفغاني اثر واضح في عدم الاستقرار السياسي في دولة أفغانستان، من خلال تدخلها في الشؤون الأفغانية ودعمها لبعض الأطراف الأفغانية على حساب أطراف أخرى.

المقترحات:

1- على صانع القرار الأفغاني استثمار المقومات الجغرافية والموقع الجيوسياسي المهم الذي تتمتع به أفغانستان، في بناء اقتصاد قوي يسهم في قوة الدولة وقدرتها على إقامة علاقات دولية قائمة على أساس المصالح المتبادلة.

2- **ضرورة بناء علاقات سياسية واقتصادية متينة مع دول الجوار الجغرافي لاسيما الصين وباكستان وإيران بما يضمن عدم تدخلها بالشؤون الداخلية لأفغانستان، وإقامة شراكات حقيقية في المجالات الاقتصادية المشتركة مما يسهم في تعزيز وتخفيف حالات التوتر التي تشهدها العلاقات الأفغانية مع تلك الدول.**

3- **السعي لإيجاد نظام سياسي يستوعب كل الفرقاء السياسيين، يمكنه تنفيذ برنامج حكومي متكامل ينهض بالواقع السياسي والاقتصادي للدولة, ويتمكن من عدم السماح للأطراف الخارجية بالتدخل في شؤون أفغانستان الداخلية.**

الهوامش:

(1) إبراهيم حلمي الغوري، أطلس العراق والوطن العربي والعالم، (د، ط)، دار الشروق العربي، بيروت، 2010 ، ص 16.

(2) وداد سالم محمد، البشتون دراسة تاريخية لأزمة النزاع الحدودي بين أفغانستان وباكستان 1947-1955، اكليل للدراسات الانسانية، العدد (12)، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة البصرة، 2022، ص488.

(3) محمد سرافرس، حَرَكَةُ طَالِبَان مِنْ اَلنُّشُوءِ إِلَى اَلسُّقُوطِ، ط 1، دَارُ اَلْمِيزَانِ، بَيْرُوت، 2008، ص69-70.

(4) عمار محمد كاظم فرج، عبد الحكيم مهدي، التدخل الامريكي في افغانستان، مجلة آداب البصرة، العدد (89)، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2019، ص340.

(5) Department of Economic and social affairs statistics division, world statistics pocketbook, series, No.45,2021 edition united nations, New York, 2021, P. 190.

(6) ستار جبار علاوي، باكستان دراسة في نشأة الدولة وتطور التجربة الديمقراطية، ط1، دار الجنان للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2012، ص250،241.

(7) Mr. Eng. Hakim Gul Ahmadi, Director, Engineering Services for Afghanistan Reconstruction, Pakistan Afghanistan Relations and regional stability scenario, Two day conference in March 2012, Islamabad, P.7.

(8) Elizabeth Threlkeld and Grace Easterly, Afghanistan-Pakistan Ties and Future Stability in Afghanistan, United States institute of peace, No. 175, August 2021, PP. 12-13.

(9) Library of congress, country profile, Tajikistan, Federal Research Division 2005, P.3

(10) https://www.worldometers.info/world/-Population/tajikistan-Population

(11) United Nations, Committee on the Elimination of Racial, Combined twelfth and thirteenth Periodic reports. submitted by Tajikistan under article 9 of the convention, 3 July 2020, P.2

(12) Arvid Bell, Afghanistan and central Asia in 2015 An overview of Actors, Interests, and Relationships, Peace Research Institute Frankfurt (PRIF), Report No. 132, 2015., P. 28

(13) تصعيد بين طاجيكستان و أفغانستان ينذر بمواجهة، صحيفة البيان، 1/ اكتوبر 2021، على الموقع: https://www.albayan.ae/world/global/2021-10-01-1.4259352

(14) محمد سرافرس، حَرَكَةُ طَالِبَان مِنْ اَلنُّشُوءِ إِلَى اَلسُّقُوطِ، ط 1، دَارُ اَلْمِيزَانِ، بَيْرُوت، 2008، ص 269.

(15) Federal Research Division, Tajikistan,Library of congress, country profile, 2005, P3

(16) Department of Economic and social affairs statistics division, Ibid, P.133

(17) رانيا مكرم، طموح الأقليات ومستقبل الدولة في إيران، مجلة الدراسات الإيرانية، المعهد الدولي لدراسات الإيرانية، السنة الثانية، العدد السادس، 2018، ص39.

(18) Arvid Belly Afghanistan and central Asia in 2015 An overview of Actors, Ibid, P.28

([19]) فرقد داود سلمان، موقف ايران من التدخل السوفيتي في افغانستان 1978-1989، مجلة ابحاث البصرة، المجلد (41)، العدد (3)، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة البصرة، 2016، ص208.

([16]) محمود البازي، الجغرافية السياسية والعلاقات الافغانية – الإيرانية: قليل من التصعيد ومزيد من ادارة الخلاف، مركز الجزيرة للدراسات، ورقة تحليلية، 19 نيسان 2022.

([21]) الموقف الايراني في افغانستان بعد انسحاب القوات الامريكية، مركز الامارات للسياسات، 2021/08/15 متاح على الرابط : https://epc.ae/ar/topic

([22]) على رضا نادر وزملاءه، النفوذ الإيراني في أفغانستان – الآثار المترتبة على انسحاب الولايات المتحدة، مؤسسة راند، طهران، 2014، ص9.

([23]) تقرير الأمين العام للأمم المتحدة، متابعة فنون محكمة العدل الدولية بشأن مشروعية التهديد بالأسلحة النووية أو استخدامها، الجمعية العامة، الدورة السابعة والستون، بتاريخ 10 تموز 2012 ص 12.

([24]) احمد قنديل، ملف خاص اللايقين: مستقبل أفغانستان بعد هيمنة طالبان، الأزمة الأفغانية وانعكاساتها على الأمن الإقليمي في جنوب ووسط آسيا، مركز الأهرام للدراسات السياسية و الإستراتيجية، أغسطس 2021، ص26.

([25]) Department of Economic and social affairs statistics division, Ibid, P.245

([26]) احمد عادل كمال، الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2006، ص83.

([27]) Arvid Belly Afghanistan and central Asia in 2015 An overview of Actors, Ibid, P.37.

([28]) محمد فائز فرحات، ممر الشمال – الجنوب حدود الدور والرهانات الإيرانية، مجلة الدراسات الإيرانية، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، السنة الثانية، العدد السابع، الرياض، 2018، ص 75.

([29]) احمد قنديل، ملف خاص اللايقين: مستقبل أفغانستان بعد هيمنة طالبان، الأزمة الأفغانية وانعكاساتها على الأمن الإقليمي في جنوب ووسط آسيا، مركز الأهرام للدراسات السياسية و الإستراتيجية، أغسطس 2021، ص26.

([30]) Department of Economic and social affairs statistics division, Ibid, P.256

([31]) محمود توفيق، محددات أداء النظام السياسي في أفغانستان دراسة في الجغرافيا السياسية، جامعة الكويت، كلية العلوم الاجتماعية، الكويت،2003، ص31-32.

([32]) Arvid Belly Afghanistan and central Asia in 2015 An overview of Actors, Ibid, P.36-37.

([33]) فؤاد حمه خورشيد مصطفى، أفغانستان في السوقية الستراتيجية السوفيتية دراسة في الجغرافية السياسية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، 1989، ص36.

([34]) Department of Economic and social affairs statistics division, Ibid, P.76.

([35]) https://www.stats.gov.cn/tjsj/ndsj/2020/indexch.htm

([36]) إبراهيم نافع، ما الذي يجري في آسيا، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1998،ص295.

([37]) لي وي أجيان، العلاقات من الصين ودول الشرق الأوسط، مجلة السياسية الدولية، ترجمة عثمان ووفت فو، العدد(145)، القاهرة ، 2001، ص50.

([38]) نيشن تشيمار، الاتجاه نحو عالم متعدد الأقطاب، رؤية صينية، مجلة السياسة الدولية، العدد (145)، القاهرة، 2001، ص63.

([39]) علاء جمعة محمد، منظمة شنغهاي، آفاق التعاون الأمني الجديد في آسيا، مجلة السياسة الدولية،العدد(146)، 2001، ص57.

(40) Akram Umarov, Assessing China's New Policy in Afghanistan, University of world Economy and Diplomacy, Article in central Asian Affairs, November 2017, p.388.

*طرح الرئيس الصيني (شي جين بينغ) مبادرة الحزام والطريق في العالم في ٢٠١٣ التي تمد النفوذ الصيني إلى مناطق واسعة من العالم في أوروبا وأفريقيا واسيا من خلال شبكه من الطرق والموانى كو مطارات ومشاريع البنية التحتية، ويبدو أن هذه المبادرة تحدد ملامح جديدة لتوازنات القوى في النظام الدولي والتي يمكن اعتبارها مشروع القرن الاقتصادي في العالم.

(41) تيمور شاران، اندرو واتكينز، أفغانستان ما بعد عام 2021، غارات على طموحات الصين الإقليمية، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية، الجزائر، 2021.

المصادر العربية:

1- إبراهيم حلمي الغوري، أطلس العراق والوطن العربي والعالم، (د، ط)، دار الشروق العربي، بيروت، 2010.
2- إبراهيم نافع، ما الذي يجري في آسيا، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1998.
3- احمد عادل كمال، الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2006.
4- احمد قنديل، ملف خاص اللايقين: مستقبل أفغانستان بعد هيمنة طالبان، الأزمة الأفغانية وانعكاساتها على الأمن الإقليمي في جنوب ووسط آسيا، مركز الأهرام للدراسات السياسية و الإستراتيجية، أغسطس 2021.
5- تقرير الأمين العام للأمم المتحدة، متابعة فنون محكمة العدل الدولية بشأن مشروعية التهديد بالأسلحة النووية أو استخدامها، الجمعية العامة، الدورة السابعة والستون، بتاريخ 10 تموز 2012.
6- تيمور شاران، اندرو واتكينز، أفغانستان ما بعد عام 2021، غارات على طموحات الصين الإقليمية، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية، الجزائر، 2021.
7- رانيا مكرم، طموح الأقليات ومستقبل الدولة في إيران، مجلة الدراسات الإيرانية، المعهد الدولي لدراسات الإيرانية، السنة الثانية، العدد السادس، 2018.
8- ستار جبار علاوي، باكستان دراسة في نشأة الدولة وتطور التجربة الديمقراطية، ط1، دار الجنان للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2012.
9- علاء جمعة محمد، منظمة شنغهاي، آفاق التعاون الأمني الجديد في آسيا، مجلة السياسة الدولية، العدد(146)، 2001.
10- على رضا نادر وزملاءه، النفوذ الإيراني في أفغانستان – الآثار المترتبة على انسحاب الولايات المتحدة، مؤسسة راند، طهران، 2014، ص9.
11- عمار محمد كاظم فرج، عبد الحكيم مهدي، التدخل الامريكي في افغانستان، مجلة آداب البصرة، العدد (89)، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2019.
12- فرقد داود سلمان، موقف ايران من التدخل السوفيتي في افغانستان 1978-1989، مجلة ابحاث البصرة، المجلد (41)، العدد (3)، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة البصرة، 2016.
13- فؤاد حمه خورشيد مصطفى، أفغانستان في السوقية الستراتيجية السوفيتية دراسة في الجغرافية السياسية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، 1989.
14- لي وي أجيان، العلاقات من الصين ودول الشرق الأوسط، مجلة السياسية الدولية، ترجمة عثمان ووفت فو، العدد(145)، القاهرة ، 2001.

15- محمد سرافرس، حَرَكَةُ طَالِبَان مِنْ اَلنُّشُوءِ إِلَى اَلسُّقُوطِ، ط 1، دَارُ اَلْمِيزَانِ، بَيْرُوت، 2008.
16- محمد فائز فرحات، ممر الشمال – الجنوب حدود الدور والرهانات الإيرانية، مجلة الدراسات الإيرانية، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، السنة الثانية، العدد السابع، الرياض، 2018.
17- محمود البازي، الجغرافية السياسية والعلاقات الافغانية – الإيرانية: قليل من التصعيد ومزيد من ادارة الخلاف، مركز الجزيرة للدراسات، ورقة تحليلية، 19 نيسان 2022.
18- محمود توفيق، محددات أداء النظام السياسي في أفغانستان دراسة في الجغرافيا السياسية، جامعة الكويت، كلية العلوم الاجتماعية، الكويت،2003.
19- نيشن تشيمار، الاتجاه نحو عالم متعدد الأقطاب، رؤية صينية، مجلة السياسة الدولية، العدد (145)، القاهرة، 2001.
20- وداد سالم محمد، البشتون دراسة تاريخية لأزمة النزاع الحدودي بين أفغانستان وباكستان 1947-1955، اكليل للدراسات الانسانية، العدد (12)، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة البصرة، 2022.

المصادر الاجنبية:

1- Akram Umarov, Assessing China's New Policy in Afghanistan, University of world Economy and Diplomacy, Article in central Asian Affairs, November 2017.
2- Arvid Bell, Afghanistan and central Asia in 2015 An overview of Actors, Interests, and Relationships, Peace Research Institute Frankfurt (PRIF), Report No. 132, 2015.
3- Department of Economic and social affairs statistics division, world statistics pocketbook, series, No.45,2021 edition united nations, New York, 2021.
4- Elizabeth Threlkeld and Grace Easterly, Afghanistan-Pakistan Ties and Future Stability in Afghanistan, United States institute of peace, No. 175, August 2021.
5- Library of congress, country profile, Tajikistan, Federal Research Division 2005.
6- Mr. Eng. Hakim Gul Ahmadi, Director, Engineering Services for Afghanistan Reconstruction, Pakistan Afghanistan Relations and regional stability scenario, Two day conference in March 2012, Islamabad.
7- United Nations, Committee on the Elimination of Racial, Combined twelfth and thirteenth Periodic reports. submitted by Tajikistan under article 9 of the convention, 3 July 2020.

مواقع الانترنت:

1- https://www.stats.gov.cn/tjsj/ndsj/2020/indexch.htm
2- https://www.worldometers.info/world/-Population/tajikistan-Population
3- تصعيد بين طاجيكستان و أفغانستان ينذر بمواجهة، صحيفة البيان، 1/ اكتوبر 2021، على الموقع: https://www.albayan.ae/world/global/2021-10-01-1.4259352
4- الموقف الايراني في افغانستان بعد انسحاب القوات الامريكية، مركز الامارات للسياسات، 2021/08/15 متاح على الرابط: https://epc.ae/ar/topic

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

أثر خصائص سكان العراق في قوة الدولة *

أ. د. ظلال جواد كاظم
الباحثة :مها كاظم محمد
جامعة الكوفة / ماجستير جغرافيا/ كلية التربية للبنات
dhilalj.kadhim@uokufa.edu.iq

المستخلص:
يعد السكان العنصر المحوري في الجغرافيا السياسية ، اذ تهتم الجغرافيا السياسية بدراسة خصائص السكان لتوضيح ملامح المتغيرات الخاضعة له مثل التركيب العمري والنوعي وغيرها وتأثيرها الواضح في كيان الدولة وحيويتها ، ومن ثم صياغة سلوك الدولة السياسية داخليا وخارجيا وتشكيل شخصيتها . وان هذه الدراسة تسعى الى التعرف على الخصائص السكانية للمجتمع العراقي للمدة (1997-2020) والتي لها دور كبير في واقع التركيب التعليمي للسكان. وبيان تأثير تلك الخصائص في مجالات الحياة المختلفة واثر ذلك في بناء قوة الدولة العراقية.و كشف لنا البحث بأن العراق يمتلك حجم سكاني مناسب يمكن له من توفير احتياجاته وإمكانية استثمار موارده المتاحة من خلال رفد القطاعات الصناعية بالأيدي العاملة وادامة القوى العسكرية فيه . ويصور التوزيع العددي والنسبي للسكان في الوحدة الإدارية هيكلية التواجد السكاني في مناطق الدولة. وتحديد مناطق القوة والضعف في الدولة. اذ ان الأثر السلبي للسكان يكمن في الية التوزيع والتركز فمقابل اماكن الثقل السكاني في الوسط والشمال هناك مناطق التخلخل السكاني في الشرق والغرب منه . وقد ترك ضعف الكثافة السكانية في العراق وارتفاع نسبة التركز خللاً في القوة السكانية العراقية داخلياً وإقليمياً. لذا تقترح الدراسة جعل تحقيق التوازن بين الحجم السكاني والخصائص الجغرافية للدولة هو الهدف الأساس في جميع المعالجات السكانية وصولاً إلى وضع جيوبوليتيكي يسند ويحافظ على قوة الدولة. فضلا عن أخذ التدابير الخاصة بإعادة توزيع السكان أو بالأحرى محاولة التقليل من حدة التركز السكاني، وذلك بتوسع بعض التجمعات السكانية ذات المواقع الجيوبوليتيكية، وإيجاد أسباب الحياة في المناطق الصحراوية، وضرورة استثمار الطاقات الشبابية من قبل الحكومة العراقية لكونهم العنصر الأساس في العملية الاقتصادية من اجل أخذ موقعها الوطني في استثمار موارد الدولة والنهوض بالواقع الاقتصادي فضلا للدور الكبير في حفظ الأمن للبلاد . ليصب ذلك في صالح القوة .

The impact of the characteristics of the population of Iraq on the strength of the state.

Abstract.

Population is the central element of geopolitics, where geopolitics is concerned with the study demographic characteristics of population to explain the features of related variables, such as age and gender structure etc., and their apparent influence on the entity and vitality of the state, thereby shaping the state's identity and political behaviour inside and outside.

The current study seeks to identify demographic characteristics of Iraqi society for the period 1997-2020, which have a major role in the structuring educational reality of population and explaining the impact of these characteristics on different areas of life and the way they are reflected in building strong Iraqi state. It revealed that Iraq possesses an

appropriate population size that enables it to satisfy needs and potentials of investing available resources by supplying industrial sectors with manpower and sustaining military force. The numerical and relative distribution of the population in the administrative unit depicts the structure of the population presence in the areas of state and identify its strengths and weaknesses. The negative impact of the population lies in the distribution and concentration mechanism. As opposed to places of population gravity in the center and north, there are areas of demographic disintegration in the east and west. Iraq's weak population density and high concentration have resulted in internal and regional population imbalance. Therefore, the current study proposes that creating balance between the population size and the state's geographical characteristics should be the fundamental objective of all population treatments in order to create a geopolitical situation that upholds and preserves the power of state. Moreover, it encourages taking measures to redistribute population, in other words, reduce population concentration by expanding some geopolitical populated areas, creating reasons for life in desert areas and investing youth energies by the Iraqi Government, being a key element of the economic process. Youth have to take turn in investing the country's resources and promoting economic reality, as well as maintaining the country's security. This is to be invested in favor of power.

المقدمة:

تحظى دراسة السكان اهتماما بالغا لدى الجغرافيين السياسيين ، اذ يعد السكان العنصر المحوري في الجغرافيا السياسية اذ يعد الأساس الذي ترتكز عليه الخصائص البشرية للاقليم السياسي، وهم الثروة الحقيقية لها، ولأنهم المنتجون والمستهلكون في الوقت ذاته، وهم المحرك الأساس لجميع أوجه النشاط البشري على سطح الأرض، فإن زيادة حجمهم وتمتعهم بمستوى تعليمي عالٍ وصحة جيدة سوف يؤثر ايجاباً في أدائهم الاقتصادي الذي يصب في مكانة الاقليم وثقله الجيوبوليتيكي وللعامل السكاني أثر مهم وفاعل في بناء قوة الدولة، ووزنها السياسي بشكل قد يفوق الموارد الطبيعية؛لانه يعتبر العامل الديناميكي الفاعل في ادارة واستثمار تلك الموارد.

وتهتم الجغرافيا السياسية بدراسة خصائص السكان لتوضيح ملامح المتغيرات الخاضعة له مثل التركيب العمري والنوعي وغيرها وتأثيرها الواضح في كيان الدولة وحيويتها ، ومن ثم صياغة سلوك الدولة السياسية داخليا وخارجيا وتشكيل شخصيتها . خاصة اذا علمنا أن الخصائص السكانية وتأثيراتها الاجتماعية والاقتصادية هي من أهم الآليات الكاشفة عن طبيعة المجتمع وحيويته أو حجم المعروض من القوة البشرية ، وطاقات العمل ، ومستويات التنمية الاجتماعية ، ومقياس التطور الثقافي والاجتماعي ، وبناء الاجتماعي و العلاقات الاجتماعية والاستقرار السياسي .

اولا: مشكلة الدراسة :تتمحور مشكلة الدراسة خلال الأسئلة الآتية :

1. ما الخصائص السكانية في العراق للمدة (1997-2020)؟
2. كيف تؤثر تلك الخصائص في بناء قوة الدولة العراقية؟

ثانياً فرضية الدراسة : تمثل الفرضية الإجابة المحتملة عن سؤال الدراسة ، وعلى هذا الأساس وضعت الباحثة الفرضية الرئيسة الآتية:

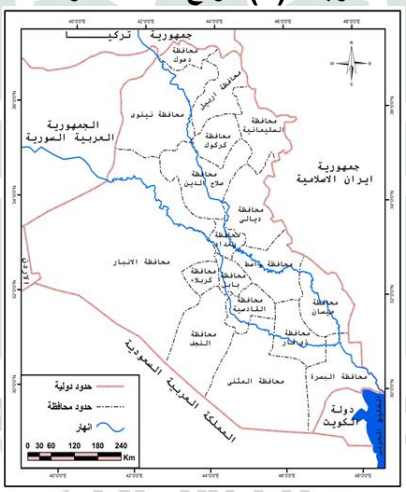
1. تتباين الخصائص السكانية في العراق للمدة (1997-2020)بين المحافظات من حيث الحجم والنمو وتوزيعهم الجغرافي ، فضلا عن تباينهم في التركيب النوعي والعمري والبيئي.
2. للخصائص السكانية أهمية كبيرة لعلاقته بأطر التنمية البشرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ومن ثم انعكاسها على مؤسسات الدولة وتكامل بنياتها التي ترتبط بها قوة الدولة ومكانتها الاقتصادية والسياسية في المجتمع الدولي.

ثالثا : اهداف الدراسة:ان هذه الدراسة تسعى الى تحقيق مجموعة من الاهداف والتي تتمثل بما يلي:

1. التعرف على الخصائص السكانية للمجتمع العراقي للمدة (1997-2020) والتي لها دور كبير في واقع التركيب التعليمي للسكان.
2. بيان تأثير تلك الخصائص في مجالات الحياة المختلفة واثر ذلك في بناء قوة الدولة العراقية.

رابعاً/ حدود الدراسة: تتمثل حدود الدراسة المكانية بالحدود الإدارية لجمهورية العراق الذي يقع بين دائرتي عرض (ً20 ْ5 ً29 _ً50 ْ22 ً37) شمالا وبين خطي طول (ً45 ْ38 _ً45 ْ48) شرقا ،وتشمل الدراسة (18) محافظة (السليمانية ، اربيل ، دهوك ،كركوك، نينوى، صلاح الدين، الانبار، ديالى،بغداد،بابل،القادسية،واسط،النجف ،كربلاء،المثنى، ميسان،ذي قار ،البصرة) أنظر خريطة (1). اما الحدود الزمانية للدراسة فتتحدد بالمدة(1997-2020) متمثلة بالبيانات السكانية والبيانات الخاصة بالتركيب التعليمي، وتتحدد الحدود الموضوعية للدراسة بدراسة الخصائص السكانية في العراق خلال المدة(1997-2020) وعلاقتها بقوة الدولة.

الخريطة (1) موقع منطقة الدراسة



المصدر: وزارة الموارد المائية، الهيئة العامة للمساحة، خريطة العراق الإدارية، مقياس 1: 2019/500000

المبحث الاول:حجم السكان ونموهم وتوزيعهم الجغرافي في العراق واثره في قوة الدولة

أولا: حجم السكان ونموهم:

يمثل حجم السكان القيمة المطلقة لعدد السكان في الدولة ، وهو يرتبط بالقوة القومية لأية دولة بشكل فعال ومؤثر حيث تستمد امكانات الدولة العسكرية والاقتصادية عوامل قوتها وعظمتها من متغيرات كثيرة ومتشعبة يكون للحجم السكاني فيها مكانته الواضحة[1]، اما النمو السكاني فيعرف بانه(تغير حجم السكان بالزيادة أو النقصان) يتحدد بعوامل المواليد والوفيات والهجرة، [2]. وللنمو السكاني مكانة مهمة في دراسة

وتحليل القوة السكانية للدولة في الجغرافية السياسية، فالاتجاه العام الذي تسير فيه الدولة من حيث زيادة سكانها أو نقصانهم له اعتبارات ديموغرافية يتحدد بها مجمل الوضع السكاني واتجاهاته المستقبلية والتي تحدد مديات المساهمة السكانية في قوة الدولة، ولاسيما في بعدها المستقبلي[3]. ويرتبط النمو السكاني بقدرات الدولة البشرية والاقتصادية وبمستوى سكانها المعاشي والصحي،وللنمو السكاني اثار عسكرية وجيوبولتيكية تنعكس في قوة الدولة سلبا او ايجابا [4].

يظهر الجدول (1) ان سكان منطقة الدراسة قد زاد بصورة واضحة للمدة (1997-2020م) ، إلا أن معدل النمو السنوي للسكان قد تباين بين تعداد وأخر, بسبب تباين الظروف الإقتصادية والإجتماعية والسياسية التي مرت على العراق.فبعد أَنْ كان(**22046244**) نسمة وفقاً لتعداد 1997 . ثم إزداد عدد السكان إلى (**29682081**) نسمة حسب تقديرات عام 2007 وبزيادة سكانية بلغت (7635837) نسمة. وبمعدل نمو سنوي بلغ (**3.02**%) خلال المدة (1997-2007)، الجدول (1)،ثم ارتفع هذا العدد الى (40150174) نسمة بحسب تقديرات عام 2020 وبزيادة سكانية مطلقة بلغت (10468093) نسمة. وبلغ معدل النمو السنوي (**2.35**%) ، ويلاحظ انخفاض معدل النمو على الرغم من زيادة سكان العراق خلال المدة(2007-2020) وهذا يعود الى هجرة السكان الى الدول المجاورة والاوربية اثر دخول عصابات داعش الارهابي وسير العمليات العسكرية للتحرير.

الجدول (1) حجم السكان وحجم الزيادة السكنية في العراق ومعدل نموهم السنوي للمدة (1997 – 2020)

السنة	حجم السكان	حجم الزيادة	معدل النمو السكاني(*)
1997	22046244	-	-
2007	29682081	7635837	3.02
2020	40150174	10468093	2.35

المصدر : اعتمادا على: جمهورية العراق ، وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للإحصاء ،المجموعة الاحصائية السنوية ، نتائج التعداد العام للسكان لعام 1997 وتقديرات 2007 و2020

(*) استخرج معدل النمو باستعمال المعادلة الآتية :

اذ أن :

R : نسبة النمو . t : عدد السنوات بين التعدادين .

Pt : عدد السكان في التعداد اللاحق . Po : عدد السكان في التعداد السابق .

ينظر : عبد علي الخفاف، جغرافية السكان السكان – اسس عامة ، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر ، عمان ، 1999،ص120

ثانيا : التوزيع الجغرافي للسكان والكثافة السكانية:

1 – التوزيع الجغرافي للسكان

يؤثر التوزيع الجغرافي للسكان في قوة الدولة وفي بنيتها الداخلية من خلال تأثيره في الجوانب الاقتصادية والعسكرية والسياسية فكلما توزع السكان بانتظام كان ذلك أفضل لاستثمار الموارد الطبيعية ، وعلى العكس من ذلك فان التوزيع غير المنتظم يولد ضغطاً على الموارد في مناطق التركز في الوقت الذي يحرم منه مناطق الفراغ أو التخلخل السكاني من الاستثمار الأفضل لمواردها الطبيعية[5].

وتبدو العلاقة واضحة بين التوزيع الجغرافي للسكان والقوة السياسية للدولة، فكلما كان التوزيع منتظما مع وجود قطب واحد لتركزهم يتمثل في إقليم، انعكس ذلك بشكل أفضل على قوتها السياسية، كما أن وجود بعض المظاهر الطوبوغرافية كالجبال والصحاري التي تشجع بعض الجماعات البشرية المتمركزة فيها للمطالبة بالانفصال عن الدولة مما يشكل عنصرا سلبيا في البناء السياسي لها [6].ولعل منطقة الدراسة العراق تعاني من ذلك. ومن الجدير بالذكر إن توزيع السكان يتباين زمانيا ومكانيا فهو في تغير مستمر تبعا لتأثير عدد من العوامل منها ما هو طبيعي مثل السطح والمناخ وموارد المياه والتربة ومنها ما هو بشري يأخذ ابعاداً اجتماعية واقتصادية أو سياسية أو تاريخية[7] .

وفي العراق يتباين حجم السكان من سنة لأخرى نتيجة الزيادة الطبيعية والحركة المكانية للسكان اذ بلغ (22046244)نسمة لعام 1997 ، الجدول(2) والخريطة(2)، ويتباين حسب وحداته الادارية اذ تحتل العاصمة بغداد المرتبة الاولى بحجم سكانها البالغ (5423964)نسمة ليشكلوا نسبة (24.6 %) من مجموع سكان العراق يعود ذلك الى تركز الخدمات الاجتماعية والاقتصادية فضلا عن المراكز السياسية التي تدير شؤون الدولة والسكان ويأتي ترتيب الوحدات الادارية بحجم سكانها حسب النسبة وبشكل تنازلي حيث تأتي بعد العاصمة بغداد كل من محافظات نينوى (9.3 %), البصرة(7.1 %), السليمانية (6.2 %) , ذي قار(5.4 %),بابل (5.4 %) ,ديالى(5.1 %) , اربيل(5.0 %) , الانبار(4.6 %) , صلاح الدين(4.1 %) ,واسط (3.6 %), النجف (3.5 %), كركوك(3.4 %), القادسية(3.4 %), ميسان(2.9%), كربلاء(2.7 %) , المثنى(2.0 %) ,دهوك (1.8 %) جدول رقم (2) ويعود سبب هذا التباين في الحجم السكاني الى عوامل الجذب والطرد المكاني فضلا عن اختلاف معدل النمو في تلك المحافظات.

اما في تقديرات السكان لعام 2007 تطور حجم السكان في العراق ليصبح عددهم (29682081)نسمة، الجدول(2) والخريطة(2)، يتوزعون بشكل متباين حسب وحداته الادارية بنسب مختلفة بلغت اعلاها في العاصمة بغداد حيث وصل عدد سكانها الى (7145470)نسمة ليشكلو نسبة (24.1%)من مجموع سكان العراق واحتلت المرتبة الاولى بينما ظلت باقي الوحدات الادارية محافظة على مراتبها باستثناء محافظة بابل ارتفعت الى المرتبة الخامسة بنسبة سكانها البالغة (5.6 %) من مجموع سكان العراق وانخفضت محافظة ذي قار الى المرتبة السادسة بنسبة سكانها البالغة(5.4 %) من مجموع سكان العراق كذلك محافظة القادسية انخفضت مرتبة واحدة اذ بلغت نسب سكانها(3.3 %) من مجموع سكان العراق كذلك الحال بالنسبة لمحافظات كركوك ,دهوك , واسط ,المثنى ,ميسان . في حين ظلت محافظة الانبار بالمرتبة نفسها وهي المرتبة التاسعة اذ بلغ عدد سكانها (1485985)نسمة ليشكلوا نسبة (5.0 %) من مجموع سكان العراق ويعود سبب تباين حجم السكان الى عدة عوامل منها عوامل اجتماعية واقتصادية وتأريخية فضلا عن اختلاف معدلات النمو السكاني وحركتهم المكانية من وحدة ادارية لاخرى .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

الجدول (2) التوزيع الجغرافي للسكان في منطقة الدراسة للسنوات(1997- 2007– 2020)

الوحدة الادارية	١٩٩٧		٢٠٠٧		٢٠٢٠	
	حجم السكان نسمة	%	حجم السكان نسمة	%	حجم السكان نسمة	%
دهوك	٤٠٢٩٧٠	١,٨	٥٠٥٤٩١	١,٧	١٣٦١٢١١	٣,٤
نينوى	٢٠٤٢٨٥٢	٩,٣	٢٨١١٠٩١	٩,٥	٣٩٢٨٢١٥	٩,٨
السليمانية	١٣٦٢٧٣٩	٦,٢	١٨٩٣٦١٧	٦,٤	٢٢٧٧١٧١	٥,٧
كركوك	٧٥٣١٧١	٣,٤	٩٠٢٠١٩	٣,٠	١٦٨٢٨٠٩	٤,٢
اربيل	١٠٩٥٩٩٢	٥,٠	١٥٤٢٤٢١	٥,٢	١٩٥٣٣٤١	٤,٩
ديالى	١١٣٥٢٢٣	٥,١	١٥٦٠٦٢١	٥,٣	١٧٢٤٢٣٨	٤,٣
الانبار	١٠٢٣٧٣٦	٤,٦	١٤٨٥٩٨٥	٥,٠	١٨٦٥٨١٨	٤,٦
بغداد	٥٤٢٣٩٦٤	٢٤,٦	٧١٤٥٤٧٠	٢٤,١	٨٥٥٨٦٢٥	٢١,٣
بابل	١١٨١٧٥١	٥,٤	١٦٥١٥٦٥	٥,٦	٢١٧٤٧٨٣	٥,٤
كربلاء	٥٩٤٢٣٥	٢,٧	٨٨٧٨٥٩	٣,٠	١٢٨٣٤٨٤	٣,٢
واسط	٧٨٣٦١٤	٣,٦	١٠٦٤٩٥٠	٣,٦	١٤٥٢٠٠٧	٣,٦
صلاح الدين	٩٠٤٤٣٢	٤,١	١١٩١٤٠٣	٤,٠	١٦٨٠٠١٥	٤,٢
النجف	٧٧٥٠٤٢	٣,٥	١٠٨١٢٠٣	٣,٦	١٥٤٩٧٨٨	٣,٩
القادسية	٧٥١٣٣١	٣,٤	٩٩٠٤٨٣	٣,٣	١٣٥٩٦٤٢	٣,٤
المثنى	٤٣٦٨٢٥	٢,٠	٦١٤٩٩٧	٢,١	٨٥٧٦٥٢	٢,١
ذي قار	١١٨٤٧٩٦	٥,٤	١٦١٦٢٢٦	٥,٤	٢٢٠٦٥١٤	٥,٥
ميسان	٦٣٧١٢٦	٢,٩	٨٢٤١٤٧	٢,٨	١١٧١٨٠٢	٢,٩
البصرة	١٥٥٦٤٤٥	٧,١	١٩١٢٥٣٣	٦,٤	٣٠٦٣٠٥٩	٧,٦
المجموع	٢٢٠٤٦٢٤٤	١٠٠,٠	٢٩٦٨٢٠٨١	١٠٠,٠	٤٠١٥٠١٧٤	١٠٠,٠

المصدر : اعتمادا على: جمهورية العراق ، وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للإحصاء ،المجموعة الاحصائية السنوية ، نتائج التعداد العام للسكان لعام 1997 وتقديرات 2007 و2020

اما في تقديرات السكان لعام 2020 يلاحظ زيادة في حجم سكان العراق ليصبح عددهم (40150174)نسمة يتوزعون بنسب مختلفة حسب وحداته الادارية، الجدول(2) والخريطة(2)، الا انه شهد هذا التقدير انخفاض في نسبة سكان المحافظات مثل (السليمانية، واربيل، وديالى، والانبار، وبغداد، وبابل)، اذ بلغت (5.7% ،4.9% ،4.3% ، 4.6 % ، 21.3 % ،5.4%)على التوالي على التوالي من مجموع سكان العراق. بالمقابل شهدت المحافظات (دهوك، ونينوى، وكركوك ،وكربلاء،و صلاح الدين، والنجف،والقادسية، وذي قار، وميسان ،والبصرة) زيادة في نسبة السكان اذ بلغت (3.4 % ، 9.8% ، 4.2% ، 3.2 % ، 4.2 % ،3.9% ،3.4% ،5.5% ،2.9% ، 7.6 %) على التوالي من مجموع سكان العراق ، في حين ظلت محافظتي واسط والمثنى بالمرتبة نفسها ليشكلوا نسبة (3.6% و2.1 %) على التوالي من مجموع سكان العراق، ويعود سبب تباين حجم السكان الى عدة عوامل منها

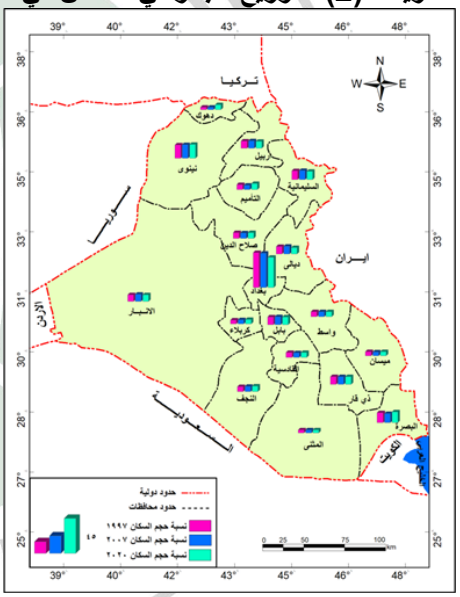
مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

عوامل اجتماعية واقتصادية وتأريخية فضلا عن اختلاف معدلات النمو السكاني وحركتهم المكانية من وحدة ادارية لاخرى .

مما تقدم نستنتج ان التوزيع الجغرافي للمراكز الحضرية المهمة في منطقة الدراسة في وضع صعب، قد لايكون لصالحها في وقت الازمات. ويلاحظ في منطقة الدراسة أنّ السكان يتوزعون على شكل شريط يمتد حول نهري دجلة والفرات ، وطرق المواصلات . كما يلاحظ أنّ المناطق الصحراوية في منطقة الدراسة ، شبه خالية من السكان لوعورتها ، وصعوبة استغلال مواردها ، مما يجعلها مناطق مكشوفة يصعب الدفاع عنها،اذ توجد علاقة ما بين التوزيع الجغرافي للسكان في الدولة وقوتها السياسية . أي:كلما كان السكان ينتشرون بانتظام في جميع ارجاء الدولة كلما خفف من أعباء الدفاع عن الدولة في اثناء الحروب والهجمات من الدول الاخرى[8]،وذلك ما حصل عند مهاجمة العراق من قبل القوات الاميركية والبريطانية في الحرب الاخيرة فتم استغلال الثغرات الموجودة في هذه المناطق المكشوفة وانزال قواتهم ، مما سهل حركة القوات نحو العاصمة بغداد.

2 – الكثافة السكانية: يقصد بالكثافة السكانية العلاقة بين عدد السكان ومساحة الارض التي يعيشون عليها [9] وهي تعبر عن ضغط السكان على ما تقدمه المساحة من موارد حالية واحتمالات مستقبلية، أي ان الكثافة ليست عنصراً ثابتاً بل هي عنصراً متغيراً باختلاف الزيادة الطبيعية سنة بعد اخرى[10]، وتستخرج بقسمة عدد السكان على المساحة .اذ يوضح الجدول (3) والخريطة(3) التباين الكثافي لسكان العراق ويمكن تقسيمهم الى اربع مستويات حسب ارتفاع مستوى الكثافة العامة وهي:

الخريطة (2) التوزيع الجغرافي للسكان في منطقة الدراسة للسنوات(1997- 2007– 2020)



المصدر : بالاعتماد على بيانات الجدول (2) .

أ- مستوى الكثافة المرتفعة جدا (اكثر من 231 نسمة / كم2)

ضم هذا المستوى العاصمة بغداد اذ بلغت الكثافة العامة (1191 نسمة / كم2) ويعود السبب في اكتظاظ السكان الى صغر المساحة قياسا بحجم سكانها فضلا عن عوامل الجذب المكاني لتركز المؤسسات الادارية فيها, كذلك ضم محافظة بابل التي جاءت بكثافة سكانية بلغت (231 نسمة / كم2) ويعود السبب الى عوامل تأريخية واجتماعية فضلا عن صغر مساحة المحافظة وذلك حسب تعداد عام 1997 .اما في عام 2007 فقد ظلت العاصمة بنفس المستوى مع ارتفاع في نسبة الكثافة العامة حيث بلغت (1569 نسمة / كم2) يعود الى عامل الهجرة الوافدة اليها كذلك ظلت محافظة بابل بالمستوى نفسه مع ارتفاع في نسبة كثافة سكانها البالغة (323 نسمة / كم2)، الجدول (3) والخريطة(3).

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

اما في عام 2020 فقد ظلت العاصمة بنفس المستوى مع ارتفاع في نسبة الكثافة العامة حيث بلغت (1879 نسمة / كم2) يعود الى عامل الهجرة الوافدة اليها كذلك ظلت محافظة بابل بالمستوى نفسه مع ارتفاع في نسبة كثافة سكانها البالغة (425 نسمة / كم2). وضم هذا المستوى ايضا محافظة **كربلاء** التي بلغت نسبة كثافة سكانها (255 نسمة / كم2) وذلك بسبب هجرة السكان اليها وتوفر فرص العمل نتيجة لنمو حركة السياحة الدينية والتطور العمراني والتوسع الحضري التي شهدته مدن المحافظة لاسيما مدينتي كربلاء المقدسة والحر. ومما يلاحظ فان التكدس المستمر للسكان في المدن الكبرى يؤدي الى تدهور مستمر في نوعية الحياة نتيجة الضغط على المرافق القائمة وبالتالي عجز تلك المرافق عن توفير الحاجات الاساسية[11]، الجدول (3) والخريطة(3).

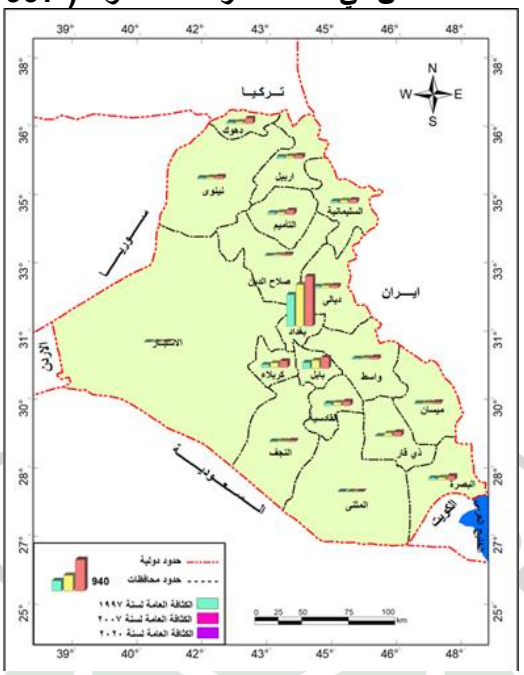
الجدول (3) الكثافة العامة للسكان في منطقة الدراسة للسنوات(1997- 2007– 2020)

الوحدة الإدارية	١٩٩٧			٢٠٠٧			٢٠٢٠		
	عدد السكان/نسمة	المساحة/كم٢	كث العامة نسمة/كم٢	عدد السكان/نسمة	المساحة/كم٢	كث العامة نسمة/كم٢	عدد السكان/نسمة	المساحة/كم٢	كث العامة نسمة/كم٢
دهوك	٤٠٢٩٧٠	٦٥٥٣	٦٢	٥٠٥٤٩١	٦٥٥٣	٧٧	١٣٦١٢١١	٦٥٥٣	٢٠٨
نينوى	٢٠٤٢٨٥٢	٣٧٣٢٣	٥٥	٢٨١١٠٩١	٣٧٣٢٣	٧٥	٣٩٢٨٢١٥	٣٧٣٢٣	١٠٥
السليمانية	١٣٦٢٧٣٩	١٧٠٢٣	٨٠	١٨٩٣٦١٧	١٧٠٢٣	١١١	٢٢٧٧١٧١	١٧٠٢٣	١٣٤
كركوك	٧٥٣١٧١	٩٦٧٩	٧٨	٩٠٢٠١٩	٩٦٧٩	٩٣	١٦٨٢٨٠٩	٩٦٧٩	١٧٤
اربيل	١٠٩٥٩٩٢	١٥٠٧٤	٧٣	١٥٤٢٤٢١	١٥٠٧٤	١٠٢	١٩٥٣٣٤١	١٥٠٧٤	١٣٠
ديالى	١١٣٥٢٢٣	١٧٦٨٥	٦٤	١٥٦٠٦٢١	١٧٦٨٥	٨٨	١٧٢٤٢٣٨	١٧٦٨٥	٩٨
الانبار	١٠٢٣٧٣٦	١٣٧٨٠٨	٧	١٤٨٥٩٨٥	١٣٨٢٨٨	١١	١٨٦٥٨١٨	١٣٧٨٠٨	١٤
بغداد	٥٤٢٣٩٦٤	٤٥٥٥	١١٩١	٧١٤٥٤٧٠	٤٥٥٥	١٥٦٩	٨٥٥٨٦٢٥	٤٥٥٥	١٨٧٩
بابل	١١٨١٧٥١	٥١١٩	٢٣١	١٦٥١٥٦٥	٥١١٩	٣٢٣	٢١٧٤٧٨٣	٥١١٩	٤٢٥
كربلاء	٥٩٤٢٣٥	٥٠٣٤	١١٨	٨٨٧٨٥٩	٥٠٣٤	١٧٦	١٢٨٣٤٨٤	٥٠٣٤	٢٥٥
واسط	٧٨٣٦١٤	١٧١٥٣	٤٦	١٠٦٤٩٥٠	١٧١٥٣	٦٢	١٤٥٢٠٠٧	١٧١٥٣	٨٥
صلاح الدين	٩٠٤٤٣٢	٣٤٣٦٣	٢٦	١١٩١٤٠٣	٢٤٠٧٥	٥٠	١٦٨٠٠١٥	٢٤٣٦٣	٦٩
النجف	٧٧٥٠٤٢	٢٨٨٢٤	٢٧	١٠٨١٢٠٣	٢٨٨٢٤	٣٨	١٥٤٩٧٨٨	٢٨٨٢٤	٥٤
القادسية	٧٥١٣٣١	٨١٥٣	٩٢	٩٩٠٤٨٣	٨١٥٣	١٢٢	١٣٥٩٦٤٢	٨١٥٣	١٦٧
المثنى	٤٣٦٨٢٥	٥١٧٤٠	٨	٦١٤٩٩٧	٥١٧٤٠	١٢	٨٥٧٦٥٢	٥١٧٤٠	١٧
ذي قار	١١٨٤٧٩٦	١٢٩٠٠	٢٩	١٦١٦٢٢٦	١٢٩٠٠	١٢٥	٢٢٠٦٥١٤	١٢٩٠٠	١٧١
ميسان	٦٣٧١٢٦	١٦٠٧٢	٤٠	٨٢٤١٤٧	١٦٠٧٢	٥١	١١٧١٨٠٢	١٦٠٧٢	٧٣
البصرة	١٥٥٦٤٤٥	١٩٠٧٠	٨٢	١٩١٢٥٣٣	١٩٠٧٠	١٠٠	٣٠٦٣٠٥٩	١٩٠٧٠	١٦١
المجموع	٢٢٠٤٦٠٦٤	٤٤٤١٢٨	٥٠	٢٩٦٨٢٠٨١	٤٣٤٣٢٠	٦٨	٤٠١٥٠١٧٤	٤٣٤١٢٨	٩٣
المياه الاقليمية	٩٢٤			---	٩٢٤		----	٩٢٤	
مجموع المساحة	٤٣٥٠٥٢			-----	٤٣٥٢٤٤		----	٤٣٥٠٥٢	

المصدر : اعتمادا على: جمهورية العراق ، وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للإحصاء ،المجموعة الاحصائية السنوية ، نتائج التعداد العام للسكان لعام 1997 وتقديرات 2007 و2020

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

الخريطة (3) الكثافة العامة للسكان في منطقة الدراسة للسنوات(1997- 2007– 2020)



المصدر : بالاعتماد على بيانات الجدول (3) .

ومن وجهة نظر الجغرافية السياسية فان شدة تركز السكان في المدن الكبرى يعد خطراً على استقرار وامن الدولة ، ويعود ذلك الى ان شدة تركز السكان بالمدن الكبرى يساعد الدول المعادية على توجيه ضربات عسكرية بهدف تحطيم الجبهة الداخلية للدولة، والتأثير في معنوياتها.

ب – **مستوى الكثافة العامة المرتفعة (230-151 نسمة /كم2):**يتضح من الجدول (3) والخريطة(3) ان هذا المستوى لم يشمل أي من محافظات العراق لعام 1997 بينما ضم محافظة كربلاء حسب تقديرات السكان لعام 2007 اذ بلغت الكثافة العامة فيها (176 نسمة /كم2) بسبب حجم الهجرة الوافدة الى المحافظة والتي ترجع الى العامل الديني . وضم هذا المستوى حسب تقديرات عام 2020 كل من محافظة دهوك التي بلغت الكثافة العامة فيها (208 نسمة /كم2) بسبب نزوح السكان اليها من المحافظات الغربية التي شهدت عمليات عسكرية خلال الفترة الماضية. كما ضم محافظة كركوك اذ بلغت الكثافة العامة فيها (174 نسمة /كم2). ويضم هذا المستوى ايضا محافظتي البصرة وذي قار اذ بلغت الكثافة العامة فيهما (161 نسمة /كم2) و (171 نسمة /كم2) بسبب نمو السكان الطبيعي نتيجة للتطور الاقتصادي الذي تشهده المحافظتين بفعل التوسع في الصناعة النفطية والصناعات والخدمات المرتبطة بها. كما يضم هذا المستوى محافظة القادسية اذ بلغت الكثافة العامة فيها (167 نسمة /كم2) نتيجة للنمو الطبيعي للسكان فضلا عن نزوح ألاف العوائل اليها باعتبارها من المناطق الامنة لاسيما بعد عام 2014.

ج- **مستوى الكثافة العامة المتوسطة (150-71 نسمة /كم2):**يتضح من الجدول (3) والخريطة(3) ان هذا المستوى ضم كل من محافظات (كربلاء ,القادسية , ذي قار , صلاح الدين , البصرة , السليمانية,اربيل)اذ بلغت اعلى كثافة في محافظة كربلاء (118 نسمة /كم2) لكل منهما وادناها في محافظة اربيل (76 نسمة /كم2) وذلك حسب تعداد عام 1997 . اما في عام 2007 وحسب تقديرات السكان فقد ضمت كل من محافظات (ذي قار ,اربيل , السليمانية , القادسية , البصرة , كركوك , ديالى , نينوى ,دهوك)اذ بلغت اعلاها في محافظة القادسية (122 نسمة /كم2) وادناها في محافظة دهوك (77 نسمة /كم2).اما في عام 2020 وحسب تقديرات السكان فقد ضمت كل من محافظات (اربيل , السليمانية ،

ديالى،ميسان , نينوى ,دهوك)اذ بلغت اعلاها في محافظة السليمانية (134 نسمة /كم2) وادناها في محافظة ميسان (73 نسمة /كم2).

د- مستوى الكثافة العامة المنخفضة (اقل من 71 نسمة/كم2):يتضح من الجدول (3) والخريطة(3) ان هذا المستوى شمل كل من محافظات (دهوك , ديالى, نينوى, واسط , ميسان ,النجف ,صلاح الدين ,المثنى , الانبار) لعام 1997 اذ بلغت اعلى كثافة سكانية في محافظة دهوك (62 نسمة /كم2) وادناها في منطقة الدراسة (7 نسمة /كم2) وذلك لسعة المساحة قياسا بحجم السكان اما في تقديرات السكان لعام 2007 فقد ضم هذا المستوى من الكثافة العامة كل من محافظات (واسط ، النجف,ميسان, صلاح الدين , الانبار , المثنى) اذ بلغت الكثافة اعلاها في محافظة واسط (62 نسمة /كم2) ,وادناها في محافظة الانبار(11 نسمة/كم2) وهذا الارتفاع في الكثافة ناتج عن النمو السكاني , اما في تقديرات السكان لعام 2020 فقد ضم هذا المستوى من الكثافة العامة اربع محافظات هي(النجف، صلاح الدين , الانبار , المثنى) اذ بلغت الكثافة اعلاها في محافظة صلاح الدين (69نسمة /كم2) ,وادناها في محافظة الانبار(14 نسمة/كم2).

مما تقدم يظهر ان الاقليم الصحراوي العراقي يعاني من تخلل في توزيع السكان على الرغم من قلتهم ، ويشكل هذا عامل ضعف من الناحية العسكرية ، الامر الذي يتطلب اتخاذ قرارات تخطيطية لوضع خطط تنموية للاقليم الصحراوي للعراق عن طريق استثمار المياه الجوفية لخلق واحات صحراوية جاذبة للسكان، واستثمار مياه الوديان عن طريق اقامة السدود واستثمار الثروة المعدنية المتوافرة في هذا الاقليم.

المبحث الثاني:تركيب السكان في العراق واثره في قوة الدولة

تعد دراسة التركيب السكاني مهمة جداً في دراسة سكان الدولة بسبب ما تبينه من ملامح للمجتمع ذكوراً واناثاً . كما تحدد الفئات المنتجة فيه،التي تقع على عاتقها مسؤولية اعالة باقي افراد ذلك المجتمع[12]. وذلك ما يحدد بناء قوة الدولة من الناحية الاقتصادية والعسكرية وعليه فلا بد من معرفة ذلك التركيب. وتركيب السكان له دور مهم في رسم السياسة المستقبلية للدول فهو يساعد في وصف وتحليل الظواهر الديموغرافية المختلفة، والتخطيط للأنشطة كافة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في الدولة ولاسيما العسكرية منها التي تهم الدولة في معرفة قدرتها العسكرية والاقتصادية ممثلة بشبابها المحاربين والنشطين اقتصاديا[13]وسيتم دراسة التركيب النوعي والعمري فضلا عن التركيب البيئي للسكان وكما يأتي:

اولا - التركيب النوعي:ينقسم السكان بطبيعة الحال الى قسمين ذكور(Male) واناث(Femal) ويعبر عن نسبة النوع (Sex Ratio)بعدد الذكور لكل مئة من الاناث ويمكن ان تحسب لجميع السكان او لفئات السن المختلفة. ولنسبة النوع أهميتها من حيث انها تؤثر في معدلات المواليد والوفيات والهجرة والتوزيع الاقتصادي للسكان واتجاهات النمو في الدولة [14] وتنعكس هذه العوامل بشكل أوبآخر على قوة الدولة ولا سيما في المجال العسكري والاقتصادي. ففي الظروف الاعتيادية يتفوق عدد الذكور على الاناث بمعدل يبلغ(4- 5%) غير ان وفيات الاناث اقل منها في الذكور. اما في الظروف غير الاعتيادية والمتمثلة بالحرب والهجرة فان الهيكل النوعي للسكان يختل ليصبح لصالح الاناث وذلك لان في حالة الحرب والهجرة غالبا ما ينتقيان عنصر الذكور دون الاناث[15] مما يؤدي الى قلة نسبة النوع في عموم السكان.

ومن معطيات الجدول (4) والخريطة (4)نلاحظ بان هناك تباين في نوع السكان في محافظات العراق اذ تنحصر نسبة النوع بين (105.8- 94.3 %) لعام 1997 ,و نجد اعلى نسبة سجلت في محافظة دهوك (105.8 %) بسبب حركة الهجرة الوافدة اليها خاصة من عنصر الذكور ومن الجدير بالذكر ان محافظة دهوك كانت تتبع اداريا محافظة نينوى حتى عام 1969 وبعد انفصالها كمحافظة توجه اليها اغلب السكان من محافظات العراق اثر على نسبة النوع في تلك المحافظة,اما محافظة المثنى فقد سجلت اقل نسبة للنوع والبالغة(94.3%)والسبب يعود الى عامل الهجرة نتيجة انعدام الأمن الغذائي الذي شهد تزايدا مستمرا بسبب تقلص الإنتاج الزراعي القومي وارتفاع نسبة التضخم والبطالة وتدهور نظام الدعم الغذائي في إلحاق أضرار بالغة بالفقراء مما يؤدي الى ارتفاع معدل الهجرة المغادرة والتي غالبا ما تنتقي عنصر الذكور دون الاناث.

اما في تقديرات السكان لعام 2007 نلاحظ ارتفاع نسبة النوع في جميع محافظات العراق اذ تراوحت بين (101.7 – 101 %) اذ بلغ اعلاه في العاصمة بغداد واقل نسبة نوع كان في محافظات ديالى وصلاح الدين والمثنى . اما في تقديرات السكان لعام 2020 نلاحظ ارتفاع نسبة النوع في جميع محافظات العراق اذ تراوحت بين (**105.7** – **99.3** %) اذ بلغ اعلاه في محافظة الانبار واقل نسبة نوع كان في محافظة ميسان، الجدول (4) والخريطة (4).

ثانيا- التركيب العمري :المقصود بالتركيب العمري دراسة السكان بحسب أعمارهم بتقسيمهم إلى فئات عمرية لها اثر مباشر في نشاط السكان وحيويتهم واتجاهات نموهم [16] ،وللفئات العمرية اهمية بالغة بالنسبة للدولة فمن خلالها يمكن معرفة عدد السكان في سن العمل والتعليم للذكور والاناث،وكذلك يمكن معرفة نسبة من هم في سن حمل السلاح ومن خلال ذلك يمكن معرفة قدرة الدولة العسكرية ممثلة بشبابها المحاربين[17] وما لذلك من ارتباط بقوة الأقليم العسكرية والدفاع عن الدولة خلال أوقات الحروب. فدراسة التركيب العمري لسكان الأقليم له دور في كشف قوة الدولة او تفعيل جوانب القوة التي تمتلكها الدولة[18].لذا نجد أن بحث الجوانب السكانية واسهامها

في قوة الدولة في الجغرافيا السياسية يجب أن تتضمن تحديد الفئات العمرية لسكان الدولة للوقوف على امكانيات القوى السكانية فيها ، وإن تحليل الواقع التركيبي وتاثيراته السكانية والاقتصادية والسياسية الانية تمكنها من تحديد جوهر حقيقة القوة السكانية الحالية والمستقبلية ودعمها لقوة الدولة[19].وتلجأ الدراسات السكانية عند تغطية التركيب العمري الى التصنيف الشائع للسكان والذي يقوم على اساس التقسيم الى فئات عمرية عريضة ثلاث وهي :

1 . فئة صغار السن (اقل من 15 سنة) :وتمثل هذه الفئة قاعدة لقوة الدولة كونها تعتبر خزين بشري تمد القوات العسكرية بالافراد[20]،يظهر الجدول(5) والخريطة(5) بلغت نسبة هذه الفئة العمرية (**40.5**%) من مجموع سكان العراق حسب تقديرات السكان لعام (2020). أما حسب الوحدات الادارية لمنطقة الدراسة فقد جاءت محافظة بغداد بالمرتبة الأولى بنسبة (19.5%)من اجمالي سكان هذه الفئة ، تليها محافظة نينوى بفارق كبير بنسبة بلغت (10.7%) وتأتي بعدها محافظة البصرة بنسبة (8.2%) بالمرتبة الثالثة ،وجاءت بالمرتبة الرابعة محافظة ذي قار بنسبة(5.9%)، واحتلت محافظة المثنى نسبة (2.3%)من إجمالي سكان العراق ضمن الفئة العمرية(0-14 سنة) ، الجدول(5)والخريطة(5).

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

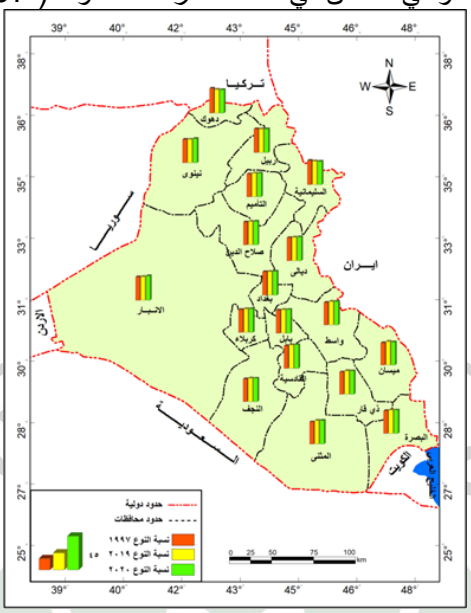
الجدول (4) التوزيع النوعي للسكان في منطقة الدراسة للسنوات(1997- 2007– 2020)

الوحـدة الادارية	١٩٩٧				٢٠٠٧				٢٠٢٠			
	ذكور	اناث	المجموع	نسبة النوع	ذكور	اناث	المجموع	نسبة النوع	ذكور	اناث	المجموع	نسبة النوع
دهوك	٢٠٧١٢٧	١٩٥٨٤٣	٤٠٢٩٧٠	١٠٥,٨	٢٥٤٦١٨	٢٥٠٨٧٣	٥٠٥٤٩١	١٠١,٥	٦٨٢٠٨٩	٦٧٩١٢٢	١٣٦١٢١١	١٠٠,٤
نينوى	١٠٢٣٨٤٣	١٠١٩٠٠٩	٢٠٤٢٨٥٢	١٠٠,٥	١٤١٤٦١٨	١٣٩٦٤٧٣	٢٨١١٠٩١	١٠١,٣	٢٠٠٠٦٥٦١	١٠٩٢١٥٦٤	٣٩٢٨٢١٥	١٠٤,٤
السليمانية	٦٩٢٢٧١	٦٧٠٤٦٨	١٣٦٢٧٣٩	١٠٣,٣	٩٥٣٦٠٦	٩٤٠٠١١	١٨٩٣٦١٧	١٠١,٤	١٠١٣٩٠١٥٣	١٠١٣٨٠٠١٨	٢٢٧٧١٧١	١٠٠,١
كركوك	٣٧٢٤١٦	٣٨٠٧٥٥	٧٥٣١٧١	٩٧,٨	٤٥٤٢١٤	٤٤٧٨٠٥	٩٠٢٠١٩	١٠١,٤	٨٤٧٠١٢٠	٨٣٥٠٦٨٩	١٦٨٢٨٠٩	١٠١,٤
اربيل	٥٥١٢٨٤	٥٤٤٧٠٨	١٠٩٥٩٩٢	١٠١,٢	٧٧٧٠٩٢	٧٦٥٣٢٩	١٥٤٢٤٢١	١٠١,٥	٩٨٦٠١٤٩	٩٦٧٠١٩٢	١٩٥٣٣٤١	١٠٢,٠
دهوك	٥٦٤٨٧٥	٥٧٠٣٤٨	١١٣٥٢٢٣	٩٩,٠	٧٨٤١٨٥	٧٧٦٤٣٦	١٥٦٠٦٢١	١٠١,٠	٨٧٠٠٩٩٩	٨٥٣٠٢٣٩	١٧٢٤٢٣٨	١٠٢,١
الانبار	٥١٢٨٣٧	٥١٠٨٩٩	١٠٢٣٧٣٦	١٠٠,٤	٧٤٧٢٧٠	٧٣٨٧١٥	١٤٨٥٩٨٥	١٠١,٢	٩٥٨٠٥٤٣	٩٠٧٠٢٧٥	١٨٦٥٨١٨	١٠٥,٧
بغداد	٢٧٢٢٠٩٥	٢٧٠١٨٦٩	٥٤٢٣٩٦٤	١٠٠,٧	٣٦٠٣٢٢٤	٣٥٤٢٢٤٦	٧١٤٥٤٧٠	١٠١,٧	٤٠٣٤٢٠٧٦٦	٤٠٢١٥٠٨٥٩	٨٥٥٨٦٢٥	١٠٣,٠
بابل	٥٨٧٤٥٧	٥٩٤٢٩٤	١١٨١٧٥١	٩٨,٨	٨٣٠٢٣٧	٨٢١٣٢٨	١٦٥١٥٦٥	١٠١,١	١٠٠٩٨٠٨٨٤	١٠٠٧٥٠٨٩٩	٢١٧٤٧٨٣	١٠٢,١
كربلاء	٢٩٣٩٢٦	٣٠٠٣٠٩	٥٩٤٢٣٥	٩٧,٩	٤٤٦٩٣٣	٤٤٠٩٢٦	٨٨٧٨٥٩	١٠١,٤	٦٤٧٠٤٦٢	٦٣٦٠٠٢٢	١٢٨٣٤٨٤	١٠١,٨
واسط	٣٨٥٤٦٤	٣٩٨١٥٠	٧٨٣٦١٤	٩٦,٨	٥٣٥٥٦١	٥٢٩٣٨٩	١٠٦٤٩٥٠	١٠١,٢	٧٣٣٠٠٢١	٧١٨٠٩٨٦	١٤٥٢٠٠٧	١٠٢,٠
صلاح الدين	٤٤٧٦٣٧	٤٥٦٧٩٥	٩٠٤٤٣٢	٩٨,٠	٥٩٨٥٩٨	٥٩٢٨٠٥	١١٩١٤٠٣	١٠١,٠	٨٤٨٠٦٣٥	٨٣١٠٣٨٠	١٦٨٠٠١٥	١٠٢,١
النجف	٣٨٣٢٥١	٣٩١٧٩١	٧٧٥٠٤٢	٩٧,٨	٥٤٤٤١٨	٥٣٦٧٨٥	١٠٨١٢٠٣	١٠١,٤	٧٧٧٠٠٣٤	٧٧٢٠٧٥٤	١٥٤٩٧٨٨	١٠٠,٦
القادسية	٣٧٠١٢٥	٣٨١٢٠٦	٧٥١٣٣١	٩٧,١	٤٩٨١٠٣	٤٩٢٣٨٠	٩٩٠٤٨٣	١٠١,٢	٦٨٥٠٢٨٠	٦٧٤٠٣٦٢	١٣٥٩٦٤٢	١٠١,٦
المثنى	٢١١٩٨٤	٢٢٤٨٤١	٤٣٦٨٢٥	٩٤,٣	٣٠٩٠٨٦	٣٠٥٩١١	٦١٤٩٩٧	١٠١,٠	٤٣٠٠٩٧٧	٤٢٦٠٦٧٥	٨٥٧٦٥٢	١٠١,٠
ذي قار	٥٨٠٠٣٩	٦٠٤٧٥٧	١١٨٤٧٩٦	٩٥,٩	٨١٣١٥٨	٨٠٣٠٦٨	١٦١٦٢٢٦	١٠١,٣	١٠١٠٧٠٥٢١	١٠٠٩٨٠٩٩٣	٢٢٠٦٥١٤	١٠٠,٨
ميسان	٣١١١٨٣	٣٢٥٩٤٣	٦٣٧١٢٦	٩٥,٥	٤١٤٨٦٤	٤٠٩٢٨٣	٨٢٤١٤٧	١٠١,٤	٥٨٣٠٧٦٦	٥٨٨٠٠٣٦	١١٧١٨٠٢	٩٩,٣
البصرة	٧٦٩٤٣٨	٧٨٧٠٠٧	١٥٥٦٤٤٥	٩٧,٨	٩٦٣٧٣١	٩٤٨٨٠٢	١٩١٢٥٣٣	١٠١,٦	١٠٥٣٨٠٧٧٣	١٠٥٢٤٠٢٨٦	٣٠٦٣٠٥٩	١٠١,٠
المجموع	١٠٩٨٧٢٥٢	١١٠٥٨٩٩٢	٢٢٠٤٦٢٤٤	٩٩,٤	١٤٩٤٣٥١٦	١٤٧٣٨٥٦٥	٢٩٦٨٢٠٨١	١٠١,٤	٢٠٢٨٤٨٢٣	١٩٨٦٥٣٥١	٤٠١٥٠١٧٤	١٠٢,١

المصدر : اعتمادا على: جمهورية العراق ، وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للإحصاء ، ، نتائج التعداد العام للسكان لعام 1997 وتقديرات 2007 و2020

CAMBRIDGE SCINTIFIC JOURNAL

الخريطة (4) التوزيع النوعي للسكان في منطقة الدراسة للسنوات(1997- 2007– 2020)



المصدر : بالاعتماد على بيانات الجدول (4) .

ان ارتفاع نسبة السكان في هذه الفئة يمثل قوة كامنة للدولة اذ لا يمكن الاستفادة منها انياً في قوة الدولة الا انها تتحول فيما بعد الى قوة سكانية فاعلة ولها تأثيرها في المستقبل فهي تمثل رصيد الدولة من القوة البشرية مستقبلا والتي لها مغزى جيوبولتيكي غاية في الاهمية ،لذلك لا بد من تنميتها صحيا ومعرفيا.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

الجدول(5) توزيع السكان في منطقة الدراسة بحسب الفئات العمرية بحسب تقديرات عام 2020

المحافظة	٠-١٤ سنة	%	١٥-٦٤ سنة	%	٦٥ سنة فاكثر	%
دهوك	556550	3.4	765639	3.4	39022	3.2
نينوى	1735534	10.7	2091619	9.2	101062	8.2
السليمانية	762256	٤,٧	1417546	6.3	97369	7.9
كركوك	657841	4.0	969875	4.3	55093	4.5
اربيل	739889	4.6	1143823	5.0	69629	5.6
ديالى	684914	4.2	985032	4.3	54292	4.4
الانبار	788134	4.9	1036111	4.6	41573	3.4
بغداد	3161620	19.5	5095886	22.5	301119	24.4
بابل	907445	5.6	1206125	5.3	61213	5.0
كربلاء	524545	3.2	724618	3.2	34321	2.8
واسط	610615	3.8	798357	٣,٥	43035	٣,٥
صلاح الدين	718993	4.4	920673	4.1	40349	3.3
النجف	646953	4.0	858129	3.8	44706	3.6
القادسية	584337	3.6	735387	3.2	39918	3.2
المثنى	369444	2.3	462197	2.0	26011	2.1
ذي قار	952962	٥,٩	1191676	5.3	61876	5.0
ميسان	519232	3.2	617431	2.7	35139	2.8
البصرة	1326078	8.2	1647979	7.3	89002	7.2
المجموع	١٦٢٤٧٣٤٢	١٠٠,٠	٢٢٦٦٨١٠٣	١٠٠,٠	١٢٣٤٧٢٩	١٠٠,٠
		٤٠,٥		٥٦,٥		٣

المصدر : اعتمادا على: جمهورية العراق ، وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للإحصاء ،المجموعة الاحصائية السنوية ، 2020

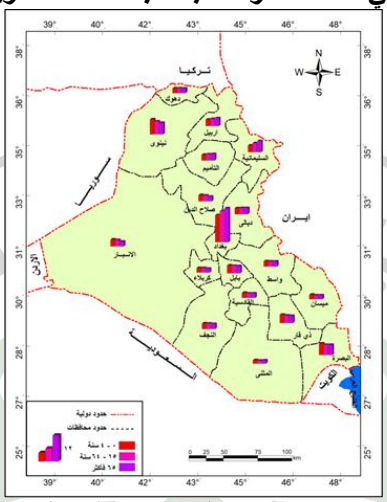
2 - فئة متوسطي السن (15-64سنة) : وهي تمثل الفئة المنتجة والفاعلة في تركيب الهيكل المهني للسكان،والتي تتحمل اعباء الفئتين الاولى والثالثة في ضمن فئات السن الاساس،وتسهم في نمو السكان بسبب قابليتها للتعويض عما يفقده المجتمع من وفيات ؛ لانها الفئة التي تحتوي على العناصر الشابة من ذكور واناث[21].

وهي الفئة الاكثر قدرة على الحركة والهجرة ، تؤلف هذه الفئة اكثر من نصف المجتمع في منطقة الدراسة ،يتضح من الجدول(5) والخريطة(5) ان نسبتها تصل الى (56.5%) . وهي متباينة بين المحافظات، إذ جاءت محافظة بغداد بالمرتبة الأولى بنسبة (22.5%)من اجمالي سكان الفئة ، تليها محافظة نينوى بنسبة بلغت (9.2%) وتأتي بعدها محافظة البصرة بنسبة (7.3%) بالمرتبة الثالثة ، وجاءت بالمرتبة الرابعة محافظة السليمانية بنسبة(6.3%)، وتمثل محافظة المثنى ادنى تركز لسكان هذه الفئة بنسبة (2%)من إجمالي سكان العراق ضمن الفئة العمرية انفة الذكر.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

3- فئة كبار السن (65 سنة فأكثر) :وهي تعد فئة مستهلكة غير منتجة ، وذلك على افتراض خروجها من سن العمل والانتاج، وهي الاخرى تعد انعكاسا لظروف الخصوبة والوفيات في المجتمع؛ لان نسبتها تقل بتزايد نسبة صغار السن، ومن ثم ارتفاع معدل النمو الطبيعي للسكان وبالعكس. وتكون هذه الفئة قليلة فهي تبلغ في منطقة الدراسة (3%) وهي متباينة بين المحافظات العراقية، الجدول(5) والخريطة(5) ، إذ جاءت تتركز في محافظة بغداد بنسبة (24.4%)من اجمالي سكان الفئة ، تليها محافظتي نينوى والسليمانية بنسبة (8.2% و7.9%) على التوالي وتأتي بعدها محافظة البصرة بنسبة (7.2%) بالمرتبة الرابعة ، وجاءت بالمرتبة

الخريطة(5) توزيع السكان في منطقة الدراسة بحسب الفئات العمرية بحسب تقديرات عام 2020



المصدر : بالاعتماد على بيانات الجدول (5) .

الخامسة محافظة اربيل بنسبة(5.6%)، وتمثل محافظة المثنى ادنى تركز لسكان هذه الفئة بنسبة (2.1%)من إجمالي سكان العراق في هذه الفئة العمرية.ويرجع السبب في قلة هذه الفئة الى التجديد الدائم في قاعدة الهرم السكاني بسبب فتوة مجتمع منطقة الدراسة، وكبر حجم فئة صغار السن فيه، كما يعتبر مؤشراً على قصر أمد الحياة، نتيجة لقلة الوعي الصحي وتردي احوالها الاجتماعية والاقتصادية.وبالرغم من قلة عدد فئة كبار السن الا ان لهم تأثير مباشر على سياسة الدولة من خلال الادلاء باصواتهم الانتخابية وخبراتهم العسكرية والعلمية والثقافية.

ثالثا – التركيب البيئي للسكان (حضر – ريف):وبقصد به توزيع السكان بحسب الريف والحضر، إذ يحظى التوزيع البيئي بأهمية كبيرة في الدراسات الجغرافية السياسية إذ يوضح هذا التوزيع التباين في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والديموغرافية[22]. إذ يؤثر هذا التوزيع في نوع النشاط الاقتصادي الذي يرتبط بدوره ارتباطاً وثيقاً بقوة الاقليم فضلاً عن تأثيره في الوصول الى درجة الاكتفاء الذاتي عن طريق تأثيره في توزيع العاملين في الأنشطة الاقتصادية في الاقليم والذي يرتبط إلى حد كبير بنسبة توزيع السكان بين الريف والحضر فانخفاض نسبة سكان الريف يؤدي إلى انخفاض نسبة النشاط الزراعي وبالعكس[23]. وبالنسبة للتوزيع البيئي للسكان في العراق يبين الجدول (6)التوزيع البيئي لسكان منطقة الدراسة، ففي عام 1997 ارتفعت نسبة سكان الحضر عند مقارنتها بمجموع سكان البلاد حيث بلغت (68.4%) من مجموع سكان المنطقة البالغ (22046244)نسمة ، الجدول (6) والخريطة (6)، بينما بلغت نسبة سكان الريف (31.6%) من مجموع سكان منطقة الدراسة للعام نفسه. اذ سجلت جميع المحافظات ارتفاع في نسبة سكانها الحضر والتي تراوحت بين ادنى نسبة للسكان الحضر بلغت (42.2%) من مجموع سكان محافظة ديالى ، بينما سجلت اعلى نسبة للحضر في محافظة بغداد بنسبة(89.4%) من مجموع

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

سكان المحافظة بسبب ضيق المساحة وتركز السكان في مراكز المدن فضلا عن كونها العاصمة السياسية العراق ويتركز فيها جميع وزارات الدولة ومؤسساتها. اما السكان الريفيين فقد تباينت نسبتهم في المحافظات المدروسة اذ بلغت (57.8%) في محافظة ديالى وذلك لاسباب اقتصادية وسياسية . وسجلت ادنى نسبة للسكان الريف (**10.4%**) من مجموع سكان محافظة بغداد بسبب تركز الانشطة الاقتصادية الصناعية والخدمية في المحافظة فضلا عن هجرة اعداد كبيرة من سكان بقية المحافظات للعمل في هذه القطاعات على حساب تراجع المناطق الريفية.

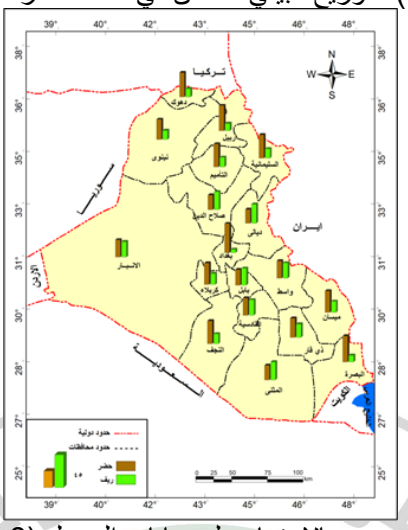
اما في تقديرات السكان لعام 2007 فقد بلغ عدد الحضر (19752833) نسمة بنسبة (66.5%) من مجموع سكان العراق ، الجدول (6) والخريطة (7)،بينما بلغ عدد سكان الريف (9929248) نسمة شكلوا نسبة (33.5%) من مجموع السكان البالغ (29682081) نسمة ، وقد شهدت المحافظات تراجعا في نسبة سكانها الحضر لعام 2007 اذ بلغت ادنى نسبة للسكان الحضر في محافظة ديالى(41.4%) من مجموع سكانها واعلاها سجل في محافظة بغداد (**86.7%**) من مجموع سكان المحافظة. اما السكان الريفيين فقد تباينت نسبتهم محافظات العراق اذ بلغت (**58.6%**) في محافظة ديالى. وسجلت ادنى نسبة للسكان الريف (**13.3%**) من مجموع سكان محافظة بغداد. وعند مقارنة النسب بين التعدادين نلاحظ ارتفاع نسبة السكان في الريف لعام 2007 عنها في العام 1997 تقابلها انخفاض في نسبة السكان الحضر للعام 2007 عنها للعام 1997 ،وتعود الاسباب الى ان الظروف الامنية بعد عام 2003 شهدت استقراراً في الريف اكثر من المدن التي اتخذت اغلب بناياتها كمراكز عسكرية من قبل قوات التحالف الدولي.

الجدول (6) التوزيع البيئي للسكان في منطقة الدراسة للسنوات(1997 -2007– 2020)

الوحدة الادارية	١٩٩٧					٢٠٠٧					٢٠٢٠				
	حضر	%	ريف	%	المجموع	حضر	%	ريف	%	المجموع	حضر	%	ريف	%	المجموع
دهوك	٣٠٠٦٦٦	٧٤,٦	١٠٢٣٥٤	٢٥,٤	٤٠٢٩٧٠	٣٦٩٨٠١	٧٣,٢	١٣٥٦٩٠	٢٦,٨	٥٠٥٤٩١	١٠٠٠٧٠٩٩٧	٧٤,١	٣٥٣٢١٤	٢٥,٩	١٣٦١٢١١
نينوى	١٢٦٤٧١٩	٦١,٩	٧٧٨١٣٣	٣٨,١	٢٠٤٢٨٥٢	١٧٠٦٦٥٦	٦٠,٧	١١٠٤٤٣٥	٣٩,٣	٢٨١١٠٩١	٢٠٣٨٢٠١٣٢	٦٠,٦	١٥٤٦٠٨٣	٣٩,٤	٣٩٢٨٢١٥
السليمانية	٩٧٤٣٥٨	٧١,٥	٣٨٨٣٨١	٢٨,٥	١٣٦٢٧٣٩	١٣٢٧٧٣٧	٧٠,١	٥٦٥٨٨٠	٢٩,٩	١٨٩٣٦١٧	١٠٩٢٩٠٤٦٥	٨٤,٧	٣٤٧٧٠٦	١٥,٣	٢٢٧٧١٧١
كركوك	٥٣٠٩٢٦	٧٠,٥	٢٢٢٢٤٥	٢٩,٥	٧٥٣١٧١	٦٢٣٥٤٨	٦٩,١	٢٧٨٤٧١	٣٠,٩	٩٠٢٠١٩	١٠٢٤٣٠٨٨١	٧٣,٩	٤٣٨٩٢٨	٢٦,١	١٦٨٢٨٠٩
اربيل	٨٤٨٢٩٨	٧٧,٤	٢٤٧٦٩٤	٢٢,٦	١٠٩٥٩٩٢	١١٧٠٧٣٣	٧٥,٩	٣٧١٦٨٨	٢٤,١	١٥٤٢٤٢١	١٠٦٢٦٠١٤٠	٨٣,٢	٣٢٧٢٠١	١٦,٨	١٩٥٣٣٤١
ديالى	٤٧٨٩٠٣	٤٢,٢	٦٥٦٣٢٠	٥٧,٨	١١٣٥٢٢٣	٦٤٥٦٢١	٤١,٤	٩١٥٠٠٠	٥٨,٦	١٥٦٠٦٢١	٨٤٨٠٣٥٠	٤٩,٢	٨٧٥٨٨٨	٥٠,٨	١٧٢٤٢٣٨
الانبار	٥٣٩٢٨٧	٥٢,٧	٤٨٤٤٤٩	٤٧,٣	١٠٢٣٧٣٦	٧٦٧٦٤٥	٥١,٧	٧١٨٣٤٠	٤٨,٣	١٤٨٥٩٨٥	٩٣٣٠٢١٧	٥٠,٠	٩٣٢٦٠١	٥٠,٠	١٨٦٥٨١٨
بغداد	٤٨٥١٣٤٨	٨٩,٤	٥٧٢٦١٦	١٠,٦	٥٤٢٣٩٦٤	٦١٩٤٧٦٨	٨٦,٧	٩٥٠٧٠٢	١٣,٣	٧١٤٥٤٧٠	٧٠٤٨٨٠٨٧	٨٧,٥	١٠٧٠٥٣٨	١٢,٥	٨٥٥٨٦٢٥
بابل	٥٦٥٦٥٦	٤٧,٩	٦١٦٠٩٥	٥٢,١	١١٨١٧٥١	٧٧٥٢٤٠	٤٦,٩	٨٧٦٣٢٥	٥٣,١	١٦٥١٥٦٥	١٠٤٩٠٨٥٦	٤٨,٣	١١٢٤٩٢٧	٥١,٧	٢١٧٤٧٨٣
كربلاء	٣٩٢٣٧٠	٦٦,٠	٢٠١٨٦٥	٣٤,٠	٥٩٤٢٣٥	٥٧٤٩٠٥	٦٤,٨	٣١٢٩٥٤	٣٥,٢	٨٨٧٨٥٩	١٠٨٥٨٠١٧١	٦٦,٩	٤٢٥٣١٣	٣٣,١	١٢٨٣٤٨٤
واسط	٤١٦٦٧٨	٥٣,٢	٣٦٦٩٣٦	٤٦,٨	٧٨٣٦١٤	٥٥٥٣١٨	٥٢,١	٥٠٩٦٣٢	٤٧,٩	١٠٦٤٩٥٠	٨٧٣٠٨٨٤	٦٠,٢	٥٧٨١٢٣	٣٩,٨	١٤٥٢٠٠٧
صلاح الدين	٤٠٧٠٧٤	٤٥,٠	٤٩٧٣٥٨	٥٥,٠	٩٠٤٤٣٢	٥٤٧٤٠٠	٤٥,٩	٦٤٤٠٠٣	٥٤,١	١١٩١٤٠٣	٧٥٧٠٥٦٧	٤٥,١	٩٢٢٤٤٨	٥٤,٩	١٦٨٠٠١٥
النجف	٥٤١٩١٨	٦٩,٩	٢٣٣١٢٤	٣٠,١	٧٧٥٠٤٢	٧٤١٣٦٣	٦٨,٦	٣٣٩٨٤٠	٣١,٤	١٠٨١٢٠٣	١٠٤١٠٦٠٨١١	٧١,٤	٤٤٢٩٧٧	٢٨,٦	١٥٤٩٧٨٨
القادسية	٣٩٧٧٦٨	٥٢,٩	٣٥٣٥٦٣	٤٧,١	٧٥١٣٣١	٥١٤٢٣٣	٥١,٩	٤٧٦٢٥٠	٤٨,١	٩٩٠٤٨٣	٧٧٨٠٩٠١	٥٧,٣	٥٨٠٧٤١	٤٢,٧	١٣٥٩٦٤٢
المثنى	١٩٥٨٦٩	٤٤,٨	٢٤٠٩٥٦	٥٥,٢	٤٣٦٨٢٥	٢٧٠٤٢٤	٤٤,٠	٣٤٤٥٧٣	٥٦,٠	٦١٤٩٩٧	٣٩٨٠٣٣٤	٤٦,٤	٤٥٩٣١٨	٥٣,٦	٨٥٧٦٥٢
ذي قار	٧٠٠٢٩٤	٥٩,١	٤٨٤٥٠٢	٤٠,٩	١١٨٤٧٩٦	٩٣٦٨١٣	٥٨,٠	٦٧٩٤١٣	٤٢,٠	١٦١٦٢٢٦	١٠٤١٦٠٢٧١	٦٤,٢	٧٩٠٢٤٣	٣٥,٨	٢٢٠٦٥١٤
ميسان	٤٢١١٥٣	٦٦,١	٢١٥٩٧٣	٣٣,٩	٦٣٧١٢٦	٥٣٤٢٣٦	٦٤,٨	٢٨٩٩١١	٣٥,٢	٨٢٤١٤٧	٨٦٥٠٥٣٠	٧٣,٩	٣٠٦٢٧٢	٢٦,١	١١٧١٨٠٢
البصرة	١٢٤١٨٨١٣	٧٩,٨	٣١٤٦٣٢	٢٠,٢	١٥٥٦٤٤٥	١٤٩٦٣٩٢	٧٨,٢	٤١٦١٤١	٢١,٨	١٩١٢٥٣٣	٢٠٤٨٧٠٦٥٨	٨١,٢	٥٧٥٤٠١	١٨,٨	٣٠٦٣٠٥٩
المجموع	١٥٠٦٩٠٤٨	٦٨,٤	٦٩٧٧١٩٦	٣١,٦	٢٢٠٤٦٢٤	١٩٧٥٢٨٣٣	٦٦,٥	٩٩٢٩٢٤٨	٣٣,٥	٢٩٦٨٢٠٨١	٢٨٠٥٢٢٥٢	٦٩,٩	١٢٠٩٧٩٢٢	٣٠,١	٤٠١٥٠١٧٤

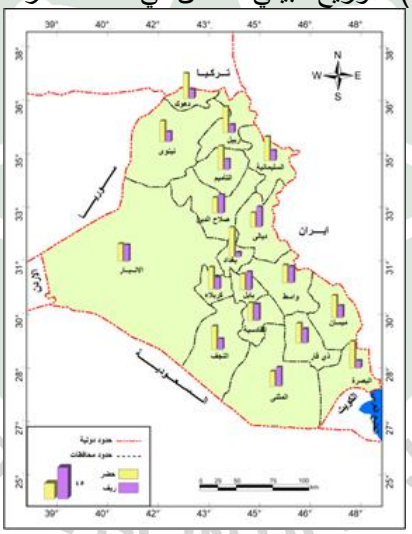
المصدر : اعتمادا على: جمهورية العراق ، وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للإحصاء ،المجموعة الاحصائية السنوية ، نتائج التعداد العام للسكان لعام 1997 وتقديرات 2007 و2020

الخريطة (6) التوزيع البيئي للسكان في منطقة الدراسة لعام1997



المصدر : بالاعتماد على بيانات الجدول (6) .

الخريطة (7) التوزيع البيئي للسكان في منطقة الدراسة لعام2007



المصدر : بالاعتماد على بيانات الجدول (6)

بلغ عدد سكان الحضر (28052252) نسمة وشكلوا نسبة (69.9%) من مجموع سكان منطقة الدراسة حسب تقديرات عام 2020 ، الجدول (6) والخريطة (8)، بينما بلغ عدد سكان الريف (12097922) نسمة وشكلوا نسبة (30.1%) من مجموع سكان منطقة الدراسة البالغ (40150174) نسمة ، يلاحظ ارتفاع نسبة السكان الحضر بسبب تركز السكان في المناطق الحضرية والعمل في قطاعات الدولة الخدمية والوظائف المختلفة، فقد جاءت محافظات (بغداد ، السليمانية واربيل والبصرة)بالمراتب الاربع الأولى بنسبة (87.5% ،84.7 % ، 83.2% ، 81.2%) ان ارتفاع نسبة الحضر في محافظة بغداد امرا طبيعيا لكونها تشكل مركز الثقل السياسي والاقتصادي للبلد وعاصمته الادارية والسياسية، اما ارتفاع نسبة الحضر في محافظتي السليمانية واربيل جاء ذلك بسبب الطبيعة الجبلية وعدم توفر الأراضي الزراعية

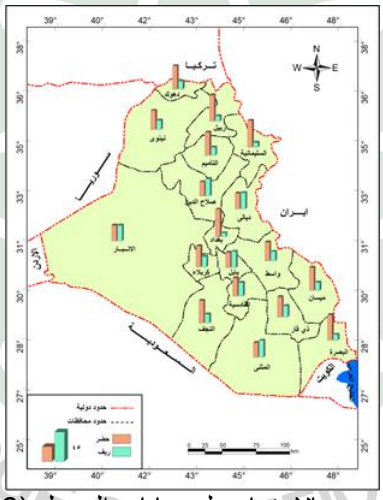
مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

وتركز سكان في المناطق الحضرية من المحافظة. ويرجع سبب ارتفاع نسبة الحضر في محافظة البصرة الى تركز الانشطة الصناعية الخاصة باستخراج النفط والصناعات النفطية والبتروكيمياوية والتي ادت الى استقطاب العديد من السكان للعيش في مناطقها الحضرية والعمل في تلك المشاريع التنموية.

وإن أقل نسبة للسكان الحضر في منطقة الدراسة قد سجلت في محافظتي صلاح الدين والمثنى بنسبة (45.1 %، 46.4%) من مجموع سكانهما فبالنسبة لصلاح الدين فالسبب يعود للظرف الامنية ودخول عصابات داعش للمحافظة وهجرة السكان للمناطق الزراعية والمحافظات المجاورة وحتى الجنوبية، بينما كان سبب انخفاض سكان محافظة المثنى الحضريين يعود الى طبيعة المحافظة الاجتماعية وان غالبية سكانها من الريفيين .أما بالنسبة للسكان الريفيين في العراق فقد سجلت محافظة صلاح الدين أعلى نسبة من السكان الريفيين بلغت (54.9%) بسبب نزوح العوائل من المناطق الحضرية اليهم لكونهم بعيدين عن العمليات العسكرية، وتليها محافظة المثنى بنسبة (53.6%) من مجموع سكان المحافظة وتنخفض نسبة الريفيين حتى بلغت نسبتهم (12.5%) في محافظة بغداد للاسباب المشار اليها سابقا .

نستنتج مما سبق ان هنالك عدم توازن في توزيع السكان إلى ريف وحضر مما يتطلب من الجهات المعنية الاهتمام بسكان الأرياف في منطقة الدراسة والعمل على جذب القوى العاملة الزراعية بتوفير التقنيات الزراعية الحديثة ولاسيما في مجال الري لاستثمار الإمكانيات الزراعية في المنطقة بما يعزز استقرار السكان الذي سوف يكون القاعدة الأساس لاستثمار الموارد الطبيعية بمختلف أشكالها والتقليل من الآثار السلبية المترتبة على التخلخل السكاني في منطقة الدراسة .

الخريطة (8) التوزيع البيئي للسكان في منطقة الدراسة لعام2020



المصدر : بالاعتماد على بيانات الجدول (6) .

اولا: الاستنتاجات

1. أشارت الدراسة إلى أن قوة الدولة هي قوة سكان الدولة، وأن الضرورة في القوة السكانية باعتبارها مصنع القوة ومفتاحها التي تدار بها، تفوق بضرورتها مصادر القوة الأخرى. اذ كشف لنا للبحث بأن العراق يمتلك حجم سكاني مناسب يمكن له من توفير احتياجاته وإمكانية استثمار موارده المتاحة من خلال رفد القطاعات الصناعية بالأيدي العاملة وادامة القوى العسكرية فيه .
2. يصور التوزيع العددي والنسبي للسكان في الوحدة الإدارية هيكلية التواجد السكاني في مناطق الدولة. وتحديد مناطق القوة والضعف في الدولة. اذ ان الأثر السلبي للسكان يكمن في الية التوزيع والتركز فمقابل اماكن الثقل السكاني في الوسط والشمال هناك مناطق التخلخل السكاني في الشرق والغرب منه .

3. أظهرت الدراسة أن القوة السكانية ودعمها للقوة الشمولية متأثرة بالواقع السكاني على مساحة الدولة لتمثل الكثافة السكانية ونسبة التركز السكاني. أبرز مؤشرات القوة المترتبة عن العلاقة بين البعدين السكاني والمساحي للدولة. وقد ترك ضعف الكثافة السكانية في العراق وارتفاع نسبة التركز خللاً في القوة السكانية العراقية داخلياً وإقليمياً.
4. هناك تباين في مساهمة الفئات العمرية لسكان الدولة في دعم قوتها ما يجعل من تحديدها (حجم السكان في الفئات العمرية) ضرورة لتحديد جوهر وحقيقة القوة السكانية وتقييم دعمها لقوة الدولة، اذ تشكل فئة صغار السن (اقل من 15 سنة) (40.5%) من مجموع سكان العراق حسب تقديرات السكان لعام (2020) وتؤلف فئة متوسطي السن (15-64سنة) في منطقة الدراسة نسبة (56.5%) .وتكون فئة كبار السن (65 سنة فأكثر) قليلة اذ تبلغ في منطقة الدراسة (3%) . جاءت محافظة بغداد بالمرتبة الأولى من اجمالي سكان هذه الفئات ،واحتلت محافظة المثنى اقل نسبة من إجمالي سكان العراق ضمن الفئات العمرية.ما جعلها في موقف ايجابي للنهوض بالواقع العراقي ديموغرافياً واقتصادياً وسياسياً فضلاً عن القوة العسكرية.
5. يكتمل الموقف العمري بالتركيب النوعي للسكان في تحديد القوة، ولاسيما في المجتمعات الشرقية فضلاً عن دوره في مجمل العملية الديموغرافية للمجتمع وقد أشارت الدراسة إلى أن النسبة النوعية للسكان العراقيين مرتفعة اذ تنحصر نسبة النوع بين (105.8- 94.3 %) لعام 1997 ,اما في تقديرات السكان لعام 2007 نلاحظ ارتفاع نسبة النوع في جميع محافظات العراق اذ تراوحت بين (101.7 – 101 %) . اما في تقديرات السكان لعام 2020 نلاحظ ارتفاع نسبة النوع في جميع محافظات العراق اذ تراوحت بين (**105.7 – 99.3** %) الا ان هناك تباين في نوع السكان في محافظات العراق خلال مدة الدراسة وهذا ناتج من التباين في العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

ثانيا : المقترحات:

1. جعل تحقيق التوازن بين الحجم السكاني والخصائص الجغرافية للدولة هو الهدف الأساس في جميع المعالجات السكانية وصولاً إلى وضع جيوبوليتيكي يسند ويحافظ على قوة الدولة.
2. أخذ التدابير الخاصة بإعادة توزيع السكان أو بالأحرى محاولة التقليل من حدة التركز السكاني، وذلك بتوسع بعض التجمعات السكانية ذات المواقع الجيوبوليتيكية، وإيجاد أسباب الحياة في المناطق الصحراوية، والاهتمام بمدنها وتجمعاتها السكانية وحث سكانها على عدم تركها، باعتبار تواجدهم فيها مكسب أمني في ظل مساحتها الواسعة وصحراويتها. وفي هذا الجانب تبرز ضرورة التوسع في المشاريع الزراعية سواءً في المناطق الساحلية والمرتفعات أم المناطق الصحراوية وتحديداً الواحات. باعتبارها أفضل المشاريع وأسرعها فاعلية في اجتذاب السكان وإعادة توزيعهم بالشكل المناسب الداعم للقوة.
3. الاهتمام بالمدن والتجمعات السكانية وتحديداً في المناطق الصحراوية والأطراف، كونها نقاط تبث الحياة في إقليم الدولة (قلوب نابضة)، تدعم سيادة الدولة على أراضيها.
4. ضرورة استثمار الطاقات الشبابية من قبل الحكومة العراقية لكونهم العنصر الأساس في العملية الاقتصادية من اجل أخذ موقعها الوطني في استثمار موارد الدولة والنهوض بالواقع الاقتصادي فضلا للدور الكبير في حفظ الأمن للبلاد . ليصب ذلك في صالح القوة .

الهوامش:

1. قاسم محمد عبيد ، التنوع الاثني لسكان السودان واثره في قوة الدولة ، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية التربية (ابن رشد) ، 2007 ، ص70
2. أحمد علي اسماعيل، أسس علم السكان وتطبيقاته الجغرافية، الطبعة السابعة، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1989، ص29 .
3. حيدر حسين عبد الستار رمضان ،دور العامل السكاني في قوة الدولة الليبية دراسة في الجغرافية السياسية،رسالة ماجستير ،كلية الآداب / جامعة بغداد،2006،ص43

4. قاسم الدويكات ، الجغرافية العسكرية،ط5، مطبعة النهضة، اربد، 2000،ص90 .
5. عبد المنعم عبد الوهاب وصبري فارس الهيتي ، الجغرافية السياسية، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1989، ص77 .
6. ظلال جواد كاظم ياسين، تحليل جغرافي سياسي لتأثير السكان على قوة الدولة العراقية ،مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، جامعة تكريت ، المجلد (28) العدد (10) ،2021،ص174
7. خلود عبد الزهرة حامض ، الامكانات الجغرافية المتاحة للتنمية في البادية الغربية من العراق وأثرها في قوة الدولة، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة،2021، ص59
8. عبد المنعم عبد الوهاب وصبري فارس الهيتي ، مصدر سابق ، ص82 .
9. احمد نجم الدين ، جغرافية سكان العراق ، مطبعة جامعة بغداد، 1982، ص148 .
10. عدنان السيد حسن ، الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، 1996 ، ص197.
11. عباس فاضل السعدي ، التوزيع الجغرافي البيئي للسكان ومدى تركزهم في العراق ، مجلة الجمعية الجغرافية ، العدد47، 2001،ص5.
12. طه حمادي الحديثي ، جغرافية السكان، ط2، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر،2000، ص610-611.
13. حميدة عبد الحسين محمد الظالمي، تحليل جغرافي سياسي لعلاقات العراق مع دول الجوار العربي، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية للبنات ، جامعة الكوفة ، 2016، ص66
14. طه حمادي الحديثي ، جغرافية السكان ، مصدر سابق ، ص 623.
15. منصور الراوي، سكان الوطني العربي، الجزء الاول، بيت الحكمة للنشر، بغداد، 2002، ص427.
16. عبد الفتاح محمد وهيبة ، جغرافية السكان ، دار النهضة العربية ، بيروت،1971 ، ص 120-121 .
17. خلود عبد الزهرة حامض ، الامكانات الجغرافية المتاحة للتنمية في البادية الغربية من العراق وأثرها في قوة الدولة، مصدر سابق ، ص 73
18. زينب ناجي جبر الخفاجي ، ، أنماط التركيب السكاني في العراق واثرها على قوة الدولة دراسة في الجغرافية السياسية، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، 2014 ،ص34
19. علي أحمد هارون ، اسس الجغرافية السياسية، دار الفكر العربي، القاهرة ، 1998 ، ص156.
20. عبد علي الخفاف وعبد مخور الريحاني ، جغرافية السكان ، مطبعة جامعة البصرة ، 1986،ص328.
21. عبد علي الخفاف وعبد مخور الريحاني ، مصدر سابق ص330 .
22. عدنان عناد غياض العيكلي ومحمد اطخيخ ماهود المالكي , توزيع السكان وتغيرهم في محافظة ذي قار للمدة 1977-1987-1997 ,مجلة آداب ذي قار،جامعة ذي قار ,المجلد 2 , العدد 5 2012, ص182.
23. خلود عبد الزهرة حامض ، الامكانات الجغرافية المتاحة للتنمية في البادية الغربية ، مصدر سابق، ص66

المصادر:

1. اسماعيل ,أحمد علي ، أسس علم السكان وتطبيقاته الجغرافية، الطبعة السابعة، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1989
2. جمهورية العراق ، وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للإحصاء ،المجموعة الاحصائية السنوية ، نتائج التعداد العام للسكان لعام 1997 وتقديرات 2007 و2020

3.حامض,خلود عبد الزهرة ، الامكانات الجغرافية المتاحة للتنمية في البادية الغربية من العراق وأثرها في قوة الدولة، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة،2021
4. الحديثي, طه حمادي ، جغرافية السكان، ط2، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر،2000
5.حسن ,عدنان السيد، الجغرافية السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، 1996
6. الخفاجي,زينب ناجي جبر ، ، أنماط التركيب السكاني في العراق واثرها على قوة الدولة دراسة في الجغرافية السياسية، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، 2014
7.الخفاف,عبد علي وعبد مخور الريحاني ، جغرافية السكان ، مطبعة جامعة البصرة ، 1986
8. الخفاف,عبد علي ، جغرافية السكان السكان – اسس عامة ، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر ، عمان ، 1999
9. الدويكات ,قاسم ، الجغرافية العسكرية،ط5، مطبعة النهضة، اربد، 2000
10. الراوي, منصور، سكان الوطني العربي، الجزء الاول، بيت الحكمة للنشر، بغداد، 2002
11. رمضان,حيدر حسين عبد الستار ،دور العامل السكاني في قوة الدولة الليبية دراسة في الجغرافية السياسية،رسالة ماجستير ،كلية الآداب / جامعة بغداد،2006
12.السعدي ,عباس فاضل ، التوزيع الجغرافي البيئي للسكان ومدى تركزهم في العراق ، مجلة الجمعية الجغرافية ، العدد47،
13.الشيباني ,عدنان كاظم جبار، الوزن الجيوبولتيكي للمملكة العربية السعودية، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2011
14. الظالمي ,حميدة عبد الحسين محمد ، تحليل جغرافي سياسي لعلاقات العراق مع دول الجوار العربي، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية للبنات ، جامعة الكوفة ، 2016
15. عبد الوهاب ,عبد المنعم وصبري فارس الهيتي ، الجغرافية السياسية، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1989
16. عبيد ,قاسم محمد ، التنوع الاثني لسكان السودان واثره في قوة الدولة ، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية التربية (ابن رشد) ، 2007
17.العكيلي ,عدنان عناد غياض ومحمد اطخيخ ماهود المالكي , توزيع السكان وتغيرهم في محافظة ذي قار للمدة 1977-1997 ,مجلة آداب ذي قار,المجلد 2 , العدد 5 ,2012
18. نجم الدين ,احمد ، جغرافية سكان العراق ، مطبعة جامعة بغداد، 1982.
19.هارون ,علي أحمد ، اسس الجغرافية السياسية، دار الفكر العربي، القاهرة ، 1998
20.وزارة الموارد المائية، الهيئة العامة للمساحة، خريطة العراق الإدارية، مقياس 1: 2019/500000
21. وهيبة,عبد الفتاح محمد ، جغرافية السكان ، دار النهضة العربية ، بيروت،1971
22.ياسين, ظلال جواد كاظم ، تحليل جغرافي سياسي لتأثير السكان على قوة الدولة العراقية ،مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، جامعة تكريت ، المجلد (28) العدد (10) ،2021

*بحث مستل من رسالة الماجستير (أثر التركيب التعليمي في بناء قوة الدولة في العراق)

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

الآثار البيئية للإرهاب في العراق وأبعاده الجيوبوليتيكة

ا.م.د. زيد علي حسين
د. ابتهال عبد علي فرحان
كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل

المستخلص :

لم تُعد البيئة محل اهتمام محلي يقتصر على المتخصصين في دراستها ، وإنما تعداها ليصبح اهتماماً سياسياً ، تتحدد من خلاله ملامح سياسة أية دولة واصبح الاعتداء عليها ، لاسيما اذا كان الغرض منه زعزعة استقرار دولة ما فيخل بأمنها وحتى بأمن الدول المجاورة لها إنه ما يعرف بالإرهاب البيئي ، وان العراق بحكم موقعه الاستراتيجي وما يتعرض له من هجمة عنيفة من الإرهاب بكل انواعه يؤثر بشكل مباشر وغير مباشر في تهديد الأمن في المنطقة ، وأن الارهاب يشكل أحد ابشع صور الجريمة التي تعرفها البشرية في الوقت الراهن، اذ ان امتداداتها لم تسلم منها اية دولة، ولم يعد يقتصر على حدود معينة بل تجاوزها ليصبح مشكلة ذات بعد دولي تعاني منها مختلف المجتمعات والارهاب البيئي بوصفه احد الاوجه التي يمكن ان يظهر من خلالها هذا النشاط الارهابي يعد ابرز انواع ، ونتيجة انعدام الجانب الاخلاقي في هذا الاجرام فأننا نكون بصدد اعمال حرب في مجتمع في سلم اذ تشكل البيئة الهدف الانسب للارهابي لاجل زعزعة استقرار دولة ما وتهديد امنها، كما ان الطابع المميز للبيئة يجعل من الجرائم التي تمسها عابرة للحدود اذ أن الاعتداء عليها في دولة ما قد يمتد اثره الى دولة آخر، وبطبيعة الحال فان الموقع الجيوستراتيجي للعراق يجعل من هذا النوع من الاجرام ذا اهتمام لجميع الدول المجاورة له مما يجب التأكيد عليه ان تستحدث منظومة قانونية واخرى اجرائية تسعى لاسيما الى مواجهة هذا الخطر وارساء جو من الامن يمتد اثره الى كافة الدول المجاورة له .

Abstract:

The environment is no longer a matter of local concern limited to specialists in its study, but rather it has gone beyond it to become a political concern, through which the features of the policy of any country are determined and the attack on it becomes, especially if the purpose is to destabilize a country and violate its security and even the security of its neighboring countries. It is what is known as environmental terrorism And that Iraq, by virtue of its strategic location and the violent attack of terrorism of all kinds, affects directly and indirectly the threat to security in the region, and that terrorism constitutes one of the most heinous forms of crime known to mankind at the present time, as its extensions have not spared any country from it, and it has not It is not limited to certain borders, but rather exceeded them to become a problem with an international dimension that various societies suffer from. Environmental terrorism, as one of the aspects through which this terrorist activity can appear, is the most prominent type, As a result of the lack of a moral aspect in this crime, we are in the process of acts of war in a society at peace, as the environment constitutes the most suitable target for the terrorist in order to destabilize a country and threaten its security, just as the distinctive nature of the environment makes the crimes that affect it

cross borders, as the attack on it in a country may Its impact extends to another country, and of course, the geostrategic location of Iraq makes this type of crime of interest to all its neighboring countries, which must be emphasized that a legal and procedural system should be developed that seeks, in particular, to confront this danger and establish an atmosphere of security that extends its impact to all neighboring countries for him.

المقدمة :

عانت الكثير من المجتمعات منذ القدم ويلات العنف والدمار الأعمى متمثلة بظاهرة الأرهاب والتي تميزت بآثار مدمرة تشمل الحضارة الإنسانية جمعاء ولاسيما في المرحلة الحالية اذ اتخذت هذه الجريمة العديد من الأشكال والأساليب المستحدثة والتي من الصعوبة بمكان ضبطها والسيطرة عليها.

إن فشل الإنسان في التعامل مع البيئة الطبيعية أدى إلى اختلال التوازن بين موارد الأرض وقدرتها على إعطاء الإنسان ما يحتاجه ويتطلبه ، كما إن إخفاق الإنسان في وضع ضوابط للإنفجارات السكانية ودون الاخذ في الحسبان التوازن المطلوب بين حجم السكان والتكدس العشوائي في بيئات حضرية مزدحمة تفتقر الى الضرورة الصحية المناسبة وتلوث المياه بسموم الكيماويات وتلوث الهواء بالأدخنة والغازات ، كل هذا دليل على سوء تعامل الإنسان مع البيئة ، وقد ادى ذلك الى ظهور تحديات كبيرة ما زالت تخل في التوازن بينه وبين بيئته الطبيعية وهذا الاخلال من ابرز المشكلات والتحديات التي يواجهها الانسان في العالم، فضلا عن هذه المشكلات البيئية ما ينجم من الاعمال الأرهابية مثل تفجير الابنية وحرق ابار النفط وتلويث المياه بقتل الابرياء وزجهم فيها فضلا عن هدرها وتلويثها بالمواد السمية التي تلقى فيها لتقتل الابرياء من السكان او تفجير الجسور فتقع مخلفاتها في تلك الانهار ، وكل هذه الحوادث المريعة التي يقوم بها الارهابين في العراق تؤثر على البيئة العراقية التي لم تأخذ انفاسها وتتعافى من ويلات حرب الولايات المتحدة الامريكية بعد بل زاد الارهاب ما تعانيه اضعافاً مضاعفة سبب بآثاره المختلفة الاقتصادية والاجتماعية تدهوراً كبيراً قد يؤثر على كل انواع الحياة في العراق وربما يتمادى تأثيره دولياً او عالمياً لأن الهواء الملوث ينتقل الى مناطق اخرى وكذلك المياه فهي تصب في الخليج العربي فتحمل معها تلك الملوثات اليه .

تتمثل مشكلة البحث ، بالسؤال الآتي: **(هل لأحداث الارهاب آثاراً بيئية في العراق وما هي ابعادها الجيوبوليتيكة)**.جاءت فرضية البحث **(شهدت الاحداث في العراق العديد من الحوادث الارهابية المدمرة من كل النواحي ومنها البيئة العراقية التي هي بالاصل تعاني من الكثير من المشاكل فزاد الارهاب مشاكلها فكانت لتأثيره ابعاداً جيوبوليتيكية)**.

هدف البحث :يمثل الإرهاب جريمة العصر ، وكادت هذه الجريمة أن تقسم العالم إلى مجموعتين من يكون مع الحرب ضد الإرهاب ومن هو ليس معها، ويمكن الإشارة إلى أن أهمية هذا البحث تنبع من خلال ما لجريمة الارهاب وبكل وسائلها من آثار سياسية واقتصادية واجتماعية وبيئية في المجتمع العراقي الذي عانى ويعاني الكثير من استفحال هذه الظاهرة ولاسيما بعد تطور الأساليب المستخدمة في تنفيذها وما تمتاز به من دقة وخطورة بالغتين .

.يتناول البحث عدة محاورهي :

اولا: الاثار البيئية

ثانياً: البيئة العراقية وتحديات التلوث

ثالثاً: أثارالإرهاب في تلوث الموارد المائية العراقية

رابعاً: إرهاب تخريب وحرق آبار النفط العراقية

أولاً: الآثار البيئية :

يعد موضوع البيئة من الموضوعات المهمة التي اخذ الإنسان المعاصر يهتم بها في بداية القرن العشرين وذلك بعد ان تزايد الاهتمام العلمي والتطبيقي لعلوم البيئة والتخطيط البيئي ، وبعد إن افسد الإنسان كثيراً من جمالات الحياة على الأرض وفي باطن الأرض وحتى غلافها المحيط بها مما ادى الى

إخلال التوازن البيئي، وتأتي عناية الإنسان المعاصر بالبيئة اذ أدركت الدول والهيئات العالمية تعاظم التأثير السلبي للأنشطة البشرية المتعددة وفداحة الاخطار التي تلحق بالبشر لإسرافهم في التعامل مع البيئة .[1] ونظراً للأهمية التي تحتلها البيئة والقوانين والتشريعات البيئية لضبط سلوكيات الإنسان في المحافظة على البيئة وعدم استنزاف مصادرها وتلوث هواءها والماء التربة ليس على حاضر المجتمع والعالم فحسب بل على مستقبلها ايضاً، وعلى قدرته في مواجهة الصعاب والتصدي للتحديات الأمر الذي جعل من تطور القوانين والتشريعات البيئية ضرورة وطنية قومية وعالمية ملحة ليتمكن من تنظيم علاقة الإنسان بالبيئة من مختلف جوانبها وعدم التأثير السلبي في البيئة والتأثير في مجرى الحضارة الإنسانية ويتحقق ذلك من خلال قوانين وتشريعات بيئية وعمليات تقويم ومراجعة لما حققته هذه التشريعات [2].

تعرف حماية البيئة بأنها حماية الأحياء البرية والبحرية وحماية النظم الطبيعية واستغلالها بشكل يضمن استمرارها في العمل وفق نظام طبيعي متزن ، اما القوانين البيئية فهي ظواهر اجتماعية بكل ابعادها السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية والتنموية والجمالية وتختلف عن القوانين العامة بأن مصدرها القانون العام والقانون الخاص والقانون الدولي وقانون العقوبات[3]. اما قانون البيئة فهو ظاهرة اجتماعية مصدرها القانون العام والخاص والدولي وقانون العقوبات يسعى الى ايقاف كل سلوك إنساني من شأنه أن يؤثر على العوامل الطبيعية على الأرض وهدفه حماية البيئة من الأنشطة التي قد تؤدي الى اختلال التوازن الطبيعي القائم ، وأهم مرتكزات القانون البيئي ومبادئه هي[4]:

- الدور المحوري والاساسي في العمل على حماية البيئة من التلوث كواجب لا بد من القيام به من قبل الأفراد والهيئات وتقوم الدولة بتهيئة النظم الكفيلة بتحقيقه على أكمل وجه .
- المرتكز الثاني هو مبدأ من يلوث عليه أن يصلح انطلاقاً من أن تراكم الضرر يؤدي الى خلل في النظام البيئي وينعكس على امن واستقرار وصحة الانسان والكائنات الحية كلها .
- المرتكز الثالث هو التعويض عن الضرر البيئي أي أن الجزاء يتمثل في العقوبة اذا كان مرتكب الجريمة اهلاً لتحملها .

تتميز الجرائم البيئية بالاعتداء على المحيط بإدخال مواد سامة او تسريبها في الجو او في باطن الارض او القائها عليها او في المياه من شانها جعل صحة الانسان او الحيوان او البيئة الطبيعية في خطر، اذ تصدر هذه الافعال بإرادة واعية ولكنها تستهدف المجال البيئي بوصفها احدى مظاهر الاجرام ويشكل النشاط السياسي للأحزاب احد ابرز محركي الارهاب فضلاً عن الفقر والبطالة واللتان تغذيان اغلب النشاطات الارهابية ، وبما ان الارهاب يشكل ابشع صور الاجرام والارهاب البيئي ابشع صور الارهاب، فان كان النشاط الارهابي بمقدوره القضاء على بضعة اشخاص جريمة الارهاب البيئي بامكانها القضاء على آلاف الاشخاص بل وحتى الملايين كما واضح من الصورتين (1 ، 2) وان كان آثار الارهاب يمكن محوها بقوانيين في مدة زمنية محددة فان الضرر البيئي يحتاج لمئات السنين لكي يمكن ازالته مما يؤثر ليس فقط على الاجيال الحالية وانما حتى على الاجيال في المستقبل[5]. وأن العراق وبقدرة قادر تحول الى أكبر مكب نفايات في العالم يشتمل على المواد والعدد والمكائن والأدوات والملابس المستعملة الموبوءة بأمراض لم يعرفها العراق من قبل والأدوات الكهربائية العاطلة وتلك التي قاربت على العطل والأدوية المسرطنة وبعض المنتجات منتهية الصلاحية أو قريبة منها ومعدات المطبخ القديمة الوسخة وحقائب أطفال مستعملة وأحذية عفنة وملابس داخلية موبوءة وملابس أطفال وغيرها من المواد. لماذا؟ كل تلك النفايات التي تدخل العراق؟ ترى ألا يستحق شعبه الأبي أن توفر له تلك المواد وهي جديدة وغير مستعملة ومن مناشيء عالمية؟ لماذا نسمح بدخول تلك المواد، فهل نحن مسؤولون عن تنظيف بقية الدولة؟ وهل سيعمل العراقيون كعمال نظافة لبقية شعوب المنطقة؟ لماذا هذا الأستهتار بحق العراقيين بحياة حرة كريمة تكفل لهم تأمين كل أحتياجاتهم اليومية المنزلية منها والعملية بدون دفعه للهاث وراء المسميات الدعائية التي تضعها بعض المحال التجارية (مواد أوربية الصنع)، وماهي إلاّ أزبال ونفايات تم جمعها عن طريق التجار والسماسرة وأصحاب الضمائر الميتة. والظروف المادية تدفع الناس الى أقتناء تلك المواد المستعملة بعدما أثخنت بها الاسواق، من بضائع صينية رخيصة معدومة الكفاءة، الكهربائية منها والمنزلية، والتي ما

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

أن يتم أستخدامها لأيام، فقط لأيام لتعطل وترميها وتذهب لأقتناء أخرى وبذلك تمرعلى أكبرعصابات أستنزاف مواردك المالية المحدودة، أنها مافيا بعض التجار الذين نزعوا الشرف والوطنية والغيرة وأستبدلوها بالجشع والطمع ليملأوا بطونهم بالمال الحرام. والغريب انه على الرغم أن تلك المواد المباعة هي ذات الصناعة الصينية ولكنها تصنع بطريقة أفضل للتجار الخليجيين، وتستخدم من قبل المقيمين الآسيويين في تلك الدول وحال رحيلهم الى بلادهم يتم جمع تلك المواد ورزمها الى مكب النفايات، أي الى العراق، لبيعها وأمتصاص دماء الفقراء، إن كانت بقت لهم دماء.

الصورة (1)



الصورة (2)



ثانياً: البيئة العراقية وتحديات التلوث

يشهد العراق انواع عدة من الملوثات التي تؤثر على حياة الانسان العراقي من جهة وعلى وعلى البيئة العراقية من جهة اخرى وهذا بدوره له اثر على الدول المجاورة ، ويمكن تقسيم التلوث في العراق بحسب نوع الملوثات الى[6]:

1- **التلوث الكيميائي** : وهو زيادة المادة الكيميائية الضارة عن الحد الطبيعي ، وهذا ما يعاني منه العراق ، فهذه المادة اما تدخل عن طريق الفم او التنفس او الجلد ، وان الضرر الذي تحدثه المادة الكيميائية يعتمد على نوع وتركيز المادة الكيميائية والمدة الزمنية التي يبقى فيها الفرد معرضاً لها ، والتلوث الكيمائي في العراق معظمه ينتج عن التسرب الصناعي من الغازات والسوائل الضارة او تسرب المواد الكيميائية المستعملة في الزراعة ، كذلك الحروب المتتالية التي استخدمت فيها انواع الأسلحة المدمرة باعتبارها سبب اخر في التلوث الكيميائي وهي تختلف وفقاً لقرب المناطق المتأثرة من العمليات العسكرية فضلاً عن تحلل النفايات المنزلية وغيرها وأهم آثارها :

- تراكم بعضها في خلايا الجسم مما يؤدي الى ارتفاع نسبة الوفيات بين المسنين والاطفال .
- ظهور حلات الأصابة بمرض السرطان والفشل الكلوي .
- ظهور حالات التشوهات في الأجنة والطفرات الجينية غير المرغوب بها .

2- **التلوث البيولوجي** : وهو التلوث الذي ينتج عن تعامل الإنسان مع الحيوانات بصورة غير سليمة ومع منتجاتها الملوثة والتي تؤدي الى الإصابة بالعديد من الامراض المشتركة ، إذ نلحظ كثرة الحيوانات السائبة في العراق من القطط والكلاب دون المتابعة للقضاء عليها وهي تنتقل حاملة معها ملوثات للإنسان والبيئة ، كما ان المنتجات الحيوانية اصبحت تباع دون رقابة صحية في اغلب المناطق خاصة البعيدة عن مراكز المدن في العراق ، وان بعض الارصفة اصبحت مجازر لذبح الاغنام وبيعها دون فحص صحي يؤكد سلامتها فضلاً عن ذلك أن اغلب اماكن بيع اللحوم يزيد تلوثها وعدم سلامتها بسبب وجود الحشرات حولها والاتربة ودخان السيارات ، مما ينتج عن ذلك العديد من الامراض أهمها (السل والتيفوئيد وحمى مالطة وداء الكلب والاكياس المائية التي تزايد اعداد المصابين بها في العراق .

3- **التلوث الأشعاعي** : ان الاشعاع الذي يتعرض له الإنسان يستند لمصدرين أساسين هما الطبيعة مثل الأشعة الكونية والعناصر المشعة بالطبيعة والتي غالباً ما تكون غير ضارة بالإنسان لانها تكون بنسب ضئيلة يمكن للإنسان مقاومتها ، اما العنصر الثاني فهي المستويات العالية للإشعاع الناتج عن الاشعة المتأتية نتيجة لاستخدام الانسان للطاقة النووية عسكرياً او سلمياً في الصناعة او الزراعة او البحوث والتي تسبب تلوث بيئي عالي يؤثر على مختلف الاحياء ، وأهم آثارها على الإنسان هو حدوث امراض مختلفة بعضها قاتل والبعض الأخر يجعل الانسان يعاني منها لأزمنة طويلة .

يمكن القول بأن البيئة العراقية تعاني من نوعين من المشاكل، أولها تلك التي تعاني منها البيئة في باقي الدول المعمورة مثل تلوث الأرض والمزروعات بالكيمياويات (المعقمات والاسمدة)، والكم الهائل من السيارات بما تجلبه من دخان وضجيج وزحام وحوادث، والنمو الهائل للمجمعات السكنية المحشورة بالملايين من السكان من دون توفر الشروط الانسانية والصحية، ومشكلة رمي الملوثات الكيمياوية والصناعية في الطبيعة بسبب ضعف الرقابة وفساد الاوضاع، وغيرها من المشاكل البيئية المعروفة في العالم أجمع، فضلا عن هذه المشاكل، يعاني العراق من أربعة كوارث كبرى تجعل البيئة العراقية واحدة من أكثر بيئات العالم خطورة وخراباً وأذى للإنسان وهي جفاف النهرين، التلوث الحربي والاشعاعي، سرقة وتدمير الآثار، وموت بساتين النخيل ومن المعلوم ان الكوارث البيئية التي تصيب دول المعمورة، بعضها لأسباب طبيعية مثل الزلازل والفيضانات، وبعضها لأسباب بشرية مثل التصنيع الوحشي والتمدن السريع والسدود غير المدروسة والزراعة الكيميائية وتأثير الحروب، وغيرها. مما يثير الانتباه حقا، ان هذه الكوارث البيئية العراقية الأربع كلها نتيجة عوامل بشرية، بل الاكثر من هذا، انها عوامل سياسية مباشرة تكاد أن تكون خالية تماماً من العامل الطبيعي ومن أهم هذه الملوثات وبحسب العامل المباشر فيها ما يأتي[7].

1- **جفاف النهرين**: نتيجة ضعف الدولة العراقية وعدم رعايتها ادارة النهرين فضلاعن جريمة تجفيف الاهوار من قبل نظام السابق، كل هذا شجع الدول المجاورة على أن تقيم المشاريع والسدود بصورة مخالفة لجميع الاتفاقيات والشرائع الدولية، لكي تستحوذ على الكم الاكبر من مياه النهرين.

2- **التلوث الحربي والاشعاعي**: بسبب الحروب والاسلحة الفتاكة مثل القنابل المشعة باليورانيوم المخصب وغيرها من المواد القاتلة التي رميت بمئات الآلاف من الاطنان في ارض العراق من قبل القوات الامريكية خلال حروب عقدي التسعينات والالفين، فضلاعن تلويثات تلك الآلاف من التفجيرات الارهابية ودفن المواد الحربية والكيمياوية بصورة مخالفة لكل الشروط المعروفة. لقد ارتفعت نسبة الملوثات في العراق 11 مرة مقارنة بعام 1987.

3- **آثار العراق** : هي لا تمتلك فقط قيمة تاريخية ثقافية تراثية، بل تمتلك قيمة بيئية لو أخذنا بنظر الاعتبار ان هنالك أكثر من 30 ألف موقع أثري مكتشف في أنحاء العراق (فضلا عن حوالي 70 ألف أخرى مازالت لم تستثمر)، تمتد على مساحة آلاف الكيلومترات من الاراضي في كافة الانحاء. كل هذه المواقع الأثرية منذ أعوام التسعينات واندلاع الحروب تعرضت الى التدمير الحربي والتخريب والسرقات المنظمة. ومع احتلال الولايات المتحدة الامريكية عام 2003 أخذ هذا التخريب بعداً وحشياً ودولياً منظماً ومقصوداً مع تدمير المتحف العراقي وسرقة آثاره. بل بلغت الوحشية والاحتقار لهذه الآثار العظيمة ان يتخذ جيش الولايات المتحدة الامريكية من المواقع الاثرية مواقعاً عسكرية له، مثل موقع بابل وموقع اور الذي أخلاه عام 2009 .

4- **موت ثلثي أشجار النخيل** : بسبب حروب النظام السابق ثم الاهمال والجفاف والامراض. لقد تراجع عدد أشجار النخيل في العراق إلى أقل من 9 ملايين شجرة مقارنة بـ 33 مليوناً في الخمسينات، حسب ما أفادت به الحكومة. وبالصورة نفسها انخفض عدد المصانع التي تعالج التمر إلى ستة مصانع مقارنة بـ 150 مصنعاً قبل عام 2003. ويجرى حالياً تعبئة التمر العراقي في دولة الإمارات.

ثالثاً: أثار الإرهاب في تلوث الموارد المائية العراقية

يعاني العراق من نقص كبير في المياه قد يؤدي الى حدوث حالة من الجفاف في السنوات القادمة. جاءت هذه المتغيرات نتيجة لسياسات الاحتكار للموارد المائية التي تنتهجها الدول المتشاطئة لنهري دجلة والفرات وفروعهما، فضلاً عن المتغيرات المناخية وانحسار سقوط الامطار غير المعتاد التي شهدها فصل الشتاء عام 2008. ان كمية مياه الامطار التي هطلت على العراق خلال فصل الشتاء قد قلت نسبتها (30%) عما كانت عليه في الاعوام الماضية، وهذا ما أثر بوضوح في محتويات مياه نهري دجلة والفرات والروافد المائية وانخفاض مناسيبها، وتقدر كميات المياه المتاحة في العراق بحدود(77 مليار متر مكعب) منها (29 مليار متر مكعب) من نهر الفرات، ولكن الكمية المستغلة فعلاً هي فقط (25 مليار متر مكعب) يؤكد الخبراء المائيون ان مجموعة كميات المياه المتاحة في العراق ستصل العام 2025 الى (2,162 مليار متر مكعب (، وتشير الدراسات الى ان خسارة كل مليار متر مكعب من مياه الفرات في العراق تؤدي الى نقصان (26 الف دونم) من الاراضي الصالحة للزراعة، كما تؤكد هذه الدراسات والأبحاث خسارة نحو (40 %) من هذه الاراضي الزراعية جراء ارتفاع معدلات الملوحة في مياه الفرات في حين يبين تقرير صادر عن المنظمة الدولية للبحوث ان العراق سوف يخسر واردات نهري دجلة والفرات بالكامل بحلول العام 2040 وذلك للتناقص الحاد في الحصص المائية الواصلة ضمن حوض نهر الفرات التي ستصل الى (32 مليارا) و(140 مليون متر مكعب) في الثانية بحلول العام 2040 مقابل احتياجات العراق التي ستبلغ (23 مليار متر مكعب) وان هذه الواردات النهائية للنهر لن تكفي لتغطية الاحتياجات الكلية لهما، الامر الذي يؤدي الى خسارة العراق موارد النهر بالكامل. وأشار التقرير الى ان واردات نهر الفرات الحالية ضمن آخر رصد لمحطة حصيبه بلغت (5 مليارات و700 مليون متر مكعب) وهي تمثل نسبة (42 %) من المعدل العام بعد اكمال سد أتاتورك في تركيا ضمن مشروع جنوب شرق الاناضول الهادف الى تشييد 22 سداً على حوضي دجلة والفرات. تعاني الموارد المائية في العراق بأنواعها من التلوث بمصادر مختلفة ، وهذه المشكلة مزدوجة الاسباب ولها وجهان هما [8]:

- الوجه الكمي:أي الندرة والقلة ويعني ان كمية الماء العذب الصالح للاستعمال البشري الواصل للعراق بدأ يقل سنة بعد اخرى وذلك لتحكم دول المنبع مما يزيد من خطورة التلوث المائي في العراق .
- الوجه الكيفي : أي التلوث فهو ينتج عن سوء استعمال الإنسان للمياه ، ورمي مخلفاته الصناعية والزراعية والمنزلية فيه.

ونتيجة لانخفاض مناسيب المياه في نهري دجلة والفرات في الاعوام الاخيرة واستفحالها بعد العام 2008، برزت مشكلة التصحر والتي هي مشكلة مزمنة بدأت منذ سبعينيات القرن الماضي بعد قيام الاتراك بتخزين المياه في سد (كيبان) والسوريين في سد (الطبقة) ما أدى الى تصحر مساحات واسعة وزيادة العواصف الترابية وتراكم الاملاح، وقد اسهم هذا العمل في تدهور الثروة السمكية النهرية فضلاً عن استخدام المواد الكيمياوية الصلبة في الزراعة التركية التي تصرف المياه مرة أخرى الى العراق. وهذا العمل ادى الى تقلص المساحات المائية بسبب القطع المستمر للروافد الصغيرة والكبيرة النابعة من الهضبات الايرانية والتي تغذي مناطق زراعية واسعة قرب الحدود الايرانية في ديالى والسليمانية والاهوار. هذا الانحسار في روافد المياه ادى الى تغيرات في الواقع البيئي وهلاك الثروات الطبيعية والطيور المستوطنة والمهاجرة وانقراض النباتات الطبيعية المحلية. فضلا عن تأثر القطاع الزراعي العراقي من نقص مياه نهري الفرات وديالى حيث تقلصت المساحات المزروعة لاسيما محصول الشلب ويقدر الخبراء الاقتصاديون ان يكون انتاج هذا المحصول قد انخفض بنسبة 90 % ما انعكس سلباً على قطاع تربية المواشي الذي يعتمد على الشعير كمادة غذائية بنسبة 60 % وافلاس العديد من المزارعين الصغار وشلل في منظومة الطاقة الكهربائية وامدادات المصانع ومحطات ضخ المياه للشرب. ومما زاد تلك المشاكل البيئية التي تعاني منها الموارد المائية في العراق هي الاعمال الارهابية التي يقوم بها الدواعش من قتل الناس ورميهم في الانهار وكذلك تفجير الجسور والمنشأت الحيوية المقامة على الانهار ، فضلاً عن محاولة رمي المخلفات في الانهار كل هذه الاعمال الارهابية هي ذات خطورة كبيرة على البيئة

العراقية تزيد من معاناتها والضحية هو الانسان العراقي ، ولربما يمتد هذا التلوث الى الدول المجاورة لان المياه هي مياه اقليمية مشتركة لذلك تكون لها اثار جيوبوليتيكية كبيرة على المنطقة ولاسيما الخليج العربي .

رابعاً: إرهاب تخريب وحرق آبار النفط العراقية

يزيد من خطر التلوث النفطي هو ان البقعة النفطية تنتقل وتنتشر الى أماكن بعيدة قد تصل احياناً الى عدة اميال من مكان وقوع حدوث التلوث النفطي لان كثافة النفط أقل من كثافة الماء ، لذا يطفو على سطح الماء مكوناً طبقة رقيقة عازلة بين الماء والهواء الجوي وهذه الطبقة تنتشر فوق مساحة كبيرة من سطح الماء وتمنع التبادل الغازي بين الهواء والماء فتمنع ذوبان الأوكسجين في مياه الأنهار مما يؤثر على التوازن الغازي ، إذ ان اللتر الواحد من النفط المتسرب يغطي بانتشاره مساحة تزيد على (2400متر) من المياه السطحية، وتعد الرياح وحركات المد والجزر هي القوى المحركة الرئيسة لها وذات تأثير مباشر في نشره داخل المصدر المائي ، وقد وجد بأن سرعة اندفاع البقعة تبلغ (3,5%) من سرعة الرياح ، كما وجد ان فرق ارتفاع المياه بمعدل (مرتين) من الخليج العربي الى شط العرب يؤدي الى حدوث امواج مد وجزر وبسرعة (0,5 م/ثا) وهذه الحالة مثلما تسهم في ابعاد التلوث النفطي الذي قد يحدث على او قرب السواحل العراقية فهي تسهم في نفس الوقت بنقل التلوث النفطي من الخليج العربي الى شط العرب وهذا ما يزيد من حدة تلوث مياه شط العرب ، ويعد النفط من الملوثات الخطيرة نتيجة للمواد التي يحتويها ومن أهمها[9] :

- المركبات البارافينية مثل (الميثان والبروبان والبيتان)
- المركبات الأوليفينية مثل الأثيلين والبروبلين والبيوتيلين
- المهادن الثقيلة او الفلزات مثل النيكل والفانديوم
- مركب رابع اثيلات الرصاص

أتضحت بوادر الإرهاب البيئي المتمثل بتخريب المنشات النفطية خلال الحرب الاخيرة عام 2003 أذ سجلت صور الاقمار الصناعية غيوم حرائق النفط التي نظمت على شكل حفر بلغت في بغداد (50) حفرة تحت ذريعة (استخدام النفط لاعماء اسلحة العدو) أذ تم حرق ما يعادل (540) م^3 / يوم من النفط الاسود ، واتسعت دائرة التخريب للمؤسسات النفطية منذ اندلاع الحرب الاخيرة حتى يومنا هذا أذ تم استهداف خطوط انابيب النفط والمنشات النفطية بالتخرب خلال عام 2003 وبعدد (160) حادثاً افضت الى حرق اكثر من (63000) م^3 من النفط الخام واكثر من (5,2) مليون وحدة من الغاز واكثر من (82000) م^3 من المنتجات النفطية الاخرى تسربت جميعها او تم حرقها في المحيط البيئي، ولقد اضافت هذه الظاهرة مشكلة جديدة للبيئة العراقية التي تعاني اصلاً من الكثير من المشاكل البيئية نتيجة الحروب المتعاقبة ، أذ حذر المختصون في علوم التلوث البيئي وصحة الانسان من التأثيرات الناجمة من تسرب واحتراق النفط الخام المتسرب من الانابيب وتأثير الغازات المتصاعدة التي وصفت بانها شديدة السمية على الجهاز التنفسي فضلا لتأثيرها على المياه السطحية والجوفية وغيرها وحدوث اضرار بيئية واقتصادية[10].

ان الاضرار لا تقتصر على الانسان وانما تمتد لتشمل الحيوانات والطيور والنباتات وقد اوضحت بعض الحالات الاثار الواضحة على الاغنام من خلال ملاحظة عدم صلاحيتها للأكل ولا بد من الاخذ بالحسبان ان احتراق النفط الخام المتسرب الى البيئة سوف يؤثر بدرجة كبيرة على المناطق المجاورة ونظرا للظروف الامنية الراهنة ولكون انابيب نقل النفط تقع في اماكن يصعب الوصول اليها فقد تعذر اجراء زيارات موقعيه الى مواقع التسربات النفطية لأجراء التقييم البيئي واخذ نماذج من التربة الملوثة واجراء التقييم البيئي الاولي لذلك تم التنسيق مع وزارة النفط وجمع البيانات والاحصائيات المتعلقة بأعمال التخريب خلال عام 2006 واعداد قوائم للمواقع التي تعرضت لتسربات نفطية فيها وكمية النفط المتسرب التي تشير الى الكميات الهائلة من النفط المتسرب والبالغة (565149) م^3 وكميات الغاز السائل والجاف المتسربة البالغة (3560) طناً جراء 113 حادثة تفجير للأنابيب الناقلة في سبع محافظات أذ كانت اكثر الحوادث في المحافظات بغداد وكركوك وصلاح الدين والبصرة . اما بخصوص حوادث الحريق فقد كانت

بمعدل (20) يوماً خلال العام حصلت اغلبها خلال الاشهر كانون الثاني وآب وايلول ، اما تلوث التربة بالنفط الخام فعند احتراق النفط الخام فان الفائض منه يودي الى تشبع التربة والشواطىء فضلاً عن تلوث المياه الجوفية كما يتم معدنة جزء من النفط الخام المسكوب بواسطة النشاط الميكروبي للبكتريا الهوائية الاجبارية وهذا يسبب نقصا" كبيرا" في تركيز الاوكسجين ما يشكل خطورة بالغة على الكائنات الحية ، وان وصول المركبات الهيدروكربونية الى التربة المشبعة على هيئة نفط خام او غاز طبيعي يؤثر تأثيرا مباشرا على الخلايا النباتية كما يؤدي الى تغير تركيب التربة ودرجة تماسكها ويقلل محتواها من المادة العضوية ، وان النفط الخام المتدفق من انابيب نقل النفط الخام يشجع نمو و نشاط بعض الكائنات الدقيقة لتحول المركبات الهيدروكربونية الى مركبات عالية السمية تؤثر بدرجة كبيرة على المجاميع الميكروبية الاخرى المنتشرة في التربة وهذا يؤدي الى الحد من دورها في الاتزان البيئي) كما يشجع احتراق النفط الخام نمو بعض الكائنات الحية الدقيقة على نواتج الاحتراق والقيام بالعديد من التحولات الميكروبية ومنها عمليات الميثلة والذوبانية والتطايرية وتلك العمليات ذات اضرار مختلفة على النظام البيئي تحت ظروف الاحتراق غير الملائمة ، ان مساحات التربة الملوثة بالنفط الخام تمتاز بقشرة سوداء رقيقة من النفط الخام(حصيرة قطرانيه) او الرذاذ النفطي المتساقط من الانابيب التي تم تفجيرها ولم يشتعل النفط الخام فيها ، وقد امكن تحديد مستويات ثلاثة للتلوث النفطي للتربة وهي[11]:

- **التلوث الشديد** : وذلك في المناطق التي تراكم فيها النفط الخام على هيئة بحيرات نفطية أذ تشبعت التربة تشبعا" كاملا" بالنفط لأعماق تختلف ما بين (120-60) سم ، الأمر الذي أدى الى القضاء على الامكانات البيولوجية للتربة (النباتات والحيوانات) بنسبة 100 % .
- **التلوث المتوسط** : وذلك في المناطق التي غطيت بالحصر القطرانية او الرذاذ النفطي لاعماق تزيد عن بضعة سنتيمترات ما ادى الى القضاء على النباتات والحيوانات بنسب متفاوتة تتروح ما بين (25 – 100 %) حسب سماكة النفط المتراكم وخصائصه الطبيعية ونوعية التربة وطبيعة الغطاء النباتي .
- **التلوث الخفيف** : وذلك في المناطق التي غطيت بالسناج المتساقط الذي لا يزيد سمكه عن(2) ملم ما ادى الى بعض الاثار السلبية لبعض الانواع وخاصة الحوليات (التي تنمو عقب موسم الامطار) كذلك بعض الكائنات الدقيقة .

ان التربة الملوثة بالنفط الخام تمتاز باحتوائها على المركبات الاروماتية وبنسبة عالية في التربة ولايخفى ما لهذه المركبات من اضرار على الحياة سواء أكانت النباتات والحيوانات او الكائنات الدقيقة ، أذ تتراكم داخل انسجة النبات والحيوان وتكون مادة مسرطنة للحيوان عندما يأكل الحيوان النباتات المختزنة لهذه المواد . وتختلف النسبة المئوية للمركبات الهيدروكربونية في عينات التربة كما تقل هذه النسبة مع زيادة العمق عن سطح الارض. ان الدراسات تشير الى انه في بعض انواع التربة الى ان النسبة المئوية للمركبات الهيدروكربونية تتراوح بين (0,08-0,02) بينما تراوحت هذه النسبة في التربة شديدة التلوث بين (13,22 -0,49) وهذا يؤدي الى حدوث اخلال في التوازن البيئي.

اما تلوث الهواء بالنفط الخام ان عملية احتراق النفط الخام تصاحبها عملية انبعاث العديد من الغازات شديدة السمية مثل غاز كبريتيد الهيدروجين H2S واكاسيد الكاربون والكبريت والنتروجين فضلاً عن انطلاق بعض العناصر الثقيلة السامة كالزئبق والزرنيخ والفناديوم التي تسبب للإنسان العديد من الامراض الخطرة فمثلا" زيادة نسبة غاز اول اوكسيد الكاربون في الهواء تؤدي الى اتحاده مع هيموغلوبين الدم وهذا يؤدي الى قلة وصول الاوكسجين للجسم ، كما ان انبعاث ثاني اوكسيد الكبريت يؤثر بدرجة كبيرة على الجهاز التنفسي والاغشية المخاطية والعيون، ويسبب غاز كبريتيد الهيدروجين تأثيرات صحية على الشعب الهوائية كما تؤدي التراكيز العالية منه الى فقدان حاسة الشم وتسبب اكاسيد النتروجين العديد من التأثيرات الصحية على الجهاز التنفسي والاغشية المخاطية وتؤدي الى تسمم رئوي والاصابة بمرض الربو .يؤدي احتراق النفط الخام الى حجب اشعة الشمس والتقليل من التيارات الهوائية ما يؤثر بدرجة عالية على النشاط الميكروبي لتحلل النفايات والمخلفات العضوية وهذا يؤدي الى تراكمها ونشوء الاوبئة

والامراض كما يؤدي احتراق النفط الخام الى انطلاق الغاز الطبيعي (Natural فضلاً عن انطلاق غاز الاثيلين الذي يعد من اهم المركبات الهيدروكربونية الملوثة للهواء . ان مكونات النفط الخام المنبعثة الى الهواء تتحول نتيجة للعوامل البيئية الى مركبات كيميائية مختلفة شديدة السمية ، وقد كشفت الدراسات احتواءها على نسبة عالية من عنصر الحديد كما يؤدي احتراق النفط الخام الى تصاعد ابخرة بعض الاحماض مثل حامض الفسفوريك وحامض النتريك وحامض الكبريتيك وهذا يؤدي الى نشوء المطر الحامضي .

كشفت وزارة البيئة العراقية، عن أن العمليات الإرهابية التي نفذتها "داعش" في العراق فتكت بالبيئة في أغلب المحافظات العراقية، فضلا عن تجريف كثير من البساتين والأحزمة الخضراء ومهاجمة السدود واستخدام مادة الكلور وغيرها من المواد الكيماوية الضارة، فيما اكدت الوزارة أنها ستباشر حملة مسحية شاملة وسريعة للألغام والمخلفات الحربية للمناطق المتضررة من الحروب والعمليات الإرهابية، بعد تحرير هذه المناطق من قوات "داعش".كما في صورة (3، 4، 5،6) اوضح وزير البيئة ، أن وزارته أعدت العدة للمسح الكيماوي للمناطق التي تجرى فيها العمليات الإرهابية والمسح الإشعاعي وأخذ عينات مختلفة لاسيما من نهر دجلة والفرات لفحصها. وأكد أن لدى العراق قانونا سيرى النور خلال يومين، هو "قانون الهيئة الوطنية للوقاية من الإشعاع"، مبينا أن هذه الهيئة المعنية بالقانون الجديد سترتبط بها ثلاث هيئات أخرى تحت مظلة وزارة البيئة العراقية. وتأتي إيضاحات الوزير، بعد أن أثر الإرهاب بصورة مباشرة على البيئة والإنسان في العراق، فهو فتك بالبنية التحتية لجميع المحافظات العراقية،اذ توجد ست محافظات غربية تعرضت لحملة إرهابية شرسة قاموا من خلالها بتجريف كثير من البساتين والأحزمة الخضراء ومهاجمة السدود واستخدام مادة الكلور وغيرها من المواد الكيماوية الضارة، فضلاعن الألغام التي زرعوها في مساحات واسعة من الأراضي العراقية. وفي هذا الخصوص، قال وزير البيئة، إن وزارته أوجدت استراتيجية تحضيرية ستبدأ بعد تحرير هذه المناطق المتضررة من خلال حملة مسحية شاملة وسريعة للألغام والمخلفات الحربية، كما أن الوزارة أعدت العدة للمسح الكيماوي للمناطق التي كانت تجرى فيها العمليات الإرهابية والمسح الإشعاعي وأخذ عينات مختلفة خصوصا من نهر دجلة والفرات لفحصها، بالإضافة لوضع خطة إعلامية شاملة لتوعية الناس قبل العودة إلى منازلهم. وعن الاستخدام غير المشروع لآبار النفط في العراق وتأثيره على البيئة العراقية أكد الوزير العراقي أن العراق لديه مشكلات كبيرة مع شركات النفط، استوجبت وضع خطط تعاون مع وزارة النفط العراقية، وتشكيل لجان مشتركة وفرق عمل لهذا الغرض، مبينا أن القانون رقم 27 الذي شرعه مجلس النواب العراقي عام 2009 أخذ طريقه للتنفيذ، والذي أعطى وزارة البيئة صلاحية المراقبة والتفتيش على مخالفات الشركات النفطية جراء عمليات الاستكشاف أو عمليات استخراج النفط. وبين أن ظاهرة التلوث النفطي موجودة بشكل كبير في محافظة البصرة، مما دعا وزارتي النفط والبيئة منحها الأولوية والاهتمام نظرا لما تعانيه من التلوث النفطي الذي يصاحبه انبعاث لغازات ضارة نتيجة عملية الاستخراج أو التسريب وقال: "إذا ابتعدنا عن الجانب التنفيذي وتحدثنا من ناحية سياسية فسنجد سؤالا مهما يطرح نفسه، وهو: مَن الجهة التي تشتري النفط من (داعش) في سوريا والعراق بثمن بخس، ومن المؤكد أن هذه الجهة لها يد في دعم التنظيم الإرهابي. يتضح ان العراق مقدر له أن يشهد حروبا منذ عقود من الزمن بالإنابة عن الأمة العربية، وهذه الحروب مستمرة حتى الآن، معتبرا الحرب التي يخوضها العراق مع "داعش" في المدة الحالية أيضا حربا بالإنابة عن العرب، وأن الأعمال التخريبية المسلحة أثرت بشكل كبير على المجتمع العراقي نفسيا واجتماعيا، فضلا لتأثيرها المباشر على البيئة[12].

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

الصورة (3)



الصورة(4)



الصورة (5)



الصورة (6)



يرتبط الارهاب بطبيعة النظم السياسية ودرجة الشرعية اتي يستند اليها ونجاحها او اخفاقها في توفير الحريات العامة ، يلحظ أن معظم العمليات الارهابية واعمال العنف تكمن ورائها في الغالب دوافع سياسية ، وقد اعتبر البعض أن الكبت السياسي الناتج عن دكتاتورية الدولة وعصفها بحقوق الأفراد وحرياتهم كذلك لتعديلات السياسية الفجائية المتعلقة بنظام الحكم خاصة والتوجيهات السياسية الداخلية بصفة عامة أحد أهم أسباب اللجوء الى الارهاب، وتجدر الاشارة الى ان ارتباط المنظمات الارهابية الداخلية بالمنظمات الإرهابية في كثير من انحاء العالم يعتبر احد البواعث على الارهاب خاصة وان هذه لمنظمات تعمل لحساب الدول الموجودة فيها ولمصالحها او لحساب دول اخرى وبناء عليه فليس من العجيب أن ترتبط جماعات الارهاب في الجزائر والسودان ومصر والعراق بمنظمات أرهابية في افغانستان وباكستان وامريكا والكيان الصهيوني[13] .

ان تخلف الاحزاب السياسية عن المساهمة في حل المشكلات المختلفة التي تواجهها الدولة وعدم قيامها بدور ملموس وواقعي في تقديم الاطروحات والتصورات لها يعد أح أهم الاسباب السياسية الداخلية للإرهاب ، ويعود بالدرجة الاولى الى عدم وجود خط فكري واضح لمعظم الاحزاب فضلاعن عزوف الأحزاب عن محاولة تثقيف الشباب بالوعي السياسي اللازم لمباشرة حقوقه السياسية ، ويرى البعض أنه يعد من قبيل الاسباب الخارجية للإرهاب تورط عدد من الدول في دعم اعمال الارهاب التي تقع في دولة أخرى ، وقد يقع هذا التورط بشكل مباشر من خلال اجهزة رسمية وذلك عن طريق التمويل او التسليم او تسهيل الحركة من مكان الى اخر وقبل ذلك التوجيه ، كما قد يقع هذا التوريط بصورة غير مباشرة وذلك عن طريق توفير ملجأ للعناصر الإرهابية أو تخصيص قنوات اعلامية لها[14] .

إن عملية التغيير الجذري الكبير الذي حصل في العراق بعد (9نيسان عام 2003) تعد نقلة نوعية في نظام الحكم العراقي مما جعل الدولة العراقية الجديدة تمر في صيرورتها الأولى بحالة ضعف سياسي واقتصادي وعسكري وأمني للأسباب الآتية[15]:

1- عدم وجود جيش قوي يحمي ويدافع عن الحدود العراقية التي مازالت مفتوحة امام من هب ودب من القوى الإرهابية التي تحصد بأرواح العراقيين
2- عدم وجود قوى أمن داخلي قوية وأجهزة استخباراتية قوية قادرة على تفكيك القوى الارهابية التي تغلغلت بين بعض شرائح المجتمع العراقي ، وجندت الالاف من العراقيين لأسباب مادية وعقائدية متطرفة ، لان القوى الظلامية استغلت حرية الرأي والفكر والاعلام والحريات العامة والخاصة في العراق الجديد ، ولعل تنامي قوى الامن الداخلي وامكانياتها الفنية والاستخباراتية سيمكنها من خرق هذه الجماعات وتفكيك تنظيماتها الضالة والظلامية .
3- الدور السلبي الذي لعبته قوات الاحتلال من خلال عدم فسح المجال امام الحكومة العراقية في لعب دورها الطبيعي في مواجهة الارهاب وبناء الجيش وقوى الامن وتدخلها بشكل سلبي الى الحد الذي طفح فيه الكيل عندما صرح السيد رئيس الجمهورية والسيد رئيس الوزراء من أن الحكومة العراقية بشخص رئيس الوزراء القائد العام للقوات المسلحة أنه لا يستطيع تحريك سرية من الجيش بدون الرجوع الى قوات التحالف في الوقت الذي كانت فيه القوى الارهابية تنتقل في الدولة وتقتل وتسبي العباد .
4- تغلغل الارهاب وذيول النظام السابق واعوانه في بعض المؤسسات الامنية وفي بعض الاحزاب والحركات السياسية اذ وصلت الزمر الارهابية الى مكتب نائب رئيس الوزراء ، وإن هذه القوى كانت قوى تمويلها ودعمها واذرعها الخارجية تعمل بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة على تعطيل العملية السياسية وجرفها الى هاوية السقوط .
5- فقدان الثقة بين الاطراف الرئيسة في العملية السياسية وسيادة مبدأ التخوين والتبعية لاطراف خارجية وهذا ما عززته بعض وسائل الاعلام العربية المغرضة التي تغذيها منابع الارهاب والانحراف والتطرف التي وجدت اذان صاغية لدى بعض العراقيين الذين لا يملكون القاعدة الشعبية .
6- ان الديمقراطية التوافقية هي حل ناجح كما يراها البعض للدول ذات المشاكل السياسية لتخطي الانقسامات والخلافات الثقافية والفرعية الصغيرة ، ورغم ذلك فإن للديمقراطية التوافقية مساوئ اهمهم وجود حكومة غير فاعلة ويرافقها بطئ كبير في عملية صياغة وتنفيذ الخطط والبرامج الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، فضلاً عن الاثار السلبية لتوزيع المناصب الذي يؤدي احياناً الى عدم وصول الكفاءات العلمية والمهنية والادارية الى مواقعها الوظيفية المناسبة
7- عدم ترسيخ او سيادة الثقافة الديمقراطية والدستورية كممارسة سياسية بناءة ، فمجرد ان يتم انتقاد طرف لطرف في الحكومة او في العملية السياسية يكون الرد سيئاً وتشهيرياً وبعيداً عن اصول العمل السياسي واللياقة الدبلوماسية، وهذا الامر يؤكد أن الوعي الثقافي ولاسيما الثقافة الديمقراطية مازالت ضعيفة حتى عند بعض النخب السياسية فما بالك بالقواعد الشعبية التي غابت عنها لا بل ان الانظمة الدكتاتورية السابقة شطبت من قاموس حياتهم السياسي والاجتماعي الديمقراطية والتعددية والفدرالية والحرية الفكرية والاعلامية وحقوق الانسان.

الاستنتاجات :

1- تتعدد الاسباب وربما تتداخل في تكوين الارهاب او الجماعات الارهابية منها عوامل سياسية واخرى اقتصادية وغيرها اجتماعية ولكن من اهم تلك العوامل هي العوامل السياسية التي تحرك الارهاب لصالح القوى المهيمنة على النظام العالمي .
2- لقد مر الارهاب في العراق بعدة مراحل بدأت منذ ان استلم النظام السابق ونظامه الدكتاتوري الحكم في العراق ثم الحرب العراقية الايرانية تبعتها حرب الخليج وبعدها احتلال الولايات المتحدة الامريكية للعراق ثم عناصر القاعدة وتفجيراتها والطائفية والمذابح التي قامت بها تلك

العناصر التكفيرية والتي ما زالت تمارس ذلك ولكن بأسم اخر هو داعش فأشتد الارهاب واثاره في العراق بالمدة الأخير نتيجة اعمالهم التخريبية التي طالت كل المنشآت الحيوية التي سيطروا عليها .

3- عانت البيئة العراقية وما زالت تعاني من انواع مختلفة من التلوث بكل المرحل التي مرت العراق وكل الظروف الاقتصادية والاجتماعية المختلفة شهدت البيئة العراقية آثار الحروب ومازالت تشهد آثار التدمير والتخريب والتدهور البيئي الذي ينتج عن الاعمال الارهابية .

4- اكثر الاثار البيئية او التدهور البيئي ذا البعد الجيوبوليتيكي هو على الموارد المائية وتلوثها وتأثير ذلك التلوث على الانسان العراقي ومن ثم الدول المجاورة التي تستفاد من مياهها ، اما الاثر الثاني فيتمثل على تفجير ابار النفط وما ينجم عن ذلك من تلوث للتربة وللهواء والماء .

5- ان للأرهاب البيئي تأثير كبير في البيئة العراقية وهذا التأثير البيئي محلي بتأثيره على المجتمع العراقي والفرد العراقي واقليمي بتأثيره على الدول المجاورة .

الهوامش:

1. **يونس ابراهيم احمد ، البيئة والتشريعات البيئية ، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، 2008، ص13.**
2. **المصدر نفسه ، ص15.**
3. **المصدر نفسه ، ص21.**
4. **المصدر نفسه ، ص70.**
5. **الأرهاب البيئي في الجزائر ، بحث منشور في الانترنت على الموقع : www.iss.co.za**
6. **منتظر فاضل البطاط،تلوث المياه في العراق واثاره البيئية ، مجلة القادسية للعلوم الادارية والاقتصادية،المحور الاقتصادي / المجلد 11، العدد4، 2009،ص129-132.**
7. **سليم مطر ، كوارث ومشاكل البيئة العراقية ،بحث منشور على الموقع : salimmatar@bluewin.chArticles**
8. **حمدي احمد حامد،علم الجغرافيا والبيئة (علاقة تاثير وتاثر)،ط1،دار الراية للنشر والتوزيع ،عمان – الاردن ،2013، ص50-59.**
9. **ابراهيم بن سليمان الاحيدب،الانسان والبيئة مشكلات وحلول، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ،بدون تاريخ ،ص94-100.**
10. **الارهاب البيئي ، تقرير حالة البيئة في العراق ، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)على الموقع: www.estis.net/sites/enviroiraq**
11. **الارهاب البيئي ، تقرير حالة البيئة في العراق ، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)على الموقع: www.estis.net/sites/enviroiraq**
12. **شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)على الموقع : www.xendan.org/arabic/drejaa.aspx?Jmara=6214**
13. **عصام عبد الفتاح عبد السميع مطر ، الجريمة الارهابية ، ط1، دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية ، 2008، ص46.**
14. **المصدر نفسه ، ص47.**
15. **رضا عبد الجبار سلمان الشمري ، أياد عايد والي البديري ، بناء الدولة العراقية الجديدة والفدرالية ، ط1، دار الضياء للطباعة والتصميم ، النجف الاشرف ، 2009، ص28.**

المصادر:

1. **احمد ،يونس ابراهيم ، البيئة والتشريعات البيئية ، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، 2008.**
2. **الاحيدب ،ابراهيم بن سليمان ،الانسان والبيئة مشكلات وحلول، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ،بدون تاريخ.**

3.
4. الارهاب البيئي ، تقرير حالة البيئة في العراق ، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)على الموقع: www.estis.net/sites/enviroiraq
5. الارهاب البيئي ، تقرير حالة البيئة في العراق ، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)على الموقع: www.estis.net/sites/enviroiraq
6. الأرهاب البيئي في الجزائر ، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)على الموقع: www.iss.co.za
7. البطاط، منتظر فاضل ،تلوث المياه في العراق واثاره البيئية ، مجلة القادسية للعلوم الادارية والاقتصادية،المحور الاقتصادي / المجلد 11، العدد4، 2009.
8. حامد ،حمدي احمد ،علم الجغرافيا والبيئة (علاقة تاثير وتاثر)،ط1،دار الراية للنشر والتوزيع ،عمان – الاردن ،2013.
9. شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)على الموقع: www.xendan.org/arabic/drejaa.aspx?Jmara=6214
10. الشمري، رضا عبد الجبار سلمان ، أياد عايد والي البديري ، بناء الدولة العراقية الجديدة والفدرالية ، ط1، دار الضياء للطباعة والتصميم ، النجف الاشرف ، 2009.
11. مطر، سليم ، كوارث ومشاكل البيئة العراقية ، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)على الموقع: salimmatar@bluewin.chArticles
12. مطر، عصام عبد الفتاح عبد السميع ، الجريمة الارهابية ، ط1، دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية ، 2008.
13. النيص، كمال ، ظاهرة الارهاب (المفهوم ، والاسباب ، والدوافع) شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)على الموقع: http://www.ahewar.org

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

الانفتاح السياسي 1981 وأثره على الحزب الشيوعي التونسي

أ.د. فاطمة فالح جاسم الخفاجي
الباحثة : نور موسى عبد عوده
noormossaa@gmail.com
جامعة ذي قار/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ

الملخص
تُعدُّ تونس أحد الدول التي انغرست فيها الشيوعية مبكراً في الفكر السياسي كقاعدة إيديولوجية في بلد لم يكن عليه من اليسير تقبل أطروحات تبدو غريبة عليه ، لكن الفكرة الشيوعية تغلغلت في أوساط المجتمع التونسي تدريجياً وتمت ترجمتها على مكاسب اجتماعية مثلت منعطفاً لبروز تيارات شتى من اليسار التونسي الذي كان له شأن في مختلف المجالات والقطاعات .
بدأ الحزب الشيوعي التونسي بالظهور في العشرينيات على شكل خلايا تحولت إلى الحزب الشيوعي التونسي في نهاية الثلاثينيات وكان مرتبطا بالأممية الشيوعية العالمية وكان له دور في النقابات والاتحاد التونسي العام للشغل. كانت قاعدة الحزب تتشكل من صغار الموظفين ومن بعض الفئات العمالية وعند استقلال تونس كان الحزب منسجما مع الخط العام الذي رسمته الحكومة التونسية كانت لديه صحف خاصة به أهمها الطليعة وتصدر باللغة العربية ومنبر التقدم تصدر باللغة الفرنسية وكان يعتمد لغة النقد واللهجة الشديدة في مقالاته فاتهمه الحبيب بورقيبة بالمحاولة الانقلابية الفاشلة مما أدى إلى حظر الحزب وغلق مقراته وتعطيل صحفه ومع ذلك ظل الحزب يعمل سرياً إلى حين حلول عام ١٩٨١ بعد إعلان الديمقراطية في البلاد وكان للحزب دور في أحداث الثمانينات وتناول سبل التغلب على الأزمة السياسية والاقتصادية التي كانت تمر بها البلاد فقد عدها الحزب انعكاسا للتناقضات السياسية والأيدولوجية وطرح البديل الديمقراطي في الجانب السياسي باعتماد مشاركة سياسية أوسع على أن تكون ديمقراطية حقيقية غير مزيفه أو شكلية .

Abstract
Tunisia is one of the countries where communism was early implanted In political thought as an ideological base In a country where It was not easy to accept theses that seemed strange to it, but the communist Idea gradually penetrated the Tunisian society and was translated into social gains that represented a turning point in the emergence of various currents from the Tunisian left who He had a great deal In various fields and sectors. The Tunisian Communist Party began to appear In the twenties In the form of cells that turned Into the Tunisian Communist Party at the end of the thirties and was linked to the International Communist International and had a role In the unions and the Tunisian General Labor Union. The party's base was made up of junlor officials and some working groups. Upon Tunisia's independence, the party was In line with the general line drawn by the Tunisian government. It had Its own newspapers, the most Important of which was Al-Tala'a, which was issued in Arabic, and the platform for progress was issued In French. The failed coup attempt, which led to the banning of the party, closing its

headquarters and disrupting Its newspapers. Nevertheless, the party remained secretive until 1981, after the declaration of democracy in the country. The party had a role In the events of the eighties and dealt wIth ways to overcome the political and economic crisis that the country was going through. To the political and Ideological contradictions and to put forward the democratic alternative on the political side by adopting a broader political participation, provided that it Is a real democracy, not fake .or formal

المقدمة

تُعدُّ الأحزاب السياسية من أدوات التنمية السياسية في العصر الحديث وان النظام الحزبي يعبر عن درجة التنمية السياسية داخل النظام السياسي وتعد تونس احد الدول التي تغلغلت فيها الشيوعية داخل أوساط المجتمع وقد تطورت الأوضاع السياسية الداخلية في تونس تطوراً ملموساً على المستوى السياسي وذلك منذ مطلع ثمانينيات القرن الماضي حيث أيقن النظام التونسي بقياده الحبيب بورقيبة أنَّ الأحداث الأخيرة التي شهدتها البلاد بعد حادثتي الخميس الأسود وأحداث مدينة قفصه بأنه من غير الممكن السير على النهج الذي وضع منذ انعقاد المؤتمر السادس للحزب ١٩٦٤ الذي ألغى بموجبه التعددية وسار بالبلاد نحو نظام الحزب الواحد وفي الوقت نفسه فبرزت في عام ١٩٨١ سياسة الانفتاح التي نادى بها محمد مزالي بعد توليه رئاسة الوزراء وقد عبر عن التغيير بالانفتاح على تيارات مختلفة أخرى لتطبيق نوع من الديمقراطية وهذا ما ارجع الحزب الشيوعي التونسي إلى ساحة العمل السياسي في تونس ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة التاريخية المختصرة والتي سنركز من خلالها على الانفتاح السياسي عام ١٩٨١ واثره على الحزب الشيوعي التونسي حيث أراد محمد مزالي الظهور بصورة مختلفة عن الذين سبقوه عندما حاول طبع الحياة السياسية بطابع ديمقراطي كذلك تركيز الحزب على إيجاد مناخ سياسي متسم بطابع التسامح والديمقراطية عن طريق المشاركة في الانتخابات التشريعية عام ١٩٨١

اعتمد البحث على مصادر متنوعة عدة تأتي في مقدمتها الكتب العربية والمعربة فضلا عن الرسائل والأطروحات الجامعية والصحف العربية التي احتوت على معلومات قيمة .

الانفتاح السياسي ١٩٨١ وأثره على الحزب الشيوعي التونسي

لقد تطورت الأوضاع السياسية الداخلية في تونس تطوراً ملموساً على المستوى السياسي وذلك منذ مطلع ثمانينيات القرن الماضي حيث أيقن النظام التونسي بقياده بورقيبة أنَّ الأحداث الأخيرة التي شهدتها البلاد بعد حادثتي حتى الخميس الأسود[1]، وأحداث مدينة قفصة بأنَّه من غير الممكن السير على النهج الذي وضع منذ انعقاد المؤتمر السادس للحزب ١٩٦٤ الذي ألغى بموجبه التعددية وسار بالبلاد نحو نظام الحزب الواحد وفي الوقت نفسه .

كشفت المرحلة السابقة بأنَّ الانفراد السلطة وكذلك طريقة الحكم الشمولية والاستبداد بالرأي من دون مراعاه التغيرات الداخلية والإقليمية الدولية لم تجدي نفعاً في الظروف التي كانت يعيشها البلاد آنذاك ، إذ كان وضع تونس مرتبكاً سبب بروز التنظيمات الحزبية المعارضة ذات الأيديولوجيات الفكرية المختلفة كالعلمانية والإسلامية[2].

لم تكن لدي رئيس الجمهورية التونسية الحبيب بورقيبة الخبر التامة في السيطرة السياسية والاقتصادية بعد استقلال البلاد وتغيير نظام الحكم من ملكي إلى جمهوري ، ولاسيما بعد فشل التجربة بين الاشتراكية بقيادة أحمد بن صالح والإمبريالية بقياده الوزير الأول الهادي نويرة[3]، والتي انصبت فيها محاولات الحبيب بورقيبة على كيفيه الاحتفاظ بالسلطة وإصدار القرارات بعيداً عن المشاركة السياسية من أي طرف آخر ، والعمل على عدم المساس في بالواقع السياسي وشرعيته بالحكم التي رافقتها عمليات إسكات أصوات المعارضة له من أي طرف والعمل على عدم المساس بالواقع السياسي وشرعيته بالحكم ورافقتها عملية

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

إسكات الأصوات المعارضة له من الأطراف الأخرى، حتى من داخل أعضاء الديوان السياسي للحزب الاشتراكي والدستوري نفسه .

إذا كان للواقع السياسي والاقتصادي الذي عاشته البلاد مطلع الثمانينات القرن الماضي الأثر الأكبر الذي دفع بالنظام التونسي التخلي عن سياسته في الانفتاح على الأحزاب والتنظيمات المعارضة الأخرى وهذا ما أعدته الأوضاع التي عاشتها البلاد في تلك لمده بأنَّها غير ما جرى في المرحلة السابقة[4]، ففي تلك المرحلة ركزت الدولة عنايتها على المسألة الاقتصادية والاجتماعية وانصرف اهتمام الدولة على المسألة التربوية الثقافية مما ساهم في بروز مجموعات سياسية معارضة وهذا ما حتم على بورقيبة ضرورة الانتباه إلى تلك القوى والنظر في مطالبها[5].

إذ لاحت في الأفق ظواهر جديده شهدتها الساحة التونسية ، وكانت توحي ببروز تيارات[6] خارج إطار الحزب وبشكل مستقل تماماً عنه ، إذ حاولت تأييد استقطاب أجيال جديدة الأمر الذي يضعف القدرة الاستيعابية للحزب الحاكم ويعكس انخفاض كفاءة وفاعلية الحزب على الساحة التونسية ، وكان دور الرئيس بورقيبة واضحاً في هذا المجال ذلك ؛ لأنَّ أساليبه المتعددة في قيادة الحكم تهدف إلى تعزيز سلطاته على النظام على الرغم من أنَّ هذا الأساليب كانت على حساب ومكانة هذا النظام ، وهنا نلاحظ أنَّ قيام النظام السياسي التونسي على سياسة الحزب الواحد والهيمنة الشخصية للرئيس لم تعد بمرور الزمن قادرة ع استيعاب كل الأفكار والتيارات السياسية الجديدة[7].

وفي ظل تلك الظروف الراهنة التي كانت تمر فيها تونس أعلن بورقيبة عن أجراء وزاري في ٢ آذار ١٩٨٠ ، إذا قال بموجبه الهادي النويرة وتنصب محمد مزالي وزيراً أول بالوكالة بدلاً عنه وبشكل مؤقت ، ومن ثمَّ تثبته بالمنصب بعد أقل من شهرين في ٢٣ نيسان من العام نفسه[8].

وعندما اختار الحبيب بورقيبة محمد مزالي وزير التربية واصل مدينة المنستير[9]، لخلافة الهادي النويرة أصبح بذلك المرشح الأول لخلافة رئيس الجمهورية، وكان سبب اختيار بورقيبة لمحمد مزالي لما يملكه من قدرات خطابية بطبعه تكوينه الفلسفي الأدبي فهي كفيلة بإعادة بناء الجسور بين الجماهير الشعبية بعد فشل الهادي النويرة بخطابه التقني الجاف لقد عرف مزالي بدفاعه المبكر عن الديمقراطية أسلوبا لممارسة الحكم وعن التعريب اختياراً ثقافياً ضرورياً لتونس المستقلة في مقالات نشرها بعيد الاستقلال بمجلة الفكر التي كان يديرها .

وعندما تولى منصب الوزارة الأولى والأمانة العامة للحزب الاشتراكي الدستوري ساد اعتقاداً بأنَّ ظروف الإنقاذ توفرت واقتربت معها فرصه الانتقال بتونس إلى حيث الحداثة والانفتاح والتقديم[10] ، وأراد محمد مزالي الظهور بصورة مختلفة عن اللذين سبقوه عندما حاول طبع الحياة السياسية بطابع ديمقراطي ، إذ كان يرى أنَّ ذلك لا يتم إلَّا بالمشاركة التي تعدُّ شرطاً أساسياً لبناء مجتمع جديد فرأى أنَّ أفضل الأعمال التي يفتح وزارته بها هو دعوته إلى الانفتاح مع التيارات السياسية الأخرى غير المتناقضة كلياً مع النظام وبدأ تحركاته الأولى في هذا المجال على الشكل الآتي[11] :

١_ إعادة تشكيل الحكومة وضمَّ عدداً من الوزراء الذين كانوا في السلطة وأبعدوا عنها بعد احتجاجهم على الإجراءات التي اتخذتها الحكومة في مواجهة الإضرابات العمالية التي حدثت سنة ١٩٧٧.

٢_ الإفراج عن عدد من السجناء السياسيين وإصدار عفو سنة في كانون الثاني ١٩٨١ عن ألف عضو من المنتمين إلى الاتحاد التونسي السنة للشغل ممن اتهموا بالتورط بأحداث١٩٧٧.

٣- إبداء بعض مظاهر التسامح السياسي إزاء الحركات الحزبية المعارضة ، إذ سمح في تموز ١٩٨٠ لحركة الديمقراطيين الاشتراكيين بإصدار صحيفتين أسبوعيتين ، كما أصدر عفواً عن كل أعضاء ما سمي بحركة الوحدة الشعبية .

أراد محمد مزالي من كل هذه الأعمال أن يستعيض عن الحرية والانفتاح الاقتصادي التي أتخذه سلفة الوزير الهادي نويرة بالديمقراطية السياسية فالشعب التونسي كان بحاجه إلى خطاب سياسي مقنع يساهم لأجله[12]، ومن المعروف أنَّ محمد مزالي تمكن من التعايش مع الاستبداد السياسي على الرغم من امتلاكه رؤية مخالفة للكثير من التوجهات العامة للسلطة ويظهر ذلك من خلال كتاباته ومواقفه السياسية[13].

وفي أثناء إلقائه للخطاب في الأول من أيار عام ١٩٨٠ عبر محمد مزالي عن البعد الانفتاحي للدولة وأراد الحكومة في التغير والانفتاح على تيارات مختلفة أخرى وتطبيق نوع من الديمقراطية مع التأكيد على تعزيز مكانة الدولة وتجنبها العزلة مع القوى المعارضة وذلك من خلال تأكيده على أنَّ (الإجماع هو رهن قدرتنا على جلب القوى الحية في البلاد نحو مراكز أتخاذ القرارات وعلى مواجهه النزاعات الهامشية وخيبات الأمل وعلينا الإبقاء على الجسور مفتوحة بيننا وبين مختلف الاتجاهات الفكرية وتجديد فرص اللقاء وتكثيف الحوارات).

وهنا اتبع مزالي سياسة حذره تأخذ بنظر الاعتبار الالتزام باستراتيجية الحزب الحاكم وعلى أساس الولاء المطلق الرئيس الحزب من جانب وعدم تجاهل التيارات والقوى السياسية المعارضة داخل النظام من جانب آخر[14] ، وكان الانفتاح السياسي الذي اتبعه محمد مزالي قد أدى إلى زياده حجم المعارضة للنظام السياسي وهذا ما حدى به إلى اتباع سياسة حذره ومتوازنة بالوقت نفسه والأخذ بالحسبان الالتزام بالاستراتيجية السياسية للحزب الاشتراكي الدستوري التي كانت تدار فيها المؤسسات الحكومية منذ الإعلان عن النظام الجمهوري[15] مشدداً على الالتزام بالولاء المطلق لرئيس الجمهورية ومع الاستمرار بالعمل على عدم تجاهل وإهمال بقية القوى المعارضة بهدف تجاوز أخطاء المرحلة السابقة ، وهذا ما جعل من سياسة الانفتاح السياسي والديمقراطي على الأحزاب وقوى المعارضة غير مرضية لها وواجهت بعض القوى الدستورية التي تدين بولائها إلى رئيس الجمهورية ، لا سيما رئيس الديوان السياسي للحزب فكانت تلك الإجراءات الأساس الذي انطلق منه في أدارة تلك المدة[16].

يتضح أنَّ دعوات الرئيس التونسي إلى سياسة الانفتاح السياسي لم تكن برغبة منه وإنَّما بسبب الظروف والأزمات السياسية والاجتماعية التي أحاطت بالبلاد وشكلت عوامل أساسية أثنت الحبيب بورقيبة وجعلته يتخلى عن سياسة الحزب الواحد ، لاسيما بعد نشوء جيل جديد في تونس بعد عقدين من الزمن على استقلال تونس غير الجيل الذي عايشه الحبيب بورقيبة في أيام الكفاح من اجل الاستقلال ضد الاحتلال الفرنسي الذي لم يعدّ يرى فيه المجاهد الأكبر والقائد العظيم ، وإنَّما كانت تنظيمات تؤكد على حقها في المشاركة السياسية والمساهمة الفعالة في البلاد[17].

وبدأ محمد مزالي بعقد سلسلة من الاجتماعات مع أعضاء الديوان السياسي ومع قدامى الشخصيات في أحزاب معارضة النظام البورقيبي وقد أحدثت هذه التحركات نوعاً ما من الانفراج في المناخ السياسي فكانت نتيجة هذه الاجتماعات الاتفاق على عقد مؤتمر استثنائي للحزب الاشتراكي الدستوري يومي ١٠ و ١١ نيسان ١٩٨١ وفيه دعا محمد مزالي إلى فتح قنوات الحوار مع القوى السياسية المعارضة كافة من دون استثناء والسير نحو الديمقراطية والتعددية السياسية ومناقشة التطورات السياسية والوقوف على الأسباب التي أوصلت البلاد إلى هذا الحال وفي المؤتمر أعلن الحبيب بورقيبة الإقرار بالتعددية السياسية قائلاً ((لا أرى مانعاً من ظهور تنظيمات وطنية سياسية كانت أم اجتماعية بشرط أن تلتزم بشروط الميثاق الوطني)).

ويتضح من خلال نص بورقيبة أنَّه أظهر رغبته بفتح الحوارات السياسية مع بقية الأحزاب والتيارات التي تظهر المعارضة لنظامه السياسي وللحزب الاشتراكي الدستوري إلَّا أنَّه حددها وفق شروط من خلال الميثاق الوطني والتي أبرزها بالتالي[18]:

1_ الاعتراف بالشرعية المطلقة للرئيس الحبيب بورقيبة في قيادة الدولة .
2_ احترام الدستور والاعتراف بشرعية نصوصه .
3_ الحفاظ على المكاسب السياسية التي حققها النظام منذ الاستقلال .
4_ عدم الولاء أيديولوجيا أو تلقي الدعم من أي جهة خارجية كانت وتحت أي ظرف .
5_ اللجوء إلى العنف ورفع السلام بوجه السلطات الحكومية وبين الحبيب بورقيبة في المؤتمر الذي حظره ما يقارب ١٠٣٤ عضواً من أعضاء الحزب الاشتراكي الدستوري من مختلف شعبة الدستورية في كافة البلاد بأن الانفتاح السياسي جاء بسبب ما حصلت علية تونس من حالة عدم التقدم والرقي في كافة الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية[19]، وأهم ما توصل إلية المؤتمر من نتائج التي اتخذها قبل أنهاء جدول أعماله وهو رفع الحظر عن الحزب الشيوعي التونسي الذي حُمد نشاطه منذ كانون الثاني ١٩٦٣ إلى

تموز عام ١٩٨١ ، ففي تموز قابل محمد حرمل الأمين العام للحزب الشيوعي الرئيس بورقيبة ، وكان موعد اللقاء في ١٨ تموز ١٩٨١ إذ أعلمه مدير الديوان الرئاسي المنجلي الكعلي[20].

بذلك الموعد فقال الأخير نلتقي في دار الحزب وبين محمد حرمل أنَّه دخل في قصر صفاقس في المنستير صباح أحد الأيام في شهر رمضان فوجد وسيلة بورقيبة[21] ، في استقباله وكانت تعدُّ نص البلاغ الذي صدر من الرئيس وبهذا أنهى الرئيس الحبيب بورقيبة احتكار الحزب الاشتراكي الدستوري للحياة السياسية التونسية يوم السبت بإضفاء الشرعية[22] إلى الحزب الشيوعي التونسي والسماح له بالمشاركة في الانتخابات التشريعية المقبلة[23]، وكان رفع الحظر عن الحزب الشيوعي التونسي حدثاً كبيراً رافقته عده نشاطات ناجحة تمثلت في مهرجانات الطريق الجديد[24].

كذلك قدمت حكومة مزالي كل التسهيلات للحزب الشيوعي من وسائل الدعاية والإعلان عبر وسائل الإعلام الأخرى أثناء حملات الدعايات النقابية كذلك عدَّ الحزب رفع الحضر مبادرة جيدة من النظام وخطوة مهمة في مجال الإصلاح السياسي مطالباً بالمزيد من الوضوح في المشروع الديمقراطي التعددي ، وأعلنت قيادته استعدادها الكامل لتجاوز المرحلة السابقة التي جاءت على لسان محمد حرمل زعيم الحزب عندما أكد قائلاً : ((حزبنا وطني وان الماركسية هي علم تغير المجتمعات ليس إلا))[25]، وبدأ الحزب الشيوعي ممارسة عمله بشكل علني إذ بدأ بإصدار جريدته (الطريق الجديد) في ٣ تشرين الأول ١٩٨١ ، وجاء في افتتاحه العدد الأول ما يلي ((فالطريق الجديد تجسم للمسار الديمقراطي الذي هو بدايته وكذلك تجسيد للتعددية التي بدأ الاعتراف بها وهو بلا شك سيأخذ مكانه مع الصحف الوطنية والديمقراطية ليعزز عملها ولكن الطريق الجديد سيسهم في مقاومة الاتجاه الرأسمالي الحالي وتركيز الآفاق الاشتراكية حتى تخرج تونس حقاً من التخلف وحتى يكون تطور البلاد في صالح مجموع شعبها ولن ينسى الطريق الجديد ميدان السياسة الخارجية فيستعمل دوماً في سبيل سلوك سياسة عدم الانحياز حقيقة وهي سبيل مساندته حركات التحرر في العالم وقضايا الشعوب العربية وخاصه القضية الفلسطينية مساندة تامة وفي سبيل توثيق العلاقات مع القوى المعادية للاستعمار وخاصة مع البلاد الاشتراكية والطريق الجديد سيسعى أن يكون منبراً للفكر التقدمي والفكر الثوري والمعاصر يروج الاشتراكية العلمية بعيداً عن كل تجبر وكل تعصب وعن الآراء المسبقة والاختلافات والأكاذيب التي ترويجها حملات متواصلة أدت مثلاً ببعض الثبات الذين يعتبرون شيوعين ماركسين لينين إلى مقاومه الشيوعية والاشتراكية)).

وهكذا عاود الحزب في الظهور على الساحة السياسية بعد مرور ثمانية عشر سنة وتظهر (الطريق الجديد) لتأخذ المشعل عن (الطليعة) التي وقع منها في كانون الأول ١٩٦٢ مواصلة بذلك الخطوات النضالية التي بدأتها جريدة (حبيب الأمة) اليومية الصادرة في ٢٣ تشرين الأول ١٩٢١[26]،

وتوافق رفع الحظر عن نشاط الحزب الشيوعي التونسي مع انتهاج النظام التونسي سياسة التفتح والديمقراطية عقب المؤتمر الحادي عشر الاستثنائي للحزب الاشتراكي الدستوري الذي أقر مسألة الديمقراطية إذ جاء في القسم المتعلق بها (المؤتمر إقراره بالتعددية في الآراء والحق في التعبير والتنافس الشريف الذي يؤكد أن الديمقراطية تقضي أولاً وبالذات وجود دولة مهابة وأنَّ الدولة والهياكل تتطور ولا استقرار إلَّا في ظل دولة ذات قوة وأنَّ المؤتمر إيماناً منه كما أكد الحبيب بورقيبة ضمن خطابة الذي افتتح فيه المؤتمر بأنَّ ما بلغه الشعب من رقي وما يحدو الشباب من طموحات وما تقتضيه المصلحة من تشريك جميع التونسيين واتخاذ القرار مهما اختلفت بينهم الآراء داخل الحزب أو خارجه يدعو إلى السماح بظهور تنظيمات وطنية سياسية كانت أم اجتماعية شرط أن تلتزم المصلحة العليا والشرعية الدستورية وحماية المكاسب القومية ونبذ العنف والعصبية والإرهاب الفكري وعدم الولاء أيديولوجيا أو مادياً لأي جهة أجنبية)[27]، وبينما سمح الحبيب بورقيبة للحزب الشيوعي بممارسة دوره السياسي قام حركة الاتجاه الإسلامي[28]، وسد الطريق بينها وبين التحالف مع الأحزاب المعارضة التونسية الأخرى ، ومن بين أكثر المسائل التي تعرض إليها الحزب بالنقد هي الانتخابات الرأسمالية للسياسة الحاكمة التي أفرزت عدة ظواهر أصبحت متلازمة للاقتصاد التونسي في مرحلة الثمانينات ، ومن أبرزها انحسار مردود الصادرات وانخفاض إنتاجية النفط وثقل حجم الديون الخارجية كذلك الأزمة في احتياطي العملة الصعبة والعجز عن الميزان التجاري ودخول مجمل الاقتصاد التونسي في مرحلة من الكساد ، كذلك انتشار البطالة في البلاد

وهذه المظاهر أخذت تفكك المجتمع التقليدي بالتدرج لاسيما أجزاءه الفلاحية وتعمق الفوارق الطبقية والاجتماعية ، ممَّا همش جزءاً كبيراً من الشباب النازح من الأرياف ، إذ لم يجد هؤلاء في الصناعة ميداناً كافياً للتشغيل لأنَّ الصناعة محدودة ونسبة البطالة فيها مرتفعة فهي تضرب الشباب المهمشين اقتصادياً واجتماعياً ، ولم يستطيع الشباب دخول الدورة الاقتصادية .

وبالتالي الدورة الثقافية وبلا شك أن هذا النمط التنموي الرأسمالي الذي يشجع على الاستحلاف دون أن يمكن الغالبية الساحقة من الاستهلاك ، بل من الإنتاج والاستهلاك يخلق حرمان قاسي فهو يتخم السوق بسلع كمالية غير ضرورية ليس بمقدور جميع الناس التمتع بها وهذا النمط يتسم بطابع مزدوج ، فهو يبدو إلى حد بعيد العيش بشكل متقارب لنمط العيش في الغرب ، ولكنه يفتحها لجزء من السكان الأقلية الأغنياء ويغلقها بوجه الأكثر ، وقد أفرز هذا النمط طبقة يسميها الحزب الشيوعي البرجوازية الجديدة إلَّا أنَّ هذا النمط دخل في أزمة عميقة حين كان الجواب الذي طرحته الرأسمالية التابعة في سبيل التطوير المتزايد للصادرة ، وكذلك المحافظة على الأسعار تنافسية جيده للبضائع المصدرة لاستمرار الانفتاح الاقتصادي في السوق الرأسمالية العالمية ، وهو الضغط على الأجور وإحلال المراقبة الشديدة من قبل الدولة محل التحديد الحر للأجور في إطار السياسية التعاقدية بين مختلف الأطراف الاجتماعية وتطبيق برنامج للتقشف بمزيد من الخضوع المطلق لشروط صندوق النقد الدولي[29]. ويتضح أنَّ حكومة محمد مزالي ويؤيده في ذلك الحبيب بورقيبة كانت قد تساهلت مع الحزب الشيوعي التونسي بشكل خاص ليس لأنَّ الحكومة تريد إثبات جدارتها في سياسية الانفتاح السياسي فحسب بل لأنَّها ترى أنَّ هذا الحزب لا يشكل تلك الخطوة البالغة على النظام من جهة كما يمكن دعم وجوده لتحقيق نوع من التوازن مع التيارات السياسية الأخرى لاسيما الإسلامية منها من جهة أخرى[30]. كذلك سعى الحزب إلى الاستفادة من التوجهات الجديدة للنظام التونسي في الانفتاح السياسي والديمقراطي ، فقد عقد اجتماعاً ضمَّ أغلب قيادته التنظيمية في دار السيد محمد حرمل بمدينه باردوا في ٢٦ أيار ١٩٨١ ، وخروج الاجتماع بمذكره تضمنت المطالبة باستعادة النشاط القانوني للحزب ، وكذلك نشاطه الإعلامي ، فضلاً عن سعي قيادته إلى المضي قدماً في إيجاد موقعاً لها ضمن هياكل النقابات عن طريق المشاركة في المؤتمر الاستثنائي للاتحاد العام التونسي المنعقد بولاية قفصه في أيار عام ١٩٨١ ، إلا أنَّهم اصدموا بتيارات سياسية ذات تأثير أقوى تنافسهم وتنافس الاتجاه اليساري لاسيما أنصار الزعيم النقابي الحبيب عاشور[31]، الذي عدَّ من أقوى التيارات النقابية وكذلك منافسة تيار التيار الراديكالي الذي شهد صعوداً ملحوظاً على الساحة السياسية فأصبح له نفوذاً كبيراً داخل المنظمة[32]، إذ استطاع كسب عدد كبير من الفئة العاملة لاسيما الشباب منهم ، وأيضاً سعت القيادة الشيوعية إلى البحث عن مكانة فاعلة ومتميزة ضمن الهيكلية السياسية الجديدة وذلك عن طريق التنسيق المشترك مع حركات المعارضة من دون تميز[33]. وفي شباط عام ١٩٨١ عقد الحزب الشيوعي مؤتمره الثامن علناً وقرر إعادة تنظيم هياكل الحزب وصدرت عنه وثيقة من أربعة أجزاء رسمت وجهات نظر الحزب إزاء القضايا الأساسية ، ففي الجزء الأول قدمت الوثيقة تحليلاً لطبقات المجتمع التونسي وطبيعة التناقضات القائمة داخلة وتطور العلاقة بين المجتمع التونسي والسلطة البورقيبية .

وفي الجزء الثاني قومت الوثيقة السياسيتين الاجتماعية والاقتصادية للنظام التونسي وعلاقاته مع السوق العالمية، وخلصت إلى نتيجة مفادها أنَّ سياسية السلطة لا تؤدي إلى التنمية الحقيقة معتمدة على التحليل المادي والرقمي لمؤشرات السياسية الاقتصادية ودور القطاعات الاقتصادية المختلفة فيما تعرض الجزء الثالث من الوثيقة إلى القضايا السياسية الأساسية من حيث علاقة تونس مع العالم العربي الجديد في العلم والوضع الدولي وحللت السياسة التونسية الخارجية ، وقد خصص الجزء الرابع من وثيقة المؤتمر الثامن لموضوع برنامج الحزب والذي اشتمل على مطالب سياسية فقد لاحظ برنامج الحزب جملة من المتغيرات الحاصلة في تونس مع مجيء رئيس الوزراء الجديد محمد مزالي[34]. والوعد الذي قطعته حكومته لأجل إحداث تغييرات سياسية في الوضع التونسي ، وعلى هذا فقد طالب البرنامج بالإعلان عن عفو تشريعي عام في البلاد والعمل على حل مشاكل الاتحاد العام التونسي للشغل والاتحاد العام لطلبة تونس على أسس ديمقراطية وإلغاء كل القرارات والقوانين المنافية للدستور لأجل ضمان حرية التعبير والتنظيم لكل الاتجاهات السياسية دون قيد أو شرط بما في ذلك حق الشيوعيين في إصدار الصحف ورفع الحضر عن

الحزب ، كما طالب البرنامج بإيجاد أرضية موحدة للعمل المشترك بين كل الاتجاهات السياسية المسؤولية وله دون أي استثناء[35]، أمَّا اقتصادياً فبرنامج الحزب طالب بضرورة مراجعه السياسة الاقتصادية والاجتماعية بحيث تضع حداً لمطامع الرأسماليين الطفيلين ولتزيل خطورة المأزق والفوارق الاجتماعية وبطريقة تأخذ بعين الاعتبار مصالح الجماهير الكادحة وتتجه نحو طريق تطور حقيقي وتحقيق تصنيع موجه وإقرار سياسة تجارية جديده ونظام ضرائبي جديد في ميدان السياسة الخارجية ، لاحظ برنامج الحزب ضرورة نهج سياسة خارجية متحرره من الولاء للغرب وغير منحازة تنشط في اتجاه وحده المغرب العربي وتجعل تونس قوة مشاركة في النضال ضد الإمبريالية والصهيونية وضرورة فسح المجال العام أمام المعارضة الوطنية والحركة النقابية بغية الوصول إلى اتفاق وطني حول المشكلات والتي تتطلب الحلول العاجلة في إطار البديل التقدمي والديمقراطي الجديدة ، وبروز تكتل تاريخي جديد انطلاقاً من الطبقة العاملة وحولها كما يتطلب تغييراً عميقاً في محتوى السلطة[36].

مشاركة الحزب الشيوعي التونسي في انتخابات ١٩٨١

أوَّلاً : الظروف التي أحاطت بالانتخابات :

أعلنت حكومة محمد مزالي عن أجراء انتخابات تشريعية مبكرة وأكتسب هنا الحدث أهمية بالغة بعد ١٣ عاماً من هيمنة نظام الحزب الواحد كان الشعب التونسي فيها محروم من الاختيار وأفرزت عملية الانتخابات من كل مغزى سياسي ، ولعل المرحلة الحالية تتميز بنوعية جديده ، إذ لم يعدّ الحزب الحاكم يجد إزاءه سوى الحزب الشيوعي بمفرده ينادي بالديمقراطية والحرية بل نلاحظ كذلك وجود تيارات وحركات أخرى ركزت اهتمامها على إيجاد مناخ سياسي متسم بطابع التسامح والديمقراطية ، وكانت هناك مجموعة من الظروف التي أحاطت بتلك الانتخابات يمكن إيجازها بالآتي[37] :

1_ إنَّ ضبط تاريخ الأوَّل من تشرين الثاني موعداً لإجراء الانتخابات التشريعية لا يترك متسعاً من الوقت للأحزاب والحركات السياسية المعارضة التي ما زالت تعمل على إطار شبه علني باستثناء الحزب الشيوعي الذي لم يحصل على حق الوجود القانوني في البلاد إلا في ١٩ يوليو ١٩٨١ وفي هذا الحال تصبح المنافسة الانتخابية في هذا الإطار غير متكافئة بين الحزب الحاكم الذي يقوم بالحملة الانتخابية عبر استعمال هياكل الدولة ومؤسساتها وبين أحزاب وحركات معارضه لاتزال تناضل من أجل حقها في الوجود ومن أجل التعريف بنفسها .

2_ إنَّ إجراء انتخابات مبكره تعتبر محاولة لاحتواء مطلب التعددية السياسية والفكرية باعتبار التمثيل النيابي يصبح مقياساً للاعتراف بالأحزاب .

3_ إنَّ الحزب الحاكم قد دخل لتلك الانتخابات ضمن استراتيجية تعتمد على محاضرة أطراف المعارضة فأختار الحزب الاشتراكي الدستوري الحاكم قوائم الجبهة الوطنية واقحم الاتحاد العام التونسي للشغل، أكبر قوة اجتماعية أساسية في البلاد واكبر نقابة في هذه القوائم وهذا أمس لاستقلالية الاتحاد لأنَّه فرض علية تحالف انتخابي مع الحزب الدستوري .

4_ إنَّ القانون المتبع في هذه الانتخابات يعتمد على طريقة التمثيل بالأكثرية أي أن القائمة التي تحصل على أكثرية الأصوات في الدائرة الانتخابية هي التي تفوز بجميع المقاعد المخصصة لهذه الدائرة شكلت تلك الظروف جزءاً مهماً في واقع الحياة السياسية التونسية في تلك المدة من قبل الأحزاب والقوى المعارضة على الساحة السياسية التي فرضت نفسها على الساحة السياسية والتي فرضت نفسها على الحزب والدولة والنظام السياسي الحاكم[38].

وانطلقت الحملة الانتخابية في بصفه رسميه في ١٠ تشرين الأوَّل ٢٨ من الشهر نفسه ، ووزعت حصص التحدث إلى الإذاعة والتلفزيون بصورة متساوية وذلك عن طريق القرعة كذلك بالنسبة لأماكن تعليق القائمات والدعاية.

وتمَّ كل شيء في وضوح وشفافية وبعدها بدأ المرشحون من كل الجبهات بالتنافس بطرح برامجهم وأخذت الاجتماعات تشهد إقبالاً كبيراً ، وسادت الصحف المعارضة المقالات لنقل الأحداث والتطورات ، وعلى الرغم من ذلك بدأت تظهر بعض المحاولات من الحزب الاشتراكي الدستوري منها الضغط على القائمة المنافسة له في العاصمة وهي قائمة حركة الديمقراطية الاشتراكيين لقياده رئيسها أحمد المستيري

لأبطال قائمتهم غير أنَّها تغلبت على كل المحاولات وثبتت قائمتها سيما وأنَّ أحمد المستيري خاض حملة انتخابية دعائية ناجحة . ونجح في الظهور بمظهر رجل الدولة القادر على أن يكون بديلاً ناجحاً واستطاع أن يستعمل لغة شبيهه بأسلوب الحبيب بورقيبة ، وهذا ما أثار رد فعل سلبي لدى بورقيبة فضلاً عن أنَّ أحمد المستري ضمَّ إلى حزبه مرشحين ذو سمعة طيبة فخشي الدستوريون وبعض المقربين من بورقيبة من احتمالية فشل قائمة الحزب فعملوا على تأجيج عداء بورقيبة للمستيري الذي برز كأفضل ممثل[39]، شاركت أحزاب المعارضة التي سمح لها النظام التونسي في ممارسة نشاطها السياسي فقط في تلك الانتخابات ولم تكن موحدة الصفوف ولم تدخل الانتخابات في جبهة واحدة[40].

ويقول محمد حرمل في الندوة الصحفية التي عقدها يوم 9/ 8/ 1989 والتي تتعلق بالانتخابات (نحن لا ننظر إليها انطلاقاً من فكرة هل أنَّها ستفيد النظام أم لا ؟ بل ننظر إليها على ضوء السؤال التالي : هل تفيد المسار الديمقراطي أم لا ؟ ولا تنظر إليها من حيث أنَّها انتخابات في حد ذاتها ولكن في كيفية توجهها وفي الصيغة التي يمكن أن تكتسبها تنظر إلى الانتخابات كمعركة وكجزء من التجربة الديمقراطية ومن المفيد أن تكون الانتخابات معركة من أجل التحول الديمقراطي الحقيقي)، ثم أنَّ المعارضة التونسية لم تتوصل إلى صيغة قائمه انتخابية مشتركه في الانتخابات التشريعية فقدم الحزب الشيوعي للمشاركة في الانتخابات[41].

تحت قائمات (التغير في صالح العمال ومجموع الشعب) وطرح أسماء (٤٢) مرشحاً على خمس دوائر انتخابية[42]..

1_ تونس الشمالية ويرأس القائمة ، محمد حرمل .
٢_ تونس المدينة ويرأس القائمة ، عبد الحميد بن مصطفى .
٣_ تونس الجنوبية ويرأس القائمة ، عبد المجيد التريكي .
٤_ قفصه ويرأس القائمة ، محمد النافع .
٥_ قابس ويرأس القائمة صالح الحاجي .

وكان اللون المميز لجميع هذه القوائم هو اللون الأزرق وعند إعلان النتائج فازت الجبهة الوطنية واستطاعت الحصول على جميع مقاعد مجلس النواب والبالغ عددهم ١٣٦ مقعد ولم ينجح أي من التجمعات السياسات الأخرى من الفوز بالنسبة المقررة ، ومن ثمَّ لم تنل أي منهما الشرعية القانونية للحصول التأشيرة للعمل الحزبي ، وأعلنت وزارة الداخلية بعد ذلك أنَّ جميع القوائم التي واجهت الجبهة الوطنية لم تحصل مجتمعه على نسبة ٣,٥ ٪ من الأصوات[43].

فحصل الشيوعيون على نسبة ٧٨٪ من مجموع نسبة الأصوات من مجموع نسبة الأصوات التي صوتت لجانب قوى المعارضة والتي بلغت ٥،٢٨ وقد حصدت حركة الوحدة الشعبية بنسبة ٠,٨١ ٪ وحصل المستقلون على ٠،٣٥٪ ، أمَّا حركة الديمقراطيين الاشتراكيين التي حصلت على نسبة ٣،٣٨ ٪ فهي بتلك النسبة تعدُّ الأعلى إذا ما قورنت بالنسبة التي حققها بقية الأحزاب المعارضة المشاركة في الانتخابات.

ويتضح من هذه النسب بأنَّ هدف بورقيبة من الانتخابات البرلمانية كان إحدى السبل المبتكرة ووسيلة من وسائل لغرض استخدام نفوذه السياسي وسلطته للهيمنة على الوضع السياسي وفرض إرادته على الحزب والدولة لكي يتمكن من الإمساك بزمام الأمور وتسير النظام السياسي وفق رغباته يراه مناسباً دون المساس بشرعية السياسية، وفي الوقت نفسه تطويق الأحزاب والقوى المعارضة الأخرى والحد من دورها السياسي على حساب دور الحزب الاشتراكي الدستوري وكذلك العمل على زياده هيمنته المطلقة على النظام والمؤسسات الحكومية لاسيما وأن بورقيبة كان يركز دائما على مسألة الولاء للنظام السياسي أولاً والحزب الحاكم ثانياً الوقت الذي يعمل فيه على محاصرة القوى السياسية المعارضة له[44].

وأدانت الأحزاب المعارضة بشدة نتائج الانتخابات واتهمتها بالتزوير ، إذ عقد أحمد المستيري زعيم حركة الديمقراطيين الاشتراكيين ندوة صحفية في يوم ٩ تشرين الثاني ١٩٨١ ، اتهم فيها وزير الداخلية بالتزوير قائلاً : (إني اتهم وزير الداخلية والولاة المعتمدين بتزوير نتائج التصويت وإنَّ النتائج المعلن عنها لا تطابق ما اختاره الشعب لقد وقعت الاستهانة بالقانون)، ثم اتجه المعارضون إلى مجلس النواب في ٢٣ تشرين

الثاني ١٩٨١ يوم افتتاح دورته وقدموا طلباً للطعن بالنتائج فرفض طلبهم وصرح الوزير الأول محمد مزالي قائلاً : (من الناحية الحسابية لا يستحق أي مرشح من المعارضة أن ينتخب ولا يستطيع أحد الادعاء بأنَّه حصل على ما يكفي من الأصوات ليكون منتخباً) واجتمع الديوان السياسي أثر الانتخابات للاستفسار من وزير الداخلية إدريس قيقه[45] واستجوبه كل من الطاهر بلخوجه ومنصور معلى غير أنَّ وزير الداخلية امتنع عن أي تعليق واكتفي بالقول : (نحن في نظام رئاسي وقد قدمت تقريري إلى رئيس الدولة) عدت انتخابات تشرين الثاني ١٩٨١ أول انتخابات تعددلية بعد انتخابات عام ١٩٥٩ ، وقد علق عليها الشعب التونسي آمالاً عريضة أن جاءت في مرحلة ترفع شعار الانفتاح السياسي والديمقراطي والإصلاح .

إلَّا أنَّ فشلها عد مؤشراً على فشل السياسة الانفتاحية التي وعد بها محمد مزالي فبسبب ذلك إحباطاً وشعور بالخيبة[46] واعترف بهذا التزييف عدد من المسؤولين الذين عايشوا تلك الأحداث وجاء اعترافهم بعد اعتزالهم العمل السياسي ومن المفارقات أن محمد مزالي بنفسة قضى على هذا التجربة من خلال اعترافه بالتزوير بعد خروجه من الحكم رغم تأكيد محمد مزالي وإدريس قيقة وقتها أنَّ الانتخابات تمت كنف الديمقراطية[47].

ويذكر محمد مزالي في مذكراته (إنَّ وزير الداخلية ادريس قيقة اتصل به يوم الاقتراع وتظاهر بالأسف لأنَّه عاجز عن احترام القانون في عمليه التصويت) ثم أضاف قائلاً : (علمت فيها بعد أنَّ وسيلة زوجه الرئيس بورقيبة زادت مقر ولاية تونس صباح اليوم التالي في الساعة السادسة بصحبة ادريس قيقة والرويسي (والي مدينه تونس) وعمر شاشيه مدير السجون في ذلك الوقت وزورت النتائج بإعطاء أحمد المستيري أغلبية الأصوات ويقول مزالي كذلك (قررنا في الديوان السياسي أن نترك المعارضة تفوز بعدد من المقاعد بين ١٥ و ٢٠ مقعداً وبصوره لا ترعب بورقيبة وقد اجتمعت مع أحمد المستيري وحمودة بن سلامة في بيني واتفقت على إعانة المعارضة فيما يخص مصاريف الحملة الانتخابية ، وقد جاءني وزير الداخلية ليلة الانتخابات وقال أريد أن أزورك لمدة قصيرة وروى لي كيف أنَّ بورقيبة ناداه هو ومهذب الرويسي والى تونس وقال لهما لا يوجد معارضون لي ومائه بالمائة من التونسيين معي ففهمت الأمر)[48].

موقف الحزب الشيوعي التونسي من نتائج الانتخابات :

وفي صباح الأربعاء ٤ تشرين الثاني ١٩٨١ عقد الحزب الشيوعي التونسي ندوة صحفية حضرها عدد من ممثلي الصحافة الأجنبية والوطنية ، فقدم محمد حرمل الأمين العام للحزب الشيوعي موقف الحزب من الانتخابات التشريعية الأخيرة ، قد جاءت مفاجئة لجميع المراقبين السياسيين ولقيادة الأحزاب السياسية التونسية المعارضة ، إذ فاجأت أطراف السلطة بذلك وفي الندوة اتهم الحزب السلطات التونسية بتزوير الانتخابات التشريعية ، وفي صدد ذلك يقول محمد حرمل : (نحن نملك ملفاً كاملاً يتضمن كل الوقائع التي لا يمكن الطعن فيها عن التجاوزات وخرق القانون وهي تجاوزات كانت تقع أحياناً بل غالباً في وضع النهار وأمام الجميع في معظم الدوائر الانتخابية التي قدمت فيه قائمات معارضه وقد وقع تغير سنيع لنتائج هذه الانتخابات وهي أول انتخابات في نطاق التعددية وأول انتخابات تشارك فيها التنظيمات السياسية المعارضة منذ حظر الحزب الشيوعي التونسي في سنة ١٩٦٣)[49].

هكذا قد ظهرت الشكلية الديمقراطية التي أقرتها السلطة التونسية في هذه الانتخابات التشريعية المبكرة في خريف ١٩٨١ بكل وضوح عندما لجأت أجهزة الدولة إلى عملية تزوير هذه الانتخابات فشاركه الأحزاب في هذه الانتخابات لم تلغ عدم المساواة بينها وبين النظام في الواقع بسبب الشروط المجحفة التي وضعها ولم تلغ الفروقات الكبيرة بين الإمكانيات الواقعية لاستعمال الحقوق السياسية والمدنية بشكل ديمقراطي بل أنَّها كانت ولا زالت تخدم وتتجاوب مع مصالح وأهداف حكم الطبقة الكمبرادورية[50].

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

الخاتمة

بعد تقييد نشاط الحزب الشيوعي التونسي لمدة ثمانية عشر عاما عاد في عام ١٩٨١ ليستعيد نشاطه بعد الانفتاح السياسي وشارك في الانتخابات التي حصلت في البلاد وعلى الرغم من انهم لم يحصلوا على النسبة المطلوبة إلَّا أنَّ الحكومة تساهلت كثيراً مع الحزب الشيوعي التونسي ليس لان الحكومة تريد ان تثبت جدارتها في سياسية الانفتاح السياسي فحسب بل لأنها ترى أنَّ هذا الحزب لا يشكل تلك الخطورة البالغة على النظام كما يمكن دعم وجوده لتحقيق نوع من التوازن مع التيارات الأخرى السياسية لا سيما الإسلامية منها بينما أدانت الأحزاب المعارضة الأخرى بشدة نتائج الانتخابات واتهمتها بالتزوير وكان فشلها مؤشراً على فشل السياسة الانفتاحية التي وعد بها محمد مزالي فسبب ذلك إحباطاً وشعور بالخيبة .

الهوامش

([1]) الخميس الأسود : هي مواجهات داميه هزت البلاد التونسية يوم ٢٦كانون الثاني عام ١٩٧٨ ، أثر الصدامات العنيفة التي شهدتها ذلك اليوم بين الطبقة العاملة يقودها اتحاد الشغل ونظام الرئيس الأسبق الحبيب بورقيبة ، إذ شهدت العلاقة بين الحزب الدستوري الحاكم والاتحاد العام التونسي للشغل تصعيداً كبيرا بداية من السبعينات نتيجة مطالبة عمالية ونقابية وسياسية التصعيد التي انتهجها نظام بورقيبة خاصه بإعلان الاتحاد الإضراب العام يوم ٢٦ كانون الثاني١٩٧٨ بعد انعقاد مجلة الوطني أيام ٨ ، ٩، ١٠ كانون الثاني ١٩٧٨ ، وكانت هذه تواريخ بدأيه الحسم في قرار الإضراب لاسيما بعد فشل جميع المساعي الداخلية والخارجية لفض النزاع واشتغال فتيل المسيرات والمظاهرات التي عمت البلاد وخاصه بمدينه صفاقس ومدينة قصر الهلال والتي واجهها بورقيبة بالخيار الأمني ، وذلك قبل أيام فقط من موعد ٢٦ كانون الثاني بعد إقالة وزير الداخلية آنذاك الطاهر بلخوجه المعروف بعدم ميله إلى الحل الأمني وتعيين وزير الدفاع عبد الله فرحات مكانه ممَّا ساهم في اشتغال الوضع أكثر ونزول الجيش لأول مره إلى الشارع وانتشاره في العاصمة يوم ٢٦كانون الثاني وتؤكد تقارير مستقله حوالي ٤٠٠ قتيل سقطوا في الأحداث وجرح أكثر من ألف مواطن نتيجة المواجهات بين الجيش وبوليس بورقيبة من جهة والمتظاهرين من جهة أخرى في حين أقرت حكومة الهادي نويرة بسقوط ٥٢ قتيلا و٣٦٥ جريحاً للمزيد ينظر .ar.m.wikipidia.org،الطاهر بلخوجه ، الحبيب بورقيبة سيره زعيم شهاده على مصر ، الدار الثقافية ، ١٩٩٩ ، ص ٣١٧ .

([2]) نعمة بحرف فياض نمر الحمداني ،المصدر السابق، ص١٩٦ .

([3]) الهادي نويرة : ولد في ٦ نيسان ١٩١١ بمدينه المنستير ، وأنهى دراسته الثانوية في المعهد الثانوي بسوسه وفي أواخر العام الدراسي تشرين الأول ١٩٣٢ ، أحرز على الجزء الأول من البكالوريا ، وفي سنة ١٩٣٣ شارك في تأسيس الشعبة الدستورية بالمنستير بإشراف عضو اللجنة التنفيذية الحبيب بورقيبة سافر إلى باريس لإكمال دراسته الجامعية وحصل على شهادة في الحقوق ، وفي العطلة الصيفية أعاد وحده إلى المنستير وألقى في إحدى الليالي مسامرة حظرها فيمن حظرها المراقب المدني الفرنسي بمدينة سوسة وعامل المنستير أثارت حفيظة الأول فغادر الاجتماع غاضباً الأمر ، الذي جعل الهادي نويرة يهرب قبل انتهاء العطلة إلى فرنسا بطرائق ملتوية ، ولم يعد إلى تونس إلَّا في سنة ١٩٧٣ بعد إن اكمل تعليمة وأصبح عضواً ناشطاً في الحزب ، وفي باريس أنضم إلى جمعية الطلبة المسلمين بشمال إفريقيا وتأسيس لجنة الدفاع عن الحريات بتونس وشغل منصب أمانتها العامة بعد عودته إلى تونس تعرض للاعتقال نضراً لنشاطه السياسي وأطلق صراحه عام ١٩٤٣ ، أصبح وزيراً للتجارة ثم وزيراً للمالية في حكومة الحبيب بورقيبة وفي عام ١٩٨٠ أصيب بجلطة دماغية أقعدته عن العمل ، توفي في ٢٥ كانون الثاني ١٩٩٣ ، للمزيد ينظر : محمد لطفي الشابي الهادي نويرة ، ١٩١١- ١٩٩٣ ، المعهد الأعلى ، تونس ، ٢٠٠٥ ، ص ٣٠ .

([4]) نعمة بحر فياض ، المصدر السابق ، ص١٩٧ .

([5]) خليفة الشاطر وآخرون .

([6]) ضمت المعارضة السياسية مجموعه من الأحزاب في مقدمتها الجبهة القومية التقدمية لتحرير تونس التي شكلتها مجموعه من الأحزاب القومية وهي الاتحاد الاشتراكي العربي التونسي وبقايا اليوسفين من أنصار صالح بن يوسف ومجموعه من الناصرين والبعثين والقومين العرب وحركة الوحدة الشعبية بقيادة محمد بالحاج عمر وحركة الديمقراطيين الاشتراكيين بقياده احمد المستيري الذي كان تنحصر مطالبه بالتعددية السياسية وتبنى التوجه الليبرالي في مجال الاقتصاد ، فضلاً عن مجموعة من الأحزاب اليسارية التي كان لها نفوذ كبير في الحركة العمالية لاسيما أنَّها كانت من أقوى تنظيمات المعارضة نهاية السبعينات القرن الماضي بسبب تفاقم الأزمة الاقتصادية في عموم البلاد التي استغلتها تلك التنظيمات بدعوة العمال إلى التظاهر والإضراب ضد النظام التونسي بهدف تنفيذ مطالب العمال والدفاع عن حقوقهم وكانت المطالبات الأولى لهذه التنظيمات هي التعددية الحزبية في البلاد ، لكن بورقيبة رفض أي تعدد ولأي نقد لنفوذه المطلق وتجاوز أنصار التيار الليبرالي فكرة التعددية داخل الحزب إلى تحوير المجلة الانتخابية والدستور لمواكبة التعددية وفق ما تقتضيه الأحداث ، للمزيد من التفاصيل ينظر :

نعمة بحر فياض الحمداني ، المصدر السابق ص ١٩٨ ، اعليه علاني ، تطور المسألة الديمقراطية والنظام الانتخابي من خلال حركة الديمقراطيين الاشتراكيين بتونس ١٩٧٨ – ٢٠١٠ ، دفاتر السياسة والقانون عدد خاص ، مج ٣ ، جامعة منوبة ، تونس ، ٢٠١١ ، ص ٦٦ .

([7]) زينب طه ياسين ، النظام السياسي في تونس (دراسة تاريخية) (١٩٥٦- ١٩٨٧) ، رسالة ماجستير غير منشوره ، كلية التربية للبنات ، جامعه بغداد ٢٠٠٨ ، ص ١١٥ .

([8]) نعمة بحر فياض نمر الحمداني ، المصدر السابق، ص ١٩٧-١٩٨ .

([9]) المنستير : مدينه تونسية تعدُّ واحده من أهم مدن تونس تبعد ٢١ كم من سوسة و٨٠ كم عن القيروان يقطنها نحو نصف مليون ساكن ، وهي منتجع سياحي بامتياز ومركز تعليمي بارز ، ضلت على مدى نصف قرن مدينة الوزراء والحكام في تونس فمن بين ١٨ وزيراً في عهد بورقيبة منحت لمدينة الرئيس ١٥ حقيبة ، للمزيد ينظر: https://ar.m.wikipedia.org

([10]) خليفه الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص ١٩٦- ١٩٧ .

([11]) عمار فاضل حمزه العابد وآخرون ، تجربة التعددية الحزبية في تونس سنه ١٩٨١ ودور محمد مزالي فيها ، مجلة أبحاث البصرة ، ،المجلد ٤٢ ، العدد ٣ ، جامعة البصرة ، ٢٠١٧ ، ص ١٤٦ .

([12]) عمار فاضل حمزه العابد وآخرون ، المصدر السابق ، ص١٤٧ .

([13]) محمد مزالي ، نخب مغاربية النخبة الوزارية في تونس ومسألة توحيد المغرب العربي، منشورات صدى الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠١٢ ، ص ٥ .

([14]) عمار فاضل حمزه العابد وآخرون ، المصدر السابق ، ص ١٤٧ .

([15]) مجلة النهار العربي (باريس) العدد ١٦٢

([16]) نعمة بحر فياض نمر الحمداني ، المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

([17]) المصدر السابق ، ص ٢٠١

([18]) عمار فاضل حمزه العابد وآخرون، المصدر السابق ، ص ١٤٨ .

([19]) المصدر نفسه .

([20])المنجلي الكعلي : ولد عام ١٩٣٠ في مدينه قصر هلال في ولاية المنستير اكمل دراسته الابتدائية فيها بعد ذلك التحق بالمعهد الصادقي لإكمال تعليمه الثانوي في العاصمة وبعد تخرجه منها اكمل تعلمه الجامعي بكلية الحقوق في باريس تولى مناصب إدارية عديده إلى أن تولى وزارة الصحة عام ١٩٧٦ وفي عام ١٩٨٠ تولى منصب مدير الحزب الحاكم في حكومة مزالي من عام ١٩٨٠ إلى ١٩٨٤ وقد بقي يحمل صفة الممثل الشخصي للحبيب بورقيبة إلى عام ١٩٨٦ مع احتفاظه بصفه عضو في الحكومة للمزيد ينظر : منجي الكعلي ، في خدمة الجمهورية ، دار السراس للنشر ، تونس ، ٢٠١٣، ص ١٤٣ .

([21]) وسيلة بورقيبة : (١٩١٢-١٩٩٩) ولدت في مدينة باجة في ٢٢ نيسان ١٩١٢ أكملت دراسته الابتدائية في مدينه الكاف والتحقت بالدراسة الإعدادية إلَّا أنَّها لم تكمل دراستها وتزوجت من رجل ثري أسمة علي الشاذلي وأنجبت من زواجها الأول بنت واحدة وتعرفت على بورقيبة عام ١٩٤٣ إذا أدت دور كبير في الحركة الوطنية خلال مدة الاحتلال لاسيما أحداث ١٩٥٢ أعجب بها بورقيبة وتزوجها في عام ١٩٦٢ بعد طلاقها من زوجها وطلال بورقيبة من زوجته لأن القانون التونسي يرفض تعدد الزوجات أدت وسيلة دوراً كبيراً في الحياة السياسية التونسية الداخلية والخارجية فقد كان لها دوراً في المجيء بعدد من الوزراء والإطاحة بعدد آخر فضلاً عن دورها في السياسية الخارجية التي عرف عنها كسب ود الزعماء انفصل عنها بورقيبة عام ١٩٨٦ وتوفيت عام ١٩٩٩للمزيد ينظر: محمد بوذينة ، أحداث العالم في القرن العشرين ، دار لابراس ، الحمامات ، د.ت ، ص٤٠

([22]) خالد الحداد ، محمد حرمل في الذاكرة الوطنية (لم نكن تحريفين ولا كفاره) ، حوار منشور بجريده الشروق التونسية بتاريخ ١٨ حزيران ، تونس ، ٢٠٠٥ ، ص ٦ .

([23]) proquest Historical News Paper , Los Angeles times (1923 -1995) , diesat : Jul19 .1981 .

([24]) خالد الحداد ، المصدر السابق ، ص ٦ .

([25]) نعمة بحر فياض نمر الحمداني ، المصدر السابق ، ص٢٠٧ .

([26]) توفيق المديني ، المعارضة التونسية (نشأتها وتطورها) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ٢٠٠١ ، ص ١٢٩ - ١٣٠

([27]) توفيق المديني ، المصدر السابق ، ص ١٣١

([28]) المصدر نفسه ، ص ١٣٧

([29]) سيمياء علي مهدي المعموري ، دور الأحزاب في النظام السياسي التونسي بعد التغيير ، رسالة ماجستير غير منشوره ، كلية العلوم السياسية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٧ ، ص٤٤ .

([30]) توفيق المديني ، المصدر السابق ، ص١٣٧.

([31]) الحبيب عاشور : ولد في قرية العباسية عام ١٩١٣ عمل موظفا ببلدية صفاقس كان إلى جانب فرحات حشاد أحد مؤسسي اتحاد النقابات المستقلة بالجنوب عام ١٩٤٤ ثم الاتحاد العام التونسي للشغل ١٩٤٦ تولى المسؤولية الأولى في الاتحاد ثلاث مرات كان وراء الإضراب بمدينه صفاقس دخل السجن بعد الاستقلال أكثر من مرة أسندت إليه مهمة معارضة أفكار بن صالح من خلال رفضه خروج الاتحاد عن وصاية الحزب توفي في سنة ١٩٩٩ في قرقنة تونس للمزيد ينظر : عائشة عباس، جدلية السلطة والمعارضة السياسية في تونس ، دار الخليج للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٢٠ ، ص١٣٣ .

([32]) دخل التيار اليساري الراديكالي في منافسة التيارات السياسية المعارضة ضمن صفوف الاتحاد العام التونسي للشغل عقب أحداث الخميس الأسود عام ١٩٧٨ على خليفة ما شهدته من صراعات دموية بين المنظمة العاملة والنظام التونسي فقد قام أصحاب هذا التيار بقيادة حملات موجهه ضد التيجاني العبيد الذي عين لقيادة الاتحاد بعد قرار فصل الحبيب عاشور فقام اليساريون الراديكاليون بحث المنظمات النقابية على عدم التعامل مع القيادة الجديدة والتمسك بالقيادة القديمة فأصدروا النشرات التي كانت تتضمنها جريدة الشعب وتوزعها بشكل سري وفي الوقت نفسة كان الشيوعيون منشغلين بشؤنهم الداخلية في استعادة الهيكلية العامة للحزب والاستعداد إلى الحضور بأكثر إيجابية مع الواقع السياسي والاجتماعي الجديد في البلاد . للمزيد ينظر: عبد الجليل بوقرة ، المصدر السابق ، ص١٧٥.

([33]) عبد الجليل بوقرة ،المصدر نفسه ، ص ١٧٤

([34]) سعد توفيق عزيز البزاز ، المصدر السابق ، ص ٨٣

([35]) المصدر نفسه ، ص٨٣ _ ٨٤

([36]) سعد توفيق عزيز البزاز ، المصدر السابق ، ص ٨٥ .

([37]) توفيق المديني ، المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

([38]) جريدة السياسة ، العدد ٤٦٩٧ ، ٢٥ تموز ١٩٨١ .

([39]) عمار فاضل حمزه العابد وآخرون ، المصدر السابق ، ص ١٥٥ .

([40]) نعمه بحر فياض نمر الحمداني ، المصدر السابق ، ص ٢١٠.

([41]) توفيق المديني ، المصدر السابق ، ص ١٧٤_ ١٧٥ .

([42]) المصدر السابق ، ص ١٧٤ .

([43]) عمار فاضل حمزه العابد وآخرون ، المصدر السابق ، ص ١٥٦ .

([44]) نعمه بحر فياض نمر الحمداني ، المصدر السابق ، ص ٢١١ .

([45]) إدريس قيقة : هو أحد أقوى الوزراء اللذين عرفتهم الوزارة الداخلية في مدة الثمانينات من القرن العشرين إذا تولى عدد من الوزارة قبل الداخلية مثل الصحة والتربية للمزيد ينظر: محمد الحرشاني ، حياتي في الصحافة من الهواية إلى الاعتراف ، ب.ط ، تونس ، د.ت ، ص ٢٢ .

([46]) عمار فاضل حمزه العابد وآخرون ، المصدر السابق ، ص ١٥٦ .

([47]) محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٧ ص ٤٣٩.

([48]) المصدر السابق ، ص 438 .

([49]) توفيق المديني ، المصدر السابق ، ص

([50]) الكمبرادورية : هي نعت ماركسي يطلق على الطبقة البرجوازية التي تتكون من وكاء الشركات ا لأجنبية في الدول النامية مما يجعل دورها هو تخريب الصناعات المحلية عبر خنقها بتدفق الإنتاج الأجنبي وبأسعار منخفضة ولكن تم التوسع في هذا المصطلح ليشمل أيضا النخب المثقفة التي تروج للفكر والقيم الأجنبية على حساب الهوية الوطنية للمزيد ينظر : محمد الرحموني ،المصدر السابق ، ص٢١٧ .

المصادر والمراجع

. الرسائل والاطاريح :

1. زينب طه ياسين ، النظام السياسي في تونس (دراسة تاريخية) (١٩٥٦- ١٩٨٧) ، رسالة ماجستير غير منشوره ، كلية التربية للبنات ، جامعه بغداد ٢٠٠٨ ، ص ١١٥ .
2. سيمياء علي مهدي المعموري ، دور الأحزاب في النظام السياسي التونسي بعد التغيير ، رسالة ماجستير غير منشوره ، كلية العلوم السياسية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٧ ، ص٤٤ .
3. نعمة بحر فياض ، دور صالح بن يوسف في قيادة الحزب الحر الدستوري الجديد ١٩٣٤_١٩٤٥، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة تكريت ، ٢٠١٣م.
4. نعمة بحر فياض نمر الحمداني ، موقف الأحزاب والقوى المعارضة من التطورات السياسية الداخلية في تونس ١٩٦٥_١٩٨٧، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة تكريت ، ٢٠١٩م.

_الكتب العربية والمعربة
5. توفيق المديني ، المعارضة التونسية (نشأتها وتطورها) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ٢٠٠١ .
6. الطاهر بلخوجه ، الحبيب بورقيبة سيره زعيم شهاده على مصر ، الدار الثقافية ، ١٩٩٩.
7. عبد الجليل بوقره ، فضول في تاريخ اليسار التونسي كيف واجه الشيوعيين و نظام الحزب الواحد (١٩٦٣-١٩٨١) و دراسة تاريخيه ، دار آفاق للنشر، تونس، م٢٠١٢ .
8. محمد الحرشاني ، حياتي في الصحافة من الهواية إلى الاعتراف ، ب.ط ، تونس ، د.ت.
9. محمد الرحموني ، العلمانيون في تونس صراع الفكر السياسي ، دار وجهه النشر، بيروت.
10. محمد بوذينة ، أحداث العالم في القرن العشرين ، دار لابراس ، الحمامات ، د.ت .
11. محمد لطفي الشابي الهادي نويرة ، ١٩١١- ١٩٩٣ ، المعهد الأعلى ، تونس ، ٢٠٠٥.
12. محمد مزالي ، نخب مغاربية النخبة الوزارية في تونس ومسألة توحيد المغرب العربي، منشورات صدى الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠١٢ .
13. محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٧ .
14. منجي الكعلي ، في خدمة الجمهورية ، دار السراس للنشر ، تونس ، ٢٠١٣.

_المجلات والبحوث :
15. اعليه علاني ، تطور المسألة الديمقراطية والنظام الانتخابي من خلال حركة الديمقراطيين الاشتراكيين بتونس ١٩٧٨ – ٢٠١٠ ، دفاتر السياسة والقانون عدد خاص ، مج ٣ ، جامعة منوبة ، تونس .
16. سعد توفيق عزيز البزاز، موقف الحزب الشيوعي من التجربة الاشتراكية الدستورية ١٩٦٤_١٩٧٠، مجلة آداب الرافدين، العدد ٨٢،جامعة الموصل، ٢٠٢٠ .
17. عائشة عباس، جدلية السلطة والمعارضة السياسية في تونس ، دار الخليج للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٢٠ .
18. عمار فاضل حمزه العابد وآخرون ، تجربة التعددية الحزبية في تونس سنه ١٩٨١ ودور محمد مزالي فيها ، مجلة أبحاث البصرة ، ،المجلد ٤٢ ، العدد ٣ ، جامعة البصرة ، ٢٠١٧ .

_المجلات والصحف العربية :
19. جريدة السياسة ، العدد ٤٦٩٧ ، ٢٥ تموز ١٩٨١ .
20. مجلة النهار العربي (باريس) العدد ١٦٢

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

موقف عبدالكريم الإرْيانيّ وسياستهُ تجاه المشكلات الحدودية البرية والبحرية 1991 – 1998م

الأستاذ الدكتور عماد جاسم حسن الموسوي
Dr.amadgulf@gmail.com
الباحث مؤيد خليوي سعود البدري
Mooo06939@gmil.com
كلية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة ذي قار

الملخص
بعد حرب الخليج الثانية وموقف اليمن المساند للعراق عام 1990م ترتب على وزير الخارجية عبدالكريم الارياني جهود مضاعفة بعد ان توقفت جميع اشكال الدعم من دول مجلس التعاون الخليجي, وعملت السعودية على اثارة المشاكل الحدودية وعدم حسمها بحجة امتلاكها لتلك الأراضي الحدودية ودخل البلدين في مفاوضات تميزت في شد وجذب بين الطرفين, كما اثارت ارتيريا خلاف حول جزر حنيش التي انتهت بالتحكيم لصالح اليمن.

Abstract
After the second Gulf War and Yemen's supportive stance against Iraq in 1990, Foreign Minister Abdul Karim al-Iryani made redoubled efforts after all forms of support from the Gulf Cooperation Council (GCC) countries ceased. And the attraction between the two parties, and Eritrea also raised a dispute over the Hanish Islands, which ended with arbitration in favor of Yemen.

المقدمة
اهتم عبدالكريم الارياني في التصدي للمشكلات الحدودية بين اليمن والدول المجاورة, خاصة السعودية متمثلة بالحدود البرية, والمفاوضات التي اجراها الارياني حول حلحلة الإشكاليات الحدودية, واللقاءات مع المسؤولين السعوديين لغرض التوصل الى لترسيم الحدود النهائي, اذ كان لضعف الحكم السياسي في اليمن دفع البلدان المجاورة الى المحاولة للسيطرة على بعض الأراضي المجاورة اذ سيطرت السعودية على مناطق واسعة من اليمن وضمها بعدة طرق, وعقدت اتفاقية الطائف عام 1934م لترسيم الحدود بين السعودية واليمن التي أصبحت بنودها اساساً لجميع المفاوضات الحدودية بين البلدين, كما استطاع الارياني من ان يحسم كسب الجزر لصالح اليمن بعد التحكيم في محكمة العدل الدولية في لاهاي, وتأتي أهمية الدراسة لتوضيح دور المفاوض اليمني في المحافظة على ترسيم الحدود لما يضمن عدم استقطاع أي جزء من أراضيه سواء في المباحثات الثنائية التي حسمت الخلاف مع السعودية او في اللجوء الى هيئة التحكيم الدولية وكسب جزر حنيش لصالح اليمن ضد ارتيريا, وتضمن الدراسة محورين:
أولاً: المشكلات الحدودية مع المملكة العربية السعودية وموقف عبدالكريم الارياني منها.
ثانياً: دور عبدالكريم الإرْيانيّ في مفاوضات جزر حنيش.

أولاً: المشكلات الحدودية مع المملكة العربية السعودية وموقفهُ منها.
شهدَ عامُ 1991م بداية التوتر بين اليمن والمملكة العربية السعودية على أثر الاجتياح العراقي للكويت في 2 آب 1990م واندلاع حرب الخليج الثانية, والموقف المتناقض بين البلدين, ففي الوقت الذي وقفت فيه السعودية إلى جانب الكويت كانت اليمن وقفت إلى جانب العراق, ممّا زادَ من تأزم الأوضاع والعلاقة بين البلدين وبخاصة إنَّ اليمن كانت عضواً في مجلس الأمن الدولي ممثل للمجموعة العربية في المجلس,

وفسرت مواقف اليمن تجاه القرارات الدولية في الأمم المتحدة بأنها منحازة إلى العراق[1], ما أدّى إلى أنّ تثير المملكة العربية السعودية التي أصبحت تخطط لافتعال المشكلات داخل اليمن لإضعافها ومعاقبتها على سياستها التي اتخذتها تجاه الكويت[2].

الواقع إنَّ العلاقات اليمنية السعودية كانت قدّ قطعت شوطاً كبيراً بعد الوحدة في مفاوضات الحدود بين البلدين, لكنَ اندلاع حرب الخليج الثانية أدّت إلى تأجيلها, وفي الوقت نفسهُ لم يعد الموقف السعودي في مفاوضات الحدود كما كانَ قبلَ حرب الخليج الثانية إذْ تغيّرَ الموقف السعودي وأخذت تحاول عدم استكمال المفاوضات بأي طريقة, بل إنّها أخذت تثير بعض المشاكل حول المناطق التي لم تحدد تبعيتها بشكل نهائي, فقامت السعودية بعملية اختراق في جزيرة سقطره(3) في نيسان 1991م, ومُنِحَت بعض المواطنين اليمنيين الجنسية السعودية وبعض الوظائف والمرتبات, وهذا الإجراء رفضهُ اليمن وفسروا هكذا أعمال بأنها وسيلة ضغط في المفاوضات بين البلدين[4].

كما وجهت السعودية إنذاراً لشركتين نفطيتين في نيسان 1992م تعملان في حضرموت والحديدة بحجة إنَّ المنطقتين مجاورتين للسعودية وتابعتان لها, وبجهود الوساطة الأمريكية والفرنسية تمَّ الاتفاق على عقد اجتماعات للخبراء للبحث في الموضوع, إذْ أنعُقِدَت ثلاث جولات نقاشية كان أثنان منها أنعُقِدا في السعودية (جدة-الرياض) والثالث أنعُقِدَ في صنعاء باليمن وترأس عبدالكريم الإرْيانيّ الوفد اليمني خلال تلك المحادثات لكن لم يتمْ التوصل إلى نتائج نهائية[5].

وممّا يجدر ذكرهُ إنَّ زيارة الإرْيانيّ إلى السعودية في 28 أيلول1992م للبحث حولَ الاتفاق على آلية لحل مشكلة الحدود بين البلدين, وقد سلّمت السعودية الإرْيانيّ مذكرة لبيان وجهة نظرها من خلال ما تتضمنهُ اتفاقية الطائف المنعقدة عام 1934م بين البلدين, وإنَّ أي مفاوضات لابد أنّ يكون أساسها بنود اتفاقية الطائف, وقد أنتقدَ الإرْيانيّ هذه المبادرة معتبراً إنها ملغاة ولا يرغب في تجديدها, ويعتقد الإرْيانيّ إنَّ سبب فشل المفاوضات السابقة هو التقيّيد بتلك الاتفاقية, فضلاً عن التوتر الذي سادَ العلاقة بين اليمن ودول الخليج العربي إبان حرب الخليج الثانية[6].

وفي الوقت ذاتهِ فإنَّ السعودية أخذت تسعى لإثارة المشاكل الداخلية في اليمن بتشجيعها لدعوات الانفصال وتأجيج الحرب الأهلية بين شطري اليمن[7], إذْ وصفَ الإرْيانيّ السعودية بأنها كانت دائما تنظُر إلى اليمن الموحد بأنهُ يهدد أمنها ودورها في شبه الجزيرة العربية, كما أضافَ ((طلبت السعودية في أحدى مباحثات الحدود عدم بث جلسات مجلس النواب على شاشة التلفاز اليمني, تحت مبرر عدم رغبة الكثير من مشاهدتها وتأثيرها على المشاهد العربي, وإنَّ السعودية ترغب في اسقاط النظام شريطة انضمام اليمن إلى مجلس التعاون الخليجي, وتقسيم اليمن إلى أربع وحدات فيدرالية بصلاحيات واسعة, وعودة القادة الانفصاليين المطاردين))[8], ويتضح من ذلك إنَّ السعودية كانت تخشى الحياة الديمقراطية التي سادت في اليمن عقب الوحدة, وخوفها من تسرب تلك الأفكار وظهور معارضة لديها تطالب بوجود مجلس نواب وإطلاق الحريات, وهذا ما دفعها أنّ تطلب من المسؤولين اليمنيين في كل مناسبة تجمعها بهم إلى محاولة إنهاء تلك الديمقراطية وعدم الإعلان عنها وفسح المجال لها, وبذلك فأنها أخذت تشعر بالقلق بوجود اليمن موحداً ومستقراً, لذا فأنها ساندت وغذت تلك الحرب من أجل الحفاظ على كيانها وأمنها.

فضلا عن ذلك فإنَّ الإرْيانيّ أتهم السعودية بأنها أخذت تعمل على تخريب الاقتصاد اليمني, من خلال استهداف المخازن وتلوثها للمياه الجوفية ومصائد الأسماك وضرب الثروة الحيوانية, كما عملت على تجنيد مجموعة من الأشخاص للقيام بعمليات اغتيال داخل اليمن مقابل مبالغ مالية كبيرة[9], كذلك عملت السعودية على إغلاق سوق العمل السعودي أمام العمالة اليمنية وعدم السماح لهم بالعمل داخل المملكة ما لم تعمل اليمن على تقيّيد حرية الصحافة, وأيضا تدخلها بمحاولة تعيّين بعض الأشخاص بمواقع سياسية او وزارات في الحكومة اليمنية, الأمر الذي عدهُ عبدالكريم الإرْيانيّ تدخل في الشؤون الداخلية لليمن[10].

وإلى جانب تلك الخلافات بين البلدين فأنَّ مشكلة الحدود من أكثر المشاكل المعقدة بينهما وأدت في كانون الثاني 1995م إلى حصول مناوشات بين الجانبين أتهم فيها عبدالكريم الإرْيانيّ السعودية بالسيطرة على مواقع حدودية خلال الاشتباكات, كما ردت القوات اليمنية باختراق الأراضي السعودية شرق منطقة (الخراخير) على الحدود الشرقية, وعندها طلبت الرياض التدخل من دمشق, إذْ تدخلَ وزير الخارجية

السوري فاروق الشرع[11], وتنقلَ بين صنعاء والرياض لتقريب وجهات النظر حولَ الخلاف الحدودي, وعلى أثر تلك الوساطة أتفقَ الجانبان بالانسحاب من المناطق التي توغلوا فيها, إذْ صَرّحَ الإرْيانيّ قائلاً ((إنَّ القوات اليمنية انسحبت من منطقة (عروق بن حمودة) نتيجةٌ للوساطة السورية وإنَّ الانسحاب لا يسقط حق اليمن بالسيادة لكنهُ يعبّر عن حسن النوايا اليمنية لنزع فتيل الأزمة)) وبعدها تمَّ الاتفاق على صيغة تفاهم في 16 كانون الثاني 1995م لأنهاء الخلاف بالطرق السلمية بتشكيل لجنة تفاوضية بين البلدين[12], وبعد ذلك سافرَ الإرْيانيّ إلى نيويورك في 18 كانون الثاني في العام ذاتهِ وألتقى بالأمين العام للأمم المتحدة بطرس غالي وسلمهُ رسالة من الرئيس اليمني علي عبدالله صالح, فضلاً عن ذلك أطلعهُ على نتائج المفاوضات والاتفاقات التي وقعت بين اليمن والسعودية بشأن النزاع الحدودي الأخير, وفي الشأن ذاتهِ فقد طلبَ الأمين العام للأمم المتحدة من الإرْيانيّ أنَّ يقوم البلدان بتوقيع اتفاقية نهائية لمشكلات الحدود وفقاً للقانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة[13].

وعلى أثر ذلك بعد عودة الإرْيانيّ من نيويورك, أجرى لقاءات مع المسؤولين اليمنيين أدت إلى الاتفاق على أنّ يتم توقيع اتفاقية مع السعودية لأنهاء تلك المشكلات الحدودية, وقد تحقق ذلك الأمر في 26شباط 1995م بتوقيع اتفاقية مكة التي أكّدَت على العودة إلى معاهدة الطائف المتفق عليها عام 1934م لترسيم الحدود, وقد نصّت المادة الأولى للمذكرة على تمسك الجانبين بشرعية والزامية مذكرة الطائف, ونصّت المادة الخامسة على تشكيل لجنة مشتركة لمنع أي استحداثات حدودية بين الطرفين, والمادة السادسة نصّت على تشكيل لجنة وزارية مشتركة لتطوير العلاقات الاقتصادية والتجارية والثقافية, كذلك نصّت المادة الثامنة على تأكيد الطرفين التزام كل منهما بعدم السماح باستخدام بلادهُ قاعدة للاعتداء على بلد آخر أو القيام بنشاط سياسي أو عسكري أو إعلامي ضد الآخر, كما أكَّدَت المادة العاشرة على عدم احتواء المذكرة أي تعديلات لمعاهدة الطائف وملحقاتها [14].

وعليه حدّدت مذكرة التفاهم [15] لجان مشتركة لحل المشكلة الحدودية بين السعودية واليمن, وذَكَرَ الإرْيانيّ إنَّ أولى اللجان هي لجنة تحديد الحدود المرسمة بناء على اتفاقية الطائف, من ساحل البحر الأحمر إلى جبل الثأر, أمآ اللجنة الثانية هي لمتابعة ما يتمُّ إنجازهُ من المفاوضات, وفي حالة عدم التوصل إلى الاتفاق يتمّ اللجوء إلى التحكيم, بالإضافة إلى اللجنة الثالثة المتعلقة بالحدود البحرية, كما كانت اللجنة الرابعة هي اللجنة الأمنية والعسكرية, واللجنة الخامسة تخص القضايا السياسية والثقافية والاجتماعية[16].

إضافة إلى تشكيل لجنة رقابية عليا بناءً على مذكرة التفاهم, ضمّت من الجانب اليمني وزير الداخلية عبدالله بن حسين الأحمر[17] ووزير الخارجية عبدالكريم الإرْيانيّ, ومن الجانب السعودي الأمير سلطان بن عبدالعزيز ووزيري الداخلية والخارجية, وحدّدت مهام هذه اللجنة في متابعة سير اللجان المشتركة وتذليل الصعاب التي تواجهها, وسارت الأمور بصورة طبيعية في العلاقات بين الجانبين لتحقيق الأهداف والغايات التي وردت في مذكرة التفاهم[18].

ونتيجةٌ لتوقيع اتفاقية مكة وما تلاها من اجتماعات ولجان مشتركة بين مسؤولي البلدين لتنفيذ بنود تلك الاتفاقية فقد تحسنت العلاقات بين الطرفين, وكان من نتائج ذلك زيارة الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود[19] إلى اليمن في مطلع تشرين الأول 1995م ولقاءهُ بوزير الخارجية اليمني عبدالكريم الإرْيانيّ الذي صَرّحَ حولَ تلك الزيارة بالقول ((إنَّ الزيارة فُتِحَت الطريق في قضية الحدود على مصراعيها, في النقاش الصريح والواضح وهذه هي البداية لتجاوز الصعوبات, التي تعترض طريق استكمال ترسيم خط حدود الطائف أو الاتفاق على خط حدود جديد)) وخلال تلك الزيارة وقّعَ الجانبين اتفاقية التبادل التجاري بين البلدين, فضلاً عن ذلك فقد تمَّ التباحث بشأن عودة العمال اليمنيين المبعدين إلى السعودية, لكنَ المسؤول السعودي أعتبرَ الظروف غير مهيأة حالياً في ذلك الوقت))[20].

بالإضافة إلى ذلك صَرّحَ الإرْيانيّ بالقول ((العلاقة مع السعودية بعد توقيع مذكرة التفاهم في شباط 1995م وضِعَت العلاقة في إطار قابل للنقاش والتعامل بأسلوب بعيد عن التردد والخوف, فبدأت العلاقات تعود إلى وضعها الطبيعي بعد أزمة الخليج, خاصة بعد زيارة الأمير سلطان بن عبدالعزيز التي أخذت بعداً إعلامياً واسعاً لتأكد إنَّ العلاقة تسير في الاتجاه الصحيح)) كذلك أكَّدَ الإرْيانيّ إنَّ الزيارة كانت مقبولة ولا يمكن الحُكم على زيارة واحدة لحل كل الصعوبات, لكنها أسفرت عن نتائج إيجابية بتوقيع اتفاقية التبادل

التجاري وهذه خطوة مهمة في الاتجاه الصحيح, ولأول مرة أقرّت اليمن إعفاء السلع والبضائع السعودية من الضرائب الجمركية, كما جرى نقاشٌ حادٌ وموسّع لمسألة الحدود وكيفية التعامل معها بعد ما وصلت إلى طرق مسدودة سابقا[21].

ومن مظاهر تحسن العلاقات اليمنية السعودية, موافقة مجلس التعاون الخليجي على اتفاقية التعاون الأمني بين اليمن والسعودية في 27تموز1996م في جدة, لمكافحة تهريب المخدرات والإتجار بالممنوعات وكان ذلك الامر تقدماً كبيراً في العلاقات بين البلدين خاصة لأنها تربطها حدود كبيرة, وترتب علية حوارات وتفاهم أستمرت لمدة من الزمن[22].

ولغرض أنجاز حل المشكلات الحدودية بين البلدين حسب الاتفاقيات التي وقعت بينهما قامَ عبدالكريم الإرْيانيّ بزيارة إلى جدة في 15 تشرين الأول 1996م, حيثُ أستقبلهُ الأمير سلطان بن عبدالعزيز نائب رئيس الوزراء ووزير الدفاع والطيران السعودي, وسلمهُ الإرْيانيّ خلال تلك الزيارة رسالة من الرئيس علي عبدالله صالح إلى الملك فهد بن عبدالعزيز, ومضمونها محاولة حل المشاكل الحدودية بين البلدين, كما بحثَ الإرْيانيّ مع بعض المسؤولين المقترحات لحلحلة الإشكالية على الحدود, وإيجاد حلٍ يرضي الطرفين بعيداً عن روتين اللجان[23].

واستمراراً للمباحثات بين البلدين زارَ عبدالكريم الإرْيانيّ السعودية في 10 تشرين الثاني 1996م ألتقى فيها الأمير سلطان بن عبدالعزيز والأمير نايف بن عبد العزيز[24], وقد أكّدَ الإرْيانيّ بأنَّ تلك الزيارة تأتي في إطار مواصلة المباحثات الثنائية الهادفة إلى ترسيم ما تبقى من الحدود بين البلدين, وتعدُّ هذه الزيارة الثانية من نوعها خلال أقل من شهر وأحرز فيها الجانبان تقدّم كبير في مشكلة ترسيم الحدود[25].

وممّا تجدر الإشارة اليه, إنهُ على الرغم من كثرة الزيارات واللقاءات بين مسؤولي البلدين والاتفاقات التي عُقِدَت, لكنَ السعودية لم تكن جادة في تنفيذ تلك الاتفاقات بشكل جدي بل إنها لم ترغب في إنهاء المشكلات الحدودية التي ربما تتسبب خسارتها لبعض المواقع أو المناطق الحدودية التي كانت قد سيطرت عليها في أوقات سابقة, ولذا فأنها كانت تماطل باستمرار في عدم إنهاء تلك المشكلة, وفي الوقت ذاتهِ فأنها كانت منزعجة من شخصية عبدالكريم الإرْيانيّ الذي حاولت بأي طريقة إزاحتهُ من المشهد السياسي في اليمن, ولذا فقدَ صرّحَ الإرْيانيّ في آذار1997م بالقول ((إنَّ القضية الحدودية بالغة التعقيد وإذا لم يتوصل الطرفان إلى حل فسيكون البديل الوحيد هو التحكيم القانوني)) والجُدير بالذكرِ إنَّ البلدين خاضا عدة اشتباكات بسيطة خلال سير المفاوضات في آذار 1997م, في المناطق الحدودية التي أكتشف فيها النفط مؤخراً قبل توقيع مذكرة التفاهم لحل الخلاف وإنشاء لجنة لترسيم الحدود البرية والبحرية, فضلاً عن إنَّ الإرْيانيّ دعا لعقد قمة مع الزعماء السعوديين لحل الخلاف[26].

بعد ذلك اتجهت العلاقات إلى التوتر وحاولَ عبدالكريم الإرْيانيّ بترطيب الأجواء فقامَ بزيارة إلى السعودية في 27 أيار 1997م, حاملاً معهُ رسالة إلى الملك فهد بن عبدالعزيز, وكانَ في استقبالهُ في المطار عبدالعزيز الخويطر وزير المعارف السعودي ولم يستطيع خلال الزيارة مقابلة الملك فهد أو ولي العهد بقصد الإهانة من الجانب السعودي للإرْيانيّ, فتسلّمَ الرسالة الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية, أدّى ذلك الاستقبال غير اللائق إلى استياء صنعاء وشنّت الصحف اليمنية بافتتاحيات نارية غاضبة في جميع الصحف الصادرة في صنعاء وعدن, وانتقدت الرياض ووصفت ذلك بالخروج عن اللياقة والأعراف الدبلوماسية لعدم استقبال عبدالكريم الإرْيانيّ الذي كانَ يشغل منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية, كما كانت صحيفة (14أكتوبر) الصادرة في عدن أكثر جرأة في أنتقاد الرياض, ثمَّ أخذت الحرب الإعلامية بالتأجيج وحذرت الأوساط السياسية من عودة المواجهات الحدودية, بالإضافة إلى إنَّ الصحف السعودية قامت بشن الحرب الإعلامية حيثُ وجهت صحيفة (عكاظ) التي تصدر في الرياض هجوماً مفاجأ على الحكومة اليمنية, ووصفتها بتصدير أزماتها الداخلية على السعودية[27].

الواقع إنَّ السعودية قامت بذلك العمل بقصد إظهار عدم رضاها عن دور عبدالكريم الإرْيانيّ, والاحتجاج على بعض تصريحاتهُ التي تتضمن أنتقادات واضحة لها, والجُدير بالذكرِ إنَّ الإرْيانيّ هو المسؤول المباشر عن الملف اليمني – السعودي, وهو معروف بمواقفة المتشددة في مفاوضات ترسيم الحدود, كما كانت الحكومة السعودية تأمل في استبدالهُ في التشكيلة الوزارية واختيار وزير خارجية أكثر قرباً منها,

بالإضافة لانزعاج السعودية من تصريحات الإرْيانيّ لصحف أوربية وأمريكية أتهمَ فيها الرياض بممارسة ضغط على الإدارة الأمريكية لوقف المساعدات لليمن وقالَ ((إنَّ الأزمات الاقتصادية في اليمن تقف وراءها السعودية, فضلاً عن عمليات الخطف والاغتيال للأجانب للإيحاء لعدم الاستقرار في اليمن وهروب الشركات والاستثمارات الأجنبية)) وفي المقابل هددت اليمن بدعم المعارضة السعودية وفتح الأراضي اليمنية لها بمّا في ذلك الإسلامي المعارض (أسامة بن لادن)[28] المقيم في أفغانستان[29].

بعد شد وجذب جدّدَ وزير الخارجية عبدالكريم الإرْيانيّ الزيارة إلى السعودية في تشرين الثاني 1997م مع وفدٌ ضمُ وزير الداخلية, من أجل تجديد المفاوضات لترسيم الحدود على ضوء المستجدات على الحدود, ولإعادة تفعيل اللجان المشتركة والتوصل إلى صيغة مُرضِية للطرفين, وقد وصفَ الإرْيانيّ المفاوضات بين السعودية واليمن ((إنها مرحلة مخاض لتكوين آراء وأفكار بين الجانبين يستطيع المفاوض أنّ يبني عليها خطوات إيجابية أكثر))[30].

أعتبرَ عبدالكريم الإرْيانيّ الزيارة للسعودية بالإيجابية, كما ذَكَرَ ((إنّه لابدّ من إعادة العلاقات لسابق عهدها, واعتبار موقف اليمن في مساندة العراق (ملفاً مغلقاً) ولم يكن أخذ وعطاء وعتاب فيه, ولا يكون أساساً في بحث العلاقات اليمنية السعودية)), كذلك أعربَ الإرْيانيّ عن رغبة اليمن في الانضمام إلى مجلس التعاون الخليجي وقالَ ((إنَّ المكانة الطبيعية للجمهورية اليمنية جغرافياً وديمقراطياً واستراتيجياً واقتصاديا واجتماعيا وثقافياً هو أنّ تكون عضواً في مجلس التعاون الخليجي, لكن نحنُ لم نقدم طلباً والمجلس ليس مفتوحاً كي يقدّم إليه الطلب)) وأضافَ ((لابدَّ من محاكمة من يزعزع الأمن والاستقرار في اليمن ممّن يتلقون الدعم من الخارج ويسعون للانفصال))[31], فضلاً عن ذلك فقد أشارَ الإرْيانيّ إلى إنَّ العلاقة بين القبائل اليمنية والسعودية والحكومتين هي علاقة تاريخية, ولا يجوز أنّ تصبح عامل توتر للعلاقات بين البلدين[32].

وخلال ذلك أخذت العلاقات بالتوتر بين اليمن والسعودية خلال النصف الأول من عام 1998م, بسبب قيام القوات السعودية بالاعتداء على (جزيرة الدويمة)[33] اليمنية من خلال الهجوم بالقطع البحرية والمدفعية الثقيلة, وتمَّ ذلك في 19 تموز وكان في الجزيرة عدد قليل من الحراس إذْ قُتِلَ ثلاثة منهم, وجَرّحَ تسعة منهم, وقامَ سعود الفيصل[34] بزيارة اليمن في 28تموز1998م حيثُ وقّعَ مع عبدالكريم الإرْيانيّ محضرَ اتفاق ونصَّ على مواصلة اللجان العسكرية المشتركة لإعادة الوضع في جزيرة دويمه حسب الاتفاق, وعدم اتخاذ إجراءات مخالفة من كِلا البلدين تؤثر عليهما, وأتفقَ الجانبان على بحث المصالح المشتركة على مستوى القيادة السياسية للبلدين[35].

الواقع إنَّ علاقات السعودية باليمن كانت تشكل هاجساً كبيراً للأخيرة حتى أنها كانت تحاول استغلال أي مناسبة أو فرصة للحديث عنها, وهذا ما تمَّ ملاحظتهُ خلال زيارة عبدالكريم الإرْيانيّ إلى المملكة الأردنية الهاشمية ولقائهُ بولي العهد الأمير الحسن بن طلال[36] في 26تشرين الأول1998م, وسلّمهُ رسالة من الرئيس اليمني علي عبدالله صالح التي أطلعهُ فيها على مجمل الأوضاع اليمنية بشكل عام, وموضوع الحدود اليمنية السعودية والقضايا العالقة بينهما بوجه خاص, فضلاً عن توضيحهُ لنتائج المفاوضات السعودية اليمنية للقيادة الأردنية[37].

وخلال ذلك بدأ الجانب اليمني بطرّح فكرة اللجوء إلى التحكيم الدولي لعدم التوافق النهائي لحل الأزمة, وفي أواخر عام 1998م ذَكَرَ رئيس الجمهورية ((إننا من الممكن أنّ نلجأ إلى التحكيم في حال لم نصل إلى الحلول النهائية)) مشيراً إلى ما نصّتْ علية معاهدة الطائف 1934م, وجاءَ رَد السعودية عن طريق وزير خارجيتها بالموافقة على اللجوء إلى التحكيم وقالَ ((لا يمكن أنّ تحصل اليمن في التحكيم مثلما تحصل علية بالمفاوضات الثنائية الودية)), إلا أنهُ تمَّ تجاوز مرحلة الذهاب إلى التحكيم خلال زيارة علي عبدالله صالح للسعودية في حزيران 1998م وأكَّدَ على احتواء الموقف ومحاولة اتخاذ قرار يرسم الحدود بينهما[38].

توصلَ الجانبان إلى حل النزاع الحدودي بالتوقيع على معاهدة الحدود الدولية والنهائية الدائمة, البرية والبحرية بين المملكة العربية السعودية والجمهورية اليمنية في 12حزيران 2000م, وخلال ذلك توصلَ الجانبان إلى تسمية معاهدة جدة التي احتوت على خمسة مواد منها المادة الأولى التي عبرت عن التزام

الجانبان في ما نصّت علية اتفاقية الطائف التي حدّدت خطوط الحدود الفاصلة من جبل السار إلى ملتقى الحدود اليمنية السعودية مع حدود سلطنة عمان, والمادة الثانية كذلك حدّدت الاتفاقية مناطق الرعي على أنّ تبتعد مسافة عشرين كيلو عن خط الحدود, والثالثة ابتعاد القوات العسكرية عن الحدود ما يقارب أربعين كيلو وتقتصر مراقبة الحدود على الدوريات فقط, فضلاً عن السماح للشرعية الدولية المتخصصة لتعد خرائط لخط الحدود البرية بينهما في المادة الرابعة, امّا المادة الخامسة نصّت على أنّ تكون هذه المعاهدة نافذة بعد تصديق الجانبان عليها, وعبرَ بيان صحفي مشترك بعد زيارة الرئيس علي عبدالله صالح إلى السعودية في حزيران 2000م[39], كان حينها يشغل عبدالكريم الإرْيانيّ رئاسة الوزراء في الحكومة اليمنية[40], فقد أنهت معاهدة جدة ملف الحدود اليمنية السعودية في 12 حزيران 2000م, تحت بنود متفق عليها لترسيم الحدود النهائي بين البلدين[41].

وخلال ما سبقَ تبيّنَ أنَّ اليمن جزء مهم من الخليج العربي ويشكل موقع استراتيجي كبير كونهُ يشرف على مضيق باب المندب, وشعرت السعودية بضرورة احتواء الخلاف لضمان استمرار تدفق النفط ومصالحها إلى أوروبا, وبذلك أصبحَ اليمن ذات اهتمام للسعودية وجزء من أمنها القومي, وفي المقابل كانت اليمن دائماً ما تنظر للسعودية الداعم للاضطرابات والتدخل في شؤونها الداخلية, وهذا ما نتجَ عنهُ تذبذب بالعلاقات وتوقف المفاوضات بينهما في بعض الفترات, إلى إنْ تمَّ التوصل إلى الاتفاق النهائي في اتفاقية جدة 12 حزيران 2000م.

ثانياً: دور عبدالكريم الإرْيانيّ في مفاوضات جزر حنيش.

تقع جزيرة حنيش الكبرى على دائرة عرض (44,13) شمالاً, وخطوط الطول (44,32)شرقاً, ذات مساحة تبلغ حوالي (90)كم2, وتبتعد عن الساحل اليمني حوالي (28) كم, وتبعد عن الساحل الإرتيري (32) كم, ويبلغ أرتفاعها (1320) قدماً عن سطح البحر, وتطلُ على مدخل البحر الأحمر وهي خالية من السكان, تحيط بها شعاب مرجانية من جميع الجوانب وعُرفت هذه الشعاب بإعاقة حركة الملاحة البحرية حولها[42], ويوجد فيها أسماك كثيرة لاسيما أسماك الزينة وأسماك القرش, وتميّزت بكونها قادرة على مراقبة الحركة الملاحية للسفن التي تمر في المنطقة, فضلاً عن إنَّ الجزيرة تحتوي على مخزون نفطي كبير[43].

سعت اليمن لترسيم حدودها البحرية مع إريتيريا بعد حصول الأخير على استقلالها من أثيوبيا في 3 أيار1993م إذْ بدأ وزير الخارجية اليمني مروان عبدالله عبدالوهاب نعمان[44] بمفاتحة الجانب الإرتيري لترسيم الحدود البحرية بين البلدين لكنَ الجانب الإرتيري أجّلَ المباحثات لما بعد الاستفتاء بالاستقلال عن أثيوبيا رسمياً وهذا ما حصلَ في نيسان 1993م[45],وبعد إقرار مجلس الوزراء اليمني في آذار 1995م بعرض الجزر اليمنية للاستثمار السياحي, أبدت أرتيريا الحديثة النشوء أطماعها التي لم تؤشر الجزيرة في الخرائط الرسمية بعد استقلالها[46].

الجُدير بالذكرِ إنَّ الجزر بين اليمن وأرتيريا لم تكن ذات أهمية للجانبين, لأسباب منها انشغالهم بالحروب والصراعات الداخلية ومحاولة كل من البلدين تثبيت النظام السياسي واستقرارهُ, فضلا عن الإمكانيات الاقتصادية الضعيفة لكِلا البلدين لعدم التمكن من استثمار الجزر, فقد كانَ لاكتشاف النفط والغاز لهُ الأثر في تأجيج الخلاف بينهما[47].

على الرغم من عقد عدة اتفاقيات بين اليمن وأرتيريا بعد استقلالها عن أثيوبيا, وبروزها على الساحة الدولية وعضويتها في الأمم المتحدة, ومنها الاتفاقية الموقعة في 10 تشرين الثاني 1993م, ركزت على الجانب الأمني والتعاون العسكري ولم تتم الإشارة إلى تلك الجزر[48].

بعدها أخذت اليمن تفكر في استثمار الجزر سياحياً وقرّرَ مجلس الوزراء في آذار 1995م بفتح الجزر للاستثمار السياحي, عندما أعلنت الحكومة اليمنية عرض الجزر للاستثمار ولم يعترض الجانب الإرتيري, وقدّمَ مستثمر يمني ومعهُ شريك ألماني يطلب ترخيص بإقامة مشروع سياحي متخصص بالغوص العميق في جزيرة حنيش الكبرى, وصدرت الرخصة للمشروع في 15 تموز 1995م, وبدأت الأعمال التنفيذية في شهر آب من العام نفسه[49], كما وأرسلت اليمن الغواصين من البحرية العسكرية للمساعدة في

الإرشادات السياحية, وقد فوجئ العاملون في 3 تشرين الثاني بقدوم عدد من الجنود الإرتيريين وعلموا ماهية العمل في الجزيرة وذهبوا, ثمَّ عادو في 11تشرين الثاني نفس العام وسلّموا رسالة إلى الحراس بأنّ الجزيرة ضمن الحدود الإرتيرية وطلبوا منهم مغادرتها[50], نتيجة لذلك احتجت صنعاء على ذلك العمل وأبلغت السفير الإرتيري بذلك[51].

الواقع إنَّ أرتيريا بذلك التصرف قد ابتعدت عن السياقات الرسمية التي يجب أنّ تتبعها, في ظل وجود سفارتين لكِلا البلدين وتتكفل بتقديم الاحتجاج, وهذا أوضحَ إنَّ النية مبيّته بالابتعاد عن التخاطب الرسمي, وبالرغم من المضايقات الإرتيرية على أرض الجزيرة إلا إنَّ التحرك السياسي بقي مستمر بين البلدين إذْ قامَ وزير الداخلية الإرتيري بزيارة صنعاء في 15 تشرين الثاني 1995م وقدّمَ رسالة إلى الرئيس علي عبدالله صالح, مضمونها مطالب إرتيرية بخصوص الصيد في المياه الإقليمية لجزر حنيش, لأن القوات اليمنية المرابطة تمنع الصيادين الإرتيريين من الصيد, كما طلبَ مغادرة القوات اليمنية من الجزيرة وإيقاف الأعمال فيها, وقد رفضت اليمن ذلك فقدَ صرّحَ وزير الخارجية عبدالكريم الإرْيانيّ ((إنَّ اليمن لا تمانع من الصيد في المناطق المشتركة لكِلا البلدين, وتحترم هذه الأعراف والتقاليد لكنها تعارض الصيد التجاري))[52].

حاولَ الجانبان حل الأمور بالطرق السلمية بسبب تصاعد التوتر, وعليه بدأت جولة مباحثات في صنعاء 22تشرين الثاني 1995م, بين وزير الخارجية عبدالكريم الإرْيانيّ ونظيرهُ الإرتيري بطرس سلمون وتمَّ عرض وجهات النظر الخاصة لكل جانب[53], واتفقوا على ترسيم الحدود بالكامل في إطار المفاوضات الثنائية في مدة تتراوح ستة أشهر إلى سنة, وأتفقَ الطرفان على عقد لقاء في أسمرة عاصمة أرتيريا في 7 كانون الأول 1995م, في محاولة للوصول الى حلول ثنائية بعيداً عن التدويل[54].

ألتقى عبدالكريم الإرْيانيّ والوفد المرافق لهُ مع الجانب الإرتيري من جديد في أسمرة بالموعد المحدد, وطالبت أرتيريا بذلك الاجتماع بأرخبيل حنيش كاملاً, وبعد مناقشات طويلة طلبَ الجانب الإرتيري اللجوء إلى محكمة العدل الدولية لحل الخلاف, بعد أنّ أستنفذ الطرفان كل الوسائل السلمية الممكنة[55].

أقدمْت أرتيريا في 15 كانون الأول 1995م على القيام بعمليات عسكرية مفاجئة لغزو الجزيرة[56], واندلعت الاشتباكات التي استمرت يومين, بعد ذلك توصل الطرفان في 18 من الشهر نفسه إلى وقف إطلاق النار بينهم بعد أنّ تمكنت أرتيريا من السيطرة على الجزيرة لقلة القوات العسكرية اليمنية التي كانت متواجدة في الجزيرة,, وفي الوقت ذاتهِ أبدت اليمن عن طريق وزير الخارجية استعدادها لحل الخلاف بالطرق السلمية[57].

وفي السياق ذاتهِ أكّدَ عبدالكريم الإرْيانيّ إنَّ ممارسة اليمن لحقها الطبيعي في الجزيرة لا يشكل استفزازاً لدولة أرتيريا الحديثة, ولم يسبق لها حدوث نزاع مع الحكومة الأثيوبية التي كانت أرتيريا جزء من أراضيها, وإنَّ أرتيريا لم تتعود بعد على البروتوكولات الدولية والدليل أسلوبهم العدائي الهجومي[58], وأعتبرَ الإرْيانيّ إنَّ تصرف أرتيريا هو بمثابة نكران للجميل إذْ نكرت الدعم والمساندة السياسية والمالية الذي قدّمتهُ الجمهورية اليمن للثورة الإرتيرية لخمسة وعشرين سنة, وإنَّ اليمن أول من أعترفَ بالحكومة الإرتيرية بعد الاستقلال بعد إنّ قدّمَ الدعم العسكري والأسلحة للثوار وكانت الجمهورية اليمنية أول من رفعَ العلم في أرتيريا وإرسال التمثيل الدبلوماسي[59].

فضلاً عن ذلك فقد أكّدَ الإرْيانيّ ((بإنَّ الوجود اليمني في الجزيرة قديم ويعود إلى عهد هيلا سيلا سي[60] ومنجستو[61])).

الجُدير بالذكرِ إنَّ الأمم المتحدة كانت تتابع الصراع وقد ألتقى الأمين العام بطرس غالي بممثل اليمن عبدالله الأشطل في 20 كانون الأول 1995م الذي ذَكَرَ إنَّ حكومة صنعاء ترحب بأي مساعي من الأمين العام تهدف إلى التسوية[62].

ثم تدخلت أثيوبيا في وساطة بين الجانبين بقدوم وزير خارجيتها سيوم مسيفنSium Musayfin[63], إلى العاصمة اليمنية صنعاء في 21 كانون الأول 1995م بعد احتلال الجزيرة بأيام قليلة, وسلّمَ رسالة للرئيس اليمني علي عبدالله صالح من رئيس أثيوبيا ميليس زيناوي Milis Zaynawi[64] وقد تضمّنت إيجاد حل سلمي للأزمة بين اليمن وأرتيريا, وقبلت صنعاء بالمبادرة الأثيوبية من حيثُ المبدأ واشترطت

إخلاء الجزيرة من القوات الإرتيرية, وفي لقاء رئيس أثيوبيا مع الرئيس الإرتيري عرضت أرتيريا تشكيل هيئة مراقبة دولية تُشارك فيها الولايات المتحدة وفرنسا وأثيوبيا ومصر, لإنشاء جهاز دولي مُحايد يعمل على مراقبة الوضع في الجزيرة وانسحاب الجانبين لحين ثبوت عائدتها, رفضَ الرئيس اليمني الاقتراح الأثيوبي بالانسحاب المتزامن من أرخبيل حنيش, إلى إنَّ وصلت الوساطة إلى طريق مسدود وتمَّ رفضها لأنَّ اليمن ترى فيها تحقيقاً لأطماع أرتيريا خاصة بعد المطالبة بإخلاء باقي الجزر في الأرخبيل مثل جزيرة زقر[65].

وعلى الرغم من فشل تلك الوساطة لكن هذا لا يعني توقف المباحثات بين الجانبين للتوصل إلى حل, إذْ أنعُقِدَ اجتماع جديد في أسمرة جمعَ عبدالكريم الإرْيانيّ وزير الخارجية اليمني ونظيرهُ الإرتيري بطرس سلمون في 7 كانون الثاني 1996م, وطرحت أرتيريا مطالبها من جديد بهذا الاجتماع بأحقيتها بجزر حنيش كاملة, كما أبدى الإرْيانيّ رفضهُ المطالب الإرتيرية, إلا أنّهُ كان يؤيد الاستمرار بالمفاوضات بين البلدين للتوصل إلى حل نهائي, وحدّدَ موعداً آخراً لإجراء المفاوضات في شباط 1996م[66].

استعرضَ عبدالكريم الإرْيانيّ في مؤتمر صحفي 10 كانون الثاني 1996م, حضرهُ أكثر من مائة صحفي كانوا مشاركين في الندوة الإقليمية المنعقدة في صنعاء, للتعريف بطبيعة الاعتداء الإرتيري على جزيرة حنيش, إذْ أوضحَ خلال ذلك المؤتمر الجذور التاريخية للتواجد اليمني في جزيرة حنيش وأكَّدَ الإرْيانيّ ((بتمسك اليمن في حل النزاع بالطرق السلمية والصحيحة في إطار اتفاقية قانون البحار وحقوق الملاحة, بالرغم من إنَّ أرتيريا قد رفضت كل السُبل التي تؤدي إلى الحلول السلمية)), وأشارَ إلى موقف الولايات المتحدة الأمريكية بوقوفها على الحياد, مضيفاً ((إنَّ جميع الخرائط الأمريكية التي صدرت بعد الحرب العالمية الثانية حتى 1991م نهاية الحرب الباردة, تضع هذه جزر الارخبيل حنيش وغيرها من الجزر في إطار السيادة للجمهورية اليمنية, وجميع الكتب والمطبوعات تؤكد إنّها يمنية))[67].

وقالَ عبدالكريم الإرْيانيّ ((إنَّ القيادة السياسية والحكومة تعتز بموقف الشارع اليمني الغاضب والرافض للاحتلال, مؤكداً بأنَّ الاحتلال لا يؤثر على السير في طريق برنامج الإصلاح)) وذَكَرَ ايضاً ((إنَّ المسؤولين الإرتيريين لم يكونوا قابلين بالوساطة الأثيوبية)) كما شَكَرَ هذه الوساطة لأنها وضعت الجميع على مقربة كبيرة من الاتفاق على الالتزام بالعهود والمواثيق الدولية والقانون الدولي, واتفاقيات الأمم المتحدة لقانون البحار والتحكيم بعيداً عن التفكير العسكري[68].

إلى جانب ذلك أكّدَ عبدالكريم الإرْيانيّ قائلاً ((إنَّ اليمن لا تملك حاليا قوة عسكرية بحرية لازمة للرد على أرتيريا في الجزيرة, وإنَّ المسؤولين اليمنيين يرون الحل العسكري غير ممكن, ويجب اللجوء إلى صيغة المفاوضات والتحكيم على أساس قانون البحار والقانون الدولي))[69].

وبعد فشل الوساطة الأثيوبية, حاولت جمهورية مصر العربية بالتوسط بين الجانبين لإيقاف أي تطور عسكري إذْ قامَ وزير الخارجية المصري عمرو موسى[70] بزيارة صنعاء في 16كانون الثاني1996م, وسلّمَ الرئيس اليمني رسالة خطية من الرئيس المصري حسني مبارك[71] أكَّدَ فيها سعي مصر للوساطة بين الطرفين وإعادة أمن واستقرار البحر الاحمر[72].

رفضت أرتيريا المقترحات المصرية للوساطة وكذلك اليمن, كما رفضَ عبد الكريم الإرْيانيّ عقد اجتماع قمة مع أرتيريا لمناقشة النزاع حول الحدود البحرية قبل أنّ يتوصلوا إلى اتفاق تمهيدي بأخلاء الجزيرة من القوات الإرتيرية ونفى الإرْيانيّ تصريحات الصحف المصرية بعد لقائهُ بالرئيس حسني مبارك ووزير الخارجية عمر موسى في 20 كانون الثاني 1996م أنّ يكون هناك أي موعد قد حدّدَ لانعقاد مثل تلك القمة, ولا يوجد اتفاق نهائي لعقدها, وفي تلك الأثناء كان هناك تحركاً اوروبياً إذْ تسلّمَ الرئيسان اليمني والإرتيري رسالة من الرئيس الفرنسي جاك شيراك في 16كانون الثاني 1996م, موضحا فيها الاستعداد الفرنسي للوساطة بين الجانبين وطرحت مقترحات منها, عدم استخدام القوة وتوسيع دائرة النزاع, والاتفاق على إحالة الصراع إلى التحكيم الدولي[73].

وقد أكَّدَ الإرْيانيّ في الوقت ذاتهِ أنَّ ((الأفضل أنّ تأخذ الوساطة الفرنسية مجراها وأنّ تكون أي لقاءات أخرى في إطار اتفاق مبدئي)) [74],وأردف قائلاً ((إنَّ بلادنا اليمن وافقت على الاقتراح الفرنسي لإنهاء

النزاع وإنَّ الصيغة الفرنسية أصبحت مقبولة في اليمن))، وأكَّدَ الإرْيانيّ رفضهُ لعقد القمة إلا بعد توصل الطرفان لاتفاق تمهيدي[75].

وبعد عدة محاولات وجولات متكررة للوسيط الفرنسي بين طرفي النزاع, استطاعَ أنّ يجعلهم يقبلون بقرارات محكمة التحكيم دون تحفظ, فتمَّ التوقيع على (اتفاق المبادئ)[76] في 21أيار 1996م في باريس[77], الذي نصُّ على (عدم استخدام القوة وتوسيع دائرة النزاع, والاتفاق على إحالة الصراع إلى التحكيم الدولي, وتشكيل هيئة التحكيم), والتزام حكومة دولة أرتيريا والجمهورية اليمنية في حفظ السلام والأمن الدوليين, وقد وقعَ الاتفاق بحضور كل من وزير الخارجية اليمني عبدالكريم الإرْيانيّ ونظيرهُ الإرتيري بطرس سلمون, و هارفر دو شارت(Hirfih du sharit)وزير الخارجية الفرنسي, وسيوم مسفين Sium Musayfin وزير الخارجية الأثيوبي, وعمر موسى وزير الخارجية المصري (بصفة شهود) وكان لفرنسا الدور الإيجابي بسلسلة المشاورات التي أجرتها بين الطرفين, ونصَّ الاتفاق على (أنَّ يتخلى الطرفان عن اللجوء إلى القوة, و يقر الجانبان إنشاء محكمة لتحكم بالأمر, ويلتزم الطرفان باحترام قرارات المحكمة, وتتألف محكمة التحكيم من خمسة حكام يختار كل طرف أثنين ويختار الحكام الأربعة الحكم الخامس)[78].

وممّا يجدر ذكرهُ وإثناء المفاوضات قامت القوات الإرتيرية باحتلال جزيرة حنيش الصغرى في 10 آب 1996م, دون الالتزام بالمبادئ التي وقعت عليها في اتفاق مبدأ التحكيم, وسارعت الحكومة اليمنية عن طريق وزير الخارجية عبدالكريم الإرْيانيّ بأرسال مذكرة احتجاج إلى دولة أرتيريا في 12 آب, كما أبلغَ الحكومة الفرنسية كونها الطرف الوسيط بالإضافة إلى الأمين العام للجامعة العربية بالاحتلال الإرتيري الجديد, كذلك أبلغَ الإرْيانيّ وزير الخارجية الأثيوبي شفهياً عن الانتهاك الذي قامت به أرتيريا لاتفاقية المبادئ, كذلك بعثَ الإرْيانيّ برسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة في 14 آب 1996م, يعلمهُ بآخر التطورات مرفقاً أتفاق فرنسا المكلّفة بمراقبة الأوضاع[79], وبعد الضغط الدولي من قبل مجلس الأمن وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية, اضطرت أرتيريا إلى الخروج من الجزيرة في 28 آب 1996م, وعادت المفاوضات بين الطرفين[80].

وعلى الرغم من مطالبة عبدالكريم الإرْيانيّ بأنّ يعود الوضع إلى ما قبل احتلال أرتيريا للجزيرة, قبل أي وساطة والدخول في حوار مع أرتيريا, والموافقة على الذهاب إلى التحكيم مع إنَّ النزاع محصور في جزيرة حنيش فقط, لكن الجانب الإرتيري أصرَّ أنْ يكون التفاوض يشمل جزيرة زقر أيضاً[81].

كُلّفت الحكومة اليمنية لجنة برئاسة عبدالكريم الإرْيانيّ, لإعداد تصور لمنطقة النزاع, ولِكي تتولى مسألة التفاوض الدولي سواء في الأمم المتحدة أو في هيئة التحكيم الدولي[82] , قدّمَ عبدالكريم الإرْيانيّ أمام هيئة التحكيم مجموعة كبيرة من الخرائط, تعود إلى القرن الثامن عشر وحتى بداية الصراع, حيثُ عرضَ (650)خريطة كانت بحوزة اليمن بالإضافة إلى (80) خريطة في المذكرات الأولى, فضلاً عن (20) خريطة في مذكرة الردّ, كما قدّمت خرائط أخرى إثناء التحكيم[83], من جانب آخر عرضَ الإرْيانيّ خرائط أخرى إيطالية [84]حكومية تثبت إنَّ إيطاليا لم تكن تعد نفسها رسمياً صاحبة سيادة على الجزر في المدة بين الحربين العالميتين[85].

وفي السياق نفسهُ عرضَ الإرْيانيّ مجموعة خرائط أخرى تعود إلى العام 1995م, تُثبت إنَّ الأمم المتحدة اعتبرت الجزر جزءاً من اليمن[86], وفي غضون ذلك وجهّتْ السعودية سفيرها في هولندا لإرسال رسالة إلى سكرتارية هيئة التحكيم في قضية جزر حنيش, بأنّ لا يتجاوز حكم المحكمة أقصى نقطة شمالية على جزيرة جبل الطير, إلا إنَّ المحكمة تجاهلت الرسالة ولم تهتم للتحرك السعودي الذي كان يهدف إلى إضعاف الموقف اليمني قبل أنّ يصبح مؤثراً في شبه الجزيرة العربية[87].

تشكلّت هيئة المحكمة من أعضاء لجنة التحكيم الخمس, فقد أختارَ اليمن الدكتور صادق القشيري مصري الجنسية والسيد كيبات هايت kibat hayt أمريكي الجنسية, كما عُينت أرتيريا ستيفن شوبت Stifin shuybit أمريكي الجنسية والذي أصبحَ رئيساً لمحكمة العدل الدولي في فترة التحكيم, والسيدة روزلين هنيفر Ruzlin hinifar بريطانية الجنسية, وأتفقَ الحكام أنّ يرأس المحكمة روبرت جنيفر Rubirt Jininfarبريطاني الجنسية, وهو رئيس سابق لمحكمة العدل الدولية[88].

وبعد إطلاع الهيئة الدولية للتحكيم على الوثائق والخرائط المقدمة من قبل اليمن, صدرَ حكمها الذي أكَّدَ بأنَّ الجزر والصخور والنتوءات التي تشكل مجموعة جز, منها زقر وحنيش وجزيرة الزاوية الخارجية وصخرة كور وجزر حنيش الكبرى وغيرها من الجزر المحاذية, بمّا فيها الجزر التي لم ترد تسميتها الواقعة شمال وجنوب وشرق الجزيرة, بالإضافة إلى جزيرة اللسان وجزيرة اللخم والعلياء وجزر أبو علي وجزيرة بايل والكومة جميعها تابعة للسيادة اليمنية[89], ونتيجةٌ لذلك عمّت الاحتفالات في المدن اليمنية بعد عودة الجزر لها, وصَرّحَ عبدالكريم الإرْيانيّ قائلاً ((إنَّ اليمن وأريتريا قد استخدمتا التكتيك في توسيع عناصر النزاع, لغرض كسب الحكم إلا أنّهُ في النهاية استعادت اليمن مجموعة الجزر (زقرة وحنيش) وهو أصل النزاع, بالإضافة إلى حصول حكم دولي بسيادة اليمن على الجزر الأخرى))[90].

يتضحُ ممّا سبقَ نجاح عبدالكريم الإرْيانيّ في عدم الانجرار وراء الاستفزازات الإرتيرية والردّ العسكري, جعلَ منهُ المفاوض الهادئ الذي أجبر خصومه ولجنة التحكيم بالاقتناع بالأدلة التي قدّمها وكمية الوثائق والخرائط التي تؤكّد عائديه الجزر إلى السيادة اليمنية, وقد راهنَ على التحكيم مقابل خيارات الحرب وبالنتيجة كسب النزاع لصالح اليمن.

الخاتمة

1- تبين من خلال البحث ان جهود وزارة الخارجية كانت استثنائية بالرغم من حجم التضييق الحاصل من الدول الخليجية بعد موقف العراق من الغزو العراقي للكويت, ونتيجة لذلك تأثرت المباحثات مع السعودية وحاولت عدم حسم الخلاف لكي تحصل على تنازلات من الجانب اليمني, الا ان المفاوض اليمني اثبت تصديه لكافة اشكال الضغط من اجل تمرير بعض المطالب السعودية.

2- اتضح من خلال البحث ان النزاع الحاصل حول جزر حنيش بين اليمن وارتيريا ان وزارة الخارجية عملت جهد لأثبات عائديه الجزيرة وملحقاتها, اذ قدم عبدالكريم الارياني الوثائق والخرائط التي تثبت ان الجزيرة من ضمن الحدود اليمنية, وكسب الحكم في المحكمة الدولية لاهاي عام 1998م.

3- كما ساهم الارياني من خلال موقعه كرئيس للوزراء في الجمهورية اليمنية ان ينهي الخلاف الحدودي بين اليمن والسعودية في اتفاقية جدة عام 2000م, وبذلك انتهت الازمة بين البلدين فيما يخص الحدود نهائياً.

الهوامش

(1) - فضل عبدالغني احمد المعاين, اليمن والامن القومي العربي (دراسة في الجغرافية السياسية) رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية, المستنصرية, 2004م, ص215.

(2) - نعمة إسماعيل جاسم العيساوي, موقف المملكة العربية السعودية من التطورات السياسية الداخلية في شطري اليمن 1970-1994م, أطروحة دكتوراه غير منشورة, كلية الآداب, جامعة الانبار 2018م, ص309- 311.

(3)- جزيرة سقطرى :تقع في جنوب اليمن على المحيط الهندي قبالة سواحل القرن الافريقي وتبعد عن شبه الجزيرة العربية350كم , اجواءها لطيفة يكثر فيها الموز وقصب السكر والنارجيل والرمان والعنب والنخيل, ويكثر فيها السمك وسماها الروم (الجزيرة المحروسة بارض العرب), للمزيد على الرابط: Acsist it 23/10/2022 https://al-maktaba.org.

(4) - فيان احمد محمد, القوى الإقليمية المؤثرة بأمن واستقرار اليمن 1990-2015م السعودية انموذجاً, مجلة الاداب , تربية بنات , بغداد, عدد(116) في 2016م , ص466.

(5) - فامي عبدالواحد العريقي , الاثار السياسية والاقتصادية والأمنية التي تترتب على انضمام اليمن الى مجلس التعاون الخليجي, رسالة ماجستير غير منشورة , كلية العلوم السياسية, جامعة دمشق, 2011م, ص65.

(2)- فهد بن عبدالله مقرن الوايلي, دور المملكة العربية السعودية في امن منطقة الخليج العربي : اليمن نموذجاً 200-2014م, رسالة ماجستير , كلية الدراسات العليا, الجامعة الأردنية, الأردن , 2015م, ص43-44.

(7) - المصدر نفسه, ص66.

(8) - ناصر محمد ناصر, الازمة السياسية اليمنية 1990-1994م, دار التقدم العلمي, صنعاء 2010, ص207.

(9) - ناصر محمد ناصر, المصدر السابق, ص 208.

(10) - فضل عبدالغني احمد المعاين, المصدر السابق, ص216-218.

(11) - فاروق الشرع: ولد في مدينة درعا الواقعة في جنوب سوريا بالقرب من الحدود الأردنية عام 1938م, درس في مدرسة المتنبي في درعا, عينه الرئيس حافظ الأسد سفيرا في روما عام 1976م ثم عمل في وزارة الدولة للشؤون الخارجية عام

1980م, واصبح وزير خارجية سوريا من 1984-2006م, وشغل منصب نائب رئيس الجمهورية عام 2006م, للمزيد: انس ازرق, (عرب48) مذكرات فاروق الشرع في الرواية المفقودة, في 30 كانون الثاني 2015م, للمزيد : مذكرات فاروق الشرع, الرواية المفقودة, المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات , 2015م ؛ رؤى وحيد عبدالحسين السعداوي, فاروق الشرع ودوره السياسي في سوريا(1938-1992م), مجلة ادأب ذي قار, 2020م, ص10.

(12) - محمد احمد العشملي, التاريخ السياسي للدولة اليمنية الحديثة من الشتات والانفلاق الى الوحدة والاتفاق 1838- 2001م, مكتبة مدبولي, القاهرة, 2002م, ص225.

(13)- UN ARCHIVES SERIES, SECRETARY-GENERAL MEETS WITH YYEMEN S DEPUTY MINISTER TO DISCUSS BILATERAL RELATIONS WITH UN, RECENT DEVELOPMNTS IN REGION, SERIES s-1086/80/6, 18 JAU 1995- 20 DWC 1995.

(14) - محمد علي الشهاري, رسائلي الى الشهيد إبراهيم الحمدي والقضية اليمنية, المكتبة التاريخية , دار الفارابي, بيروت , 1983م, ص258.

(15) - حسن أبو طالب, الوحدة اليمنية, دراسة في عوامل التحول من التشطير الى الوحدة, مركز دراسات الوحدة العربية, 1994م, ص186.

(16) - مركز دراسات الوحدة العربية, يوميات ووثائق الوحدة العربية 1995م, القدس العربي 8 حزيران 1995م, ص503.

(17) - عبدالله بن حسين الأحمر: ولد في بلدة حبور عام 1933م تسلم مناصب عدة من عام 1962م ويعد من ابرز مؤسسي حزب المؤتمر الشعبي العام كما عمل على تأسيس حزب التجمع اليمني للإصلاح ونجح في توقيع مذكرة التفاهم 1995م التي فتحت الطريق امام عودة العلاقات الطبيعية بين اليمن والسعودية, توفي في 28 كانون الأول 2007م, ينظر: مركز دراسات الوحدة العربية, يوميات ووثائق الوحدة العربية 1995م, ص664.

(18) – المصدر نفسه , ص665.

(19) - سلطان بن عبدالعزيز: ولد في عام 1928م وعينه والده الملك عبدالعزيز عام 1947م اميرا لمدينة الرياض, واصبح وزيرا للزراعة عند تشكيل اول مجلس وزراء في المملكة عام 1953م, ووزيرا للمواصلات عام 1955م ووزيرا للدفاع والطيران عام 1962م حتى توفي في 22 تشرين الأول 2011م, للمزيد ينظر: وائل ناصر حسين الإسماعيلي, سعود الفيصل ودوره في السياسة الخارجية السعودية حتى عام 1989م, رسالة ماجستير, كلية الآداب, جامعة ذي قار, 2018م, ص118.

(20) - صحيفة الحياة, لندن, العدد (12281) في 10 تشرين الأول 1996م.

(21) – المصدر نفسه.

(22) - مروة شهيد فرج الخزعلي, السياسة الخارجية السعودية في ضل وزارة الأمير سعود الفيصل 1990- 2003م, رسالة ماجستير, كلية التربية للعلوم الإنسانية, جامعة ذي قار 2018م, ص125.

(23) - صحيفة الحياة, لندن, العدد(12287) في 16 تشرين الأول 1996م.

(24) - نايف بن عبدالعزيز ال سعود, المولود في الطائف عام 1934م وشغل منصب وزير الداخلية عام 1975م والنائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء منذ عام 2009م وعين في عام 2011م وليا للعهد ونائبا لرئيس مجلس الوزراء بالإضافة الى وزارة الداخلية وتوفي 16 حزيران 2012م, للمزيد ينظر: وائل ناصر حسين الإسماعيلي, المصدر السابق, ص150.

(25) - صحيفة الحياة, لندن, العدد(12313) في 11 تشرين الثاني 1996م.

(26) - صحيفة البلاغ, العدد(220) في 18 اذار 1997م.

(27) - صحيفة القدس العربي, العدد(2504) في 28 أيار 1997م.

(28) - أسامة بن لادن: المولود في 30 تموز 1957م في السعودية لاب ثري وهو محمد بن لادن وكان ذا علاقة قوية بعائلة ال سعود الحاكمة ودرس في جامعة الملك عبدالعزيز في جدة وتخرج في بكالوريوس الاقتصاد عام 1979م, وفي عام 1984م أسس بن لادن منظمة سميت مركز الخدمات وقاعدة للتدريب على فنون الحرب والعمليات المسلحة لدعم وتمويل المجاهدين في أفغانستان وقتل في 2 أيار 2011م, للمزيد ينظر: إيهاب كمال, العلاقات الخفية بين امريكا والدول العربية, الحرية للنشر والتوزيع, القاهرة 2006م, ص45-49.

(29) - صحيفة القدس العربي, العدد(2504) في 28 أيار 1997م.

(30) - صحيفة الحياة , لندن, العدد (12692) في 30 تشرين الثاني 1997م.

(31) - صحيفة الحياة, لندن, العدد (12693)في 1 كانون الاول 1997م.

(32) - صحيفة الطريق, صنعاء, العدد (78) في 21 تموز 1998م.

(33) - جزيرة الدويمة : هي جزيرة ضمن حدود محافظة حجة, وبعض أجزاء منها تابعة للسعودية الا ان اليمن استعادتها كليا من السعودية بموجب اتفاقية الحدود في جدة عام 2000م, للمزيد ينظر: مروة شهيد فرج الخزعلي, المصدر السابق, ص125.

(34) - سعود الفيصل: ولد في الطائف عام 1940م اكمل دراسته الابتدائية في والثانوية في مدرسة الامراء التي أسسها والدة نهاية الاربعينات, وهو دبلوماسي سعودي ابن الملك فيصل بن عبدالعزيز, حصل على شهادة البكالوريوس في الاقتصاد من جامعة برنستون الأميركية عام 1963م, وتولى مناصب متعددة وفي عام 1971م عين وكيل وزير البترول ثم اصبح وزيرا للخارجية منذ عام 1975-2015م, وتوفي في 9 تموز 2015م, للمزيد ينظر: مرتضى خلف حسين السهلاني, فؤاد بطرس ودوره السياسي في لبنان 1917-1982م, رسالة ماجستير, كلية التربية للعلوم الإنسانية, جامعة ذي قار, 2018م, ص133؛ فهد بن حسن دماس, سعود الفيصل حكاية مجد, ط1, الانتشار العربي للطبع والتوزيع, الرياض 2016م, ص17.

(35) – على احمد عمر العبسي , علاقة اليمن بالمنظمات الدولية الإقليمية , دراسة لنمو1ذج جامعة الدول العربية 1990-2000م, رسالة ماجستير , كلية العلوم السياسية , جامعة بغداد , 2002م, ص183؛ فهد بن حسن دماس ,المصدر نفسه, ص126.

(36) – الحسن بن طلال: ولد في 20 اذار 1947م وهو احد افراد العائلة الهاشمية الحاكمة في الأردن وشقيق الملك حسين بن طلال, شغل منصب ولي عهد الأردن من عام 1965-1999م, حصل على البكالوريوس في الدراسات الشرقية ثم الماجستير, للمزيد ينظر: الحسن بن طلال, ان تكون مسلماً, دار وود الأردنية للنشر والتوزيع, 2010م.

(37) - صحيفة الشرق الأوسط, العدد (7273) في 27 تشرين الأول 1998م.

(38) - مجلة سوراقيا, السعودية, العدد(878) السنة17, في 26 حزيران2000م, ص8.

(39) - حسن عبد محمد القحطاني, تصور استراتيجي لمستقبل العلاقات السعودية اليمنية, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية العلوم الاستراتيجية, قسم الدراسات الإقليمية والدولية, جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية, الرياض 2014م, ص56.

(40) - داود سلمان عبد علو, العلاقات السعودية- اليمنية (1990-2000), رسالة ماجستير غير منشورة, الجامعة المستنصرية, المعهد العالي للدراسات السياحية والدولية, قسم الدراسات الدولية, 2006م, ص107.

(41) - المصدر نفسه, ص126.

(42) - محمد حسين الزبيد, الكيان الصهيوني في البحر الأحمر ومضيق باب المندب, مجلة الخليج العربي, مركز دراسات الخليج العربي, جامعة البصرة, العدد(9)1978م, ص14.

(43) - شهاب محسن عباس, الجزر اليمنية, مركز عبادي للدراسات والنشر, صنعاء,1996م, ص49.

(44) – مروان عبدالله عبدالوهاب نعمان: ولد في 1950م وتلقى تعليمة الأساسي في عدن, اكمل دراسته الثانوية في القاهرة 1969م, وحصل على شهادة القانون من جامعة القاهرة عام 1973م, وحصل على شهادة الدبلوم في الدبلوماسية من جامعة أكسفورد عام 1983م, وشغل مناصب عديدة منها, سكرتير اول مستشار لدى الوفد الدائم للأمم المتحدة (1983-1985م), واصبح سفيرا لدى اثيوبيا عام 2002م, وبعدها سفيرا لدى الصين الشعبية, وله العديد من المقالات في الصحف السياسية والقانونية منها دور الوثائق في الصراع اليمني –الارتيري, ينظر: ورود ماجد كاظم التميمي, المواقف الإقليمية والدولية من الصراع اليمني – الارتيري على جزر حنيش 1995-1998م, رسالة ماجستير كلية الآداب, الجامعة المستنصرية 2021م, ص45.

(45) - شهاب محسن عباس, المصدر السابق, ص45.

(46) - المصدر نفسه, ص8.

(47) - خالد حماد احمد عياد, أهمية جزر البحر الأحمر في الامن القومي العربي (جزيرة حنيش الكبرى وتيران وصنافير) 1956- 2017م, أطروحة دكتوراه, جامعة مؤتة, كلية الدراسات العليا, العلوم السياسية, 2017م , ص150.

(48) - احمد عبدالرحيم ناصر النعيمي, اليمن وشرق افريقيا, في ضوء العلاقات اليمنية – الارتيرية, المركز العربي للدراسات الاستراتيجية, دمشق, العدد (38) اذار 2006م, ص43.

(49) - مجلة الثوابت, العدد (22) في تشرين الأول 2000م, ص8- 9.

(50) - شروق عمر الجخلب, التحكيم الدولي واثره في التسوية السلمية للمنازعات (دراستان تطبيقيتان على قضيتي طابا وحنيش) رسالة ماجستير, غير منشورة, جامعة مؤته, الأردن 2012م, ص79.

(51) - خالد حماد احمد عياد, المصدر السابق, ص151.

(52) - شروق عمر الجخلب, السياسة الامريكية تجاه الجمهورية العربية اليمنية 1967- 1979م, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية جامعة البصرة, 2017م, ص89

(53) - عبدالكريم الارياني واخرون, تجربة الجمهورية اليمنية في حل النزاع على جزر جنوب البحر الأحمر مع ارتيريا, حل النزاعات العربية بالطرق السلمية, سلسة الحوارات العربية, منتدى الفكر العربي, عمان , 2001م, ص160

(54) - مجلة الثوابت, العدد (22) تشرين الأول 2000م, ص11.

(55) - عبدالكريم الارياني واخرون, المصدر السابق, ص161.

ARUND the world the Washington post(1974-current file),Dec 19,1995,prouest historical Newspapers ;the Washington post. pg.a27 [56]-

[56]- عبدالكريم الارياني, احتلال انتهى بحكم دولي (تجربة الجمهورية اليمنية في حل النزاع على الجزر جنوب البحر الأحمر مع دولة ارتيريا) ط3, مؤسسة الميثاق للطباعة والنشر, 2004م, ص13.

(57)- عبدالكريم الارياني, احتلال انتهى بحكم دولي المصدر, ص7.

[58] - السيد يسين, التقرير الاستراتيجي العربي 1995, مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام, ص141.

[59]- هيلاسي سيلا سي اسمه الأصلي تافاريماكونن, ولد عام 1892م وكان والدة الراس ماكونن قائدالجيش الاثيوبي, تمكن من خلع ليجاسو الذي عينة الامبراطور الاثيوبي وليا للعهد, ثم اصبح وليا للعهد للإمبراطورة زاديتوا, وبعد وفاتها توج امبراطورا على اثيوبيا في عام 1930م, قام بالعديد من الإصلاحات الداخلية لجعل اثيوبيا دولة عصرية, هرب من الإمبراطورية الاثيوبية بعد احتلال إيطاليا لها خلال المدة 1936- 1941م, وتمكن من العودة الى حكم اثيوبيا بعد مساعدة بريطانيا له, وبقي بالحكم حتى عام 1974م بعد الانقلاب العسكري الاثيوبي الذي قام به الامبراطور منجستو هيلا مريام, توفي عام 1976م للمزيد ينظر: اسعد باسم محمد العارضي, الامبراطور هيلاسي سيلا سي ودوره السياسي في اثيوبيا حتى عام 1974م, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية الأساسية, جامعة كربلاء 2020م.

[60]- منجستو هيلا مريام, ولد عام 1937م والتحق بالكلية العسكرية بعد اكمال الدراسة والتخرج عام 1974م واشترك في العام نفسة بانقلاب عسكري على حكم هيلاسي سيلا سي واصبح رئيسا للبلاد عام 1977م واتصف بالقسوة في تعامله مع معارضيه ولقب بالنجاشي الأحمر, انتهى حكمة عام 1991م بعد سيطرة زعيم جبهة التحرير زيناوي على السلطة في اثيوبيا, للمزيد ينظر: لطفي جعفر فرج, الرئيس الاثيوبي هيلا مريام, دراسة في الشخصية ودورها القيادي, معهد الدراسات الاسيوية والافريقية, بغداد 1984م, ص3-4.

[62]- UN ARCHIVES SERIES, SECRETARY-GENERAL DISCUSSIS WITH REPRESENTATIVE OF YEMEN PREPARATIONS FOR VISIT,SERIES s-1086/80/6, 18Jan 1995-20 DES 1995.

[63] - سيوم مسيفن ولد عام 1949م في إقليم التجراي في 25 كانون الثاني, واكمل تعليمه فيه ثم تخرج من جامعة اديس ابابا وانضم الى جبهة تحرير شعب التجراي وتولى مسؤولية الشؤون الخارجية في الجبهة الشعبية الثورية الديمقراطية في سنوات الثمانينات من القرن العشرين, وبعد التخلص من حكم منجستو تولى منصب وزير الخارجية الاثيوبية خلال المدة 1991-2010م, عين بعدها سفيرا في الصين, للمزيد ينظر: ورود ماجد كاظم التميمي, المصدر السابق, ص78.

[64] - ولد في 9 أيار 1955م في مدينة عدوة التابعة لإقليم الثغراي ودرس في مدرسة جنرال ودخل كلية الطب في جامعة هيلا سلاسي في اديس ابابا, وانضم بعدها الى جبهة التحرير لمقاومة حكم منجستو عام 1979م , وانتخب رئيسا لقيادة لجنة الجبهة عام 1983م وقائدا لجبهة التحرير واصبح رئيسا للحكومة الانتقالية عام 1991م ورئيسا للوزراء عام 1995م وبقي في منصبه حتي توفي في 2012م, للمزيد ينظر: ورود ماجد كاظم التميمي, المصدر السابق, ص76.

[65] - تقع جزيرة زقر بين تقاطع خطي طول (42-45) وخط عرض (14) شمالا, وتبلغ مساحتها (130)كم2 ويبلغ ارتفاعها (624) قدما على مستوى سطح البحر, وتبعد عن الساحل اليمني حوالي (18) كم وعن الساحل الارتيري (62)كم, وتتميز بأجزائها الساحلية الكثيرة المنبسطة ذات الشواطئ الرملية ويوجد فيها مرسى بحري يسمح لاستعمال الوحدات البحرية والسفن بأنواعها, وفيها ثروة سمكية كبيرة, للمزيد ينظر: شهاب محسن عباس, الجزر اليمنية, مركز عبادي للدراسات والنشر, صنعاء 1966م, ص45.

[66] - قائد محمد العنسي, التداخل السكاني واثرة في العلاقات اليمنية الحبشية 1900-2000م, دار الأمين, القاهرة 2004م, ص299.

[67] - صحيفة 26 سبتمبر, العدد (685) في 11 كانون الثاني 1996م .

[68] - صحيفة 26 سبتمبر, العدد (685) في 11 كانون الثاني 1996م.

[69] - مركز دراسات الوحدة العربية, يوميات ووثائق الوحدة العربية 1996م, صحيفة النهار, 10 كانون الثاني 1996م, ص30.

[70] - عمرو موسى سياسي مصري ولد عام 1936م في القاهرة ينتمي لعائلة سياسية تعود الى محافظتي القليوبية والغربية وكان والده محمود أبو زيد موسى نائبا عن حزب الوفد في مجلس الامة, وسلك عمرو موسى السياسة والتحق في كلية الحقوق وحصل على إجازة في الحقوق من جامعة القاهرة عام 1957م, كما التحق بالسلك الدبلوماسي بوزارة الخارجية المصرية عام 1958م, وعمل مديرا لإدارة الهيئات الدولي لوزارة الخارجية المصرية عام 1977م, ثم مندوبا دائما لمصر لدى الأمم المتحدة عام 1990م ثم وزيرا للخارجية عام 1991م, وامين عاما للجامعة العربية عام 2001 حتى عام 2011م, للمزيد ينظر: احمد قيس جاسم العبيدي, سياسة مصر الخارجية تجاه دول الجوار الإقليمي, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية ابن رشد, جامعة بغداد 2020م, ص87.

[71]- حسني مبارك ولد عام 1929م في القاهرة وتخرج من الكلية الحربية عام 1949م وتخرج من كلية الطيران عام 1952م, وعينه الرئيس المصري جمال عبدالناصر مديرا لكلية الطيران وفي عام 1969م تم تعيينه رئيس لأركان حرب القوات الجوية المصرية وبقي في المنصب حتى عام 1972م, وفي عهد الرئيس أنور السادات تم تعيينه قائد عام للقوات الجوية المصرية واستمر في منصبه حتى عام 1975م, وتم تعيينه نائب لرئيس الجمهورية وبعد اغتيال السادات عام 1981م تقلد مبارك رئاسة الجمهورية بعد استفتاء شعبي وجدد فترة ولايته عبر استفتاءات في الأعوام 1987م و1993م و1999م, وبالرغم من الانتقادات لشروط واليات الترشح للانتخابات 2005م الا انها تعد اول انتخابات تعددية مباشرة, وجدد مبارك فترته لمرة رابعة عبر فوزه في الانتخابات 2005م, وتعتبر فترة حكمه (حتى اجباره على التنحي في 11 شباط 2011م) ويعد الاطول بين ملوك ورؤساء مصر منذ محمد علي باشا, للمزيد ينظر: عبدالوهاب الكيالي, موسعة السياسة ج2, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, د.ت, ص539.

[72] - طلعت رميح, احتلال حنيش الكبرى: حصار الدور المصري, مجلة شؤون الأوسط, مركز الدراسات الاستراتيجية, العدد(48), بيروت 1999م, ص120.

[73] - ورود ماجد كاظم التميمي, المصدر السابق, ص46.

[74] - صحيفة 26 سبتمبر, العدد(685) في 11كانون الثاني 1996م.

[75] - عايدة العلي السري, جزر حنيش وامن البحر الأحمر, بيروت, 1996م, ص110

[76] - مركز دراسات الوحدة العربية, يوميات ووثائق الوحدة العربية 1996م, صحيفة السفير, بيروت, 22 أيار 1996م, ص467- 468.

[77] - ايمن محمد زين هياجنة, النزاع اليمني – الارتيري حول جزر حنيش 1995-1998م, رسالة ماجستير في العلوم السياسية, كلية الدراسات العليا, الجامعة الأردنية 2002م, ص116-117؛ صحيفة الجمهورية, العدد (9925) في 1 تشرين الأول 1996م.

[78] - مركز دراسات الوحدة العربية, يوميات ووثائق الوحدة العربية 1996م, صحيفة السفير, بيروت, 2ايار 1996م, ص467-468.

[79] - ايمن محمد زيد هياجنة, المصدر السابق, ص119.

[80] - عبدالكريم الارياني واخرون, المصدر السابق, ص172.

[81] - عبدالكريم الارياني, احتلال انتهى بحكم, ص46.

[82] - المصدر نفسه , ص55.

[83] - ياسين الشيباني, مدى اتفاق قرار هيئة التحكيم الخاصة بشأن الصراع الحدودي بين اليمن وارتيريا حول جزر حنيش مع قواعد ومبادئ التحكيم المقررة في القانون الدولي, مجلة الدراسات الدولية, مركز الدراسات الدولية, العدد (118), بغداد, 2002م, ص99.

[84] - احتلت إيطاليا ارتيريا عام 1890م واعلنتها رسميا مستعمرة تابعة لها, وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية في أيلول 1939م دخلت إيطاليا الى جانب المانيا وكان ذلك سببا في خسارتها جميع مستعمراتها في افريقيا, واخذت بريطانيا إدارة تلك المستعمرات الإيطالية وبعدها انتقل الملف الارتيري الى الجمعية العمومية للأمم المتحدة عام 1948م التي أصدرت قرارها عام 1950م بانضمام ارتيريا الى اثيوبيا تحت سيادة التاج الاثيوبي , للمزيد: محمود شاكر, ارتيريا والحبشة, مطبعة العصرية, الكويت (د.ت), ص3.

[85] - عبدالله محمد الصيادي, دراسة مقارنة بين أسلوب التوثيق اليمني والارتيري في الحكم حول جزر جنوب البحر الأحمر, مجلة الثوابت, العدد (20) صنعاء 2000م, ص116.

[86] - عمار كوسه, القيمة القانونية للخرائط في التسوية التحكمية للمنازعات الحدود والإقليمية, أطروحة دكتوراه غير منشورة, جامعة فرحات عباس, الجزائر 2011م, ص130.

[87] - علي علي احمد عمر العبسي, علاقة اليمن بالمنظمات الإقليمية (دراسة لنموذج جامعة الدول العربية 1990- 2000م, رسالة ماجستير غير منشوره, كلية العلوم السياسية, جامعة بغداد 2002م, ص96.

[88] - عبدالكريم الارياني, احتلال انتهى بحكم, ص68.

[89] – المصدر نفسه, ص69.

[90] - المصدر نفسه, ص71.

المصادر والمراجع

أولا: الوثائق الغير منشورة

1. UN ARCHIVES SERIES, SECRETARY-GENERAL MEETS WITH YYEMEN S DEPUTY MINISTER TO DISCUSS BILATERAL RELATIONS WITH UN, RECENT DEVELOPMNTS IN REGION, SERIES s-1086/80/6, 18 JAU 1995- 20 DWC 1995.
2. UN ARCHIVES SERIES, SECRETARY-GENERAL DISCUSSIS WITH REPRESENTATIVE OF YEMEN PREPARATIONS FOR VISIT,SERIES s-1086/80/6, 18Jan 1995-20 DES 1995.

ثانيا:الوثائق المنشورة

1. السيد يسين, التقرير الاستراتيجي العربي 1995, مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام.

ثالثا: الرسائل والاطاريح

1. اسعد باسم محمد العارضي, الامبراطور هيلاسي سيلا سي ودوره السياسي في اثيوبيا حتى عام 1974م, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية الأساسية, جامعة كربلاء 2020م.
2. ايمن محمد زين هياجنة, النزاع اليمني – الارتيري حول جزر حنيش 1995-1998م, رسالة ماجستير في العلوم السياسية, كلية الدراسات العليا, الجامعة الأردنية 2002م.
3. فضل عبدالغني احمد المعاين, اليمن والامن القومي العربي (دراسة في الجغرافية السياسية) رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية, المستنصرية, 2004م, ص215.
4. داود سلمان عبد علو, العلاقات السعودية- اليمنية (1990-2000), رسالة ماجستير غير منشورة, الجامعة المستنصرية, المعهد العالي للدراسات السياحية والدولية, قسم الدراسات الدولية, 2006م.
5. فهد بن عبدالله مقرن الوايلي, دور المملكة العربية السعودية في امن منطقة الخليج العربي : اليمن نموذجاً 200-2014م, رسالة ماجستير , كلية الدراسات العليا, الجامعة الأردنية, الأردن , 2015م.
6. على احمد عمر العبسي , علاقة اليمن بالمنظمات الدولية الإقليمية , دراسة لنمو1ذج جامعة الدول العربية 1990-2000م, رسالة ماجستير , كلية العلوم السياسية , جامعة بغداد , 2002م.
7. حسن عبد محمد القحطاني, تصور استراتيجي لمستقبل العلاقات السعودية اليمنية, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية العلوم الاستراتيجية, قسم الدراسات الإقليمية والدولية, جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية, الرياض 2014م.
8. خالد حماد احمد عياد, أهمية جزر البحر الأحمر في الامن القومي العربي (جزيرة حنيش الكبرى وتيران وصنافير) 1956- 2017م, أطروحة دكتوراه, جامعة مؤتة, كلية الدراسات العليا, العلوم السياسية, 2017م.
9. شروق عمر الجخلب, التحكيم الدولي واثره في التسوية السلمية للمنازعات (دراستان تطبيقيتان على قضيتي طابا وحنيش) رسالة ماجستير, غير منشورة, جامعة مؤته, الأردن 2012م, ص79.
10. شروق عمر الجخلب, السياسة الامريكية تجاه الجمهورية العربية اليمنية 1967- 1979م, رسالة ماجستير غير
11. نعمة إسماعيل جاسم العيساوي, موقف المملكة العربية السعودية من التطورات السياسية الداخلية في شطري اليمن 1970- 1994م, أطروحة دكتوراه غير منشورة, كلية الآداب, جامعة الانبار 2018م.
12. فامي عبدالواحد العريقي , الاثار السياسية والاقتصادية والأمنية التي تترتب على انضمام اليمن الى مجلس التعاون الخليجي, رسالة ماجستير غير منشورة , كلية العلوم السياسية, جامعة دمشق, 2011م.
13. مروة شهيد فرج الخزعلي, السياسة الخارجية السعودية في ضل وزارة الأمير سعود الفيصل 1990- 2003م, رسالة ماجستير, كلية التربية للعلوم الإنسانية, جامعة ذي قار 2018م.
14. مرتضى خلف حسين السهلاني, فؤاد بطرس ودوره السياسي في لبنان 1917-1982م, رسالة ماجستير, كلية التربية للعلوم الإنسانية, جامعة ذي قار, 2018م.
15. عمار كوسه, القيمة القانونية للخرائط في التسوية التحكمية للمنازعات الحدود والإقليمية, أطروحة دكتوراه غير منشورة, جامعة فرحات عباس, الجزائر 2011م, ص130.
16. علي علي احمد عمر العبسي, علاقة اليمن بالمنظمات الإقليمية (دراسة لنموذج جامعة الدول العربية 1990-2000م, رسالة ماجستير غير منشوره, كلية العلوم السياسية, جامعة بغداد 2002م.
17. وائل ناصر حسين الإسماعيلي, سعود الفيصل ودوره في السياسة الخارجية السعودية حتى عام 1989م, رسالة ماجستير, كلية الآداب, جامعة ذي قار, 2018م.
18. ورود ماجد كاظم التميمي, المواقف الإقليمية والدولية من الصراع اليمني – الارتيري على جزر حنيش 1995-1998م, رسالة ماجستير كلية الآداب, الجامعة المستنصرية 2021م.
19. احمد قيس جاسم العبيدي, سياسة مصر الخارجية تجاه دول الجوار الإقليمي, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية ابن رشد, جامعة بغداد 2020م.

رابعا: المذكرات

1- انس ازرق, (عرب48) مذكرات فاروق الشرع في الرواية المفقودة, في 30 كانون الثاني 2015م.

خامسا: الكتب الأجنبية.
1-ARUND the world the Washington post(1974-current file),Dec 19,1995,prouest historical Newspapers ;the Washington post.
سادسا: الكتب العربية والمعربة.
1. عبدالكريم الارياني, احتلال انتهى بحكم دولي (تجربة الجمهورية اليمنية في حل النزاع على الجزر جنوب البحر الأحمر مع دولة ارتيريا) ط3, مؤسسة الميثاق للطباعة والنشر, 2004م.
2. ناصر محمد ناصر, الازمة السياسية اليمنية 1990-1994م, دار التقدم العلمي, صنعاء 2010م.
3. محمد احمد العشملي, التاريخ السياسي للدولة اليمنية الحديثة من الشتات والانفلاق الى الوحدة والاتفاق 1838-2001م, مكتبة مدبولي, القاهرة, 2002م.
4. محمد علي الشهاري, رسائلي الى الشهيد إبراهيم الحمدي والقضية اليمنية, المكتبة التاريخية , دار الفارابي, بيروت , 1983م.
5. حسن أبو طالب, الوحدة اليمنية, دراسة في عوامل التحول من التشطير الى الوحدة, مركز دراسات الوحدة العربية, 1994م.
6. إيهاب كمال, العلاقات الخفية بين امريكا والدول العربية, الحرية للنشر والتوزيع, القاهرة 2006م.
7. فهد بن حسن دماس, سعود الفيصل حكاية مجد, ط1, الانتشار العربي للطبع والتوزيع, الرياض 2016م.
8. الحسن بن طلال, ان تكون مسلماً, دار وود الأردنية للنشر والتوزيع, 2010م.
9. عبدالكريم الارياني واخرون, تجربة الجمهورية اليمنية في حل النزاع على جزر جنوب البحر الأحمر مع ارتيريا, حل النزاعات العربية بالطرق السلمية, سلسة الحوارات العربية, منتدى الفكر العربي, عمان , 2001م.
10. شهاب محسن عباس, الجزر اليمنية, مركز عبادي للدراسات والنشر, صنعاء,1996م.
11. قائد محمد العنسي, التداخل السكاني واثرة في العلاقات اليمنية الحبشية 1900-2000م, دار الأمين, القاهرة 2004م.
12. لطفي جعفر فرج, الرئيس الاثيوبي هيلا مريام, دراسة في الشخصية ودورها القيادي, معهد الدراسات الاسيوية والافريقية, بغداد 1984م.
13. محمود شاكر, ارتيريا والحبشة, مطبعة العصرية, الكويت (د.ت).
14. عايدة العلي السري, جزر حنيش وامن البحر الأحمر, بيروت, 1996م.
سابعا : البحوث المنشورة
1. فيان احمد محمد, القوى الإقليمية المؤثرة بأمن واستقرار اليمن 1990-2015م السعودية انموذجاً, مجلة الاداب , تربية بنات , بغداد, عدد(116) في 2016م.
2. محمد حسين الزبيد, الكيان الصهيوني في البحر الأحمر ومضيق باب المندب, مجلة الخليج العربي, مركز دراسات الخليج العربي, جامعة البصرة, العدد(9)1978م.
3. مركز دراسات الوحدة العربية, يوميات ووثائق الوحدة العربية 1995م, القدس العربي 8 حزيران 1995م.
4. رؤى وحيد عبدالحسين السعداوي, فاروق الشرع ودوره السياسي في سوريا(1938-1992م), مجلة ادأب ذي قار, 2020م.
5. عبدالله محمد الصيادي, دراسة مقارنة بين أسلوب التوثيق اليمني والارتيري في الحكم حول جزر جنوب البحر الأحمر, مجلة الثوابت, العدد (20) صنعاء 2000م.
6. احمد عبدالرحيم ناصر النعيمي, اليمن وشرق افريقيا, في ضوء العلاقات اليمنية – الارتيرية, المركز العربي للدراسات الاستراتيجية, دمشق, العدد (38) اذار 2006م.
7. مركز دراسات الوحدة العربية, يوميات ووثائق الوحدة العربية 1996م, صحيفة النهار, 10 كانون الثاني 1996م.
8. طلعت رميح, احتلال حنيش الكبرى: حصار الدور المصري, مجلة شؤون الأوسط, مركز الدراسات الاستراتيجية, العدد(48), بيروت 1999م.
9. مركز دراسات الوحدة العربية, يوميات ووثائق الوحدة العربية 1996م, صحيفة السفير, بيروت, 22 أيار 1996م.
10. ياسين الشيباني, مدى اتفاق قرار هيئة التحكيم الخاصة بشأن الصراع الحدودي بين اليمن وارتيريا حول جزر حنيش مع قواعد ومبادئ التحكيم المقررة في القانون الدولي, مجلة الدراسات الدولية, مركز الدراسات الدولية, العدد (118), بغداد, 2002م.
ثامنا: الموسوعات
عبدالوهاب الكيالي, موسعة السياسة ج2, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, د.ت.
تاسعا: الصحف
صحيفة الحياة, لندن, العدد (12281) في 10 تشرين الأول 1996م.

صحيفة الحياة, لندن, العدد(12287) في 16 تشرين الأول 1996م.
صحيفة الحياة, لندن, العدد(12313) في 11 تشرين الثاني 1996م.
صحيفة البلاغ, العدد(220) في 18 اذار 1997م.
صحيفة القدس العربي, العدد(2504) في 28 أيار 1997م.
صحيفة القدس العربي, العدد(2504) في 28 أيار 1997م.
صحيفة 26 سبتمبر, العدد (685) في 11 كانون الثاني 1996م.
صحيفة الحياة , لندن, العدد (12692) في 30 تشرين الثاني 1997م.
صحيفة الحياة, لندن, العدد (12693)في 1 كانون الاول 1997م.
صحيفة الطريق, صنعاء, العدد (78) في 21 تموز 1998م.
صحيفة 26 سبتمبر, العدد(685) في 11كانون الثاني 1996م.
صحيفة الشرق الأوسط, العدد (7273) في 27 تشرين الأول 1998م.
مجلة سوراقيا, السعودية, العدد(878) السنة17, في 26 حزيران2000م.
مجلة الثوابت, العدد (22) في تشرين الأول 2000م.
مجلة الثوابت, العدد (22) تشرين الأول 2000م.
عاشرا: شبكة الانترنت الدولية
https://al-maktaba.org

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

الموقف السوري من الاحتلال الامريكي للعراق

اعداد م. م. حسن مخور باني
hasanmbalbani@gmail.com
المديرية العامة لتربية ذي قار
قسم الاعداد والتدريب
شعبة البحوث والدراسات التربوية

المستخلص:
عدت الحكومة السورية التهديدات الأمريكية بغزو العراق بمثابة تهديداً مباشراً لها , لذلك اتخذت ومن اللحظة الاولى موقفاً معارضاً منه , واصفته اياه بالتهديد غير الشرعي , واتخذت طريق الدبلوماسية في بداية الأمر لإيقافه ,إلا انه بعد حصول هذا العدوان في 19 آذار 2003 ,اتخذت سوريا موقف المعارض منه وبذلت جهوداً سياسية ودبلوماسية عربية واقليمية ودولية لإيقافه على الرغم من التهديدات الامريكية لدمشق باستخدام الرد العسكري والعقوبات السياسية والاقتصادية والتي تمّ تطبيقها باسم (قانون محاسبة سوريا) عام 2004

Abstract:

Syria considered the American threats to invade Iraq in 2002 as a direct threat to it. So,from the first moment it took a position against this decision , which is described it as an illegitimate attack. At the beginning, it took the diplomatic path to try to stop the invasion, during the American attack on Iraq on March 19, 2003, it took the position of opposition to this invasion and made Arab, regional and international political and diplomatic efforts to stop it despite the American threats to Damascus to use a military response and political and economic sanctions, which were implemented in the name of the (Syria Accountability) Law 2004.

المقدمة :

كان العراق يمثل عمقاً استراتيجيا مهماً بالنسبة لسوريا من جهة حدودها الشرقية ناهيك عن المسؤولية الاخوية التي تربط الشعبين وبهذا كان موقفها معارضاً بشدة من التهديدات الأمريكية للعراق , ولم يكن الهدف الرئيسي من الاحتلال الأمريكي للعراق والإطاحة بنظامه هو المصدر الوحيد لاضطراب الحكومة السورية بل كانت تهديدات الرئيس الأمريكي واضحة بتوجيه ضربة عسكرية لأي دولة تهدد أمن واشنطن القومي وأمن حلفائها في العالم باسم الحرب على الإرهاب ولاسيّما بعد أحداث الحادي عشر من ايلول عام 2001 وهذا ما رأته سوريا أنه يشكّل خطراً كبيراً وتهديداً جسيماً للموقف الاستراتيجي السوري , لذلك أدانت سوريا وبشدة الحرب الأمريكية على العراق وربطت بين الحرب على العراق والعدوان (الاسرائيلي) على فلسطين من خلال التحالف الامريكي (الاسرائيلي) وانعكاسه على سوريا بصفتها أحد أطرافه .

ونتيجة لذلك , زاد حجم التوتر والتصعيد بين دمشق وواشنطن خاصة بعد ان اخذت الولايات المتحدة الامريكية توجه أصابع الاتهام إلى سوريا بأنها دولة تتبنى موقف معادي لها من خلال مساندة

النظام العراقي وتقديم يد العون له ومدّه بالأسلحة والأعتدة للوقوف بوجه التقدم الأمريكي , والسماح بدخول كبار مسؤولي النظام إلى الأراضي السورية هرباً من القوات الامريكية بعد احتلال بغداد .

هدف البحث الى اظهار الموقف السوري من الاحتلال الأمريكي للعراق والوسائل والسبل التي اتبعتها سوريا من اجل الحد من هذا الاحتلال من خلال طرح عدة اسئلة تتحدث عن مدى تأثير الاحتلال الامريكي على سوريا ؟ و الهدف الرئيسي من وراء الاحتلال الامريكي للعراق ؟ وما هي المواقف العربية من الاحتلال الامريكي وماهي الكيفية التي كانت عليها التحركات السورية بوجه هذا الاحتلال ؟

اعتمد البحث على وثائق ومصادر متعددة , من الكتب والرسائل والاطاريح والصحافة التي لها تماس مع هذه المدة .

أولاً :التهديد الامريكي بضرب العراق واثره على العلاقات السورية الامريكية 2001- 2003.

حافظت سوريا على نوع من التفاهم في علاقاتها مع الولايات المتحدة الامريكية بعد وفاة حافظ الأسد حيث أيدت واشنطن الرئيس بشار الأسد عند وصوله الى سدة الحكم في سوريا في تموز عام 2000 , من خلال زيارة وزيرة الخارجية الأمريكية مادلين اولبرايت (Medill Albright) [1] الى دمشق معتبرةً إياه امتدادا لسياسة أبيه حافظ الاسد[2] إلا انه تغير الموقف الامريكي تجاه سوريا بعد هجمات 11 من أيلول 2001 بحيث صنفت سوريا من قبل الولايات المتحدة الامريكية من الدول الراعية للإرهاب , ومن جهة اخرى خشيت الولايات المتحدة الأمريكية من عودة العلاقات السورية مع روسيا ولاسيما بعد أن كشفت تقارير أمريكية من وجود اتفاقيات عسكرية سرية بين سوريا وروسيا والتي تتحدث عن تحديث عدد كبير من الأليات العسكرية الروسية التي يستخدمها الجيش السوري , بالإضافة الى صفقات بيع سلاح روسي الى سوريا , ولهذا سعت الولايات المتحدة الامريكية الى ترهيب سوريا باستخدام القوة ضدها اذا ما انضمت الى المشروع الامريكي الجديد [3] ولهذا دفع هذا الموقف بالرئيس السوري بشار الأسد الى مد يد العون إليها مجنباً بلاده هذه الحرب , وقام بفتح قناة استخباراتية مشتركة بين الاستخبارات العسكرية السورية ووكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية , وبدأ بتقديم معلومات عن القاعدة والجماعات المتطرفة ليثبت حسن نية بلاده تجاه الولايات المتحدة الامريكية [4] .

كانت الولايات المتحدة الأمريكية تزعم بأن هناك صلة بين نظام صدام حسين [5] والهجمات الارهابية في 11 ايلول 2001 على مبنى التجارة العالمي ومبنى وزارة الدفاع الامريكية بالإضافة إنها كانت تتهم العراق بأنه يمتلك أسلحة دمار شامل مما زاد من تصعيد اللهجة الامريكية ضد العراق وأن بإمكانها القيام بضربة عسكرية عليه [6] والقضاء على نظام الحكم فيه حيث أشار الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش (George.H.W.Bush) [7] في خطابه الذي القاه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في الذكرى الاولى لأحداث 11 من ايلول " إذا الامم المتحدة لم تتحرك ضد العراق فأن امريكا مستعدة للتحرك , فالعراق يمثل خطراً كبيراً على حياة ملايين البشر والعراق يخفي معلومات مهمة عن برنامجه النووي ناهيك عن التفافه على العقوبات , ونه اشترى تقنية متقدمة واسلحة بالستية " [8]

كان اتهام العراق بامتلاكه أسلحة الدمار الشامل ذريعة لضربه , كما بان واضحاً في تصريح وزير الدفاع الامريكي دونالد رامسفيلد (Donald Rumsfeld) [9] عندما قال " إن صدام يبغض الولايات المتحدة ويمتلك اسلحة الدمار الشامل " وبهذا اتخذت الولايات المتحدة عدة خطوات لتصعيد الموقف فلجأت الى الامم المتحدة واستصدرت القرار (1441) القاضي بإرسال لجنة تفتيش عن أسلحة الدمار الشامل في العراق برئاسة فانز بليكس(Fans Pilex) [10] .

كانت الإدارة الأمريكية تطمح إلى اجتذاب سوريا الى جانبها في المشاركة في هذه الضربة لما قد كانت حققته من فائدة مشاركة سوريا الى جانبها في حرب الخليج الثانية , وما قد تؤمّنه سوريا من تغطية سياسية هامة في هذه الضربة [11]

عارضت الحكومة السورية هذا الأمر على الرغم من عدائها للحكومة العراقية بسبب حالة النزاع التي سادت العلاقة بين سوريا والعراق بسبب وقوف سوريا الى جانب إيران في حرب الخليج الاولى و مشاركتها ايضاً الى جانب القوات المشتركة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ضد العراق في حرب الخليج الثانية , إلا أنه وعلى الرغم من هذا الخلاف استطاعت سوريا أن تعيد علاقاتها مع العراق لتأمين نفسها

من (اسرائيل) بعد الانهيار التام في المفاوضات السورية (الاسرائيلية) في الشرق الاوسط , وقد أكدت القيادة السورية أن أكثر الدول تضرراً من جّراء الضربة الأمريكية على العراق هي سوريا , وخاصة وإن عائدات النفط العراقية التي كانت تمر عبر اراضيها الى ميناء بانياس سوف تنقطع , كما سوف تودي الى الحد من تصدير المنتجات السورية الى العراق التي كانت تعادل مليارى دولار سنويا بالإضافة الى تدهور قطاع السياحة [12] كما أن موقع العراق بالنسبة لسوريا باعتباره جسراً ارضياً يربط سوريا بالبلدان العربية لأنه مجاوراً لها بالإضافة إلى أنه يعد عمقاً استراتيجياً عسكرياً للبلدان العربية لمواجهة (اسرائيل) [13].

وعلى اساس ذلك قامت الحكومة السورية الى استدعاء السفير الامريكي في دمشق ثيودور قطوف وإبلاغه معارضة سوريا لأي ضربة عسكرية على العراق , وقد دفع هذا الاحتجاج الى سخط المسؤولين الأمريكيين حيث صرح مساعد وزير الخارجية الامريكية بأن سوريا انضمت الى دول محور الشر , واخذت مستشارة الامن القومي الامريكي كونداليزا رايز (Condoleezza Rice) [14] تهدد سوريا بأن عدم تعاونها مع الولايات المتحدة الأمريكية سوف يؤدي الى تعرضها الى الحرب , كما أن وزير الخارجة الامريكي كولن باول (Colin Powell) [15] قد هدد الرئيس السوري بشار الأسد بالقيام بإجراءات امريكية قاسية ضد بلاده اذا لم تعمل سوريا وفق املاءاتها وهذا ما رفضه الرئيس السوري , لقد وصّل هذا الرفض العلاقات السورية الامريكية الى مرحلة من التوتر ، الأمر الذي دفع الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش بالمصادقة على مشروع قرار اصدره الكونغرس الامريكي بفرض عقوبات على سوريا ولذلك قضي بعدم منح الرعايا السوريين تأشيرات دخول الى الولايات المتحدة الامريكية بالإضافة الى فرض قانون محاسبة سوريا [16] .

سعت سوريا بعد ذلك الى تحسين العلاقات بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية تقديمها تعاون استخباراي للوقوف بوجه الارهاب العالمي وهذا بدوره قد ساعد على تجميد قانون محاسبة سوريا من قبل الولايات المتحدة الأمريكية [17] إلا أن ذلك لم يبعدها عن دائرة الاستهدافات الأمريكية , فبعد احداث 11 ايلول 2001 واعلان واشنطن الحرب على الارهاب وضعت سوريا في قائمة المستهدفين من قبل الإدارة الأمريكية بالإضافة إلى إدراجها في قائمة الدول الداعمة للإرهاب [18]

دفعت هذه السياسة الولايات المتحدة الأمريكية إلى معارضة ترشيح سوريا الى مجلس الامن بصفة عضو غير دائم في عام 2002 كما كان الكونغرس الامريكي عازماً على فرض عقوبات على سوريا متهماً اياها بالتعاون مع العراق بتطوير أسلحة دمار شامل [19]

ثانياً : الموقف العربي من الاحتلال الامريكي للعراق :

تركت الحرب الأمريكية على العراق في 19 اذار عام 2003 جدلاً واسعاً وخلافاً كبيراً بين الدول العربية لذلك انقسمت هذه الدول إلى قسمين , القسم الأول ضم المؤيدة وهي دول الخليج والمجموعة الثانية كانت معارضة للحرب على العراق وهي معظم الدول العربية على الرغم من الضغوط الأمريكية المفروضة عليها [20] ولم يكن ذلك حرصاً على نظام صدام حسين ولكن تخّوفاً من الآثار السلبية التي سوف تتركها هذه الحرب من مشاكل اقتصادية و سياسية واجتماعية متمثلة بتقسيم العراق الى اقسام طائفية وعرقية [21]

وبهذا اصبح الموقف العربي بصفة عامة يرفض شن حرب على العراق تحت أي ظرف من الظروف ساعية بالوسائل الدبلوماسية طوال عام 2002 على جميع المستويات لتجنب المنطقة ويلات الحرب , حيث عقد وزراء الخارجية العرب في اطار جامعة الدول العربية لبحث الشأن العراقي بالإضافة الى عقد القمة العربية في بيروت في آذار 2002 , وطرح الكثير من المبادرات العربية منها المبادرة الثلاثية المصرية – السعودية – الاردنية في حزيران 2002 حين زار وزراء هذه الدول واشنطن بهدف اقناع الادارة الامريكية بإيقاف هذه الحرب إلا أن الرئيس الامريكي رفض هذه المبادرة كما أكدت الدول العربية أن العراق قد التزم بقرارات الامم المتحدة التي نصت على نزع أسلحة الدمار الشامل , وأنّه أبدى تعاونه مع فرق التفتيش الدولية الخاصة بنزعها وكان ذلك واضحاً في التقرير الذي أعلنه (هانز بليكس) المسؤول عن فرق التفتيش الدولية في 19 آذار 2003 بأن العراق لا يمتلك أسلحة دمار شامل [22] .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

وفي مبادرة اخيرة من جانب الدول العربية لإقناع صدام حسين بالرحيل عن العراق وتجنيب العراق ويلات حرب جديدة اقترحت الامارات العربية المتحدة ، وكان هذا في القمة العربية التي عقدها القادة العرب في شرم الشيخ في أذار 2003 , حيث طرح خلالها الشيخ زايد بن نهيان [23] رئيس دولة الامارات مبادرة تدعوه الى التخلي عن السلطة ورحيله عن العراق بفترة لا تتجاوز الاسبوعين مقابل ايقاف الحرب على العراق لأن دول مجلس التعاون الخليجي مدعية انها كانت تخشى من انتقال نتائج الحرب على العراق الى بلادها إلا أن رفض الحكومة العراقية لهذه المبادرة أفشلها [24] وبهذا وجد العرب انفسهم امام مأزق جديد هو الاحتلال الأمريكي للعراق بعد ما سعت الدول العربية في عقد التسعينات بأن تكون قضية العرب الأولى هي فلسطين وبهذا وضع هذا الاحتلال العرب أمام مشكلتين هما مشكلة فلسطين والعراق .

بدأت سوريا بالاعتراض على قرار الحرب الأمريكية على العراق و احتلاله في المحافل الدولية وطلبت من الولايات المتحدة الأمريكية احترام الشرعية الدولية وقرارات الامم المتحدة , كما دعت سوريا إلى عقد قمة عربية طارئة تدين هذا الاحتلال وأن تأخذ الجامعة العربية دورها من هذا الاحتلال , دفع هذا الموقف السوري الى عقد قمة أمريكية – عربية في شرم الشيخ بحضور مصر والسعودية والاردن والبحرين والسلطة الفلسطينية والتي دعت فيها الولايات المتحدة الأمريكية , الدول العربية بمحاربة الإرهاب وتجفيف منابعه ورفض ثقافة العنف والتي وافقت هذه الدول عليها بضغط امريكي وعلى العكس من ذلك كان الموقف السوري يحث على دعم المقاومة الفلسطينية واللبنانية ضد الاحتلال (الاسرائيلي) [25].

دفع هذا الموقف الولايات المتحدة الى فرض عقوبات جديدة اقتصادية وسياسية على سوريا والتي قوبلت باستنكار عربي ودولي ورأت الدول العربية أن هذه العقوبات فيها انتهاكاً لقانون العلاقات الدولية , وعلقت أيضاً بعض وسائل الاعلام العربي أن في هذه العقوبات المفروضة على سوريا ميول أمريكي لصالح (اسرائيل) [26].

ثالثاً : الانفراد السوري في رفض الاحتلال الامريكي للعراق :

وجدت سوريا نفسها محاصرة بين (اسرائيل) من جهة وبين القوات العسكرية الأمريكية من جهة أخرى مما دفعها إلى التحرك على الجانب العربي والاقليمي , فقد دعت إلى عقد قمة عربية في بيروت في 27 آذار 2002 والتي شهدت انفراجاً نسبيا في العلاقات بين الكويت والعراق , كما تبنت سوريا مبادرة المملكة العربية السعودية بشأنها وتهدئة حالة التوتر بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية وذلك بموافقة سوريا على استئناف مباحثات السلام بينها وبين (اسرائيل)[27] وقبيل تنفيذ الحملة الامريكية على العراق , دعت سوريا الدول العربية الى عقد قمة عربية عاجلة والتي انعقدت في 9 شباط 2003, ناقشت فيها , القضايا العربية المختلفة وعلى رأسها القضية العراقية بهدف انهاء معاناة الشعب العراقي والحفاظ على وحدة العراق وسلامته وقد تضمن البيان الختامي لهذه القمة رفض الدول العربية لأي ضربة او احتلال امريكي للعراق وعلى هامش هذه القمة , التقى الرئيس السوري بشار الأسد بالعاهل الاردني عبدالله بن الحسين وأكدا على أنّ بلادهما ترفض رفضاً مطلقا أي ضربة عسكرية على العراق أو تهديد سلامة أي دولة عربية[28]

كما قامت سوريا بتشكيل محور بينها وبين مصر و المملكة العربية السعودية لمواجهة التهديدات والضغوط التي قامت بها الولايات المتحدة الامريكية و(اسرائيل) على الدول العربية والتنسيق في ما بينهما بعد احتلال العراق لدعم الموقف العربي [29] .

أما التحركات على الجانب الاقليمي , فقد أيقنت سوريا بأنها ستكون الهدف التالي بعد العراق ولاسيما بعد تهديد وزارة الدفاع الأمريكية بتوجيه ضربة نووية لسبع دول تمثل تهديداً للأمن القومي للولايات المتحدة الامريكية ومن بين هذه الدول هي (العراق وسوريا وليبيا و السودان وايران) لذا بدأت الدعوة السورية الى ضرورة حل المسألة العراقية وضرورة تعاون الدول الاقليمية لما لها انعكاسات كبيرة على المستوى الاقليمي والدولي , فدعت سوريا الى تشكيل كتلة اقليمية لفرض نوع من التوازن السياسي في المنطقة وبهذا اندفعت الى الانفتاح على ايران وتركيا لإدراكها للثقل الاستراتيجي الإيراني في مواجهة

القوة الامريكية و(الاسرائيلية)[30] كما رأت إيران أنّ التطورات الجارية في العراق والمنطقة تدخل في نطاق المجال الحيوي الإيراني وأنها وجدت نفسها في مأزق صعب ومعقد خلال التصعيد الأمريكي و التوجهات الأمريكية لاحتلال العراق ومطالبتها لدول العالم وفي مقدمتها إيران لمساندتها في احتلال بغداد حيث كان الموقف الايراني هو عدم معارضة هذا الاحتلال مساندة في ذلك موقف الشيعة في العراق مما دفعها لالتزام الصمت , والعمل على تكوين حزام امني شيعي بالتعاون مع سوريا يتكون من (إيران وسوريا ولبنان والعراق) لمواجهة التهديدات المستمرة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية [31]

وعلى صعيد الجانب التركي فقد زار رئيس أركان الجيش السوري العماد حسن تركماني في 19 حزيران 2002 تركيا للتباحث بشان الضربة المحتملة على العراق وكيفية تكوين كتلة إقليمية لمعارضتها , كما زار رئيس الحكومة التركية عبدالله غول دمشق في 2 تشرين الثاني 2002 والتقى بالرئيس السوري بشار الاسد لمناقشة تأثير الضربة الامريكية المحتملة على العراق على كل من سوريا وتركيا , والذي تعزز بالرفض التركي طوال عام 2002 في استخدام القواعد التركية الجوية في أنجرليك وباتمان وديار بكر للطائرات الامريكية في شن الحرب على العراق [32]

أدّت هذه التحركات السورية إلى أن يكون لتركيا دور كبير في المنطقة , حيث قامت بالدخول كوسيط بين سوريا وحكومة شارون حول المفاوضات في قضية الجولان المحتلة [33] كما عملت سوريا على التنسيق مع تركيا وإيران من أجل التأكيد على وحدة العراق وسيادته وسلامة أرضه , الأمر الذي دفع الولايات المتحدة الأمريكية أنّ توجه تهديداً مباشراً إلى سوريا وهذا ما جاء على لسان مساعد وزير الدفاع الامريكي بول ولفوميتر(Boil Wolfowitz) بقوله " أنّه يجب أنّ يكون هناك تعير في سوريا" [34]

وعملت سوريا على المستوى الدولي وبالتنسيق مع روسيا في مجلس الأمن الدولي وبدعم من فرنسا والمانيا والصين باصدار مشروع قرار نصُّ على وحدة العراق واحترام سيادته والحفاظ على موارده [35] كما كان هناك تحرك سوري لافت تجاه روسيا التي كانت تبحث عن حليف في منطقة الشرق الأوسط بسبب التوسع الأمريكي الأوربي , وقد مثل هذا بداية لتشكيل حلف روسي سوري , واستقبالها الرئيس السوري بشار الأسد في موسكو عام 2005 لدعم الموقف السوري خلال الاحتلال الأمريكي للعراق [36] .

وانطلاقاً ممّا سبق كان للتهديدات الأمريكية بضرب العراق تأثير مباشر على سوريا مما دفعها إلى تقوية علاقاتها بكل من الدول العربية و إيران وتركيا , والسعي من أجل التنسيق مع الدول العظمى مثل روسيا ليكونوا لاعبين أساسيين في منطقة الشرق الأوسط , وأحداث توازن للوقوف بوجه الولايات المتحدة الامريكية و (اسرائيل) لان الاحتلال الامريكي للعراق سيترك مخاطراً جسيمة بالنسبة للموقف الاستراتيجي السوري وذلك لوجود قوات عسكرية امريكية على حدودها والذي يعد تهديداً عسكرياً امريكيا مباشراً على ارضها .

رابعاً : الموقف السوري من الاحتلال الامريكي للعراق 2003:

وجدت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها بانها القوة الأولى المسيطرة على العالم , وهذا قد دفعها إلى اتخاذ استراتيجية عسكرية جديدة للسيطرة على العالم من جهة وضمان الأمن (الاسرائيلي) من جهة أُخرى [37] لهذا سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى إعادة صياغة الأوضاع في المنطقة بما يلائم مصالحها ومصالح حلفائها وعلى رأسهم (اسرائيل) , وترتيب الدول العربية على أساس فعاليتها في خدمة المصالح الامريكية , هذا الأمر دفعها لوضع الحجج للهجوم على العراق واتهامه بانه يهدد مستقبل الولايات المتحدة الامريكية بالمنطقة وقد أكّد الرئيس الأمريكي دبليو بوش على ذلك بأنّ هناك ترابط بين نظام صدام حسين وتنظيم القاعدة الإرهابي ناهيك عن الاتهام السابق بامتلاك العراق أسلحة دمار شامل وهذا ما قاله في خطاب له من امام مركز التجارة العالمي في 11 ايلول الذي جاء فيه " أنّ الهجوم العسكري على العراق يعّد أمراً مبرراً لتلك الهجمات [38]

وعلى أساس ذلك بدأت الولايات المتحدة الامريكية بحملة سريعة ومباغتة ضد العراق في 30 من آذار 2003, ومع هذه الحملة العسكرية استخدمت أمريكا استراتيجية جديدة وهي أنّ الشعب العراقي

سوف ينضّم إلى هذه الحملة للحصول على شرعية لحملتها العسكرية لأن إدارة الرئيس بوش قد فشلت في استصدار قرار من مجلس الأمن يخولها باستخدام القوة العسكرية ضد العراق , وسوف يتم اسقاط النظام العراقي بأقل خسائر ممكنة [39] وبدا ذلك واضحاً في خطاب الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش " إنّنا وبمساعدة الشعب العراقي خلقنا عراقاً حراً ديمقراطياً مزدهراً " [40] .

كانت الحرب على العراق خطوة أمريكية واضحة لتهديد الدول المعادية للمشروع الأمريكي في المنطقة (مشروع الشرق الاوسط الكبير) الذي هدف الى حماية امن (اسرائيل) واجراء تغيرات في انظمة الحكم وفي مقدمة هذه الدول هي سوريا [41] .

وعلى أساس ذلك كانت الحرب الامريكية على العراق بداية التصعيد بين سوريا والولايات المتحدة الامريكية , ولا سيما بعد أن حصلت الولايات المتحدة الامريكية على معلومات بان سوريا قد اشترت أسلحة متطورة لصالح الحكومة العراقية وقامت بخرق الحظر الدولي المفروض على العراق , بالإضافة إلى معارضتها العلنية في مجلس الأمن لهذا الاحتلال , مما أدى إلى زيادة التوتر بين دمشق وواشنطن والذي تحول الى عداء سافر [42] .

سعت الولايات المتحدة الامريكية في حربها لاحتلال العراق إلى اعادة الدول العربية للاندماج في نظام الشرق الاوسط الجديد أولاً , وإعادة رسم خارطة العلاقات بينها وبين الدول العربية المحيطة (بإسرائيل) وبهذا اعطتها تفوقاً عسكرياً على هذه الدول وخاصة سوريا التي كانت تعتبرها مصدر تهديد لأمن (اسرائيل) [43] وأنّ هذا خرق للسيادة الدولية وزعزعة لأمن المنطقة , لقد زاد هذا من حدة التوتر بين البلدين , لهذا السبب سعت الولايات المتحدة الامريكية الى الضغط على سوريا في العديد من المحاور حيث اتهمتها بأن وجود قواتها على الأراضي اللبنانية بمثابة احتلال للبنان مما اضطرت سوريا الى سحب قواتها منه [44] كما ادعت ايضاً بأنها تمتلك معلومات استخباراتية بأن دمشق قدمت تسهيلات لرموز الحكومة العراقية للهروب من العراق والدخول إلى الاراضي السورية , الأمر الذي دفع الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش الى الطلب من سوريا بتقديم الدعم والتعاون الى الولايات المتحدة الامريكية بالقبض على المطلوبين الهاربين من اعضاء حزب البعث واعضاء حكومة صدام واغلاق الحدود السورية بوجههم [45]

واتهمت الولايات المتحدة الامريكية ايضا سوريا بإرسال متطوعين لقتال القوات الأمريكية في العراق وبالفعل سارع مسؤولون امريكيون في مقدمتهم وزير الدفاع الامريكي دونالد رامسفيلد الى اتهام سوريا بأنها تساعد الجهد الحربي العراقي المعادي لها بمدهم بالعتاد العسكري بما في ذلك مدهم بمناظير الرؤية الليلية ,والسماح للمتطوعين العرب بالوصول إلى هناك , وفي تطور آخر اتهم الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش الحكومة السورية بتطوير سلاح ابادة جماعية ملمحاً باستخدام القوة ضدها بقوله : (أنّ لدينا وسائل متعددة لإرغام سوريا على الامتثال) [46] ومن أجل زيادة الضغط الأمريكي على الحكومة السورية زار وزير الخارجية الامريكي دمشق في ايار 2003 , والتقى بالرئيس السوري بشار الأسد ووجه له الاتهام بأن بلاده تمول و تدعم جماعات متطرفة تقوم بأعمال إرهابية ضد القوات الأمريكية في العراق , كما طلب منه بالسيطرة على الحدود مع العراق [47] .

ولم يقف الامر عند هذا الحد حيث وجه نائب وزير الدفاع الامريكي بول وولفويتز(Paul Wolfowitz) تهديداً مباشراً الى سوريا , بأنها تمثل خطراً كبيراً على الولايات المتحدة الامريكية , ولا بد من التصدي لها [48]

لقد زاد الرفض السوري لاستمرار الوجود الامريكي في العراق بعد سقوط نظام صدام حسين بانه يثير الفوضى والدمار وان سوريا تطالب بضرورة الانسحاب الامريكي الفوري والكامل من العراق وان سوريا حددت خيارها , وهو الوقوف الى جانب الشعب العراقي ضد الغزو الامريكي غير المبرر [49] كما اكد الرئيس بشار الاسد في تصريح له ايضا "بان أمريكا لن تستطيع السيطرة على العراق وستكون هناك مقاومة أشد بكثير " [50] .

وهكذا بدأت سوريا بالتصعيد على المستوى الشعبي حيث سمحت لآلاف المتظاهرين في شوارع دمشق ومدن سوريا الاخرى بالخروج للتظاهر ضد الحرب وقد بدأت وسائل الإعلام السورية حرباً

ضد الولايات المتحدة الأمريكية فقد قام راديو دمشق بإصدار بيان رسمي يتهم الاحتلال الأمريكي للعراق بانه يمثل خرقاً للقانون الدولي و القيم الإنسانية , وحقوق الإنسان , كما أعلنت جريدة الثورة السورية أنّ سوريا تدين العدوان البربري ضد الشعب العراقي [51] ناهيك عن الفتوى التي اصدرها مفتي الجمهورية السورية أحمد كفتارو بتنفيذ هجمات انتحارية ضد الأمريكيين في العراق [52] وكان التصريح الأبرز هو التصريح الصادر عن وزير الخارجية السوري فاروق الشرع أمام مجلس الشعب السوري في دمشق الذي قال فيه " بأن سوريا معنية بهزيمة الولايات المتحدة الامريكية في حربها على العراق " كما وصفهم ايضاً بالرايخ الثالث بقيادة أدولف هتلر [53] .

دفع هذا الضغط السوري الولايات المتحدة الأمريكية الى الانفتاح في الحوار مع دمشق حول مصالح سوريا السياسية ففي أيلول 2003 حدث أول انفراج في العلاقات بين الدولتين منذ الحرب ، حينما زار وزير الخارجية الامريكية كولن باول العاصمة السورية دمشق لوضع النقاط الاساسية للحوار بين دمشق وواشنطن حول مصالح كلا البلدين في العراق وأطلق عليها عنوان (مجموعة الاتصالات الاقليمية من أجل العراق) بحيث يتضمن الحوار الدول المجاورة للعراق ودعت الى عقد مؤتمر من اجل العراق الذي عقد في شرم الشيخ في تشرين الثاني 2004 بحيث كان الهدف الظاهر منه هو التعاون الأمريكي مع سوريا في مسألة العراق ولكن كان الباطن منه هو العودة الى المفاوضات مع (اسرائيل) والتخلي عن الملف الفلسطيني واللبناني , الذي بدوره اجبر الرئيس السوري بشار الاسد الموافقة على استئناف مباحثات السلام مع (اسرائيل) [54] .

لم تستمر هذه السياسة الامريكية تجاه سوريا طويلاً وعادت الإدارة الامريكية من جديد لتستخدم لغة التهديد مع سوريا من خلال استصدار قرار دولي وهو القرار الذي حمل الرقم (1559) والقاضي بانسحاب جميع القوات الاجنبية من لبنان واستخدامها كذلك قانون محاسبة سوريا الذي صادق علية الرئيس جورج دبليو بوش في 11 ايار 2004 من خلال اصدار الامر التنفيذي رقم (13338) والذي تضمن عدد من العقوبات منها

1. إدراج سوريا من ضمن الدول الراعية للإرهاب
2. حظر تصدير الأسلحة الى سوريا
3. حظر النقل الجوي بين الولايات المتحدة الأمريكية وسوريا
4. تجميد ممتلكات شخصيات سورية سياسية كبيرة ومنهم اسرة الرئيس بشار الاسد
5. تخفيض المستوى الدبلوماسي بين الولايات المتحدة الامريكية وسوريا
6. حظر تصدير البضاعة السورية .

وحمل هذا القانون سوريا ايضاً مسؤولية الهجمات التي تشنها المنظمات الإرهابية التي لها مقرات في سوريا (حزب الله و الفصائل الفلسطينية) بالإضافة الى فرض عقوبات على الاعمال التجارية السورية كما فرضة عقوبات على الحكومة السورية وعدة شركات تابعة لها فضلاً عن رجال اعمال سوريين وشركاتهم التجارية [55] .

كما اعطت الولايات المتحدة الامريكية الضوء الاخضر الى (اسرائيل) بشن غارة جوية في نهاية عام 2004بضرب احد المعسكرات لتدريب الفلسطينيين في سوريا وقد ازعج سوريا ردة فعل الولايات المتحدة الامريكية بعدم الاهتمام بهذا الموضوع والتلميح بغارات اخرى , كان العامل الرئيسي من وراء الضغط الامريكي هو اقناع القادة السوريين بالتوصل الى اتفاق تجاه امرين اساسيين هما ابداء التعاون السوري في العراق والصراع مع (اسرائيل) (56) .

وهكذا انعكس موقف سوريا القومي والاخوي تجاه العراق وموقفها المعارض للاحتلال الامريكي له الى تحول السياسة الامريكية تجاه سوريا الى مرحلة جديدة اشد توتر وعداء لازالت مستمرة الى يومنا هذا .

الخاتمة

توصلت الدراسة الى جملة من الحقائق وكانت كالاتي : -

1- سعت الولايات المتحدة الامريكية بعد احداث ايلول 2001 المتمثلة بالهجوم على برجي التجارة العالمية ووزارة الدفاع الامريكية (البنتاغون) الى السيطرة على العالم من خلال اتباع سياسة جديدة وهي سياسة الترهيب والترغيب وسن مشروع جديد يقضي بمحاربة الارهاب لتطبيق مشروعها في منطقة الشرق الاوسط (الشرق الاوسط الكبير) لضمان السيطرة على مصادر الطاقة من جهة والحفاظ على امن (اسرائيل) من الجهة الثانية , واجبار الدول العربية على الانضواء تحت هذه السياسة فكانت اولى خطوات هذه السياسة هو الاحتلال الامريكي للعراق .

2- لقد ادركت الحكومة السورية خطر السياسة الامريكية الجديدة في الشرق الاوسط على بلادها الامر الذي دفعها الى التعاون مع الولايات المتحدة الامريكية في عملية محاربة الارهاب من اجل الحفاظ على نفسها من التهديدات الامريكية التي لا تستطيع الوقوف بوجهها والدخول في محادثات ومفاوضات مطولة مع الجانب الامريكي .

3- بعد نجاح القوات الامريكية باحتلال العراق في 9 نيسان 2003 اتخذت سوريا موقفاً معارضاً من هذا الاحتلال وبدأت بتحركات سياسية ودبلوماسية من اجل ايقاف هذا الاحتلال وشنت حملة اعلامية من أجل حماية نفسها من الحصار الذي وضعته بها الولايات المتحدة الامريكية فمن الشمال خطر الاحتلال (الاسرائيلي) ومن الشرق التواجد العسكري الامريكي .

4- رأت سوريا أن الغزو والاحتلال الامريكي للعراق فرصة لترتيب الاوضاع في الشرق الاوسط لدمج (اسرائيل) داخل النسيج السياسي والاقتصادي والسياسي في المنطقة لهذا بدأت معارضتها لهذا العزو والاحتلال لان هذا يضر بمصالحها في المنطقة .

5- اتباع سوريا سياسة معارضة للاحتلال الامريكي للعراق بعد أن بدأت الولايات المتحدة الامريكية بتوجيه اتهامات الى سوريا بتزويد العراق بالأسلحة والمعدات العسكرية اثناء الحرب والسماح للمقاتلين العرب بعبور الحدود مع العراق لمقاتلة القوات الأمريكية بالإضافة الى امتلاك سوريا الى اسلحة دمار شامل ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل قامت الادارة الامريكية بسن قانون محاسبة سوريا الذي يتضمن محاسبة سوريا سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

6- على الرغم من سن واشنطن قانون محاسبة سوريا الا انها اضطرت في بعض الاحيان الى مهادنة سوريا والدخول في مفاوضات من اجل الحفاظ على مصالحها في العراق والحفاظ على المكاسب التب حققتها من هذا الاحتلال .

وخلاصة القول نرى ان هناك موقف سوري حقيقي بوجه الاحتلال الامريكي للعراق .

الهوامش

([1])مادلين اولبرايت : سياسية امريكية تنتمي الى الحزب الديمقراطي , ولدت عام 1937 في براغ عاصمة جمهورية تشيكو سلوفاكيا , تخرجت من مدرسة كينت دينفر سكول في عام 1955 , وبعدها حصلت على الشهادة الجامعية من كلية وليزلي كوليدج بمرتبت الشرف في مجال العلوم السياسية , شغلت منصب مندوب الولايات المتحدة الامريكية الدائم في الامم المتحدة في عام 1993 – 1997 , ثم في عام 1997 استلمت حقيبة وزارة الخارجية الامريكية بعد اختيارها من قبل الرئيس الامريكي بيل كلنتون في فترة ولايته الثانية لتصبح بهذا المنصب اول امرة امريكية تتسلم وزارة الخارجية الامريكية حتى عام 2001 , للمزيد ينظر , مدلين اولبرايت , سيرة ذاتية , ويكيبيديا , wiki<ar.m.wikipedia.com.

([2]) رضوان زيادة , السلام الداني , المفاوضات السورية – الاسرائيلية , مركز الدراسات والوحدة العربية , بيروت , 2005 , ص718

([3]) محمود المراغي , حرب الجلباب والصاروخ (وثائق الخارجية الامريكية حول الارهاب) دار الشروق للنشر والتوزيع , القاهرة , 2002 , ص78-79

([4]) فلاينت ليفريت , اختيار بشار بالنار , الدار العربية للعلوم , الامارات , 2005 , ص256 ؛ برادلي تايلر , السلام الامريكي في الشرق الاوسط : ترجمة عماد فوزي شعيبي , ط1 , الدار العربية للعلوم , بيروت , 2004 , ص68

([5]) صدام حسين : ولد عام 1937 , في قرية العوجة أحد قرى قضاء تكريت , تربى عند خاله خيرالله طلفاح ومنذ نشأته انظم الى حزب البعث العربي الاشتراكي , وفي عام 1956 انتقل الى بغداد , وكانت له دور بارز في الكثير من الاغتيالات منها محاولة اغتيال الرئيس العراقي الراحل عبد الكريم قاسم عام 1963 , وصل الى رأس السلطة في عام 1979 بعد تنازل الرئيس احمد حسن البكر , واستمر في الحكم الى عام 2003 بعد دخول القوات الامريكية الى العراق وتم إلقاء القبض عليه واعدم في تاريخ 30 كانون الاول 2006 , للمزيد ينظر , محمود عبدة , صدام حسين رحلة النهاية ام الخلود , دار الكتاب العربي , القاهرة , 2012 , ص6– 12 ؛ انيس الدغيدي , الحياة السرية لصدام حسين من القصور الى الجحور , الكتاب العربي , دمشق , 2004 , ص18.

([6]) جوزيف ستغلتز وليندا بيلمز , حرب الثلاثة تريليونات دولار الكلف الحقيقية لحرب العراق , ترجمة : سامي الكعكي , ط1 , دار الكتاب العربي , بيروت , 2009 , ص11–13

([7])جورج دبليو بوش : سياسي أمريكي , ولد عام 1946 في مدينة نيوهيفو في ولاية كونيتيكت , أكمل دراسته في التاريخ الحديث عام 1961 من مدرسة كنكيد وبعدها في كلية ييل , ثم أكمل دراسته في الاكاديمية العسكرية ليتخرج برتبة ملازم في الجيش الامريكي عام 1964, بعدها ذهب لمجال صناعة النفط , وفي عام 2001 رشح لرئاسة الولايات المتحدة الامريكية ليصبح الرئيس (43) للولايات المتحدة الامريكية واستمر لولايتين متتاليتين , للمزيد ينظر , جورج دبليو بوش , قرارات مصيرية , ط2 , شركة المطبوعات للتوزيع والنشر , بيروت , 2013.

([8]) محمد صدام فايق , الازمة الدولية وطرائق ادارتها دراسة تحليلية لازمة العلاقات العراقية – الامريكية 1990–2003 , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الاداب والعلوم , جامعة الشرق الاوسط , 2017 , ص72 .

([9]) دونالد رامسفيلد : سياسي امريكي , ولد عام 1932 شغل مناصب عدة كان اهمها وزير الدفاع الامريكي في الفترة من 1975 1977 في عهد الرئيس جيرارد فورد ومن الفترة 2001 الى 2006 في عهد الرئيس جورج دبليو بوش , وايضا كان عضواً في مجلس النواب الامريكي لثلاث دورات ومستشار الرئيس الامريكي ورئيس موظفي البيت الابيض , وتوفى عن عمر 88 سنة في 29 حزيران 2021 , اندرو كوكبرن , رامسفيلد , دار السيد للنشر والتوزيع , بيروت , 1كانون الثاني 2008 ص4–5 ؛ ويكيبيديا , www.wikipedia.org

([10]) محمد امين احمد هليل , العلاقات الايرانية مع دول مجلس التعاون الخليجي في ضوء الاحتلال الامريكي للعراق (2003–2011) , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الاداب والعلوم , جامعة الشرق الاوسط للدراسات العليا , 2011 , ص58 .

([11]) فلاينت ليفريت , المصدر السابق , ص248

([12]) محمد نذير سنان , لماذا سوريا بين حرب وسلام خلال مئة عام (1918–2018) , ج2 , دار رسلان للنشر , دمشق , ص1248

([13]) مصطفى علوي , المكانة الاستراتيجية للعراق : القوة الشاملة للعراق في ضوء التطورات الراهنة , مجلة السياسة الدولية , العدد 135 , القاهرة , مركز الدراسات والاستراتيجية , 2000 , 87–88

([14]) كوندليزا رايز : سياسية ودبلوماسية امريكية , ولدت في مدينة برمنغهام في ولاية الاباما عام 1954درسة في جامعة دنفر وحصلت على شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية في عام 1967 بعدها عملت في وزارة الخارجية في زمن الرئيس الامريكي جيمي كارتر ومن ثم شغلت عدة مناصب مهمة منها مستشارة الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش للامن القومي من عام 2001الى 2005 ووزارة الخارجية من 2005–2009 , ويكيبيديا , www.wikipedia.org

([15]) كولن لوثر باول : سياسي وجنرال عسكري امريكي , ولد عام 1937 في هارلم في نيو يورك وهو ابن مهاجرين جمايكيين من اصل افريقي , دخل للكلية العسكرية في مدينة نيويورك وتخرج برتبة ملازم عام 1958, تدرج في الوظائف العسكرية حتى وصل في عام 1989 الى رئاسة اركان الجيوش الامريكية المشتركة ومن ثم مستشار للأمن القومي الامريكي , وخلال حرب الخليج الثانية 1990-1991شغل منصب قائد للجيش الامريكي وهو الامريكي الوحيد من اصل افريقي عمل بقيادة الجيش الامريكي المشتركة وفي فترة حكم الرئيس جورج دبليو بوش الثانية تسلم زمام وزارة الخارجية في الفترة ((2001-2005)) , توفى عام 2021 , للمزيد ينظر , جوزيف بريسكو , يوميات كولن باول , ط12 , الدار الاهلية للنشر والتوزيع , عمان , 1996 ؛ قناة الحرة https://www.alhurra.com تاريخ دخول الموقع 27 تشرين الاول2021 .

([16]) رضوان زيادة , المصدر السابق , ص718 ؛ محمد نذير سنان , المصدر السابق , ص1248

([17]) محمد المراغي , سفر الموت من افغانستان الى العراق , دار الشروق , القاهرة , 2003 , ص59

([18]) فارس تركي محمود , السياسة الامريكية تجاه سوريا (1991-2005) , مركز الدراسات الاقليمية , جامعة الموصل , مجلد 5 , العدد 12 , 2008 , ص11

([19]) شهريات الاحداث الدولية , مجلة السياسة الدولية , العدد 147 , كانون الثاني 2002 , ص264

([20]) طلال العتريسي , مصر وسوريا بين التهديد واعادة تشكيل الدور الاقليمي , ج2 , مركز الحضارة للدراسات السياسية , القاهرة , 2005 , ص691

([21]) الموقف العربي والاقليمي والمحلي , اولاً الموقف العربي , www.moqatel.com

([22]) خلف رمضان محمد الجبوري , الشرعية الدولية والموقف من احتلال العراق , مجلة الرافدين للحقوق , المجلد 11 , العدد 40 , 2009 , ص46

([23]) زايد بن سلطان ال نهيان :أمير دولة الامارات العربية المتحدة , ولد عام 1918 في ابو ظبي , درس في بداية حياته القران الكريم , أصبح حاكماً لإمارة العين عام 1946 , وبعد استقلال الامارات العربية المتحدة اصبح اول حاكم لها عام 1971 , ويعتبر هو المؤسس الفعلي لدولة الامارات , ساهم في تأسيس مجلس التعاون الخليجي عام 1981 , توفى في 2 تشرين الثاني عام 2004 , للمزيد ينظر , حمودي تمام , زايد بن سلطان ال نهيان القائد والمسيرة , ط3 , شركة داي نيون ليمتد , طوكيو , 1986 ,الويكيبيديا , https//ar.m.wikipedia.org/ .

([24]) جاسم يونس الحريري , التنافس الاقليمي والدولي في العراق وانعكاساته على علاقاته الخارجية بعد الاحتلال الامريكي , ط1 , دار الجنان للنشر والتوزيع , الاردن , 2016 , ص24 .

([25]) مروى عيسى , موقف الدول العربية من الحرب الامريكية على العراق , امتي في العالم , ج2 , مركز الحضارة للدراسات السياسية , القاهرة , 2005 , ص415

([26]) جريدة البعث , سوريا , العدد 12335 , 12 ايار 2003 .

([27]) جريدة الاهرام , مصر , العدد 42108 , 21 اذار 2002 .

([28]) جريدة الاهرام , العدد 42434 , 10 شباط 2003 .

([29]) طلال العتريسي , مصر وسوريا بين التهديد واعادة تشكيل الدور الاقليمي , ج2 , مركز الحضارة للدراسات السياسية , القاهرة , 2005 , ص287

([30]) عبلة مزوري , العلاقات الايرانية – السورية في ظل التحولات الراهنة , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الحقوق , جامعة باتنة , 2010 , ص71

([31]) محمد امين احمد هليل , المصدر السابق , ص60

([32]) محمود خليل يوسف القدو , تطور العلاقات السياسية التركية– السورية في ضوء المتغيرات الاقليمية والدولية 2007-02012 , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الاداب والعلوم السياسية , جامعة الازهر , غزة , 2012 , ص110

([33]) محمد نور الدين , التداعيات الاقليمية , تركيا , مجلة المستقبل العربي , العدد 332 , 2006 , ص72

([34]) صحيفة السفير العدد , 7 نيسان 2003 .

([35]) طلال العتريسي , المصدر السابق , ص698

([36]) هديل الهطاطشة , العلاقات الروسية السورية (1979-2013) , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية عمادة الدراسات العليا , جامعة مؤتة , الاردن , 2013 , ص25 .

([37]) رسلان حسبو لاتوف , الموجهة والسلام (شهادة للتاريخ في انهيار الاتحاد السوفييتي) , ترجمة : ابو بكر يوسف , ط1 , مركز الاهرام للترجمة والنشر , القاهرة , 1996 , ص11

([38]) محمود محمد علي , المخطط الامريكي لاحتلال العراق , ط1 , دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر , الاسكندرية , 2018 , ص21

([39]) مركز دراسات الوحدة العربية , معجم الحرب على العراق يوميات – وثائق – تقارير 1990-2005 , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , 2007 , ص1018

([40]) ابراهيم خليل العلاف , الولايات المتحدة الامريكية ومحاولة اقلمة و تدويل قضية الامن في العراق , بحث مقدم الى مركز الدراسات الاقليمية , جامعة الموصل القدد 11 , 2005 , ص5 .

([41]) احمد على خرسة , تأثير المصالح الاقتصادية الامريكية على منطقة الشرق الاوسط بعد احداث 11 ايلول 2001 حتى عام 2011 (العراق أنموذجاً) , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية العلوم السياسية , جامعة دمشق , 2013 , ص120-121 .

([42]) عبدالله الاشعل , مأساة العراق , البداية والنهاية , مؤسسة الطوبجي للطباعة والنشر , القاهرة , 2004 , ص220-221

([43]) ذكر طوني بلير رئيس الوزراء البريطاني السابق ان الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش والادارة الامريكية كانت عازمة على احداث تغيير في الشرق الاوسط بدايته من العراق , يهدف هذا التغير الى محاربة ما اسمته امريكا بدول محور الشر وهي كل من (ايران وسوريا والعراق وكوريا الشمالية) وذكر ايضاً ان الولايات المتحدة الامريكية عازمة على تغير العالم وليس القيادة فقط , طوني بلير مسيرة رئيس وزراء , شركة المطبوعات للتوزيع والنشر , بيروت , 2011 , ص535 ؛ جعفر بهلول جابر الحسيناوي ,الابعاد السياسية والاقتصادية للاحتلال الامريكي للعراق وانعكاساته على دول الجوار , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية العلوم السياسية , جامعة النهرين , 2013 , ص61-62

([44]) الحرب الغير عادلة واللاأخلاقية , http://www.hapastegy.net/gostaresheeu.htm

([45]) نصير حسين عاروري , امريكا الخصم والحكم , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , 2007 , ص277

([46]) أيال زيسر , باسم الاب بشار الاسد السنوات الاولى بالحكم , ط1 , مكتبة مدبولي , القاهرة , 2005 , ص280 .

([47]) مجلة المستقبل العربي , موجز يوميات الوحدة العربية , العدد 293 , تموز 2003 , ص226 .

([48]) المصدر نفسه , ص227 .

([49]) الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون – سورية , كلمة الرئيس السوري بشار الاسد , القمة العربية في دمشق 29 اذار 2008 , www.rtv.gov.sy

([50]) صحيفة السفير , لقاء صحفي مع الرئيس بشار الاسد , 7 نيسان 2003

([51]) أيال زيسر , المصدر السابق , ص279 .

([52]) فارس تركي محمود , المصدر السابق , ص13 .

([53]) وكالة رويترو , لقاء صحفي مع وزير الخارجية السوري مع نظيره الفرنسي , 12 نيسان 2003 , https://www.reuters.com

([54]) فلاينت ليفريت , المصدر السابق , ص236.

([55]) منظمة مراقبة حقوق الانسان , التقرير العالمي 2005 , Syria<mena<https://www.hrw.org

(56) المجموعة الدولية لمعالجة الازمات , سوريا في عهد بشار تحديات السياسة الخارجية , التقرير السنوي رقم 23 , جامعة الشرق الاوسط , عمان – الاردن , 2004 , ص6 .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

الموقف العراقي من الثورة الاسلامية في إيران عام 1979م

م.م ساره حسين شريف
مديرية تربية ذي قار
Saramosawy7@gmail.com

المستلخص
كان للثورة الاسلامية في ايران اثراً كبيراً على الواقع العراقي حكومتاً وشعباً اذ حضيت باهتمام الحكومة العراقية خشية إنتقالها وتسرب أفكارها، ومن جهة اخرى أدت الى تفائل الشعب العراقي وإعطائم أمل بالتخلص من النظام البعثي .
حاول قادة الثورة الاسلامية في إيران تصدير ثورتهم الأمر الذي اثار حفيظة الدول الاقليمية خصوصاً العراق البلد المجاور لإيران ، فضلاً عن وجود الاغلبية الشيعة المؤيدة لتلك الثورة مما أدى الى حدوث فجوة وخلاف كبير بين الشعب العراقي وحكومته تسبب في قمع وقتل الكثير من المعارضين للنظام العراقي وعلى رأسهم المرجع الديني السيد محمد باقر الصدر بسبب تأيده الكبير لتلك الثورة.
الكلمات المفتاحية :(الموقف، العراقي، الايراني ، الثورة الاسلامية الايرانية)

Abstract:
The Islamic Revolution in Iran had a great impact on the Iraqi reality, government and people, as it attracted the attention of the Iraqi government for fear of its transmission and the leakage of its ideas. On the other hand, it led to the optimism of the Iraqi people and gave them hope to get rid of the Baathist regime.
The leaders of the Islamic Revolution in Iran tried to export their revolution, which angered the countries of the region, especially Iraq, the neighboring country of Iran, as well as the presence of the Shiite majority supporting that revolution, which led to a great rift and disagreement between the Iraqi people and their government, which caused the suppression and killing of many the opponents of the Iraqi regime, the most prominent of whom was the religious authority, Sayyid Muhammad Baqir al-Sadr, because of his great support for that revolution.

المـقـدمـة
تعد دراسة الموقف العراقي من الثورة الاسلامية في ايران مهمة بالنسبة للبلدين فقد أثرت تلك الثورة على العراق سلباً، مما جعلت الحكومة العراقية تتخذ اساليب عدة للحد من انتشارافكارها بسرعة لوجود أغلبية شيعية في العراق كانت راغبة في التلخص من النظام البعثي مما شكل تهديداً للنظام العراقي وأدى الى حدوث مشاكل ومناوشات حدودية انتهت بحرب دامية .
جاء اختيار موضوعنا ((الموقف العراقي من الثورة الاسلامية في ايران عام 1979)) لما لذلك الحدث من تأثير كبير على مجرى العلاقات العراقية الايرانية التي أدت الى حرب بين البلدين استمرت ثمان سنوات (1980-1988) .
واقتضت طبيعة البحث تقسيمه الى ثلاث مباحث تناول المبحث الاول منه الثورة الايرانية عام 1979واسباب قيامها ، بينما تناول المبحث الثاني الموقف العراقي الرسمي من تلك الثورة ، وتطرق المبحث الثالث دراسة الموقف العراقي الشعبي من تلك الثورة

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر المهمة منها كتاب علي المؤمن ((سنوات الجمرمسيرة الحركة الاسلامية في العراق 1957-1986))، فضلاً عن كتاب كاظم الحائري المعنون ((الشهيد الصدر سمو الذات وسمو الموقف)) .

وكان للرسائل والاطاريح دورا مهما في هذه الدراسة ومنها رسالة الباحث كرار عبد الحسين جودة الخفاجي ((الحركات الاسلامية الشيعية في العراق (195-1980)) وغيرها من الرسائل النهمة التي تناولت بعض الزوايا من هذا الموضوع .

المبحث الاول : الثورة الإسلامية في إيران

أولاً أسباب قيام الثورة:-

إن من اسباب قيام الثورة الاسلامية في إيران تأزم العلاقة بين شاه إيران محمد رضا بهلوي[1] والمؤسسة الدينية فقد أعلن الشاه عن برنامج اصلاحي عام 1961 أطلق عليه أسم (الثورة البيضاء) والذي عارضه رجال الدين عن طريق إصدار البيانات والخطب المناوئة له ووصفوا بعض فقرات ذلك البرنامج بالافكار الخطره والمخالفة للإسلام ومنها حرية المرأة والمساواة بين الجنسين وغيرها[2] .

وعلى أثر ذلك تعرض رجال الدين الى حملات اعتقال من قبل الشاه وتم نفي أعداد كبيرة منهم، مما اضطر السيد محسن الحكيم المرجع الأعلى في النجف الاشرف أنذاك الى ارسال رسائل في 3نيسان1963 الى عدد من المراجع والعلماء في إيران يطالبهم بالهجرة الجماعية الى النجف للحفاظ على حياتهم وعلى كيان الحوزة العلمية , وقد عبر الشاه عن استنكاره وغضبه لدعم علماء النجف وكربلاء لحركة رجال الدين في إيران، فقد بادر بإرسال أفواج من قوات الأمن الى مدينة قم وأرسل وفداً رسميا نقل رسالة تهديد الى المراجع وقد امتنع السيد الخميني عن استقبال ذلك الوفد[3].

وهكذا تفاقمت الأوضاع الداخلية في إيران بصوره كبيرة إلا إن الشاه استطاع السيطرة على الإحداث ومنع امتداد الاضطرابات الى مناطق ومدن عده وتم اعتقال السيد الخميني[4] ونفيهُ الى تركيا ثم الى العراق[5] .

وشهدت سنوات السبعينيات من القرن العشرين تزايداً في أساليب البطش والإرهاب التي مارسها النظام في إيران ضد معارضيه فشكل جهاز السافاك، فرق المراقبة والمطاردة ومورست شتى صنوف التعذيب من اجل انتزاع المعلومات من أي مشتبه به وأرسل السافاك عناصره الى الدول الأخرى لجمع المعلومات عن المعارضة السياسية هناك ومن جانب آخر طورت المعارضة الإيرانية أساليبها لمواجهة القمع النظام الملكي ومنها المعارضة اليسارية الشيوعية[6].

وفي الوقت الذي كانت فيه إيران تعاني من مشاكل داخلية كالأزمة الاقتصادية التي حصلت عام 1976 و وصلت حدتها في عام 1977 فلم يتمكن الشاه ولا حكومته من إيجاد الحلول المناسبة لها والتي أدت الى ازدياد الفجوة والخلاف بين الحكومة والشعب الإيراني[7] .

و رغم إجراءات حكومة الشاه التعسفية ضد المؤسسة الدينية إلا أنها فشلت في الحد من قوة الفعل الثوري لها التي طالبت بإيجاد الحلول للمشاكل والأزمات السياسية والاقتصادية, ومن جانب آخر ظهرت في إيران جمعيات ومنظمات عده معارضة لسياسة الشاه، وعادت الأحزاب والمنظمات والشخصيات السياسية القديمة للممارسة نشاطها من جديد متحدية الاجراءات التعسفية التي اتخذها الشاه ضدهم، ناهيك عن المحاولات الاصلاحية الاقتصادية الاجتماعية التي قام بها الإ انه فشل في السيطرة على الوضع في إيران والحفاظ على عرشه فرحل من غير رجعة[8] .

ثانياً :- قيام الثورة:-

عاد السيد الخميني لإيران في 1 شباط 1979، على متن طائرة تابعة للخطوط الجوية الفرنسية وكان باستقباله مئات الآلاف من المواطنين الذين تجمعوا داخل وخارج مطار مهر اباد في طهران، فضلاً عن مئات الصحفيين والاعلاميين الذين جاءوا لتغطية الحدث الاهم في تاريخ ايران المعاصر[9].

وبعد إن تمكن السيد الخميني من طرد الشاه والسيطرة على الاوضاع في إيران أوضح للشعب الإيراني بأن الشاه رحل وترك خراباً وانه لا يستطيع أن يبني ذلك الخراب خلال مده قصيرة لان إصلاح ما تركه الشاه يحتاج لاتحاد كل الشعب ونصحهم بالتصويت للجمهورية الإسلامية وتم إجراء استفتاء أدلى فيه

الإيرانيون برأيهم لصالح الجمهورية الإسلامية وبالتالي أعلن السيد الخميني في يوم الأول من نيسان 1979 عن قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية وعد ذلك اليوم اكبر أعياد إيران [10].

وأدت ثورة عام 1979 الى حدوث تغييرات جوهرية في السياستين الداخلية والخارجية وابرز تلك التغييرات هو التسلح الإيراني انطلاقا من إن بناء القوة العسكرية وتسلحها يمنح الدولة القدرة على مواجهة العدوان الخارجي وتامين الأمن الداخلي[11] .

ثالثاً :- تصدير الثورة :-

حاولت ايران تطوير قدراتها التسليحية وامكانياتها العسكرية من اجل اداء دور القوة الاقليمية داخل المنطقة العربية عامة ومنطقة الخليج العربي خاصة وقد شكل ذلك خللاً في موازين القوى بالمنطقة وأنعكاساته على الأمن القومي العربي ولم تكتف ايران بذلك القدر بل رفعت شعار الاسلام كاساس يستند اليه النظام السياسي الإيراني وكمحدد لموقف ايران من الصراعات الاقليمية في الخليج العربي[12].

وفي صدد تصدير الثورة فقد ذكر السيد الخميني في أحد خطاباته قائلاً ((انني أمل ان نتمكن من رفع لواء الاسلام والجمهورية الاسلامية في كل مكان وان تتبع الشعوب الاسلام فهو حق الجميع))[13].

وهكذا برز اتجاه العمل من اجل تصدير الثورة الى خارج ايران وبسرعة مذهله أخذ ذلك النظام يثير التوجهات الايرانية التوسعية لذا بدأ النظام الجديد في الاتجاه غرباً نحو العراق ودول الخليج العربي عموماً وتبني الشعارات الجديدة التي رفعها مما اعطي دون سابق انذار أولوية قصوى لسياسة التأثير على اقطار الخليج العربي وفي مقدمتها العراق بوصفها أقرب تلك الاقطار وخط الصدام الاول مع ايران[14] .

وقد تزايد العداء الايراني للحكومة العراقية في ظل النظام الجديد متخذة من شعار تصدير الثورة غطاء ايدلوجياً لها والظاهر ان اتخاذ العراق المحطة الأولى لتنفيذ الشعار الايراني نابع من تصور ان العراق هو الدولة العربية القوية في المنطقة وان احتلالها او على الاقل اضعافها لابد ان يؤدي الى تسهيل هيمنة ايران وتوسعها على باقي اقطار منطقة الخليج العربي[15] .

فضلاً عن كون العراق الدولة الأولى التي تربطها مع ايران حدود طويلة مشتركة وعلاقات تاريخية واجتماعية بل وحتى دينية عميقة فضلاً عن العلاقات والمصالح المتبادلة على جميع الاصعدة الاقتصادية والاستراتيجية الأمنية والعسكرية والسياسية ، علاوة على انه لايمكن للنظام الثوري الاسلامي الفتي في ايران التعايش مع النظام العلماني في العراق طالما ان كل منهما يحمل في طياته تهديدا لوجود الآخر[16] .

المبحث الثاني : موقف الحكومة العراقية من الثورة الاسلامية في إيران

عد النظام العراقي أكثر الأنظمة التي تأثرت سلباً بالثورة الإسلامية والعدو الأكبر لها وان ذلك العداء لايران امتد الى بضع سنين قبل قيامها ويمكن تحديده بالمدة التي أعقبت اتفاقية الجزائر عام 1975 التي عقدت بين النظامين العراقي والإيراني، إذ التزمت الحكومة العراقية ببنود اتفاقية الجزائرعام 1975 والبروتوكول الأمني القاضي بتبادل المعارضين للنظامين والحد من نشاطهم, و قدمت مختلف أشكال الدعم لأجهزة الشاه بغية ضرب القيادة الإسلامية المتمثلة بالسيد الخميني والحركة الإسلامية الإيرانية فأخذت تضيق على السيد الخميني وجماعتهُ في النجف الاشرف وبلغ التنسيق بين النظامين ذروتهُ بعملية قتل نجلهُ السيد مصطفى خميني في 10 تشرين الثاني 1977 بظروفٍ غامضة [17] .

استجابت الحكومة العراقية لضغوط الشاه بإخراج السيد الخميني من العراق وأبلغتهُ رسمياً في 19 آب 1978 بعدم السماح له في ممارسة إي نشاط سياسي معارض للنظام الإيراني بسبب التزامها ببنود الاتفاقية التي وقعتها مع إيران، ولتأكيد موقفها حاصرت القوات الأمنية العراقية منزله في النجف في 4 أيلول 1978، وأبلغته بأن شرط إقامته في النجف مرهون بعدم تدخله في الشؤون السياسية، إلا إن السيد الخميني رفض ذلك وبين لهم بان المسؤولية الإسلامية الملقاة على عاتقه كمرجع ديني تمنعه من القبول بذلك الشرط، لكن القوات الأمنية العراقية عادت مجددا لمحاصرة بيته في يوم 23 و 25 أيلول من العام نفسه، وزادت في الضغط عليه، لذا أعلنت الحكومة الإيرانية بالسماح في عودته الى إيران ليبقى تحت أنظارها، لكنه رفض ذلك وغادر العراق باتجاه الكويت في 4 تشرين الأول1978، إلا إن الحكومة الكويتية رفضت دخوله أراضيها مما اضطر الى تغيير وجهة سفره، وعاد الى بغداد لينطلق منها الى باريس في يوم 6 تشرين الأول 1978[18] .

وبعد انتصار الثورة خشيت الحكومة العراقية من امتداد لهيبها الى العراق وانفجارهُ بثورة مشابهة، وذلك الأمر أثار مخاوف الحكومة العراقية وجعلها تبذل المستحيل للحيلولة دون امتدادها الى العراق ورغم ذلك فقد ابرق الرئيس العراقي احمد حسن البكر بتهنئة مهدي بازركان (رئيس أول حكومة مؤقتة في إيران) بالانتصار وتأسيس الحكومة الجديدة[19] ، واستلمت العراق عن تلك البرقية جوابين من الخميني أحداهما جاء مناسب من خلال وزارة الخارجية الإيرانية والآخر جاء متضمناً اتجاهاً عدائياً إذ أنهى الخميني برقيته بعبارة (والسلام على من اتبع الهدى) وذلك التعبير كان يستخدمه النبي محمد (ص) لمخاطبة الجماعات غير الاسلامية في الجزيرة العربية ، ذلك يعني انه عد اعضاء حكومة بغداد من المشركين[20].

ورغم ذلك فقد عاش حزب البعث حاله من الخوف والقلق لكون تلك الثورة ستعزز من تطلع العراقيين نحو اقامة حكومة اسلامية مشابهة في العراق فاخذ حزب البعث يشن حملة اعلامية ضدها مدعياً إن أسباب الثورة هي إقتصادية وطائفية بدعم اجنبي ضد مصالح الامة العربية[21] .

كما اصدرت الحكومة العراقية توجيهاتها الى الكوادر البعثية بضرورة تشويه صورة السيد الخميني وثورته الاسلامية فادعت انه قام بالثورة لتحقيق مصالح شخصية كما وجهت عناصر الامن والاستخبارات العراقية بمراقبة اتصال الشباب المتدين مع رجال الدين ومراقبة الجوامع والمصلين فيها[22] .

كما عمدت الحكومة العراقية الى احداث مشاكل طائفية وعرقية بين العرب الايرانيين في مدينة الاهواز بايران والمناطق الحدودية مع العراق وتحريضهم ضد الحكومة الاسلامية الجديدة[23] .

شعر نظام البعث في العراق بقلق من تداعيات تلك الثورة فأسرعت قياداته الى استبدال الرئيس أحمد حسن البكر بنائبه صدام حسين الذي اخذ على عاتقه مهمة تصفية المعارضة الاسلامية الشيعية العراقية عن طريق الاعتقالات والاعدامات ، كما اقترن ذلك بحملات تهجير وتسفير واسعة للعديد من العوائل والشباب الى خارج العراق تحت ذريعة التبعية الايرانية[24].

وامام ذلك الوضع أخذت الحكومة العراقية تكثف اتصالاتها مع أجهزة الامن البريطانية لمعرفة أفضل السبل المؤدية لمنع انتقال لهيب الثورة الاسلامية الى العراق وعلى اثر ذلك اوصت دراسة اعدتها مخابرات غربية للحكومة العراقية بتكثيف جهودها وبشكل عاجل لضرب الحركة الاسلامية الشيعية العراقية والقضاء عليها، كما ان الرئيس الامريكي جيمي كارتر(Jimmy Carter) قد طلب بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران من المخابرات المركزية الامريكية موافاته بدراسة كاملة عن الاحزاب الاسلامية في المنطقة فكانت الدراسة ترشح العراق كبلدٍ ثانٍ من الممكن ان يحذو حذو ايران في ثورة اسلامية لذا شكل ذلك قلق لدئ الحكومة العراقية[25] .

قام النظام العراقي باحتضان معارضي النظام و أعدائه أمثال اويسي و شاهبور بختيار وغيرهما ووضع الإمكانيات كافه بين أيديهم بما فيها وسائل الأعلام والمعسكرات وأيضا سعى النظام العراقي لإثارة الفتن والنعرات العرقية والطائفية في بعض مناطق إيران ومنها كردستان وخوزستان، ففي خوزستان تدخل النظام العراقي بشكل سافر في محاوله لإيجاد موطئ قدم له في أراضي الجمهورية الإسلامية الفتية فحرك عدداً من واجهاته القومية لضرب الحكم الإسلامي مثل (جبهة تحرير عربستان) و (الجبهة الشعبية لتحرير الاحواز) وهما تخضعان مباشرة لتنظيم حزب البعث في البصرة وقد قامتا بالعديد من أعمال الشغب والعنف كالتفجير والقتل خصوصاً في خرمشهر[26] .

وعندما رفعت إيران شعار تصدير الثورة للعراق والدول المجاورة أرادت من ذلك تحقيق العديد من الأهداف، وأهمها إسقاط نظام حكم صدام حسين وإقامة حكومة في العراق على النمط الإيراني والسيطرة على العتبات المقدسة في النجف وكربلاء، فضلاً عن فرض سيطرتها الكاملة على شط العرب والخليج العربي لتحريك السياسة الدولية وفق أهوائها [27] .

وسعى صدام حسين ليصبح شرطي منطقة الخليج العربي ويتولى زعامة العالم العربي فوجد بسقوط الشاه فرصه سانحة ليصبح العراق البديل في الدعامة المزدوجة ويملا الفراغ السياسي الذي تركه الشاه عندما كان يدعي أنهُ شرطي المنطقة[28] .

وبالتالي فقد كان لنجاح الثورة الاسلامية الايرانية عام 1979 وتسلم صدام حسين منصب الرئاسة في العراق اثراً كبيراً على التنافس الشيعي السني، الذي أثرعلى مجرى حركة المعارضة التي يمكن تلخيصه بما يلي:

1- تبنى حزب البعث ونظام صدام على وجه الخصوص موقفا علمانياً شديد العداء لرجال الدين وعارض جميع اشكال الايدولجيات الدينية كما انه سعى بل نجح الى حداً كبيراً في تهميش ان لم يكن إسكات القيادات الدينية التقليدية وبعملهم هذا كان البعثيون يحاولون ان يؤمموا الدين ويفرضوا إدارة الدولة على مجاميع مضامير الانشطة الدينية[29] .
2- سعى النظام باستمرار لإنهاء الاستقلال التقليدي الذي كانت تتمتع به المؤسسات الشيعية الدينية وزعامتها ، خصوصا تلك الموجوده في النجف وكربلاء وكان البعثيون يهدفون الى استبدال الولاء للقيادة الروحية بالولاء والخضوع للنظام ، وتحقيقا لذلك الهدف فرض صدام حسين حظرا على الشعائر الشيعية الموروثة وعلى احتفالات الشيعة التقليدية باعتبارها شكلا من اشكال الاحتجاج السياسي غير المقبول
3- في اعقاب تدهور العلاقات بين العراق وايران عمدت الحكومة العراقية الى عدد من الاجراءات الهادفة الى تقليص النفوذ الايراني التقليدي في العراق وتضمنت تلك الاجراءات فرض عقوبات بالغة القسوة والسجن ومصادرة الموجودات والطرد والابعاد[30] .
4- نظر رجال السلطة في العراق الى نجاح الثورة الاسلامية لعام 1979 على انه تهديد استراتيجي لوجودهم وقد دفعتهم غريزة البقاء الى اللجوء الى وسائل وحشية بالغة القسوة لتحطيم اية بادرة معارضة بين الشيعة وذلك بإرتكاب المجازر والمذابح لتجنب المصير الذي انتهى اليه نظام الشاه في ايران .
5- شعر زعماء الشيعة في العراق ان النجاح الكبير للثورة في ايران يمكن ان يتكرر في العراق إذ امدهم ذلك النجاح بشئ من التشجيع في الانخراط في انشطة سياسية سرية بهدف تأسيس جمهورية اسلامية شيعية في البلاد على انقاض النظام البعثي[31] .

المبحث الثالث :الموقف العراقي الشعبي من الثورة الإسلامية في إيران

كان الشعب العراقي أكثر الشعوب تأثرا بالثورة الاسلامية في ايران بسبب الجوار الجغرافي للعراق والكثافة السكانية العراقية المتاخمة للحدود بينهما، فضلاً عن التداخل العشائري والمذهبي بينهما. فالشيعة يشكلون 64% من كثافة سكان العراق و 98% من سكان إيران[32]، كذلك وجود العتبات المقدسة وتداخل الحوزات العلمية بين البلدين الى حد الاندماج المرجعي بينهما وما لعبته الحوزة العلمية في النجف من دور ريادي في المنعطفات السياسية في إيران،فضلا عن ظهور مرجعية ثورية في الساحة الشيعية العراقية متمثلة بالسيد محمد باقر الصدر، وحركة إسلامية تتطلع الى إقامة حكم إسلامي، كل تلك العوامل جعلت التفاعل مع الثورة الإسلامية الإيرانية أمراً لا مناص منه[33].

ومن جانب آخر فقد عد حكم الشاه في إيران بالنسبة للشيوعيين العراقيين الكثير من السخط، لما يمثله من بؤرة للتحالفات الغربية إذ كان نظام الشاه يمثل الحكم المعادي للقوى الوطنية الإيرانية ومن بينها حزب (توده)[34] ،ومن جانبه كان الحزب الشيوعي العراقي قد نشر في صحافته ما يتعرض له ذلك الحزب من مضايقات وانتهاكات أضف الى ذلك أن بعض الشيوعيين العراقيين الذين خرجوا من العراق خوفاً من الاعتقال والقتل بعد انقلاب الثامن من شباط 1963 قد طالهم الاعتقال في سجون الشاه تم تسليمهم إلى الحكومة العراقية حسب ذكر أحد المعتقلين في سجون الشاه[35].

وكانت القوى المحركة للإضرابات والمظاهرات ضد حكم الشاه تتكون من تحالف بين التيار الديني المتمثل بالسيد الخميني وبين حزب توده، وذلك التحالف جعل شيوعيي العراق ينظرون نظرة إيجابية للأحداث في إيران[36].

أدى سقوط الشاه وانتصار الثورة الإسلامية لإحياء الآمال الكردية في دعم إيراني حقق للحركة الكردية دعماً عسكرياً وسياسياً وشكل ضغوطاً على الحكومة العراقية فبعد انتصار الثورة أرسل الملا مصطفي البرازاني[37] برقية تأييد الى السيد الخميني تمنى فيها إن يعتبره من المجاهدين السائرين على

ذلك الطريق، إما جلال الطالباني[38] فقد زار إيران والتقى بالسيد الخميني في مقر إقامته في قم المقدسة وتبادل معه وجهات النظر وسبل إقامة العلاقات بين إيران الإسلامية والاتحاد الوطني الكردستاني لان الطالباني وجد إن العلاقات مع النظام الإيراني الجديد ضروري لاعتبارات مختلفة منها جغرافية واقتصادية وسياسية مع الاختلاف الفكري والأيدلوجي بينهم و بالرغم من تلك الزيارة لم يتمكن الاتحاد الوطني الكردستاني بأيديولجيتة العلمانية واليسارية الاستفادة من النظام الجديد شعر النظام الجديد بأمان أكثر مع الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة العائلة البرزانية كما شعر الشاه بذلك من قبل[39] .

أما المؤسسة الدينية العراقية فقد سعت للوقوف الى جانب الشعب الإيراني وتأييد الأغلبية من الشعب العراقي للمعارضين لحكم الشاه، فقد أرسل السيد محمد باقر الصدر رسالة الى الشعب الإيراني دعاهم فيها الى الالتفاف حول السيد الخميني ومتابعة مسيرة النضال, بقوله (إننا في النجف الاشرف نعيش مع الشعب المسلم الإيراني بكل قلوبنا، ونشاركه آلامه وأماله وان الشعب الإيراني كان يحقق نجاحه في نضاله بقدر التحامه مع قياداته الروحية ومرجعيته الدينية الرشيدة، فالقيادات الروحية هي الحصن الواقي من كثير من ألوان الضياع) [40].

أثرت تلك الرسالة في الشعب الإيراني الذي كان يتلقف كل ما تصدره الحوزة العلمية في النجف الاشرف من بيانات تشجعهم على الثورة فقد لعبت تلك الحوزة دوراً رياديا وخاصة أثناء بروز دور السيد الخميني المدعوم من قبل السيد محمد باقر الصدر الذي وضع كل إمكانياتهُ وطاقاتهُ تحت تصرف السيد الخميني[41] .

ولدعم الثورة فكرياً كتب السيد محمد باقر الصدر كتاباً بعنوان((لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع الدولة الإسلامية في إيران))، كما كتب رسالة الى السيد الخميني جاء فيها ((ونحن في الوقت الذي نتّربص فيه – بأمل كبير بالله تعالى- مراحل النصر اللاحقة لهذه النهضة الإسلامية العظيمة، نضع جميع وجودنا وإمكاناتنا في خدمة وجودكم العظيم والنهضة الإسلامية المقدسة ونسأل الله أن يطيل في عمركم ويزيد من عزتكم ويحقق آمالنا العتيدة الكبيرة في ظل مرجعيتكم وقيادتكم إن شاء الله تعالى)).[42] .

ومن جهة اخرى انتشرت شائعات مفادها بأن السيد الصدر ينوي الهجرة الى خارج العراق، ما حَمَلَ السيد الخميني على الابراق له طالباً منه البقاء في النجف الاشرف، الامر الذي دفع السيد الصدر الى محاولة اختبار الجماهير العراقية ومستوى وقوفها معه في الصدام مع النظام الحاكم فاتفق مع وكلائه على ان تقوم تنظيمات الحركة الاسلامية الشيعية بتحشيد جماهيرها وإرسالها على شكل وفود لمبايعة قائدها السيد محمد باقر الصدر، اما قوات الامن والمخابرات والشرطة قفد اعلنت الانذار العام في النجف وطوقت الشوارع والمدينة ولم تكن تتوقع مثل ذلك الولاء للمرجعية وبعد انتهاء ايام البيعة في النجف بأمر من السيد الصدر داهمت مجموعة من قوات الامن في الساعة الخامسة فجريوم 12حزيران 1979بيت السيد الصدر وتم اعتقاله مع اثنين من مرافقيه وكان ذلك الاعتقال الثالث[43].

ونتيجة لتلك الاحداث قررت المعارضة الاسلامية الشيعية كسر جدار الصمت الجماهيري فنظمت تظاهرات شعبية للاحتجاج انطلقت بداياتها من مدينة النجف الاشرف ثم تلتها مدن اخرى في العراق وقد ابدى المتظاهرون صموداً رائعاً فسقط منهم شهداء وجرحى واعتقلت الاجهزة الامنية أعداداً كثيرة منهم وأخذت إجراءات التحقيق مع السيد الصدر مجرئ جدياً قبل ان يأتيَّ الامرُ باطلاق سراحه في اليوم الذي اعتقل فيه ،ومن اهم النتائج التي تمخضت عن انتفاضة رجب في حزيران 1979هي دخول المعارضة الشيعية المرحلة السياسية العلنية والتي اسدلت الستار على مرحلة سرية دامت قرابة اثنين وعشرين عاماً (1957-1979) عملت فيها على تشكيل تيار سياسي اسلامي شيعي منظم في المجتمع[44].

أما حزب الدعوة الإسلامية فقد أوفد الشيخ محمد مهدي الاصفي (أحد ابرز قادة حزب الدعوة) الى فرنسا للقاء السيد الخميني وإبلاغه بتأييد الحزب المطلق له، واستعداده بوضع كل طاقاته تحت تصرف الثورة[45] .

ناهيك عن إصدار بياناً أيد فيه انتفاضة المسلمين في إيران، قائلاً (إننا في حزب الدعوة الإسلامية نرى إن انتفاضة إخواننا في الله تعالى في إيران تمثل الحقائق والمكاسب وغيرها، ونعيشها معركة للإسلام ودعاته مع أعداء الله وأعداء أمته، ونتطلع الى امتداد نتائجها المباركة وتأثيرها الفعال على الحركة

الإسلامية المقدسة في إيران والعالم، وإننا إذ نقوم بإسناد تلك المعركة الإسلامية المقدسة بكل وسعنا ننبه المسلمين جميعا الى وجوب إسناد إخوانهم في الله في إيران بكل أنواع المساندة لأن معركتهم معركة المسلمين جميعاً ولن يبرئ ذمة المسلمين شيء أمام الله تعالى ولن يرضيه عنهم شيئاً إلا بالنهوض بمسؤولية الإسلام الموضوعة على أعناقهم والسير نحو هدف الإسلام في إقامة نظامه وتخليص أمته من نفوذ الكفر وأنظمته وعملائه)[46] .

لقد أفصح البيان عن الدعم الكامل للثورة ورغبة الحزب بامتدادها وضرورة مساندة الحركات الإسلامية في العالم لها، وتكفير الأنظمة الوضعية ووجوب إسقاطها. وليس ذلك فحسب، فالبيان كشف عن إرهاصات الانتقال الى المرحلة السياسية، وترتب على ذلك تطابق الموقف بين الحزب والصدر حيال الثورة الإسلامية في إيران، ووحد تصوراتهما في آليات العمل الإسلامي المطلوب، والتسليم للصدر بالقيادة ودعمه في مشروعه السياسي، مع انه أكثر اقتحاما للمواجهة السياسية مع النظام، ووضعت مرجعية الصدر حزب الدعوة الإسلامية في خندقها السياسي وانعكست حركة احدهما على الآخر، ذلك بدوره أدى الى إبطال مفعول فتوى الصدر بحرمة انتماء طالب الحوزة الى العمل الحزبي ،ومن جانب آخر فقد اقدمت السلطة البعثية في العراق على جملة اجراءات تعسفية من عمليات قمع واعتقال لعناصر حزب الدعوة خشية ان يتكرر في العراق حدث مماثل لما حصل في ايران وتفاقمت الاحداث الى درجة ان الاوضاع في النجف الاشرف خيم عليها صمت رهيب[47] .

وأخذ إهتمام المسلمين الشيعة في العراق يزداد ويكبر كلما اشتد مخاض الثورة في إيران فتابعوا أحداثها بتفاعل وأصبحت حديث منتدياتهم ومجالسهم الخاصة والعامة , كما تابع الشعب العراقي رحلة السيد الخميني من باريس الى طهران فكانت قلوبهم متعلقة بالطائرة التي تنقله . وبعد انتصار الثورة في 11شباط 1979 تحول العراق الى وجه آخر للانتصار الإسلامي في إيران وتبادلت البشرى بحرارة وتم توزيع الحلوى ونثرت الورود في كل مكان[48] .

وفور الاعلان عن قيام الحكم الاسلامي في ايران بايع السيد الصدر السيد الخميني قائدا للأمة ووليا لامر المسلمين وجاء في برقية البيعة ((وأننا اذ نتطلع الى انتصاراتكم الحاسمه نضع كل وجودنا في خدمة وجودكم الكبير, ونبتهل الى المولى سبحانه وتعالى أن يديم ظلكم ويحقق املنا في ظل مرجعيتكم وقيادتكم))[49] .

اعلن السيد محمد باقر الصدر تايده الكامل لانتصار الثورة الاسلامية في ايران كما اعلن عن تعطيل الدراسة في الحوزة العلمية لمدة ثلاثة ايام ابتهاجا بتلك المناسبة وقد ارسل برقية الى الى السيد الخميني اعلن فيها عن تايده الكامل للثورة كما اشاد بجهاد الشعب الايراني والتفافه حول قيادته ومرجعيته الدينية فيما اخذت الجماهير المسلمة في العراق تتابع احداث الثورة الايرانية بتلهف ، وخرجت تظاهرة سلمية في الحادي عشر من شباط 1979 من مسجد الخضراء في النجف الاشرف بعد صلاتي المغرب والعشاء تاييدا للثورة وقد حمل المتظاهرون فيها صورتي السيد الخميني والسيد محمد باقر الصدر فتصدت لهم السلطات الامنية واعتقلت العديد منهم وفي اليوم التالي انطلقت تظاهرة بعدد اكبر من سابقتها الا ان عناصر الامن والمخابرات حاصرت مسجد الخضراء واغلقت ابوابه وهاجمت المصلين [50]،عدت تلك التظاهرة أول مجابهة معلنه بين الحركة الإسلامية العراقية والنظام البعثي بعد انتصار الثورة الإسلامية[51].

ايقضت الثورة الحس السياسي لدى المرجعية الدينية في العراق، اذ شعرت بانها جزء لايتجزأ من الثورة الايرانية واوجدت لديها قناعة انه من الممكن هزيمة حكومة حزب البعث كما اثبتت الثورة ان التضحيات التي قدمت خلالها لم تذهب سدى فقد حفزت الاخرين للانضمام للثورة والدفاع عنها[52] .

لذا شكل انتصار الثورة نقلة نوعية كبيرة في مستوى الفعاليات والنشاطات التنظيمية والسياسية للحركات الاسلامية العراقية واحزابها ونقلها الى افاق وابعاد جديدة في التجربة التنظيمية والسياسية وعلاقتها بالعالم الخارجي وخلال ذلك نمت عدة حركات واحزاب دينية جديدة وظهر قادة دينيون سياسيون برزوا كقادة ومجاهدين شعبيين اخذت اسمائهم تلمع سريعاً في الاوساط السياسية[53] .

قد حفز نجاح الثورة الايرانية والرغبة في تحدي وسائل العنف التعسفي التي تستعملها الحكومة العراقية الى انضمام العديد من الشباب العراقيين المثقفين وفقراء المدن الى مجموعات اسلامية، وقد جذبت منظمة العمل الاسلامي اهتماماً شعبياً في منتصف عام 1979 حين نفذت عددا من العمليات الجهادية على غرار حرب العصابات في بغداد وبعد ذلك في آب 1979حاول عضو في حزب الدعوة الدكتور غازي الحريري اغتيال صدام حسين في مستشفى الكرمة في بغداد باخفائه للمتفجرات تحت ملابسه وقد أحبط رجال الأمن تلك المحاولة عندما عثروا على المتفجرات [54].

أدرك السيد محمد باقر الصدر مخاوف السلطة وسعيها لإيقاف المد الاسلامي وأدرك ايضاً صعوبة تحرك الجماهير في العراق على غرار الحراك الايراني، بسبب بطش السلطة في العراق وضعف الحركة الاسلامية وعدم قدرتها على مواجهةٍ ربما تكون طويلة الأمد، ومحدودية مرجعيته في الساحة العراقية وعدم توفر قناعة عند المرجعيات الاخرى في النجف على وجوب او حتى جواز التحرك ضد السلطة لكنه أصر على دعم الثورة الاسلامية في ايران[55].

لقد بدأ السيد الصدر تحركه المناوئ للسلطة في العراق بوضوح رغم نصيحة بعض مريديه بعدم المواجهة، لكنه رأى ضرورة تنفيذ التكليف الشرعي القاضي بالتحرك والمواجهة وان ادى ذلك الى استشهاده لأن النظام لا يفهم الا لغة القوة، ثم ان تحرك الجماهير المؤمنة للتفاعل مع الثورة الاسلامية وإقامة الحكم الاسلامي في العراق يوجب على المرجعية التحرك كي لا تنصرف تلك الجماهير عن الاسلام[56].

تفاعل أغلبية الشيعة في العراق مع تحركات السيد الصدر وتحريضاته ضد نظام البعث فجاءت وفود شيعية الى النجف الاشرف لتجديد الولاء له ، الإ ان السلطة لم تقف متفرجة لحركة الوفود وخطابهم الثوري، فقد دفعت بأجهزتها العسكرية والامنية والمخابراتية للتواجد في النجف وقامت بتسجيل اسماء وعناوين اكبر عدد من الوافدين، وصورتهم (فوتوغرافيا) وسجلت لهم خطبهم الحماسية و قامت باعتقال من يتقدم لزيارة السيد الصدر او الهتاف باسمه، فقرر السيد الصدر ايقاف الوفود اليه باعتبار ان الرسالة السياسية قد وصلت الى السلطة، ومفادها ان المرجعية اذا قالت للجماهير تحركوا يتحركون واذا قالت لهم قفوا وقفوا، وكذلك رأى الصدر ان الوافدين" ذخيرة العمل المستقبلي، ويمكن ان نفاجئ بهم السلطة في المستقبل اذا تسنى لنا تصعيد المواجهة معها"[57].

استمر السيد الصدر في مواجهة السلطة البعثية لذا قامت باعتقاله في 5 نيسان 1980من قبل مدير أمن النجف وبرفقته عدد كبير من قوات الأمن وأُرسل مباشرة الى بغداد وفي اليوم التالي تم اعتقال شقيقته امنة الصدر(بنت الهدى)[58]، وبعد مرور ثلاثة ايام على اعتقالهما ، وقد أصدرالسيد الخميني بياناً ندد فيه بسياسة صدام حسين جاء فيه" ان صدام حسين الذي قام بما قام به الشاه المخلوع كاشفا عن وجهه غير الاسلامي وغير الانساني، وشمر عن ساعده من اجل هدم الاسلام والحوزة المقدسة في النجف، وتصرف مع علماء الاسلام وعلى وجه الخصوص سماحة اية الله السيد محمد باقر الصدر كما تصرف رضا خان ومحمد رضا بهلوي تجاه علماء الدين وسائر الفئات.. ان على صدام ان يدرك انه بأعماله المعادية للإسلام هذه يقوم بحفر قبره بيده وقبر النظام البعثي اللاإنساني واللاقانوني المفروض"[59].

اقدمت السلطة في9 نيسان 1980على اعدام المرجع الديني والمفكر الاسلامي السيد محمد باقر، وسلمت جثته الى ابن عمه محمد صادق الصدر والد الصدر الثاني دون تسليم جثته شقيقته، وسمحوا له بالصلاة عليه فقط دون تغسيله بحجة انهم قاموا بتغسيله وتكفينه، كما قامت بمصادرة كل ما في بيته من ممتلكات أهمها الكتب المخطوطة ككتاب " تحليل الذهن البشري"،واخذت شهادته اصداءً عربية واقليمية وعالمية،[60].

وهكذا عدت سلطة البعث كل نشاط سياسي او حتى ديني للشيعة مرادفاً للخيانة العظمى لذا عاشت الحركة الاسلامية الشيعية اجواء المطاردة والتخفي والاعتقالات الى الحد الذي صعب عليها التقاط انفاسها، والتحق العديد من كوادرها بالثورة الاسلامية في ايران، وهكذا بدأت مرحلة جديدة من المواجهة مع السلطة في العراق، والافصاح بصورة أكثر علنية عن الطروحات الفكرية والسياسية والثقافية للحركة الاسلامية الشيعية، فضلا عن العمل السياسي والعسكري بهدف تغيير نظام الحكم داخل العراق من خارج الحدود[61].

ومن الجانب الايراني فقد استمرت تصريحات المسؤولين في محاولة تصدير ثورتهم، واستمر السيد الخميني في توجية خطاباته وبياناته الى الشعب العراقي ومنها ماذكرته صحيفة جمهوري اسلامي الصادرة في طهران في 1980/4/19 قائلا ((على الشعب العراقي ان يحرر نفسه من براثن المعادين ومن الواجب على الشعب العراقي والجيش العراقي ان ينقلب على هذا الحزب غير الاسلامي في العراق)) ،وهكذا ظهرت العداوة بقوة وصراحة بين النظاميين الإيراني والعراقي أدت الى اعتداءات حدودية بين البلدين ثم الى حرب مدمرة استمرت ثمان سنوات (1980-1988)[62] .

الخاتـــمة

1- بعد اندلاع التورة الاسلامية في ايران عام 1979 وهو العام نفسه الذي تولى فيه صدام حسين زمام الحكم في العراق وقبل ان يستقر الوضع في ايران دخلت العلاقات العراقية الايرانية توترا وتصعيدا ادي الى منزلق خطير وحرب طويلة استمرت ثمان سنوات .
2- كان الموقف العراقي من الثورة متناقضاً بين الحكومة والشعب فقد ازداد العداء بين الحكومتين بينما عدت الحكومة الايرانية الشعب العراقي مضطهدا ويجب تخليصه من النظام البعثي .
3- اوضحت الدراسة لنا ان الثورة اعطت أمل للشعب العراقي للتخلص من سلطة البعث تحت قيادة المؤسسة الدينية كما حدث في ايران وكان السيد محمد باقر الصدر خير من يمثل ذلك، فغذت الثورة الحس المذهبي واصبح ممكنا ان تتكرر تلك التجربة وان يتولي رجل دين الحكم في العراق
4- كان تاثير الثورة الاسلامية سلبيا على العراق لان النظام الايراني اعلن سياسة تصدير الثورة الى بقية البلدان .

الهوامش

1. محمد رضا بهلوي : ولد عام 1919في مدينة طهران وانهى دراسته الاولية فيها ثم سافر الى اوربا عام 1926وعاد الى بلاده عام 1936ليلتحق بكلية الضباط في طهران إذ تخرج منها برتبة ملازم ، في عام 1941 تولى زمام السلطة في ايران بعد تنازل والده رضا بهلوي سقط نظام حكمة الملكي بقيام الثورة الاسلامية عام 1979 . عبد الهادي كريم سلمان ، ايران في الحرب العالمية الثانية ، منشورات مركز درسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1986، ص80-81 .
2. أمل عباس جبر البحراني, الثورة الإسلامية في إيران دراسة تاريخية في أسبابها ومقدماتها ووقائعها, أطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية التربية, الجامعة المستنصرية, 2007, ص231.
3. المصدر نفسه , ص300.
4. روح الله الخميني: ولد في بلدة خمين بإيران عام 1902 في وسط عائلة ثرية ، وقد بدء تعليمه المبكر في خمين وفي عام 1920 سافر الى العراق لدراسة العلوم الدينية ثم عاد الى ايران ليبدء كفاحه المسلح ضد الحكم الاستبدادي في ايران حتى نفي عام 1964 الى تركيا ومنها الى النجف الاشرف بعدها الى باريس وعاد الى ايران عام 1979 قائداً منتصراً، توفي 3 حزيران 1989 . عبد القادر ياسين وأخرون، التحول العاصف سياسة ايران الخارجية بين عهدين ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2006 ، ص418 .
5. أمل عباس جبر البحراني ، المصدر السابق، ص302
6. حازم عبد الغفور خماس الدليمي , سقوط النظام الملكي في إيران وأثرهُ على الأمن القومي العربي , أطروحة دكتوراه غير منشورة, المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية , المستنصرية , 2005, ص74 .
7. غانم باصر حسين البديري , دور المؤسسة الدينية في السياسة الداخلية الإيرانية 1963-1979, أطروحة دكتوراه غير منشورة, كلية التربية , جامعة القادسية , 2015, ص182 .
8. المصدر نفسه ، ص 257.

9. محمد حسين مطر هاشم البكاء، محمود الطالقاني واثره الفكري والسياسي في ايران 1911-1979اطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية الاداب، جامعة الكوفة،2016، ص188 .
10. إسلام محمد عبد ربه المغير ،الحرب العراقية الايرانية (1980-1988) ،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، الجامعة الاسلامية –غزة ،2015،ص78.
11. حازم عبد الغفور خماس الدليمي , المصدر السابق , 158 .
12. المصدر نفسه ، ص135 .
13. مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني (رض) /الشؤون الدولية ، تصدير الثورة كما يراه الامام الخميني (ض) ، طهران - شارع باهنر - شارع ياسر - زقاق رسودة ، رقم5 ، د-ث ، ص12
14. حازم عبد الغفور خماس الدليمي ، المصدر السابق ، ص136 .
15. المصدر نفسه ، ص146
16. دينا جواد ، العلاقات العراقية الايرانية بين الثوابت الموضوعية والمتغيرات المستقبلية ، مجلة قضايا سياسية ، ص78 .
17. علي المؤمن , سنوات الجمر مسيرة الحركة الاسلامية في العراق 1957-1986 ، مركز دراسات المشرق العربي ، بيروت،ط2020،5, ص 182 .
18. ساره حسين شريف برغوث ، الموقف الإيراني من الأحداث الداخلية في العراق (1968-1979)، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة ذي قار ، 2020 , ص143 .
19. علي المؤمن . المصدر السابق ، ص183.
20. اسلام محمد عبد ربه المغير , المصدر السابق ، ص81 .
21. علي صالح عباس الحسناوي ،التطورات السياسية الداخلية في العراق 1973-1979، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة كربلاء، 2017، ص166 .
22. المصدر نفسه ، ص167.
23. المصدر نفسه ، ض170.
24. عبد الرحيم عبيد سالم العامري ، نشاط المعارضة الاسلامية الشيعية العراقية (1980- 2003)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة ذي قار،2019،ص34 .
25. عبد الرحيم عبيد سالم العامري، المصدر السابق ، ص35 .
26. علي المؤمن ،المصدر السابق ، ص169 .
27. اسلام محمد عبد ربه المغير, المصدر السابق،ص 83 .
28. المصدر نفسه ، ص86 .
29. علي محمد الشمراني ، صراع الاضداد المعارضة العراقية بعد حرب الخليج ، دار الحكمة ، لندن ، 1995، ص208 .
30. المصدر نفسه ، ص208 .
31. المصدر نفسه ، ص209
32. علي المؤمن، المصدر السابق، ص 179.
33. كرار عبد الحسين جودة الخفاجي , الحركات الاسلامية الشيعية في العراق (1958-1980) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية , جامعة ذي قار ،2018 ، ص179 .
34. حزب تودة (الجماهير): تشكل عام 1941 بدعم من الاتحاد السوفيتي وبعد سقوط حكومة مصدق عام 1953 فر أعضاء الحزب الى موسكو ليمارسوا نشاطهم هناك وعادوا في الستينات فازداد نشاط الحزب في ايران ضد الشاه محمد رضا بهلوي وكانت صحيفته الرسمية مردم ، وفي عام 1969 استطاع جهاز السافاك من اختراق تشكيلات الحزب وأدى ذلك الى إرباك عمله وفي السبعينيات، ساند الحزب المؤسسة الدينية للإطاحة بنظام الاسرة البهلوية الا انه في عام 1983 اتهم بعض اعضاءه بإمداد الاتحاد السوفيتي بالمعلومات السياسية العسكرية لذا عد الحزب مجدداً

خارج إطار الشرعية . أحمد شاكر العلاق ، الاحزاب والمنظمات السياسية في إيران 1963-1979 ، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة الكوفة ، 2012، ص84-106 .
35. ساره حسين شريف برغوث ، المصدر السابق، ص153.
36. علي صالح الحسناوي، المصدر السابق , ص40 .
37. الملا مصطفى البرزاني : ولد عام 1903 في قرية برزان في السليمانية وتلقى تعليماً دينياً لذا حصل على لقب الملا بدأ في عمر مبكررحلة العمل المسلح ، وفي عام 1945 قاد حركة كردية مسلحة لكن حركته انتهت ليتوجه الى الى مهاباد الايرانية التي أعلنت جمهورية للكرد عام 1946 اذ تولى هناك قيادة الجيش وبعد عام سقطت مهاباد فهرب الى الاتحاد السوفيتي وعاد الى العراق عام 1959 بعد ثورة 14تموز 1958 وقاد حركة مسلحة ضد أنظمة الحكم العراقية استمرت حتى عام 1975على أثر توقيع اتفاقية الجزائر بين العراق وإيران ولجأ الملا مصطفى الى ايران ومنها الى الولايات المتحدة الامريكية وتوفي هناك أثر مرض سرطان . لقاء مكي ، الكرد ودروب التاريخ الوعرة ، شبكة الجزيرة نت للبحوث والدراسات ، حزيران 2006 ، ص19.
38. جلال الطالباني : ولد جلال حسام الدين الطالباني في كويسنجق عام 1933 ، تخرج من كلية القانون في بغداد عام 1959 ، أنظم للحزب الديمقراطي الكردستاني نهاية الاربعينات وأصبح عضو المكتب السياسي للحزب للمدة (1954- 1964) ، شارك في الحركة الكردية المسلحة عام 1961 وأسس حزب الاتحاد الوطني الكردستاني عام 1975 ، استطاع تأسيس أقليم في السليمانية بعد انسحاب الادارة المركزية عام 1992 ، وبعد غزو العراق عام 2003 أصبح عضو مجلس الحكم ثم أختير رئيساً مؤقتاً للعراق عام2005 ثم جدد له عام 2006 لغاية وفاته عام 2010 لقاء مكي ، المصدر السابق ، ص20-21 .
39. حيدر سمير سالم ، الاوضاع السياسية لكُرد العراق في عهد الرئيس أحمد حسن البكر (1968-1979) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ،2009، ص196.
40. كرار عبد الحسين جودة الخفاجي، المصدر السابق , ص179.
41. كاظم الحائري، الشهيد الصدر سمو الذات وسمو الموقف، دار البشير، قم، 1997، ص199.
42. المصدر نفسه ، ص199.
43. عبد الرحيم عبيد سالم العامري ، المصدر السابق ، ص36
44. المصدر نفسه ، ص37
45. علي المؤمن ، المصدر السابق، ص1845
46. عسل البدران ، موقف حزب الدعوة الاسلامية من حركة الإمام الخميني السياسية وثورته1963-1979 ، مجلة دراسات تاريخية العدد التاسع أيلول 2010، كلية التربية، جامعة البصرة ،ص158 .
47. رسول جعفريان ، التشيع في العراق وصلاته بالمرجعية في إيران ، مكتبة نرجس ، د-، ص153 .
48. المصدر نفسه ، ص185 .
49. علي المؤمن ، المصدر السابق ، ص185.
50. علي صالح الحسناوي ، المصدر السابق ، ص167 .
51. علي المؤمن ، المصدر السابق ، ص185
52. المصدر نفسه ، ص 168
53. باقر ياسين، قول مالايقال عن المعارضة العراقية ، دار الكنوز الادبية ، لبنان، 2001،ص36 .
54. جويس ويلي ، الحركة الاسلامية الشعية في العراق ، ترجمة مصطفى نعمان أحمد – هناء خليف غني ، مطبعة الكتاب ، بغداد ،2011 ،ص 107.
55. كرار عبد الحسن عوده الخافجي ، المصدر السابق ، ص185 .

56. المصدر نفسه ، ص187 .
57. المصدر نفسه ، ص188 .
58. بنت الهدى (1937-1980) : آمنة حيدر الصدر ولدت في مدينة بغداد مدينة الكاظمية، والدها أحد علماء الإسلام في العراق، ووالدتها كريمة الشيخ عبدالحسين آل ياسين، توفي والدها وعمرها سنتان اهتم اخيها الاكبر السيد اسماعيل الصدر ثم السيد محمد باقر الصدر برعايتها، تلقت من العلوم الدينية والشؤون الاجتماعية والثقافية حتى غدت فيما بعد رائدة العمل الإسلامي في العراق ولها العديد من الأعمال الأدبية، اعدمت مع اخيها السيد محمد باقر الصدر في نيسان 1980. للتفاصيل، ينظر: محمد رضا النعماني، الشهيدة بنت الهدى سيرتها ومسيرتها، انتشارات اسماعيليان، قم المقدسة، 2000.
59. كرار عبد الحسن عوده الخفاجي ، المصدر السابق ، ص196 .
60. عبد الرحيم سالم عبيد العامري، المصدر السابق ، ص43 .
61. كرار عبد الحسن عوده الخفاجي ، المصدر السابق ، ص198 .
62. الجمهورية العراقية ، وزارة الخارجية ، اللجنة الاستشارية ،النزاع العراقي الايراني ، ملف وثائقي ،كانون الثاني / يناير1981 ، ص 8-11 .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN–2536–0027

الوزارة ونيابتها في العصر العباسي الاخير (575-656هـ/1179-1258م)

الاستاذ الدكتور سلام علي مزعل الجابري
الباحث : محمد عبد الغني مهاوش الوائلي
جامعة ذي قار / كلية الآداب

الملخص:
يتناول هذا البحث الوزارة ونيابتها في العصر العباسي الاخير (575-656هـ/1179-1258م) , وتحديداً دراسة اسباب تعيين الوزراء ونوابهم واسباب عزلهم عن مناصبهم , فقد كان التعيين والعزل منوطاً بسلطة الخليفة العباسي صاحب القرار الاول والاخير في هذا العصر لما كانت تتمتع به الخلافة العباسية من استقلال ذاتي بعد زوال النفوذ السلجوقي . ان منصب الوزارة هو من اعلى المناصب في الدولة بعد الخلافة وعليه ترتكز قوائم نجاح الدولة وتسيير امورها العامة فهو المشرف المباشر على جميع الدواوين والمتابع لها ولذا كان تعيينه من قبل الخليفة لابد ان يستند الى المعايير التي يجب ان تتوفر في شخصية الوزير من ثقافة عامة وخبرة أداريه فضلاً عن الولاء السياسي للخلافة .

Summary:
This research deals with the ministry and its representative in the last Abbasid era (575-656 AH / 1179-1258 AD), specifically studying the reasons for appointing ministers and their deputies and the reasons for their removal from their positions. Abbasid autonomy after the demise of Seljuk influence. The position of the ministry is one of the highest positions in the state after the caliphate. It is based on the lists of success of the state and the conduct of its public affairs. He is the direct supervisor of all bureaucracies and the follower of them. Therefore, his appointment by the caliph must be based on the criteria that must be met in the personality of the minister, such as general culture and administrative experience. As well as political loyalty to the caliphate.

أولاً -الوزارة[1] في العصور العباسية الاولى:
استُحدث منصب الوزارة في الدولة الإسلامية في بداية عهد الخلافة العباسية وتحديداً زمن خلافة السفاح (132-136هـ/749-753م) عندما استوزر ابو سلمة الخلال[2]، وهو أول من وقع عليه أسم وزير ولقب بوزير آل محمد، ولم يكن قبله من يعرف بهذا اللقب[3]، اذ ان الوزارة لم تتمهد قواعدها ولم تقرر قوانينها الا في عهد الدولة العباسية[4]، وقد اصبح للوزير لباس خاص، وله دار عرفت بدار الوزارة بجوار قصر الخليفة[5].
كان النظام السياسي في الدولة العباسية، يقوم على دعامتين هما الخلافة والوزارة، وقد تطور نظام الوزارة في العصر العباسي تبعا للتغيرات التي طرأت على نظام الخلافة العباسية في بغداد وتبعا لشخصية الخليفة

ووجهته و شخصية المرشح للوزارة[6]، حيث ان صلاحيات الوزير لم تكن واضحة في العصر العباسي الاول وهي لم تبعد عن مسؤوليات الكاتب في العصر الاموي، فلم تكن جميع الدواوين بيد أبو سلمة الخلال، وكان ديواني الجند والخراج خارج سلطته[7]، وبعد التخلص من الاخير زادت سلطة خالد بن برمك[8] الذي لم يتلقب بلقب الوزير على الرغم من انه كان يعمل عمل الوزراء، وفوضه الخليفة تسيير امور الدولة وانيطت اليه هذه الدواوين[9].

و كان الخلفاء العباسيون في العصر العباسي الاول(132-247هـ/749-861م) قد اهتموا بتقليد الوزراء وجعلوا لذلك مراسيم وجعلوا للوزير منزلة رسمية خاصه به لا تصل الى منزلة الخليفة وولي عهده ولا تنحدر الى منزلة من ادنى منه[10]، فحاول الخلفاء العباسيون المحافظة على نفوذهم وبسط سيطرتهم، بالسياسة والقوة لان الخلافة كانت قوية، الامر الذي جعل الوزير شخصا مطيعا ومخلصا، لانهم كانوا يخافون من بطش الخليفة وعقابه، وكان الوزراء يعملون بجهد و اخلاص من أجل أرضاء الخليفة لينعموا بقربه، وكان للوزير دور كبير وفعال في ادارة الدولة وتوجيه سياستها وانعاش اقتصادها، لان مرتبة الوزارة كانت تلي منصب الخلافة، والخليفة في اغلب الاحيان كان يفوض وزيره في تسيير أمور الدولة، وبذلك زادت سلطة الوزير[11].

اما في العصر العباسي الثاني(247-334هـ/861-945م) والذي كان يعرف بعصر نفوذ الاتراك، اخذ نفوذ الخلفاء بالضعف، وبالتالي ضعف منصب الوزارة، ولم يتمتع الوزراء بالسلطة التي كانوا يتمتعون بها في العصر العباسي الاول، وزادت شوكة النفوذ التركي مما ادى الى اصطدام الوزراء بالقادة الاتراك الذين أرادوا ان يستأثروا بأمور الدولة بما في ذلك اختصاص الوزراء أنفسهم[12]، فبعد مقتل المتوكل استبد الاتراك، وكانوا يستضعفون الوزير ويتدخلون في امر تعيينه[13]. ومن الشواهد على ذلك ان الخليفة المستعين (248-252هـ/862-866م) استوزر عبد الله بن محمد بن يزداد[14]، سنة 249هـ/863م لكنه هرب في شعبان من السنة نفسها من سامراء الى بغداد، بسبب غضب بغا الصغير[15]، على الوزير ولتحامل القادة الاتراك عليه لعدم تنفيذه الى ما يطمحون له، لان الوزير ضبط الاموال ومنع الاتراك من التصرف بها، وسار على سياسة التقشف بغية توفير الاموال، وقد الغى الزيادات التي استحدثت في ارزاق الجند، فهدده زعماء الاتراك بالقتل، ثم أستوزر المستعين وزيرا اخر بدلا عنه[16]، وبين المسعودي في احداث سنة 251هـ/865 سلطة الخليفة امام نفوذ الاتراك بقوله: **"والمستعين لا أمر له ، والأمر لبغا ووصيف"** [17]، حتى وصف احد الشعراء هذا العصر و حال المستعين في ابيات من الشعر:

خليفة في قفص بين وصيفٌ وبغا

يقول ما قالا له كما يقول الببغا[18].

لقد مرت الوزارة بأسوء حالاتها خلال عهد الخليفة المقتدر بالله (295-320هـ/907-932م)، لدرجة إن اثنى عشرة وزيرا تولوا هذا المنصب بالتعاقب، ولم يستطع احد منهم ان يحتفظ بمنصبه مدة طويلة، هذا فضلا عن أن بعضهم تولى الوزارة اكثر من مرة[19]، وعلى الرغم من ان الوزراء في عهد المقتدر قد احتفظوا بشيء من النفوذ، الا انهم عجزوا عن ادارة الدولة بسبب زيادة نفوذ القادة، اما في سنة 324هـ/935 م فقد اضطر الخليفة الراضي الى تقليد ابن رائق شؤون الدولة كافة و لقبه بلقب أمير الامراء ، ولم يبق للوزراء شيء من النفوذ، واقتصرت أعمالهم على الحضور الى دار الخلافة في المواكب مرتدين السواد، ومتقلدين السيوف، واصبح تعيين الوزراء وعزلهم بيد أمير الامراء[20]، وما يؤيد ذلك قول أبن الاثير: **"وبطلت الدواوين من ذلك الوقت وبطلت الوزارة فلم يكن الوزير ينظر في شيء من الأمور إنما كان ابن رائق و كاتبه ينظران في الأمور جميعها و كذلك كل من تولى إمرة الأمراء بعده"**[21].

أما في العهد البويهي (334-447هـ/945-1055م)، لما استولوا بني بويه على بغداد فقد قضوا على نفوذ الخلفاء العباسيين وجردوهم من صلاحياتهم وامتيازاتهم، فاضطربت ادارة الدولة وانظمتها، وزال

نفوذ الوزراء، وصار الامراء البويهيين يتصرفون بحرية تامة في تعيين الوزراء وكبار رجالات الدولة، واخذوا يشرفون على الامور المالية والعسكرية والإدارية، وجردوا الوزير العباسي من جميع صلاحياته وسلطاته بحيث اصبحت واجباته لا تتعدى إدارة أمور الخليفة فحسب، بعدها ألغوا منصب وزير الخليفة، نتيجة سيطرتهم على جميع مرافق الدولة، وهذا ما اكده ابن العبري بقوله:" ... **سنة أربع وثلثين وثلاثمائة وازداد أمر الخلافة إدبارا ولم يبق للخليفة وزير انما كان له كاتب يدبر اقطاعه و إخراجاته**"[22]. ولما كانت اعباء الدولة كثيرة يصعب على بني بويه القيام بها وحدهم، لذلك عمدوا الى تعيين وزراء لهم ليعاونوهم في أعمالهم المختلفة[23].

وفي العصر السلجوقي (447-556هـ/1055-1160م) عاد نظام الوزارة وسمحوا للخليفة باتخاذ وزير له وعاد الوزير الى ممارسة مسؤولياته الى جنب الخليفة[24]، لكن كانت سلطة الوزير السلجوقي اكثر نفوذ وقوة وسطوه من وزير الخليفة لأنه كان يستمدها من قوة سلطانه[25]، وعلى الرغم من ان السلاجقة سمحوا للخليفة العباسي بتعيين وزيرا له، لكنهم كانوا يتدخلون في امر تعيين الوزير وعزله عن منصبه، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث في سنة471هـ/1078م، بعدما بعث السلطان ملكشاه[26]، الى الخليفة المتقدي (467-487هـ/1075-1094م) برسالة بين فيها كراهيته للوزير فجر الدولة ابن جهير[27]، والمطالبة بعزله عن الوزارة، وتضمنت بعدم ارسال رسول من دار الخلافة الى مقر حكم السلاجقة، وعندما لم يستجب الخليفة الى طلب السلطان ارسل الشحنة سعد الدولة الكوهرائين[28]،مع قوة من الجند الاتراك وهدد باقتحام دار الخلافة للضغط على الخليفة لغرض عزل الوزير، وكتب الخليفة الى السلطان يشكو شحنته، عن طريق رسول، فاعتدى الكوهرائين واصحابه على رسول الخليفة وضربوه ونهبوا ما كان معه، واستطاع بعد تهديد الخليفة من عزل الوزير أبن جهير، واخرج من ديوان الخلافة كتاب بذلك وسلم للوزير بعزله[29].

ثانياً -الوزارة ونيابتها في العصر العباسي الاخير(575-656هـ/1179-1258م):

أن الاستقلال الذي حققه الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ/1179-1225م)، كان نتيجة لجهود من سبقه من الخلفاء، و لضعف السلطنة السلجوقية فتخلص من بقايا النفوذ السلجوقي، ففي عام 583هـ/1187م ارسل السلطان طغرل بن ارسلان السلجوقي[30]، رسولا الى بغداد يطلب من الخليفة بإكرام الرسول وإعادة إعمار دار السلطنة ليسكنها اذا وصل الى بغداد، لكن الناصر رد رسول السلطان بغير جواب، وأصدر أوامره بهدم الدار وتسويتها بالأرض[31].

وبعد التحرر من السيطرة السلجوقية، قامت سياسة الناصر على إصلاح البيت الداخلي لدار الخلافة العباسية، وكانت خطوته الاولى في سبيل ذلك التخلص من كبار رجالات دولته الذين ورثهم من جملة تركة والده المستضيء، ثم بدأ سياسة داخلية واضحة المعالم، كانت آليات اختيار رجال الدولة وكبار الموظفين أبرز معالمها، وكان الاختيار على اساس الولاء المطلق المقترن بالكفاءة الادارية، لذا كان اغلب من تولى المناصب العليا لم يكونوا من الفئة الخاصة، بل كانت قدرتهم هي التي اهلتهم لذلك، كما شهدت هذه الحقبة اهتمام مؤسسة الخلافة العباسية في اعادة ترسيخ مراسيمها، ومنها تولية كبار رجالات الدولة، وكان ذلك سببا في اعادة تفعيل عمل دار التشريفات التي تتولى الإشراف على ترتيبات تلك المراسيم في دار الخلافة، وكانت المراسيم تستدعي أن يتوجه اصحاب المناصب من الوزير وقائد الجيش وأمير الحج الى دار الخلافة، حيث تجري مراسيم توليتهم أمام حجرة الخلافة[32]،بعد مشافهتهم بالتولية، أما المناصب الأخرى فكانت تجري مراسيم تعيينهم في دار الوزارة بعد ان يشافههم الوزير بأمر الخليفة بتوليتهم[33].

لقد برزت في عهد الخليفة الناصر ومن اتوا من بعده ظاهرة تولي امر النيابة في الوزارة[34] دون تعيين الوزراء بشكل اصيل اذ لم يعتمد الوزارة اصالتاً سوى عدد محدود من الوزراء فقد كان نائب الوزير أقل سلطة من الوزير الا أنه كان أكثر ارتباطا وقربا من الخليفة، ولم تكن صلاحيات الوزير بصورة عامة واسعة وأرجعت سلطة الوزير الى سابق عهدها كما كان في صدر الدولة العباسية كالأشراف على الدواوين واخذ البيعة، واستعراض الجيوش واستقبال الوفود[35].

لقد تولى منصب الوزارة في عهد الناصر عدد قليل من الوزراء لا يتناسب مع مدة حكمه الطويلة ، فقد كان اعتماد الناصر على نواب الوزراء، لأنه كان يولي الوزارة الى شخص كان يسمى بنائب الوزير، لذا

كان أكثر الذين قاموا بدور الوزير لم يكونوا وزراء انما كانوا نواب وزراء، وهو نوع من أنواع السياسة الفردية التي انتهجها الناصر، ويمكن ان يعزوا سبب ذلك لعدم ثقته بمن حوله حتى يوليه هذا المنصب المهم والخطير الذي يلي منصب الخلافة قوة وتسلطا، أو لاعتقاد الناصر بانه ليس هناك الشخص الكفوء الذي يستطيع ملء هذا المنصب وإدارته إدارة تعتمد على الحصانة و المقدرة بحيث تليق بهذا المنصب السامي[36]، وقد عبر أبن جبير عن وضع الوزارة في خلافة الناصر عندما جاء الى زيارة بغداد في سنة580هـ/1184م، فقد اشار باختصار الى قلة صلاحيات الوزير ومحدوديتها التي لا تتعدى تنفيذ أوامر الخليفة فقال في ذلك" **إنما له خديم يعرف بنائب الوزارة**"[37].

كانت سياسة الناصر التي انتهجها في اختيار وزرائه وكبار رجالات دولته تقوم على اساس المعلومات التي تصل إليه من اصحاب الأخبار، وذلك بعد أن ينشر بين الناس عن رغبته في تولية شخص معين لهذا المنصب أو لتلك الولاية، فضلا عن تجاربه الشخصية المحدودة مع الناس، فاذا كان اتجاه الرأي العام في بغداد كما تعبر عنه تقارير أصحاب الاخبار لصالحه أصدر الأوامر بتعيينه[38]، ويخضع لمدة تجربة فمن صلح حاله ارتقى الى منصب الوزارة ومن عجز نحي عنها[39]. وبعد ان يستقر صاحب المنصب في منصبه فانه يخضع لرقابة شديدة وصارمة، لان الناصر اعتمد على نظام استخباري قوي حيث كان له عيون[40] منتشرة في انحاء البلاد تنقل له الاخبار بكل صغيرة وكبيرة، وهذا ما جعل ارباب الدولة و اصحاب المناصب يخشونه من الوزراء وغيرهم، وكان يمارس الامور السلطانية و مباشرة احوال الرعية بنفسه، حتى كان يخرج في الليل في دروب بغداد لمعرفة اخبار رعيته وما يدور بينهم[41]، وقد اشار ابن واصل الى هذا الأمر بقوله :"**وكان له اصحاب اخبار في العراق وسائر الأطراف يطالعونه بجزئيات الأمور وكلياتها، فكان لا يخفى علية من الأمور إلا ما قل**"[42]. وإن علم الخليفة الناصر أن أحد من وزرائه أو موظفيه او اعوانه أرتكب خطا أختلف العقاب شدة ولينا، باختلاف المنصب الذي يشغله فيكون مصيره أما العزل أو مصادرة الاموال أو الحبس[43]،وقد اشار بن حية الى هذا الامر بقوله: "**أن الناصر أوقع بوزراء السوء على الإطلاق**"[44].وقد ذكر ابن الطقطقي في هذا الشأن قوله:" **وكان وقته مصروفا إلى تدبير أمور المملكة وإلى التولية والعزل والمصادرة وتحصيل الأموال**"[45].

إن سياسة الخليفة الناصر التي اتبعها في تعيين وعزل وزرائه، كانت وراءها أسباب كثيرة، منها سوء سيرة الوزير لجمعه للمال بصورة غير شرعية، أو لاستهتاره بمنصبه ومهامه وتعديه، وسوء استغلاله لهذا المنصب، أو لحاجة الناصر للمال تدفعه لتنحية الوزير او النائب ومصادرة امواله الخاصة في اوقات الضيق المالية التي كان يعانيها ، وبالتالي يتحقق للناصر هدفين الاول التخلص من الوزير أو النائب الذي جمع امواله بصوره مريبة ثم الاستفادة مما معه بمصادرته، او ربما يكون للوشاية و الشك دور كبير في الاقصاء[46]، وكان وزراء الناصر وزراء تنفيذ لا سلطة لهم ولم يكونوا وزراء تفويض[47]، وبالمجمل فقد تعاقب على شغل منصب الوزارة أربعة وزراء فقط، واثنا عشرة نائبا للوزارة في الحقبة (575-622هـ/1179-1225م) وهي مدة خلافة الناصر[48].

ففي ذي القعدة من سنة 575هـ/1179م استدعى الخليفة الناصر فجر الدولة بن المطلب[49]، وكان رجلا عالما زاهدا ورعا كثير المعروف مشهور بالصلاح والتقوى، ليستوزره، فأمتنع عن ذلك وطلب من الخليفة ان يعفيه من الامر، لأنه كان شيخا كبير السن، وأشار على الخليفة الناصر ان يستوزر مجد الدين هبة الله بن الصاحب وكان يشغل منصب استاذ الدار آنذاك، فرفض ابن الصاحب وطلب من الخليفة ان يعفيه من الأمر ويقره على منصبه، حينئذ طلب الخليفة من فجر الدولة أن يشير عليه بمن يوليه أمر الوزارة، فأشار عليه بتولية أبو داود سليمان ابن جاووش[50]، فأحضر في السادس من ذي القعدة من سنة 575هـ/1179م وتم تعيينه نائبا للوزارة وجلس في ديوان العزيز، وذلك لخبرته ومعرفته وسنه، ولقب بحسام الدين وخلع عليه في قصر التاج جبة أبريسم وعمامة بيضاء وخلع على ارباب الدولة كافة في ذلك اليوم، وبقي ينوب في الديوان الى ان عزل في محرم من سنة576هـ/1180م[51]، بسبب كره هبة الله أبن الصاحب استاذ الدار له بعدما وشى به عند الخليفة الناصر، وكان يعترض على مطالبه وحسن للخليفة عزله وقال: "**إن هذا الرجل قد كبر وعجز عن تدبير الدولة**"[52]،في حين ذكر سبط بن الجوزي انه عزله كان بعد ثلاثة

اشهر، لأنه ظلم ،و مد يده إلى الأموال[53]، في حين اشار اخرون ان الخليفة الناصر لدين الله قد أمر بعزله بعد شهرين من نيابته للوزارة، بسبب شيخوخته وكبر سنه وثقل سمعه[54].

وفي سنة576هـ/1180م[55] تقدم الخليفة الناصر الى استاذ الدار ابن الصاحب بإحضار هبة الله بن محمد بن البخاري[56]، ليلا الى دار الخليفة وبقي فيها ثلاثة أيام وكان لا يعلم به احد، وفي اليوم الثالث صدر الامر بعزل سليمان بن جاووش عن الديوان، وجلس هبة الله بن البخاري في الديوان نائبا للوزارة، وافرغت له الدار التي كانت لابن هبيرة[57]، الواقعة بالقرب من سجن المطبق[58]، فكان لا يخرج عن أوامر أستاذ الدار ابن الصاحب ولا ينفرد بأمر دونه[59]، وعندما حاول ابن البخاري التخلص من سيطرة استاذ الدار، ضيق عليه، وكان استاذ الدار قد وصلته أخبار بأن ابن البخاري يكاتب الخليفة الناصر سرا وينقل اليه انه ليس بنائب وزير ولا حكم له، انما هو غلام بين يدي استاذ الدار فقرر التخلص منه، هذا فضلا عن ما ذكر فقد طمع استاذ الدار ابن الصاحب في اموال تركة زوجة صاحب الديوان ابن البخاري، التي كانت بنت ظهير الدين ابن العطار، وكان استاذ الدار لا يشعر احد بذلك[60]، بعدها مرض ابن البخاري في سنة580هـ/1184م وعجز عن الحركة وكان سبب مرضه كما ذكر الايوبي أن زوجته قد سقته السم[61]، فتوفي بعد ايام قلائل واستولى استاذ الدار ابن الصاحب على جميع ما في داره من مال او خيل او دواب وصادر حتى الممتلكات التي كان ابن البخاري قد وهبها الى بعض مماليكه، ووجد استاذ الدار جميع المكاتبات والمطالعات التي كان يكتبها الى ابن البخاري والتي يذكر فيها اشياء لم يطلع عليها احد، وكانت هذه المكاتبات تكتب بمعزل من اطلاع الخليفة الناصر، وكان استاذ الدار يطلب من ابن البخاري بضرورة اتلافها وكان الاخير يبلغ استاذ الدار انه قد اتلفها، فلما مات ورأى تلك المخطوطات علم بأن ابن البخاري كان يجمعها ويعدها لوقت تكون دليلا لقتله، ففرح لموته[62]، هذا وقد اختلفت المصادر في سنة العزل، فذكر انه ظل في نيابته الى أن توفي بعد اربع سنين في المحرم من سنة580هـ/1184م[63]، في حين ذكر الاسنوي انه مكث في نيابة الوزارة أقل من سنة[64]، وذكر الغساني انه مكث شهرين[65]. ويبدو ان الرأي الأول هو الاقرب الى الصحة والصواب، وذلك لقرب مؤرخي الراي الأول من الحدث فضلا عما ذكره الايوبي من شواهد من سنة التولية حتى وفاته.

ثم فوض الخليفة الناصر أمر تعيين نائب الوزارة الى استاذ الدار هبة الله ابن الصاحب، فاختار حاجب باب النوبي صدقة بن محمد بن احمد بن صدقة[66]، واشترط عليه أن لا يعمل شيئا الا بأمره وأن لا يكتب شيء الا اليه، فجابه بالسمع والطاعة[67]، فولي في الخامس عشر من محرم من سنة580هـ/1184م بعد وفاة ابن البخاري، بعد ان احضر الى الديوان الخلافة واخلع عليه خلع الوزارة وجلس في الديوان ليمارس مهامه في الوزارة[68]، لكن صدقة بن محمد حاول الاستقلال من استاذ الدار ابن الصاحب، وكتب مطالعة الى الخليفة الناصر بين فيها ان الديوان يتحكم فيه ابن الصاحب والاموال تأتي اليه ولا يستطيع أن يستوفي منها شيئا الى بيت المال، فصدقه الناصر في ذلك، لكنه كان يتخوف من استاذ الدار وبادر بأخباره بأمر المطالعة، وترك امر عزله له، وكانت جميع هذه الأمور قد جرت من غير طيبة نفس من قبل الخليفة الناصر على حد قول الايوبي[69]،وجاء في خبر العزل ان استاذ الدار ارسل احد الحجاب الى ديوان الوزارة في سنة581هـ/1185م ليبلغ صدقة في أمر عزله فلم يجده وتوجه بعدها الى داره وقال له ما نصه:**" الزم بيتك فقد استغني عنك "**[70] , وقد ذكر ابن الكازروني انه عزل بعد ستة أشهر من ولايته[71]، وكان عزله في يوم الثلاثاء الثالث العشرون من شهر ربيع الآخر من سنة580هـ/1184م[72].

ثم قدم استاذ الدار ابن الصاحب للخليفة الناصر قائمة بأسماء المرشحين لشغل منصب النائب في الديوان سنة581هـ/1185م[73]، فتم اختيار محمد بن عبد الباقي بن الداريج[74]، ثم أحضر الى منزل استاذ الدار ابن الصاحب وادخله ليخلو به، ثم اذن بعد ذلك للناس وأرباب الدولة بالدخول اليه، ولما استقر المجلس التفت استاذ الدار الى محمد بن عبد الباقي بن الداريج وقال له: **"أدع للخليفة وأعلم أنه عين عليك في نيابة الديوان العزيز وأخرج من ذمته مظالم العباد، وفوضها اليك، فيجب ان تنظر لنفسك وتبصر اين تضع قدمك"**[75]، ثم التفت استاذ الدار الى الحجاب والكتاب وحاشية الديوان وقال لهم:**" قد رسم ان مرجع امركم الى هذا، وهو المستخدم لكم ولا يخالفه احد في امر من الامور"**، فقالوا: **"السمع والطاعة"** [76]،

وأجريت له المراسيم بذلك، وجلس حيث يجلس نواب الوزراء، وظل على ذلك الى ان عزل يوم الثاني عشرة من شوال من سنة583هـ/1187م، فلزم بيته من غير استخدام[77]، بعد أن مكث في المنصب نحو ثلاثة سنوات وشهورا[78]، وكان سبب عزله بحسب احد الباحثين المحدثين ان الخليفة قد تغير عليه لتكبره[79]، ولم يتسنى لنا الوقوف على صحة هذه المعلومة رغم البحث عنها.

بعدها استوزر الخليفة الناصر أبا المظفر عبيد الله بن يونس[80]، في الثاني والعشرون من شوال من سنة 583هـ/1187م وهو اول وزراء الخليفة الناصر اصالةً ولقبه جلال الدين[81]، وقرا كتاب عهده بالوزارة أمام ارباب الدولة من الولاة واصحاب المناصب في ديوان الخلافة العباسية، وخلع عليه قميص أطلس وفريجه[82]، وعمامة قصب كحلية بباب حجرة الخليفة وقدمت اليه فرس من خيل الخليفة، وأعطي سيفا محلى، وقبل يد الخليفة وخرج ومشت ارباب الدولة في ركابه الى ديوان العزيز، وجلس في كرسي الوزارة[83]، وكان أبو المظفر في ابتداء امره احد الشهود العدول[84]، ثم تدرج في المناصب حتى بلغ الوزارة، وكان الخليفة قد ارسله في أوائل صفر من سنة 584هـ/1188م على رأس جيشه لمحاربة السلطان طغرل بن أرسلان السلجوقي فالتقيا في الثامن من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة على غير استعداد من قبل جيش الخلافة، فكانت الغلبة لعسكر السلطان السلجوقي وأنهزم عسكر الخليفة الناصر ووقع الوزير أبن يونس في الاسر ثم أطلق سراحه بعد مدة قلية فوصل الى بغداد متخفيا في رمضان من سنة584هـ/1188م[85]، وكان الخليفة الناصر بعد اسره استناب قاضي القضاة أبو طالب علي بن البخاري[86]، وحضر الى ديوان العزيز ومعه الحجاب والولاة واجلسه مكانه[87]، ولم يزل على ولاية قضاء القضاة ونيابته في الديوان، الى ان عزل عن نيابة الوزارة في أوائل شعبان من سنة 584هـ/1188م، ثم عزل عن منصب قضاء القضاة بعد اربعة اشهر من السنة نفسها ولزم منزله من غير تولي أي منصب حكومي أخر[88]، فكانت ولايته في النيابة خمسة اشهر[89]، ولم تذكر لنا المصادر السبب الذي عزل به.

وكان ديوان الخليفة يراقب من يتوسم فيهم النباهة فيحضون برعاية خاصة ومتابعة[90]، فكان الاختيار قد وقع على سعيد بن علي بن حديدة [91]، لتولي الوزارة كونه من الشخصيات المقدرة والمحترمة، اذ جاء قول ابن الدبيثي في هذا الصدد ما نصه: **"ولم يزل ملحوظا بعين الإكرام مشمولا من ديوان العزيز...بسوابغ الإنعام الى أن اقتضت الآراء الشريفة الناصرية ...تأهيله للوزارة ، فاستدعي من داره..."** [92]، وكان ذلك في شعبان من سنة 584هـ/1188م واسند له امر الوزارة، وبذلك يكون ثاني وزير وزر للخليفة الناصر، ولقب بمعز الدولة،[93] ، وقيل بمؤيد الدين[94]، وقرا كتاب عهده بالوزارة أمام ارباب الدولة واصحاب المناصب من الولاة والحجاب والقضاة والأعيان و موظفوا ديوان العزيز، وأفيضت الخلع المعدة له اللائقة بهذا المنصب، وكانت قميص أطلس، وفريجه، و عمامة قصب كحلية بأعلام الذهب، و قلد سيفا محلى، وقدمت اليه فرس من خيل الخليفة، وخرج من حجرة الخليفة الى دار الوزارة ومشت ارباب الدولة في ركابه وجلس بالإيوان الذي يجلس به الوزراء، ونهض بأمور الوزارة، وقرب أهل العلم وبسط العدل[95]، ولم يزل على حاله يمارس مهامه في منصبه الى ان عزل بعد سنة[96]، وذلك في الخامس والعشرون من صفر سنة 585هـ/1189م[97]، وذكر في سبب عزله انه كان بمشورة من قبل نقيب العلويين نصير الدين ابن مهدي العلوي الى الخليفة الناصر، وعلى اثر ذلك أمر الخليفة بعزله و اعتقاله ومطالبته بالمال، وبعد ان ادى المال لزم بيته[98]، ولم يتسم أي منصب أخر حتى وفاته سنة610هـ/1213م[99].

بعد ذلك استناب الخليفة الناصر أبا المظفر عبيد الله بن يونس للمرة الثانية في السابع والعشرون من صفر سنة 585هـ/1189م بعد ان عزل الوزير السابق وكان ينظر في ديوان المخزن وينوب في أمر الوزارة وظل على ذلك الى ان عزل في ذي القعدة من السنة نفسها، ولم يستخدم حتى جمادى الآخرة من سنة 587هـ/1191م حيث تم تنصيبه استاذا لدار الخلافة العباسية آنذاك[100]، فعين بدلا عنه في نيابة الوزارة مؤيد الدين بن القصاب[101]، فبقي ست سنين[102]، ثم اقره أصالةً في رمضان من سنة590هـ/1193م وقرا كتاب عهده بالوزارة، وخوطب بالوزير وبذلك يكون ثالث وزير للخليفة الناصر، وأفيضت عليه الخلع المعدة له واللائقة بهذا المنصب، وقدمت اليه فرسا من خيل الخليفة، بمحضر

ارباب الدولة واصحاب المناصب، وخرج من حجرة الخليفة الى دار الوزارة ومشت ارباب الدولة في ركابه وجلس بديوان الوزارة [103]، وقد اظهر براعة وهمة عالية في ادارة منصبه، و له خبرة في أمور الحرب وكان الناصر يثني عليه، ونجح في قيادة العساكر التي خرجت في بعض حملات الخلافة العسكرية من سنة 591هـ/1194م في بلاد خوزستان[104]، وهمدان[105]، وأصبهان[106]، والري[107]، وغيرها من البلدان الأخرى التي ضمها الى سلطة الخلافة[108]، يضاف الى ذلك فقد امتاز هذا الوزير عما سبقة من الوزراء، فكان طالبا للعلوم والأدب، وبرع في الحساب والمساحات والمقاسات، وأن هذه العلوم قد اهلته للتبصر في سياسة الوزارة، وجمع بين الرئاستين السيف والقلم[109]، وكان الناصر قد وزره ليس لتمرس في الادارة فحسب انما لأنه جمع في شخصه الثقافة العامة فضلاً عن الخبرة الادارية والعسكرية[110]، وكان الخليفة الناصر بعد خروج الوزير في حملاته العسكرية قد عين ابنه ابا الفضل احمد ابن القصاب[111]، نائبا عنه وبقي في منصبه حتى شهر شعبان من سنة 592هـ/١١٩٥م وفيها توفي والده الوزير بأصفهان ،حينها امر الخليفة بعزله عن نيابة الوزارة[112]، و استناب قاضي القضاة أبا طالب علي بن البخاري مرة اخرى في الخامس من شعبان سنة592هـ/1196م وكان يجمع بين القضاء والنيابة حتى عزل عن النيابة بعد سنتين وذلك في سنة 594هـ/1197م، وبقي على منصبه في القضاء حتى وفاته[113]، بعدها استناب الخليفة الناصر ابو القاسم الحسن بن نصر بن علي، كان احد الشخصيات السياسية المهمة التي تولت العديد من المناصب السياسية والادارية في خلافة الناصر فكان أول الأمر حجابا لباب النوبي، ثم انتقل ليتولى بدلا عن ابيه صدرا لديوان المخزن بعد وفاته في الثامن عشر من سنة 592هـ/1195م، ثم اضيفت اليه نيابة الوزارة سنة594هـ/1197م، فتولى صدرية المخزن بأعمالها، مع نظره في أمر الدواوين جميعها، فلم يزل على ذلك حتى شهر صفر من سنة 597هـ/1200م، حيث تم توليت نيابة الوزارة الى نصير الدين ناصر بن المهدي العلوي وردت الامور الديوانية جميعها اليه، وبقي ابو القاسم الحسن بن نصر متولي للمخزن واعماله فقط ، الى ان عزل عنه في الرابع والعشرون من جمادى الاولى من سنة 598هـ/1201م، ولم يستخدم بعد ذلك حتى وفاته في سنة 604هـ/1207م ودفن في مقابر قريش . [114].

وكان سبب اختيار الخليفة لنصير الدين ناصر بن مهدي العلوي لأنه اختبره فرآه عاقلا لبيبا سديد الراي ،وكان يستشيره سرا فيما يتعلق في أمور الاطراف فوجد عنده الخبرة التامة بأحوال سلاطين العجم، وله معرفة بأمورهم و أخلاق كل واحد منهم، وكان الناصر كلما استشاره في شيء من ذلك وجده مصيبا عين الصواب فاستخلصه لنفسه [115]، وبقي نائبا لمدة ستة سنين[116]، ثم تقلد الوزارة أصالة في سنة 602هـ/١٢٠٥م وخلع عليه الخليفة الناصر خلع الوزارة من القميص والدراعة والعمامة والسيف، وقدمت له فرس من خيل الخليفة، وبين يديه دواة منها ألف مثقال ذهب، ووراءه ألوية الحمد تخفق والكوسات[117] تضرب، وعهد التولية منشور بين يديه، وأحضرت له الخلع من جميع رجالات الدولة ومشو بين يديه، وضربت له الطبول والابواق بين يديه وعلى بابه في أوقات الصلاة الثلاثة الغروب والعشاء والفجر[118]، وهو رابع وزير للناصر وظل في منصبه بحدود السنتين , تمكن فيها واصبح صاحب السلطة العليا، ثم عزله الناصر في سنة ٦٠٤هـ/1207، مكرها لأمور اقتضت لذلك بحسب ما ذكره البعض[119]، بعد أن أحضر في ليلة الاحد الثاني عشر من جمادى الآخرة وشافهه الخليفة الناصر بأمر العزل[120]، ونقل الى مكان في دار الخلافة ووضع تحت الاستظهار[121]، على حالة من الاكرام والمراعاة الى ان توفي في سنة617هـ/1220م[122]، وقد اختلفت الروايات في بيان أسباب العزل فكان هنالك اراء في هذا الجانب وهي:

أ. ذكرت عدد من المصادر انه عزل بسبب طمعه بالخلافة، فقد ذكر ابي شامة أن محمد بن محمد بن القمي أوشى به عند الخليفة الناصر ونسب اليه طمعه في الخلافة واحقيته بها لنسبه العلوي دون الناصر، وانه كان يرسل الاموال الى العجم في قواصر[123] التمر الى أهله في خرسان ليجندوا العساكر ويقيمون ملكا تكون وجهته بغداد[124] ، وذكر الحموي رواية قواصر التمر لكنه بالغ فيها كثيرا، حيث بين ان سبب عزل الوزير لأنه ارسل ثلاثمائة جمل عليها قواصر التمر والتي كانت بداخل كل واحدة منها ألف دينار، فصادف ان تعرض لهذه الاحمال بعض ولاة الخليفة وطلب شيء من التمر يأكله،

فامتنعوا عليه في ذلك، الا انه الح عليهم، فاخذ جملين وفتح قوصرة تمر يفرقها على جماعته فوجد الذهب وفتح الثانية فوجدها كذلك، فكتب الى الخليفة الناصر يبلغه بالأمر، فما كان من الخليفة إلا أن عزله ونقله من دار الوزارة الى دار الخلافة بعد مصادرة جميع ما عنده[125]، وذكر اخرون لكثرة ما كتب فيه شعرا، فقد هجاه أهل بغداد وكتبوا الاشعار وأوصلوها الى الخليفة الناصر ومنه ما كتبه يعقوب ابن صابر المنجنيقي[126]، حيث قال:

ألا مبلغا عني الخليفةَ أحمد توقَّ وقيتَ السوءَ ما أنت صانعُ

وزيرُك هذا بين أمريْن فيهما فعالَك يا خيرَ البرية ضائعُ

فإن كان حقا من سُلالةِ أحمدٍ فهذا وزيرٌ في الخلافةِ طامعُ

وإن كان فيما يدّعي غيرَ صادقٍ فَأضَيعُ ما كانت لديه الصَنائعُ[127].

وقيل انه اتفق مع أبن اساور النصراني[128]، على قتل علاء الدين ايتامش[129] في سنة 604هـ/1207م احد مماليك الخليفة الناصر بسبب استقلاله بالأمور[130]،وقيل بسبب وشاية من قبل مملوك يدعى آق سنقر الدويدار، الذي كان يعمل مملوكا لدى الوزير نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي، وكان يطالع الخليفة الناصر بأخبار الوزير وانه يكاتب العجم ويسعى في فساد الدولة، وعندما علم به الوزير سقاه السم وقتله، وبعد مدة قبض على الوزير وقتل من نفس السنة[131].

ب. سوء علاقته مع الامراء، وتظليله في نقل الحقائق للخليفة الناصر، فقد ذكر في الشطر الاول من ذلك أنه تحكم بالدولة وأساء السيرة لكبار مماليك الخليفة، وكان على خلاف معهم وكان يسعى لأبعادهم وعندما علم المملوك مظفر الدين اق سقر وجه السبع[132]، بذلك هرب من بغداد الى الشام سنة 603هـ/1206م وأرسل للخليفة يتعذر منه وانه هرب من يد الوزير[133]، وقال: **"إن الوزير أن لا يبقي في خدمة الخليفة أحدا من مماليكه ولا شك انه يريد أن يدعي الخلافة"**[134]، ثم تبعه هروب الأمير جمال الدين قشتمر[135]، الى دسقان وكان من مماليك الخليفة الناصر الخاصين، وارسل الى الخليفة يقول: **"أن الوزير يريد أن لا يبقى في خدمة الخليفة أحد من مماليكه، ولاشك أنه يريد ان يدعي الخلافة لنفسه"**[136]، فأكثروا فيه القول فعزله الخليفة الناصر وأكرمه[137]، في حين هنالك راي أخر بان الخليفة الناصر هو من اقتضى ايفاد الأمير جمال قشتمر الناصري الى رام هرمز[138]، وقطعها اياه بسبب الخلاف الذي وقع بينه وبين الوزير[139]، ثم عاد الامير قشتمر بعدما كاتبة الخليفة الناصر في العودة فعاده في سنة 604هـ/1207م، بعد عزل الوزير ابن مهدي العلوي بشهر، فأنعم عليه بالدار المجاورة لدار الوزارة[140]، وفي سنة 607هـ/1210 بعث الخليفة الناصر الى الشام في طلب مظفر الدين سقر وذلك لما يعلم من رجاحة عقله فأجابه الى ذلك[141]، وذكر الذهبي ان الخليفة الناصر اكتشف عدم صدق الوزير ابن مهدي العلوي في نقل حقائق الامور عن الرعية والجند وملوك الاطراف، وانه كان يظلله ويكرهه فيهم فأقدم على عزله[142].

ت. بسبب الفساد المالي والاداري وظلمه للرعية، فقد ذكر زيادة ثروته وأملاكه ،فكان سببا للشك في نزاهته فعزل عن الوزارة، قال ابن الاثير انه ارسل الى الخليفة ذات يوم يقول: **"إنني قدمت إلى هاهنا وليس لي دينار ولا درهم وقد حصل لي من الأموال والأعلاق النفيسة وغير ذلك ما يزيد على خمسة آلاف دينار"**[143]،على الرغم مما ذكره ابن الاثير في موضوع ما يمتلكه من اموال فهي قليله ولا يمكن اعتبارها فساد مالي لان ابن المهدي العلوي قد تولى العديد من المناصب في حقبة الناصر وقد يكون هذا المبلغ قد جمعه خلال سنوات خدمته .والسبب الاخر اتهامه بالظلم فقيل انه كان جباراً قاسياً متكبرا قليل الرحمة، واذا حبس احدا تخلص منه، فقد شفع عنده ذات يوم أبو محمد يوسف ابن الجوزي [144]في امر محبوس، فساله الوزير ابن المهدي عن المدة التي قضاها المحبوس في السجن

فأجابه خمس سنين، فقال له الوزير: أنه ليس بمحبوس، لان المحبوس عندنا في العجم يمضي عليه خمسون سنة[145].

ومهما يكن من حال فقد عزل الوزير نصير الدين بن مهدي العلوي في الثاني عشر من جمادي الاخرة من سنة604هـ/1207م وعين الناصر بدلا عنه ابا البدر محمد بن أحمد بن علي بن امسينا الواسطي[146]، نائبا للوزارة في صبيحة اليوم التالي وبحضور الحجاب وكبار رجالات الدولة، فجلس في الحجرة التي يجلس فيها نواب الوزراء، واجريت له المراسم في ذلك، ونزل في دار الوزارة بعد ان أخرج منها ابن العلوي[147]، ولم يزل يمارس مهامه الى أن عزل في شهر ربيع الاول من سنة 606هـ/ 1209[148]، وذكر ابن الاثير انه ألزم بيته ثم نقل الى المخزن على سبيل الاستظهار[149]، في حين ذكر ابن الساعي: **"ونقل من دار الوزارة الى دار الخلافة العزيزة ليلا وحبس في باطنها وكان آخر العهد به"**[150]، هذا ولم تفصح المصادر عن اسباب عزله عن منصب نيابة الوزارة وحبسه.

بعدها استناب الخليفة الناصر ابا الحسن محمد بن محمد بن القمي في الثاني العشرون من شهر ربيع الاخر من سنة 606هـ/1209 ولقبه بمؤيد الدين ونقل الى دار الوزارة التي يسكنها الوزراء والنواب[151] وقد تمكن في منصبه ، لأنه كان خبيرا بأدوات الرئاسة عالما بالقوانين خبيرا بالحساب وعارفا باصطلاح الدواوين بسبب ممارسته للأعمال الادارية في بلاد العجم[152]، فبقي في منصبه الى ان توفى الخليفة الناصر[153].

ثم اقره الخليفة الظاهر (622-623هـ/1225-1226م)،ومن بعده المستنصر (623-640هـ/1126-1242م) على منصبه وبقي حتى سنة 629هـ/1231م وفيها عزل وقبض عليه[154]،مع ولد فجر الدين احمد[155] وعلى اخيه واصحابه[156]، وكان ابنه فخرالدين أحمد هو السبب في نكبة ابيه، لأنه أستغل منصبه في ولاية الشرطة وأساء السيرة وتجبر، وقطع الألسن وسفك الدم الحرام، ولم يمنعه والده عن ذلك[157]، فقبض عليه المستنصر وسجنه بدار الخلافة الى أن قضى اجله حتى سنة 629هـ/1231م[158].

بعد عزل أبن القمي استناب المستنصر بدلا عنه استاذ الدار شمس الدين ابا الأزهر أحمد ابن الناقد[159]، بعد أن استدعي الى دار الخلافة، وخلعت عليه الخلع الجميلة التي تليق بهذا المنصب كما هو حال من سبقهُ[160]،بعدها قرء الوزير كتب الانهاء[161] قائما امام الحاضرين، وامر الخليفة المستنصر ان يخاطب: **"المولى الوزير الاعظم الصاحب الكبير المعظم، العالم العادل، المؤيد المظفر المجاهد نصير الدين صدر الإسلام، غرس الإمام ، شرف الأنام ،عضد الدولة، جلال الملة، مغيث الأمة، عماد الملك، اختيار الخلافة المعظمة مجتبى الامامة المكرمة، تاج الملوك ،سيد صدور العالمين، ملك وزراء الشرق والغرب، غياث الورى، ابو الازهر أحمد بن محمد ابن الناقد ظهير أمير المؤمنين، ووليه المخلص في طاعته ،الموثوق به في صحة عقيدته"**[162]، فنهض بأعباء الوزارة واحسن ادارتها وظل مهيب الجانب محبوبا عند الخليفة المستنصر طيلة حياته ثم اقره ابنه المستعصم من بعده حتى وفاته سنة 642هـ/1244م[163]، ودفن في مقابر قريش[164]. وبعد وفاته فتحت تركته فوجد بها صندوق وفيه من المال ما يزيد عن تسعون الف دينار، وفيه رسالة ذكر فيها أن هذا المال هو ما انعم عليه في ايام المستنصر والمستعصم وانه حق من حقوق بيت مال المسلمين ولا تستحق ورثته منه شيئا ، فحمل الى دار التشريفات وأنعم على ورثته وأجريت لهم بعض الاموال من المخزن[165].

ثم استوزر المستعصم مؤيد الدين ابا طالب محمد بن احمد بن علي بن محمد بن العلقمي في السادس عشر من شهر ربيع الاول من السنة التي توفى بها الوزير ابن الناقد[166] وأستدعي الى دار الخلافة فركب من داره الواقعة امام باب الفردوس[167]، في جمع من حاشية دار الخلافة مع جمع من حجاب دار الوزارة وعلى راسهم حاجب باب النوبي تاج الدين علي ابن الدوامي[168]، فتلقوه وقبلوا يده ومشوا بين يديه الى منتهى الدهليز[169] الاول، ونثر عليه ناظر دار الضرب سراج الدين علي ابن البجلي[170]، ذهبا وفضه عند دخوله، وانه لم يخلع عليه الا انه قد استبدل كنبوش[171] فرسه الإبرسيم عندما كان استاذ الدار بكنبوش من صوف، جريا على قاعدة القمي، ثم ادخل وجلس في صدر الديوان، واستدعي كافة ارباب الدولة والزعماء، ما عدا الدويدار الكبير[172] والصغير فأنهما لم يحضرا عنده، جريا على عادتهما مع من كان قبله، وكتب الوزير كتب الانهاء وكان نصه الاتي: **"رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ**

فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ[173]، مثل المملوك بخدمة الديوان العزيز ظاهر الله تعالى جلاله وأسدل على الإسلام واهله أورقة ظلاله، متشرفا بلثم صعيده والانتظام في سلك أوليائه المخلصين وعبيده، رافعا من أدعيته الصالحة متمسكا من الإمحاض في العبودية بكل ما يطيل أمد المواظبة عليه ويديمه، راجيا أن يوفقه الله تعالى من الخدمة لما يقربه زلفى، اخذا من المبالغة في الطاعة الواجبة بالنصيب الأوفر والقسم الأوفى وسيتفرغ في الخدمة جهده ويتجاوز في الناصحة ،غاية من لم يقم بما يجب عليه وحده بتوفيق الله تعالى و إعانته و إرشاده الى سبل الواجبات وهدايته، وبمن الهمة العلية المقدسة النبوية ،وتثقيف الآراء الشريفة المستعصمية ، زادها الله تعالى شرفا وجلالا ،وللآراء المقدسة المعظمة النبوية أجلها الله تعالى في تأمل خدمته المشتملة على صالح أدعيته من يد الجلال والقدرة إن شاء الله تعالى"[174] ، وكان جواب المستعصم على نص كتاب الوزير: **"وقف على خدمتك المشتملة على دعاء تواليه ، وانهاء تعيد الإخلاص فيه وتبديه ، وعلم ما ذكرته وعرف ما أردته، رزقك الله تعالى توفيقا بالتمسك بحبله وهداية الى طريق الإرشاد وسبله بكرمه وفضله"**[175].

وكان ابن العلقمي رجلا فاضلا كريما وقورا، من الخبراء في السياسة، عارفا في القوانين، اشتغل في صباه في الادب وفاق فيه، وحب أهل الادب وتقرب من اهل العلم، عفيفا عن اموال الديوان وعن أموال الرعية، لذلك كانت حاشية الخليفة يكرهونه ويحسدونه لان الخليفة كان يحبه ويقربه منه، فكثروا القول فيه ونسبوا اليه العديد من التهم، وقد تولى عدد من المناصب كان اخرها الوزارة التي ظل بها حتى سقوط بغداد على يد المغول سنة 656هـ/1258م [176]، وبعدها فوض اليه والى صاحب الديوان فجر الدين الدامغاني[177]، امر ادارة بغداد لكنه لم يمكث فيها طويلا فقد توفى بعد شهور في جمادى الآخرة من سنة 656هـ/1258م، ودفن في مقابر قريش [178].

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN–2536–0027

قائمة بأسماء الوزراء ونواب الوزراء للمدة (575-656هـ/1197-1258م)

ت	الوزير	نائب الوزير	الخليفة	سنوات التولية
1		داود بن سليمان بن شاووش	الناصر	(575-576هـ/1179-1180م)[179]
2		هبة الله بن محمد بن البخاري	الناصر	(576-580هـ/1180-1184)[180]
3		صدقة بن محمد بن أحمد بن صدقة	الناصر	(580هـ/1184)[181]
4		محمد بن عبد الباقي بن الداريج	الناصر	(580-583هـ/1184-1187)[182]
5	ابا المظفر عبيد الله بن يونس		الناصر	(583-584هـ/1187-1188)[183]
6		أبا طالب علي بن البخاري	الناصر	(584هـ/1188م)[184]
7	سعيد بن علي بن حديده		الناصر	(584-585هـ/1188-1189م)[185]
8		ابا المظفر عبيد الله بن يونس	الناصر	(585هـ/1189م)[186]
9		مؤيد الدين محمد بن علي بن القصاب	الناصر	(585-590هـ/1189-1193م)[187]
10	مؤيد الدين محمد بن علي بن القصاب		الناصر	(590-592هـ/1193-1195م)[188]
11		شمس الدين ابا الفضل احمد	الناصر	(591-592هـ/1194-1195)[189]
12		أبا طالب علي بن البخاري	الناصر	(592-594هـ/1195-1197)[190]
13		نصر بن الناقد ابن قنبر	الناصر	(594-597هـ/1197-1200م)[191]
14		نصير الدين بن مهدي العلوي	الناصر	(597-602هـ/1200-1205م)[192]
15	نصير الدين بن مهدي العلوي		الناصر	(602-604هـ/1205-1207م)[193]
16		محمد بن أحمد بن علي بن امسينا الواسطي	الناصر	(604-606هـ/1207-1209م)[194]
17		محمد بن محمد بن القمي	الناصر والظاهر والمستنصر	(606-629هـ/1209-1231م)[195]
18		ابا الازهر أحمد بن محمد ابن الناقد	المستنصر والمستعصم	(629-642هـ/1231-1244م)[196]
19	ابن العلقمي		المستعصم	(642-656هـ/1244-1258م)[197]

الهوامش

(1) الوزارة : في اللغة تعني الوزر، والوزر هو الحمل الثقيل، و لأن الوزير الموازر يحمل عنه وزره أي ثقله ويعينه في رأيه و قد استوزره و وازره على الامر. أما الوزارة في الاصطلاح فهي أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية لان أسمها يدل على مطلق الإعانة فإن الوزارة مأخوذة إما من المؤازرة وهي المعاونة او من الوزر وهو الثقل كأنه يحمل أوزاره و اثقاله وهو راجع الى المعاونة المطلقة. ينظر: الفراهيدي ،العين ، ج7، ص380؛الجوهري، الصحاح ،ج2، ص845؛ ابن فارس، معجم مقايس اللغة ،ج 6،ص108؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ،ج 1،ص236 ؛الزبيدي، تاج العروس،ج7، ص589.

(2) ابو سلمه الخلال : وهو حفص بن سليمان الخلال الهمداني، مولى لقبيلة السبيع بهمدان، وهي قبيلة عظيمة باليمن، كان اديبا وعالما بالسياسة والتدبير، وكان كثير الاموال يعمل صرافا في الكوفة، انفق الكثير من الاموال على اقامة الدولة العباسية، اتهمه السفاح بالميل الى العلويين و انه راسل الامام جعفر بن محمد الصادق و عبدالله بن الحسن المحض وعمر الاشرف بن علي بن الحسين بن علي ابي طالب(عليهم السلام) ليعقد امر نقل الخلافة الى احدهم، مما جعل السفاح يفكر بالتخلص منه، بعد ان أستشار اخوه عبدالله (المنصور) وعمه داود بن علي في ذلك، فبعث ابو مسلم الخرساني لقتله في سنة 132هـ/749م. ينظر: المسعودي، مروج الذهب ،ج3 ،ص270–271 ؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج 2،ص 195–196؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص 153–155 ؛ الذهبي، تاريخ الاسلام ،ج8، ص400–401. للمزيد ينظر: عطوان، الدعوة العباسية تاريخ وتطور ،ص 335–338.

(3) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2،ص352؛الطبري، تاريخ الطبري، ج 6،ص 103؛ المسعودي ،التنبيه والاشراف ،ص 293؛مروج الذهب ،ج 3،ص ٢٧٠–271؛ابن الجوزي ،المنتظم ،ج ٧،ص 299؛ابن خلكان ،وفيات الاعيان ، ج 2،ص 195–196؛الأمين، مستدركات اعيان الشيعة، ج 5،ص 73–75.

(4) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٥٣.

(5) بازينة، منصب الوزارة و أحوالها في العصر العباسي الثاني، ص1.

(6) الخالدي، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق، ص231.

(7) بازينة، منصب الوزارة و أحوالها في العصر العباسي الثاني ، ص 1.

(8) خالد بن برمك: وهو مؤسس الأسرة البرمكية، و أحد دعاة العباسيين، ولد سنة90هـ/708م استوزره الخليفة أبو العباس السفاح بعد مقتل أبو سلمة الخلال سنة 132هـ/749م، ثم استوزره أبو جعفر المنصور نحو سنتين، ثم استعمله الخليفة المهدي في قصره إلى أن توفى سنة 165هـ/781م. ينظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج10، ص160–161؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج13، ص149.

(9) الجهشياري، الوزراء والكتاب ، ص59؛ الخالدي، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق، ص231–232.

(10) علوان، أهم وزراء الدولة العباسية حتى نهاية عصر المأمون ، ص1503.

(11) امين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ص187؛ ابو نصر، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ص188؛ الزهراني، نظام الوزارة في الدولة العباسية العهد البويهي والسلجوقي ، ص71.

(12) ابو نصر، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ص188؛الزهراني، نظام الوزارة في الدولة العباسية العهد البويهي والسلجوقي، ص 71؛ امين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ص ١٨.

(13) يونس، مهام الوزير الادارية و مسؤولياته في الدولة العباسية للمدة (247–334هـ)،ص 254–255.

(14) وهو الوزير عبد الله بن محمد بن يزداد بن سويد، الملقب بأبو صالح، كان أبيه من وزراء المأمون، تولى أمر الوزارة في عهد

المستعين بعد احمد بن الخصيب، ثم صعب على الموالي الاتراك امره، وهدده بغا الصغير، كان قد منعة من اقطاعه فهدده بالقتل، فعزل ثم وزر مرة اخرى بعد مقتل الوزير اوتامش التركي، وسلم اليه المستعين أمور الدولة من دواوين الخاتم ودور الضرب والكتابة، فتنكر له بغا الصغير والب عليه الأتراك فهرب الى بغداد، وكانت وزارته أربعة اشهر واياما، وظل متخفي في بغداد الى ان ادركه اجله في سنة261هـ/874م. ينظر: الذهبي ،تاريخ الاسلام، ج2،ص121؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 17،ص266.

([15]) بغا الصغير: وهو امير تركي يعرف بالشرابي أطلق علية لقب الصغير تميزا عن بغا الكبير والمتوفى سنة248هـ/862م، وكان بغا الصغير من كبار قادة المتوكل العباسي وكان له يد في مقتله بالتواطئ مع باغر التركي، وفي خلافة المعتز بالله طغى وخالف أمر الخليفة وأستبد بالأموال ونهب من الخزائن مائتي الف دينار، قتله شخص يدعى الوليد المغربي من فرقة المغاربة في سنة 254هـ/868م وجاء براسه فاكرمه المعتز بعشرة الاف دينار. ينظر: الذهبي، العبر في خبر من غبر،ج2،ص 12؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 10، ص110.

([16]) الطبري، تاريخ الطبري، ج ١٢،ص424؛المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص٦٥؛مسكوية، تجارب الامم، ج4، ص326–327؛ابن الجوزي، المنتظم ، ج١٢،ص22؛يونس، مهام الوزير الادارية و مسؤولياته في الدولة العباسية للمدة247–334،ص 255؛ اليوزبكي، الوزارة نشأتها و تطورها في الدولة العباسية، ص 144.

([17]) المسعودي، مروج الذهب و معادن الجوهر ، ج ٤، ص٦٥–61.

([18]) المصدر نفسه .

([19]) الزهراني، نظام الوزارة في الدولة العباسية، ص 72.

([20]) حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ج 3،ص 265.

([21]) الكامل في التاريخ في التاريخ ، ج8، ص 323.

([22]) تاريخ مختصر الدول، ص 167.

([23]) اليوزبكي، الوزارة نشأتها و تطورها في الدولة العباسية ، ص 249–251.

([24]) امين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ص189؛ ابو نصر، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ص234.

([25]) ابو نصر، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ص234.

([26]) ملكشاه هو جلال الدولة ملكشاه بن الب أرسلان بن محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، ولد سنة 347هـ/598م ، تولى السلطنة السلجوقية بعد وفاة ابيه بوصيه منه، واتسعت الدولة في عهده فملك من كأشفر الى بيت المقدس ومن بلاد الجزيرة الى القسطنطينية، توفي سنة 485هـ/1092م. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج26،ص26–28.

([27]) فجر الدولة: وهو الوزير فجر الدولة، مؤيد الدين محمد بن محمد بن جهير الثعلبي، ولد بالموصل سنة398هـ/1007م،كانت أول وظيفة يعمل بها هي الاشراف على املاك احدى نساء الأمير قراوش بن المقلد العقيلي، ثم انتقل الى خدمة الأمير بركة بن المقلد، ثم ناظرا لديوان حلب، و تولى وزارة اميرها معز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس، ثم تولى الوزارة عند الامير نصر الدولة أحمد بن مروان حاكم ديار بكر، فخدمه مدة و أثرى عنده ثروة ضخمه ، وكان طموحا الى منصب الوزارة العباسية، و راسل الخليفة القائم بأمر الله سرا يخطب الوزارة وبذل له في ذلك ثلاثين ألف دينار، وبعدها اسند اليه الخليفة القائم امر الوزارة في سنة454هـ/1062م، ولما بويع المقتدي اقره على عمله في الوزارة و بعد سنة ين تم عزله، و في سنة 476هـ/1083م استدعاه السلطان ملكشاه و استنابة على ديار بكر ومات على امرته في الموصل سنة 483هـ/1090م، بعد ان بلغ الثمانون من عمره. ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10،ص182؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج18،ص608–609 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات، ج1،ص111؛ ابن الطقطقي ،الفخري في الآداب السلطانية،

ص294؛ الزهراني، نظام الوزارة في الدولة العباسية العهد البويهي و السلجوقي ،ص 145-146.

([28]) سعد الدولة الكوهرائين :وهو خادم تركي كبير ولي شحنكية بغداد وكانت بداية أمره خدم ملكها أبي كاليجار بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه، و أرسله ابي كاليجار مع ابنه أبي نصر الى بغداد وبقي معه الى ان دخل طغرلبك اليها فحسبه مع مولاه، ولما مات ابو نصر انتقل الى خدمة السلطان الب أرسلان . ينظر: ابن الاثير الكامل في التاريخ،ج10،ص295-296، الذهبي ،تاريخ الاسلام، ج 34،ص23.

([29]) ابن الجوزي، المنتظم ،ج16 ،ص 290؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص294.للمزيد حول تدخل السلاطين السلاجقة في تعيين الوزراء ينظر: يحيى، نظام السلطنة في الدولة العباسية، ص53وما بعدها.

([30]) طغرل بن ارسلان السلجوقي: و هو طغرل بن ارسلان شاه بن طغرل بن محمد السلجوقي تولى السلطنة بعد وفاة ابيه في سنة 572هـ/1176م، و لم يكن خبير في الحكم، الا انه كان عادلا و دخلت الاقاليم تحت امرته واعوانه، لكنه انشغل عن السلطة باللهو و الطرب، وهو أخر ملوك السلاجقة، و قتل في سنة 590هه/1193م على يد خوارزم شاه في الري. ينظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج16،ص261-262؛الراوندي، راحة الصدور ،ص462-467.

([31]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،ج 11،ص560؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص487.

([32]) وهو موضع بقصر الخلافة العباسية في بغداد يخلع فيه على الوزراء، ويحضرون اليه في ايام المواسم للتهنئة. ينظر: ابن الساعي، الجامع المختصر،ج9،ص168،هامش (المحقق).

([33]) القداحات، الوظائف العليا في عهد الخليفة الناصر لدين الله ،ص83.

([34]) نائب الوزير: وهي مرتبه دون الوزير، وهو الذي ينفذ أوامر الخليفة، والوزير ويقوم بأعباء الوزارة بصورة ثابتة الى حين اختيار وزير او يبقى في النيابة الى ان يعزل ،وتعود أول اشارة الى هذا المنصب الى سنة327هـ-949م، حيث أستوزر الراضي بالله أبا الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات سنة الخراج في مصر والشام، فأناب عنه في الوزارة ببغداد عبدالله بن علي النفري. ينظر : معروف، تاريخ علماء المستنصرية، ص338؛ الزهراني، نظام الوزارة في الدولة العباسية، ص135 ؛ فهد، تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير ، ص116.

([35]) النقيب، سياسة الخليفة الناصر الداخلية، ص38-36؛القدحات،الوظائف العليا في عهد الخليفة الناصر لدين الله،ص105.

([36]) السوداني، الوظائف الإدارية في دولة الناصر ، ص93.

([37]) رحلة ابن جبير، ص202.

([38]) العجمي، الخليفة العباسي الناصر لدين الله العباسي وسياسة من خلال المصادر التاريخية ، ص 16.

([39]) القداحات، الوظائف العليا في عهد الخليفة الناصر لدين الله ،ص88.

([40]) وعرفها الفراهيدي بقوله :"و العين الذي تبعثه لتجسس الخبر، وتسميه العرب ذا العيينتين، وذا العيينتين و ذا العوينتين كلمة بمعنى واحد "،فالعين أذن تأتي هنا بمعنى جاسوس وهو في كلام العرب الباحث في أمور الناس و يسترق السمع، والذي يطلع على عورات المسلمين وينقل اخبارهم الى العدو. ينظر :الفراهيدي، العين،ج2،ص255؛ الانباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، ص275-276؛زيوش،العيون والجواسيس في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط الموحدين، ص6 وما بعدها

([41]) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية ،ص 322.

([42]) مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج 4،ص 163.

([43]) العجمي، الخليفة العباسي الناصر لدين الله العباسي وسياسة من خلال المصادر التاريخية والدراسات الحديثة ، ص ١٧.

([44]) النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، ص165.

([45]) الفخري في الآداب السلطانية ،ص 322.

([46]) السوداني، الوظائف الإدارية في دولة الناصر، ص93-94.

([47]) الكبيسي، العراق في العصر السلجوقي من خلال كتاب مرآة الزمان، ص 77.

([48]) ابن الساعي، الجامع المختصر،ج9، ص60؛ الاربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص283؛ الغساني، العسجد المسبوك، ص 408-409.

([49]) وهو ابو المظفر الحسن بن هبة الله بن محمد بن علي بن المطلب، الملقب بفجر الدولة ابن الوزير أبي المعالي بن أبي سعد، كان والده وزير للمستظهر، و نشا في بيت مشهور بالتقدم و الرياسة، وعرضت عليه الوزارة فرفض، وأحب الطريقة الصوفية والتشبه بهم في ملبسه واخلاقه، وكان زاهدا تاركا للدخول في أمور الدنيا، و تولي الولايات ،كثير الحج و الصدقات على الفقراء، وله اثار حسنه في بناء المدارس و الاربطة والمساجد والجوامع في بغداد، توفي في سنة578هـ/1182م. ينظر : ابن الدبيثي ، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج 3 ،ص143-144؛الذهبي، تاريخ الاسلام، ج 40،ص257؛ المختصر من تاريخ ابن الدبيثي،ص167؛الصفدي ،الوافي بالوفيات، ج12 ،ص181.

([50]) وهو شرف الدين البغدادي، ابو داود، سلمان بن ارسلان بن جعفر بن علي بن المتوج بن أبي الفضل، المعروف بابن شاووش ،كان شيخا حسنا فاضلا نظر بأعمال السواد كنهر ملك و نهر عيسى بن علي و غير ذلك، و تنقل في الولايات الى ان ولاه الخليفة الناصر لدين الله نيابة الوزارة في سنة575هـ/1179م. ينظر: الايوبي، مضمار الحقائق، ص39؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج40 ،ص238 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص217-218؛ الغساني، العسجد المسبوك، ج1، ص409. فقد ذكر الايوبي جاووش، والغساني ساوس.

([51]) الايوبي، مضمار الحقائق ،ص 13-14؛ ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام ، م 3،ص 354-355؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ ، ص 249.

([52]) الايوبي، مضمار الحقائق ،ص39.

([53]) سبط ابن، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج21،ص269.

([54]) ابن الكازروني، مختصر التاريخ ،ص 249؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج40ص39 ،و ص 238 ؛ الغساني، العسجد، ص 409.

([55]) الايوبي، مضمار الحقائق ،ص14.

([56]) وهو أبو المظفر هبة الله بن محمد بن هبة الله بن محمد بن علي بن أحمد بن البخاري، من أولاد المحدثين تفقه على المذهب الشافعي، ولي النظر في الصدرية بديوان الزمام ثم عزل ، ثم تولى نيابة الوزارة في خلافة الناصر لدين الله الى ان توفى في سنة 580هـ/1184م . ينظر : ابن الدبيثي ، ذيل تاريخ مدينة السلام ، م 5،ص 95؛ الذهبي ،تاريخ الاسلام ،ج 40،ص317-318؛ المختصر من تاريخ ابن الدبيثي، ص 367-368 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج27،ص191.

([57]) دار بن هبيرة : وهو احدى قصور الخلافة العباسية، وكان مقرا لأعيان الدولة من القضاة والولاة والاعمال والوزراء والكتاب ، وينسب الى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري الذي كان واليا على العراق من قبل مروان بن محمد بن مروان الاموي وقد بنى هذا القصر الذي عرف به بالقرب من جسر سورا، ولما استخلف السفاح اتم تسقيف المقاصير و زاده في بناءه. ينظر: البلاذري، فتوح البلدان ،ج 2،ص 351 ؛ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4،ص365.

([58]) المطبق : وهو سجن كبير يقع تحت الارض، بني في عهد الخليفة ابو جعفر المنصور، وكان متين البناء قوي الاساس، ويقع في الجزء الجنوبي من بغداد بين طريق باب البصرة وطريق باب الكوفة، وقد سميت السكة التي يقع فيها السجن باسمه، كان شديد الظلمة وقد زج به المنصور ومن جاء من بعده من الخلفاء الكثير من الرجال. ينظر الزمخشري،

أساس البلاغة، ص 575–576؛ جواد، وسوسة، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا،ص52.

([59]) الايوبي، مضمار الحقائق ،ص39.

([60]) الايوبي، مضمار الحقائق، ص 168–169.

([61]) مضمار الحقائق، ص 183.

([62]) الايوبي، مضمار الحقائق، ص 185–186.

([63]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام ، مج 5،ص 95؛أبن الكازروني ، مختصر التاريخ، ص 249.

([64]) السبكي، طبقات الشافعية ،ج2،ص174.

([65]) العسجد المسوك، ص 409.

([66]) هو صدقة بن ابي الرضا محمد بن أحمد بن صدقة، الملقب ظهير الدين، من بيت تقدم و وزارة وولاية، كان ابوه قد وزر الى الخليفة المسترشد، تولى اول امرة حجابة باب النوبي، ثم تولى نيابة الوزارة في أيام الخليفة الناصر بعد وفاة هبة الله بن محمد بن البخاري، ثم عزل في نفس السنة، و بعد عزله ظل ملازما بيته الى ان ولي الاشراف بالديوان العزيز في جمادى الآخرة من سنة 597هـ/1200م، فمرض عقب ذلك وتوفي في يوم الجمعة في الحادي والعشرين من رجب من هذه السنة ودفن في مقابر قريش. ينظر : ابن الدبيثي ، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج3، ص405–406 ؛ ابن الساعي، الجامع المختصر ، ج9، ص60؛ المنذري التكملة لوفيات النقلة، م2 ، ص284 ؛الذهبي، تاريخ الاسلام، ج42، ص283–284.

([67]) الايوبي، مضمار الحقائق، ص205.

([68]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج 3،ص 405–406؛ ابن الساعي، الجامع المختصر ، ج9،ص60؛المنذري التكملة لوفيات النقلة، مج2،ص284؛الذهبي،تاريخ الاسلام، ج40،ص53. ذكر الايوبي انه ولي في سنة581هـ/1185م. ينظر: مضمار الحقائق، ص205.

([69]) مضمار الحقائق، ص209–210.

([7]1) الايوبي، مضمار الحقائق،210.

([71]) مختصر التاريخ، ص249. جاء عن الغساني انه بقي في نيابة الوزارة ثلاثة اشهر وليس سنة. ينظر: العسجد المسبوك، ص409.

([72]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج3، ص405–406 ؛ ابن الساعي، الجامع المختصر ، ج9،ص60؛ المنذري، التكملة لوفيات النقلة ، م2 ، ص284.

([73]) الايوبي , مضمار الحقائق، ص211. جاء في تواريخ اخرى ان سنة التولية كانت في 580 هـ . ينظر : ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج1، ص441؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج41، ص16.

([74]) أبو الفتح الشهرياري، محمد بن عبد الباقي بن عبد العزيز بن عبد الباقي، المعروف بالداريج، فارسي الأصل، ولد في سنة 519هـ/1125م ،ولي نيابة الوزارة بعد عزل صدقة بن محمد في سنة 580هـ/1184م ثم عزل بعد ثلاثة سنوات ،و توفي في الثامن من جمادى الاولى سنة 586هـ/1190م. ينظر : ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام ، م1،ص441 ؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج41، ص250.ومعنى الداريج هو الحافظ للغلات اذا حملت من بلد الى بلد في اصطلاح أهل العراق. ينظر: ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام ، مج1، ص441.

([75]) الايوبي , مضمار الحقائق، ص211.

([76]) المصدر نفسه .

([77]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج1، ص441؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج41، ص16.

([78]) ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص249؛ الغساني، العسجد، ص 409.

([79]) العجمي، الخليفة الناصر لدين الله العباسي و سياسة من خلال المصادر التاريخية ، ص18.

([80]) وهو الوزير جلال الدين أبو المظفر، عبيد الله بن يونس بن أحمد بن عبيد الله بن هبة الله، من بيت أهل عدالة ورواية، تفقه على مذهب احمد بن حنبل، وهو أول شاهد شهد في خلافة الناصر لدين الله، وخدم أولا في ديوان الابنية، ثم تولى وكالة باب الخليفة الناصر وكان يعرض المطالعات عليه، ثم رتب ناظرا في ديوان الزمام في رجب سنة582هـ/1186م، وظل يتدرج بالمناصب في خلافة الناصر الى ان سجن و لقى حتفه في سجن قصر الخلافة في سنة593هـ/1196م. ينظر : ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج 3، ص548–550؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج2، ص169–170؛ الذهبي ،تاريخ الاسلام، ج42، ص136–137؛ المختصر من تاريخ ابن الدبيثي، ص229–230؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، خ19، ص277–278.

([81]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ في التاريخ،ج11،ص652؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج2،ص169–170 ؛ابي الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص 74؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2،ص97 ؛الذهبي ،تاريخ الاسلام،ج41،ص16؛ المختصر من تاريخ ابن الدبيثي، ص 229–230؛الغساني،العسجد المسبوك، ج1،ص202–203 ؛ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج529.

([82]) فريجه: او الدراعة وهي جبة مشقوقة المقدمة تصنع من الصوف. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج 9،ص129؛ ابن منظور، لسان العرب، ج 8 ، ص32.

([83]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج 3،ص 449؛ الذهبي ،تاريخ الاسلام،ج41،ص16.

([84]) الشهود العدول: من الوظائف الدينية التابعة للقضاء، وحقيقة هذه الوظيفة القيام عن إذن القاضي بالشهادة بين المتخاصمين فيما لهم وعليهم من حقوق محملا عند الأشهاد وأداء عند التنازع ، وكتبا في السجلات تحفظ به حقوق الناس وأموالهم . للمزيد حول هذا المنصب ينظر: الانباري، منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية ،ص284.

([85]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج3، ص 548–550 ؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج2، ص170–171؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص 250 ؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية ، ص323؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2،ص98.

([86]) وهو أبو طالب، علي بن علي بن هبة الله بن محمد بن علي بن أحمد أبن البخاري، ولد في سنة538هـ/1143م،من بيت معروف بالعدالة والفقه ، سافر من بغداد الى بلاد الروم حيث كان ابيه يقيم و يتولى القضاء في بعض بلادها، وبعد وفاة ابيه تولى القضاء بالموضع الذي كان يقيم مع ابيه، لكنه عزل بعد سنتين ، فخرج الى الشام ثم عاد الى بغداد بعد عشرين سنة من سفره عنها في سنة581هـ/1185م، و في صفر من سنة 582هـ/1186 تولى منصب أقضى القضاة في بغداد من قبل الخليفة الناصر، ولم يزل على هذا المنصب الى ان توفى قاضي القضاة أبو الحسن أبن الدامغاني في اخر ذي القعدة من سنة583هـ/ 1187م فتولى منصبه في ذي الحجة من السنة نفسها وقرء عهده في الجوامع، ثم تولى النيابة ومنصب قاضي القضاة مدة وعزل، وبعدها لزم بيته من غير استخدام، ثم اعيد الى المنصب قضاء القضاة في الخامس عشر من شهر ربيع الآخر من سنة589هـ/1193م ، وبقي على القضاء الى ان توفي في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة 593هـ/1196م ، ودفن في مقابر قريش. ينظر: ابن الاثير ،الكامل في التاريخ في التاريخ ،ج12، ص130؛ ابن الدبيثي ، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج 4،ص 468–469؛ المنذري، التكملة لوفيات النقلة ،مج 2،ص83–84؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج42، ص138–139؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، ص227–228؛ الصفدي، الوافي

بالوفيات، ج 21،ص224.

([87]) ابن الساعي، الجامع المختصر،ج9، ص60 ؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص250 ؛الذهبي، تاريخ الاسلام، ج41، ص38.

([88]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج 4،ص469.

([89]) الغساني، العسجد المسوك، ص 409.

([90]) القداحات، الوظائف العليا في عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله، ص 89.

([91]) وهو سعيد بن علي بن أحمد بن الحسين البغدادي، المعروف بأبن حديدة، ولقبه ابو المعالي معز الدين، وهو من ولد قطيعه بن حديدة الانصاري، ولد بكرخ سامراء سنة 536هـ/1141م، وزر للخليفة الناصر في سنة584هـ/1188م ثم عزل بعد سنة، و عندما تولى امر الوزارة نصير بن مهدي العلوي لقى القبض على الوزير ابن حديدة في سنة 602هـ/1205م و قام بتعذيبه، فلم يتحمل الوزير ابن حديدة شدة التعذيب فهرب من السجن بعد ان رشى الحرس بالمال، وهرب الى مراغة وبقي فيها حتى عزل الوزير أبن المهدي ثم عاد الى بغداد ولزم بيته حتى وفاته، وحمل الى الكوفة و دفن عند مشهد امير المؤمنين علي ابن ابي طالب(علية السلام). ينظر: ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام ، مج3، ص342–344؛ ابي شامة، الذيل على الروضتين ، ج5، ص79؛ الذهبي ،تاريخ الاسلام، ج43، ص9؛ العيني، عقد الجمان، ج3، ص182.

([92]) ذيل تاريخ مدينة السلام، مج3 ، ص343.

([93]) ابن الدبيثي , ذيل تاريخ مدينة السلام، مج3، ص343؛ ابي شامة , الذيل على الروضتين، ج5، ص131–132.

([94]) سبط ابن الجوزي , مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج21، ص353.

([95]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج3، ص343؛ ابي شامة، الذيل على الروضتين، ج5، ص131–132.

([96]) ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص250.

([97]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج3،ص 344.

([98]) ابي شامة، الذيل على الروضتين، ج 5،ص131.

([99]) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص 324.

([100]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج3، ص551؛ ابن الساعي، الجامع المختصر، ج9، ص60؛ الاربلي ،خلاصة الذهب، ص283.

([101]) محمد بن علي بن أحمد بن المبارك أبو الفضل بن القصاب، و لقبة مؤيد الدين، واصله من شيراز قدم بغداد في سنة 584هـ/1188م، وكان ذا راي وشهامة وحزم وهمه عالية، قرأ الأدب والنحو ، وأول خدمته في ديوان الانشاء ثم ترقى الى الوزارة، لقب بالقصاب لان ابيه كان يبيع اللحم في بعض أسواق بغداد. ينظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج22، ص47؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص121؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص16؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص324.

([102]) ابن الكازروني ،مختصر التاريخ، ص250.

([103]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ في التاريخ، ج12،ص108؛ ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام ، م١،ص513 .

([104]) خوزستان: هو اسم لجميع بلاد الخوز، والخوز هم اهل خوزستان ونواحي الاهواز بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان، وارضها اشبه بأرض العراق خصبه ومياهها وعذبة الغالب على نواحي خوزستان زراعة النخيل والحبوب من الحنطة والشعير. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص404–405.

([105]) همذان: مدينة من الجبال، وهي أكبر مدينة بها، أعذبها ماء وأطيبها هواء، شتائها مفرط البرد إلا انها مع ذلك كانت كثيرة

الزهور والرياحين في الربيع .ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5،ص410-411.

([106]) أصبهان: لفظ معرب من سباهان بمعنى الجيش، وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن و أعيانها، وهي من نواحي الجبل. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص206.

([107]) الري: مدينة مشهورة من أمهات البلاد و أعلام المدن، كثيرة الفواكه والخيرات، وهي محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبل ، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا والى قزوين سبعة وعشرون فرسخا، ومدينة الري أكبر من أصفهان، وللري قرى كبار كل واحدة أكبر من مدينة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص116-117.

([108]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام ، مج١، ص513-514؛ ابن الساعي، الجامع المختصر، ج9، ص60؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج22، ص30-47؛ ابي شامة ،الذيل على الروضتين، ج5، ص 10؛ الاربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص283؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج3، ص530-531 ؛القلقشندي، مأثر الأناقة في معالم الخلافة، ج2، ص58-59.

([109]) ابن طقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص324.

([110]) فهد، تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير، ص104.

([111]) وهو ابو الفضل احمد بن محمد بن علي بن احمد بن القصاب، كان يلقب بشمس الدين ،ناب في الوزارة عن والده مدة سفره ولما وصل خبر موته عزل عنها ،وكان شابا وكاتبا حسن السيرة ، توفى في سنة 593هـ/1196م. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8، ص42.

([112]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام ، مج١،ص513-514؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص250؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج22،ص44 ؛ ابي شامة ،الذيل على الروضتين، ج 5، ص 10؛الاربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص283.

([113]) ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص250. جاء في تاريخ ابن الدبيثي انه عزل في شوال من ذات السنة التي عين فيها. ذيل تاريخ مدينة السلام ، مج4، ص469.

([114]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج3،ص139-140؛ ابن الساعي، الجامع المختصر، ج9،ص250-251؛الامين، أعيان الشيعة، ج5، ص322 ؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية ، ص325.

([115]) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية ، ص325.

([116]) ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص250.جاء في تاريخ الغساني انه بقي في النيابة اربعة سنين وعشرة اشهر. ينظر: الغساني، العسجد المسبوك، ج1،ص409.

([117]) الكوسات او ما تسمى بالصنوج هي صفائح مدورة من الصفر(النحاس)تشبه الترس الصغير يدق بأحدها على الاخر بإيقاع مخصوص و يتولى ذلك الكوسي، وكانت تضرب في واقات الحرب واوقات الصلاة او في الحفلات او في أثناء الختان. ينظر: الجوهري، الصحاح، ج1، ص325؛ ابي شامة، الذيل على الروضتين ،ج5، ص79؛ معروف، حياة اقبال الشرابي، ص20.

([118]) ابي شامة، الذيل على الروضتين ،ج5، ص79؛ الذهبي، تاريخ الاسلام ،ج43، ص9؛ سير اعلام النبلاء، ج22، ص223؛ العيني، عقد الجمان ، ج3، ص181.

([119]) ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني أيوب، ج3،ص178؛ ابن الطقطقي، الفخري ، ص325-326.

([120]) ابن الساعي، الجامع المختصر ،ج9،ص220.

([121]) الاستظهار: يعني الاحتياط، أو يكون في يومنا بالوضع تحت الحراسة لان الوزير اذا عزل قد يكون عرضة للانتقام

فيوضع تحت الاستظهار. ينظر :ابن منظور، لسان العرب، ج4،ص528.

([122]) ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج3، ص179؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص326.

([123]) قواصر: ومفردها قوصرة هي وعاء يصنع من القصب يوضع فيه التمر، وينسب الى الامام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) القول افلح من كانت له قوصرة يأكل منها كل يوم مرة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب ،ج5، ص104.

([124]) الذيل على الروضتين، م5، ص90.

([125]) الحموي، تاريخ المنصوري، ص70.

([126]) وهو نجم الدين أبو يوسف يعقوب ابن صابر ابن بركات ابن عمر الحراني بغدادي المولد والدار، المعروف المنجنيقي، من فحول الشعراء بالعراق، ولد سنة 554هـ/1159م، وتوفى في سنة 626هـ/1228م ،وله ديوان شعر عمة المسالك في سياسة الممالك، ومغاني المعاني، وله شعر في مدح الخلفاء و الوزراء. ينظر : ابي شامة، الذيل على الروضتين، ج5، ص90؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 28، ص107 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص146.

([127]) الكامل في التاريخ في التاريخ، ج 12،ص 276–277. للمزيد ينظر :ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج3،ص178–179؛ ابي شامة، الذيل على الروضتين، م5،ص90.

([128]) وهو أبو الغنائم نصر ابن اساور (النصراني) ،الناظر في أعمال الدجيل ودقوقا، نسب اليه سم الامير علاء الدين ايتامش الناصري، فلقي القبض عليه ، وبذل مبلغ عشرة الاف دينار على ان لا يقتل فلم يقبل منه، وقتل في يوم الجمعة الثامن عشر من جمادى الاولى من سنة 604هه/1207م، وقطعت يداه و رجلاه وعلقت مقابل دار الامير علاء الدين الناصري. ينظر ابن الساعي، الجامع المختصر، ج 9،ص219–220.

([129]) وهو احد مماليك الخليفة الناصر، ويعرف باسم بنيامين بن عبدالله، كان شجاعا عاقلا صالحا وكان الناصر يحبه ويقربه منه، وكان الوزير ابن المهدي يبغضه لقربة من الخليفة، وعن قصة قتله كما وردت في بعض المصادر: ان الوزير قد ولى الدجيل ودقوقا لابن اساور، فتسلط على رقاب المسلمين وظلم واهان ، وكان يحمل الاموال الى الوزير فيأخذ منها ما يريد ويعطي الخليفة ما يريد، وبعدها عزل ابن اساور وولى الخليفة الناصر امرها الى علاء الدين ايتامش، فأرتاب الوزير ابن المهدي من الامر خوفا من اطلاعه على الامر، واتفق مع ابن اساور على سم ايتامش وقام بسمه فمات في سنة604هـ/1207م ولقي القبض على ابن اساور وسلم الى غلمان علاء الدين ايتامش فقتلوه. ينظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج22، ص160–161؛ ابي شامة، الذيل على الروضتين، ج5، ص92–93.

([130]) ابي شامة، الذيل على الروضتين، م5، ص90.

([131]) ابي شامة، الذيل على الروضتين، ج5، ص93.

([132]) مظفر الدين اق سقر وجه السبع: وهو أبو المظفر محمد بن مظفر الدين سنقر بن عبدالله الناصري التركي تولى شحنة البصرة ثم جعل على شحنة بغداد، توفى في الخامس من رمضان من سنة656هـ/1258م.ينظر : ابن الفوطي، مجمع الآداب في معجم الالقاب ،مج3، ص284–285.

([133]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ في التاريخ ، ج12، ص276–277؛ ابن الساعي، الجامع المختصر، ج9، ص192 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج3، ص178، ابن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص532. للمزيد ينظر: الدوسري ،خدم دار الخليفة ، ص149–150.

([134]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ في التاريخ، ج 12،ص276–277.

([135]) وهو الأمير جمال الدين قشتمر الناصري، وكان حسن السيرة كثير المعروف والبر، شجاعا كريما جوادا متعففا، كان اول امره مملوكا لقطب الدين سنجر بن عبدالله الناصري، ثم انتقل الى الخليفة الناصر، وأسكنه في البدرية، ثم جعله أميرا على

جماعة من المماليك وسلم اليه إصطبله الخاص، ونقله الى الدار المنسوبة الى بنفشا، بمجاورة باب القربة، ثم خطب بالأمارة وتزوج ابنة الامير بهاء الدين أرغش المستنجدي، وبعدها جرت بينه وبين الوزير ابن مهدي العلوي منافرة اوجبت ابتعاده عنه، ثم بعث الخليفة في طلبه فعاد و بعدها حظي بأهمام الناصر، وتقدم إليه أن تشهر حوله السيوف اذا ركب، ولم يزل على ذلك الى أن توفى في سنة 637هـ/1239م، بعد ان بلغ من العمر نحو السبعون سنة، وحمل الى مشهد الامام الحسين (علية السلام) حيث دفن هنالك. ينظر: مجهول، الحوادث الجامعة، ص111–112.

([136]) ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج 3،ص178.

([137]) مجهول، الحوادث الجامعة، ص23.

([138]) رام هرمز: وهي مدينة مشهورة في نواحي خوزستان (الاهواز)، تتميز عن باقي المدن بكثرة شجر النخيل والجوز. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3،ص17.

([139]) ابن الساعي، الجامع المختصر،ج9، ص180–181.

([140]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج12، ص276–277؛ مجهول، الحوادث الجامعة، ص 111–112 ؛ابن كثير، البداية والنهاية، ج3،ص532.

([141]) الحموي، تاريخ المنصوري، ص 62.

([142]) تاريخ الاسلام، ج45،ص85.

([143]) الكامل في التاريخ، ج12،ص276–277.للمزيد ينظر: ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج3، ص178.

([144]) هو ابو الفتوح يوسف بن عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الواعظ البغدادي الحنبلي، ولد في سنة 580هـ/1184م ،و كان اماما وعالما كبيرا وصدرا معظما عارفا بالمذاهب كثير الحفظ و حسن المشاركة في العلوم، كان موضع احترام الملوك ومحببا للناس ،تولى الحسبة في بغداد في عهد الناصر وله من العمر ثلاثة وعشرون سنة، ولما فتحت المدرسة المستنصرية اصبح مدرسا فيها، ثم تولى منصب استاذية الدار طيلة عهد الخليفة المستعصم ثم عمل مع المغول بعد سقوط بغداد فأتهموه بالتقصير وقتل مع اولاده الثلاثة سنة 656هـ/1258م. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 23،ص372-373؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج٢، ص660؛الغساني، العسجد المسبوك، ج1،ص634.

([145]) ابي شامة، الذيل على الروضتين، م5،ص90.

([146]) هو أبو البدر ابن أبي العباس ، محمد بن أحمد بن علي، المعروف بابن أمسينا، ولد في سنة 549هـ/1154م، اصله من واسط ، خدم الأمير طغرل صاحب البصرة، وترقت به الحال إلى أن ولي النظر في ديوان الزمام وبقي مدة طويلة إلى أن عزل الوزير ناصرالدين ابن مهدي العلوي عن الوزارة سنة 604هـ/1207م فنابه الناصر بدلا عنه في الوزارة ، وكان كاتبا حسن السيرة والخط. ينظر الصفدي، الوافي بالوفيات ،ج 2،ص78.

([147]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج١،ص219–220؛ ابن الساعي، الجامع المختصر،ج9، ص220–221.

([148]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج١، ص220؛ ابن الساعي، الجامع المختصر،ج9، ص285.

([149]) الكامل في التاريخ، ج12، ص287–288.

([150]) الجامع المختصر،ج9، ص285. كذلك ذكر ابن الفوطي انه حبس في باطن دار الخلافة. ينظر :مجمع الآداب في معجم الالقاب ،مج3، ص124–125.

([151]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج12،ص287–288؛ ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام ، مج2،ص80؛ ابن الساعي، الجامع المختصر،ج9، ص285–286.

([152]) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية ، ص326–328.

([153]) ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص251.

([154]) ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص257–264؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية ، ص328؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج45، ص409.

([155]) هو فخرالدين ابو الفضل، أحمد بن محمد بن عبدالكريم القمي، تولى في عهد ابيه ولاية الشرطة وحجبة باب النوبي، واظهر من القوة والحرمة والنقمة ما تجاوز به حد التأديب وبلغ منه الفظيع من قطع الايدي وصلم الاذن، حتى لقي القبض عليه في سنة 629هـ/1231م، ونقل الى دار الخلافة . ينظر: ابن الفوطي، مجمع الآداب في معجم الالقاب ، مج2، ص553–554.

([156]) مجهول، الحوادث الجامعة، ص43–44؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج45،ص46–47؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص155.

([157]) ابن الفوطي، مجمع الآداب في معجم الالقاب ، مج2، ص553–554.

([158]) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص328.

([159]) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج45،ص46–47؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13،ص155.

([160]) مجهول، الحوادث الجامعة، ص44؛ الغساني، العسجد المسبوك، ج1،ص448.

([161]) كتب الانهاء: وهو كتاب شكر يقدمه كبار الموظفين للخليفة بعد تعيينهم في مناصبهم. ينظر: معروف، تاريخ علماء المستنصرية، ص338.

([162]) مجهول، الحوادث الجامعة،ص44؛ الغساني ، العسجد المسبوك، ج1،ص449–450.

([163]) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية ، ص331–337 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ، ج47، ص109–110.

([164]) مجهول، الحوادث الجامعة، ص159.

([165]) الغساني، العسجد المسبوك، ج1، ص528–529.

([166]) ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص277–278؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج47،ص14؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص192.

([167]) باب الفردوس: وهي احد ابواب دار الخلافة في بغداد. ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج4،ص248.

([168]) تاج الدين علي ابن الدوامي: وهو مجد الدين بن تاج الدين علي بن نظام الدين هبة الله بن الدوامي البغدادي، ولد في سنة620هـ/1223م،كان من بيت معروف بالتقدم والرياسة والفضل والمعروف، كان من حجاب باب النوبي، توفى في اوائل شهر رمضان من سنة 683هـ/1284م ، وحمل ودفن الى مشهد الامام علي (عليه السلام). ينظر: ابن الفوطي، مجمع الآداب في معجم الالقاب، مج4، ص417.

([169]) الدهليز: بالكسر، وهو المدخل بين الباب والدار. ينظر: الجوهري، الصحاح، 3، ص878 ؛ الزبيدي ،تاج العروس، ج8، ص660.

([170]) وهو سراج الدين علي ابن البجلي، كان كاتبا وشاعرا فاضلا، تقلبت به الاحوال فشغل عدد من المناصب، فكان اولا محتسبا في واسط، ثم قدم بغداد وشهد عند القاضي الريحاني فالحق بالمعدلين، ولما انقضت الدولة العباسية سلمت اليه امور البلاد الواسطية و لما توجه اليها قتل في سنة 656هـ/1258م، وكان قد بلغ من العمر الخمسون سنة. ينظر: الغساني العسجد المسبوك، ج1، ص639.

([171]) كنبوش: وتسمى البرذعة، وهي الكساء او الثوب الذي يوضع تحت سرج الفرس، والكنبوش بفتح الكاف، اللثام الذي يستعمله أهل المغرب لتغطية الوجه من الذقن الى الخيشوم اتقاء لبرودة هواء الصباح و رطوبته. ينظر: القلقشندي،

صبحى الأعشى في صناعة الإنشا ،ج4 ، هامش 1، ص13.

([172]) الدويدار الكبير: وهو علاء الدين الطبرسي، كان احد مماليك الخليفة الظاهر، وفي عهد المستنصر اصبح له منزله كبيرة و زوجه من ابنة بدر الدين صاحب الموصل، وقد وهبه ليلة زفافه مائة الف دينار ، كان حسن السيرة، توفى ودفن في مقابر قريش . ينظر: الذهبي تاريخ الاسلام، ج 47، ص443.

([173]) سورة يوسف :الآية 101.

([174]) مجهول , الحوادث الجامعة ، ص151 – 152 .

([175]) المصدر نفسه، ص152.

([176]) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص 337–338.للمزيد حول التهم التي وجهت للعقمي ينظر: خصباك، العراق في عهد المغول الأيلخانين، ص26–43.

([177]) هو فجر الدين، ابو طالب احمد أبن الحسن الدامغاني البغدادي، من الشخصيات السياسية والإدارية التي تولى العديد من المناصب في العصر العباسي الاخير، اخرها صدرية ديوان الزمام وظل فيها حتى سقوط بغداد، ثم اقر على المنصب من قبل هولاكو ،لكن قتل في سنة 657هـ/1259م، بعد سقوط بغداد بسنه، أذا تهمه المغول انه بعث رجلا من أولاد الخلفاء الى الشام وكان يبلغ من العمر خمسة وستون سنة. ينظر: مجهول، الحوادث الجامعة، ص242–243.

([178]) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص،338؛ مجهول، الحوادث الجامعة، ص238.

([179]) الايوبي، مضمار الحقائق ،ص 13–14؛ ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، م 3،ص 354–355؛ ابن الكازروني ، مختصر التاريخ، ص 249.

([180]) الايوبي، مضمار الحقائق ،ص 14؛ ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام ، مج 5،ص 95 .

([181]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج 3،ص 405–406.

([182]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج1،ص441؛ الذهبي ،تاريخ الاسلام،ج41،ص16.

([183]) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج2،ص170–171.

([184]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج 4، ص468–469.

([185]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج 3،ص343–344؛ ابي شامة، الذيل على الروضتين، ج 5، ص131–132.

([186]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج3،ص551.

([187]) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج 22،ص30؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص 250.

([188]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ في التاريخ، ج12،ص108؛ ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، م١، ص513–514.

([189]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج١،ص513–514.

([190]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج4،ص469؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص250.

([191]) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج22،ص161–162؛ ابن الكازروني ،مختصر التاريخ، ص250–251.

([192]) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، مج3، ص139–140؛ ابن الساعي، الجامع المختصر، ج9، ص250–251؛ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص250.

([193]) ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج3،ص١٧٩؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص 326 ؛العيني ،عقد الجمان، ج3، ص181.

([194]) ابن الساعي، الجامع المختصر،ج9، ص221–285؛ابن الفوطي، مجمع الآداب في معجم الالقاب ،مج3،ص124–

.125

([195]) ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص257–264؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص328.

([196]) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص331–337؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج47، ص109–110.

([197]) مجهول, الحوادث الجامعة ،ص151– 152, 238.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الاولية:

القرآن الكريم.

• ابن الاثير، ابي الحسن علي بن أبي محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت630هـ/1232م).

1– الكامل في التاريخ,(بيروت: دار صدار للطباعة والنشر،1965م).

• الاربلي, عبدالرحمن سنبط قنيتو (ت717هـ/1317م).

2– خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، تصحيح مكي السيد جاسم.

• ابن الانباري, أبي بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت 328هـ/939م).

3– الزاهر في معاني كلمات الناس، علق عليه يحيى مراد، ط1,(بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، 2004م).

• الايوبي، محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه(ت617هـ/1220م).

4– مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي،(القاهرة: عالم الكتب، 1980م).

• البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر(ت279هـ/892م).

5– فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد(القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي، 1956م).

• ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني(ت614هـ/1217م).

– رحلة ابن جبير،(بيروت: دار صادر للطباعة والنشر،1964م).

• الجهشياري، أبي عبدالله محمد بن عبدوس (ت331هـ/942م).

6– كتاب الوزراء والكتاب، تقديم حسن الزين،(بيروت: دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، 1988م).

• ابن الجوزي، ابي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/1200م).

7– المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق محمد عبد القادر عطا, ط1,(بيروت: دار الكتب العلمية، 1992م).

• الجوهري، ابو نصر اسماعيل بن حماد، (ت393هـ/1002م).

8–الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،ط4,(بيروت: دار العلم للملايين،1987م).

• الحموي، ابي الفضائل محمد بن علي بن نظيف(القرن السابع الهجري) .

9– تاريخ المنصوري : تاريخ الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق ابو العيد دودو، مراجعة عدنان درويش,(دمشق: مطبعة الحجاز،1981م).

• ابن خلدون, عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1406م).

10– تاريخ ابن خلدون، ط4,(بيروت: دار احياء التراث العربي، د.ت).

• ابن خلكان, ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم(ت681هـ/1282م).

11– وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس،(بيروت: دار الثقافة، د.ت).

• ابن الدبيثي, أبي عبدالله محمد بن سعيد(ت637هـ/1239م).
12- ذيل تأريخ مدينة السلام، تحقيق بشار عواد معروف، ط1,(بيروت: دار الغرب الاسلامي، 2006م).
• ابن دحية، أبي الخطاب عمر بن حسن بن علي الفاطمي ذي النسبين(ت633هـ/1235م).
13-النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تصحيح وتعليق عباس العزاوي،(بغداد: مطبعة المعارف،1946م).
• الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان (ت748هـ/1374م).
13- تاريخ الاسلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط1,(بيروت: دار الكتاب العربي،1987م).
-14 سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، ط9,(بيروت: مؤسسة الرسالة،1993م).
15- المختصر من تاريخ ابن الدبيثي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط1,(بيروت: دار الكتب العلمية،1997م).
16- العبر في خبر من غبر، تحقيق فؤاد سيد أمين،(الكويت: صدار دائرة المطبوعات والنشر،1961م).
• الراوندي، محمد بن علي بن سلمان (ت643هـ/1245م).
17- راحة الصدور واية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة أبراهيم امين الشواربي واخرون,(القاهرة، المجلس الاعلى للثقافة، 2005م).
• الزبيدي، محب الدين محمد مرتضى الحسيني الواسطي (ت1205هـ/1790م).
18- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شيري،(بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،1994م).
• الزمخشري، ابي القاسم محمود بن عمر (ت538هـ/1143م).
19- أساس البلاغة،(القاهرة: دار مطابع الشعب،1960م).
• ابن الساعي، ابي طالب علي بن انجب تاج الدين(ت674هـ/1275م).
20- الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، ج9, تحقيق مصطفى جواد،(بغداد: المطبعة السريانية الكاثوليكية، 1934م).
• سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبدالله (ت654هـ/1256م).
21- مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تحقيق ابراهيم الزيبق، ط1(دمشق: شركة الرسالة العالمية، 2013).
• السبكي، تاج الدين ابي نصر عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي(ت771هـ/1369م).
22- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطنحاني، عبدالفتاح محمد الحلو،(القاهرة، دار أحياء الكتب العربية، د.ت).
• السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1505م).
23- تاريخ الخلفاء، تحقيق لجنه من الادباء(بيروت، مطبعة معتوق أخوان، د.ت).
• ابي شامة، شهاب الدين عبدالرحمن بن أسماعيل بن ابراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي(ت665هـ/1266م).
24- تراجم رجال القرنين السادس والسابع(الذيل على الروضتين)، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، ط1,(بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، 2002م).
• الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت764هـ/1363م).
25-الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى ،(بيروت: دار إحياء التراث،2000م).
• الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م).
26- تاريخ الطبري، تحقيق نخبه من العلماء،(لندن: مطبعة برلين،1879م).
• ابن الطقطقي, محمد بن علي (ت709هـ/1309م).
27- الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، (دار صادر بيروت، د.ت).

• ابن العبري, غريغوريوس بن هرون الملطي (ت685هـ/1286).
28- تاريخ المختصر الدول،(بيروت: دار الميسرة، د.ت).
• العيني، بدر الدين محمود(ت855هـ/1451م).
29- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمود رزق محمود، ط2(القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية،2010م).
• الغساني، الملك الأشرف أسماعيل بن عباس(ت808هـ/1405م).
30- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم(بغداد: دار التراث الاسلامي،1975م).
• ابن فارس, ابو الحسن احمد بن زكريا (ت395هـ/1004م).
31- معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمد هارون،(قم: مكتبة الأعلام الاسلامي،1983م).
• ابي الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود (ت732هـ/1331م).
32- المختصر في اخبار البشر تاريخ أبي الفداء،(بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت).
• الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت175هـ/791م).
33- العين، تحقيق مهدي المخزومي –ابراهيم السامرائي، ط2,(قم: مؤسسة دار الهجرة،1988م).
• ابن الفوطي, كمال الدين ابو الفضل عبدالرزاق بن احمد (ت723هـ/1223م).
34- مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق محمد كاظم،ط1,(ايران: مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي،1995م).
• القلقشندي، ابو العباس شهاب الدين أحمد بن علي (ت821هـ/1418م).
36- صبح الاعشى في صناعة الإنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين،(بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
37- مآثر النافة الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبدالستار أحمد فراج،(الكويت، صدار وزارة الارشاد والانباء،1964م).
• ابن الكازروني, ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت697هـ/1297م).
38- مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تحقيق مصطفى جواد،(بغداد: المؤسسة العامة للصحافة والطباعة،1970م).
• ابن كثير, ابو الفداء اسماعيل (ت774هـ/1372م).
39- البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق علي شيري،ط1,(بيروت: دار احياء التراث العربي،1988م).
• مجهول, (القرن السابع الهجري) .
40- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق مهدي نجم،ط1(بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية،2003م).
• المسعودي، ابو الحسين علي بن الحسين (ت346هـ/957م).
41- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف اسعد داغر، ط2,(قم: دار الهجرة،1984م).
42- التنبيه والاشراف،(بيروت: دار مصعب، د.ت).
• مسكويه، ابو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت421هـ/1030م).
43- تجارب الامم، تحقيق أبو القاسم امامي، ط2,(طهران: دار سروش للطباعة والنشر،2001م).
• المنذري، زكي الدين أبو محمد عبدالعظيم بن عبد القوى(ت656هـ/1258م).
44- التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، ط1,(ساعدت جامعة بغداد على نشرة، مطبعة الآداب في النجف

الاشرف، 1968م).
• ابن منظور, أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت711هـ/1311م)
45- لسان العرب،(قم: نشر أدب الحوزة،1984م).
• ابن النجار، الحافظ محب الدين ابي عبدالله محمد بن محمود بن الحسن(ت643هـ/1245م).
46-ذيل تاريخ بغداد، تصحيح قيصر فرح،(بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
• ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم(ت697هـ/1297م).
47- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب،ج1,ج2,ج3, تحقيق جمال الدين الشيال، (القاهرة: وزارة الثقافة و الإرشاد، 1972م).
• ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر(ت749هـ/1348م).
48- تاريخ ابن الوردي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1996م).
• ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت626هـ/1229م).
49- معجم البلدان، (بيروت، دار إحياء التراث العربي،1989م).
• اليعقوبي، ابي يعقوب احمد بن اسحاق بن جعفر (ت292هـ/904م).
50- تاريخ اليعقوبي, (بيروت: دار صدار، د.ت).
ثانياً-المراجع :
• الأمين، حسن
51- مستدركات أعيان الشيعة،(سوريا: دار التعارف للمطوعات،1989م).
• أمين، حسين
52- تاريخ العراق في العصر السلجوقي،(بغداد: مطبعة الارشاد،1965م).
• الانباري، عبدالرزاق علي
53- منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية منذ نشأته حتى نهاية العهد السلجوقي، ط1,(بيروت: الدار العربية للموسوعات،1987م).
• جواد، مصطفى، و سوسة، أحمد
54- دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا،(بغداد: مطبعة المجمع العلمي،1958م).
• حسن، حسن أبراهيم
55- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج 3،ط14,(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1999م).
• الخالدي، فاضل
56- الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق (خلال القرن الخامس الهجري)، ط1,(بغداد: دار الاديب، مطبعة الايمان،1969م).
• الزهراني، محمد مسفر
57- نظام الوزارة في الدولة العباسية334-590هـ(العهدان البويهي و السلجوقي), ط1,(بيروت: مؤسسة الرسالة،1980م).
• عطوان، حسن
58- الدعوة العباسية تاريخ وتطور ،ط2,(بيروت: دار الجيل،1995م).
• فهد، بدري محمد
59- تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير 552-656هـ/1157-1258م،(بغداد: مطبعة الرشاد،1973م).

• معروف, ناجي
60- حياة اقبال الشرابي، ط1,(بغداد: مطبعة الارشاد,1966م).
61• تاريخ علماء المستنصرية، ط1,(بغداد: مطبعة العاني،1959).
• ابو نصر، محمد عبد العظيم يوسف
62- السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ط1,(الهرم: عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،2001م).
• النقيب، احلام حسن مصطفى
63- سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية575-622هـ/1179-1225م، ط1,(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة،2000م).
• اليوزبكي، توفيق سلطان
64- الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية(132-447هـ/749-1055م),(بغداد، مطبعة الارشاد،1970م).
ثالثاً الاطاريح والرسائل الجامعية:
• الدوسري، نورة بنت إبراهيم
65- خدم دار الخلافة ودورهم السياسي والحضاري في العصر العباسي الثاني(232-656هـ/943-1258م)، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، المملكة العربية السعودية جامعة ام القرى،2015م.
• زيوش، نورة
68- العيون والجواسيس في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط الموحدين(22-668هـ/642-1269م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة البويرة،2019م.
• العجمي، عبدالله معيض محمد
66- الخليفة العباسي الناصر لدين الله و سياسته من خلال المصادر التاريخية والدراسات الحديثة، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة آل البيت،2017.
• الكبيسي، وميض أحمد عودة
67- العراق في العصر السلجوقي من خلال كتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (581-654هـ/1185-1256م)رسالة ماجستير، كلية الادب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت،2016.
• يحيى، فوزي أمين
64- نظام السلطنة في الدولة العباسية، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة الموصل،1984م.
رابعاً- البحوث و المجلات والدوريات:
• بازينة، عبدالله سالم محمد
69- منصب الوزارة وأحوالها في العصر العباسي الثاني(274-334هـ/861-945م)،مجلة البحوث الأكاديمية، العدد 6.
• السوداني، صادق حسن
70- الوظائف الإدارية في دولة الخليفة الناصر لدين الله العباسي، مجلة المورد، المجلد3,العدد 2, 1974م.
• علوان، علي فرعون
71- أهم وزراء الدولة العباسية حتى نهاية عصر المأمون(198-218هـ)،مجلة كلية التربية للبنات، جامعة واسط، المجلد 28،العدد 5 ,2017م.
• القدحات, محمد عبدالله
72- الوظائف العليا في عهد الخليفة الناصر لدين الله(575-622هـ/1179-1225م)دراسة في آليات الاختيار وترتيبات

التولية، مجلة الآداب، جامعة الملك سعود، المجلد31,العدد 2, 2019م.

• يونس، سوسن بهجت

73- مهام الوزير الادارية و مسؤولياته في الدولة العباسية للمدة (247-334هـ)، مجلة الادب، جامعة بغداد، العدد 133, 2020م.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

دراسة لتراكيز الايونات الموجبة والسالبة وبعض العناصر النزرة لمياه نهر الغراف لموسم 2020 وأثرها على الاستخدامات المختلفة (المنزلي والزراعي والصناعي)

د.م عبدالحسن عبد النبي هاشم
وزارة التربية
مديرية تربية البصرة

A study of the concentrations of positive and negative ions and some trace elements of Al-Garraf River water for the 2020 season and their impact on various uses (domestic, agricultural and industrial).

Abstract :

The decrease in annual rates of TDS concentrations in the water of the Al-Garraf River to (463,629) mg / liter, and rates of electrical conductivity EC between (0.720.983) decimens / m, which led to the river water being drinkable, as it is noted that it falls within the permissible limits. It is used internationally for drinking according to WHO and Iraqi specifications of (1500) mg / liter and (1.5) decimens / m for total dissolved salts and electrical conductivity respectively. The decrease in annual rates of the concentrations of trace elements (Pb, Cadmium (Cd), Iron (Fe), and Ni (Ni) in the Al Gharraf River made it drinkable, as it also falls within the permissible limits for drinking water according to the specifications of the World Health Organization. And Iraqi ones, which are (0.01 (Ni), (0.005) (Pb, (1, (Fe)), and (0.05 (Cd)) mg / l.

The water of Al-Gharraf River within Wasit Governorate is considered to have a low salinity (463) mg / liter, while a slight increase in the concentration of total dissolved salts in the water of Al-Gharraf River after entering Dhi Qar Governorate(2021\2020) is (629.2) mg / liter. It is noted that the ionic concentrations of the Al-Gharf River water in the study area are characterized by the dominance of the sodium ion concentration over the positive ions, while the bicarbonate concentration prevails over the negative ions and thus the river water is NaHCO3.

الخلاصة :

يتضمن البحث تقييم الخصائص النوعية لمياه نهر الغراف للمدة (2010 \2021) ومعرفة مدى صلاحيتها للاستخدامات المختلفة.

إن انخفاض المعدلات السنوية لتراكيز الأملاح الذائبة الكلية TDS في مياه نهر الغراف الى (463) و(629) ملغم/لتر, ومعدلات التوصيلية الكهربائية EC بين (0.720) و(983) ديسيمنز/م عند موقعي ناظم الصدر ومدينة الشطرة, مما ادى الى إن تكون مياه النهر صالحة للاستخدام البشري, إذ يلاحظ أنها تقع ضمن الحدود المسموح بها عالمياً لمياه الشرب وفقاً لمواصفات منظمة الصحة العالمية والعراقية

والبالغة (1500) ملغم/لتر, كما ادى الانخفاض في المعدلات السنوية لتراكيز العناصر النزرة (الرصاص(Pb), الكادميوم(Cd), الحديد(Fe), نيكل (Ni) في مياه نهر الغراف الى جعلها صالحة للشرب, حيث تبين انها تقع ضمن الحدود المسموح بها لمياه لشرب وفقاً لمواصفات منظمة الصحة العالمية والعراقية والبالغة (0.01) لعنصر(Ni), و(0.005) لعنصر(Pb) و(1) لعنصر(Fe) و(0.05) لعنصر(Cd) ملغم/لتر, ويلاحظ الارتفاع الطفيف في نسبة الاملاح في مياه نهر الغراف بعد وصولها الى محافظة ذي قار, فبينما تسجل تراكيز(463) ملغم/لتر في محافظة واسط, يلاحظ حدوث ارتفاع طفيف في تركيز الأملاح في مياه نهر الغراف بعد دخوله لمحافظة ذي قار الى حوالي(629.2)ملغم/لتر. كما ويلاحظ إن التراكيز الأيونية لمياه نهر الغراف تتسم بسيادة تركيز أيون الصوديوم على الأيونات الموجبة, في حين يسود تركيز البيكربونات على الأيونات السالبة وبذلك تكون مياه النهر من نوع بيكربونات الصوديوم(NaHCO3). كما ادى انخفاض المعدلات السنوية لتراكيز الأملاح الذائبة في مياه نهر الغراف الى جعلها صالحة للاستخدامات الزراعية والري, وذلك لأنها لم تتجاوز الحدود العليا المسموح بها للري والاستخدامات الزراعية وفقاً للمواصفات العالمية لمنظمة الغذاء والزراعة العالمية (FAO) لمياه الري البالغة (0-2000) ملغم/لتر, و(3) ديسيمنز/م للأملاح الذائبة الكلية والتوصيلية الكهربائية على التوالي. فضلاً عن ذلك فإن المعدلات السنوية لتراكيز الأملاح الذائبة في مياه نهر الغراف في محافظتي واسط وذي قار للمدة (2020\2021) تقع ضمن الحدود المسموح بها لأغلب الصناعات ومن ثم فهي صالحة للاستخدامات الصناعية, باستثناء ايون المغنيسيوم (+Mg) الذي يشذ عن القاعدة, حيث يلاحظ إن تراكيزه تقع أعلى من الحدود المسموح بها عالمياً للأغراض الصناعية.

المقدمة: Introduction

تعد المياه مورداً حيوياً بالغ الاهمية وبذلك تحظى دراستها باهتمام كبير في البحوث والدراسات الهيدرولوجية, وذلك لارتباطها المباشر بأنشطة الانسان والبيئة وفي جوانب التخطيط والتنمية الزراعية, سيما وإن شحة المياه وتغير خصائصها الطبيعية له تأثير سلبي على مختلف جوانب الحياة البشرية والحيوانية والنباتية, وبالتالي فأن دراسة الخصائص النوعية للمياه تعبر عن تركيبها الكيميائي الناتج عن ذوبان العديد من الايونات الموجبة والسالبة, فضلاً عن الغازات وعوالق الجو وتأثير الانسان الناتجة عن مدخلاته مع الطبيعة, وغالباً ما تتفاوت المياه في تركيبها الكيميائي, نتيجة الى اختلاف تأثير العامل المسبب, فمياه الامطار تحتوي على نواتج انحلال الغازات, فيما تتأثر المياه عند تسربها الى داخل التربة بغاز(Co_2), الناتج عن فعاليات النباتات(علي واخرون 1999:ص224).

وسيتم في هذا البحث دراسة الخصائص النوعية نهر الغراف ضمن محافظتي واسط وذي قار، والسعي لتحديد مدى صلاحية المياه للاستخدامات المختلفة (المنزلية والزراعية والصناعية). وتمثل العمل الحقلي بتحديد محطتين, الاولى بعد تفرع نهر الغراف من نهر دجلة في محافظة واسط والثانية عند مدينة الشطرة في محافظة ذي قار. وقد تم الاعتماد على اخذ نموذجان من المياه لكل محطة خلال موسمي الصيف والشتاء خلال السنة المائية 2020، وبذلك بلغ عدد النماذج المائية 4 نماذج, حيث تم التعامل مع النماذج مختبرياً لغرض تحليلها واستحصال النتائج المطلوبة للدراسة.

مشكلة البحث: Problem Research

تكمن مشكلة البحث في ارتفاع التراكيز بمعدلات الموسمية والسنوية للعناصر الكيميائية في مياه الانهار ومنها نهر الغراف نتيجة لعوامل طبيعية كالتغيرات المناخية, واخرى بشرية مثل مياه الصرف المختلفة التي تصرف للأنهار دون معالجة, ومدى تأثير هذه العوامل على الاستخدامات المختلفة للمياه.

هدف البحث The aim of the research

يهدف البحث الى معرفة التراكيز الكيميائية لمياه نهر الغراف ومدى صلاحيتها للاستخدامات البشرية والزراعية والصناعية والبيئية.

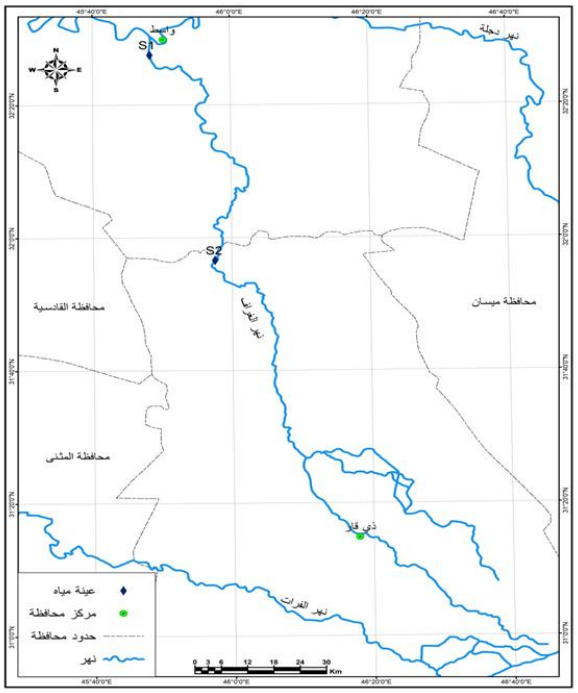
حدود منطقة الدراسة The limits of research

تمتد منطقة الدراسة ضمن الحدود الادارية لمحافظتي واسط وذي قار المحصورة بين دائرتي عرض (11 20 ˚31 –02 27 ˚32) شمالا ، وبين قوسي طول (03 45 ˚45 –11 43 ˚46) شرقا ، في الجزء

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

الجنوبي الشرقي من العراق، ضمن منطقة السهل الرسوبي ، تقدر مساحتها بحوالي (9325) كم^2 وبنسبة (2.14 %) من مجموع مساحة العراق البالغة (435052) كم^2. يبلغ طول نهر الغراف المتفرعة من الجانب الايمن لنهر دجلة حوالي(230) كم من نقطة تفرعه حتى مصبه في اهوار الناصرية, الخارطة (1) يوضح منطقة الدراسة ومواقع العينات على نهر الغراف.

خريطة (1) منطقة الدراسة ومواقع العينات على نهر الغراف



المصدر: وزارة الصناعة والمعادن, الهيئة العامة للمساحة والرصد الزلزالي, قسم انتاج الخرائط, خرائط طبوغرافية لمناطق (الناصرية, سوق الشيوخ, كرمة بني سعيد, الجبايش, الاصلاح, المدينة, القرنة) مقياس رسم (1:100000) لسنوات مختلفة.

إذ ينحدر من مقدم سدة الكوت حيث يقع في مقدمته ناظم الغراف الذي ينظم عملية جريانه من مقدمة مدينة الكوت حتى الجنوب الغربي لمدينة الناصرية متخذاً مساراً وسط بين نهري دجلة والفرات(الغزي 2005:ص10). في حين اقتصرت الحدود الزمانية للدراسة على البيانات الممتدة ما بين(2010-2021) وتشمل التصاريف والمناسيب المائية لنهر الغراف, فضلاً عن التحاليل المختبرية لنهر الغراف لسنة)(2020-2021).

اولاً: الخصائص الهيدرولوجية لنهر الغراف

يعد نهر الغراف أحد فروع نهر دجلة ويتفرع من نهر دجلة عند سدة مدينة الكوت في مدينة الكوت في محافظة واسط ويمر بمدن الموفقية وقضاء الحي وكان يسمى شط الحي, ثم يدخل أراضي محافظة ذي قار عند الكيلُو 90 شمال ناحية الفجر ويمر على مدن ناحية الفجر و قلعة سكر والرفاعي وناحية النصر والشطرة , يمتد نهر الغراف لمسافة (141)كم داخل المحافظة وبنسبة تصل الى (61%) من طول النهر البالغ حوالي 230كم (الركابي 2018:ص86), بعد مدينة الشطرة يتفرع النهر الى فرعين, الاول شط الشطرة الذي يخترق المدينة ثم يتجه نحو الجنوبي شرقي ويتلاشى في الاراضي الزراعية, اما الثاني يعرف بشط البدعة الذي يتجه نحو الشرق حتى يدخل هور الغاموكة الذي

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

يتصل بدوره بهور الحمار بواسطة نهر ابو لحية الذي يعرف بعد ذلك بنهر العويسية الذي يتصل مباشرةً بهور الحمار(حسين 2007:ص2).
يتضح لنا من الجدول(1) إن معدل التصريف السنوي لنهر الغراف في الناصرية يبلغ حوالي(118.3)

جدول(1) معدلات التصاريف(م^3/ثا)الشهرية والسنوية لنهر الغراف في الناصرية للمدة 2010\2021

المدة	ت1	ت2	ك1	ك2	شباط	آذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	أب	أيلول	المعدل السنوي
2010\2021	109.6	114.7	125	119.5	118.7	124		116.5	117.8	114.6	118.5	117.5	118.3

المصدر: وزارة الموارد المائية, المركز الوطني لادارة الموارد المائية في العراق, قسم سجلات تصاريف الانهر, بيانات غير منشورة, 2020.
م^3/ثا خلال 2010\ 2021, حيث سجل شهر كانون الاول اعلى معدل شهري خلال المدة اعلى بواقع (125) م^3/ثا, في حين سجل شهر تشرين الاول ادنا تصريف بلغ (109.6) م^3/ثا, ويلاحظ انتظام الجريان العام للنهر واضمحلال فترتي الفيضان والصيهود التي تتميز بها معظم الانهار العراقية, ويعزى ذلك الى وجود العديد من السدود والنواظم المقامة على نهر الغراف والتي تعمل على تنظيم الجريان السنوي للنهر لأجل تلبية الاحتياجات البشرية والزراعية والصناعية, مما ساعد على انتظام الجريان العام.
سجل اعلى منسوب للنهر خلال المدة 2010\2020 حوالي (16.8) م حيث بلغ التصريف خلالها حوالي(260) م^3/ثا, في سنة 2016, وقد بلغ معدل المنسوب العام للمدة اعلى (16.16)م وبتصريف وصل الى(164.72) م^3/ثا, بينما سجل اوطأ منسوب خلال سنة2015 حيث بلغ (14.08) م وقد بلغ التصرف خلالها حوالي(87) م^3/ثا, في حين بلغ المعدل العام لأوطأ منسوب خلال المدة 2010\2020 حوالي (14.82)م وبصريف بلغ(90.36)م^3/ثا, الجدول(2).

جدول (2) مناسيب (م) وتصاريف (م^3/ثا) نهر الغراف للمدة (2010\2020)

السنة	اعلا منسوب (م)	التصريف م^3/ثا	اوطأ منسوب (م)	التصريف م^3/ثا
2010	16.15	130	14.65	110
2011	16.3	155	14.52	80
2012	16.1	150	14.78	85
2013	15.1	200	14.72	100
2014	16.4	180	14.54	91
2015	16.0	200	14.08	87
2016	16.8	260	14.62	72
2017	16.3	143	14.72	100
2018	16.1	116	14.86	76
2019	16.2	117	15.8	89
2020	16.35	161	15.79	104
المعدل السنوي	16.16	164.72	14.82	90.36

المصدر: مديرية الموارد المائية في ذي قار, قسم سجلات تصاريف الانهار, بيانات غير منشورة, 2020.

ثانياً : الخصائص النوعية للمياه: Water quality properties

تعد دراسة الخصائص النوعية لمياه شط الغراف ذات أهمية كبيرة في تحديد نوعية المياه ومدى صلاحيتها للاستخدامات المختلفة. وتزداد هذه الأهمية بالنسبة لمنطقة الدراسة لموقعها في القسم الاسفل من الحوض وتأثرها بالمشاريع الاستثمارية المقامة في أعالي الحوض(تركيا وسوريا وايران), فضلاً عن تأثير الاستثمارات المقامة في العراق وتأثير التكوينات الجيولوجية للطبقات الصخرية والاحوال المناخية المتمثلة بارتفاع درجات الحرارة والتبخر خلال السنة, وتأثرها بمياه الصرف الصحي والصناعي والزراعي عن طريق ما تضيفه من أملاح وعناصر كيميائية ذات تأثير سلبي على نوعية المياه. وقد تم تحديد موقعين بواسطة GPS لتحديد مواقع العينات التي تم اخذها من النهر وهي ناظم الصدر وعند مدينة الشطرة وحسب الاحداثيات المبينة بالجدول(3). واجراء التحاليل المختبرية للعناصر الكيميائية في قسم تحاليل

جدول (3) يبين الاحداثيات لمواقع العينات في نهر الغراف عند لمنطقة الدراسة.

ت	العينات	الموقع	الاحداثيات
1	S1	ناظم الصدر	(45˚ 45 03) شمالاً (31˚ 20 11) شرقاً
2	S2	مدينة الشطرة	(˚45 09 70) شمالاً (31˚ 09 59) شرقاً

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على جهاز GPS.

المياه التابع لمركز علوم البحار في جامعة البصرة, وقد اشتملت التحاليل على العناصر الاتية: و هي كالتالي : الأس الهيدروجيني (PH) والتوصيل الكهربائي (EC) والعسرة الكل(T.H) والمواد الكلية الصلبة الذائبة (T.D.S) والنترات(No_3) والكلوريد(Cl) والكبريتات(So_4) والصوديوم(Na) والبوتاسيوم(K),الكالسيوم (Ca) والمغنسيوم(Mg) والبيكاربونات(Hco_3) والفوسفات(Po_4), فضلاعن اهم العناصر النزرة وهي(الرصاص(Pb), الكادميوم(Cd), الحديد(Fe), نيكل(Ni), الجدول (4) وكالتالي:

جدول(4) التحاليل المختبرية للعناصر الكيميائية لمياه نهر الغراف خلال موسم 2020

ت	سنة٢٠٢٠	PH	EC	TDS	NO٣	Cl	SO٤	Na	K	Ca	Mg	TH	HCO٣	Po٤	TUR
S١	صيف	٦.٩	٠.٧٢٠	٤٢٤	١.٧	١٠٦	٣٤.١	٤٣.٨	٤.٣٢	٥٢	٥٣.٥	٤٢٠	١٨٠	٠.٠٥	٣٧.٤
	شتاء	٨.٢	٠.٨٧٠	٥٤٢	٦.٢	١٠٧	٤٦.٢	١١٦	١٢	٣٢	١٠٢	٥٠٠	٩٣.١	٠.٠١	٤٩.١
	المعدل	٧.٥	٠.٨٠٠	٤٨٣	٣.٩٥	١٠٦.٥	٤٠.٢	٧٩.٩	٨.١٦	٤٢	٧٧.٧٥	٤٦٠	١٣٦.٦	٠.٠٣	٤٣.٢
S٢	صيف	٧.٢	٠.٩٤٢	٦٢٥.٤	١.٤	٢١٥	٣٤	٨٢.٢	٥.٧	١٠٠	٦٠.٧	٥٠٠	١٥٩.١	٠.٠٤	٤٨.٨
	شتاء	٨.١	١.٠٥	٦٥٣	٥.٨	١٧٥	٤٩.١	١٣٦	١٣	٦٤	١٠٧	٦٠٠	٩٦.٦	٠.٠٦	٦٢.٤
	المعدل	٧.٦	٠.٩٩٦	٦٣٩.٢	٣.٦	١٩٥	٤١.٦	١٠٩.١	٩.٣٥	٨٢	٨٣.٨	٥٥٠	١٢٧.٩	٠.٠٥	٥٥.٦

المصدر: الباحث بالاعتماد على التحاليل المختبرية للعناصر الكيميائية التي اجريت في قسم تحاليل المياه التابع لمركز علوم البحار في جامعة البصرة.

أ. الخصائص الفيزيائية

1. لأس الهيدروجيني(PH)

بلغ معدل تركيز(PH) في مياه نهر الغراف للمواقع(S2,S1) خلال موسم الصيف لسنة (2020) حوالي (6.9, 7.2) للمواقع على التوالي, في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت (8.2, 8.1), وبمعدل سنوي وصل الى (7.5, 7.6) الجدول(4) اعلا, ويلاحظ أن جميع تراكيز الأس الهيدروجيني تميل نحو القاعدية وهي صفة ملازمة وتتصف بها المياه العراقية بصورة عامة(Kassim 1994:p 191-200).

2. العسرة الكلية (TH)

يعد قياس العسرة من الامور المهمة التي تحدد مدى ملائمة المياه للاستخدامات المختلفة, وهي من الخواص الطبيعية للمياه وتعد مقياساً لأيونات الكالسيوم والمغنسيوم في المياه وفي بعض الاحيان ايونات الحديد والمغنسيوم والألمنيوم التي تعمل على زيادتها ويؤدي ارتفاعها الى عدم ملائمة المياه من ناحية المذاق(المويل2005:ص7-8). ومن الجدير بالذكر الى إن هناك نوعان من العسرة: الاولى هي العسرة الكاربونية Carbonate Hardness وهي ناتجة عن اتحاد ايون الكالسيوم والمغنيسيوم مع الكاربون وتسمى بالعسرة المؤقتة, اما الثانية فهي العسرة الغير كاربونية Non Carbonate Hardness والتي تنتج عن اتحاد ايونات الكالسيوم والمغنيسيوم مع ايونات الكبريتات والكلوريدات والنترات وتعرف بالعسرة الدائمة Permanent Hardness(Todd,D.K.1980:p 53). بلغ معدل تركيز(TH) في مياه نهر الغراف خلال موسم الصيف لسنة (2020) للمواقع (S2,S1) حوالي(420, 500) ملغم/لتر على التوالي الجدول(4)اعلا, في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت(500, 600)ملغم/لتر وبمعدل تركيز سنوي بلغ (460, 550)ملغم/لتر, ويلاحظ إن هنالك ارتفاع في تراكيز العسرة الكلية (TH), ويعزي هذا الى ارتفاع معدلات الحرارة والتبخر, فضلاً عن انخفاض الايراد المائي لنهري دجله والغراف وما يصرف الى النهرين من مياه صرف صحي وزراعي, مما أدى الى ارتفاع وزيادة تركيز املاح الكالسيوم والمغنسيوم التي تعتبر من العناصر الرئيسية المسببة للعسرة في المياه.

3. العكورة (TUR)

بلغ معدل تركيز (TUR) في مياه نهر خلال موسم الصيف لسنة (2020) للمواقع(S2,S1,) حوالي حوالي (37.4, 48.8) ملغم/لتر للمواقع على التوالي الجدول(4)اعلا, في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت(49.1, 62.4)ملغم/لتر, وبمعدل تركيز سنوي بلغ(43.2, 55.6) ملغم/لتر, حيث يلاحظ إن هنالك ارتفاع في تركيز العكورة (TUR) خاصة خلال موسم الشتاء للموقع الثاني, ويعزى ارتفاع نسبة العكورة او الكدرة في مياه نهر الغراف الى ارتفاعها في مياه نهر دجلة بصورة عامة, حيث تصل في بعض الحالات الى اكثر من (400 TUR) (سماكة 2017:ص434), فضلاً عن قلة عمق المياه وارتفاع سرعة التيار خلال موسم الشتاء نتيجة الى زياة التصريف المائي وبالتالي كلما زادت سرعة المياه الضحلة كلما ازدادت تأثير طبيعة القاع في احداث الكدرة عند سطح الماء(السعدي واخرون 1986:ص55).

ب. الخصائص الكيميائية

1. التوصيلة الكهربائية EC

يعد التوصيل الكهربائي مؤشراً جيداً للأملاح الذائبة في المياه ويعد أحد المقاييس الاساسية لقياس الاملاح الذائبة وتحديد مقدارها بالديسيمنز/م في المياه(APHA 2005). بلغ معدل تركيز(EC) في مياه نهر الغراف للموقعين(S2,S1) خلال موسم الصيف لسنة (2020) حوالي (0.720, 0.946) ديسيمنز/م للموقعين على التوالي الجدول(4) اعلا, في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت(0.870, 1.05) ديسيمنز/م وبمعدل تركيز سنوي بلغ (0.800, 0.996) ديسيمنز/ م.

2.الأملاح الذائبة الكلية: (TDS)

تكتسب الأملاح الذائبة الكلية في المياه أهمية كبيرة لكونها تحدد مدى صلاحية استخدام المياه للأغراض المختلفة، فضلاً عن أهميتها في حياة الكائنات المائية جميعها وتحديداً ملائمة الوسط المائي للأحياء(الاسدي 2014:ص55).

لقد أظهرت نتائج التحليلات المختبرية لنماذج المياه أن قيم تركيز الأملاح الذائبة الكلية في مياه نهر الغراف ضمن منطقة الدراسة تتباين مكانياً وزمانية بين محطات القياس، إذ تباين المعدل السنوي لتركيز(TDS) بين(483, 639.2) ملغم/لتر في محطتي على التوالي (جدول4). كما يلاحظ من التباين الزماني لمعدلات تركيز الأملاح الذائبة الكلية تسجيل المحطتين تراكيز بلغت حوالي(424, 625.4)ملغم/لتر, خلال موسم الصيف, في حين بلغ تركيزها خلال موسم الشتاء حوالي(542, 653)ملغم/لتر, حيث يلاحظ ارتفاعها في الموقع S2 مقارنة بالموقع S1، فضلاً عن ارتفاعها خلال موسم الشتاء, ويعزى ارتفاعها في الموقع الثاني الى كثرة من مياه الصرف الزراعي التي ينتهي بها المطاف في نهر الغراف مما أدى الى زيادة تركمه في الجزء الاسفل من النهر, مقارنةً بالموقع الاول.

3.الصوديوم +Na

يعد الصوديوم من اكثر العناصر وفرة في القشرة الارضية ويحتل المرتبة السادسة من بين العناصر في الطبيعة ويتواجد في معظم المياه الطبيعية ولا يستغنى عنه في غذاء الانسان لأهميته في تنظيم عملية عبور المواد خلال الغشاء البلازمي للخلية الحية(الرفاعي 2005:ص43). وتتباين معدلات تراكيز أيون الصوديوم في مياه نهر الغراف مكانياً وزمانياً, حيث يلاحظ تسجيلها تراكيز سنوية تراوحت ما بين(79.9, 109.1)ملغم/لتر في محطتين على التوالي(جدول4)، في حين بلغ معدل تركيزه خلال موسم الصيف حوالي(43.8, 82.2)ملغم/لتر, بينما بلغت تراكيز خلال موسم الشتاء حوالي(116, 136)ملغم/لتر, ويلاحظ ارتفاع تراكيز (+Na) خلال موسم الشتاء مقارنة بموسم الصيف, ويعزى ذلك الى زيادة مياه الصرف الصحي والزراعي في منطقة الدراسة.

4.الكالسيوم: +Ca

يعد الكالسيوم من العناصر القلوية الارضية الاكثر انتشارا في المياه العذبة ويتشابه من حيث الفعالية الكيميائية مع ايون المغنسيوم بصورة خاصة في تكوين املاح الكربونات ويمكن ان يحدد العنصران الأفعال البيولوجية في البحيرات ومصبات الانها(الحميم 1980:ص93).

شهدت معدلات تركيز أيون الكالسيوم في مياه نهر الغراف ضمن منطقة الدراسة تبايناً مكانياً بين محطات القياس، أذ تباينت المعدلات السنوية لتراكيزه ما بين(42, 82)ملغم/لتر في محطتي S1 وS2 على التوالي, جدول(4) خلال سنة 2020, حيث سجل تراكيز خلال موسم الصيف بلغت (52, 100) ملغم/لتر, في حين انخفضت تراكيز الكالسيوم خلال موسم الشتاء الى حوالي(32, 64)ملغم/لتر، للمحطتين اعلا على التوالي, ويلاحظ ان معدلات تركيز الكالسيوم تتباين زمانياً بين مواسمي الصيف والشتاء في منطقة الدراسة, إذ يلاحظ من التباين الزماني لمعدلات تركيز الكالسيوم أن موسم الصيف يمثل أعلى تركيزاً منها من موسم الشتاء, ويعزى ارتفاعه الى طبيعة الأراضي الحاوية على نسبة عالية منه فضلاً عن انخفاض الإيراد المائي للنهر وارتفاع معدلات الحرارة والتبخر وتأثير المياه الجوفية ومياه الصرف الصحي.

5.المغنيسيوم: +Mg

يعد المغنسيوم من اكثر العناصر القلوية الأرضية (Alkaline earth metal) انتشارً في المياه العذبة وتعد الفعالية الكيميائية لهذا العنصر مشابه لعنصر الكالسيوم خاصة في تكوين املاح الكربونات , ويعتبر من المكونات الاساسية في جزيئة الكلوروفيل لكنه اقل من حيث النسبة من عنصر الكالسيوم في المياه العديمة العسرة التي تحتوي اقل من (50) جزء بالمليون من المواد الكلية الصلبة الذائبة(الحميم 1980:ص93).بلغ معدل تركيز(+Mg) في مياه نهر خلال موسم الصيف لسنة(2020) للمواقع(S2,S1) حوالي (53.5, 60.7)ملغم/لتر للمواقع على التوالي, في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت(102, 107)ملغم/لتر, وبمعدل تركيز سنوي بلغ (77.7, 83.8)ملغم/لتر, ويلاحظ تباين المعدلات الموسمية لتركيز المغنيسيوم في مياه نهر الغراف مكانياً وزمانياً, جدول(4), إذ يرتفع

خلال موسم الشتاء ليصل الى(107) ملغم/لتر, عند مدينة الشطره ليعود وينخفض صيفاً الى(53.5) ملغم/لتر, متأثر بالانخفاض النسبي لتركيز الأملاح الذائبة الكلية خلال هذا الموسم.

6. البوتاسيوم: -k

يحتل (K) المرتبة السابعة بين العناصر الأكثر وفرة في صخور القشرة الارضية ومع ذلك فلا يزيد تركيزه في أغلب مياه الشرب عن(20ملغم/لتر), ويعد البوتاسيوم من المعادن الأساسية التي لا يمكن للإنسان الاستغناء عنه لأهميته في نقل السيلات العصبية بعمليتي زوال وعودة الاستقطاب(الرفاعي 2005:ص45), فضلاً عن كونه من المغذيات الرئيسية والضرورية للنباتات وذلك لأهميته من الناحية الفسيولوجية في تحفيز العديد من العمليات الحيوية للنباتات وتحملها للملوحة العالية ودرجة الحرارة المنخفضة(عمر 2010:ص237). بلغ تركيز أيون(-K) في مياه نهر الغراف خلال موسم الصيف لسنة (2020) للمواقع (S2,S1) حوالي(4.32, 5.7) ملغم/لتر للمواقع على التوالي, في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت(12, 13) ملغم/لتر وبمعدل تركيز سنوي بلغ (8.16, 9.35)ملغم/لتر الجدول(4), ويلاحظ ارتفاع تراكيزه خلال موسم الشتاء للموقعين على سوى, ويمكن ان يعزى ذلك الى الى حجم المخلفات الحضرية ومياه المبازل الزراعية التي تحتوي على نسب مرتفعة منه بفعل عملية التسميد للأراضي الزراعية.

7.الكلوريد: -Cl

الكلورايد هو عبارة عن ايون الكلور في صورته السالبة(Cl^-) ويكون بأمكانه الاتحاد مع الايونات الموجبة مكون املاح معدنية, كما يعد الكلورايد من أكبر المكونات اللاعضوية الموجودة في مياه الاسالة الصالح للشرب ومياه الصرف الصحي والمجاري, وينتشر على نطاق واسع في الطبيعة على شكل املاح الصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم حيث يشكل(0.05)% من سطح اليابسة إلاّ ان النسبة الأكبر منه تكون في المحيطات(السروي 2012:ص63-64). بلغ تركيز أيون(-CL) في مياه نهر الغراف خلال موسم الصيف لسنة (2020) للمواقع (S2,S1) حوالي(106, 215) ملغم/لتر للمواقع اعلا على التوالي الجدول(4), في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت(107, 175) ملغم/لتر وبمعدل تركيز سنوي بلغ (106.5, 195) ملغم/لتر, ويلاحظ إن هناك تبين مكانياً وزمانياً في تراكيزه بالنسبة للموقع S1 مقارنة بالموقع S2, ويمكن ان نعزي ذلك الى تراكم تراكيز العنصر ضمن المنطقة, فضلاً عن ارتفاع درجات الحرارة والتبخر خلال فصل الصيف وانخفاض مناسيب مياه النهر وارتفاع منسوب الماء الارضي التي تحتوي على كميات عالية منه نتيجة تأثير الطبقات الصخرية والى زيادة كمية ونوعية المخلفات البشرية التي تصرف مباشرة للنهر.

8.الكبريتات: -SO4

ان من أكثر الإشكال التي يتواجد فيها الكبريت في المياه العذبة هو بشكل (So_4) متداخلاً مع الايونات الموجبة في تلك المياه وكذلك بشكل كبريتيد الهيدروجين(H_2S) وتدخل الكبريتات الاجسام المائية من المطر ومن إذابة مركبات الكبريتات الموجودة في الاتربة القاعدية المكونة لحوض النهر, وتعد الكبريتات ذات أهمية كبيرة من الناحية البيئية لأهميتها في نمو النباتات ونقصها يؤدي الى قلة النمو ويؤثر على تطور مجاميع العوالق النباتية وبالتالي على الإنتاجية(الحميم 1980:ص106-107). بلغ تركيز أيون(-So_4) في مياه نهر الغراف خلال موسم الصيف لسنة (2020) للمواقع (S2,S1) حوالي(34.1, 34)ملغم/لتر للمواقع اعلا على التوالي, في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت(46.2, 49.1)ملغم/لتر, وبمعدل تركيز سنوي بلغ (40.2, 41.6)ملغم/لتر الجدول(4), ويلاحظ انخفاض تراكيز الكبريتات في منطقة الدراسة, ويعزى انخفاضه الى الاختزال الذي يحصل للكبريتيد (Sulfide) والذي يحدث في قاع النهر نتيجة الى قلة اعداد البكتريا المسماة بالبكتريا الكبريتية العديمة اللون والتي تعد مسؤولة عن استمرار دورة الكبريت في الطبيعة(الحميم 1980:ص107-108).

9.البيكربونات: -HCO3

تتكون البيكاربونات من عمليات التجوية للمعادن السلكية والكاربونية بفعل حامض الكاربونيك (H_2co_3) ومن تفاعل(Co_2) ثاني اوكسيد الكاربون الموجود في الجو حيث يتفاعل مع ماء المطر

بمساعدة درجة الحرارة مكوناً حامض الكاربونيك المخفف وهو حامض سريع التحلل والتحول الى بيكربونات(الحميم 1980:ص93). شهدت تراكيز البيكربونات في مياه نهر الغراف تبايناً مكانياً ومكانياً, فبينما سجل المعدل السنوي العام لسنة 2020 تراكز بلغت حوالي(136.6 , 127.9) ملغم/لتر في محطتي الدراسة على التوالي, سجل موسم الصيف تراكيز بلغت حوالي(180, 159.1)ملغم/لتر, اما موسم الشتاء فقد سجل تراكيز اقل مقارنةً بموسم الصيف, حيث بلغت(93.1 , 96.6) ملغم/لتر جدول(4), كما يلاحظ من التباين الزماني لتراكيز البيكربونات أن موسم الشتاء يمثل أقل تركيز في المحطتين على حد سوى.

10.النترات: -NO3

تعد (-NO3) أحد اشكال النتروجين في المياه ويكون فيها النتروجين بشكل مركبات غير عضوية مثل النترات والامونيا والنتريت ويعد تركيز معظم هذه العناصر قليلاً في المياه العذبة ولكنها ذات أهمية كبيرة في حساب الانتاجية للمجاميع, كما تعد النترات المرحلة النهائية من تحول النتروجين الى النتريت القليل الذوبان في المياه ومن ثم يتأكسد النتريت بواسطة بكتريا النترجة (Nitrifying bacteria) وهذه المرحلة النهائية ذات أهمية بيئية كبيرة, حيث يتحول النتريت إلى النترات ويكون بذلك سهل الامتصاص من قبل النباتات الخضراء(الحميم 1980:ص99-100). بلغ معدل تراكيز(-NO3) في مياه نهر الغراف خلال موسم الصيف لسنة 2020 حوالي(1.7 , 1.4)ملغم/لتر, بينما سجل موسم الشتاء من نفس العام تراكيز بلغت حوالي(3.95, 3.6)ملغم/لتر, وبمعدل تركيز سنوي بلغ (4.85 , 3.6) ملغم/لتر, ويلاحظ ارتفاع تركيز(-NO3) خلال موسم الشتاء خاصة للموقع الاول في بداية النهر بعد سدة الكوت, ويعزى ارتفاعه الى تأثير مياه البزل الزراعي التي تحوي على مركبات هذا العنصر نتيجة استخدام الأسمدة الكيميائية لاسيما سماد اليوريا, بينما يعزى انخفاض تراكيز العنصر خلال فصل الصيف الى استهلاكه بكثرة من قبل النباتات المائية الخضراء اثناء موسم النمو(الحميم 1980:ص101).

11.الفوسفات: PO4

يوجد الفوسفات في المياه بصورة متعددة منها الذائبة والعلقة والعضوية والأورثوفوسفات الذائبة من المغذيات الرئيسية للهائمات النباتية أضافة لمياه الصرف الصحي والزراعي والصناعي وخصائص التربة والصخور الأصلية ومصادر التلوث العضوي لاسيما المنظفات تعد من مصادر الفوسفات في البيئة المائية العراقية(المويل 2005:ص8-9). بلغ معدل تركيز الفوسفات في مياه نهر الغراف خلال الموسم الصيف (2020) حوالي(0.05, 0.04)ملغم/لتر, للموقعين على التوالي, بينما سجل موسم الشتاء تراكيز بلغت(0.01 , 0.06)ملغم/لتر, وبمعدل سنوي بلغ(0.03 , 0.05)ملغم/لتر الجدول(4), ويعزى هذا الانخفاض في تركيز الفوسفات إلى ارتفاع معدل تركيز ايون الكالسيوم (Ca) في مياه النهر الذي يعمل على تكوين معقدات مع الفوسفات بشكل غير ذائب مما يؤدي الى انخفاض معدل تركيز الفوسفات الذائبة في المياه(العبيدي واخرون2001:ص375).

ج. العناصر النزرة

1. النيكل(Ni)

بلغ معدل تركيز عنصر(Ni) في مياه نهر الغراف لموسم الصيف لسنة(2020) للمواقع (S2,S1) (0.014 , 0.013) ملغم/لتر, في حين سجل موسم الشتاء تراكيز بلغت(0.002,0.002) للمواقع على التوالي الجدول(5), وبمعدل تركيز سنوي بلغ (0.017, 0.016)ملغم/لتر على التوالي.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

جدول (5) التحاليل المختبرية لتراكيز العناصر النزرة في المياه نهر الغراف لسنة 2020

العنصر / الموقع		موسم 2020	Ni	Fe	Pb	Cd
.1	S1 نهر الغراف عند سدة الكوت	صيف	0.014	0.0	0.0	0.081
		شتاء	0.002	0.963	0.0	0.0
		المعدل	0.017	481.50.	0	0.040
.2	S2 نهر الغراف عند مدينة الشطرة	صيف	0.013	0.0	0.0	0.076
		شتاء	0.002	1.076	0.0	0.0
		المعدل	0.016	0.538	0.0	0.038

المصدر: تحاليل المختبرية لموسمي الصيف والشتاء لسنة 2020 التي اجريت في المختبر المركزي لكلية الزراعة في جامعة البصرة.

2. الحديد(Fe)

بلغ معدل تركيز عنصر الحديد(Fe) خلال موسم الصيف لسنة(2020) وللمواقع(S2,S1) حوالي (0) ملغم/لتر للموقعين على التوالي, في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت(0.963 , 1.076)ملغم/لتر, وبمعدل تركيز سنوي بلغ (0.481.5 , 0.538)ملغم/لتر الجدول(5), ويلاحظ إن تراكيز عنصر الحديد ترتفع قليلاً في المواقع خلال الشتاء, ويعزى ذلك الى تأثر هذه المواقع بالمنشآت الحديدية المقامة على المشروع من سايفونات وجسور وانابيب ولتي يصل عددها الى (196) منشأة.

3. الرصاص(Pb)

بلغ معدل تركيز الرصاص(Pb) في مياه نهر الغراف خلال موسمي الصيف والشتاء لسنة(2020) للمواقع(S2,S1) (0) ملغم/لتر ولجميع الموقعين على التوالي الجدول(5), وبمعدل تركيز سنوي بلغ (0)ملغم/لتر.

4. الكادميوم(Cd)

بلغ معدل تركيز عنصر الكادميوم(Cd) في مياه نهر الغراف خلال موسم الصيف لسنة (2020) للمواقع (S2,S1) حوالي (0.081 , 0.076) ملغم/لتر للمواقعين على التوالي الجدول(5), في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت (0)ملغم/لتر وبمعدل تركيز سنوي بلغ (0.040 , 0.038)ملغم/لتر.

ثالثاً: تقييم مدى صلاحية مياه نهر الغراف للاستخدامات المختلفة

أ. مدى صلاحية المياه لأغراض الشرب:

تعد التغيرات النوعية للمياه ذات تأثير واضح على جدوى استخدامها للأغراض المختلفة، ويوجد اختلاف كبير في أنواع وكميات العناصر الموجودة في الماء, كما ان تأثيرها يكون مختلف بدرجه كبيرة أيضاً, فالأيونات التي تسبب عسرة لمياه الشرب قد تكون مفيدة في مياه الري، في حين قد يؤدي ارتفاع نسب بعض الايونات إلى التأثير سلباً على المحاصيل الزراعية، وبالتالي فإن تِقيم الخواص النوعية للمياه مهم لمعرفة مدى صلاحيتها للاستخدام. وتحتل المياه الصالحة للشرب المرتبة الأولى من حيث الأهمية للسكان، ولا يمكن الاستغناء عنها لعدة أيام, ولا تصلح المياه للشرب ما لم تكون خالية من الملوثات الكيميائية والجراثيم التي يمكن التخلص منها بمعالجة المياه بواسطة عملية الترشيح وباستخدام الكلور والفلور والأوزون، ويتم التخلص من الأملاح أو تخفيض نسبها بعملية التحلية كالتبخير أو التنافذ العكسي (Reverse Osmosis)(الامير2010:ص87). ولتقييم مدى صلاحية مياه نهر الغراف لأغراض الشرب في محافظة ذي قار, تم الاعتماد على مقارنة الخواص النوعية لمياه النهر بالمواصفات العالمية المتمثلة بمنظمة الصحة العالمية(WHO), فضلاً عن المواصفات العراقية لمياه الشرب المثبتة من وزارة البيئة دائرة حماية وتحسين البيئة في المنطقة الجنوبية ومديرية بيئة البصرة(2019). جدول(6) ومن

خلال المقارنة بين قيم المواصفات العالمي والعراقي والتحاليل المختبرية لمياه نهر الغراف في منطقة الدراسة أتضح ما يأتي:

1.بلغ المعدل السنوي لتراكيز(PH) خلال الموسم 2020 حوالي(7.5, 7.55) للمواقع(S2,S1), اما خلال موسم الصيف لسنة (2020) فقد حوالي (6.8, 7.0) للمواقع على التوالي الجدول(5), في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت (8.2, 8.1), ويلاحظ من الجدول (6) أن جميع تراكيز

الجدول (6) المعايير والمحددات العالمية(WHO) لنوعية مياه المسموح بها لإغراض الشرب (ملغم /لتر)

العناصر الكيميائية الموجبة والسالبة	حسب معايير منظمة الصحة العالمية ٢٠٠١	حسب المعايير (WHO) ١٩٧١	S١			S٢		
			الصيف	الشتاء	المعدل	الصيف	الشتاء	المعدل
PH	٦,٥-٩,٢	٦,٥-٨,٥	٦,٩	٨,٢	٧,٥	٧,٢	٨,١	٧,٦
EC ديسيمنز/م	١,٥	٠,٧٥-٢,٢	٠,٧٢٠	٠,٨٧٠	٠,٨٠٠	٠,٩٤٦	١,٠٥	٠,٩٩٦
T.D.S	٠-١٥٠٠	٥٠٠-١٥٠٠	٤٢٤	٥٤٢	٤٨٣	٦٢٥,٤	٦٥٣	٦٣٩,٢
T.H	٠-٥	٥٠٠	٤٢٠	٥٠٠	٤٦٠	٥٠٠	٦٠٠	٥٥٠
NO٣	٠-١٠	١٠	١,٧	٦,٢	٣,٩٥	١,٤	٥,٨	٣,٦
CL	٠-٢٥٠	٢٠٠-٦٥٠	١٠٦	١٠٧	١٠٦	٢١٥	١٧٥	١٩٥
So٤	٠-٤٠٠	٢٠٠-٤٠٠	٣٤,١	٤٦,٢	٤٠,٢	٣٤	٤٩,١	٤١,٥
Na	٠-٢٠٠	٤٠	٤٣,٨	١١٦	٧٩,٩	٨٢,٢	١٣٦	١٠٩,١
Po٤	-	٤-٥	٠,٠٥	٠,٠١	٠,٠٣	٠,٠٤	٠,٠٦	٠,٠٥
Ca	٠-٤٠	٧٥-٢٠٠	٥٢	٣٢	٤٢	١٠٠	٦٤	٨٢
Mg	٠-١٥٠	٥٠-١٥٠	٥٣,٣	١٠٢	٧٧,٧	٦٠,٧	١٠٧	٨٣,٨
K	٠-٢٠٠	-	٤,٣٢	١٢	٨,١٦	٥,٧	١٣	٩,٣٥
TUR	٠-٥		٣٧,٤	٤٩,١	٤٣,٢	٤٨,٨	٦٢,٤	٥٥,٦
HCO٣	٠-٢٠٠	٢٠٠	١٨٠	٩٢,١	١٣٦,٦	١٥٩,١	٩٦,٦	١٢٧,٩
Ni	٠,٠١		٠,٠١٤	٠,٠٠٢	٠,٠١٧	٠,٠١٣	٠,٠٠٢	٠,٠١٦
Pd	٠,٠٠٥		٠,٠	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٠,٠
Cd	٠,٠٥		٠,٠٨١	٠,٠	٠,٠٤٠	٠,٠٧٦	٠,٠	٠,٠٣٨
Fe	١		٠,٠	٠,٩٦٣	٠,٤٨١,٥	٠,٠	١,٠٧٦	٠,٥٣٨

المصدر : عمل الباحث بالاعتماد على ما يلي :

(1). World Heath Organization (WHO). International / Stand dards for Drinking Water , Geneva.

(2).Principles of Water Quality Control T,H,Y, TEBBUTTPhD, SM, BSc, CEng, FICE, FCIWEM, 2000.

(3) صفاء عبد الامير الاسدي, جغرافية الموارد المائية, مطبعة الغدير للطباعة والنشر المحدودة, الطبعة الاولى 2014, العراق, 2013, ص60.
(4) احمد السروي, العمليات الاساسية لتنقية مياه الشرب, دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع, القاهرة ,2012,ص88-90.
(5) وزارة البيئة، دائرة حماية وتحسين البيئة في المنطقة الجنوبية، مديرية بيئة البصرة , قسم التخطيط والمتابعة، بيانات غير منشورة للمدة (2019).
الأس الهيدروجيني تقع ضمن الحدود المسموح بها لنوعية المياه الصالحة للشرب والبالغة (6.5 – 8.5) ملغم / لتر لمنظمة الصحة العالمية (WHO).
2. بلغ معدل تركيز(TH) في مياه نهر الغراف خلال موسم الصيف لسنة (2020) للمواقع (S2,S1) حوالي(350, 500) ملغم/لتر على التوالي الجدول(4)اعلا, في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت(500, 600)ملغم/لتر وبمعدل تركيز سنوي بلغ (425, 550)ملغم/لتر, ويلاحظ إن هنالك ارتفاع في تراكيز العسرة الكلية (TH) إن هنالك ارتفاع طفيف في تراكيز العسرة الكلية (TH) حسب معايير منظمة الصحة العالمية (WHO) لنوعية المياه الصالحة للشرب البالغة (500) ملغم/لتر الجدول(5).
3. بلغ معدل تركيز (TUR) في مياه نهر خلال موسم الصيف لسنة (2020) للمواقع(S2,S1,) حوالي حوالي (37.4, 48.6) ملغم/لتر للمواقع على التوالي الجدول(4)اعلا, في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت(48.9, 62.2)ملغم/لتر, وبمعدل تركيز سنوي بلغ(43.1, 55.4) ملغم/لتر, حيث يلاحظ إن هنالك ارتفاع في تركيز العكورة (TUR) حيث يلاحظ إن تركيز العكورة (TUR), الجدول (6) اعلا يقع ضمن الحدود المسموح بها عالمياً(WHO) لنوعية المياه الصالحة للشرب البالغة (0-5) ملغم/لتر.
4. بلغ معدل تركيز(EC) في مياه نهر الغراف للموقعين(S2,S1) خلال موسم الصيف لسنة (2020) حوالي (0.600, 0.946) ديسيمنز/م للموقعين على التوالي الجدول(4) اعلا, في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت(0.840, 1.02) ديسيمنز/م وبمعدل تركيز سنوي بلغ (072, 0.72) ديسيمنز/ م, ويلاحظ من الجدول (6) أن جميع تراكيز (EC) تقع ضمن الحدود المسموح بها لنوعية المياه الصالحة للشرب والبالغة(2.2 – 0.75) ديسيمنز/ م لمنظمة الصحة العالمية (WHO).
5. بلغ معدل التركيز السنوي لتركيز(TDS) حوالي(463, 629.2) ملغم/لتر في محطتي(S2,S1) على التوالي (جدول4), في حين سجلت الأملاح الذائبة الكلية تراكيز بلغت حوالي(384, 605.4)ملغم/لتر, خلال موسم الصيف, وبلغ تركيزها خلال موسم الشتاء حوالي(542, 653)ملغم/لتر, وتبين من الجدول(6) أن تراكيز(T.D.S) تقع ضمن المدى المسموح به حسب المحددات العالمية (WHO) لنوعية المياه الصالحة للشرب والبالغة (1500 – 500) ملغم/لتر.
6. بلغ معدل تراكيز السنوية لأيون(+Na) في مياه نهر الغراف(79.0, 109.1)ملغم/لتر في محطتي على التوالي(جدول4). في حين بلغ معدل تركيزه خلال موسم الصيف حوالي(43.8, 82.2)ملغم/لتر, بينما سجل تراكيز خلال موسم الشتاء وصلت الى حوالي(116, 136)ملغم/لتر, يتضح لنا من الجدول(6) ان تراكز عنصر(Na) تقع ضمن الحدود المسموح بها حسب منظمة الصحة العالمية (WHO) لنوعية المياه الصالحة للشرب والبالغة (200-0) ملغم /لتر.
7. بلغت معدلات التراكيز السنوية لأيون(Ca) في مياه نهر الغراف ضمن منطقة الدراسة حوالي(42, 82)ملغم/لتر في محطتي S1 وS2 على التوالي (جدول 4) خلال سنة 2020, حيث سجل تراكيز خلال موسم الصيف بلغت (52, 100)ملغم/لتر, في حين انخفضت معدلات تركيزه خلال موسم الشتاء الى حوالي(32, 64)ملغم/لتر، للمحطتين اعلا على التوالي, يتضح لنا من الجدول(6) ان تراكز عنصر(Ca) تقع ضمن الحدود المسموح بها حسب منظمة الصحة العالمية (WHO) لنوعية المياه الصالحة للشرب والبالغة (200 – 75) ملغم /لتر.

8. بلغ معدل تركيز(+Mg) في مياه نهر خلال موسم الصيف لسنة(2020) للمواقع(S2,S1) حوالي (53.5, 60.7)ملغم/لتر للمواقع على التوالي الجدول(4) اعلا, في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت(102, 107)ملغم/لتر, وبمعدل تركيز سنوي بلغ (77.7, 83.9)ملغم/لتر, وتبين من الجدول(6) أن تراكيز(+Mg) يقع ضمن الحدود المسموح بها للمحددات العالمية (WHO) لنوعية المياه الصالحة للشرب والبالغة (50 – 150) ملغم/لتر.

9.بلغ تركيز أيون(-K) في مياه نهر الغراف خلال موسم الصيف لسنة (2020) للمواقع (S2,S1) حوالي(4.32, 5.7) ملغم/لتر للمواقع اعلا على التوالي الجدول(4), في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت(14, 14) ملغم/لتر وبمعدل تركيز سنوي بلغ (9.16, 9.85)ملغم/لتر, ويلاحظ إن تركيز إيون البوتاسيوم (K) يقع ضمن الحدود المسموح بها عالمياً(WHO) لنوعية المياه الصالحة للشرب البالغة والبالغة (0-200)ملغم/لتر.

10. بلغ تركيز أيون(-CL) في مياه نهر الغراف خلال موسم الصيف لسنة (2020) للمواقع (S2,S1) حوالي(106.5, 213)ملغم/لتر للمواقع اعلا على التوالي الجدول(4), في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت(107, 175)ملغم/لتر وبمعدل تركيز سنوي بلغ (106.7, 195.5)ملغم/لتر, ويلاحظ من الجدول(6) أن تراكيز(-CL) تقع ضمن الحدود المسموح بها عالمياً (WHO) لنوعية المياه الصالحة للشرب والبالغة (200 – 650) ملغم/لتر.

11. بلغ تركيز أيون($-So_4$) في مياه نهر الغراف خلال موسم الصيف لسنة (2020) للمواقع (S2,S1) حوالي(33.9, 34)ملغم/لتر للمواقع اعلا على التوالي الجدول(4), في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت(46, 49)ملغم/لتر, وبمعدل تركيز سنوي بلغ (39.9, 41.5)ملغم/لتر, ويلاحظ من الجدول(6) أن تراكيز إيون الكبريتات (SO_4) يقع ضمن الحدود المسموح بها عالمياً لنوعية المياه الصالحة للشرب من قبل منظمة الصحة العالمية (WHO) البالغة (200 – 400) ملغم/لتر.

12. شهدت تراكيز(HCO_3) في مياه نهر الغراف تبايناً مكانياً ومكانياً, فبينما سجل المعدل السنوي العام لسنة 2020 تراكز بلغت حوالي(136.2 , 128.1)ملغم/لتر في محطتي الدراسة على التوالي (جدول 4), سجل موسم الصيف تراكيز بلغت حوالي(179.8, 158.6)ملغم/لتر, اما موسم الشتاء فقد سجل تراكيز اقل مقارنةً بموسم الصيف, حيث بلغت(92.7 , 97.6)ملغم/لتر, ويلاحظ من الجدول(6) أن تراكيز البيكربونات(HCO_3)الحالي في المواقع اعلا لم تتجاوز الحدود المسموح بها عالمياً(WHO) لنوعية المياه الصالحة للشرب والبالغة (200) ملغم / لتر.

13. بلغ معدل تراكيز(-NO3) في مياه نهر الغراف خلال موسم الصيف لسنة 2020 حوالي(1.7 , 1.4)ملغم/لتر, بينما سجل موسم الشتاء من نفس العام تراكيز بلغت حوالي(8.0 , 5.8)ملغم/لتر, وبمعدل تركيز سنوي بلغ (4.85 , 3.6)ملغم/لتر, ويلاحظ من الجدول (6) إن تركيز إيون النترات (NO_3) في المياه تقع ضمن الحدود المسموح عالمياً(WHO) لنوعية المياه الصالحة للشرب البالغة (10) ملغم/لتر.

14. بلغ معدل تركيز(PO_4) في مياه نهر الغراف خلال الموسم الصيف (2020) حوالي(0.03 , 0.03)ملغم/لتر, للموقعين على التوالي الجدول(4), بينما سجل موسم الشتاء تراكيز بلغت(0.00 , 0.04)ملغم/لتر, حيث يلاحظ إن تركيز إيون الفوسفات (PO_4) يقع ضمن الحدود المسموح بها عالمياً(WHO) لنوعية المياه الصالحة للشرب البالغة(4– 5) ملغم/لتر.

15. بلغ معدل تركيز عنصر النيكل(Ni) في مياه نهر الغراف لموسم الصيف لسنة(2020) للمواقع (S2,S1) (0.014 , 0.015) ملغم/لتر, في حين سجل موسم الشتاء تراكيز بلغت(0.0,0.0) للمواقع اعلا على التوالي الجدول(5) ادنا, وبمعدل تركيز سنوي بلغ (0.007, 0.0075)ملغم/لتر على التوالي, ويلاحظ من الجدول (8) اعلا إن تركيز النيكل يقع ضمن الحدود المسموح بها عالمياً حسب مواصفات منظمة الصحة العالمية البالغة(0.01)مغلم/لتر.

16. بلغ معدل تركيز عنصر الحديد(Fe) خلال موسم الصيف لسنة(2020) وللمواقع (S2,S1) حوالي (0) ملغم/لتر للموقعين على التوالي الجدول(5), في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت(1.064 , 2.075) ملغم/لتر, وبمعدل تركيز سنوي بلغ (0.532 , 1.037) ملغم/لتر, ويلاحظ إن

تراكيز عنصر الحديد ترتفع قليلاً في المواقع خلال الشتاء, ويلاحظ من الجدول (6) اعلا إن تركيز عنصر الحديد تقع ضمن الحدود المسموح عالمياً(WHO) لنوعية المياه الصالحة للشرب البالغة(1) ملغم/لتر لموسم الصيف, بينما ترتفع تراكيزه قليلاً الشتاء, ويعزى ذلك الى تأثر هذه المواقع بالمنشآت الحديدية المقامة على المشروع من سايفونات وجسور وانابيب والتي يبلغ عددها(196) منشاة.

17.بلغ معدل تركيز الرصاص(Pb) خلال موسمي الصيف والشتاء لسنة(2020) للمواقع(S2,S1) حوالي (0) ملغم/لتر ولجميع الموقعين على التوالي الجدول(5), وبمعدل تركيز سنوي بلغ (0) ملغم/لتر, ويلاحظ من الجدول (6) اعلا إن تركيز الرصاص (Pb) في المياه يقع ضمن الحدود المسموح عالمياً(WHO) لنوعية المياه الصالحة للشرب البالغة (0.005) ملغم/لتر.

18.بلغ معدل تركيز عنصر الكادميوم(Cd) خلال موسم الصيف لسنة (2020) للمواقع(S2,S1) حوالي (0.081 , 0.076) ملغم/لتر للمواقعين على التوالي الجدول(5), في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت (0) ملغم/لتر وبمعدل تركيز سنوي بلغ (0.040 , 0.038)ملغم/لتر ويلاحظ من الجدول (6) اعلا إن تركيز في الكادميوم(Cd) المياه تقع ضمن الحدود المسموح عالمياً(WHO) لنوعية المياه الصالحة للشرب البالغة (0.05) ملغم/لتر.

ب. صلاحية المياه لأغراض الزراعة: Water Suitable for agriculture

للتأكد من مدى صلاحية مياه النهر في منطقة الدراسة لأغراض الري الزراعي تم الاعتماد على المواصفات العالمية لمنظمة الغذاء والزراعة العالمية (FAO) لسنة 1985 جدول (7) ومقارنتها بالعناصر الكيميائية لمياه النهر، وقد اتضح الاتي:

1.بلغ معدل الأسس الهيدروجيني(PH) في مياه نهر الغراف خلال المدة (2020), لفصل الصيف حوالي (6.8,7.0) لموقعين S1, S2 ، في حين سجل فصل الشتاء تراكيز بلغت (8.2,8.1) للموقعين على التوالي, للموقعين اعلاه على التوالي. وبمعدل سنوي بلغ(7.5,7.77) وتعدّ المعدلات حالياً ضمن الحدود المسموح بها من قبل منظمة الغذاء والزراعة العالمية (FAO) لمياه الري البالغة (6.5-9.2) ملغم /لتر, الجدول (7).

2.بلغ معدل تركيز(EC) في مياه نهر الغراف للموقعين(S2,S1) خلال موسم الصيف لسنة (2020) حوالي (0.600, 0.946) ديسيمنز/م للموقعين على التوالي, في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت(0.840, 1.02) ديسيمنز/م وبمعدل تركيز سنوي بلغ (072, 0.72) ديسيمنز/ م,

جدول (7) مدى صلاحية المياه للري و الاغراض الزراعية

العناصر الكيميائية	S١			S٢			المعيار المسموح به
	الصيف	الشتاء	المعدل السنوي	الصيف	الشتاء	المعدل السنوي	
PH	٦,٨	٨,٢	٧,٥	٧,٠	٨,١	٧,٥٥	٨,٥-٦,٥
EC ديسيمنز/م	٠,٦٠٠	٠,٨٤	٠,٧٢	٠,٩٤٦	١,٠٢	٠,٩٨٣	٣- ٠
TDS ملغم/لتر	٣٨٤	٥٤٢	٤٦٣	٦٠٥,٤	٦٥٣	٦٢٩,٢	٢٠٠٠ – ٠
Na ملغم/لتر	٤٣,٨	١١٦	٧٩,٩	٨٢,٢	١٣٦	١٠٩,١	٨٠٠ -٠
Ca ملغم/لتر	٥٢	٣٢	٤٢	١٠٠	٦٤	٨٢	٤٠٠ – ٠
Mg ملغم/لتر	٥٣,٣	١٠٢	٧٧,٧	٦٠,٧	١٠٧	٨٣,٩	٦٠ – ٠
K ملغم/لتر	٤,٣٢	١٤	٩,١٦	٥,٧	١٤	٩,٨٥	٧٨ – ٠
Cl ملغم/لتر	١٠٦,٥	١٠٧	١٠٦,٧	٢١٣	١٧٨	١٩٥,٥	٧٠٩ – ٠
SO_4 ملغم/لتر	٣٣,٩	٤٦	٣٩,٩	٣٤	٤٩	٤١,٥	٩٦٠ – ٠
HCO_3 ملغم/لتر	١٧٩,٨	٩٢,٧	١٣٦,٢	١٥٨,٦	٩٧,٦	١٢٨,١	٦١٠ – ٠
NO_3 ملغم/لتر	١,٧	٨,٠	٤,٨٥	١,٤	٥,٨	٣,٦	١٠ – ٠

المصادر: عمل الباحث بالاعتماد على 1. الجدول رقم (4)

2. صفاء عبد الامير الاسدي, جغرافية الموارد المائية, مطبعة الغدير للطباعة والنشر المحدودة, الطبعة الاولى 2014, العراق, 2013, ص60.

) World Health Resources Management, Islamic Educational , Scientific 3(and Cultural Organization, Rebut, Morocco – 1997 , p . 67 .

ويلاحظ من الجدول (7) أن جميع تراكيز (EC) تقع ضمن الحدود المسموح بها من قبل منظمة الغذاء والزراعة العالمية (FAO) لمياه الري البالغة (0-3) ديسيمنز/م.

3. بلغ معدل التركيز السنوي لتركيز(TDS) حوالي(463, 629.2) ملغم/لتر في محطتي(S2,S1) على التوالي, في حين سجلت الأملاح الذائبة الكلية تراكيز بلغت حوالي(384, 605.4)ملغم/لتر, خلال موسم الصيف, وبلغ تركيزها خلال موسم الشتاء حوالي(542, 653)ملغم/لتر, وتبين من الجدول(7) أن تراكيز(T.D.S) تقع ضمن المدى المسموح به حسب المحددات العالمية (FAO) لنوعية المياه الصالحة للشرب والبالغة (0-2000) ملغم/لتر.

4. بلغ معدل تراكيز السنوية لأيون(+Na) في مياه نهر الغراف(79.0, 109.1)ملغم/لتر في محطتي على التوالي. في حين بلغ معدل تركيزه خلال موسم الصيف حوالي(43.8, 82.2)ملغم/لتر, بينما سجل تراكيز خلال موسم الشتاء وصلت الى حوالي(116, 136)ملغم/لتر, يتضح لنا من الجدول(7) ان تراكز عنصر(Na) تقع ضمن الحدود المسموح بها حسب منظمة الغذاء والزراعة العالمية (FAO) لمياه الري البالغة (0-800) ملغم/لتر.

5. بلغت معدلات التراكيز السنوية لأيون(+Ca) في مياه نهر الغراف ضمن منطقة الدراسة حوالي(42, 82)ملغم/لتر في محطتي S1 وS2 على التوالي خلال سنة 2020, حيث سجل تراكيز خلال موسم الصيف بلغت (52, 100)ملغم/لتر, في حين انخفضت معدلات تركيزه خلال موسم الشتاء الى حوالي(32, 64)ملغم/لتر، للمحطتين اعلا على التوالي, يتضح لنا من الجدول(7) ان تراكز عنصر(Ca) تقع ضمن الحدود المسموح بها حسب منظمة الغذاء والزراعة العالمية (FAO) لمياه الري البالغة (800-0) ملغم/لتر. (400-0) ملغم /لتر.

6. بلغ معدل تركيز(+Mg) في مياه نهر خلال موسم الصيف لسنة(2020) للمواقع(S2,S1) حوالي (53.5, 60.7)ملغم/لتر للمواقع على التوالي اعلا, في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت(102, 107)ملغم/لتر, وبمعدل تركيز سنوي بلغ (77.7, 83.9)ملغم/لتر, وتبين من الجدول(7) أن تراكيز(+Mg) يقع ضمن الحدود المسموح بها بها حسب منظمة الغذاء والزراعة العالمية (FAO) لمياه الري البالغة (800-0) ملغم/لتر.

7.بلغ تركيز أيون(-K) في مياه نهر الغراف خلال موسم الصيف لسنة (2020) للمواقع (S2,S1) حوالي(4.32, 5.7) ملغم/لتر للمواقع اعلا على التوالي, في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت(14, 14) ملغم/لتر وبمعدل تركيز سنوي بلغ (9.16, 9.85)ملغم/لتر, ويلاحظ إن تركيز إيون البوتاسيوم (K) يقع ضمن الحدود المسموح بها بها حسب منظمة الغذاء والزراعة العالمية (FAO) لمياه الري البالغة (800-0) ملغم/لتر.

8. بلغ تركيز أيون(-CL) في مياه نهر الغراف خلال موسم الصيف لسنة (2020) للمواقع (S2,S1) حوالي(106.5, 213)ملغم/لتر للمواقع اعلا على التوالي, في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت(107, 175)ملغم/لتر وبمعدل تركيز سنوي بلغ (106.7, 195.5)ملغم/لتر, ويلاحظ من الجدول(7) أن تراكيز(-CL) تقع ضمن الحدود المسموح بها بها حسب منظمة الغذاء والزراعة العالمية (FAO) لمياه الري البالغة (800-0) ملغم/لتر.

9. بلغ تركيز أيون($-So_4$) في مياه نهر الغراف خلال موسم الصيف لسنة (2020) للمواقع (S2,S1) حوالي(33.9, 34)ملغم/لتر للمواقع اعلا على التوالي, في حين سجل موسم الشتاء لنفس السنة تراكيز بلغت(46, 49)ملغم/لتر, وبمعدل تركيز سنوي بلغ (39.9, 41.5)ملغم/لتر, ويلاحظ من الجدول(7) أن تراكيز إيون الكبريتات (SO_4) يقع ضمن الحدود المسموح بها حسب منظمة الغذاء والزراعة العالمية (FAO) لمياه الري البالغة (800-0) ملغم/لتر.

10. شهدت تراكيز(-HCO3) في مياه نهر الغراف تبايناً مكانياً ومكانياً, فبينما سجل المعدل السنوي العام لسنة 2020 تراكز بلغت حوالي(136.2 , 128.1)ملغم/لتر في محطتي الدراسة على التوالي, سجل موسم الصيف تراكيز بلغت حوالي(179.8, 158.6)ملغم/لتر, اما موسم الشتاء فقد سجل تراكيز اقل مقارنةً بموسم الصيف, حيث بلغت(92.7 , 97.6)ملغم/لتر, ويلاحظ من الجدول(7) أن تراكيز البيكربونات(HCO_3)الحالي في المواقع اعلا تقع ضمن الحدود المسموح بها بها حسب منظمة الغذاء والزراعة العالمية (FAO) لمياه الري البالغة (800-0) ملغم/لتر.

11. بلغ معدل تراكيز(-NO3) في مياه نهر الغراف خلال موسم الصيف لسنة 2020 حوالي(1.7 , 1.4)ملغم/لتر, بينما سجل موسم الشتاء من نفس العام تراكيز بلغت حوالي(8.0 , 5.8)ملغم/لتر, وبمعدل تركيز سنوي بلغ (4.85 , 3.6)ملغم/لتر, ويلاحظ من الجدول (7) إن تركيز إيون النترات (NO_3) في المياه تقع ضمن الحدود المسموح بها حسب منظمة الغذاء والزراعة العالمية (FAO) لمياه الري البالغة (800-0) ملغم/لتر.

ج. صلاحية المياه لأغراض الصناعة: Water Quality for industry

تدخل المياه في الأنشطة الصناعية بطرق متعددة، إذ تستخدم في عمليات التبريد بكثرة في محطات الطاقة الكهربائية بينما تستخدم بكميات أقل في عملية الغليان والتغذية بالمياه الساخنة، كما أن استخدام المياه غير الصالحة يؤدي إلى تكاليف إضافية على الصناعة تتمثل في تأهيل المياه وجعلها صالحة للأغراض الصناعية المختلفة. وقد تم الاعتماد على محددات (الصحاف 1976) لغرض معرفة مدى صلاحية مياه

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

نهر الغراف للأغراض الصناعية الجدول (8). إذ يتضح لنا عند مقارنة تراكيز العناصر الكيميائية الجدول (4) مع المحددات العالمية للمياه الصالحة للصناعة في الجدول (8), أن مياه نهر الغراف تقع ضمن الحدود المسموح بها للأغراض الصناعية لجميع الصناعات المختلفة, باستثناء عنصر المغنيسيوم الذي يقع

جدول (8) مدى صالحة المياه للأغراض الصناعية

العناصر	الصناعات							
	الغذائية والمشروبات	كيميائية	الورق	جلود	نسيج	بلاستك	أسمنت	منتوجات نفطية
TDS	550	2500	1080	-	1000	-	1120	3500
Ca	120	200	220	-	100	80	-	220
Mg	0.2	100	85	-	50	36	-	85
Cl	300	500	1000	250	500	-	100	1600
SO_4	250	850	570	250	100	850	235	570
HCO_3	-	600	-	-	250	-	-	480
NO_3	45	-	8	-	5	-	-	8

المصادر: مهدي محمد علي الصحاف، الموارد المائية في العراق وصيانتها من التلوث، دار الحرية للطباعة، بغداد, 1976، ص 170 – 172.

اعلى من الحدود المسموح بها عالمياً للصناعات الغذائية والمشروبات وصناعات النسيج والبلاستك, بينما تقع جميع العناصر الاخرى ضمن الحدود المسموح بها عالمياً للأغراض الصناعية.

المصادر:

1. علي, مقداد حسين وخليل ابراهيم محمد ، السمات الاساسية للبيئات المائية ، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد الطبعة الاولى1999.
2. الغزي, حسن سوادي نجيبان, هيدرولوجية شط الغراف واستثماراته المستقبلية, رسالة ماجستير, جامعة البصرة, كلية التربية, قسم الجغرافية, (غير منشورة) 2005.
3. الركابي, سالم ريسان حياوي, الادارة المتكاملة للموارد المائية في محافظة ذي قار, رسالة ماجستير(غير منشورة) قسم الجغرافية, كلية التربية الاساسية, الجامعة المستنصرية, سنة 2018.
4. حسين, سفير جاسم, جيومورفولوجية نهر الغراف, اطروحة دكتوراه,(غير منشورة) قسم الجغرافية, كلية الآداب, جامعة بغداد, سنة2007.
5. Kassim, T.I.. and Al-Saadi, H.A. (1994). "On the Seasonal Variation of the Epipelic Algae in Marsh Areas (Southern Iraq)". Acta Hydrobial., 36(2):P191-200.
6. المويل , محمد سالم، تقييم نوعية مياه الجزء الشمالي من شط العرب باستخدام دليل نوعية المياه النموذج الكندي، رسالة ماجستير (غير منشورة) قسم علوم الحياة , كلية العلوم، جامعة البصرة 2005.
7. Todd,D.K. Ground water Hydrology, 2nd . Ed, Johanwiley, New York,1980, P.53.
8. اسراء سعدي عبد الامير سماكة, قياس الكدرة لتقييم كفاءة الشب المستخدم في محطات تصفية مياه شرب محافظة بابل, مجلة جامعة بابل, المجلد (15), العدد(1) سنة 2017.
9. السعدي واخرون, حسين علي, علم البيئة المائية, مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر في جامعة الموصل, الموصل, 1986.

10. الاسدي, صفاء عبد الامير, جغرافية الموارد المائية, مطبعة الغدير للطباعة والنشر المحدودة, الطبعة الاولى 2014, العراق,2013.
11.APHA (American public Health Association) (2005) standard method for the examination of water and waste water _2th edition .Washington, .D.C.P
12. الرفاعي, معن هاشم محمود ، الخصائص النوعية لمياه حوض وادي المر واثرها في نوعية مياه نهر دجلة، رسالة ماجستير (غير منشورة) قسم علوم الحياة ، كلية العلوم جامعة الموصل، 2005.
13. فريال حميم ابراهيم الحميم، علم المياه العذبة، جامعة البصرة , طبع على نفقة جامعة البصرة, 198.
14. الحميم، فريال حميم ابراهيم, علم المياه العذبة، جامعة البصرة , طبع على نفقة جامعة البصرة, 1980.
15.الحميم، فريال حميم ابراهيم الحميم، علم المياه العذبة، جامعة البصرة , طبع على نفقة جامعة البصرة, 1980.
16. عمر, ليلى عبد الرزاق, تأثير القوة الايونية ومستويات البوتاسيوم المضاف في تثبيت البوتاسيوم في بعض الترب الكلسية, مجلة البصرة للعلوم الزراعية, جامعة البصرة, مجلد(23) العدد(2) لسنة2010 .
17. احمد السروي, العمليات الاساسية لتنقية مياه الشرب , دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع , القاهرة ,الطبعة الاولى 2012.
18. الحميم، فريال حميم ابراهيم الحميم، علم المياه العذبة، جامعة البصرة , طبع على نفقة جامعة البصرة, 1980.
19. المويل , محمد سالم، تقييم نوعية مياه الجزء الشمالي من شط العرب باستخدام دليل نوعية المياه النموذج الكندي، رسالة ماجستير (غير منشورة) قسم علوم الحياة , كلية العلوم، جامعة البصرة 2005.
20. عبد الحميد جواد العبيدي وعبد الزهرة عبد الرسول الحلو, التغيرات الشهرية لبعض الاملاح المعدنية والملوثات ذات العلاقة في ثمانية مواقع مختارة من مياه شط العرب, مجلة وادي الرافدين, المجلد(11) العدد (2), 2001.
21.فؤاد قاسم الأمير، الموازنة المائية في العراق وأزمة المياه في العالم, دار الغد للنشر بغداد ، العراق الطبعة الاولى، 2010 .

مصادر الجداول:

1. وزارة الموارد المائية, المركز الوطني لادارة الموارد المائية في العراق, قسم سجلات تصاريف الانهر, بيانات غير منشورة, 2020.
2. وزارة البيئة، دائرة حماية وتحسين البيئة في المنطقة الجنوبية، مديرية بيئة البصرة , قسم التخطيط والمتابعة، بيانات غير منشورة للمدة (2019) .
3. مديرية الموارد المائية في ذي قار, قسم سجلات تصاريف الانهار, بيانات غير منشورة, 2020.
4. تحاليل المختبرية لموسمي الصيف والشتاء لسنة 2020 التي اجريت في المختبر المركزي لكلية الزراعة في جامعة البصرة.
5. التحاليل المختبرية للعناصر الكيميائية التي اجريت في قسم تحاليل المياه التابع لمركز علوم البحار في جامعة البصرة.
6. World Heath Organization (WHO). International / Stand dards for Drinking Water , Geneva.
7.Principles of Water Quality Control T,H,Y, TEBBUTTPhD, SM, BSc, CEng, FICE, FCIWEM, 2000.
8. الاسدي, صفاء عبد الامير, جغرافية الموارد المائية, مطبعة الغدير للطباعة والنشر المحدودة, الطبعة الاولى 2014, العراق, 2013.

9. السروي, احمد, العمليات الاساسية لتنقية مياه الشرب, دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع, القاهرة, 2012.
9. World Health Resources Management, Islamic Educational , Scientific and Cultural Organization, Rebut, Morocco – 1997.
10 مهدي محمد علي الصحاف، الموارد المائية في العراق وصيانتها من التلوث، دار الحرية للطباعة، بغداد, 1976.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

محاكم حقوق الإنسان الدولية
المحكمتين الافريقية والعربية لحقوق الأنسان (إنموذجا)

م.م خلدون عطية مزهر
تدريسي في جامعة الامام جعفر الصادق، فرع ذي قار
khaldoon.atiyah@sadiq.edu.iq

المستخلص
حقوق الإنسان حقوق متأصلة في جميع البشر ، مهما كانت جنسيتهم ، أو مكان إقامتهم ، أو نوع جنسهم ، أو أصلهم الوطني أو العرقي ، أو لونهم ، أو دينهم ، أو لغتهم ، أو أي وضع آخر ، إن لنا جميع الحق في الحصول على حقوقنا الإنسانية على قدم المساواة وبدون تمييز . وجميع هذه الحقوق مترابطة ومتآزرة وغير قابلة للتجزئة .
ويرسي القانون الدولي لحقوق الإنسان التزامات تتقيد الدول باحترامها والتصرف بطرق معينة أو الامتناع عن أفعال معينة ، من أجل تعزيز وحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية للأفراد أو الجماعات .

ABSTRACT
Human rights are rights inherent to all human beings, whatever their nationality, place of residence, gender, national or ethnic origin, colour, religion, language or any other status. We all have the right to obtain our human rights on equality and without discrimination. All these rights are interdependent, mutually reinforcing and indivisible.
International human rights law lays down obligations for states to respect and act in certain ways or refrain from certain actions, in order to promote and protect the human rights and fundamental freedoms of individuals or group s

أولاً : أهمية الموضوع
تنبع أهمية دراسة المحكمتين الافريقية والعربية لحقوق الانسان من اهمية اختصاصهما في الدفاع عن حقوق الانسان وحرياته وكونهما العلامة الأبرز في هذا المجال على المستويين الافريقي والعربي اللذان كثيرا ما تم تأشير خرق اغلب الدول المنضوية تحت هذين المصطلحين لحقوق الانسان من قبل المنظمات الدولية المهتمة بالدفاع عن هذه الحقوق كما تبرز اهمية البحث من قلة الدراسات التي تعرضت بالبحث لهاتين المحكمتين وافتقار مكتبة القانون الدولي الانساني للكتب التي تتخذ منهما موضوعات للبحث والدراسة .

ثانيا : مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في عدم بيان ووضوح اليات المحكمتين الافريقية والعربية لحقوق الانسان في الدفاع عن حقوق الانسان ، كما ان غياب فاعليتهما في هذا المجال يدفعنا الى التساؤل ما الغاية التي كانت مرجوة من تشكليهما بهذا المستوى من عدم الفاعلية قياسا بنظرتيمها من المحاكم الأوربية والأمريكية التي تدافعان ايضا عن حقوق الانسان في نطاقهما الاقليمي ، كم أن هناك تساؤل يثور هل أن الفرد الافريقي او العربي له الامكانية من الانتصاف بواسطة هذه المحاكم اذا كان النظام في دولته.

ثالثا : نطاق البحث

يتركز بحثنا في دراسة الوثائق الخاصة بتشكيل المحكمتين موضوع البحث بشكل منفصل أحدهما عن الأخرى وكذلك سيكون محل دراستنا الانظمة الداخلية التي تعمل بها هذا المحاكم والأساس القانوني لتشكيلها وجدير بالإشارة ان الباحث واجه صعوبة جم في الحصول على المصادر الخاصة بدراسة هاتين المحكمتين الا انه لم يجد سوى القليل جدا منها .

رابعا : منهجية البحث

في سبيل الوصول الى المقصود للبحث ودراسة المحكمتين الافريقية والعربية لحقوق الانسان وجدنا انه من الانسبان نستخدم المنهج التحليلي القائم على عرض وتحليل النصوص المؤسسة لهما ، كما اتبعنا المنهج الوصفي في البحث للوصول الى نتائج دقيقة في موضوع البحث

خامسا : الدراسات السابقة

واجه الباحث الصعوبة في ايجاد المصادر فيما يخص المحكمتين ولندرتها في المكتبات ما خلا مصدر واحد فقط ، وبعض الأوراق البحثية والتقارير المنشورة في مواقع الانترنيت وبالتالي فقد حاول الباحث الاعتماد على هذه المصادر رغم قلتها مع الاعتماد على الانظمة الأساسية للمحكمتين وميثاقي حقوق الانسان الأفريقي والعربي .

سادسا : خطة البحث

بناء على ما سبق من عرض لمشكلة لبحث ونطاقه واهميته عملنا الى تقسيم هذا البحث الى مطلبين ، جاء المطلب الأول بمسمى المحكمة الأفريقية لحقوق الانسان والشعوب ويتضمن هذا المطلب ثلاثة فروع وهي الفرع الاول وتناول نشأة المحكمة واختصاصاتها والفرع الثاني فقد بحثنا فيه اختيار القضاة واستقلاليتهم ، أما الفرع الثالث فدرسنا فيه اجراءات المحكمة عند نظر القضايا ، اما المطلب الثاني فقد تطرقنا فيه المحكمة العربية لحقوق الانسان وقسمناه ايضا ثلاثة فروع الفرع الأول لنشأة المحكمة واختصاصاتها ، والفرع الثاني أحكام المحكمة وإجراءاتها ، أما الفرع الثالث فبحثنا فيه اختيار القضاة واستقلاليتهم ثم كانت خاتمة البحث بمحتوياتها الاستنتاجات والتوصيات .

المطلب الأول

المحكمة الأفريقية لحقوق الإنسان والشعوب

بعد إنشاء المحكمة الأفريقية خطوة أساسية نحو إنشاء محكمة أفريقية ذات نظام متماسك وفعال لحماية حقوق الإنسان في القارة الأفريقية ، هذه الخطوة الجديدة تقوي وتكمل الهيكل الحالي الذي أنشأه الميثاق الأفريقي الذي هو هيئة الرقابة الأصلية على احترام الحقوق التي تضمنها اللجنة الأفريقية لحقوق الإنسان والشعوب ، من أجل إنشاء نظام قاري متماسك لحماية حقوق الإنسان في أفريقيا يستجيب لحركة دولية أوسع لتطوير النظم الإقليمية للإنسان وحماية الحقوق ، بدأت هذه الحركة بتبني الأوروبيين اتفاقية حماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية عام 1950 ، تلا ذلك إنشاء المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان ،

وكذلك دخول الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان حيز التنفيذ في عام 1969 ، والتي أنشأت محكمة البلدان الأمريكية لحقوق الإنسان " .

وعلى غرار ما تقدم تم تشكيل المحكمة الأفريقية لحقوق الإنسان والشعوب (المحكمة الأفريقية) ، التي يوجد مقرها في أروشا ، تنزانيا ، لتكون إحدى الهيئتين اللتين أنشأهما الاتحاد الأفريقي لرصد انتهاكات حقوق الإنسان في القارة ، وهي مكملة لعمل اللجنة الأفريقية لحقوق الإنسان والشعوب " . وقد أنشئت المحكمة الأفريقية بموجب البروتوكول الملحق بالميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان

The African Court on Human and Peoples ' Rights towards the African Court of Justice and Human-

Rights Practical Guide منشور على موقع ، ص 49 ، https://www.fidh.org/IMG/pdf/african_court guide pd. تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/١٢/١٢ الساعة 8,15 ب.ظ

-https://archive.crin.org/ar/dl/nam-mm-lmthd/imhkm-lfryay-lhawa-insn-wishwb.html تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/١٢/١٢ الساعة ٨ , ٣٠ ب . ظ

والشعوب بشأن إنشاء محكمة أفريقية لحقوق الإنسان والشعوب ، والذي دخل حيز النفاذ عام ٢٠٠٦ " .

لقد تم تقسيم هذا المطلب الى ثلاث فروع تم تخصيص الفرع الاول لنشأة المحكمة واختصاصاتها ، اما على الفرع الثاني فيتم فيه الوقوف على اختيار القضاة واستقلاليتهم اما الفرع الثالث فسيكون لإجراءات المحكمة عند نظر القضايا التي تعرض عليها وكالاتي :

الفرع الاول

نشأة المحكمة واختصاصاتها

محكمة قارية أنشأتها الدول الافريقية لضمان حماية حقوق الإنسان في أفريقيا . وهي تكمل وتعزز مهام اللجنة الأفريقية لحقوق img featured الإنسان والشعوب ، أنشأت المحكمة بموجب المادة 1 من البروتوكول الخاص بالميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب بشأن بإنشاء محكمة أفريقية لحقوق الإنسان والشعوب والذي تم اعتماده من قبل مؤتمر رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الأفريقية في واجادوجو ، بوركينا فاسو ، في يونيو ١٩٩٨. وقد دخل البروتوكول حيز النفاذ في ٢٥ يناير ٢٠٠٤) .

الدول الثلاثين التي صدقت على البروتوكول هي : الجزائر ، بنين ، بوركينا فاسو ، بوروندي ، الكاميرون ، تشاد ، كوت ديفوار ، جزر القمر ، الكونغو ، الجابون ، جامبيا ، غانا ، كينيا ، ليبيا ، ليسوتو ، مالي ، ملاوي ، موزمبيق موريتانيا ، موريشيوس ، نيجيريا ، النيجر ، رواندا ، الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية ، جنوب أفريقيا ، السنغال ، تنزانيا ، توجو ، تونس وأوغندا . وحتى نوفمبر ٢٠٢٠ ، ست (6) دول فقط من الـ 30 دولة الأطراف في البروتوكول قد أصدرت الإعلان بقبول

المصدر السابق .

ـ اذ نصت المادة (1) البروتوكول الملحق بالميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب بشأن إنشاء المحكمة الأفريقية لحقوق الإنسان والشعوب على (تنشأ في إطار منظمة الوحدة الإفريقية محكمة أفريقية لحقوق الإنسان والشعوب) يشار إليها هنا لاحقا باسم " المحكمة " (يحكم تنظيمها واختصاصها ومهمتها هذا البروتوكول) .

اختصاص المحكمة لتلقي الشكاوي من المنظمات غير الحكومية والأفراد . وهذه الدول الـ 6 هي : بوركينا فاسو ، جامبيا ، غانا ، مالي وملاوي وتونس .

وللمحكمة اختصاص نظر كل القضايا والمنازعات المقدمة لها والتي تتعلق بتفسير وتطبيق الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب (الميثاق) والبروتوكول وأي صك آخر من صكوك حقوق الإنسان ذات الصلة التي صادقت عليها الدول الأعضاء المعنية . على وجه التحديد ، للمحكمة نوعان من الاختصاص ، في مجال المنازعات والاختصاص الاستشاري اذ نصت المادة (٣) من البروتكول على (يمتد اختصاص المحكمة ليغطي كافة القضايا والمنازعات التي تقدم إليها والتي تتعلق بتفسير وتطبيق الميثاق ويهذا البروتوكول وأي صك آخر من صكوك حقوق الإنسان الأخرى التي صادقت عليها الدول المعنية في حالة النزاع حول ما إذا سينعقد للمحكمة الاختصاص أم لا تسوى المسألة بقرار تصدره المحكمة .

وللمحكمة ينعقد اختصاص آخر هو اختصاص استشاري بناء على طلب أي دولة عضو في منظمة الوحدة الأفريقية ، أو أي من هيأتها ، أو منظمة أفريقية تعترف بها منظمة الوحدة الأفريقية و يجوز للمحكمة أن تعطي رايها بشأن أي مسألة قانونية تتعلق بالميثاق ، أو أي وثيقة أخرى تتعلق بحقوق الإنسان ، بشرط ألا يكوف موضوع طلب الراي الاستشاري متعلقا بمسألة قيد النظر أما الجنة ، وعلى المحكمة ان تبدي الأسباب التي تتعلق بآرائها الاستشارية ، ويكون لكل قاض الحق في تسليم رأي منفصل او معارض " .

للمحكمة محاولة اللجوء الى تسوية ودية في القضايا المرفوعة امامها وفقا لأحكام الميثاق وتفسير أي حكم صادر عن المحكمة نفسها وتملك المحكمة الاختصاص في مراجعة الاحكام الصادرة عن المحكمة في ضوء ادلة جديدة وفقا للمادة (67) من النظام الداخلي " .

" المادة (3) من البرتوكول سابق الذكر ، وينظر كذلك المادة (٢٦) من النظام الداخلي للمحكمة . - المادة (4) من البرتوكول سابق الذكر .

" - نصت المادة (٦٧/١) على (يجوز لأي طرف ان يطلب من المحكمة عملا بالمادة (٢٨/٣) من البروتكول ، مراجعة حكمها في حالة ظهور ادلة جديدة لم كين على علم بها وقت صدور الحكم ، ويقدم طلب المراجعة هذا في غضون ستة (6) اشهر من تاريخ اطلاع الطرف على تلك الادلة) وكذلك ينظر في ذات الشأن المادة (9) من البرتكول ، مصدر سابق .

الفرع الثاني

اختيار القضاة واستقلاليتهم

تتألف المحكمة من أحد عشر قاضيا من مواطني الدول الأعضاء في الاتحاد الأفريقي . و قد تم انتخاب الدفعة الأولى من قضاة المحكمة في يناير عام ٢٠٠٦ في الخرطوم ، السودان . وقد أدوا القسم أمام مؤتمر رؤساء دول وحكومات الاتحاد الأفريقي في ٢ يوليو ٢٠٠٦ في بانجول ، جامبيا . ويتم انتخاب قضاة المحكمة ، بعد ترشيحهم من قبل دولهم ، بصفتهم الفردية من بين القضاة الأفريقيين المشهود لهم بالنزاهة والكفاءة العملية أو القضائية أو الأكاديمية المعترف بها وخبرة في مجال حقوق الإنسان . ويتم انتخاب القضاة لمدة ست سنوات أو أربع سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة . ثم يتولى قضاة المحكمة انتخاب رئيس ونائب رئيس محكمة من بينهم في ولاية مدتها عامين . ويمكن إعادة انتخابهم لمرة واحدة فقط . ويقيم الرئيس بمقر المحكمة ويعمل على أساس التفرغ الكامل ، في حين أن الـ (١٠) قضاة الآخرين يعملون على أساس التفرغ الجزئي في

إنجاز مهامهم . ويجد الرئيس المساعدة من رئيس قلم المحكمة الذي يؤدي مهام قلم المحكمة والمهام التنظيمية والإدارية للمحكمة "

ويظل القضاة في مناصبهم حتى استبدالهم وإذا تم تحديد هذا التاريخ بعد قضية كانت بالفعل موضوع جلسة استماع ، فالقاضي المعني يستمر في العمل حتى الانتهاء من تلك القضية ولا يجوز أن تضم المحكمة أكثر من قاض من نفس الجنسية " . وتكون الترشيحات عن طريق للدول الاطراف في البروتوكول الملحق بالميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب ان ترشح بحد

ـ المواد (١١،١٢ ، ١٣ ، 14 ، 15) من البروتكول سابق الذكر .

والشعوب

V

- المادة (11) من البروتوكول الملحق بالميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب بشأن إنشاء المحكمة الأفريقية لحقوق الإنسان أقصى ثلاثة مرشحين ، على أن يكون اثنين منهما على الأقل من مواطنيها ، ويراعي في التمثيل النوع الاجتماعي أثناء عملية الترشيح " .

أما انتخاب قضاة المحكمة فيكون بالاقتراع السري في الجمعية العمومية من القائمة المشار إليها في البروتكول وعلى الجمعية العمومية أن تتأكد انه سيكون في المحكمة ككل تمثيل للمناطق الرئيسية لأفريقيا وتقاليدها القانونية و أثناء عملية انتخاب القضاة ، يجب أن يعطي الاعتبار الكافي للتمثيل الملائم من حيث النوع الاجتماعي " . وبعد انتخابهم ، يؤدي قضاة المحكمة القسم أو يقدموا إعلانا رسميا بشأن أداء مهامهم بتجرد وإخلاص " .

استقلال القضاء مكفول بموجب المواد من 17 إلى 19 من البروتوكول بطريقة مشابهة للأحكام ذات الصلة من النظام الأساسي الأوروبي ومحاكم البلدان الأمريكية اذ يتمتع القضاة خلال فترات عملهم بالامتيازات والحصانات الممنوحة بموجبهم القانون الدولي للموظفين الدبلوماسيين من انتخابهم وعلى مدى فترة ولايتهم ، ويجب ان لا يتعارض منصبهم كقاضي مع أي وظيفة أو أي أنشطة أخرى تؤثر على متطلبات الاستقلال والحياد – في مجالات أخرى .

ويكفل استقلال القضاة بصورة تامة وفقاً للقانون الدولي ولا يجوز لأي قاض أن ينظر بقضية سبق وأن شارك فيها كوكيل أو كمستشار ، أو كمحامي لأحد الأطراف أو كعضو لمحكمة دولية أو محمية ، أو لجنة تقصى حقائق ، أو بأي صفة أخرى ، وأي شك بشأن هذه النقطة يتم الفصل بقرار من المحكمة ، ولا يكون قضاة المحكمة مسؤولين عن أي قرارات او اراء صدرت اثناء

ممارستهم لمهامهم "

" ـ المادة (١٢) من البروتوكول الملحق بالميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب بشأن إنشاء المحكمة الأفريقية لحقوق الإنسان والشعوب -

لحظة

١٣

والشعوب -

" - المادة (14) من البروتوكول الملحق بالميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب بشأن إنشاء المحكمة الأفريقية لحقوق الإنسان

17

- المادة (16) من البروتوكول ، المصدر السابق .

" - المادة (١٧) من البرتوكول .
كما نص البرتوكول الخاص بإنشاء المحكمة في المادة (١٨) منه على (يجب أن لا يتعارض منصب قاضي المحكمة أي نشاط آخر قد يتعارض مع استقلال أو حياد هذا القاضي ، أو متطلبات المنصب كما تحددها قواعد إجراءات المحكمة (النظام الداخلي)) 4 .

الفرع الثالث

اجراءات المحكمة عند نظر القضايا

قبل التطرق الي اجراءات المحكمة ودراستها من الواجب معرفة من يحق له الوصول الى المحكمة الافريقية لحقوق الانسان ومن يحق له تقديم القضايا الى المحكمة ، اذا نصت المادة (5) من البروتكول الملحق بالميثاق الافريقي لحقوق الانسان والشعوب على (1- يحق للمذكورين ادناه تقديم القضايا الى المحكمة :
ا- اللجنة الأفريقية لحقوق الانسان والشعوب
ب- الدولة الطرف التي رفعت شكوى إلى اللجنة .
ج- الدولة الطرف التي رفعت ضدها شكوى إلى اللجنة .
3-
هـ المنظمات الإفريقية الحكومية .
كما يمكن تقديم قضية امام المحكمة عندما تكوف للدولة الطرف مصلحة ورغبة في قضية معينة ، يمكنها تقدي طلب للمحكمة للسماح لها بالانضمام) . وللمحكمة صلاحية تحويل المنظمات غير
16
- نصت المادة (5) من النظام الداخلي للمحكمة على (١ - وفقا لأحكام المادة 18 من البرتوكول ، ، لا يجوز لأي عضو من أعضاء المحكمة خلال مدة ولايتهم ، المشاركة في أم نشاط آخر ذي طبيعة من شأنها أن تؤثر على استقلاليتهم وحيادهم أو متطلبات مناصبه ٢- لا يجوز لأعضاء المحكمة على وجه الخصوص ، تقلد أي مناصب سياسية أو دبلوماسية أو إدارية أولعمل مستشارين قانونيين حكوميين على المستوى الوطني 3 - يتعين على كل عضو في المحكمة أن يبلغ المحكمة عن أم أنشطة أخرى يضطلع بها) .
د - الدولة الطرف التي يكوف أحد مواطنيها ضحية انتهاك حقوق الإنسان .

الحكومية ذات الصلة التي تتمتع بوضعية المراقب في اللجنة والأفراد أيضا برفع القضايا مباشرة أماميا ، عملا بموجب أحكام المادة (34 / 6) من البروتكول .
وحتى تستطيع المحكمة النظر في القضايا التي تقدم امامها يجب أن تستوفي هذه القضايا الشروط المطلوبة التي نصت عليها المادة (6) من البروتوكول الملحق بالميثاق الافريقي لحقوق الانسان والشعوب اذ نصت هذه المادة على (عندما تنظر المحكمة في استيفاء أي قضية مرفوعة إليها بموجب أحكام المادة 5 (3) من هذا البروتوكول لشروط القبول ، يجوز لها أن تطلب رأي اللجنة الذي ستقدمه في اقرب الآجال ٢٠- تقرر المحكمة بشأن استيفاء العرائض المرفوعة لشروط القبول واضعة في الاعتبار أحكا المادة (56) من الميثاق 3- يجوز للمحكمة أن تقرر نظر قضايا معينة أو تحيلها إلى اللجنة) " .
اما المصادر القانونية التي تستند المحكمة عليها عند النظر في القضايا المعروضة امامها فتكون من تطبيق المحكمة أحكام الميثاق الافريقي لحقوق الانسان وأي صك آخر من صكوك حقوق الانسان صادقت عليها

الدول ذات الصلة " . فلقد حدد النظام الداخلي للمحكمة الشروط المفصلة التي بموجبها تقبل المحكمة نظر القضايا المرفوعة اليها .

- نصت المادة (34/6) : المصادقة على البروتكول ، من البروتوكول الملحق بالميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب بشأن إنشاء المحكمة الأفريقية لحقوق الإنسان والشعوب على (سواء كان في وقت المصادقة على هذا البروتكول او أي وقت لاحق للدولة

الطرف أن تودع اعلانا بقبول اختصاص المحكمة بقبول نظر القضايا المنصوص عليها في الفقرة 5 (3) من هذا البروتكول ولاتقبل المحكمة اي طلب عريضة بموجب الفقرة 5 (3) تتعلق بدولة طرف لم تصدر هذا الاعلان)

" - نصت المادة (56) من الميثاق الافريقي لحقوق الانسان على (تنظر اللجنة في المراسلات الواردة المنصوص عليها في المادة 55 والمتعلقة بحقوق الإنسان والشعوب إذا استوفت وبالضرورة الشروط التالية : 1 . أن تحمل اسم مرسلها حتى ولو طلب إلى اللجنة عدم ذكر اسمه . ٢. أن تكون متمشية مع ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية أو مع هذا الميثاق .3 . أن لا تتضمن ألفاظا نابية أو مسيئة إلى الدولة المعنية أو مؤسساتها أو منظمة الوحدة الإفريقية . 4. ألا تقتصر فقط علي تجميع الأنباء التي تبثها وسائل الإعلام الجماهيرية . 5. أن تأتي بعد استنفاد وسائل الإنصاف الداخلية إن وجدت ما لم يتضح للجنة أن إجراءات وسائل الإنصاف هذه قد طالت بصورة غير عادية . 6. أن تقدم للجنة خلال فترة زمنية معقولة من تاريخ استنفاد وسائل الإنصاف الداخلية أو من التاريخ الذي حددته اللجنة لبدء النظر في الموضوع . 7. تتعلق بحالات تمت تسويتها طبقا لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة وميثاق منظمة الوحدة الأفريقية وأحكام هذا الميثاق . للاطلاع على الميثاق منشور على موقع جامعة منيسوتا الالكتروني html.005a/arab/edu.umn.http://hrlibrary تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/١٢/١٨ الساعة ١٠:٠٠ ق.ظ " - المادة (7) من البروتكول ، مصدر سابق .

. 1

تكون اللغات الرسمية للمحكمة هي نفس اللغات الرسمية للاتحاد الأفريقي ، ويمكن ان تكون لغات عمل المحكمة هي نفس لغات عمل الاتحاد الأفريقي ، ومع ذلك ، يجوز للمحكمة ، كلما دعت الحاجة إلى ذلك اختيار لغة واحدة أو أكثر مه هذه اللغات لتكون لغات العمل . كما يجوز للمحكمة ان تسمح لأي شخص يمثل امامها بان يستخدم اللغة التي يختارها ، واذا ثبت انه لا تتوافر لديه دراية كافية باي لغة من اللغات الرسمية للمحكمة

وتجري اجراءات المحكمة بشكل علني ، أو بشكل سري بحسب ما ينص عليه نظامها الداخلي ويكون من حق أي طرف من أطراف القضية التي تعرض أمامها ان يمثله ممثل قانوني من

١٩

اختياره . وتنظر المحكمة ما يرفع لها من كافة الاطراف من ادلة وتنشئ في سبيل ذلك لجنة لتقصي الحقائق في حال وجدت ذلك يفيد الدول المعنية على توفير التسهيلات من اجل المعالجة الفعالة للقضية ، ولها تلقي الادلة الخطية أو الشفهية بما في ذلك شهادة الخبراء ٢٠ .

واذا وجدت المحكمة ان هناك انتهاكا لحق من حقوق الانسان او حقوق الشعب فأنها تستطيع ان تامر بالإجراءات المناسبة لمعالجة الانتهاك ، ويشمل الاجراء دفع التعويض العادل للطرف المتضرر ، وتتخذ المحكمة الاجراءات المناسبة في الحالات التي تكون شديدة الخطورة والحالات الطارئة " .

تقوم المحكمة بعد الانتهاء من دراسة القضية باختتام المناقشات والمرافعات للتداول واصدار الحكم ، وعلى المحكمة ان تصدر قرارها في غضون (90) يوم من تاريخ انتهاء المداولات " " .

14

- المادة (43) من النظام الداخلي للمحكمة .

" ـ المادة (٢٦) من البروتكول ، مصدر سابق -

" ـ المادة (٢٧) من البرتوكول و المادة (51) من النظام الداخلي للمحكمة .

" - المادة (٢٨) من البرتوكول ، مصدر سابق و المادة (59) من النظام الداخلي للمحكمة

١١

4

14

- ينظر المادة (١٨) من النظام الداخلي للمحكمة الأفريقية لحقوق الانسان والشعوب ، المنشور في الموقع الرسمي للمحكمة على الانترنيت org.african-court.https://ar تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/١٢/١٨ الساعة ١١'٣٠ ق .ظ

وفقا للمادة (٢٨/٦) من البرتوكول ، يبين أي حكم يصدر عن المحكمة الاسباب التي استند إليها ويتضمن الحكم أسماء القضاة الذين شاركوا في المداولات ، ويوقع جميع القضاة على الحكم يصدق عليه من الرئيس أو القاضي الذم يحل محله كرئيس قلم المحكمة . ويجب أن يتلى الحكم في جلسة مفتوحة علنية بحضور الأطراف بعد إبلاغهم بشكل رسمي مع مراعاة المادة (٣/٢٨) من البروتوكول ، يكون الحكم الصادر عن المحكمة نهائيا كما يكون الحكم الصادر عن المحكمة ملزما للأطراف المتنازعة ٢٣ .

وبعد اصدار الحكم يتم اخطار أطراف القضية بحكم المحكمة ، ويتم ارساله الى الدول اعضاء منظمة الوحدة الافريقية كما يتم اخطار مجلس الوزراء بالحكم الذي يراقب تنفيذه نيابة عن الجمعية العمومية وقد أقرت الدول الأطراف في البروتكول الخاص بميثاق حقوق الانسان والشعوب الافريقي الامتثال للحكم في أي قضية تكون طرفا فيها خلال الفترة الزمنية التي تحددها المحكمة مع ضمان تنفيذه ** . كما يمكن لأي طرف ان يطلب الى المحكمة ان تفسر حكمها في غضون اثني عشر شهرا من تاريخ النطق به في سبيل تنفيذه مالم تقرر المحكمة خلاف ذلك وتحقيقا

للعدالة

٢٥

المطلب الثاني

المحكمة العربية لحقوق الإنسان

- المادة (٣٠) من البرتوكول ، مصدر سابق .

76

- المادة (61) من النظام الداخلي للمحكمة ، مصدر سابق

To

- المادة (٢٨) من البروتوكول والمادة (16) من النظام الداخلي ، مصدر سابق

انشات هذه المحكمة لتكون أحد الاركان التي تتشكل منها منظومة حماية حقوق الإنسان العربية ، هو المحكمة العربية لحقوق الانسان ، هذه المحكمة جاءت بمبادرة من ملك مملكة البحرين في عام ٢٠١١ .

ولاقت ترحيب من مختلف الجهات الإقليمية و الدولية ، وقد أخذت جامعة الدول العربية هذه المبادرة وشرعت في العمل على بلورتها من خلال إسنادها إلى فرق عمل من الخبراء ، حتى رأى النظام الأساسي للمحكمة النور والمعتمد في عام ٢٠١٤ ، فمجلس الجامعة على المستوى الوزاري ، فمحلس بقرارها رقم (7489) في ٢٠١٢/٣/١٠ كلف الأمانة العامة لجامعة
الدول العربية بإعداد دراسة حول هذه المحكمة ، وقد تم الانتهاء من هذه الدراسة التي شارك في وضعها عدد من الخبراء القانونيين العرب ، وقام الأمين العام للجامعة بعرض هذه الدراسة على المؤتمر الذي انعقد في مدينة المنامة بمملكة البحرين في الفترة ٢٥-٢٦ فبراير ٢٠١٣ ، وهو المؤتمر الخاص ببحث إنشاء محكمة عربية لحقوق الإنسان ، حيث أوصى هذا المؤتمر بإنشاء المحكمة ، وبناء عليه عرض الموضوع على مجلس الجامعة على مستوى القمة في دورته العادية
(٢٤) وصدر القرار رقم (573) في ٢٦/٣/٢٠١٣ " ، بالموافقة على إنشاء المحكمة ، وتكليف لجنة رفيعة المستوى من الخبراء القانونيين للدول الأعضاء إعداد النظام الأساسي للمحكمة ، اجتمعت هذه اللجنة عدة اجتماعات وفر غت من عملها في إعداد مشروع النظام الأساسي للمحكمة العربية لحقوق الإنسان ، وتم عرض المشروع والذي أقره بصيغته النهائية في ٧/٩/٢٧٢٠١٤ . ونشأة المحكمة في إطار جامعة الدول العربية باعتبارها هيئة قضائية عربية مستقلة تهدف إلى حماية الحقوق الإنسانية " " .
" - الدكتور ابراهيم بدوي الشيخ ، كتابه ، المحكمة العربية لحقوق الإنسان ، دراسة في خلفية إنشاء المحكمة ومضمون نظامها الأساسي وأفاقها المستقبلية ، دار النهضة العربية ، ٢٠١٧ .
- الدكتور إبراهيم بشوي الشيخ ، ورقة عمل بعنوان " معالم رئيسية في تطور منظومة العمل العربي المشترك لتشجيع احترام وحماية حقوق الإنسان مع الإشارة إلى المحكمة العربية لحقوق الإنسان " مقدمة في ندوة تطور النظم والآليات الإقليمية لحقوق الإنسان ، أقامتها لجنة حقوق الإنسان العربية بتاريخ د منشور على الوقع الإلكترونية للجامعة العربية aspx.org/ar/Pages/default.lasportal.http://www تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/١٢/٧٢٠ الساعه ٧'١٣ ق.ظ
" - المادة (1) من النظام الأساسي للمحكمة العربية لحقوق الإنسان .
١٣
ديسمبر
٢٠١٧

وللتعرف على تكوين المحكمة وطريقة عملها والياتها التي تستخدمها في اصدار أحكامها وكذلك طريقة اختيار القضاة سندرس في هذا المطلب الذي قسمنا الى فرعين .الفرع الاول لنشاه المحكمة واختصاصاتها ، والفرع الثاني لأحكام المحكمة اما الفرع الثالث فسيكون حول اختيار القضاة
واستقلاليتهم وكالاتي : -
الفرع الاول
نشأة المحكمة واختصاصاتها " "
تنشأ في إطار جامعة الدول العربية محكمة عربية لحقوق الإنسان بوصفها هيئة قضائية عربية مستقلة تهدف إلى تعزيز رغبة الدول الأطراف ف في تنفيذ التزاماتها فيما يتعلق بحقوق الإنسان وحرياته ، وينظم تشكيلها واختصاصها وطريقة العمل بها النظام الأساسي واللائحة . " " ، اما مقر المحكمة فيكون في

مملكة البحرين في العاصمة المنامة ، واجاز النظام الداخلي للمحكمة ان تجتمع في أي دولة بموافقة مسبقة منها ، وعلى المحكمة عقد اتفاق يسمى اتفاق مقر مع الدولة المضيفة تعتمده الجمعية " " .

أما من حيث اختصاصات المحكمة فللمحكمة اختصاصان اختصاص موضوعي واختصاص شخصي ، يكون الاختصاص الموضوعي للمحكمة في حالة التنازع القضائي ، وهو حماية الحقوق المنصوص عليها في الميثاق العربي لحقوق الإنسان أو أية اتفاقية عربية أخرى في مجال حقوق الإنسان تكون الدول المتنازعة طرفا فيها " " . وفيما يخص الاختصاص الشخصي ، أي من له الحق في اللجوء إلى المحكمة أو من يمكن أن ترفع عليه دعوى أمام المحكمة ، فقد حدد النظام

45

- تجدر الإشارة إلى أنه قد صادقت على النظام الأساسي للمحكمة العربية لحقوق الإنسان حتى تاريخه ، المملكة العربية السعودية فقط ، بتاريخ 7 يونيو ٢٠١٦ ، ووقعت عليه مملكة البحرين في مارس ٢٠١٨ ، أنظر قرارات الدور 150 العادية لمجلس الجامعة على المستوى الوزاري ، سبتمبر ٢٠١٨ ص ١٧٥ منشورة على موقع الجامعة العربية http://www.lasportal.org/ar/Pages/default.aspx تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/١٢/٧٢٠ الساعة 7.15 ق.ظ

" " - المادة (٢) من النظام الأساسي للمحكمة العربية لحقوق الانسان .

41

- المادة (3) من النظام الأساسي للمحكمة العربية لحقوق الانسان .

" - المادة (16) من النظام الاساسي للمحكمة العربية لحقوق الانسان .

14

الأساسي للمحكمة أنه يحق للدولة الطرف التي يدعي أحد رعاياها أنه ضحية انتهاك حق من حقوق الإنسان ، اللجوء للمحكمة بشرط أن تكون الدولة الشاكية والدولة المشكو في حقها طرف في النظام الأساسي ، أو أن تكون قد قبلت اختصاص المحكمة " " .

وللمحكمة اختصاص إصدار آراء استشارية في أي مسألة قانونية ذات صلة بالميثاق العربي لحقوق الإنسان أو أية اتفاقية عربية متعلقة بحقوق الإنسان بناء على طلب مجلس الجامعة أو أحد المنظمات أو الهيئات التابعة لها 34 ، تسبب المحكمة ما تصدره من آراء استشارية ، ويكون لكل قاض الحق في إصدار رأي منفرد استقلالا عن رأي المحكمة 35 .

كما أجاز النظام الأساسي للمحكمة أن تقوم منظمة أو أكثر من المنظمات الوطنية غير الحكومية المعتمدة والعاملة في مجال حقوق الإنسان لدى ذات الدولة التي يدعي أحد رعاياها أنه ضحية انتهاك حق من حقوق الإنسان باللجوء إلى المحكمة " 3. وهذا اللجوء هو أمر اختياري تقرره الدولة الطرف ، فلا يكون بشكل تلقائي بمجرد أن الدولة قد أصبحت طرفا في النظام الأساسي للمحكمة بل يجب أن تبين الدولة قبولها لهذا الاختصاص لدي مصادقتها أو انضمامها إلى النظام الأساسي للمحكمة أو في أوي وقت لاحق " " .

ويكون اختصاص المحكمة مكملا للقضاء الوطني ولا يحل محله ، ولا يجوز للمحكمة أن تقبل الدعوى في الحالات التالية 38 :

1-

القضائي الوطني .

" - المادة (١٩) من النظام الاساسي للمحكمة العربية لحقوق الانسان

- ـ المادة (٢١) من النظام الأساسي للمحكمة العربية لحقوق الانسان
- المادة (٢١/٢) من النظام الأساسي للمحكمة العربية لحقوق الانسان
- المادة (١٩) من النظام الأساسي للمحكمة العربية لحقوق الانسان .
- المادة (٢٠) من النظام الأساسي للمحكمة العربية لحقوق الانسان .
** - المادة (٢٨) من النظام الأساسي للمحكمة العربية لحقوق الانسان .
عدم است نفاد طرق التقاضي في الدولة المشكو في حقها بحكم نهائي وبات وفق النظام

٢- رفع الدعوى في ذات الموضوع أمام محكمة إقليمية أخرى لحقوق الإنسان . 3- رفع الدعوى بعد ستة أشهر من إبلاغ المدعي بالحكم البات .
وقد قيد النظام الاساسي للمحكمة قدرتها في النظر على الوقائع المرتكبة قبل نفاده بالنسبة للدول المعنية 9 " ، وهو تقييد في غير محله لا نه وان كانت المحكمة من الناحية العملية غير فاعلة كحامي لحقوق الانسان ومراقب للانتهاكات التي تحدث في الدول العربية الأنه كان الاجدر ترك المجال لها للنظر في كل القضايا التي حدثت قبل وبعد نفاذ النظام الاساسي للمحكمة . كما تختص المحكمة بموجب المادة 16 من النظام الأساسي ب " كافة الدعاوى والنزاعات الناشئة عن تطبيق وتفسير الميثاق العربي لحقوق الإنسان أو أي اتفاقية عربية أخرى في مجال حقوق الإنسان تكون الدول المتنازعة طرفاً فيها " . ولقد أشارت ديباجة النظام الاساسي للمحكمة أن إنشاء محكمة عربية لحقوق الإنسان من شانه أن يساعد على تحقيق مقاصد وأهداف الميثاق العربي لحقوق الإنسان
وبالإضافة إلى الميثاق العربي ، تمدد المادة 16 من النظام الاساسي من اختصاص المحكمة إلى أي اتفاقية عربية أخرى في مجال حقوق الإنسان تكون الدول المتنازعة طرفاً فيها " ، وإلى الآن ، فإن الوثيقة العربية الوحيدة الخاصة بحقوق الإنسان هي الميثاق العربي في حين يرى البعض أن اختصاص المحكمة كان يجب أن يكون مقتصر بالأساس ، إن لم يكن بشكل حصري ، على الميثاق العربي ، بحيث تتشابه وتتسق هذه المقاربة مع النظم الإقليمية الخرى ؛ حيث يقتصر اختصاص كل من المحكمة الأوروبية ومحكمة البلدان الأمريكية على الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان وعلى اتفاقية البلدان الأمريكية لحقوق الإنسان ، وفي حين يجب أن لا يكون للمحكمة اختصاص على أحكام ومواد مواثيق أخرى ، فمن الضروري أن تقوم المحكمة حين تطبيق بنود ومواد الميثاق العربي " أو أي اتفاقية عربية أخرى " بتأويلها وتفسيرها بشكل متسق مع الالتزامات الأخرى المترتبة على الدول بموجب القانون الدولي ، بما في ذلك معاهدات حقوق الإنسان ، وحين
- ـ المادة (٢٧) من النظام الأساسي للمحكمة العربية لحقوق الانسان
١٦
4

تفسر الميثاق العربي فإن المحكمة العربية ملزمة بأدوات التفسير المرتبطة حصراً بمجال القانون الدولي ، والواردة في اتفاقية فيينا ..

الفرع الثاني

أحكام المحكمة

تصدر المحكمة أحكامها بأغلبية الأصوات في غضون ستين يوما من تاريخ انتهاء مداولاتها ، واذا كان لاحد القضاة رأي مخالف ، يتم تسجيل ذلك في وثيقة مستقلة ترفق بالحكم ، والأحكام نهائية ، تودع المحكمة الحكم متضمنا حيثيات ومسببات الحكم لدى مسجل المحكمة خلال ثلاثين يوما من صدوره ، وينحصر اختصاص تفسير أحكامه هذه المحكمة نفسها وتفصل فيما أغفلته من طلبات واحكام المحكمة تتلى علانية . ويبلغ رئيس المحكمة أطراف النزاع بها كتابة " .

أطراف

واجاز النظام الاساسي للمحكمة- في أي مرحلة من مراحل الدعوى- أن تتعاون مع النزاع بهدف التوصل إلى تسوية ودية على أساس مبادئ وقيم حقوق الإنسان وقواعد العدالة : في حالة التوصل إلى تسوية ودية للنزاع تصدر المحكمة قرار بشطب الدعوى من جدول أعمالها ، ويكتفى ببيان مختصر بالوقائع والحل الذي تم التوصل إليه ، ويبلغ القرار إلى جمعية الدول الأطراف التي تراقب تنفيذه " .

و

و يحسب المادة 31 من اتفاقية فيينا ، فإن المعاهدات يجب أن تفسر " بحسن نية ووفق أ للمعنى الذي يعطى لألفاظها ضمن السياق الخاص بموضوعها والغرض منها " . ويتطلب هذا تفسير معاهدات حقوق الإنسان بشكل يضمن فعالية الحقوق المكفولة بموجبها في الممارسة . وبالنظر لموضوع وغاية معاهدات حقوق الإنسان ومبدأ الفعالية ، فلابد ألا يتم تأويل تلك المعاهدات على منحى ضيق فقط ، وإنما يجب استعمال أفضل تفسير لحماية حقوق الإنسان . ولقد كررت المحكمة الأوروبية ومحكمة البلدان الأمريكية واللجنة الأفريقية لحقوق الإنسان الإشارة إلى هذه المبادئ ، وعملت على تأكيدها .

41

AY

- المادة (٢٠) من النظام الأساسي للمحكمة العربية لحقوق الانسان ـ المادة (٢٢) من النظام الاساسي للمحكمة العربية لحقوق الانسان .

١٧

وللمحكمة سلطة تفسير الأحكام الصادرة عنها والفصل في طلبات الإغفال التي تقع في أحكامها . تودع المحكمة الحكم متضمنا حيثيات ومسببات الحكم لدى مسجل المحكمة خلال ثلاثين يوما
من صدوره ، وتتلى الأحكام علانية ، ويبلغ رئيس المحكمة أطراف النزاع بها كتابة 43 .

اما فيما يخص تنفيذ الاحكام فيكون للحكم الذي تصدره المحكمة قوة النفاذ بالنسبة للدول أطراف النزاع ، ويجري تنفيذه فيها مباشرة كما لو كان حكما نهائيا قابلا للنفاذ صادرا من قضائها المختص . وهنا ابدى البعض قلقهم من أنه بينما ينص النظام على أن تكون أحكام المحكمة نهائية وغير قابلة للطعن ، فهو لا ينص على أية آلية للمراقبة تشرف على تنفيذ هذه الأحكام ، ولا ينص على تدابير إنفاذ في حال عدم الامتثال للحكم اذ أن البند الوحيد ذي الصلة بالمراقبة والإنفاذ هو المنصوص عليه في إطار تحضير المحكمة العربية لتقرير سنوي حول حالات عدم الامتثال للأحكام ، ويقدم هذا التقرير الذي تصدره المحكمة الى جمعية الدول الأعضاء ، لكن النظام صامت إزاء كيفية حصول المحكمة على المعلومات المطلوبة لإعداد هذا التقرير وما هي الخيارات المتاحة لجمعية الدول الأعضاء عند تلقي التقرير ورغم أن النظام ينص على ان تضع الجمعية نظاما داخليا من قبل جمعية الدول الأعضاء ، يحدد اعتماد آلية لتنفيذ

الأحكام ، فليس ثمة ما يضمن فعالية هذه الآلية ، لذلك فمن الضروري أضافة تدابير محددة للمراقبة والإنفاذ إلى النظام الأساسي نفسه " .
أحكامها بأغلبية الأصوات ، وذلك في غضون ستين يوما من تاريخ انتهاء المحكمة من مداولاتها في حالة صدور الحكم بالأغلبية ، ويكون للقاضي الذي لديه رأي مخالف أن يسجل رأيه في وثيقة
ـ المادـ (٢٥) من النظام الأساسي لمحمة حقوق الانسان العربية . ' ' - المادـ (٢٦) من النظام الأساسي لمحمة حقوق الانسان العربية . ـ المادة (٢٩) من النظام الاساس للمحكمة
ـ ينظر تقرير اللجنة الدولية للحقوقين المقدم بخصوص المحكمة العربية لحقوق الانسان ، ص 8 ، المنشور على موقعها الالكتروني org/wp-content/uploads/2015/04/MENA-.icj.https://www Arab-cour تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/١٢/٢٠
١٨
مستقلة ترفق بالحكم تكون الأحكام نهائية وغير قابلة للطعن . ويجوز للمحكمة أن تعيد النظر في ببعض الحالات بينها النظام الاساسي " 4 .
ويمكن للمحكمة أيضا وبناء على طلب مجلس الجامعة العربية او احدى منظماتها أو الهيئات التابعة أن تصدر رايا حول أي مسالة قانونية ذات صلة بالميثاق او أي اتفاقية متعلقة بحقوق الانسان

الفرع الثالث

اختيار القضاة واستقلاليتهم

تتشكل المحكمة من سبعة قضاة من مواطني الدول الأطراف ف ، ويجوز زيادتهم حتى أحد عشر قاضيا بناء على طلب المحكمة وموافقة الجمعية ، ولا يجوز أن تضم في عضويتها الأصلية أو الاحتياطية أكثر من قاض من جنسية واحدة " .
ويتم انتخاب القضاة من قبل الجمعية عن طريق الاقتراع السري من قائمة تضم أسماء المرشحين ، ويجوز لكل دولة طر ف – بناء على طلب من الأمين العام خلال مدة تسعين يوما من دخول
ـ فيما يخص هذه الحالات فقد بينت المادة (٢٧) فقد نصت على (١ - للمحكمة أن تعيد النظر في أحكامها بناء على طلب أحد أطراف الدعوى خلال ستة أشهر من إبلاغه بالحكم > 2 .يقبل التماس إعادة النظر في الأحكام الصادرة من المحكمة في الأحوال الآتية : ا إذا تضمن الحكم مخالفة لقاعدة إجرائية أساسية .
ب إذا ظهرت واقعة ذات تأثير حاسم في الحكم كان يجهلها عند صدور الحكم كل من المحكمة والطرف طالب الالتماس ، على ألا يكون جهل الطرف المذكور بهذه الواقعة ناشئا عن إهمال منه .
ج - إذا لم يوضح الحكم الأسباب التي استند عليها .
د إذا تجاوزت المحكمة اختصاصها بشكل ظاهر .
ه - إذا وقع عش أو تدليس أو تزوير كان من شأنه التأثير في الحكم .
و إذا وقع تأثير على أحد أعضاء المحكمة أدى إلى تغيير وجه الرأي في الدعوى .
ـ المادة (٢١) من النظام الأساس للمحكمة .
44
ـ المادة (5) من النظام الاساس للمحكمة العربية لحقوق الانسان -

١٩

EA

النظام الأساسي حيز النفاذ – أن تقدم مرشحين اثنين من مواطنيها . ويقع الاختيار على المرشحين الذين يحصلون على أعلى الأصوات من قائمة المرشحين كقضاة أصليين . أما إذا حصل أكثر من مرشح على عدد متساو من الأصوات ، فيصار الى اعادة عملية التصويت استبعاد المرشحون الذين حصلوا على أقل الأصوات عددا في كل جولة وتقوم الجمعية بوضع قضاة احتياطيين من بين المرشحين غير المنتخبين كقضاة أصليين مرتبين حسب عدد الأصوات التي حصلوا عليها " * .

ويشترط في المرشحين أن يكونوا من الشخصيات المشهود لها بالنزاهة والالتزام بالقيم الأخلاقية العالية ، إضافة إلى الكفاءة والخبرة في مجال العمل القانوني أو القضائي ، وأن تتوافر فيهم المؤهلات المطلوبة للتعيين في أعلى المناصب القضائية أو القانونية في دولهم ويفضل من لديه خبرة في مجال حقوق الإنسان " .

وتحدد ولاية القضاة لمدة أربع سنوات ، ويجوز إعادة انتخابهم لولاية ثانية غير قابلة للتجديد وبالنسبة للقضاة الأصليين الذين تم انتخابهم في أول انتخابات ، تنتهي مدة ولاية ثلاثة منهم بعد انقضاء سنتين . يقع عليهم الاختيار بواسطة قرعة يجريها رئيس الجمعية – أو من ينوب عنه – وذلك فور الانتهاء من الانتخابات مباشرة " .

إن فترة الولاية تعد من الضمانات الأساسية لاستقلالية وحياد القضاة وتعتبر اللجنة الدولية للحقوقيين أنه من الغير المناسب خضوع القضاة لمسألة تجديد الانتخاب لولاية ثانية ، لا سيما في المحاكم الدولية . وانه من الافضل أن يتم انتخاب القضاة لفترة ولاية واحدة مطولة . هذه المقاربة تعكس توجه الممارسات الفضلى التي تنتهجها المحاكم الدولية ، كما ورد في نظام المحكمة الجنائية الدولية ، وفي نظام المحكمة الأوروبية باعتبار إن فترة الولاية الواحدة المطولة تحد من التدخلات والتأثيرات بغير وجه حق في عملية انتخاب القضاة ، ومن ثم تمكنهم من ممارسة

" ـ المادة (6) من النظام الأساس للمحكمة العربية لحقوق الانسان .
" - المادة (7) من النظام الأساس للمحكمة العربية لحقوق الانسان .
" - المادة (8) من النظام الأساس للمحكمة العربية لحقوق الانسان .

قائمة

مهامهم القضائية بشكل مستقل ، بحيث يجب ألا يوضع القاضي في موضع الفصل في أمر سلوك الدولة التي سوف يعتمد عليها في تجديد فترة ولايته

اما فيما يخص الضمانات المقدمة للقضاة اثناء فترة ولايتهم فيتمتع أعضاء المحكمة بمناسبة أداء أعمالهم بذات الامتيازات والحصانات الممنوحة لممثلي الدول الأعضاء لدى جامعة الدول العربية

بمقتضى اتفاقية مزايا وحصانات جامعة الدول العربية ، وتعفى مكافآتهم وما يستحقونه من مخصصات أخرى من كافة الضرائب ، كما يتمتع مقر المحكمة ومبانيها وموظفوها ووثائقها بذات المزايا والحصانات الممنوحة لجامعة الدول العربية وموظفيها ** .

ويباشر القضاة مهامهم بحيدة واستقلالية ، ويكونون في خدمة المحكمة في أي وقت ولا يجوز - بأي حال من الأحوال وفي أي وقت حتى بعد انتهاء مدة ولايتهم – محاسبة القضاة على الآراء التي أبدوها أو القرارات التي اتخذوها طوال فترة ولايتهم . ويمنع على القضاة مزاولة أعمال أو نشاطات قد تتداخل مع أو تؤثر على حيدتهم أو متطلبات وظيفتهم .ولا يجوز للقاضي أن ينظر في مسألة كان قد سبق له التعامل

معها كوكيل أو محام أو مستشار لأحد الأطراف ، أو كعضو في محكمة داخلية أو دولية أو في لجنة تحقيق أو تحكيم أو بأي صفة أخرى . وفي حالة الشك يكون للمحكمة سلطة اتخاذ القرار في هذا الشأن . ولا يتم إعفاء القضاة وإنهاء ولايتهم إلا بموافقة بقية القضاة أن قاض من بينهم لم يعد يفي بمقتضيات وظيفته ومتطلباتها أو مستوفيا للمعايير التي اختير على أساسها ** .

- تقرير اللجنة الدولية للحقوقين المقدم بخصوص المحكمة العربية لحقوق الانسان ، ص ١٢ ، المنشور على موقعها الالكتروني org/wp-content/uploads/2015/04/MENA-.icj.https://www Arab-cour تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/١٢/٢٠

- المادة (9) من النظام الأساس للمحكمة العربية لحقوق الانسان . " - المادة (15) من النظام الأساسي للمحكمة العربية لحقوق الانسان .

٢١

٥٣

الخاتمة

بعد أن بحث في موضوع محاكم حقوق الانسان واخترنا لدراستنا المحكمة الأفريقية لحقوقك الانسان والشعوب والمحكمة العربية لحقوق الانسان استطعنا التوصل الي بعض النتائج من خلال رحلة البحث في هذا المجال وندرجها في ادناه :

اولا : النتائج

1 - هناك محاولة من المنظمة الأفريقية والجامعة العربية لمحاكاة مثيلاتهم في العالم بأنشاء محاكم اقليمية متخصصة للدفاع عن حقوق الانسان ، تعمل على نهج المحاكم التي نشأة في أوروبا والدول الأمريكية .

٢٢

٢ - لم نجد لهذه المحاكم أي فاعلية حقيقة على ارض الواقع في الدفاع عن حقوق الانسان العربي أو الافريقي بشكل يمكن ان يكون علامة فارقة ونقطة تحسب لهما كمحاكم اتخذت دورها الحقيقي في حماية حقوق الافراد في المنطقة العربية أو القارة الأفريقية .

3 - وجدنا أن المحكمة الافريقية لحقوق الانسان والشعوب هي محاولة اكثر جدية من مثيلتها العربية عند ملاحظة الية التشكيل وطريقة اختيار القضاة والاجراءات المتبعة في المحكمة والتي جاءت منسجمة مع المواثيق والصكوك الدولة التي صدرت لحماية حقوق الانسان وحرياته المختلفة

4 - اغلب دول الجامعة العربية لم تمتلكها الحماسية في تشكيل المحكمة وكان تأسيس المحكمة بشكل بعيد عن الشفافية ولم يتم اشراك فيه منظمات المجتمع المدني او بعض المنظمات الدولية الفاعلة في هذا المجال .

ثانيا : المقترحات

1 - نوصي بتفعيل دور المحكمة العربية لحقوق الانسان ، لأجل حماية حقوق الانسان العربي وحرياته وتحقيق الهدف الذي انشات لأجله

٢ - نوصي ان يكون تعيين القضاة بصفتهم الشخصية لا ان يكون ترشيحهم كممثلين للدول التي يمتلكون جنسيتها ، وان يتم مراعاة الكفاءة والخبرة في هذا الجانب .

٣ - نوصي بان لا يكون تعيين القضاة محصور في من شغل صفة قاضي في الدولة التي ينتمي لها بل بالإمكان ان يكون اعضاء المحكمة من أساتذة القانون الدولي الانساني او ممن لهم الخبرة الطويلة في مجال حقوق الانسان .

المصادر

اولا : الكتب

1 - الدكتور ابراهيم بدوي الشيخ ، كتابه ، المحكمة العربية لحقوق الإنسان ، دراسة في خلفية إنشاء المحكمة ومضمون نظامها الأساسي وآفاقها المستقبلية ، دار النهضة العربية ، ٢٠١٧

ثانيا : البحوث

1 - الدكتور إبراهيم بدوي الشيخ ، ورقة عمل بعنوان " معالم رئيسية في تطور منظومة العمل العربي المشترك لتشجيع احترام وحماية حقوق الإنسان مع الإشارة إلى المحكمة العربية لحقوق الإنسان " ، ٢٠١٧

ثالثا : الانظمة الاساس والمواثيق

1 - الميثاق الافريقي لحقوق الانسان

٢ - البروتوكول الملحق بالميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب .

3- النظام الداخلي للمحكمة الافريقية لحقوق الانسان والشعوب .

4 - الميثاق الافريقي لحقوق الانسان

5 - النظام الأساسي للمحكمة العربية لحقوق الإنسان .

رابعا : المواقع الالكترونية

٢٥

https://www.fidh.org/IMG/pdf/african_court_guide1-pd.

https://hrlibrary.005a/arab/edu.umn.html

/https://ar.african-courtorg.

http://www.lasportal.org/ar/Pages/defaultaspx.

https://www-wp/org.icj.

content / uploads / 04 / 2015 / MENA - Arab - cour

YT

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

موقف الرأي العام الأمريكي من قضية الانضمام إلى عصبة الأمم (1919 -1923)

أ . د . محمود شاكر حميد
الباحث : عبد الرحمن جبار شرهان
جامعة ذي قار / كلية الآداب

الخلاصة :
كان لسياسة العزلة التي انتهجتها الولايات المتحدة الامريكية أساسا لسياستها الخارجية بعد الاستقلال وتركت اثرا واضحا على الراي العام الأمريكي بخصوص قضية الانضمام الى عصبة الأمم فمع ان الولايات المتحدة شاركت في الحرب العالمية الأولى عام 1917 وكان لمشاركتها اثر مهم في نتائج الحرب الا ان راي العام الأمريكي بعد الحرب انقسم بين مؤيد للانخراط في شؤون الدولية تحت مظلة عصبة الأمم وبين معارض وداعي الى العودة وتمسك بسياسة العزلة، وقد شكّلت العلاقة بين السياسة الخارجية الأمريكية والرأي العام الداخلي واحدةً من القضايا الجدلية في النظام السياسي للولايات المتحدة، التي أنتجت سياقًا للتباين بين صانعي القرار وقطاع عريض من الرأي العام.

المقدمة :
يعد تأثير الرأي العام في السياسات الخارجية للدول العظمى تأثيراً مهماً، ويولي صنّاع القرار السياسي الخارجي اهتماماً بالغاً للرأي العام كونه يرتبط بعلاقة دائمة مع الحكومة ، ومع ان العلاقة معقدة بين أصحاب القرار والرأي العام ، إلا أنه يمكن القول أن تأثيره يختلف بحسب الظروف و قوة المواقف ، فقد تظهر بعضها بشكل ايجابي حاسم ، وتظهر في بعضها الآخر على نحو أقل إيجابية، او قد يكون تأثيرها محدودا نتيجة وجود راي عام معاكس. ويعد موضوع موقف الراي العام الأمريكي من قضية عصبة الأمم مثال تاريخي مهم لمتابعة الراي العام وتأثيره على قضية كانت مثار جدل وخلاف بين الإدارة الامريكية برئاسة ودرو ولسن والكونغرس ولأهمية الموضوع سعينا لتسليط الضوء على موقف الراي العام الأمريكي بصورة موجزة وتم اختيار عام 1919 بداية للبحث لأنه العام الذي اعلن فيه تأسيس عصبة الأمم خلال مؤتمر فرساي وفي ذات العام قدمت القضية الى الكونغرس للموافقة او رفض معاهدة فرساي وميثاق عصبة الأمم وبعد جلسات وجدال طويل رفض الكونغرس المعاهدة والميثاق واختتم البحث عام 1923 لأنه عام نهاية حكم إدارة الرئيس وارن هاردينغ الذي تأثرت اداراته بقضية الانضمام الى عصبة الأمم وكان للراي العام دورا اثارة القضية بين الفينة والأخرى رغم رفض الكونغرس الانضمام عام 1920. قسم البحث الى مبحثين اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر المتنوعة التي اغنت الدراسة بالمعلومات الكافية.

Abstract:
Although the United States participated in the First World War in 1917 and its participation had an important impact on the outcome of the war, the American public opinion after the war was divided between those who were in favor of engaging in international affairs under the umbrella of the League of Nations and those who opposed and advocated return and adhered to the policy of isolation. The relationship between American foreign policy and domestic public opinion was one of the controversial

issues in the United States political system, which produced contrasts between decision makers and a broad sector of public opinion.

المبحث الأول :موقف الرأي العام الأمريكي من رفض الكونغرس الانضمام إلى عصبة الأمم (تموز 1919 - كانون الأول 1920).

واكبت الصحافة وعدد من المؤسسات السياسية الامريكية التطورات المتلاحقة والصراع القائم بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية فيما يخص قضية الانضمام الى عصبة الأمم ومعاهدة فرساي. وتفاوتت مواقف الراي العام الأمريكي بين مؤيد ومعارض إزاء هذا الصراع ، وكان واضحا ان صوت المعارضة للانضمام كان عاليا ليس في أروقة الكونغرس بل تعداه الى الصحافة التي ناقشت هذه القضية من كل جوانبها الإيجابية والسلبية . وأكدت صحيفة (The Nation) في مقالة صحفية في بداية تموز عام 1919 , بأن راي العام الأمريكي منقسم وان اصرار هنري كابوت لودج ومؤيديه على عدم التصويت للمعاهدة دون أجراء التعديلات عليها , خلق جوا سياسيا مشحونا بالتحدي والعناد بين الرئيس ولسن والكونغرس [1].

تزايدت أهمية مكانة ورأي الشعب الأمريكي مع تزايد اصرار ولسن على إقرار المعاهدة , فبدأ في 3 أيلول عام 1919 رحلة عبر البلاد بسلسلة من الخطابات في انديانا بوليس ثم يعود بالساحل الجنوبي , وبذلك يمر بكافة أرجاء البلاد , إلا أنه سرعان ما تبين له انه لم يحض بالاستقبال الذي كان ينتظره , ولم يوقظ حماس الناس للعصبة , كما ان الاجتماعات مخيبة للآمال , لذا أخذ على عاتقه زيادة حماس الرأي العام الأمريكي , وجعله يقف إلى جانبه , وقد أثبت ولسن أنه قادر على أيقاض الرأي العام من خلال ألقاء سلسلة من الخطابات التي امتزجت بالدعوات الدينية , لكسب دعم وتأييد الكنيسة , وخلالها دافع عن بنودة الأربعة عشر بقوة د ما أسماه محاولة أعادة اوروبا إلى ما قبل الحرب , وكان يرى ان بإمكانه تعبئة الرأي العام العالمي لقضيته المصيرية على الرغم من الاختلافات بين القوى المتحالفة , كما أنه قلل من أهمية وجهات النظر المتزعزعة لقادة الوفاق الودي رغم قبولهم بنوده الأربعة عشر , وكانت حصيلة هذه الخطابات أن أصبح الشعب الأمريكي يفهم الأسئلة التي ينبغي البت فيها , وخاصة القضايا الرئيسية التي تنطوي عليها المادة (10) من المعاهدة وحق المساواة التصويت , كما بدأت تظهر بعض التصريحات في بعض الصحف للتعبير عن اراءهم في العصبة[2].

علقت جريدة نيويورك تايمز على اجتماع ولسن بلجنة العلاقات الخارجية المنعقد في منتصف آب عام 1919 , موضحه وجهة نظر محرر الصحيفة , حول ان المؤتمر الذي جمع بين الرئيس ولسن وأعضاء لجنة الشؤون الخارجية , وتبنى محرر الصحيفة وجهة نظر الإدارة الأمريكية فيه حتى أنه أشار في نهاية تعليقه إلى ان المعارضة الجمهورية في مجلس الشيوخ قد فقدت رونقها جراء اجابات ولسن على كافة أوجه النقد التي وجهها ممثلوها إلى المعاهدة بشكل عام ولبنود ميثاق العصبة على وجه التخصيص , مضيفاً إلى ان السلطة التنفيذية قد برزت بجلاء الحاجة الماسة للتوصل إلى صيغة فعالة وحاسمة لإقرار السلام والعدل على كافة الأصعدة الدولية , وأختتم تعليقه بالقول : "قد يتردد مجلس الشيوخ , إلا ان البلاد لن تخالها لخطة شك واحدة[3].

كتب جيمس م. بيك[4] (James M. Peake) في (The American Review) مقالة تناولت العصبة بالتفصيل ومدى تأثيرها على اوروبا وأمريكا وعدها وسيلة للكراهية والقمع , وسوف تؤدي إلى خلق الكراهية والعنف , وان الشعب الأمريكي كان يمكن ان يؤيدها , إلا ان الصيغة الالزامية التي حملتها بعض المواد الخاصة بالالتزامات العسكرية الخارجية , جعل الرأي العام يقف بالضد منها , وتسائل عن سبب تأييد بعض أعضاء مجلس الشيوخ لها وأصرارهم على التصويت لها ؟ وهل كلن لبريطانيا دور في ذلك ؟ وجاء ذلك في مقالة نشرها في منتصف أيلول عام 1919 , ليكتب بعدها مقالة اخرى في مجلة كانساس ستي جورنال (Kansas City Journal) , إذ هاجم فيها بنود الميثاق , وأدعى أنها ترمي إلى زج الجيش الأمريكي في الحروب بعد ان فشلت بريطانيا وفرنسا في المحافظة على السلام الدولي ولخشيتهم من نزاعات دولية اخرى في المستقبل[5].

توالت الانتقادات التي تناولت العهد , وقد تركزت هذه الانتقادات على بنود المعاهدة , وكان أكثر من تناولها أساتذة الجامعات الأمريكية ومحرري الصحف والمثقفين , وكانت هذه الانتقادات قد اتضحت أكثر فأكثر خلال المدة الممتدة بين شهري تموز وتشرين الثاني عام 1919 , أي المدة التي ناقش فيها مجلس الشيوخ المعاهدة , ومن هذه الانتقادات ما كتبه بيبر (Paber) , إذ حث خلاله على وضع حد محدد للمادة (10) من خلال الزام الولايات المتحدة الأمريكية بفرض المعاهدة وليس العهد , وهو ما أيده كل من تيلر وهيوز الذين كانا يدعوان إلى إزالة كل ما من شأنه أجبار الشعب الأمريكي على خوض الحروب دون تفويض من قبل الكونغرس[6], كما طالب توماس ار وايت (Thomas R. White) وهو محام محترف من بنسلفانيا بتعديل المادة (11) , لضمان الاستقلال السياسي الأمريكيتين من خلال الاحتفاظ بمبدأ مونرو , ودعا المحكمة العليا الأمريكية إلى بيان موقفها بعدم التزام الأمة الأمريكية بأي شيء دون موافقتها , وان يتم منح الولايات المتحدة الأمريكية الحق في الانسحاب الفوري من العصبة دون أي شروط أو قيود , وهو ما عده وايت أفضل ضمانة للتصويت ووقوف الرأي العام إلى جانب العهد , إذ أنه سيتخلص من سيطرة بريطانيا وفرنسا , ويتخذ شكل العهد المكتوب يوفر الية التشاور والمناقشة دون وجود أي صيغة للإكراه في الاشتراك بأعمال عسكرية دولية , إلا ان اقتراحات وايت نفسه قد تعرضت للانتقادات[7], إذ أعرب موقع (World's Work) عن أسفه من مطالبات وايت وغيره ممن طالبو بتعديلات أثقلت المعاهدة وجعلتها تتجاوز الحد المطلوب , مما جعل العصبة أضعف من ان تمنع الحرب , وذلك بسبب غياب الطابع الالزامي وعدم رغبة هؤلاء بأستخدام الجيوش للوقوف بوجه الاعتداءات الخارجية التي من شأنها ان تؤدي إلى نزاعات تؤدي في اخر الأمر إلى نشوب حروب عالمية جديدة[8].

حاولت صحيفة نيويورك تايمز جذب الايرلنديين إلى جانبها من خلال نقل وجهة نظر السيناتور ار ال اوين[9] (R. L. Owen) , قوله بأن الايرلنديين يجب ان يدركوا التأثير الهائل الذي يجب ان تقوم به الرابطة , وان ايرلندا سوف تستفيد من ذلك في الحصول على استقلالها بدلاً من استمرار سيطرة بريطانيا عليها , وهو ما عد بمثابة تأليب منه للايرلنديين الأمريكان للوقوف ضد بريطانيا , وبالتالي مساندة الولايات المتحدة الأمريكية في إقرار العصبة على ضوء ما تراه مناسباً لها بعد أجراء التحفظات الضرورية[10], وقد أيد وايت في تصريح أعلن في 2 تشرين الأول عام 1919 : أن ذلك سوف يمنحهم الوقت الكافي لتهدئه المشاعر وحساب التكاليف , وليظهر تأثير ذلك على المجتمع الأمريكي المعارض للحرب , لأن من شأن أجراء بعض التحفظات وإزالة سوء الفهم , وعلاوة على ذلك فأن تحليل العهد قد يمكن الولايات المتحدة الأمريكية من تجاهل المادة (10) في حالة وقوع خروقات تمنع تطبيقها , وشدد على أن الكونغرس يجب ان لا يخفي أي بند من البنود , لأن ذلك يضلل الرأي العام ولا يمنحه الفرصة للتعبير عن رأيه بحرية وتقرير مصير البلاد , كما شدد على ضرورة ان يكون لدى الولايات المتحدة الأمريكية ممثل في المجلس ليتمكن من تمثيل وجهة نظر بلاده بصورة جيدة , وحاول خلال تصريحه التعبير عن وجهة نظره في المادة (10) والتدخل في الحرب , فقد نوه ان مجلس النواب يتصرف وفق مبدأ الأجماع , ومن غير الممكن ان يرسل جيوش بلاده لتحقيق غايات عدائية , وهكذا فأن المادة (10) وسعت عقيدة مونرو وجعلتها أوسع[11].

لاحظت مجلة وورلد ووركس (World Work) في عددها الصادر في 10 تشرين الأول عام 1919 , ان مجرد اجتماع ممثلي (45) دولة , وعلى فترات زمنية محددة سيكون له تأثير على تجارة واقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية , إذ ان بالإمكان جعل أمريكا القوة المالية المهيمنة في العالم , وانها على استعداد للقيام باستثمارات أجنبية , وان بإمكان العصبة جعل هذه الاستثمارات أكثر أمناً , لذا فأن النظر في العصبة سوف يصبح قضية مهمة من كافة النواحي للبلاد , وعد ان عرض ولسن للمعاهدة والميثاق على مجلس الشيوخ بمثابة منح الفرصة للنظر فيها بشكل مفصل داعية الشعب الأمريكي إلى فحص العهد والميثاق بالاطلاع على كافة التفاصيل والتصويت عليه[12].

أكدت صحيفة نيو ريبوبلك ان من غير الممكن إعطاء السلطة لأي منظمة دولية سواء عصبة أو أي شيء اخر , وان تلزم الولايات المتحدة الأمريكية بأي اجراءات , لأن العصبة هي التي تحتاج الولايات المتحدة الأمريكية وليس الولايات المتحدة الأمريكية من تحتاج العصبة , لذا يجب ان تملي الولايات

المتحدة الأمريكية ما تراه ضرورياً من شروط , وقد أشادت الصحيفة بتقرير لجنة الشؤون الخارجية الصادر في تشرين الثاني عام 1919 , الذي ضم التحفظات , إذ أنه سعى إلى ألغاء الضمانات الأمريكية والواجبات التي يجب على الولايات المتحدة الأمريكية الالتزام بها لإدارة المعاهدة مع ألمانيا , إذ ان التعديلات التي وضعتها اللجنة من شأنها أعادة أحياء السلام الاوروبي وليس إخضاع اوروبا الوسطى , وبذلك تصبح وكالة للنظام العالمي وليس أداة لتحقيق غايات عدوانية.[13]

وفي 24 تشرين الأول عام 1919 اعربت النيويورك تايمز عن تأييدها لما جاء به ماكمبر من انتقادات , إذ أدعى ان التعديلات تمنع الولايات المتحدة الأمريكية من الانضمام إلى العصبة , واتفقت التايمز مع تقرير ماكمبر بأن التعديلات أنانية وغير اخلاقية , تهدف إلى عزل الولايات المتحدة الأمريكية عن العالم , وايدتها مجلة اوت لوك (Outlook) في ان أي اقتراح يمنح الولايات المتحدة الأمريكية ستة أصوات في الجمعية يعني رفضاً للعصبة , وعدت ان الكثير من الأمريكان يرغبون بالانضمام إلى العصبة , لأن الولايات المتحدة الأمريكية ستفي بالتزاماتها للعالم , كما انها لها دور حيوي يجب القيام به للحفاظ على الهدوء في اوروبا[14].

ألتقى هوفر بمجموعة من أعضاء هيئة التدريس في 25 تشرين الأول عام 1919 في جامعة ستانفورد , وخلال لقاءه أكد ان بإمكان الولايات المتحدة الأمريكية ان تساعد في توجيه العالم نحو السلام الدائم أو البقاء بعيداً , وتشيع الحرب وحذرهم من ان مستقبل العالم في خطر ودعاهم إلى مسانده ولسن من أجل الانضمام إلى العصبة للعمل على تحقيق التعاون الدولي لحل المشاكل وتحقيق السلام , وقد تفاعل معه عدد كبير من الاساتذة والطلاب الحاضرين الذين أكدوا على أنهم يؤيدون ما جاء به ولسن شرط ان لا يتنافى مع مصالح البلاد ولا يعد خرقاً لمبدأ مونرو[15].

عكست التوجهات عشية التصويت على المعاهدة مداً متنامياً لصالح الانضمام للعصبة , فقد وقع ما يقارب (14) ألف ممثل عن الهيئات الدينية الرئيسية في الولايات المتحدة الأمريكية على التماس يطلب التصديق العاجل على معاهدة السلام , بما يتضمنه من ميثاق عصبة الأمم دون أي تحفظات أو تعديلات تتطلب أعادة فتح ملف المفاوضات مرة اخرى , ومن ناحية ثانية أعربت العديد من الجمعيات والهيئات المدنية عن دعمها للميثاق بشكله الراهن أو مع وجود بعض التحفظات التفسيرية , حتى ان السيناتور هيتشكوك قدم إلى مجلس الشيوخ قائمة تضم (104) منظمة من ولاية كاليفورنيا تؤيد الانضمام إلى العصبة , على ان الصورة الشاملة للرأي العام الأمريكي لم تضم فقط تلك القطاعات المؤيدة بشكل أو باخر , بل ضمت قطاعات معارضة للمعاهدة , إذ بدأ ينتشر في عدة ولايات شعور جارف بالقومية مقابل الانخراط في الشؤون الدولية خاصة ولاية شيكاغو وولايات الغرب الأوسط[16].

وفي الوقت الذي كان فيه مجلس الشيوخ يعقد جلساته في تشرين الثاني عام 1919 , وانتهجت برفض الميثاق , وكانت هنالك بعض المنظمات التي نشطت في التعبير عن اراءها , ومنها غرفة التجارة في كليفلاند التي ضغطت على الهيئة التشريعية في برقية مؤرخة في 20 كانون الأول عام 1919 , وعبرت من خلالها انه وبعد استبعاد اقليات أمريكية ليست بالمؤثرة , إذ يرغب الشعب الأمريكي في تكوين رابطة أمم لتعقبها رسائل اخرى من عدة غرف تجارية منها غرفة التجارة في الولايات المتحدة الأمريكية التي أرسل رئيس مجلس ادارتها رسالة حث فيها الرئيس وأعضاء مجلس الشيوخ على اتخاذ قرار فوري بشأن المعاهدة مع ألمانيا , واقرار ميثاق عصبة الأمم مع مراعاة التحفظات الممكنة , أما لجنة الاصلاحات السياسية في نادي اتحاد الدوري في نيويورك , فقد اعلنت ان العصبة في شكلها الحالي لا يمكن قبولها , وعليه من غير المسموح للحزب الجمهوري بإقرارها بصيغتها الحالية مع أن اللجنة طالما عرفت بتأييد قيام عصبة الأمم , ولكن الأمر تغير ليس من ناحية مبدأ , وإنما من ناحية صياغة الميثاق[17].

أما رجال المال الأمريكان فقد مارسوا ضغوطاً متزايدة وعلى مستويات متعددة للتوصل إلى تسوية بين الرئيس ولسن والقادة الجمهوريين في مجلس الشيوخ , حتى ان السيناتور الديمقراطي اندروود (Under Wood) أتخذ من التعليقات السابقة ذريعة منطقية تعبر عن قطاعات شعبية واسعة لاقتراح تشكيل لجنة للتوصل إلى نسخة توفيقية للقرار التشريعي الخاص بالتصديق على المعاهدة[18].

ما ان بدأ عام 1920 حتى شهد تزايداً ملحوظاً في الاجتماعات والندوات لمناقشة أمر العصبة , ومن هذه الاجتماعات الاجتماع الذي عقده في مدينة بويبلو (Pueblo) في كلورادر في 2 كانون الثاني عام 1920 , وفيه تم اتخاذ عدد من القرارات التي تم صياغتها في شكل أعلان , إذ جاء فيه : "في حين ان من الواضح ان هناك جهوداً قوية تبذلها أطراف لا تتوافق مصالحها مع النزعة الأمريكية , لغرض حل وسط عند تبني عصبة الأمم , وقرر مواطنو بويبلو أنهم يعارضون أي حل وسط يغير أو يعدل تحفظات مجلس الشيوخ بأي شكل من الأشكال , وان يتم تبني قرارات نوكس للسلام[19].

وكان لموقف كل من الحزبين المتنافسين أثراً فاعلاً في الاستجابة للرأي العام الأمريكي , بينما عبر العديد من الأعضاء الديمقراطيين عن قناعتهم بأهمية الاستجابة للآراء التي تسود الشارع الأمريكي , وذهبت قيادة الحزب الجمهوري مذهباً اخر , إذ كتب السيناتور لودج مطلع عام 1920 قائلاً : "ان انحياز الرأي العام للتوصل إلى تسوية ميثاق عصبة الأمم لا يعد أمراً ذي شأن بالنسبة لي" , مضيفاً أن الرأي الذي يسود القطاعات المختلفة للشعب الأمريكي يعد قاصراً من الناحية المعلوماتية , وبالتالي فأن أعضاء مجلس الشيوخ يجب ان لا يعيروه اهتماماً , لأنهم أكثر تعمقاً من الجوانب المختلفة للقضية , أما السيناتور بورا فعلى الرغم من أنه أعرب في أكثر من مناسبه عن أهمية الرأي العام في دعم أو اتخاذ توجه محدد للسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية , إلا أنه في قضية عصبة الأمم فقد أشار أنه ليس عليه التزام قطعي لاتخاذ مواقف تنطلق من التوجهات التي عليها الرأي العام , مدعياً أنه تلقى عدد متساوياً من البرقيات المؤيدة والمعارضة للقضية , وبالتالي فأنه عمد إلى تبني رؤية تتفق مع آراءه ومعرفته الشخصية أو بمعنى أكثر دقه توجهاته الحزبية , وعلى الرغم من ان تلك المواقف الجمهورية القيادية من الرأي العام يحللها البعض على أنها لا تنبع من عدم قناعتهم بأهمية الرأي العام بل بالأحرى من تبينهم لرؤية ترى ان حجم وعمق معرفتهم يتفوق بمراحل عن التي للرأي العام , إلا ان ذلك من ناحية اخرى يشير ضمناً إلى قبل نسبة مؤثرة في الرأي العام الأمريكي لانضمام الولايات المتحدة الأمريكية إلى شكل من أشكال المنضمات الدولية للعمل على استقرار السلام العالمي والعمل على فض النزاع الدولي بصورة سريعة وحاسمة , ومن ناحية اخرى فأن أتهام السيناتور لودج للرأي العام بالقصور المعلوماتي يعد أتهاماً للأحزاب السياسية القائمة بما فيها الحزب الجمهوري , إذ ان أحد الأهداف الأساسية للأحزاب السياسية في ظل الانظمة الديمقراطية هو التثقيف السياسي للقطاعات الشعبية المتخلفة , بما يضمن مشاركتها في صناعة القرار السياسي على كافة الأصعدة , وعلى وجه الخصوص القضايا الخارجية الشائكة , وبالتالي فأن لودج يحيد ما ذهب إليه الرأي العام من منظومة صناعة القرار , ويكتفي بعنصرين رئيسين فقط في هذا المقام , وهما السلطة التنفيذية التي تمثلها الإدارة الأمريكية , والسلطة التشريعية وتحديداً مجلس الشيوخ في تلك الحالة[20].

تواصلت الاجتماعات التي عقدتها الجمعيات الأمريكية , فاعتمدت رابطة التعريفة الوقائية الأمريكية في اجتماعها السنوي في نيويورك في 22 كانون الثاني عام 1920 تحث على الإعلان الفوري للسلام مع ألمانيا , وان العصبة تعارض بشكل قاطع ميثاق عصبة الأمم بصيغته المعروضة حالياً , لأنها تهدد كيان واستقلال الولايات المتحدة الأمريكية , وكان لموقف هذه الرابطة أثره في نشاط منظمات أمريكية اخرى , ودعت إلى الوقوف بوجه الميثاق , ومن هذه المنظمات منظمة المرأة الأمريكية المعارضة لعصبة الأمم , ولجنة رجال الأعمال الأمريكان , وقد تم تشكيل المنظمة الأخيرة بعد هزيمة المعاهدة في تشرين الثاني عام 1919 , وكان الهدف منها تنظيم معارضة رجال الأعمال الأمريكان , وقد أعلنت اللجنة عن بدأ نشاطاتها بإقامة مأدبة طعام في 19 كانون الثاني عام 1920, وحضرها (1000) شخص , وكان الهدف منها تكريم ودعم الشيوخ الذين وقفوا إلى جانب لودج ولم يسمحوا بتمرير الميثاق[21].

في كل البيانات والقرارات والالتماسات الموجودة في سجلات الكونغرس من الواضح انه تم ممارسة ضغوط كبيرة على المشرعين لاتخاذ اجراءات , ففي مقال نشرته نيويورك صـــن (New York Sun) فـــي 27 كانـــون الثاني عام 1920 اعترض فيه البروفسور فيليب مارشال براون[22] (Philip Marshall Brown), استاذ القانون الدولي في جامعة برينتون على العصبة الذي سجل احتجاجه ضد ما اسماه بالأكرة الاخلاقي المنظم الذي يمارس على مجلس الشيوخ في وقت يجب ان يحظى المجلس

بالاحترام الأكبر في ممارسة أهم المشاعر الممتعة , وهي سلطات ابرام المعاهدات , ووصف الضغط الذي لاقاه المجلس بأنه أكثر عذراً وخطورة , إذ ان ذلك يمنعه من ممارسة صلاحياته تجاه الشعب الأمريكي لحماية المصالح الوطنية , مشيراً إلى ان الهدف الأساسي للمشاعر الشعبية هو تحقيق سلام سريع وإزالة الغموض الذي اعترى بنود المعاهدة ليستطيع الرأي العام تأكيد نفسه وفهم طبيعة الالتزامات التي يتطلب تحملها[23].

وبعد تصاعد وتيرة المعارضة لها خرج عدد من انصارها للدفاع عنها , فقد أعلن اتحاد العمل الأمريكي في نهاية كانون الثاني عام 1920 أنهم ورغم عدم أخراجهم أي مرشح من عدد أعضاءهم البالغ (4) مليون , لكن المنظمة تؤيد عملياً برنامج الحزب الديمقراطي , وقد أعلن صموئيل جومبرز[24] (Samuel Gompers) , ان البرنامج الديمقراطي يتوافق مع أعلان الاتحاد الخاص بحقوق الإنسان أكثر من توافقه مع البرنامج الجمهوري[25].

أما الكنائس فقد عبرت هي الأحزاب عن رأيها , وأعلن المجلس الفدرالي للكنائس المسيحية في أمريكيا قرارات تؤيد عصبة الأمم , وتدعو وزراء وكنائس الأمة للممارسة كل تأثير ممكن على الرئيس ومجلس الشيوخ , لتأمين التصديق الفوري مع التحفظات الضرورية لحماية وتأمين دستور الولايات المتحدة الأمريكية , وقدم هاملتون هولت[26] (Hamilton Hot) , ملخصاً للتسجيل في العصبة في مقالة نشرت في نيويورك وورلد (New York World) , ذكر فيه : ان المسح الشامل الذي اجرته الجامعات بدعم وتشجيع من الكنيسة لاستحصال موافقة طلاب الكليات نال نتائج مرضية , وأدى إلى تسوية الخلافات التي من شأنها تسهيل الحصول على دعم وتأييد الانضمام للعصبة , وقد عبروا عن انفسهم من هلال دعم ولسن , وعد ان عمله أكثر رجولة من لجنة العلاقات الخارجية , وان التصويت يتناسب مع الحكم الناضج للكليات مع مثالية التعليم الجامعي , وعملوا على دعمه من خلال أجراء استطلاع بالبطاقات البريدية للجنود والبحارة العائدين من مساتشوستس بأشراف السيد فرانك , وأظهرت نتائجه عن اتحاد العمل الأمريكي , ومن يؤيده ونادوا بالانضمام للعصبة , وبأصوات بلغت (29) الف صوت[27].

فيما أجرى اتحاد السلام الكنسي استطلاعاً على مستوى الأمة من بروتستانت وكاثوليك ويهود , وقد اظهرت النتائج ان (17309) يؤيدون الانضمام إلى العصبة , فيما عارضها (816) , وكان معظم المعارضين من الكاثوليك الايرلنديين[28].

في غضون ذلك ، قرر عدد من الساسة الديمقراطيين والجمهورين المؤيدين للعصبة تشكيل جمعية عصبة الأمم غير الحزبية في ايار عام 1920 في مدينة نيويورك ، وهدد منظموها بمعارضة أي حزب أو مرشح لا يؤيد عضوية العصبة[29].

وفي تشرين الثاني عام 1920 كان لابد من البت في مسألة عصبة الأمم , قبل أي قضية سياسية أخرى في الولايات المتحدة الأمريكية , وذلك عن طريق أجراء تصويت شعبي لتقرير ما اذا كان ممكناً إقرار ميثاق العصبة أم لا , إذ ان العصبة كانت السؤال الوحيد الذي يرغب الناس في سماع مناقشاتها من خلال متابعة ما تسفر عنه المناقشات في مجلس الشيوخ , وكانت قيمة المناقشات تكمن في ان الشعب الأمريكي كان يتعلم في كل يوم ما يعنيه ميثاق عصبة الأمم الذي قدمه ولسن , وما هي المخاطر المترتبة عليه ؟ وما مدى قوة وسلطة الدستور الأمريكي في أبرام المعاهدات والمحافظة على البلاد من الاخطار التي قد تنشأ عن هكذا التزامات خارجية[30] ؟

ومن الأمور المثيرة للانتباه ان الجمعيات النسائية وقفت إلى جانب عصبة الأمم بقوة , ومن بين أهم المنظمات الداعمة للعصبة اللجنة النسائية غير الحزبية لعصبة الأمم , وقد ذكرت صحيفة نيويورك تايمز ان القرارات التي طالب بها مجلس الشيوخ بالمصادقة عليها مع التحفظات التي ترسلها إلى الحلفاء أو تتطلب معاهدة منفصلة مع ألمانيا , وقد تم تمريرها بأجماع (200) شخص في مأدبة عشاء للنساء , كما أن هناك (11096) ضرورة التصويت بدون تعديلات , وصوتت (665) للالتزام , و (288) لعدم وجود معاهدة تلزم بأي التزامات , وقد نشطت هذه الجمعيات في التوصل مع اللجان خارج البلاد وخاطبوها في أكثر من (30) اجتماعاً في (10) دول حول موضوع عصبة الأمم , وقد صوتت إلى جانبهم عدة جمعيات , وحضر الدعوات التي أطلقوها عدة مؤسسات ليستمعوا إلى الخطابات التي نادوا من خلالها بإقرار

العصبة , ومن هذه الجمعيات جمعية المعلمين في مينيسوتا , والمؤتمر التجاري الجنوبي , وقد وجدو ان حوال 60% قد أيدو العصبة , كما قدمها ولسن , فيما كان هناك 30% يريد تحفظات معتدلة , وذهب 10% منهم مبعثرة بين المحافظين المعتدلين والمتطرفين , واذا لم تكن هذه الأصوات حاسمة بشكل كاف فأن الشك أزيل تماماً حول الموقف الوطني من العهد بعد وقوف ممثلين رسميين عن (26) منظمة وطنية أمام لودج وهيتشكوك والفصائل التي يمثلونها في مجلس الشيوخ للقاء بهم وحل النزاعات والتصديق على المعاهدة دون تعديلات , طالما ان هذه المنظمات تمثل طبقات الشعب كافة من فلاحين وعمال واصحاب كنائس وطلبة جامعيين ونساء , وقالوا انهم اتحدوا في برنامج يمثل الشعب الأمريكي , جاء فيه : "من الواضح ان الاصطفاف الحالي للبلاد حول موضوع عصبة الأمم يختلف اختلافاً جذرياً عن مجلس الشيوخ , أي ان مجلس الشيوخ لا يمثل الشعب الأمريكي في هذه القضية[31], لذا فأن على أعضاء مجلس الشيوخ واجبات حتمية يجب اداؤها اذا كانوا يريدون رضا الناس الذين صوتوا لهم , وهذه هي :[32].

1. يجب عليهم تسوية خلافاتهم , بحيث يقوم (64) من أعضاء مجلس الشيوخ الـ (8) الذين يفضلون عصبة الأمم بالتعديلات بالتصديق على المعاهدة.
2. يجب ان يتفقوا على نوع من الحلول الوسطى الذي سيسمح ولسن بنقله إلى الخلفاء , لقبولهم بدلاً من طرح القضية في خطاب الرئيس ولسن , إذ قام مجلس الشيوخ بالتصديق على المعاهدة واضعافها لدرجة ان تفقد مضمونها , ولن يكون هناك سبيل إلا بالانتخابات المقبلة من أجل السماح للشعب بأبداء رأيه وتحميل مجلس الشيوخ مسؤولية التأخير في قضية العصبة.

المبحث الثاني :موقف الراي العام الأمريكي من قضية عصبة الأمم في عهد إدارة هاردينغ

تطور موقف الراي العام الأمريكي في عهد إدارة هاردينغ بخصوص قضية عصبة الأمم من نشر الآراء والأفكار في الصحف والمجلات إلى مرحلة أخرى تمثلت بإنشاء عدد من المؤسسات والجمعيات المؤيدة والرافضة لقضية الانضمام إلى عصبة الأمم.

ومن أهم تلك المؤسسات مؤسسة وودرو ويلسون (The Woodrow Wilson Foundation) ، وهـي أولى المؤسسات التي تحمل اسم ولسن اسست في اذار عام 1921 في مدينة نيويورك أنشأها المؤيدين لأفكار ولسن لتكريمه وإدامة مبادئه الليبرالية والديمقراطية وسعيه للسلام ودوره في انشاء عصبة الأمم من خلال الجوائز والمنح ، وكانت برئاسة فرانكلين دي روزفلت وجمعت خلال حملة وطنية في عام 1922 أكثر من (800,000) دولار على شكل تبرعات صغيرة من أكثر من (200,000) مواطن ، وتمنح المؤسسة الجائزة النقدية في كل عام لـ "الخدمة الجديرة بالتقدير للديمقراطية أو الرفاهية العامة أو الفكر الليبرالي أو السلام من خلال العدالة" إلى فرد أو مجموعة. وقد تم الإشادة بأولئك الذين ساهموا في التصويت على مبادئ السلام والنظام السياسي الدولي الذي اعلنه ولسن ، كان واضحاً ان دعاة العصبة ، هم من سيطروا على المؤسسة ، فقد كانوا يأملون ، بتكريم ولسن عندما كان على قيد الحياة. منذ البداية ، كان هدف المؤسسة هو الترويج لمبادي ولسن وافكاره في سياسة الخارجية , وأهمها قضية عصبة الأمم من خلال منح جائزة مالية مقابل خدمة جديرة بالتقدير من أجل مبادئ ولسن، وبالتالي إبقاء تلك المبادئ ماثلة أمام الجمهور[33].

ظهرت محاولة ثانية للاحتفاظ بمُثُل ولسن على شكل نادي وودرو ولسن ، الذي بدأ في جامعة هارفارد في نيسان عام 1921 من قبل الطلاب بقيادة روبرت سي ستيوارت (Robert C. Stuart) ، الذيـن دعـوا هولـت للتحدث في أحدى تجمعات التي نظمها النادي ، وبحلول أيلول عام 1921 نظم أربعة وخمسين , فصلاً في الحرم الجامعي ، وبدأ المجلس الوطني حملة لجمع الأموال , لتعزيز تبادل الطلاب الأجانب وتعزيز الترويج للعصبة ومؤتمر السلام ، ونظراً لأن دافعها كان الدخول في مجال التنافس مع مؤسسة (Woodrow Wilson Foundation) فقد فشلت الجهود ، وسرعان ما تراجع النادي[34].

وفي شهر ايار عام 1921 ظهرت ديمقراطية وودرو ولسن ، وهي أكثر المجموعات الحزبية كانت ديمقراطية وودرو ولسن تأمل في إجبار الحزب الديمقراطي على الالتزام بالمثل العليا الشعبية والتقدمية والإنسانية المرتبطة بولسن ، للبحث عن مرشحين في حملات الكونغرس لعام 1922 ممن كرّسوا أنفسهم لهذه الغايات ، وكسب تأييد العصبة ، وأعرب ولسن عن اهتمام كبير بهذه المجموعة ، التي عارضت

بمباركته معاهدة السلام المنفصلة مع ألمانيا ، لكنها وجدت أنه من المناسب الموافقة على مؤتمر نزع السلاح في واشنطن ، وأصبح هولت، الذي كان بحلول ايار محبطاً تماماً من موقف هاردينغ الغامض من العصبة , وقرر اللجوء إلى النشاط السياسي لتعزيز القضية ، وأصبح رئيس مجموعة الديمقراطية , واصبح للمجموعة تأييد واضح لدى عدد من السياسيين[35].

أعقب ذلك اجتماعات عامة في فندق والدورف أستوريا في مدينة نيويورك يومي 18 كانون الأول و8 اذار، هاجم فيها المتحدثون اقتراح هاردينغ لرابطة الدول ، وتحدوا هيوز وهوفر للوفاء بالتعهد الوارد في بيان الـ (31) ، ودعوا إلى المزيد من المشاركة في الشؤون العالمية ، وأكدوا رغبة الشعب الأمريكي في عضوية العصبة ، وأعلنوا أنهم سيعملون على ضمان عودة أعضاء مجلس الشيوخ المؤيدين للعصبة فقط إلى مناصبهم في عام 1922 ، وأنه سيتم بذل كل جهد ممكن للتأكد من أن قضية العصبة , وستكون ذات أهمية قصوى في الانتخابات الرئاسية لعام 1924[36].

في غضون ذلك وتحديدا في كانون الأول عام 1922 شكلت جمعية سميت بعصبة الأمم غير الحزبية (league of nations non-partisan) كان هدفها جمع مؤيدي عصبة الأمم وتوحيد جهودهم ، وسعت إلى دمج جميع المنظمات والجمعيات المؤيدة للعصبة وكانت برئاسة إيشيلبرغر ، كلارك (Clark Eichelberger) رئيساً ، وترأس كولبي اللجنة التنفيذية ، وفي حفل عشاء اقيم لـ (750) ضيفاً في 10 كانون الثاني عام 1923 ، وحدت رابطة عصبة الأمم غير الحزبية المجموعات المختلفة وبدأت أعمالها , وقدمت رابطة تعزيز السلام أسماء أعضائها ، وتعهدت مؤسسة السلام العالمي بتوفير المال ، وانضم المستقلين المؤيدين للرابطة ، وصلت تبرعات من شيكاغو باسم أنيتا ماكورميك بليـن (Anita McCormick Blaine) والتي منحتهم (20) ألف دولار[37].

تجدر الإشارة إلى ان هناك مجموعة نسائية مكرسة بشكل خاص للمبادئ الدولية هي الرابطة النسائية الدولية للسلام والحرية (Women's International League for Peace and Freedom) ، ويعـود تأسيسها إلى عام 1915 ، اتخذت موقف قوي مناهض للحرب ، ما أدى إلى إدانتها لبعض تفاصيل الميثاق ، وجدت الرابطة النسائية الدولية للسلام والحرية ما يكفي من لتعزيز الأمل في عصبة الأمم ليتم الاعتماد عليها للحصول على الدعم. كما اجتذبت الأنشطة الداعمة لعضوية المحكمة العالمية انتباه النساء ، فقد اجتمعت سبع عشرة مجموعة لتشكيل لجنة محكمة عالمية للمرأة ، ومارست ضغوطا مكثفة في واشنطن ، وحشدت لجنة نسائية من أجل نزع السلاح العالمي الدعم لمؤتمر نزع السلاح في واشنطن ، وأنشأت منظمات مثل رابطة عصبة الأمم غير الحزبية أقساما للنساء قامت بحملات مهمة. وانضم المجلس المؤيد للرابطة النسائية إلى رابطة الأمم غير الحزبية في وقت مبكر من عام 1923[38].

مع اقتراب موعد انتخابات الكونجرس لعام 1922 ، كان لدى الأمميين الديمقراطيين ثلاث منظمات يمكنهم من خلالها تأكيد أهدافهم ، اثنتان تستهدف الجمهور وواحدة مخصصة للتأثير على قادة الحزب ، ولم يكن لدى الاممين الجمهوريين مثل هذه التنظيمات ، ولا سيما الموقعون على بيان الـ (31) ، وكانوا محبطين وفي موقف لا يمكن الدفاع عنه على الإطلاق ، وإدراكاً منهم لحاجتهم إلى اتخاذ موقف أثناء انتخابات الكونجرس ، كان لديهم عدة خيارات منها : يمكنهم التخلي عن حزبهم وإدارة هاردينغ لخيانتهم وعدم وفائهم للوعود الانتخابية ؛ ويمكنهم الدفاع عن أنفسهم ، والاعتراف بأنهم ربما كانوا مفرطين في الحماس في تحليلهم لالتزام هاردينغ بتعهداته ، لكنهم ظلوا متفائلين بشأن السياسات المستقبلية ؛ أو يمكنهم الحفاظ على موقفهم الضعيف ، على أمل أن ينسى الناخبون بيان الـ (31).[39]

تزامن نقاشات انشاء عصبة الأمم غير الحزبية مع نقاشات بين لويل وفيشر حول انشاء منظمة في تشرين الأول عام 1922 , هدفها حشد كل المؤيدين للانضمام لعصبة الأمم بمختلف انتمائتهم الحزبية ، تركزت المناقشات في الاجتماع على الحاجة إلى هيئة غير حزبية جديدة ، وقد أدت هذه المحادثات التمهيدية إلى إنشاء الرابطة الأمريكية للتعاون الدولي (AAIC) American Association for International (Cooperation) اجتمع ويكرشام ، الذي شغل منصب رئيس مع لويل وستراوس وغيرهم من الموقعين على بيان الـ (31) ، ووافقوا على تقديم الدعم لهذا الجهد الجديد[40].

اتفق مؤسسو الرابطة الأمريكية للتعاون الدولي (AAIC) على أن هدفهم هو تثقيف الجمهور بحيث يدعم الناخبون العضوية في المحكمة العالمية والمشاركة في اللجان الاقتصادية والاجتماعية للعصبة ، على أن تكون في الوقت الحالي حملات المطالبة بالعضوية محددة ، وفي أواخر شهر تشرين الأول، انحرف الاتحاد بشكل مؤقت عن نطاق تركيزه ، وذلك عندما بدأ الأعضاء في التحريض على الانضمام للعصبة على أساس إلغاء المادة رقم (10) ، وكان هذا الجهد فاشلاً تماماً حتى وصل قادة الرابطة إلى قناعة تامة بأن يظلوا يعملون بعزم على استبعاد موضوع العضوية جانباً ، وأن يبقى العمل غير حزبي[41].

إلى جانب الجمعيات المؤيدة للعصبة ظهرت جمعيات ومنظمات , كانت ترغب في التفكير والعمل على المستوى الدولي ، لكنها لم تستطع قبول ميثاق العصبة , لأنها برأيهم لا تعمل على أسس ليبرالية أو مستنيرة.

أثار أعضاء الحركات الرافضة للعنف وحركات السلام مشاكل خاصة لأنصار العصبة ، فقد فضل دعاة السلام شكلاً من أشكال التنظيم العالمي ، ومع ذلك ، فقد أعربوا الآن عن قلقهم بشأن الميثاق ، لا سيما المادة (10) المتعلقة باعتمادها على القوة العسكرية ، بينما كانوا يفضلون السلام والتعاون العالمي ، وأظهروا تعاطفا ضئيلا مع الآلية المصممة لمنع الحرب ، وعلى الرغم من أن العديد من دعاة السلام انحازوا إلى دعاة التحفظ خلال مناقشات مجلس الشيوخ ، لكنهم انقسموا بعد اذار عام 1920 حول التخلي عن عضوية العصبة ، أو الترويج لها بحدود مقبولة ، أو السعي إلى تحقيق بديل قابل للتطبيق[42].

كان دعاة السلام ، على عكس رافضي العنف ، أكثر صعوبة في التعامل معهم بسبب التنوع الكبير في وجهات النظر والمواقف التي اتخذوها ، فقد دعوا إلى التعاون الدولي والبرامج الثقافية لتعزيز التفاهم الدولي ، لذلك عرّفوا أنفسهم بأنهم أمميون - كمؤيدين للرابطة وليس كمعارضين لها ، لقد رأوا خلافاتهم مع مؤيدي العصبة على أنها خلافات في المقام الأول : دعم المنظمة الدولية بالنسبة لهم كان ثانوياً لأنشطتهم المناهضة للحرب ، بعد ذلك ، تجاوزوا الخط بشأن الالتزامات ، ودعوا إلى سياسات التعاون العام بدلاً من الالتزام ، وأصبح المجلس الوطني لمنع الحرب (The National Council for Prevention of War) (NCPW) ، برئاسة فريدريك ليبي (Frederick Libby) , وكان يمثل أكثر من ثلاثين منظمة ، صوتاً مؤثراً لهذا النهج ، ودعا برنامجها الثلاثي إلى "المنظمة العالمية التقدمية ، وإعادة التسليح في جميع أنحاء العالم بموجب اتفاقية دولية ، والتثقيف العالمي من أجل السلام"، انخرط المجلس الوطني لمنع الحرب (NCPW) بشكل كبير في حملات نزع السلاح ، والنضال من أجل تشريعات الحياد ، واحتفظ بأحد الموظفين في جنيف في ثلاثينيات القرن الماضي للإبلاغ عن الأنشطة هناك ، لكنه ظل غير ملتزم بعضوية العصبة حتى أثناء القيام بذلك ، وفي نهاية المطاف ، فإن المعارضة العميقة للأمن الجماعي القائم على العقوبات ، والتي تم التعبير عنها من خلال الاستعداد لاقتراح وقبول بدائل للعصبة ، جعلت دعم نشطاء السلام فاتراً في أحسن الأحوال ومثيراً للانقسام بشكل خطير في أسوأ الأحوال[43].

ظهر الخيار الأكثر إثارة للانقسام الذي قدمته شريحة كبيرة من فرقة السلام لدعم المؤتمرات الدورية ، وهي صيغة واسعة الانتشار ظهرت قبل الحرب ، روج المؤيدون لمؤتمرات لاهاي للسلام باعتبارها أفضل طريقة لتطوير التعاون , وأشاروا إلى أن مؤتمر لاهاي الثالث يمكن أن يواصل العملية ، قدمت توصيات هافانا بشأن المنظمة الدولية نموذجهم الذي اعتمده المعهد الأمريكي للقانون الدولي في 23 كانون الثاني عام 1917 ، ودعت "التوصيات" إلى اتحاد موجه قضائياً ، وتخلت عن هيمنة القوة العظمى ، وأعلنت الرأي العام كعقوبة منطقية وواقعية ، وأكدت أن السلام يجب أن يقوم على العدل والقانون والسلمية ، وحل النزاعات بدلاً من ضمانات السلامة الإقليمية والاستقلال ، واعتقد مؤيدو هذا النهج أن برنامجهم يمثل خطوة إضافية واحدة نحو اتحاد العالم الذي كان يتطور منذ عقود ، من خلال الاجتماعات المنتظمة أو المعلنة في لاهاي ، وسوف تظهر هيئة تشريعية فعالة في أثر ذلك[44].

أثبتت جمعية نيويورك للسلام[45] (The New York Peace Society) (NYPS) ، التي اندمجت مؤقتاً مع عصبة فرض (تعزيز) السلام قبل إحيائها في عام 1920 ، أنها أكثر مجموعات السلام دعما ونشاطًا بعد الحرب ، حيث كان موقفها تجاه العصبة جدير بالتقدير ، خلال معركة المعاهدة، أيدت

العضوية مع التحفظات ولكنها تعهدت بعد ذلك "بدعم الارتباط المستمر للدول المتمتعة بالحكم الذاتي من أجل الحفاظ على العدالة الدولية والصداقة والتعاون العالمي من أجل الرفاهية المشتركة وتحسينها". قامت جمعية نيويورك للسلام (NYPS) بحملة من أجل المحكمة العالمية ، وساعدت ليفرمور بصفته سكرتيراً ، دعاة العصبة من خلال دعم الكتاب السنوي لعصبة الأمم[46].

في المقابل ، أثبتت جمعية السلام الأمريكية[47] (American Peace Society) (APS) أنها مقلقة للغاية للأممية لأنها تجاوزت التصريحات الغامضة إلى معارضة صريحة للعصبة ، كانت اقتراحاتها من أجل عالم محكوم في 27 ايار عام 1921 مع التركيز على العمليات الإجرائية، غير ملزمة لدرجة أنها حظيت بتأييد بورا ، وفي سياق دفاعها عن معارضتها للعصبة أشارت مجلة الجمعية المدافع عن السلام Advocate of Peace إلى نقاط الضعف والمخاطر والاشياء غير المعقولة ، وغالباً ما شككت بدعاة العصبة عندما تفاخروا بإنجازاتها ، واستنادًا إلى خبرتها البالغة خمسة وتسعين عاماً ، اقترحت صراحة في عام 1923 أن تقوم العصبة إما بتعديل جذري للميثاق أو حل العصبة ، أيدت المجلة تصريحات هاردينج وكوليدج بتخلي الولايات المتحدة عن العضوية، وأعلنت أنها لا تتعاطف مع الانتقاد الحالي بأن الولايات المتحدة الأمريكية تنتهج سياسة العزلة الأنانية، ورأى أعضاء الجمعية ميزة واضحة في الفصل بين مفهومي العالم القديم والجديد للمصلحة الوطنية ، وفي أواخر عشرينيات القرن الماضي ، اعتقد رئيس جمعية السلام الأمريكية تيودور إي بيرتون (Theodore E. Burton) أن الجغرافيا والسياسات التقليدية تفرض العزلة عن العصبة ، وبحلول الثلاثينيات رأى نيوتن بيكر (Newton Baker) أن جمعية السلام الأمريكيـة تعـد مجـرد وكالة سياسيـــة حزبيـــة مناهضة لويلسون ومعادية للعصبة ، ولم يبد أن شيئاً يغير موقفها طوال سنوات ما بين الحربين[48].

مثلت مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي (The Carnegie Endowment for International Peace) (CEIP) مجموعة أخرى ، ذات توجه دولي وكانت صادقة في دعمها لعصبة الأمم كما تشكلت في عام 1920، ونظر أمناءها في مسائل العصبة المعقدة لكنهم لم يجدوا أبدا صيغة مرضية ، تجنب قادة مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي مناقشات (1919-1920) ، ورفضوا تمويل المجموعات المناصرة واعتمدوا على التمدد التدريجي والتأني لحين سيادة القانون ، وبمجرد أن بدأت العصبة عملها ، أظهر مجلس ادارة المؤسسة ترحيبه واحترامه لها لكنه حافظ على مسافة آمنة ، وابتداءً من عام 1923 ، تلقى مجلس أمناء مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي (CEIP) ملخصاً شهرياً لعمل العصبة (تم إعداده وتوزيعه داخلياً) ، على الرغم من استمرار تجنب الأمور التي هي في الأساس شؤون حكومية وفقاً للسياسة الموصى بها[49].

وقد أجرت صحيفة نيويورك تايمز استطلاعا مثيراً للاهتمام في اوائل يناير شمل حوالى (375) كلية في أنحاء البلاد , وقدمت هذه الكليات وطلابها أربعة اقتراحات للتصويت. وسئل عما إذا كانوا يعتقدون أنه ينبغي التصديق على معاهدة فرساي , وعهد عصبة الأمم (1) دون تحفظات أو تعديلات ، (2) مرفوض تماماً ، (3) صدقت مع الطلب التحفظات ، أو (4) التصديق على أساس إتفاق تسوية ما. وفي الـ 92 (466) صوتاً التي تم جمعها من الكليات ، كان الرأي تقريباً منقسماً بالتساوي بين التصديق غير المشروط والتصديق على أساس بعض التسوية[50]. لم يكن الجميع مؤيدين للعصبة بأي شكل من الأشكال. ووصف العمدة ويليام هيل طومسون من شيكاغو العصبة بأنها "مخطط جهنمي" من شأنه إذا تم التصديق عليه دون تحفظات أن يدمر السيادة الأمريكية ضربة واحدة، بينما سيحقق مع التحفظات الشيء نفسه. وبعث رسائل إلى جميع أعضاء مجلس الشيوخ طالبا منهم السماح للشعب بالتصويت على هذا الاقتراح "غير الأمريكي". في مناظرة مع إدوارد ويلر محرر الرأي الحالي. جيمس بيك ، صحفي صديق روزفلت ، أعلن لأعضاء النادي الجمهوري الوطني أن مفهوم الرابطة ينتهك تقاليدنا وقد يخلطنا في السياسة الأوروبية. ومضى بيك يقول إن سياسة ولسن الخارجية منذ انتخابه الأول كانت "وصمة سوداء" في تاريخ الولايات المتحدة ويجب ان نعمل على محوها[51].

الخاتمة

كانت قضية الانضمام الى عصبة الأمم مثار جدل وخلاف شكلت ارهاصات لبداية تشكل اثر الراي العام الأمريكي في سياسية الخارجية ، ومع ان هناك مواقف مهمة للراي العام في شوون الخارجية الا ان قضية الانضمام تعد من اكثر القضايا التي انقسم بشأنها آنذاك. و كان في الولايات المتحدة راي عام يؤمن بان لديها مصلحة والتزام أخلاقي بنشر القيم الديمقراطية والاجتماعية في جميع أنحاء العالم مما يخلق مجتمعًا دوليًا مسالمًا مثل هذا الاتجاه مؤيدي ولسن يعاكسه اتجاه اخر يدعو الى الانعزالية. و ان تحليل النقاش الدائر في الولايات المتحدة حول الانضمام لعصبة الأمم، مرتبط بفهم السياسة الخارجية الأمريكية ومفهومالأمن الجماعي مقابل السيادة الوطنية،و المثالية مقابل البراغماتية، ومسؤوليات الدول القوية واستخدام القوة لتحقيق أهداف مثالية، و إن المناقشة الدائرة حول العصبة والعواقب المترتبة على فشلها في نهاية المطاف يوضح مكنون الجدل الفكري والسياسي الدائر في الوليات المتحدة.

الهوامش

---

(1) Warren F. Kuehl and Lynne K. Dunn , Keeping the Covenant : American Internationlists and the League of Nations 1920-1939 , The Kent State University , 1997 , P.8.

(2) Henry Cabot Lodge , The Senate and the League of Nations , Charles Scribner's Sons , New York , 1925, P.47.

(3) ميلاد ممتاز منسي , الكونغرس الأمريكي والسياسة الخارجية للولايات المتحدة , مكتبة مدبولي، مصر،2013, ص33.

(4) جيمس م. بيك : ولد في 9 تموز عام 1861 في ولاية فيلادلفيا , محامي وسياسي أمريكي , درس وتخرج من كلية مورافيا عام 1880 , عمل بعدها كاتباً في شركة السكك الحديدية , تابع دراسة القانون ليلاً ليتم قبوله في نقابة المحامين في عام 1884 , أنتقل إلى نقابة المحامين في نيويورك عام 1903 , وفي نقابة محامين بريطانيا عام 1922 , وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى أتخذ موقفاً قوياً ضد ألمانيا , كتب الكثير من المقالات ليتم انتخابه عضواً في مجلس أدارة أحدى الصحف , عين من قبل وارن هاردنغ وكيلاً عاماً (1921-1925) , أنتخب عضواً في الكونغرس (1927-1934) , إلا أنه استقال من منصبه , بسبب اعتراضه على اجراءات الرئيس فرانكلين روزفلت , توفى في 12 نيسان عام 1936. ينظر :
Miloslav Rechcigl , Encyclopedia of Bohemian and Czech – American Biography , Vol.1 , Library of Congers , New York , 2016 , P.49.

(5) Jay G. Gentry , American public opinion and the League of Nations 1918-1920, Master thesis, University of New Mexico , 1938, P.76.

(6) Thomas R. White , The Amended Covenant of the League of Nations , Annals of the American Academy of Political and Social Sciences , 1919 , PP.184-188.

(7) Jay G. Gentry , Op.Cit. , P.76.

(8) Quted in : Ibid. , P.77.

(9) ار ال امرين : سيناتور أمريكي , ولد في 2 شباط عام 1856 في ولاية فرجينيا , لعائله ميسورة الحال , والده رئيس شركة سكك الحديد , إلا أن وفاة والده عام 1873 أدت إلى تدهور أوضاعه الاقتصادية , مما أدى به الهجرة إلى الهند , وتم قبوله فيها بنقابه المحامين عام 1880 , ليتم تكليفه بعدها بمنصب سكرتير التعليم عام 1883 , لينتقل بعدها إلى الحياة السياسية , إذ عمل كحقوقي للجنة الوطنية الديمقراطية (1892-1896) , عاد إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1907 ورشح إلى جانب الديمقراطيين , أصبح عضواً في المجلس ليعاد انتخابه عدة مرات خلال المدة (1907-1925) , توفى في 19 تموز عام 1947. ينظر :

Anne Mccornick Quatannens , Diane B. Boyle , Senators of the United States 178-1995 , Government printed office , Washington , 1995 , P.216.

(10) Thomas R. White , The Amended Covenant of the League of Nations , Annals of the American Academy of Political and Social Sciences , 1919 , PP., P.184.

(11) D. J. Hill , The President's Challenge to the Senate , The North American Review , 1919 , P.209.

(12) Gilbert M. Hitchcock , In Defense of the League of Nations , Annals of the American Academy of Political and Social Science , 1919 , PP.201-203.

(13) Quted in : Jay G. Gentry , Op.Cit. , P.89.

(14) Quted in : Ibid. , P.101.

(15) C. Seymour , The League of Nations , The Yale Review , 1919 , P.42.

(16) ميلاد ممتاز منسي, المصدر السابق , ص34.

(17) Jay G. Gentry , Op.Cit. , P.113.

(18) C. Seymour , Op.Cit., P.44.

(19) Mary Mary Healy , Op.Cit. , P.8.

(20) ميلاد ممتاز منسي, المصدر السابق , ص39.

(21) Henry Cabot Lodge , Op.Cit. , P.86.

(22) فيليب مارشال براون : ولد في 31 تموز عام 1875 في هامبدين , دبلوماسي أمريكي ومعلم , تلقى تعليمه في كلية وليامز , شغل منصب سكرتير (1900-1901) , تولى منصب السكرتير الثاني للمفوضية الأمريكية للقسطنطينية , ليشغل بعدها منصب سكرتير مفوض في غواتيمالا وهندوراس وصولاً إلى عام 1907 , وبعد استقالته من السلك الدبلوماسي عين مدرساً للقانون الدولي في جامعة هارفارد عام 1912 , ليصبح في العام التالي استاذاً مساعداً للقانون الدولي والدبلوماسية في جامعة برينستون , وفي عام 1915 عين استاذاً للقانون الدولي في الجامعة ذاتها , كما عمل في المجلة الأمريكية للقانون الدولي وعضو مشارك في معهد القانون الدولي , توفى في 10 أيار عام 1966. ينظر :

J. T. White , The National Cyclopedia of American Biography , The Library of Congres , Washington , P.222.

(23)Mary Healy , Op.Cit. , P.9.

(24) صموئيل جومبرز : ولد في 27 كانون الثاني عام 1850 , صانع سيجار أمريكي بريطاني وزعيم نقابه عمالية وشخصية مهمة في الولايات المتحدة الأمريكية , كما أنه مؤسس الاتحاد الأمريكي للعمل وشغل رئاسته حتى عام 1924 , عاش في كنف عائلة يهودية تنحدر من امستردام , تعلم في مدارس اليهود وخلالها تعلم التلمود , وهو ما شبهه بدراسة القانون , هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1863 واستقر في نيويورك , وفي العام التالي أنظم إلى الاتحاد المحلي لصانعي السيجار واستمر حتى عام 1873 , وفي عام 1875 أنتخب رئيساً للاتحاد الدولي لصانعي السيجار , إلا ان الاتحاد أنهار , بسبب الأزمة المالية عام 1877 , واعيد انتخابه عام 1886 , كما ساعد في تأسيس اتحاد المهن المنظمة والنقابات العمالية عام 1881 , فضلاً عن ترأسه اتحاد العمل حتى وفاته , توفى في 13 كانون الأول عام 1924. للمزيد من التفاصيل ينظر :

Bernard Mandel , Samuel Gompers a biography , Antioch Press , New York , 1963.

(25)Mary Healy , Op.Cit. , P.9.

(26) هاملتون هولت : ولد في 18 آب عام 1872 في نيويورك , كان والده محامي في القضاء الفدرالي , تخرج من جامعة ييل عام 1894 , أكمل الماجستير في الاقتصاد وعلم الاجتماع في جامعة كولومبيا بعد ثلاث سنوات , عمل كمحرر في المجلة الأسبوعية الليبرالية الابندبندنت في نيويورك (1897-1921) دافع خلالها عن الأصلاح وحقوق المهاجرين , وفي عام 1909 شارك في تأسيس منظمة , واختاره ولسن مديراً تنفيذياً لصندوق الوقف التابع له , وفي عام 1924 ترشح لعضوية مجلس الشيوخ عن ولاية كونيتيكت (NAACP) عن الحزب الديمقراطي , إلا أنه لم يتمكن من الفوز , أصبح رئيساً لكلية رولينز (1925-1949) , توفى في 26 نيسان عام 1951. ينظر :

The National Cyclopedia of American Biograph (History of United States) , Vol.XV , James T. White and Company , New York , 1990 , P.116.

(27) Quted in : Jerry Allen Hendrix , Op.Cit. , P.317.

(28) Ibid. , P.318.

(29) Warren F. Kuegl , Op.Cit. , P.11.

(30) Henry Cabot Lodge , Op.Cit. , P.85.

(31) Quted in : Jerry Allen Hendrix , Op.Cit. , P.319.

(32) Ibid. , P.310.

(33) Lyman Besse Burbank , Internationalism in American Thought 1919-1929 , New York University , 1950 , PP.207-10.

(34) Warren Kuehl , Lynne Dunn , Keeping the Covenant American Internationalists and the League of Nations , 1920-1939 , The Kent State University Press , Ohio , 1997 , P.36.

(35) Warren Kuehl , Lynne Dunn , Op.Cit. , PP.36-37.

(36) Ibid. , P.37.

(37) Congressional Record : Proceedings and Debates of the 88 CONGRESS , Vol.109 , Part.15 , United States , 1963 , PP.20447-20448.

(38) Alonso , Peace as a Women's Issue ; Edith E. Ware , ed. , The Study of International Relations in the United States : Survey for 1934 , New York: Columbia University Press , 1934 , PP.56-354 ; Warren Kuehl , Lynne Dunn , Op.Cit. , P.52.

(39) Earle , Neil. "Public Opinion for Peace : Tactics of Peace Activists at the Washington Conference on Naval Armament (1921-1922) , Journalof Church and State40 , No.1 , 1998 , PP. 149-69.

(40) Warren Kuehl , Lynne Dunn , Op.Cit. , P.37.

(41) Ibid. , PP.37-38.

(42) Jennings , David H. , "President Harding and International Organization" Ohio History 75 (Spring-Summer 1966) , PP.149-65.

(43) Warren Kuehl , Lynne Dunn , Op.Cit. , PP.56-57.

(44) Ibid. , P.56.

(45) جمعية نيويورك للسلام : أول جمعية للسلام تنشأ في الولايات المتحدة ، ذات طابع سلاسي ديني أسسها دايفيد لو دودج عام 1815, وأصبحت منظمة نشطة، تعقد إجتماعات أسبوعية منتظمة، وتصدر مطبوعات انتشرت حتى في جبل طارق ومالطة , وصفت فيها أهوال الحرب ودعت إلى إحلال السلام على أسس مسيحية. للمزيد من التفاصيل ينظر :

New York Peace Society Records , in https://archives.tricolib.brynmawr.edu/resources/scpc-dg-026

(46) Warren Kuehl , Lynne Dunn , Op.Cit. , .P.56.

(47) جمعية السلام الأمريكية : هي مجموعة سلمية اسسها وليام لاد في مدينة نيويورك في 8 أيار عام 1828 , وقد تشكلت بدمج العديد من الولايات والمجتمعات المحلية ، من نيويورك ، ماين ، نيوهامبشير ، وماساتشوستس ، كان لاد مدافعاً عن "الكونغرس والمحكمة العليا للأمم" , ونظمت الجمعية مؤتمرات للسلام ونشرت بانتظام مجلة دورية بعنوان "الدفاع عن السلام" , ولم تكن الجمعية سوى معارضة للحروب بين الدول القومية ؛ لم تعارض الحرب الأهلية الأمريكية ، معتبرة حرب الاتحاد "إجراء شرطيا" ضد "مجرمي" الكونفدرالية ، ان أشهر قادتها كان بنيامين فرانكلين ترودم (1847-1916) الذي دعا في كتابه إتحاد العالم (1899) إلى إقامة دولة دولية لإحلال سلام دائم في العالم. للمزيد من التفاصيل ينظر :

Deerin Call , American Peace Society One – hundred – ninth Annual Meeting of the Board of Directors , World Affairs , Vol.100 , No.2 , (June , 1937) , PP.128-129.

(48) Warren Kuehl , Lynne Dunn , Op.Cit. , P.P.59.

(49) Ibid.

(50) Robinson , Edgar Eugene , The Presidential Vote : 1896-1932 , Stanford University : Stanford University Press , P.56.

(51) Daugherty , Harry M. , The Inside Story of the Harding Tragedy , New York : The Churchill Company , 1932 , P.76.

المصادر والمراجع

- ميلاد ممتاز منسي , الكونغرس الأمريكي والسياسة الخارجية للولايات المتحدة , مكتبة مدبولي، مصر،2013.
- Henry Cabot Lodge , The Senate and the League of Nations , Charles Scribner's Sons , New York , 1925.
- Alonso , Peace as a Women's Issue ; Edith E. Ware , ed. , The Study of International Relations in the United States : Survey for 1934 , New York: Columbia University Press , 1934 .
- Anne Mccornick Quatannens , Diane B. Boyle , Senators of the United States 178-1995 , Government printed office , Washington , 1995 .

- Bernard Mandel , Samuel Gompers a biography , Antioch Press , New York , 1963.
- C. Seymour , The League of Nations , The Yale Review , 1919 .
- Congressional Record : Proceedings and Debates of the 88 CONGRESS , Vol.109 , Part.15 , United States , 1963 .
- D. J. Hill , The President's Challenge to the Senate , The North American Review , 1919 .
- Daugherty , Harry M. , The Inside Story of the Harding Tragedy , New York : The Churchill Company , 1932 .
- Deerin Call , American Peace Society One – hundred – ninth Annual Meeting of the Board of Directors , World Affairs , Vol.100 , No.2 , (June , 1937) .
- Earle , Neil. "Public Opinion for Peace : Tactics of Peace Activists at the Washington Conference on Naval Armament (1921-1922) , Journalof Church and State40 , No.1 , 1998 .
- Gilbert M. Hitchcock , In Defense of the League of Nations , Annals of the American Academy of Political and Social Science , 1919 .
- J. T. White , The National Cyclopedia of American Biography , The Library of Congres , Washington .
- Jay G. Gentry , Op.Cit. .
- Jennings , David H. , "President Harding and International Organization" Ohio History 75 (Spring-Summer 1966) .
- Lyman Besse Burbank , Internationalism in American Thought 1919-1929 , New York University , 1950 .
- Mary Mary Healy .
- Miloslav Rechcigl , Encyclopedia of Bohemian and Czech – American Biography , Vol.1 , Library of Congers , New York , 2016 .

- New York Peace Society Records, in https://archives.tricolib.brynmawr.edu/resources/scpc-dg-026
- Quted in : Jerry Allen Hendrix .
- Robinson , Edgar Eugene , The Presidential Vote : 1896-1932 , Stanford University : Stanford University Press .
- The National Cyclopedia of American Biograph (History of United States) , Vol.XV , James T. White and Company , New York , 1990 .
- Thomas R. White , The Amended Covenant of the League of Nations , Annals of the American Academy of Political and Social Sciences , 1919 .
- Warren Kuehl , Lynne Dunn , Keeping the Covenant American Internationalists and the League of Nations , 1920-1939 , The Kent State University Press , Ohio , 1997 .



CAMBREDGE

Refereed scientific journal

Published by Cambridge Center for Research and Conference

CJSP

ISSN-2536-0027

2022

Www.camb_magazine.com